

# المكتبي

أبو فهد  
محمود محمد شاكر









## بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد كله ، ولك المُلْكُ كله ، وبِيدِكَ الخيرُ كله ، وإليك يرجع الأمرُ كله ، اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ خاتَمِ أنبيائك ورُسلك ، وعلى أبويه إبراهيم وإسماعيل ، وعلى سائر النَّبِيِّينَ .

وبعد ، فهذا كتاب « المتنبى » الذى كنت كتبتَه فى سنة ١٩٣٦ ، وخرج يومئذ فى عددٍ كامل فى مجلة « المقتطف » ، أنشره اليوم على هيئته التى كان عليها يوم صدر ، وجمعت إليه ما كنت كتبتَه فى صحيفة « البلاغ فى سنة ١٩٣٧ » فى قضية المتنبى بعنوان : « بينى وبين طه » ، وضممتُ إليه أربع تراجم للمتنبى أقدمهن جميعاً ترجمة على بن عيسى الربعى الذى قرأ على المتنبى شعره بشيراز سنة ٣٥٣ قبل مقتله ، وثلاث تراجم بعدها كتبها ابن العديم ، وابن عساكر ، والمقرئى ، من كتب لم تزل مخطوطة لم تنشر ، وكتبْتُ له مقدمةً فيها « قصة هذا الكتاب » كما كانت ، بارئاً إلى الله من كُلِّ حولٍ وقوةٍ ، شاكراً له سبحانه ، شكر مقصّر لا يفى شكره بأئعمه وأياديه عنده . وأتَّى يُلغِ شكرى له سبحانه ، وقد لطف بى فردَّ علىَّ بصرى بعد إظلام ، ولولا لطفه سبحانه لبقى هذا الكتاب فى المطبعة ناقصاً لغير تمام . فالحمد لله وحده .

أما الرجل الذي أجرى الله على يديه لطفه بي ، واستنقذني بمروءته من العمى ، وحاطني حتى غدت بصيراً ، فإني لا أملك له جزاءً إلا الإقرار بفضلته ، وإلا الدعاء له كلما أصبحت وأمسيت . صديق لا تنام صداقته عن أصحابه ، ورجل لا تغفل مروءته عن غير أصحابه . ثم هو بعد غنى عن اللقب بمكارم أخلاقه ، وفوق كل لقب بسماحة شيمه : « نايف بن عبد العزيز آل سعود » ، لم يزل منذ عرفته قديماً ، يزداد جوهرة على تقادُم الأيام سنأً وسناءً . صرحتُ بذكر اسمه مطيعاً لما يُرضيني ، عاصياً لما يرضيه .

الأحد ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٣٩٧

٦ من نوفمبر سنة ١٩٧٧

القاهرة : مصر الجديدة

أبو فهد  
محمود محمد شاكر

٣ شارع الشيخ حسين المصطفى

\*\*\*\*\*

إِنَّمَا أَنَفْسُ الْأَيْسَى سِبَاغٌ  
يَتَفَارَسَنَ جَهْرَةً وَأَعْتِيَالاً  
مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِلَاباً  
وَأَعْتَصَاباً لَمْ يَلْتَمِسْهُ سَوَالاً  
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى  
أَنْ يَكُونَ الْعُضْفَرُ الرَّبَاباً

قِصَّةُ هَذَا الْكِتَابِ

\*\*\*\*\*

٢٩

### / لحظة من فساد حياتنا الأدبية

« المتنبى » ، كتابٌ كتبته منذ اثنتين وأربعين سنة ، ونُشر في عدد مستقلٍّ من مجلة « المقتطف » ( يناير سنة ١٩٣٦ ) . ثم كانت أحداثٌ ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأحداثٍ كانت قبلها بسنوات طوالٍ ، كان لها أثرٌ بالغُ القسوة والسوءِ في نفسي ، فلم أملك يومئذٍ أن أكبح جماحها ، فانطويتُ على ما بي انطواءً شديداً أدّى إلى تغيير منهج حياتي كله . ويومئذٍ رفضتُ رفضاً قاطعاً ، بيني وبين نفسي ، أن أُؤلف كتاباً ، وانصرفْتُ / إلى كتابة المقالات . وبعض الشعر ، وأصررتُ أيضاً على أن لا أعيد نشر هذا الكتاب « المتنبى » مرةً أخرى ، وأعرضتُ إعراضاً تاماً عما كنتُ وعدتُ به في هوامش الكتاب ، (١) من تأليف أربعة كتب مختلفة عن « المتنبى » . وقضى الأمرُ ، ودخلت منذ ذلك الوقت في عزلةٍ غريبةٍ جداً ، أشرتُ إليها مراراً فيما أكتب ولم أفسرها ، وتعددت صور هذه العزلة على مرّ الأيام ، وأصبحت هي طابعٌ حياتي إلى هذا اليوم .

فلما استجبتُ أخيراً لإلحاح جمهوره أصبحاني على إعادة طبع كتاب « المتنبى » كما كتبته يومئذٍ ، وعلى طبع المقالات التي كتبتها سنة ١٩٣٧ في جريدة « البلاغ » في نقد

(١) انظر هذه الطبعة ، الهوامش في ص : ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠ وما ذكره أخى

الأستاذ فؤاد صروف في مقدمة الكتاب ص : ١٣١

الفصول الأولى من كتاب « مع المتنبي » لأستاذنا الدكتور طه حسين ، بعنوان : « بيني وبين طه » = رأيته أمراً لا مَعْدَى عنه أن أقصَّ طرفاً من تاريخ حياتي يومئذٍ ، لكي أفسر السبب الذي من أجله تركتُ تأليف الكتب ، والذي من أجله أبيتُ إعادة طبع كتاب « المتنبي » على مرَّ أربعين سنة ، والذي من أجله كتبتُ ما كتبتُ في نقد كتاب الدكتور طه .

والحديث عن النفس عملٌ أكرهه ، ولكنه يكون أحياناً ضرورةً لا غنى عنها . فالجيل الذي يستقبل اليوم هذا الكتاب ، لم يشهد تلك الأيام الغابرة ، ولا يعلم عنها علماً يُعْنِي أو يفيدُ ، بل لعله يعلم عن هذا الغابر أشياء / قليلة ، على غير الوجه الصحيح ، الذي كانت عليه ، وإنما اكتسبها الجيل الحاضر من الثروة التي تنشر أحياناً في بعض الصحف والمجلات . وقد التزمتُ في هذا الحديث أن أقصَّ ما لا مناصَ منه ، على الوجه الذي كانَ ، بلا إخفاءٍ للحقائق التي وقفت عليها يومئذٍ ، لأنها هي التي أثَّرتُ فيما أكتب ، وهي التي كوَّنت رأيي في الجيل الذي عاصرته ، وفي آثار هذا الجيل في الأجيال التي جاءت معه أو بعده ، متأثرةً به أو واثرةً له .

\*\*\*

بين الثالثة عشرة من عمري والسابعة عشرة ، كنت مُولعاً أشدَّ الولوع بالرياضيات ، فدخلت القسم العلمي في « المدرسة الخديوية الثانوية » بالقاهرة ، ولكنني مع ذلك كنتُ مَشْغُوفاً بالشعر ، منهوماً بالأدب ، كَلِيفاً بالتاريخ . فلما أنشئت الجامعة المصرية لأول إنشائها ، لم يستطع وَلَعِي بالرياضيات أن يقوم لشغفي بالأدب والتاريخ ، فتحوَّلت مخالفاً سيرة زملائي في القسم العلمي ، والتحقَّت بكلية الآداب ، فكان هذا التحوُّل هو أيضاً بدءَ تحوُّل حياتي تحوُّلاً تاماً . هجرتُ الرياضيات هجراً مُصمَّتاً ، وأقبلتُ على الشعر والأدب والتاريخ بقلبي كُلِّه . ويوم دخلت كلية الآداب ، كنت قد فرغتُ منذ قليل من قراءة كتابين جليلين على شيخى ، وشيخ الدكتور طه حسين أيضاً ، وهو سيد بن علي المرصفي ، رحمه الله . أول الكتابين :

كتاب « رغبة الآمل » ، وهو شرح الشيخ على كتاب « الكامل » لأبي العباس المبرّد =  
وثانيهما : كتاب « أسرار الحماسة » ، وهو شرح الشيخ أيضاً على كتاب « الحماسة »  
لأبي تمام الطائي الشاعر . وفي زمان هذه القراءة كان أثر الشيخ / عليّ أثراً شديداً ، فقد  
أثار اهتمامي وصرف قلبي كله إلى الشعر الجاهليّ وبعض الشعر الأمويّ ، وأخذني  
ما يأخذ الشباب في ريعان طلب المعرفة . فارت بي هذه النشوة الجديدة بالشعر  
الجاهليّ ، فجعلت تثبّط همتي عن الشعر العباسيّ بعض التثبيط . وكان ممّا ثبّطت عنه  
همّتي أشدّ التثبيط ديوان أبي الطيب المتنبيّ ، مع أنّه كان أوّل ديوان من الشعر قرأته  
كلّه ، وحفظته كلّه ، وفتنّت به كلّه ، فأغفلته من يومئذٍ كلّه . لم يكن هذا التثبيط  
استخفافاً بالشعر العباسيّ وما بعده ، بل لأنّ يغالي في الحفاوة بالشعر الجاهليّ وقراءته  
وتتبّعه في دواوين شعرائه ، وفي كتب الأدب ، كان قد أوقفني على شيء مهمّ جدّاً ،  
شغلني واستولّى على نفسي ، حتى صار من ديدني يومئذٍ أن أحدث عنه أكثر من لقيت  
من الأساتذة الكبار الذين عرفتهم وخالطتهم وكنت آوي إليهم مستظلاً ومستثيراً  
وملتمساً للإرشاد . فكنت أظفر أحياناً بالتشجيع ، وأحياناً أخرى بالاستغراب وبعض  
الإعراض عما أقول .

كنت قبل ذلك أعرف « المعلقات العشر الجاهلية » وأحفظها ، كما هو شأن أكثر  
من انصرف بهمته إلى الأدب . وهذه المعلقات ، كما هو معروف ، لعشرة شعراء مختلفين  
أوّلهم امرؤ القيس ، ولكن حفظي إيّاها ، ومعرفتي بها وتاريخها وتاريخ أصحابها ، وبمعانيها  
وبمعاني غريب ألفاظها ، لم يزد قطّ على أن يكون زيادةً في ثروة معرفتي بالعربية ،  
وبشعرائها ، وبشعرها قديمه وحديثه . أمّا حين أخذني التّهم بالشعر الجاهليّ ، وبدأت  
أقرأ ما بقي لدينا من دواوين شعر الجاهلية شاعراً شاعراً ، ثم أشعار مئآت من أهل  
/ الجاهلية ممن لا دواوين لهم ، أو كانت لهم دواوين ولم تقع لي بعد دواوينهم = فعندئذٍ  
اختلف عليّ الأمر ، ولم يعد مجرّد ثروة أستزيدها في المعرفة بالعربية والشعر . بدأت أجد  
في هذا الشعر الجاهليّ شيئاً مبيناً مبينةً سافرةً لما في الشعر العباسيّ كلّه ، بل أكبر من  
ذلك : أتت افتقدت هذا الشيء أيضاً في أكثر ما قرأت من الشعر الأمويّ ، الذي

لا يفصلُ بينه وبين الجاهلية إلا المئة الأولى من التاريخ الهجري ، وهو زمنٌ قليلٌ لا يُعتدُّ به . ثم لم يكن الأمرُ راجعاً إلى ألفاظ الشعر من حيث غرايبها عندى أو ألفتها ، ولا إلى تغايرٍ في أوزان الشعر وقوافيه ، ولا إلى اختلافٍ في المعاني والأغراض أيضاً ، فكلُّ ذلك بلا شكٍّ قريبٌ من قريب . ثم هو بلا ريب ، غيرُ راجعٍ إلى الحداثة والقدم ، كما تُوهِمُ حاجةُ عصرنا في شأن « القديم » و « الحديث » = لأنَّ الذى بينى وبين الجاهلية خمسة عشر قرناً تقريباً ، والذى بينى وبين الشعر الأموى والعباسى جميعاً ثلاثة عشر قرناً تقريباً . والبعُدُ بينى وبين جملة هذا الشعر ، فى الثلاثة عشر قرناً والخمسة عشر قرناً ، بُعْدٌ واحدٌ أو شبيهُ الواحد ، فكلُّ هذا عندى قديمٌ مُعَرِّقٌ فى القدم . وكان غيرَ معقولٍ عندى أن يكون هذا الفرقُ الساطعُ الذى وجدته فى نفسى بين الشعر الجاهلى والشعر الأموى ، مردوداً إلى فطرق اللغوية أو إلى قريحتى ، لأننا فى زماننا هذا لا نحتكم إلى سليقة فى العريية فاشية فى مجتمعنا اللغوى ، بل كل واحد منا يكتسبُ طرفاً ما من هذه السليقة بالتعلم والقراءة وطول الدربة والشقاء فى المعاناة ، معاناة كلِّ فردٍ منا على حياله وفى خلوته .

وإذن ، فأنا لا أستطيع أن أجد هذا الفرقَ يلوحُ جَهْرَةً فى نفسى = / وأنا يومئذٍ على رأس السابعة عشرة من عمرى ، وعلى حداثة عهدى بطلب الأدب = إلا إذا كان الشعر الجاهلى نفسه يتلَفَعُ على هذا الفرق المتوهجِ كامناً فى ثناياه ، وإن كنت لا أستطيعُ عجزاً أن أضع يدي عليه وأقول : ههنا يكمنُ الفرق ! وكان أكبرُ ما مهَّدَ لظهور هذا الفرق ، فيما أرجح ، هو أنى بدأتُ أقرأ دواوين شعراء الجاهلية شاعراً شاعراً ، كلما فرغتُ من ديوان شاعرٍ بدأتُ صُحبةَ شاعرٍ آخر = وكلُّما وجدت لشاعر جاهليّ علاقة ما بشاعرٍ جاهليّ آخر ، صحبتُ ديوانه بعده أو معه ، أو بحثتُ عما بقى من شعره فى دواوين الأدب ، إذا لم يكن من أصحاب الدواوين . فلما أوغلتُ فى القراءة وأكثرْتُ ، ملتماً بهذا النظام الذى هدانى إليه ولُوعى بالرياضيات فيما أظنُّ = وجدتُ فى الشعر الجاهليّ شيئاً لم أكن أجده من قبلُ وأنا أقرأ الشعر الجاهليّ متفرقاً لشعراء

مختلفين ، أو وأنا أحفظُ لعشرة شعراء مختلفين هذه « المعلقات العشر الجاهلية » ، وأدارسُها وأتبع معاني ألفاظها ، مع اختلاف معانيها وأغراضها .

وجدت يومئذ في الشعر الجاهلي ترجيعاً خفياً غامضاً ، كأنه حفيف نسيم تسمع حسه وهو يتخلل أعواد نبات عيميم متكاثف = أو رنين صوت شجي ينتهي إليك من بعيد في سكون ليل داچ ، وأنت محفوف بفضاء متباعد الأطراف . وكان هذا الترجيع الذي آنسته مشتركاً بين شعراء الجاهلية الذين قرأت شعرهم ، ثم يمتاز شاعر من شاعر بجرس ونغمة وشمائل تهادي فيها ألفاظه ، ثم يختلف شعر كل شاعر منهم في قصيدة قصيدة من شعره ، وبدندنة تعلق وتخفت تبعاً لحركة وجدانه مع كل غرض من أغراضه في هذا / الشعر . ولا تظنن أني أزعم أن الشعر الأموي والشعر العباسي كليهما خال خلواً م ١٥ تأماً من مثل هذه الظاهرة ، كلاً . ولكنتي بالمقارنة وجدت ترجيع الشعر الجاهلي ورنينه ودندنته ، مباينةً كلّها مباينة ظاهرة لما أجده في أكثر الشعر الأموي والشعر العباسي من الترجيع والرنين والدندنة . وهذا ليس مردوداً بلا رب إلى ألفاظ اللغة من حيث هي ألفاظ ، ولا إلى أوزان الشعر من حيث هي أوزان . وكان بلوغي ، يومئذ ، إلى إدراك هذه الفروق أو تبيينها تبييناً يُتيح لي التعبير عنها ، أمراً متعذراً ، فما هو إلا التدوُّق المحض والإحساس المجرد . وبهذا التدوُّق المتتابع الذي ألفته ، صار لكل شعر عندي مذاق وطعم وشذاً ورائحة ، وصار مذاق الشعر الجاهلي وطعمه وشذاه ورائحته بيناً عندي ، بل صار تميز بعضي من بعضي دالاً يدلُّني على أصحابه .

بمثل هذا الحديث كنت أفاوض الشيوخ الكبار ممن عرفتهم ولقيتهم ، وكان هذا الحديث هجيراًى ( أى دأى وعادى من فرط النشوة ) ، فكان يُعرض عني من أعرض ، ويربّت على تحيلاء شباني من ربّت بيد لطيفة حانية . كان من هؤلاء شيخ ساكن الهيبة ، رقيق الحاشية ، ساحر الابتسامة ، رقيق اليد واللسان ، حلو المنطق ، خفيض الصوت ، ذكى العينين ، هو أستاذنا أحمد تيمور باشا رحمه الله ، فاستمع إلى نشووق الشعر الجاهلي استماع من طب لمن حب ، كما يقال في المثل .

م ١٦ حَدَّثَهُ مراراً ، ثم جاء يوم فالتقينا ، على عادتنا يومئذٍ ( سنة ١٩٢٥ ) ، / في المكتبة السلفية عند أستاذنا محب الدين الخطيب ، فلم يكد يجلسُ حتى مَدَّ يده إليَّ بعددٍ من مجلة إنجليزية ، ( عدد يولييه ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ) ، وقال لي وهو يتسم : اقرأ هذه ! فإذا فيها مقالة للأعجميَّ المستشرق مرجليوث ، تستغرق نحو اثنتين وثلاثين صفحة من هذه المجلة ، بعنوان : « نشأة الشعر العربي » . كنت خبيراً بهذا الأعجميَّ التكويني ، التكويني البدني والعقلي ، منذ قرأتُ كتابه عن محمد رسول الله ﷺ . أخذتُ المجلة وانصرفتُ ، وقرأتُ المقالة ، وزاد الأعجميُّ سقوطاً على سقوطه . كان كُلُّ ما أراد أن يقوله : إنه يشك في صحة الشعر الجاهلي ، لا ، بل إن هذا الشعر الجاهلي الذي نعرفه ، إنما هو في الحقيقة شعر إسلامي وضعه الرواة المسلمون في الإسلام ، ونسبوه إلى أهل الجاهلية ، وسُخِّفَ في خلال ذلك كثيراً . ولأتى عرفتُ حقيقة الاستشراق ، لم ألقِ بالآ إلى هذا الذي قرأتُ ، وعندى الذى عندى من هذا الفرق الواضح بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي .

م ١٧ ثم بعد أيامٍ لقيت أحمد تيمور باشا ، وأعدت إليه المجلة ، فسألني : ماذا رأيت ؟ قلتُ : رأيتُ أعجمياً بارداً شديد البرودة ، لا يستحي كعادته ! فابتسم وتلألأت عيناه ، فقلتُ له : أنا بلا شكٍ أعرفُ من الإنجليزية فوق ما يعرفه هذا الأعجمُ من العربية أضعافاً مضاعفة ، بل فوق ما يمكن أن يعرفه منها إلى أن يبلغ أرذل العمر ، وأستطيع أن أتلعَّب بنشأة الشعر الإنجليزي منذ شوسر إلى يومنا هذا تلعباً هو أفضل في العقل من كُلِّ / ما يدخل في طاقته أن يكتبه عن الشعر العربي ، ولكن ليسَ عندى من وقاحة التهجم وصفاقة الوجه ، ما يسوِّل لي أن أخطُ حرفاً واحداً عن نشأة الشعر الإنجليزي . ولكن صروف الدهر التي ترفعُ قوماً وتخفضُ آخرين ، قد أنزلت بنا وبلغتنا وبأدبنا ، ما يُبيح لمثل هذا المسكين وأشباهه من المستشرقين أن يتكلموا في شعرنا وأدبنا وتاريخنا وديننا ، وأن يجلدوا فينا من يستمع إليهم ، وأن يجلدوا أيضاً من يختارهم أعضاءً في بعض مجامع اللغة العربية !! وأغضى أحمد تيمور وهو يتسم .



ومرّت الأيام ، وغاصّ كلامُ هذا الأعجميّ في لُجج النسيانِ ، لأنّ هذا الأعجم وأشباهه يدرسون آدابنا وشعرنا وتاريخنا كأنّه نقشٌ على مقبرةٍ عاديّة قديمة ، (١) مكتوبٌ بلغة ماتت ومات أهلها وطمرها ترابُ القرون !! والأسبابُ الداعية لهم إلى ركوب هذا المنهج كثيرة ، أهونها شأنُ الأهواء والضغائن المتوارثة ، ولكن أوغلّها أثراً أنّ توجّههم إلى هذا المسلك ، مسلك الاستشراق ، هو أنّ جمهورهم غيرُ قادرة أصلاً على تذوّق الآداب تذوّقاً يجعلها حيّة في نفوسهم قبل أن يكتبوا ، وهم أيضاً مسلوبو القدرة على أن يبلغوا في لسانهم الذي ارتضعوه مع لَبان أمهاتهم مبلغاً من التذوّق ، يُعينهم على التعبير عنه تعبيراً يتيح لأحدهم أن يكون له شأنٌ يذكر في آداب لسانه . / ولهذا العجز آثروا أن يكون لهم ١٨ ذكراً بالكتابة في شأن لغاتٍ أخرى يجهلها أقوامهم ، وهذا الجهل يستر عوراتهم عند من يقرأ ما يكتبون من بنى جلدتهم . ولأثني خبرت ذلك فيما يكتبون ، وفيما يقولونه بألسنتهم ، لم يكن لمثل هذه الآراء في الشعر الجاهليّ وغيره وقعٌ في نفسي يثيرني ، اللهم إلّا ما يثير تقزّزي ، فما أسرع ما أسقط ما أقرأ من كلامهم جملةً واحدةً في يَم النسيان .

كان ما كان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقي محاضراته التي عُرفت بكتاب « في الشعر الجاهليّ » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كلّ واحدةٍ يرتدّ إلى رَجْع من هذا الكلام الأعجميّ الذي غاصّ في يَم النسيان ! وثارت نفسي ، وعندي الذي عندي من المعرفة بخبيّة هذا الذي يقوله الدكتور طه = وعندي الذي عندي من هذا الإحساس المتوهّج بمذاق الشعر الجاهليّ ، كما وصفته آنفاً ، والذي استخرجته بالتذوّق ، وبالمقارنة بينه وبين الشعر الأمويّ والعباسي . وأخذني ما أخذني من الغيظ ، وما هو أكبر وأشنع من الغيظ ، ولكنني بقيتُ زمناً لا أستطيع أن أتكلّم .

تتابعت المحاضرات ، والغيظُ يفورُ بي ، والأدب الذي أدبنا به آباؤنا وأساتذتنا يمسكني ، فكان أحذنا يهابُ أن يكلم الأستاذ ، والهبة معجزةٌ ، وضاعت على المذهب ،

(١) « عادية » مسوبة إلى « عاد » قوم هود عليه السلام ، الذين أنادهم الله وطمس آثارهم .

ولكن لم تَحُلْ أيامي يومئذ في الجامعة من إثارة بعض ما أجُد في نفسي ، في خفوت وتردّد . وعرفت فيمن عرفت من زملائنا شاباً قليل الكلام ، هادىء الطبع ، جَمّ م ١٩ التواضع ، وعلى أنه من / أترابنا ، فقد جاء من الثانوية عارفاً بلغات كثيرة ، وكان واسع الاطلاع ، كثير القراءة ، حَسَن الاستماع ، جيّد الفهم ، ولكنه كان طالباً في قسم الفلسفة ، لا في قسم اللغة العربية . كان يحضّر معنا محاضرات الدكتور ، وكان صَعُوهُ وميله وهواه مع الدكتور طه ، ذلك هو الأستاذ الجليل محمود محمد الخضيرى . نشأت بيني وبينه مودّة ، فصرت أحدثه بما عندى ، فكان يدافع بليين ورفق وفهيم ، ولكنّ جدّتى وتوهّجى وقسوتى كانت تجعله أحياناً يستمع ويصمت فلا يتكلّم . كنّا نقرأ معاً ، وفي خلال ذلك كنت أقرأ له من دواوين شعراء الجاهلية ، وأكشف له عما أجُد فيها ، وعن الفروق التى تميّز هذا الشعر الجاهليّ من الشعر الأموى والعباسيّ . وجاء يوم ففاجأنى الخضيرىّ بأنه يحبُّ أن يصارحنى بشيء . وعلى عادته من الهدوء والأناة في الحديث ، ومن توضيح رأيه مقسماً مفصلاً ، قال لى : إنّه أصبح يوافقنى على أربعة أشياء :

الأوّل : أن أتكلّم الدكتور على « ديكارت » في محاضراته ، أتكلّم فيه كثير من المغالطة ، بل فيه إرادة التهويل بذكر ديكارت الفيلسوف ، وبما كتبه في كتابه « مقال عن المنهج » = وأن تطبق الدكتور لهذا المنهج في محاضراته ، ليس من منهج ديكارت في شيء . (١)

الثانى : أن كُلّ ما قاله الدكتور في محاضراته ، كما كنت أقول له / يومئذ ، ليس إلّا سَطَواً مجرداً على مقالة مرجليوث ، بعد حذف الحجج السخيفة ، والأمثلة الدالة على الجهل بالعربية ، التى كانت تتخلّل كلام ذاك الأعجميّ = وأن ما يقوله الدكتور لا يزيد على أن يكون « حاشية » وتعليقاً على هذه المقالة . (٢)

(١) كان من أثر هذه الأحاديث بيننا ، أن بدأ الخضيرى ، من يومئذ في ترجمة كتاب ديكارت « مقال عن المنهج » ، ونشره بعد ذلك سنة ١٩٣٠ ( المطبعة السلفية ) .

(٢) كان من أثرها أيضاً : أن لخص الخضيرى مقالة مرجليوث ، ونشرها في مجلة « الرهراء » التى يصدرها صاحب المطبعة السلفية ، في عدد ذى الحجة سنة ١٣٤٦ ( إبريل ١٩٢٨ ) .

الثالث : أنه ، على حداثة عهده بالشعر وقلة معرفته به ، قد كاد يتبين أن رأى في الفروق الظاهرة بين شعر الجاهلية وشعر الإسلام ، أصبح واضحاً له بعض الوضوح = وأنه يكاد يحسُّ بما أحسُّ به وأنا أقرأ له الشعر وأفاوضه فيه .

الرابع : أنه أصبح مقتنعاً معي أن الحديث عن صحة الشعر الجاهلي ، قبل قراءة نصوصه قراءة متذوّقة مستوعبة ، لغو باطل = وأن دراسته كما تُدرّس نقوش الأمم البائدة واللغات الميتة ، إنّما هو عبث محض .

وأتفق أن جاء حديثه هذا في يومٍ من أيّامى العصبية . فالدكتور طه أستاذى ، وله على حقّ الهيبة ، هذا أدبنا . وللدكتور طه على يد لا أنساها ، كان مدير الجامعة يومئذ ، « أحمد لطفى السيد » ، يرى أن لا حقّ لحامل « بكالوريا » القسم العلمى في الالتحاق بالكلّيات الأدبية ، ملتزماً في ذلك بظاهر الألفاظ !! فاستطاع الدكتور طه أن يحطّم هذا العائق بشهادته لى ، / وبإصراره أيضاً . فدخلتُ يومئذ بفضلّه كلية الآداب ، قسم اللغة م ٢١ العربية ، وحفظتُ الجميل أدب لا ينبغي التهاون فيه . وأيضاً ، فقد كنتُ في السابعة عشرة من عمرى ، والدكتور طه في السابعة والثلاثين ، فهو بمنزلة أخى الأكبر ، وتوقير السنّ أدب ارتضعناه مع لبان الطفولة . كانت هذه الآداب تفعل لى فعل هوى المتنبي بالمتنبي حيث يقول :

رَمَى ، وَاتَّقَى رَمِي ، وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى هَوَى كاسِرٍ كَفَى ، وَقَوَسَى ، وَأَسْهَمَى

فلذلك ظللتُ أتجرّ الغيظ بحثاً ، وأنا أصغى إلى الدكتور طه في محاضراته ، ولكنى لا أستطيع أن أتكلّم . لا أستطيع أن أناظره كفاحاً ، وجهاً لوجه ، وكلّ ما أقوله ، فإنّما أقوله في غيبيته لا في مشهده . تتابعت المحاضرات ، وكلّ يوم يزداد وضوح هذا السطو العريان على مقالة مرجليوث ، ويزداد في نفسى وضوح الفرق بين طريقتى في الإحساس بالشعر الجاهلي . وبين هذه الطريقة التى يسلكها الدكتور طه في تزييف هذا الشعر . وكان هذا « السطو » خاصّة ممّا يهزُّ قواعد الآداب التى نشأت عليها هزّاً عنيفاً .

بدأت الهيبة مع الأيام تسقط شيئاً فشيئاً ، وكدتُ أُلقي حفظَ الجميل ورأى غير مُبالٍ ، ولم يبق لتوقير السنِّ عندى معنى ، فجاء حديث الخضيرى ، من حيث لا يريدُ أو يتوقع ، لينسِفَ فى نفسى كُلَّ ما التزمتُ به من هذه الآداب . وعجبَ الخضيرى يومئذ ، لأنى استمعت لحديثه ، ولم ألقه لا بالبشاشة ولا بالخفاوة التى يتوقعها ، وبقيت ساكتاً ، وانصرفت معه إلى حديثٍ غيره .

م ٢٢ / وفى اليوم التالى جاءت اللحظة الفاصلةُ فى حياتى . فبعد المحاضرة ، طلبتُ من الدكتور طه أن يأذن لى فى الحديث ، فأذن لى مبتهجاً ، أو هكذا ظننتُ . وبدأتُ حديثى عن هذا الأسلوب الذى سمّاه « منهجاً » ، وعن تطبيقه لهذا « المنهج » فى محاضراته ، وعن هذا « الشكِّ » الذى اصطنعه ، ما هو ، وكيف هو ؟ وبدأتُ أدلل على أن الذى يقوله عن « المنهج » وعن « الشكِّ » غامضٌ ، وأنه مخالفٌ لما يقوله ديكارت ، وأنَّ تطبيقَ منهجه هذا قائمٌ على التسليم تسليماً لم يداخله الشكُّ ، برواياتٍ فى الكتب هى فى ذاتها محفوفةٌ بالشكِّ ! <sup>(١)</sup> وفوجئى طلبة قسم اللغة العربية ، وفوجئى الخضيرى خاصةً . ولَمَّا كِدْتُ أفرغُ من كلامى ، انتهرنى الدكتور طه وأسكتنى ، وقام وقمنا لنخرج . وانصرف عَنى كُلُّ زملائى الذين استنكروا غَضَاباً ، ما واجهتُ به الدكتور طه ، ولم يبق معى إلا محمود محمد الخضيرى ، ( من قسم الفلسفة كما قلت ) . وبعد قليل أرسل الدكتور طه ينادينى ، فدخلتُ عليه ، وجعل يعاتبنى ، يقسو حيناً ويرفُق أحياناً ، وأنا صامتٌ لا أستطيعُ أن أردُّ . لم أستطعُ أن أكشفه بأن محاضراته التى نسمعها كلها مسلوخةٌ من مقالة مرجليوث ، لأنها مكاشفةٌ جارحةٌ من صغير إلى كبير ، ولكنى كنتُ على يقينٍ من أنه يعلم أتنى أعلم ، من خلال ما أسمع من حديثه ، ومن صوته ، ومن كلماته ، ومن حركاته أيضاً !! وكتمانُ هذه الحقيقة فى نفسى كان يزيدنى عجزاً عن الردِّ ، وعن الاعتذار إليه أيضاً ، وهو / ما كان يرمى إليه . ولم أزل صامتاً مُطَرِّقاً حتى وجدت فى

م ٢٢

م ٢٣

(١) انظر ما كتبه سنة ١٩٦٥ فى كتابى « أباطيل وأسفار » ، عن « المنهج » ، وعن الصراع بينى وبين

الدكتور طه ، ص : ٢٣ - ٢٥ .

نفسى كأنى أبكى من ذل العجز ، فقمْتُ فجأةً ، وخرجتُ غيرَ مودّعٍ ولا مُبالٍ بشيءٍ .  
وقضى الأمرُ ! وبسِ الثرى بينى وبين الدكتور طه إلى غير رجعة !

ومن يومئذ لم أكف عن مناقشة الدكتور في المحاضرات أحياناً بغير هيبةٍ ، ولم يكف هو عن استدعائي بعد المحاضرات ، فيأخذني يميناً وشمالاً في المحاوره ، وأنا ملتزمٌ في كل ذلك بالإعراض عن ذكر سَطَوِهِ على مقالة مرجليوث ، صارفاً همّي كله إلى موضوع « المنهج » و « الشك » ، وإلى ضرورة قراءة الشعر الجاهلي والأموي والعباسي قراءةً متذوّقةً مستوعبة ، ليستبين الفرق بين الشعر الجاهلي والإسلامي = قبل الحديث عن صحة نسبة هذا الشعر إلى الجاهلية ، أو التماس الشُّبه لتقرير أنه باطل النسبة ، وأنه موضوع في الإسلام ، من خلال روايات في الكتب هي في ذاتها محتاجة إلى النظر والتفسير . ولكنني من يومئذ أيضاً لم أكف عن إذاعة هذه الحقيقة التي أكتُمها في حديثي مع الدكتور طه ، وهي أنه سَطَا سَطَوًا كريهاً على مقالة المستشرق الأعجمي ، فكان ، بلا شك ، يبلّغه ما أذيعه بين زملائي . وكثُر كلامي عن الدكتور طه نفسه ، وعن القدر الذي يعرفه من الشعر الجاهلي ، وعن أسلوبه الدالّ على ما أقول . واشتدّ الأمر ، حتّى تدخّل في ذلك ، وفي مناقشتي ، بعضُ الأساتذة ، كالأستاذ نلّينو ، والأستاذ جويدي من المستشرقين ، <sup>(١)</sup> وكنت أصارحهما بالسطو ، وكان يعرفان ، ولكنهما / يداوران . وطال الصراعُ غير المتكافئ بيني وبين الدكتور طه زماناً ، إلى أن جاء ٢٤ م اليوم الذي عزمْتُ فيه على أن أفارق مصرَ كُلّها ، لا الجامعة وحدها ، غير مبالي بإتمام دراستي الجامعية ، طالباً للعزلة ، حتى أستبين لنفسى وجه الحق في « قضية الشعر الجاهلي » ، بعد أن صارت عندي قضية متشعبةً كُلّ التشعب . <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) سيأتى ذكرهما بعد قليل .

(٢) انظر كتابي « مداخل إعجاز القرآن » ، وكتابي « قضية الشعر الجاهلي » ، في كتاب ابن سلام الجُمحي » ، ففيهما بيان عن هذا التشعب .

هذا مطلع قصتي مع « قضية الشعر الجاهلي » ، ومع الدكتور طه خاصة ، على وجه الإيجاز . عزمت يومئذ على مفارقة مصر ، ثم الجامعة ومعى دُلَّ العجز عن مواجهة الدكتور طه برأى في تفاصيل هذا « السطو » جهاراً نهاراً بلا قناع ، وبالذى أجده في نفسى من البشاعة ، بشاعة ادعاء المرء امتلاك ما يسطو عليه ، كأنه مما اهتدى إليه ، واستحقَّ نسبته إلى نفسه بعد طول معاناة في البحث وشقاء في الدرس ! ومع أن كلَّ من كتب بعد ذلك في نقد كتاب « في الشعر الجاهلي » ، قد واجه الدكتور بهذا « السطو » مواجهة مكشوفة علانية ، إلاَّ أنَّ عجزى أنا عن مواجهته بلسانى ، غير متهيَّب ولا متأدَّب ، كان يهدم نفسى هدماً ، وينسف آدائى نسفاً ، ويترك في ضميرى غُصَّة تأبى أن تزول . كان شيئاً بشيعاً لا أطيقه ، ثم زاد الأمر عندى بشاعة فطُعتُ بها ، حين نشر كتابه « في الأدب الجاهلي » سنة / ١٩٢٧ ، وهو نفس كتاب « في الشعر الجاهلي » : « حُذِفَ منذ فصلُّ ، وأضيف إليه فُصُولٌ ، وَغُيِّرَ عنوانه بعض التغيير » !! كما وصفه الدكتور في مقدمته . كان أبشع ما في هذا الكتاب ، الفصل الأول الذى زاده بعنوان : « الكتاب الأول = الأدب وتاريخه » ، لأنه جاء تسويغاً لهذا « السطو » ، وزيادة في الادعاء بأنه قد امتلك ما سطا عليه امتلاكاً لا ريبه فيه !! واستعلاءً أيضاً = ودلالة صريحة على أنه لا يُبالى أقلَّ مبالاةٍ بكلِّ ما سمعه من أنه « سطا » على مقالة مرجليوث ، بين أسوار الجامعة = ولا بجميع الكتب التى ألفت وطُبعت في نقد كتابه ، والتى كشفت هذا « السطو » بالدليل والبرهان ، مع أن الأمر لا يحتاج إلى برهان أو دليل ! وجميعها كتب يقرؤها الناس ! كيف يكون هذا ؟ وبأى جراءة يستطيع الدكتور طه أن يلقي الناس ! أىُّ احتقار هذا للناس ! وأىُّ استهزاء بهم ويعقولهم هو أبشع من هذا ! لا أدري .

ثم كان معى ما هو أفحش من هذا أيضاً . كنتُ يومئذ غِراً في الثامنة عشرة من عمري أو أشف ، وكان من أساتذتنا مستشرقان أتى بهما الدكتور طه من إيطالية ، أولهما « الأستاذ نلينو » ، وهو شيخٌ مهيب الطَّلعة ، كَثُ اللحية ، واسع العلم ، فصيح اللسان بالعربية ، ثم « الأستاذ جويدي الصغير » ، وكان شاباً وسيماً متوقداً ، لعلَّ مكانة

أبيه الشيخ المستشرق الكبير جويدى ، هى التى رَشَّحته للأستاذية فى مصر !! فقد دخلا  
بينى وبين الدكتور طه ، أو على الأصح : بينى وبين ما أقولُه فى غَيِّبة الدكتور طه . / كان م ٢٦  
أمرهما معى عجباً من العجب ! فهما يعلمان علماً يقيناً لا شكَّ فيه أن مُحصِّل ما يقوله  
الدكتور طه ، إنما هو « سَطُو » عُزَّيان على ما كتبه مرجليوث ، ولكنهما كانا معى شديدى  
المراوغة : لا يملكان مصارحتى بأنَّ هذا ليس « سَطُو » ، ويمتنعان أن يقولوا صراحةً أنه  
« سَطُو » ! وكُلُّ ما كنت أظفرُ به منهما هو مطالبتى بتعظيم الدكتور طه وتوقيره بحق  
الأستاذية ، ثم استدراجى إلى تيه الألفاظ الغامضة : « البحث العلمى والأدبى »  
و « عالمية الثقافة » وما شابه هذين من ألفاظ التغيرير . فكنتُ أمتنع عن التسليم لهما بما  
يقولان عن « البحث العلمى والأدبى وعالمية الثقافة » ، حتى يطالبا الدكتور طه بالإقرار ،  
وبأنَّ يُقرَّأ هما أيضاً ، بأنَّ ما يقوله مسلوخٌ كُلُّه مما قاله مرجليوث ، أو هو على الأقل  
متابعة لمرجليوث فى رأيه الذى كتبه ونشره وقرأناه جميعاً . فلمَّا لم يفعل ، ولم يفعل  
الدكتور طه أيضاً ، زاد الأمر بشاعةً فى نفسى ، وسقطت هيبة الأستاذية وهيبة الجامعة  
أيضاً سُقوطاً منكراً ، وأطبقتُ على الارتباب والشكِّ فى هذه الأمور كُلِّها حتى ضاقَ  
صدرى ، ولم أملك إلا أن أَمْنَحَهُم جميعاً ظهري غير متلفٍ ، وغير مُبالٍ أيضاً بما أنا  
مُقَدِّمٌ عليه من مفارقة بلادى وأهلى ، ومن هَجْر الدراسة الجامعية أيضاً غير بالكِ  
ولا آسِف . وانطلقتُ ، ومعى صاحبان يورقان ليلى ويُلهبان نهارى : بشاعة  
« السطو » ، وبشاعة التستُّر عليه من عارفٍ خبير ، لا يكتفى بالتستُّر ، بل يطالبُ  
بالتغاضى عنه ، وتوقيع الساطى وتعظيمه بحقِّ الأستاذية لا غير !!

\*\*\*

/ ومَرَّتْ الأيام والليالى والسنون ما بين سنة ١٩٢٨ ، وسنة ١٩٣٦ وهى السنة ٢٧  
التي كتبت فيها هذا الكتاب « المتنبى » ، وهَمَّى مصروفٌ أكثرُه إلى « قضية الشعر  
الجاهلى » ، وإلى طلب اليقين فيها لنفسى ، لا معارضةً لأحدٍ من الناس . ومشت فى  
هذه القضية فى رِحْلة طويلة شاقَّة ، ودخلت فى دُرُوبٍ وَعَرَّةٍ شائكة ، وكُلِّما أوغلتُ

انكشفت عنى غشاوة من العمى ، وأُحْسَسْتُ أنى أنا والجيل الذى أنا منه ، وهو جيل المدارس المصرية ، قد تمَّ تفرُّغنا تفرُّغاً يكادُ يكون كاملاً من ماضينا كُلِّه ، من علومه وآدابه وفنونهِ . وَتَمَّ أيضاً هَتَكُ العلائق بيننا وبينه ، وصارَ ما كان فى الماضى متكاملًا متماسكًا ، مِرْقًا متفرقةً مبعثرةً تكاد تكون خاليةً عندنا من المعنى ومن الدلالة . ولأنه غير ممكن أن يظلَّ الفارغُ فارغاً أبداً ، فقد تَمَّ مَلُءُ هذا الفراغِ بجديدٍ من العلوم والآداب والفنون ، لا تَمُتُ إلى هذا الماضى بسببٍ ، وإنَّنا لَنَسْتَقْبِلُهُ استقبَالَ الظَّامِىِ المحترق قطراتٍ من الماء التَّمِيرِ المثلَّج .

فى خلال هذه الأعوام ، تبيَّن لى أمرٌ كان فى غاية الوضوح عندى . وهو قصَّة طويلة قد تعرَّضت لأطرافٍ منها فى بعض ما كتبتُ ، <sup>(١)</sup> ولكنى أذكرها هنا على وجه الاختصار . صار بيننا عندى أننا نعيش فى عالم منقسمٍ انقساماً سافراً : عالمُ القوَّة والغنى ، وعالمُ الضعف والفقر = أو عالمُ الغزاة الناهيين ، وعالمُ المستضعفين المنهوبين . كانَ عالمُ الغزاة الممثل فى الحضارة الأوربية ، يريد أن يحدث فى عالمُ المستضعفين تحوُّلاً اجتماعياً وثقافياً وسياسياً ، / فهو صَيِّدٌ غزيرٌ يُمِدُّ حضارتهم بجميع أسباب القوة والعلو والغنى والسلطان والغلبة . والطريق إلى هذا التحوُّل عملٌ سياسى محضٌ ، لا غايةَ لَهُ إلا إخضاعُ هذا العالم « المتخلف » إخضاعاً تاماً لحاجات العالم « المتحضر » التى لا تنفدُ ، ولسيطرته السياسية الكاملة أيضاً . ومع أنَّ هذا العمل السياسى المحض المتشعب ، قد بدأ تنفيذه منذ زمن فى أجزاء متفرقة من عالمنا ، إلا أنه بدأ عندنا فى مصر ، قلب العالم الإسلامى والعربى ، مع الطلائع الأولى لعهد محمد على ، بسيطرة القناصل الأوربية عليه وعلى دولته ، وعلى بناء هذه الدولة كُلِّها بالمشورة والتوجيه . ثم ارتفع إلى ذروته فى عهد حفيده إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على الخديوى ، حتى جاء الاحتلال الإنجليزى فى سنة ١٨٨٢ ، وبمجيئه سيطر الإنجليز سيطرةً مباشرةً على كُلِّ شَيْءٍ ، وعلى التعليم

(١) بعض ذلك فى كتابى « أباطيل وأسمار » .



خاصة ، إلى أن جاء « دنلوب » في ( ١٧ مارس ١٨٩٧ ) ، ليضع للأمة نظام التعليم المدّمّر الذى لا نزأل نسير عليه ، مع الأسف ، إلى يومنا هذا . فأى جَهْل هذا !

كان التمهيد لهذا العهد طويلاً متعدّد الجوانب ، وكان قوامه إعداد أجيال من « المبعوثين » يعودون من أوربة ليكونوا قادة هذا التحوّل الرفيق العميق ، ويراد منهم أن يؤسّسوا قاعدة ثابتة لانطلاق التحوّل إلى غاية يُراد لنا أن نبلّغها على تمداد الأيام . وكان الغزاة يقنعون يومئذ من هؤلاء المبعوثين ، بأن يعودوا إلى بلادهم ببضعة أفكار يردّدونها ترديد الببغاوات ، تتضمن الإعجاب المزهو ببعض مظاهر الحياة الأوربية ، مقروناً بنقد بعض مظاهر الحياة في بلادهم = وبأن يكشفوا أمّتهم بأن ما أعجبوا / به هو سرّ قوة الغزاة وعلبتهم ، وأن الذى عندنا هو سرّ ضعفنا وانهياننا . وقد وجدت ذلك ظاهراً مثلاً أحسن تمثيل عند رفاة الطهطاوى وأشباهه . ولكن لما جاء عهد « دنلوب » ، كان أمر المبعوثين وحده لا يكفى ، وأصبح الأمر محتاجاً إلى ما هو أكبر وأوسع انتشاراً . فكان الرأى أن تنشأ أجيال متعاقبة من « تلاميذ المدارس » في البلاد ، يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بهذا التحوّل ، عن طريق تفريغهم تفريغاً كاملاً من ماضيهم كلّهم ، مع هتك أكثر العلائق التى تربطهم بهذا الماضى اجتماعياً وثقافياً ولغوياً ، ومع ملء هذا الفراغ بالعلوم والآداب والفنون = ولكنها فنونهم هم ، وآدابهم هم ، وتاريخهم هم ، ولغاتهم هم ، أعنى الغزاة .

وقد تولى نظام « دنلوب » تأسيس ذلك في المدارس المصرية ، مع مئات من مدارس الجاليات التى يتكاثر على الأيام عدد من أبناء المصريين وبناتهم . وقد كان ما أراد الغزاة ، ولم يزل الأمر إلى يومنا هذا مستمراً على ما أرادوا ! بل زاد بشاعة وعمقاً في سائر أنحاء العالم العربى والإسلامى بظهور دعوات مختلفة ، كالدعوة إلى الفرعونية والفينيقية وأشباه ذلك ، في الصحافة والكتب المؤلفة . لأن تفريغ الأجيال من ماضيها المتدفّق في دمائها مرتبطاً بالعربية والإسلام ، يحتاج إلى ملء بماضٍ آخر يغطّى عليه ، فجاءوا بماضٍ بائدٍ مُعَرِّق في القِدَم والغموض ، ليزاحم بقايا ذلك الماضى المتدفّق الحى الذى يوشك أن يتمزّق ويختنق بالتفريغ المتواصل .

في ظل هذا التفريغ المتواصل ، وهذا التمزيق للعلائق ، وهذه الكثرة / التي تخرج مفرغة أو شبه مفرغة إلى « البعثات » ، وهذا التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي المضطرب ، وهذا التغيب المتعمد للثقافة الغازية واللغات الغارية ، بلا مقابل في النفوس من ثقافة ماضية حيّة حياة ما ، وباقيّة على تماسكها وتكاملها = في ظل هذا كله ، انتعشت الحركة الأدبية والثقافية انتعاشاً غير واضح المعالم ، ولكنه يقوم على أصل واحد في جوهره ، هو ملء الفراغ بما يناسب آداباً وفنوناً غزيرة كانت قد ملأت بعض هذا الفراغ ، فهي تحدث في النفوس تطلّعاً إلى زادٍ جديد منها .

فالمسرح مثلاً ، وكان له شأنٌ أيُّ شأنٍ ، يعتمد اعتماداً واضحاً على المسرح الأوربي في تكوينه كله . وأيسر سبيل كان إلى إمداده بمادته ، هو « السطو » على مؤلفات المسرح الأوربي ، مسلوخة يعاد تكوينها بألفاظ عربيّة ، أو عامية على الأصح ، ودون إشارة إلى هذا « السطو » ، وكانوا يسمّون هذا حياءً ومكرًا : « التمصير » !! بيد أنه عبثٌ مجرّد ، وسطو لا رقيب عليه . أمّا الكتّاب الجادّون ، فكان أكثرهم يعتمد على تلخيص نتائج الفكر الأوربي في الأدب والفلسفة والاجتماع والسياسة تلخيصاً ما ، وإن كان أكثره خطفًا وسطوًا ينسبه الكاتب إلى نفسه بلا رقيب ولا محاسب .

والقصة أيضاً ، كانت ضرباً من « السطو » والتقليد . تُحوّر فيها الأسماء والأماكن والوقائع ، ثم تُرَقّع بأفكارٍ مسلوخة مختطفة . ثم تورّع توزيعاً ماهراً على فصولها المختلفة . حتى تضمن لأصحابها إخفاء معالم السطو / والانتهاك والتقليد . [ وهذا أمرٌ لم يزل مستمراً بقوة إلى يومنا هذا ] .

وبالثرثرة والدجاجة في الصحف والمجلات . صارت هذه الظاهرة مألوفة لا غبار عليها . وزادها رسوخاً إثارة قضية كثيرة الضجيج ، مخفوفة بألفاظ مبهمّة مغرية تقبلها النفوس بلا ممانعة ، وهي قضية « القديم » و « الجديد » و « التجديد » و « ثقافة العصر » !<sup>(١)</sup> والنظر في حقيقة هذه القضية يفضي إلى شيئين ظاهرين : ميل ظاهر إلى

(١) في نسوت لأحيرة . وحلت مُعَصّ حديسة مخفوفة - معموص ، مؤسسة على التبرره . من مثل فوهه : « معصرة » و « حدة » و « التحديث »

رفض « القديم » والاستهانة به ، دون أن يكون الرفض مُلبِّماً إماماً ما بحقيقة هذا « القديم » = وميل سافر إلى الغزو في شأن « الحديد » ، دون أن يكون صاحبه متميزاً في نفسه تميزاً صحيحاً بأنه « جدد » تجديداً نابعاً من نفسه ، وصادراً عن ثقافة متكاملة متماسكة ، بل كل ما يميّزه أن الله قد يسرّ له الاطلاع على آداب وفنون وأفكار تعب أصحابها في الوصول إليها من خلال ثقافتهم المتماسكة المتكاملة !! وكفى الله المؤمنين القتال !

هذه حُطُوط من صُورة ، لجانب من الحركة الأدبية والثقافية في ذلك العهد ، وأكثرها باق إلى يومنا هذا ، ومقبول أيضاً بلا استبشاح له ، مع أنه أبشع شيء ، وأوهأه أساساً ، وأسوأه مَعَبَةً .

ولكن هذه الصورة لا تتم وحدها . في خلال التحول الاجتماعي الثقافي المتصاعد المتكاثر ، كان هناك جانبٌ راکدٌ مختنقٌ ، لم يفرغ هذا التفريغ ، ولكن ضُرب عليه حصارٌ مفرغٌ وبيلٌ مُهينٌ . هذا الجانب كان هو الوارث للماضي المتكامل المتماسك ، ولكنه كان يزداد على مرّ الأيام تَحَلُّخاً وتفكُّكاً وحيرةً وانطواءً . يمثل هذا الجانب جمهور المتعلمين / المنتسبين إلى الأزهر ودار العلوم وأشباههما . كان أكبر همّ هذا الجانب ، في هذا اليمّ المتلاطم من حوله . هو محاولة المحافظة على الماضي محافظةً ماً ، ولكن قبضته كانت تسترخي شيئاً فشيئاً تحت الحصار . وتحت القذائف المدمرة التي يُرمى بها ، والتي تزلزل نفوس أبنائه من قواعدها . وكان مطلوباً طلباً حثيثاً أن تُفتح أبواب هذا الحصن العتيق المنيع ، لتدخل عليه نفس العوامل التي أدّت إلى تفريغ « تلاميذ المدارس » من ماضيها ، وإلى تهتك علائق ثقافته وعلومه ، وإلى ربطه بالحركة الأدبية الغازية المتصاعدة تحت ألوية « الجديد » و « التجديد » و « ثقافة العصر » ، وسائر الألفاظ المبهمة المغرية !!

وقد كان ، واحتاج شقّ الطريق إلى هذه الغاية إلى وسائل كثيرة متنوّعة . والذي يُهمُّنى منها هنا هو ما يتعلق بأمر « السطو » لا غير . كان الذى يحول بينهم وبين بلوغ

هذا الغرض ، هو أن جمهور المتعلمين المنتسبين إلى الأزهر ودار العلوم ، لم يكن لهم لسان غير العربية ، قلما كان يعرف أحدهم غير هذا اللسان ، فعمدوا ، في مصر خاصة ، إلى إجافة باب يتيح لهم أن يطلّعو أو يُصدّموا على الأقل . بما عند الحضارة الغازية من نظر ورأي في آداب العربية وعلومها وفنونها وتاريخها ودينها أيضاً !! وكان هذا موفقاً في مؤلفات « المستشرقين » عامة ، لأنه هو كل عملهم في « الاستشراق » المرتبط كل الارتباط بالاستعمار والتبشير ، أى بتدمير الأمم المستضعفة وتحطيم ثقافتها وآثارها وماضيها كله . (١) فكان لا بُد ، إذن ، من / نشر هذه الأفكار على نطاق واسع م ٣٣ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

انبرى لذلك رجال كثيرون في مصر والشام وغيرها ، ولكن جاء إلى مصر رجل وافر ، مع رجال آخرين كثير ، لا يربطهم في أنفسهم بهذا الماضي إلا اللسان العربي وحده ، أما ضمائرهم فمرتبطة بشيء آخر !! أنشأ هذا الرجل مجلة . ثم بدأ يكتب مقالات ، وينشر كتباً في آداب العرب وعلومها وفنونها وتاريخها ودينها ، على قلة معرفته بها معرفةً تتيح له الكتابة ، ولكنه جاء معبراً عن اتجاه « الاستشراق » لا غير .

ذلك هو « جرجى زيدان » ، الذى أنشأ مجلة « الهلال » وألف كتباً وقصصاً كثيرة منها : « تاريخ التمدن الإسلامى » ، و « تاريخ العرب قبل الإسلام » و « تاريخ آداب اللغة العربية » ، فكانت كلها « سطواً » مجرداً على آراء المستشرقين ومناهجهم في النظر ، مبثوثاً في ثنايا كل ما كتب . وكذلك تيسر لكل من لا يعرف غير العربية لساناً ، أن يجد ، على مديده ، شيئاً « جديداً » يقال عن ماضيه ، وبمناهج لم يألفها أيضاً . ولكن حال بين هذا الضرب من « السطو » ، وبين أن يكون شيئاً عاماً مؤثراً تأثيراً نافذاً في جمهور « المحافظين » الذين لا يعرفون غير العربية = أن الرجل كان وافداً مع استقرار الاحتلال الإنجليزي في مصر ( سنة ١٨٩٢ ) ، وكانت الشبهة فيه تُوجب الحذر منه ،

(١) استوفيت بيان بعض هذا في كتابى ( أناطيل وأسمار ) .

فأضعف الحذر منه ، أثر ما يكتب في أكثر قرائه يومئذ من هذا الجمهور ، وإن كان له في جمهور « تلاميذ المدارس » المفرغين من ماضيهم أثر بليغ . ومع ذلك ، فإن الهدف من تأليفه لم يذهب / هذراً ، فإنه على الأقل ، فتح الباب ويسر السبيل للساطين من بعده ، ٢٣٤ وجعل « السطو » المباشر أمراً مألوفاً لا غبار عليه ، بل زاد فقرب إلى الأذهان سبيل الاقتناع بأنه ضرب من « التجديد » ، ومن متابعة « ثقافة العصر » ومناهج تفكيره في الدراسات الأدبية والتاريخية الخاصة بلغة العرب وتاريخهم وعلومهم وفنونهم ودينهم أيضاً !!

ومعنى ذلك باختصار ، هو أنه صار الآن ممكناً أن يصبح من الممكن ومن السهل اليسير ، أن يكون معنى « الجديد » و « التجديد » في دراسة آداب أمة ما وفي دراسة تاريخها : أن يعمد « المجدد » إلى اقتباس آراء وأفكار قد تولّى صياغتها من هو لصيق دُخِلَ عليها وعلى لسانها ، لم ينشأ فيه ، وإنما تعلّمه على كبر ، فهو لا يعلم منه إلا أقل القليل ، ومن هو نابت في لسان آخر بآدابه وعلومه وفنونه وعقائده ، ومن هو محروم بطبيعته من القدرة على تذوق آدابها تذوقاً شاملاً = والتذوق وحدة عُقدة العُقد = ومن هو مسلوب كل إحساس بتاريخها كله ، فضلاً عما يكنه في سريره من العداوة المتوارثة والبغضاء المتأججة ، ومن المصلحة المتجددة في تشويه صورتها تشويهاً متعمداً لأغراض « حضارية » !! = يا للعجب !

أهذا ؟ أم أن « الجديد » و « التجديد » ، لا يمكن أن يكون مفهوماً ذا معنى ، إلا أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل ثقافة متكاملة متماسكة حية في أنفس أهلها = ثم لا يأتي التجديد إلا من متمكن النشأة في ثقافته ، متمكن في لسانه ولغته ، متذوق لما هو ناشئ فيه من آداب وفنون وتاريخ ، مغروس / تاريخه في تاريخها وفي عقائدها ، في ٢٣٥ زمان قوتها وضعفها ، ومع المتحدّر إليه من خيرها وشرّها ، مُحسناً بذلك كله إحساساً خالياً من الشوائب = ثم لا يكون « التجديد » تجديداً إلا من حوار ذكي بين التفاصيل الكثيرة المتشابهة المعقدة التي تنطوي عليها هذه الثقافة ، وبين رؤية جديدة نافذة ، حين يلوح للمجدد طريق آخر يمكن سلوكه ، من خلاله يستطيع أن يقطع تشابكاً من

ناحية ، ليصله من ناحية أخرى وصلاً يجعله أكثر استقامة ووضوحاً ، وأن يحل عُقدة من طرف ، ليربطها من طرف آخر ربطاً يزيدُها قوةً ومتانةً وسلاسةً .

فالتجديد إذن حركة دائبة في داخل ثقافة متكاملة ، يتولّاها الذين يتحركون في داخلها كاملةً حركةً دائبةً ، عمادها الخبرة والتذوق والإحساس المرهف بالخطر ، عند الإقدام على القطع والوصل ، وعند التهجم على الحل والربط . فإذا فقد هذا كله ، كان القطع والحل سلاحاً قاتلاً مدمراً للأمة ولثقافتها ، وينتهي الأمر بأجياها إلى الحيرة والتفكك والضّياع ، إذ يورث كل جيل منها جيلاً بعده ، ما يكون به أشد منه حيرةً وتفككاً وضياًعاً .

هذه هي العاقبة التي تفرض نفسها فرضاً ، وما أبشعها من عاقبة .

فما ظنك إذن بالعاقبة ، إذا كان القطع والحل مُراداً لذاته ، وكان مُراداً أيضاً أن لا يكون معه أو بعده وصلٌ وربطٌ في داخل التكامل والتماسك الذي يجعل لهذه الثقافة معنىً وحياةً وحركة ؟ - وما ظنك بالعاقبة إذا كان هذا ، ولم تكن الأفكار « المجددة » إلاّ ترديداً لصياغة غريبة ، / صاغها غريبٌ عن الثقافة ، متنسبٌ إلى ثقافة غازية مُباينة ، وهو مع ذلك ناقص الأداة ، لا خبرة له بتشابكها وعُقدها ، ثم هو في نفسه لا يضمر لها إلاّ التدمير والاستهانة ، لغرضٍ راسخ في قرارة النفس ؟ = ثم ما ظنك أيضاً بالعاقبة ، إذا صار « التجديد » عند أصحاب الثقافة أنفسهم ، لا يزيدُ على أن يكون « سَطَواً » مجرداً على هذه الصيغ الغريبة ، ثم إقحامها إقحاماً على ثقافتهم ، لا حاجة أذى إليها النظر والفكر والتدبر ، بل بالهوى وحبّ الظهور من مُفرّغ ، أو من شبيهٍ بالمفرّغ ، من ثقافته المتكاملة التماسكة ؟ ما أبشع العواقب عندئذ ، وأبشعها التدهور المستمر !

وكذلك كان مقدراً لجيلنا نحن ، جيل المدارس المفرّغ ، أن يتلقّى صدمة التدهور الأولى ، لأنه نشأ في دوامة دائرية من التحول الاجتماعي والثقافي والسياسي . جئنا في أعقاب حرب الاستعمار الكبرى ، وهي التي يسميها أصحابها « الحرب العالمية الأولى » . خرج منها « الحلفاء » منصورين ، وبدأوا من قورهم في تقسيم عالمنا وتبديده ، وأخذ كل

مستعمر منهم يشدد قبضته على ما وقع في يده من الغنائم . وبالدهاء والمكر والسطوة ، جعل يدفع هذا التحول دفعا شديداً ، لكي يتم له أن يُخضع عالمنا « المتخلف » لحاجات عالمه « المتحضّر » !! وجئنا أيضاً ، في مصر ، مع الرجة العظمى التي أحدثتها ثورة سنة ١٩١٩ ، والتي انتهت بعد قليل بفجيرة مزقت الأمة تمزيقاً مفرعاً ، بفضل الدستور والانتخابات وتعدد الأحزاب ، وتكالب كل حزب على الظفر بالحكم تحت علم السيادة البريطانية المتحضرة !! وتبددت / نفوسنا وتفتتت ، تحت ضغط هذا التحول السريع المتماذي المريب المروع .

وفي ظلّ هذا كلّه ، كما قلتُ ، انتعشت الحركة الأدبية والثقافية انتعاشاً غير واضح المعالم ، <sup>(١)</sup> وأقول « غير واضح المعالم » ، لأنّ الأساتذة الكبار الذين انتعشت على أيديهم هذه الحركة ، كانت علائقهم بثقافة أمتهم غير ممرّقة كلّ التمزيق : أما نحن ، جيل المدارس المفرّغ ، فقد تمزقت علائقنا بها كلّ التمزيق ، فصار ما يكتبه الأساتذة ، فيما له علاقة بهذه الثقافة ، باطلاً أو كالباطل . فهو لا يقع منّا ومن أنفسنا بالموقع الذي ينبغي له من الفهم ، ومن الإثارة ، ومن الترغيب في متابعته ، ومن إعادة النظر في ارتباطنا بتلك الثقافة = بل كان عند كثير من أهل جيلنا غير مفهوم البتة ، فهو يمرّ عليه مروراً سريعاً لا أثر له . أمّا الذي أخذ جيلنا عنهم ، فهو الاتجاه الغامض إلى المعنى المبهم الذي تتضمنه كلمة « التجديد » = وإلى هذا الرفض الخفي للثقافة التي كان ينبغي أن ننتمى إليها = وإلى الانحياز الكامل إلى قضايا الفكر والفلسفة والأدب والتاريخ التي أُولع الأساتذة بتلخيصها لنا ، لكي نلحق بثقافة العصر الذي نعيش فيه ، وبمناهجها في التفكير ، كما صوّروا لنا ذلك في خلال ما يكتبونه !! وغابَ عن الأساتذة الكبار أن الزّمن الدوّار الذي يُشيب الصغير ويُفني الكبير ، هو الذي سيتولّى الفصل بينهم وبين أبنائهم الصغار الذين كانوا يتعلّمون اليوم على أيديهم .

\*\*\*

(١) انظر ما سلف ص : ٢١ ، ٢٢ .

م ٣٨

/ والقصة تطول ، ومع ذلك فليس هذا مكان قصّها على وجهها ، إذا أنا أردت أن أقيّد ما كان كما شهدته فيما بين سنة ١٩٢٨ ، وسنة ١٩٣٦ ، بل إلى ما بعد ذلك إلى يومنا هذا أيضاً . ويكفى أن أقول : إن جيلنا ، جيل المدارس المفرّغ ، كان في خلال ذلك قد كبر ، وانفلق عن فريقين : فريق قانع بما تجود به عليه أعلام الأساتذة الكبار من « تلخيص » و « تجديد » ، فهو لا يزال إليهم متطلّعا ، وبهم متعلّقا ، ثم لا يزيد = وفريق يسرّ الله له السبيل إلى معرفة المنبع ، فرأى نفسه قادراً على أن يغترف من حيث اغترف أساتذته . لقد اطلع على أصول ما كانوا يلحّصونه ، وما كانوا « يجدّدون » به مكتوباً بلغته أو بلغاته على الأصح . وأحسّ أيضاً أن « الأصل » الذي يقرؤه بلغته ، مضى حتّى ، مكثف ، عميق الدلالة = وأن تلخيص الأساتذة وتجديدهم كابٍ لونه خامدة حياته ، متخلخل ، قريب المتناول . ومع هذا الذي أحسّ به ، فإنه من حيث لا يدري يشعر بتفوق هؤلاء الأساتذة الملخّصين المجدّدين عليه ، ولكنه لا يستطيع أن يجد تفسيراً لهذا التفوق ، مع أن تفسيره يسير هين . وذلك أن علائق الأساتذة بثقافة أمّتهم كانت علائق لم تمزق كلّ التمزيق ، وبفضل هذه العلائق استطاعوا أن يعطوا تلخيصهم نفعة من سرّ أنفسهم يمتازون بها ، وأن يكونوا أقدر منهم على « التجديد » ، لأن ما عندهم كان يمكنهم من الاختيار ، ثم من نفي ما هو غث أو ساقط ، ومن إخفاء « السطو » إخفاء فيه ذرّو من المعرفة . أمّا هم ، فقد فرغوا تفرغاً يكاد يكون تاماً من أصول ثقافتهم التي ينتمون إليها ( بالوراثة ) ، ولذلك فهم يحسّون في أنفسهم ما يشبه العجز ، إذا ما قارنوا بين / أنفسهم وبين هؤلاء الأساتذة . وهذا هو الموقف العصيب الذي كان فيه جيلنا يومئذ ، ثم استمرّت عليه الأجيال بعدنا ، وهي تشعّر شعوراً واضحاً بتفوق هذا الجيل من الأساتذة الكبار « الملخّصين » و « المجدّدين » ، مع أنّ الأمر ، كما قلت ، قائم في الحقيقة على « السطو » البين أو الخفيّ ، على أعمال ناس آخرين يكتبون في لغاتهم بالسنتهم ، ويعبّرون عن أنفسهم وعن حضارتهم وعن ثقافتهم = لا عن أنفسهم أو عن حضارتنا أو عن ثقافتنا نحن ! ومع ذلك فإن جيلنا والأجيال التي تابعت بعده ، لم تُرد أن تكشف هذه

م ٣٩



الحقيقة ، لأنهم إذا فعلوا ذلك كشفوا أمر أنفسهم ، لأنهم لا يستطيعون شيئاً آخر سوى منهج « التلخيص » و « التجديد » ، على السُّنة التي سَنَّها لهم هؤلاء الأساتذة الكبار . ولو فعلوا ، لما بقى لهم شيء يقولونه ، حين يَرثون موقعَ الصدارة للتعليم والتثقيف بعد هؤلاء الأساتذة الكبار .

ولذلك ، فقد قنعوا بالوقوف تحت مظلة « التجديد » و « عالمية الثقافة » و « الثقافية العالمية » ، و « الحضارة الإنسانية » ، وسائر هذه المبهمات التي أشرت إليها آنفاً ، [ ص : ٢٢ ، والتعليق هناك ] وتكاثروا هذه الحقيقة بينهم ، ثم كان الأمر بعد ذلك كما قيل في المثل : « خلا لك الجوُّ فيضي وأصفرى » !!

\*\*\*

ومع ذلك ، فأنا أحبُّ أن أقرُّ هنا حقيقة أخرى تعين على توضيح هذه الصورة التي صورتها ، وكنت أنا أحد شهودها فصورتها فيما سلف . فالدكتور طه حسين ، وهو أحد هؤلاء الأساتذة الكبار ، سوف يشهد في سنة ١٩٣٥ شهادته هو ، من موقعه هو ، أى من موقع الأستاذية ، ومن وجهة نظره هو ، ومن دوافعه هو إلى الإدلاء بهذه الشهادة .

/ ومعلوم أن الدكتور طه في سنة ١٩٢٦ ، حين ألقى محاضراته ، « في الشعر الجاهلي » ، زعم أن له منهجاً يدرس به ثراث العرب كُلِّه ، وسمّى هذا المذهب « مذهب الشك » ، فكان فيما قاله عن مذهبه ، إن هذا المذهب سوف : « يقلب العلم القديم رأساً على عقب . وأخشى إن لم يَمُحُ أكثره ، أن يمحو منه شيئاً كثيراً » [ و الشعر الجاهلي ص : ٣ ] . ثم انطلق في كتابه هذا مستخفاً بكلِّ شيء ، بلا حذر ، حتى قال : « والنتائج الملازمة لهذا المذهب الذى يذهبُه المجدِّدون عظيمة جليلة الخطر ... وحسبك أنهم يشكُّون فيما كان الناسُ يرونه يقيناً ، وقد يجحدون ما أجمع الناسُ على أنه حقٌّ لا شك فيه . وليس حظُّ هذا المذهب منتبهاً إلى هذا الحدِّ ، بل هو يجاوزُه إلى حدود أخرى أبعد منه مدى وأعظم أثراً . فهم قد ينتهون إلى تغيير التاريخ ، أو ما اتفق الناس على أنه تاريخ ، وهم قد ينتهون إلى الشك في أشياء لم يكن يباح الشك فيها » ، [ و الشعر الجاهلي : ٦ ] .

والاستخفاف الذى بنى عليه الدكتور طه كتابه معروف ، أمّا الذى كان يقوله فى أحاديثه بين طلبته ، فكان استخفافه عندئذ يتجاوز حدّه حتى يبلغ بنا إلى الاستهزاء المحض بأقوال السلف . وأمّا الذى كان يدور بين طلبته الصغار « المفرغين » من ثقافتهم ، كما قلت ، فكان شيئاً لا يكاد يُوصف ، لأنه كان استخفاف جاهل واستهزاء تحاوي ، يردّد ما يقوله الدكتور ، لا يعصمه ما كان يعصم الدكتور طه من بعض العلم المتصل بهذه الثقافة . وعلى مرّ الأيام ، كانت العاقبة وخيمة جداً . كَبُرَ الصَّغَارُ الذين تأثّروا بما قاله م ٤١ / فى سنة ١٩٢٦ ، فقد فَطَمْتَهُم السَّنُ ، وَفَطَمْتَهُم معرفةً جديدة حازوها ، وتَنَكَّرُوا ، أو كادوا ، للثُلْدَى الذى كان يُرْضِعُهُمْ . وخرجت « الطلائع » تدفعها الحميّة وطلب الصّدارة فى ميدان « التثقيف » و « التجديد » ، وبدا كأنّهم جاؤوا يراحمون الأساتذة الكبار فى مواقع الأستاذية . وساروا على نفس النهج الذى مهّدوه لهم من « التلخيص » لفكر « الحضارة الحديثة » = أى الحضارة الأوربية = والذى هو فى حقيقته سطوٌّ مجرّدٌ ، ولكنّهم لم يسيروا سيرة الأساتذة فى معالجة « القديم » حتّى يُخَيِّلَ للناس أنه إحياءٌ للقديم وتجديدٌ له ، بل كانَ الغالبُ على أكثرهم هو « رفض القديم » والإعراض عنه والانتقاص له والاستخفاف به . وعندئذ أحسّ الدكتور طه نفسه بالخطر ، وهو هو الذى أضاع لهم الطريق بالضجّة التى أحدثها كتابه « فى الشعر الجاهلى » !!

كان إحساس الدكتور بهذا الخطر الذى تولّى هو كَبُرَ إحدائه ، ظاهراً جداً ، ففى يناير سنة ١٩٣٥ = بعد تسع سنوات من صدور كتابه : « فى الشعر الجاهلى » ، سنة ١٩٢٦ = بدأ ينشر فى جريدة الجهاد مقالات انتهى منها فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٥ ، وكانَ مُحَصِّلُها رجوعاً صريحاً عن ادعائه الأوّل فى سنة ١٩٢٦ ، الذى أعلنه فى أوّل كتابه ، وهو قوله : « إن الكثرة المطلقة مما نُسمّيه شعراً جاهلياً ، ليست من الجاهلية فى شيء ، وإنما هى مُنتَحَلَةٌ مُختَلقة بعد ظهور الإسلام ، فهى إسلامية تمثّل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم ، أكثر مما تمثّل حياة الجاهليين ، وأكاد لا أشكّ فى أن ما بقى من الشعر

/ الجاهليّ الصحيح قليل جداً ، لا يمثل شيئاً ولا يدلّ على شيء » ، [ في الشعر الجاهلي ٤٢ م ص : ٧ ] . (١)

بدأ الدكتور هذه المقالات بمقالة عنوانها : « أثناء قراءة الشعر القديم » ، (٢) وأدار الحديث بينه وبين صاحب له قال له وهو يحاوره : « إنكم لتشقون علينا حين تكلّفوننا قراءة شعركم القديم هذا ، وتلحّون علينا فيه ، وتعيّبوننا بالإعراض عنه ، والتقصير في درسه وحفظه وتذوّقه ، لأنكم تنكرون الزمن إنكاراً وتُلغونه إلغاءً ، وتحسبون أننا نعيش الآن في القرن الأوّل قبل الهجرة أو بعدها .... » إلى آخر ما صوّر به الدكتور حقيقة إحساسه بآراء من يُحيطون به من جيلنا الذي بلغ الفِطَام واستقلّ .

ثم قال بعد ذلك ( ص : ٩ من حديث الأربعاء ج : ١ ) : « وقد تحدّث إلى المتحدّثون بأن أمثال صاحبي هذا قد أخذوا يكثرّون ، ويظهر أنهم سيكثرّون كلما تقدّمت الأيام » ، وصدق ظن الدكتور ، فقد كان ذلك ، وكان ما هو أبشع منه !

وسأحاول هنا أن أُلخّص ما قاله الدكتور طه بألفاظه هو ، لا بألفاظي ، لأنها شهادة أستاذ كبير ، يقول :

/ « والذين يظنّون أن الحضارة الحديثة حملت إلى عقولنا م ٤٣  
« خيراً خالصاً يخطئون ، فقد حملت الحضارة الحديثة إلى عقولنا  
« شراً غير قليل ... فكانت الحضارة الحديثة مصدر جمود  
« وجهل ، كما كان التعصّب للقديم مصدر جمود وجهل أيضاً .

(١) قد بينت في بعض مقالاتي أن الدكتور طه ، قد رجع عن أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي ، بهذا الذي كتبه ، وبعض ما صار حني به بعد ذلك ، وصارح به آخرين ، من رجوعه عن هذه الأقوال . ولكنه لم يكتب شيئاً صريحاً يثير به مما قال أو كتب . وهكذا كانت عادة « الأساتذة الكبار » ! يخطئون في العن ، ويترأّون من خطئهم في أسر !!

(٢) انظر « حديث الأربعاء » الجزء الأول ( من ص ٩ ١٧ ) .

« هذا الشاب ، أو هذا الشيخ ، الذى أقبل من أوربة  
 « يحمل الدرجات الجامعية ، ويحسنُ الرطانة بإحدى اللغات  
 « الأجنبية ... يجلسُ إليك وإلى غيرك منتفخاً متنفّساً ،  
 « مؤمناً بنفسه ويدرجاته ويعلمه الحديث ، أو أدبه الحديث ،  
 « ثم يتحدثُ إليك كأنه ينطق بوحى أبولون . فيعلنُ إليك  
 « فى حَزْمٍ وجَزْمٍ أن أمر « القديم » قد انقضى ، وأن الناس  
 « قد أَظْلَهُم عصر « التجديد » وأنَّ الأدب القديم يجبُ  
 « أن يُترك للشيوخ الذين يتشدّقون بالألفاظ ، ويملاّون  
 « أفواههم بالقاف والطاء وما أشبهها من الحروف الغلاظ ،  
 « وأن الاستمساك بالقديم جمود ، والاندفاع فى الحياة إلى  
 « أمامٍ هو التطوُّر ، وهو الحياةُ وهو الرقى . هذا الشاب  
 « وأمثاله ضحيّة من ضحايا الحضارة الحديثة ، لأنه لم يفهم  
 « هذه الحضارة على وجهها ، ولو قد فهمها لعلم أنها لا تنكر  
 « القديم ولا تنفِرُ منه ولا تنصرف عنه ، وإنما تحبُّه وترغّبُ  
 « فيه وتُحَثُّ عليه ، لأنها تقوم على أساسٍ منه متينٌ ....  
 « هذا الشابُ ضحيّة من ضحايا الحضارة الحديثة ،  
 « / أو من ضحايا جهل الحضارة الحديثة ، وشُرّه ليس مقصوداً  
 « عليه ، وإنما يتجاوزُه إلى غيره من الناس . فهو يتحدثُ ،  
 « وهو يعلمُ ، وهو يكتبُ ، وهو فى هذا كُلّه ينفُثُ السُّمَّ ،  
 « ويفسدُ العقول ، ويمسُخُ فى نفوس الناس المعنى الصحيح  
 « لكلمة « التجديد » . فليس التجديد فى إماتة القديم ،  
 « وإنما التجديد فى إحياء القديم ، وأخذ ما يصلحُ منه للبقاء .  
 « وأكادُ أَتخذُ الميلَ إلى إماتة القديم أو إحيائه فى

« الأدب ، مقياساً للذين انتفعوا بالحضارة الحديثة أو لم  
 « ينتفعوا بها ، فالذين تُلهِمهم مظاهر الحضارة عن أنفسهم  
 « حين تلهِمهم عن أدبهم القديم ، لم يفهموا الحضارة الحديثة ،  
 « ولم ينتفعوا بها ، ولم يفهموها على وجهها ، وإِثْمًا اتخذوا  
 « منها صُورًا وأشكالاً ، وقلّدوا أصحابها تقليد القردة ،  
 « لا أكثر ولا أقل !!

« والذين تَلَفَتْهم الحضارة الحديثة إلى أنفُسِهِم ، وتدفعُهم  
 « إلى إحياء قديمهم ، وتملأ نفوسهم إيماناً بأن لا حياة لمصر  
 « إلّا إذا عُنِيَتْ بتاريخها القديم وبتاريخها الإسلامي ،  
 « وبالأدب العربيّ قديمه وحديثه ، عِنَايَتَهَا بما يمَسُّ حياتها  
 « اليومية من ألوان الحضارة الحديثة - هم الذين انتفعوا ، وهم  
 « الذين فهموا ، وهم الذين ذاقوا ، وهم القادرون على أن  
 « ينفعوا في إقامة الحياة الجديدة على أساس متين .

/ وهذه الشهادة ، من أحد الأساتذة الكبار ، الذين سنّوا لمن بعدهم السنن في ٤٥ م  
 الحياة الأدبية وفي مناهج تفكيرها ، شهادة مهمّة جدّاً لتاريخ الحياة الثقافية التي امتدّت  
 بعدهم إلى يومنا هذا ، بل هي تكشف عن جُذُور التدمير المفرع الذي يشمل اليوم  
 المُجْتَمع العربيّ كلّهُ حيث تُنطقُ العربيّة ، <sup>(١)</sup> لا بل حيث يُدينُ غيرُ العرب بالإسلام ،  
 ويُوجب عليهم إسلامُهم أن يضعوا العربيّة في المقام الأوّل ، لأن إسلامهم لا يكون إسلاماً

(١) لم يتصب أحد لوصف هذا التدمير المفرع الذي يشترك في جريمته مثقفون كثيرون ، في الأدب ، وفي  
 العلم ، وفي التاريخ ، وفي الفلسفة ، وفي الاجتماع ، وفي السياسة ، وفي الفن كله من مسرح وسينما وموسيقى  
 وغيرها ، وكل منهم ، كما يقول الدكتور طه : « ينفث السم ويفسد العقول ويمسح في نفوس الناس المعنى الصحيح  
 لكلمة التجديد » . وقد راد الأمر ، فم يبق مقتصرأ على التعليم والكتابة والتأليف والصحافة ، بل دخل كل بيت  
 دخولاً مفرعاً عن طريق الإذاعة والتلفزيون ، بلا رقيب ولا حسيب !

إلا بالقرآن ، وهو الذى نزل عليهم بلسان عربى مبين ، وإلا بسنة الرسول الأُمى العربى ، ﷺ ، وهى أيضاً بلسان عربى مبين .

وليس من همى هنا أن أفسر هذه الشهادة ، ولا أن أوضح مدى صدقها حيث صدق توقع الدكتور فى تكاثر عدد مَنْ وصفَهُم من « المثقفين » فى شهادته ، وأخشى أن أقول إن هذه الصفة ، على نقصها ، تشمل عامة المثقفين فى زماننا هذا إلى سنة ١٩٧٧ - ولكن الذى يجب على أن أقوله : إن شهادة الدكتور على اختصارها ، إنما هى وجهة آخر لشهادتى التى كتبتها هنا ، قالها هو من موقع « الأستاذية » ، وقلتها أنا من موقعى بين أفراد جيلى الذى أنتمى إليه ، وهو جيل المدارس المفرغ من كل أصول ثقافة أُمته ، وهو الجيل / الذى تلقى صدمة التدهور الأولى ، حيث نشأ فى دوامة من التحول الاجتماعى م ٤٦ والثقافى والسياسى ، كما أشرت إليه آنفاً [ ص : ٢٦ ، ٢٧ ] .

\*\*\*

### المتنبى

وأنا حين قرأت هذه الشهادة يومئذ ( ٣٠ يناير ١٩٣٥ ) ، توهمت بحس الظن أن الدكتور طه سوف يبدأ عهداً جديداً فى تفكيره وفيما سيكتبه للناس ، وأنه سيفارق السنة التى سنّها هو والأستاذة الكبار ، وإن كان قد رابنى ما ختم به شهادته . لأن هذه الخاتمة توشك أن تكون دفاعاً عن نفسه وتمجيذاً للسيرة التى سارها هو فى « التجديد » = التجديد كما يراه هو ، لا التجديد كما يراه الجيل الذين وصفهم بأنهم « ضحايا الحضارة الحديثة ، أو ضحايا جهل الحضارة الحديثة » . وليس هذا بمستبعد . لأن الدكتور طه يومئذ ( سنة ١٩٣٥ ) ، كان فى قمة مجده الذى أحرزه بالضجة التى ثارت حول كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وهو يروح ويغدو على ذراها يميؤ الزهو ، وتستخفه الخيلاء ، ويميد به العجب . ثم جاءت بعد ذلك مقالاته فى جريدة الجهاد متتابعة من ( ٦ فبراير ١٩٣٥ ) إلى ( ٢٢ مايو سنة ١٩٣٥ ) ، وهى عن جماعة من

شعراء الجاهلية ، فكان يخلط فيها بين ما يدلُّ دلالة صريحة على رجوعه عن رأيه في الشعر الجاهلي ، وبين الالتزام بالإشارة في خلال ذلك إلى شكّه القديم الذي جعله مذهباً في دراسة هذا الشعر ، ولذلك كثر فيها التناقض !! . ولستُ هنا بصدد الحديث عن هذه المقالات الأربعة عشر التي / كتبها ، ولكني أقولُ إنني وجدت يومئذ أن الدكتور طه قد دلَّ<sup>٤٧</sup> فيها على أنه يحاول أن يسلك طريق « تذوق الشعر » ، الذي أشرت إليه آنفاً ، ولكنه تذوق بلا منهج ، وبلا هدَف ، وعلى غير أصل .

في هذا الوقت نفسه أو قبله بقليل ( سنة ١٩٣٥ ) ، كان أخى الأستاذ فؤاد صُرُوف ، قد عهد إليّ أن نُصدر عدداً من « المقتطف » إحياءً لذكرى أبى الطيب المتنبى ، في مرور ألف سنة على وفاته ، وأن أكتب أنا فيه كلمة مسهبة بعض الإسهاب ، ما بين عشرين إلى ثلاثين من صفحات المقتطف .<sup>(١)</sup> تلقَّيتُ هذا التكليف متحمساً له ، ولكن لم أكُذُ أتناول ديوان المتنبى ، بعد هجره هجراً طويلاً ، كما قلت آنفاً [ ص : ٢٩ ] ، حتى وقعت في الحيرة ! كنت في السادسة والعشرين ، وكنت قد قضيتُ ما بين سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٥ ، غارقاً في « قضية الشعر الجاهلي » ، وفيما قدفتني إليه من تيه متشعب المسالك والمناهج = لا ، بل في تيه أعنى منه ، يخطفُ نفسي خطفاً ويبعثها شعاعاً ، في برق متتابع يتركني مرمّقا بين النور والظلمة ، بين الضلالة والهدى . وذلك أن أصحاب هذا « الشعر الجاهلي » ، هم الذين نُزلَ عليهم القرآن العظيم ، وهم الذين طولبوا بأن يتبينوا ، عند سماعه يُتلى عليهم ، أنه آية هذا النبی ، ﷺ ، الدالة على صدق نبوته ، وإن خالفت المعهود عند البشر من آيات الأنبياء والمرسلين . ولا سبيل إلى ذلك ، إلا بأن يشهد الشاهد منهم أنه كلام الله المفارق لكلام عباده من البشر على اختلاف / ألسنتهم = أي أنه كلامٌ عربيٌّ خارجٌ عن طوق البشر جميعاً ، وخارجٌ قبل<sup>٤٨</sup> كل شيء عن طوق هذا النبی الذي يتلوهُ عليهم ، فكذلك يصير آية كسائر آيات

(١) انظر مقدمة الأستاذ فؤاد صرُوف ص : ١٣١ من هذا الكتاب .

الأنبياء من قبله ، كإحياء الميت ، وقلب العصا حية . فكيف ، إذن ، تستنى لأصحاب هذا الشعر الجاهلي أن يحكموا لهذا القرآن بأنه آية دالة على صدق التالين عليهم ؟

وطلب الجواب عن هذا السؤال ، هو الذى قادنى إلى أن أنغمس فى قراءة ثراث هذه الأمة ، من تفسير لهذا القرآن ، ومن علوم كثيرة تتعلق به وبلغته ، من النحو والصرف والبلاغة والأصول والفقه ، والحديث النبوى وما يتصل به من علم رجاله ورواته ، ثم علم التاريخ ، تاريخ الأمة ، وتاريخ رجالها ، وما وقع من الاختلاف بينهم فى ذلك كله . هذا سوى الشعر والأدب على تنوعه . وفى خلال ذلك لم يكن لى مطلب سوى مطلب واحد ! أن أجد بردّ اليقين فى نفسى ، فى شأن « الشعر الجاهلي » ، وفى شأن ما نسميه « إعجاز القرآن » . لم يكن يدور بخلدى أن أكون عالماً فى كل هذه العلوم أو فى بعضها ! ولا دار بخلدى قط ، فى خلال هذه الرحلة الطويلة الشاقة ، أن أولف كتاباً ، أو أن أكتب بحثاً فى شىء مما أقرأ ، أو فى بعض ما اهتديت إليه وأنا أقرأ ، <sup>(١)</sup> لا هم لى ، ولا شىء يزعجنى ، سوى طلب اليقين وإبطال الشك ، والخروج من الحيرة . فذلك ، ومع طول الممارسة لهذه الفنون والعلوم المختلفة المتباينة ، بدأت أجذنى شيئاً فشيئاً مصروفاً عن تحصيل ما فى هذه / العلوم من المعارف ، إلى سيرة أخرى فى القراءة ، سيرة غريبة ، ولكنها كانت ألصق بطبيعتى ، وأعمق نفاذاً فى نفسى .

كانت سيرتى فى كل هذا الذى أقرأه ، هى سيرتى التى اخترتها آنفاً فى شأن « الشعر الجاهلي » ، وهى تذوق الكلام <sup>(٢)</sup> : تذوق الألفاظ والجمل ، وتذوق دلالتها على معانى أصحابها ، وكيف يصوغ كل صاحب فكر فكره فى كلمات ؟ وكيف

(١) إلا بحثاً واحداً فيما أظن ، جعله الأستاذ محمد محبى الدين عبد الحميد ، مقدمة للحزء الأول من شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، بعنوان : « مقدمة فى نشأة اللغة العربية ، وعلم النحو ، والطلاقات الأولى من النحاة » ، ونشرته المطبعة المصرية فى سنة ١٣٥٢ هـ ، سنة ١٩٣٣ م .

(٢) انظر ما سلف ص : ١١ ، ١٧



يخطيء وكيف يصيب ؟ وكيف يستقيم على المعنى طلباً للحق ، وكيف يلتوى طلباً للمغالطة أو الزهو أو الظهور على الخصم ؟

ومعنى ذلك ، على وجه الاختصار ، أنى كنت أتذوق البيان الإنسانى الصادر عن أصحابه فيما يريد أن يقوله كل منهم ، على اختلافهم فى النزاع والمشارب التى تتكون منها آداب البشر وعلومهم . وبيان الإنسان عن نفسه ، لو تأملته ، شئ مذهل !! فكانت لذتى فى الوقوف على ما يروغنى من هذا البيان ، تفوق لذتى فى الإبانة عن نفسى أنا أيضاً كما أبانوا ، أو فى الإبانة عما أجده فى نفسى وأنا أقرأ بيان هؤلاء الكاتبين الأمناء فى بيانهم عما فى أنفسهم . ولذلك لم يدرّ بخلدى أن أكتب ، على مر هذه الأيام الطوال ، إلا قليلاً جداً من الكلام المنشور ، وبعض الشعر . فلما وجدت نفسى مكلفاً بالكتابة عن المتنبي ، أوقعتنى هذا التكليف فى الحيرة ، لأننى سوف أقرأ لأكتب ، لا لأتلذذ بما أقرأ . ويا بُعد ما بين المذهبين !

ومع ذلك ، فقد جاء هذا التكليف على ساعة موافقة لاستشارتى ، لأنه يردنى إلى أول ديوان كنت حفظته كله ، وفنت به قديماً كله ، ثم أغفلته / كله ، ثم تبطنى عنه م . كله بدء حفاوتى بالشعر الجاهلى ، [ انظر ما سلف ص : ٩ ] فرائيتنى الآن ملزماً أن أقرأه قراءة جديدة ، متذوقاً لبيان هجرته هجراً طويلاً . فلم أكذب ، وأخذت ديوان أبى الطيب ، بشرح الواحدى من القدماء ( ..... - ٤٦٨ هـ ) ، ثم بشرح الشيخ ناصيف اليازجى من المحدثين ( ١٢٨٧ هـ / ١٨٧١ م ) . ولم أكد أتجاوز نصف الديوان فى هذه القراءة ، حتى استوقفنى أن النصف الثانى منه ، مؤرخة قصائده كلها أو أكثرها باليوم والشهر والسنة التى قيلت فيها هذه القصائد ، من شهر جمادى الأولى سنة ٣٣٧ ، إلى أول شعبان سنة ٣٥٤ ، وقد قتل المتنبي بعد ذلك بقليل فى أواخر شهر رمضان سنة ٣٥٤ هـ . أما النصف الأول فهو غفل كله من التاريخ ، إلا حيث يذكر أنه قاله فى صباه ، أو قاله فى المكتب ، وأشبه ذلك ، وهو قليل جداً ، لا يكاد يتجاوز بضع مقطوعات منه ، مع أنه يشتمل على شعره الذى قاله منذ سنة ٣١٤ ، إلى سنة ٣٣٦ تقريباً .

ولما كنتُ أعلمُ ، مما قرأته حديثاً في مقدمة أستاذنا عبد العزيز الميمنى الراجكوتى لما جمعه من « زيادات ديوان شعر المتنبي » ، <sup>(١)</sup> وما قرأته قديماً في تراجم متفرقة للمتنبي ولمن صحبه أو رآه من العلماء الذى رَوَوْا عنه شعره كُله أو أكثره = أنَّ المتنبي قرأ على الناس شعره مرَّاتٍ في بلاد مختلفة ، وأنَّه رَتَّب ديوانه بنفسه ، وأنه أملى على من قرأوا عليه مقدمات قصائده / بتواريخها ، وأن نسخاً كثيرة من الديوان ، قد صُحِّحت أو قُرئت على أصولٍ مقروءة على ألى الطيب نفسه ، وأنها تكادُ تتفق جميعاً على الترتيب الموجود فى شرح الواحدى خاصة = لَمَّا كنتُ أعلم ذلك تيقَّنتُ أنَّ أبا الطيب كان شديد الإحساس بالتاريخ حين جمع شعره ورتبه . وتبيَّن ذلك تبيُّناً واضحاً فى النصف الثانى منه ، وهو المؤرَّخة قصائده كُلُّها باليوم والشهر والسنة . وإذا كانَ حين جمع شعره ورتَّبه شديد الإحساس بالتاريخ ، من سنة ٣٣٧ إلى سنة ٣٥٤ ، إذاً ، فهو فى القسم الأول أيضاً من سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٣٦ ، خليقٌ أن يكون شديد الإحساس بالتاريخ ، إلا أنَّ عَهْدَه بهذا الشعر كان قد تقادم ، فنسىَ الأيام والشهور والسنوات على وجه التحديد ، فرتَّب هذا القسم الأول على ما بقى فى نفسه من الإحساس الخافى بهذه التواريخ القديمة . ولكن لا يُستبعدُ أن يكون أبو الطيب قدَّم شعراً على شعر ، وتاريخاً على تاريخ ، بيد أنَّى أعتقدُ أن هذا التقديم والتأخير لا يكاد يتجاوز سنة أو بعض سنة على الأرجح . ومع ذلك ، ففى بعض هذا الترتيب خللٌ آخر ، وهو أنَّ المتنبي ، كما استظهرت ذلك ، كان رُبَّما مدح رجلاً فى سنة ، ثم بعد سنوات مدحه مرةً أخرى ، فكان يلحق الشعر الثانى بالشعر الأول القديم التاريخ ، فيقدِّمه بلا مبالاة . وهذا أيضاً شبيه بما فعله فى القسم الثانى من سنة ٣٣٧ - ٣٤٥ ، حين ألحق به شعراً قيل فى سنة ٣٢١ . <sup>(٢)</sup>

(١) بشرته المكتبة السلفية فى سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م .

(٢) فإن المتنبي ألحق بشعره الذى قاله فى سيف الدولة (من سنة ٣٣٧) إلى (سنة ٣٤٥) قصيدته الميمية

التي أُوها :

### \* ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَاتِجِ الْأَرَامِ \*

التي قالها فيه سنة ٣٢١ ، [ انظر ما سبَّاقى ص : ٦٦ ] ثم انظر أيضاً ص : ٢٩٥ ، والتعليق عليه .

/ وعلى كل حال ، فلا بُدَّ أن نكون على ذُكْرٍ دائم بهذا ، وبأن المتنبي نفسه حين جمع شعره وقرأه على الناس ، أسقط كثيراً من شعر صباه ، أو من الشعر الذى تضمَّنهُ القسم الأول الذى لم يؤرِّخ من ديوانه . وعلى ذلك فهذا القسم الأول محتاج إلى الاجتهاد فى ترتيبه على السنوات ، استظهاراً من الشعر نفسه ، ومن تراجم الرجال الذين قال فيهم هذا الشعر .

والإحساسُ بالتاريخ ظاهرةٌ فريدة ، مُعَرِّقة القدم فى تاريخ عرب الجاهلية ، وقد ترك أثره البين فى حياتهم ، ثم فى لغتهم ، ثم فى شعرهم . فلما جاء الإسلام زاد هذا الإحساس نفاذاً ووضوحاً ، لحاجتهم إليه فى تاريخ تنزيل القرآن منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة ، وما يترتب على ذلك من معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث ، وما ارتبط بذلك من مغازى رسول الله ﷺ سنة بعد سنة بعد الهجرة . فلما جاء عهد التدوين ، اتسع هذا الإحساس ، وصار واضحاً ظاهراً فى الكتب المخطوطة ، ثم فى أسانيد هذه الكتب . وكان أشدَّ وضوحاً عند علماء التفسير والحديث وعلم الجرح والتعديل . ولا أشك فى أن المتنبي قد أدرك هذا ، لأنه كان مستفيضاً على زمانه ، فكان ديوانه الذى جمعه بنفسه وقرأه على الناس ، أول ديوانٍ من الشعر جاءنا ، فيما أعلم ، وفيه أثر هذه الظاهرة واضحاً كُلِّ الوضوح ، شهراً بشهر وسنة بعد سنة ، فى القسم الثانى من ديوانه .

وقد كنتُ ، وأنا أتذوق شعر الجاهلية وبعض الشعر الأموى ، أحاولُ / محاولة م صعبةً فى الاهتداء إلى ترتيب قصائد الشعراء على مُدَد من الزمن الذى عاشوه وقالوا فيه شعرهم ، كامرىء القيس والنابعة وزهير والأعشى ، وحاولته أيضاً فى شعر عمر بن أبى ربيعة وشعر ذى الرمة . ومع أنى لم أظفر ، أو لم أحقق كُلَّ بغيتى ، إلا أننى انتفعت بذلك انتفاعاً لا بأس به فى تذوق الشعر . فلما استوقفنى القسم الثانى من شعر أبى الطيب ، ومضيئ فى تذوقه مرتباً على التاريخ ، كان نفعُ هذا الترتيب التاريخى عظيماً ، فقد كشف لى حركة وجدان أبى الطيب فى شعره ، فى زمن طويل يمتد من سنة ٣٣٧ إلى وفاته فى سنة ٣٥٤ . فلذلك عدتُ أقرأ الديوان كله قراءةً ثانية ، محاولاً أن أعرف حركة

وجدانه في الشعر الذي قاله منذ صباه في سنة ٣١٤ تقريباً إلى سنة ٣٣٦ = ومحاولاً بتذوق أن أرّب قصائد هذا القسم ترتيباً تاريخياً ما استطعت . وقد فعلتُ ، وتبين لي أن أبا الطيب كان بلا شك ملتزماً بالترتيب التاريخي في هذا القسم ، إلا في قليل من الشعر ، كما قلتُ آنفاً .

فرغتُ من هذه القراءة الثانية ، ومن ترتيب قصائد القسم الأول كما بدا لي عندئذ ، واجتمع لديّ قدرٌ لا بأسَ به من الملاحظاتِ عن أبي الطيب الشاعر ، وعن حركة وجدانه في شعره على اختلاف الأحوال والبلدان والناس الذين لقيهم ، والرجال الذين مدّحهم . وبدا لي أن أقنع بهذا ، وأن أبدأ في الكتابة عن شعر المتنبي ، لا عن حياته .

ولكنّ قلقي القديم لم يفارقني وأنا أستجمع نفسي للكتابة . لم أستطع أن أتخلص من الإحساس الملح بالنقص في عملي هذا . فوجدتهُ أمراً / لا مفرّاً منه ، أن أفعل ما لم يكن في نيّتي أن أفعله يومئذ . جمعتُ كلّ ما أمكن أن يقع في يدي من تراجم أبي الطيب التي كتبها الأولون ، وما أتيح لي أن أعلمه مما كتبه المُحدثون عن أبي الطيب . ونَحَيْتُ الديوان جانباً وشرعتُ أقرأ تراجمه القصارَ والطوالَ ، وأردُّ الأخبار التي فيها إلى أصولها التي نُقِلَتْ عنها ، فكان لزاماً عليّ أن أرّب هذه التراجم ترتيباً تاريخياً حتّى لا أضلّ عن مَوَاضِع التغيّر والتبديل التي لحقت هذه الأخبار ، في نقل كلّ مؤلّف عن سبّقه . وكان عملاً شاقاً طويلاً ، متعدّد الجوانب ، متّسع الرقعة ، لكنه كان عظيم الفائدة . قيّدتُ كلّ ما عنّي وأنا أقرأ هذه التراجم والكتب . كنتُ أصطدم دائماً فيها بما يهزّني وما يحيرني ، من الاختلاف الواضح بين صورة أبي الطيب التي تصوّرها هذه التراجم والكتب ، وبين صورته التي يصوّرها لي تذوّق شعره مجرداً من تأثير هذه الأخبار التي رُوِيَتْ عنه .

وظهر لي يومئذٍ ظهوراً واضحاً فرقٌ ما بين تذوّق شعر الشاعر تذوّقاً يعتمد على الشعر نفسه أولاً ، ثم على ما يكون في نفس المتذوّق من إدراكٍ مُجْمِلٍ لعصر الشاعر

والعصور التى قبله ، ولللرجال الذين عاش بينهم وخالطهم ، وللأحداث التى تمر به أو بالناس ويكون لها أثر فى شعره وفى حركة وجدانه = وبين بحث الدارس المتأنى الذى يجمع أخبار الشاعر وتراجمه وآراء الناس فيه وفى شعره ، ويقارن ، ويستنبط ، ويأخذ خبراً ويردُّ آخر ، ويكشف عن مواضع الخلل فى الأخبار إن اختلفت ، وعن استقامتها إن استقامت ، ويستغرق فى التفاصيل الدقيقة التى تدلُّ عليها أخباره وأخبار زمانه وأخبار / أهل عصره الذين لقىهم أو لم يلقهم . فرأيتُ يومئذ أنهما طريقتان مختلفتان ، وعملان ممتباينان ، ولكن لا غنى بأحدهما عن الآخر . وتبين لى أيضاً ، مما قرأته للمحدثين خاصة ، أن طريق الأخبار وبحثها والاعتماد عليها أو على بعضها ، ربما ضلل الكاتب ، فجعله يرى فى بعض شعر الشاعر معنىً ، هو بعيد كلُّ البعد عن المعانى التى يدُلُّ عليها تذوق شعره جملةً واحدةً = وأنه أيضاً ، يُشَوِّه صورة الشاعر التى يصورها تذوق شعره تصويراً أصديقاً وأوضحاً وأعمق .

فلما وقَرَّ هذا فى نفسى وفرغتُ من تمحيصه وتقليبه حتى وجدته صادقاً كلَّ الصدق ، ظننتُ ، والظنُّ يكذبُ صاحبه ، أنى قد بلغتُ مبلغاً يفتَحُ لى أبواب الكتابة عن ألى الطيب ، بلا عائق ، وأنى إذا أخذتُ القلم والورق وجلستُ إلى مكتبى ، فقد فرغت ، فى طرفة عين ، مما كلفنى به أخى الأستاذ فؤاد صرُوف . وكذلك سَوَّلَتْ لى نفسى !! لم أكُذُ أفعلُ حتى طَارَ من رأسى كلُّ ما قرأته من شعر ألى الطيب أو من تراجمه ، ومن الكتب أو المقالات التى كتبت عنه ، وإذا أنا عاجزُ كلِّ العجز عن أن أستجمع فكرى ، وعن أن أعرفَ طريقى . وشيئاً فشيئاً أدركتُ حقيقة نفسى ، وأنى حين قضيت ما بين سنة ١٩٢٦ ، إلى سنة ١٩٣٥ فى القراءة ، كما وصفت ذلك آنفاً ، لم يكن يدورُ بخلدى قطُّ أن أكتب بحثاً مطوَّلاً ، أو أن أولِّفَ كتاباً . وكذلك رأيتنى قد كرهت الأمرَ كُلَّهُ ، فوضعتُ القلم ، ونَحَّيتُ الورق ، وفارقتُ مكتبى ، وذهبتُ إلى أخى فؤادِ أبته عُجْرَى وبُجْرَى ، كما يقال فى / المثل ، أى ما تركته من ورأى ، وما أنا مقبل م عليه من أمامى ، والذى أمامى هو العجزُ لا غير . وسدَّدَ اللهَ حُطًى فؤادٍ وأكرمَه ، فإنه

أخذني أَخَذَ رَفِيقٍ شَفِيقٍ ، وجعل يُحاورُنِي وَيُداورُنِي ، ويقبضُنِي وَيَبْسُطُنِي ، حتى فارقتُه على عزيمة غير التي أتيتُ بها ، وكانت التي أتيتُ بها هو أن يُعفيني من الكتابة . واسترحتُ أَيَّاماً ، ثم فَكَّرْتُ في الأمر تفكيراً جديداً ، يرجع فضله كُلُّه إلى فؤاد صروف . وعدتُ أقرأ الديوان وحده مرّةً ثالثة حتى فرغتُ منه ، ورأيتُ أشياءً جديدة ، لم أكن أَلقيْتُ لها بالاً في القراءتين الأوليين ، وظننتُ أني قادرٌ ، وأن الطريق قد استقام وبانت لي معالمُه . وفي هذه المرة أيضاً أعدتُ ترتيب قصائد القسم الأول من الديوان ، ترتيباً يختلف بعض الاختلاف عن ترتيبى الأول ، على هَدْيٍ ما استفدته من قراءة تراجم أبي الطيب في الكتب المختلفة ، وعلى هَدْيٍ ما بدأ لي من الرأى في هذه القراءة الثالثة في شعره .

وَأَجْمَعْتُ أُمري على الكتابة . وما كدتُ ، حتى اختلط على الأمر مرّةً أخرى ، وجرئتُ حيرةً طويلة كادت تُودي بعزيمتى ، حتى جاوز الحزائم الطُّبَّيين ، كما يقال في المثل ، <sup>(١)</sup> وسوّلت لي نفسى أن أدع الكتابة بمرة . وبعد لأيٍ ما ارتجعت أنفاسى المبهورة ، وعذتُ بالسكينة ، وأصررتُ على أن أفعل ، لا حُبّاً في كتابة ما وقفتُ عليه من الآراء ، بل حياةً من فؤاد صروف لا غير .

٥٧ م / ظلمتُ أَيَّاماً أُميلُ الرأى بين أساليب الكتابة ، أَيُّها أختارُ وأَيُّها أدعُ . لم يَكُنْ لي أسلوب خاصٌ ، أو طريقُ ألفته وعهدته ، فإنى كما قلتُ ، لم أفكر قطُ في تأليف كتاب أو كتابة بحث مطوّل . ورأيتُ المؤلفين قبلى في تراجم الشعراء وغيرهم يكتبون على نهج الدراسة والبحث ، فيذكرون الرجل ومولده ونسبه وأسرته ، وعصره وأخباره ، وشخصيته ، وآراءه ، إلى آخر هذه السلسلة المعهودة في كتب المحدثين من الكتاب = أو عن حياة الرجل جملةً ، ثم تفصيل خصائص شعره ، مثلاً ، وبيان أصول المعانى التي امتاز بها في شعره مفصلةً مجموعةً من جملة قصائده كُلِّها - وطُرُق أخرى مختلفة ، ألفتُ قراءتها ،

(١) « الطيبى » بضم فسكون . حمة التدى من دوات الحف والحاو وغيرها ، فإذا انتهى الحزام إلى

التدين ، فقد بلغ أقصى غايته ، فكيف إذا حاوره ؟

دون أن أتخذ لنفسى رأياً في تفضيل بعضها على بعض . وخفتُ أن يأكلَ مرُّ الزمن عزمي مرةً أخرى ، وأنا واقفٌ أميلٌ وأوازنُ بين هذه الأساليب ، فعزمت على البدء في الكتابة والفراغ منها . إنها عشرون صفحة أو ثلاثون من المقتطف ، فلا كتبها كما يتفق لي ، وسيل المعاني والآراء التي وقفتُ عليها في شعر أبي الطيب ، كفيلاً وحده بشق الطريق ! وبدأتُ .

كتبْتُ ما يزيدُ على ثلاثين صفحة على ما خيلتُ ، أي على غررٍ وبلا يقين من طريقي ، وقراءتها أنا وأخى فؤاد ، فكاد يأخذها للنشر لأول وهلة . ولكنني استأنيتُه حتى أعيد النظر فيها مرةً أخرى ، لأنني كنتُ أدخر في نفسي أشياءً بدت لي في شعر الرجل ، لم أثبتها في هذه الورقات هيبة وخوفاً من الزلل ، ومن استنكار الناس لها إن أنا كتبْتُها مجردةً بلا دليلٍ إلّا / دليل التذوق . فأخذتُ الأوراقَ فقرأتها في خلوتي مرةً وأخرى ، فكرهتها أشدَّ م ٥٨ الكراهة ، ومزقْتُها من قوري . ولما أنبأت فؤاداً بما فعلتُ ، تجهّم وجهه وتبينتُ في تجهّمه أنه يقول لي : إني خذلتُه خذلاناً جارحاً . وبكى قلبي بكاءً ، فقد أخرجته إخراجاً غليظاً ، لأنه كان قد أعلنَ في المقتطف عن قرب ظهور العدد الخاص بأبي الطيب ، فلم أفارقه حتى وعدته بأني عمّا قليل مُنجزٌ ميعادي غير مُخلفٍ ظنّه . وبدأتُ مرةً أخرى على عجلٍ ، وضمتُ الأوراقَ التي كتبتها بعض ما كنت أدخرته وطويته في المرة السالفة ، وذلك بعد قراءة رابعة للديوان ، ولمواضع متفرقة من تراجم أبي الطيب في الكتب ، وفرغتُ ، وعرضتُ على فؤادٍ ما كتبْتُ ، وكاد يأخذُه كما فعل أول مرةً ، ولكنني عدت فاستمهلته أياماً ، وبعد أخذ وردّ ، أعطاني الأوراق على مضضٍ .

ودخل علينا رجلٌ عظيم القدر ، كنت أحبه ومحبي . كان يومئذ شيخاً فوق الستين ، كما يقول هو ، وكنت أتوهّمه فوق السبعين . كان ذكياً العينين ، باسم الثغر ، وربما غشت على بسمته كآبةٌ دفينّة لا تبوح إلّا بهذه الغشاوة على بسماته . كان فتياً النفس يشغله دائماً ما يشغله من معارك النقد التي أثارها حول كتابه « معجم الحيوان » ، لا يملُ ذكر ما وقع بينه وبين الدكتور محمد بك شرف الطيب ، صاحب المعجم الطبّي ، وأنستاس الكرملّي القسّ ، وغيرها ، ويسرُّ حججه في تنفيذ أقوالهم كأنه يتلوها عن

ظهر قلب ، وهو الدكتور الطبيب الفريق أمين باشا فهد المعلوف ، من رجالات أسرة المعلوف اللبنانية . وجلسنا طويلاً ، ثم خرجنا معاً ، وكان مسكنه مصر الجديدة / حيث أسكن . وتجاوزنا الحديث ، فغلبته أنا عليه ، وحدثته عما أكتبه عن المتنبي ، وعن حيرتي فيما أكتب ، وعن الجرح الذي أحدثته في قلب فؤادٍ بترددى مرةً بعد مرةً في تسليم ما كتبتُه إليه لينشره ، ويفي للقراء بالميعاد الذي حدّده لعدد المقتطف الخاص بأبي الطيب . وفي خلال الحديث ، ذكرت له رأياً لم أكتبه في هذه الورقات ، وهو أمرٌ كنت أستشفّه من تذوق شعر أبي الطيب ، حتى بلغ بي حدّ اليقين القاطع ، وهو أن المتنبي كان يحبُّ « خولة » أخت سيف الدولة ، وفاجأني الرجل مفاجأة غريبة جداً ، فقد أخذَ برأسي وقبّلني ، ثم أخذ بيدي ، وأبى أن يُفْلِتَها على طول الطريق ، حتى أذهبَ معه إلى بيته ، وكنا قد بلغنا مصر الجديدة .

كان يقيم في شقّةٍ بسيطة لطيفة ، واستقبلتنا قَهْرمانَةً بيته التي تقوم على تديره : سيدةً لطيفةً رقيقةً ، أصغر منه سنّاً ، وهي أخته التي ترعاه ويرعاها ، وتركني معها ، وذهب وأتى وفي يده نسخة من ديوان أبي الطيب ( بشرح اليازجي ) ، وفتح الكتاب ، وإذا على هوامش الجزء الثاني منه فوائد جليّة علّقها على هوامشه ، أكثرها من كتاب « زبدة الحلب » ، من تاريخ حلب » ، لابن العديم ، [ وكان لم يطبع بعد ] ، ثم قلب الصفحات حتى انتهى إلى قصيدة أبي الطيب في كافور الأنشيدى ( في ربيع الآخر سنة ٣٤٧ ) والتي أولها :

فَرَأَى ، وَمِنْ فَارَقْتُ غَيْرَ مُذَمِّمٍ وَأَمَّ ، وَمِنْ يَمَّمْتُ خَيْرَ مُيَمِّمٍ

م ٦٠ وقرأ البيت الأول ، ثم قال لي : هذا دليل على أن أبا الطيب كان يحبُّ / « خولة » أخت سيف الدولة ، فأنا أسبقُ منك في الوقوف على هذه الحقيقة . ثم قال لي وهو ماضٍ في قراءة الأبيات الثلاثة الأولى : تُحَذِّ ، يا محمود ، هذا هو الدليل القاطع ! اسمع : (١)

(١) سترى الحديث عن هذه القصيدة في ص : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، فراجع .



رحلتُ ، فكَمْ بِإِكِّ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ      عَلَيَّ ، وَكَمْ بِإِكِّ بِأَجْفَانِ ضَيَّعٍ  
وما رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَائِهِ      بِأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ  
فلو كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ      عَذَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمِّمِ  
رَمَى ، وَاتَّقَى رَمِي ، وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى      هَوَى كَاسِرٍ كَفَى ، وَقَوْسِي ، وَأَسْهُمِي

واستفاض هذا الرجل الكريم في حديثه عن أبي الطيب وخولة ، وهو يهتزُّ اهتزازَ الأريحية ، معيداً إنشاد الأبيات مرة بعد مرة . ثم أغلق الديوان وقال لي : خُذْهُ ، وانتفع بما فيه من الهوامش المعلقة ، وامض على بركة الله ! جزاه الله خيراً ، فليس بيدي أنا جزاؤه ، إلا هذا الذكر ، وهو لا شيء في جانب ما استفدته من تعليقاته ، وما أحدث في نفسي التغيير بعد ذلك في كتابة ما كتبتُ عن أبي الطيب . وأى شيء أعظمُ أثراً في النَّفْسِ ، مَنْ أَنْ تَجِدَ فجأةً رأياً يؤيدك في رأي كنت تخافُ إبداءه والبَّوحَ به ، وإن اختلف طريقتُهما في الاستدلال والاستنباط !!

واستقرَّتْ نَفْسِي استقراراً كاذباً ، فحدثتُ أمين باشا عن الشعر / الجاهلي ، وعن ٦١ طريقي في تذوقه ، وعَرَضْتُ ذِكْرَ امرئ القيس ، فقام من فوره عجباً ، وجاءني بكتاب قديم ( أنسيْتُ اسمه واسم مؤلفه ) ، على الصفحة اليسرى منه نصُّ الكتاب باليونانية ، وعلى اليمنى التي تقابلها ترجمة ما فيها بالإنجليزية ، وأخرج لي الموضع الذي جاء فيه ذكر امرئ القيس وذكر ذهابه إلى قيصر ، وأن هذا يؤيد الرواية العربية في كتبنا . فقلت له : يا سيدي الدكتور ، إنني بما في يدي من الكتب العربية أشدُّ ثقةً ، حتى لا أحتاج إلى مثل هذا الدليل الذي أثبتته هذا اليوناني ! فأصرَّ على أن يعطيني الكتاب لأقرأه ثم أردّه إليه . وقد فعلتُ ، وخرجتُ منه بأن الذي عندنا من الرواية العربية ، لا يحتاج في توثيقه إلى مثل هذا النصِّ ، ولكن .... ، ثم رددت إليه عاريته فيما بعد ، جزاه الله ، خيراً ، فقد كان مُجِبّاً للعرب والعربية ، ومحبّاً لعشيرته وللسانِ أسلافه ، لم يغيِّرْ حُبَّهُ شيءً مما يغيِّرُ الناس . أما نُسخَتُهُ من ديوان أبي الطيب ، فهي لم تزل باقية عندي إلى اليوم ، وعليها تعليقاته ، وزدت أنا عليها تعليقات بخطِّي ، مما قرأته فيما بعد .

عُدْتُ إلى بيتي بعد هذا اللقاء الذي فَجَّرَتْهُ المفاجأة ، وبين جنبي نفسٌ تموجُ  
كمَوْجِ البحرِ تلاطمتُ أثباجه . كنا في العشر الأوائل من شهر رمضان سنة ١٣٥٤  
( أوائل ديسمبر سنة ١٩٣٥ ) ، وجهَدْتُني الهَزَاتِ المتتابةُ التي أخذتني أخذاً عنيفاً  
م ٦٢ فلم تُفْلِتْنِي أَيَّاماً متعاقبة ، والذي لقيته / منها = معَ جَهْدِ الصَّوْمِ ، وقلقِ النَّوْمِ ، وقلةِ  
الرَّاحَةِ ، وغوائلِ الحيرة = كَانَ غَرَاماً وعذاباً ، والعجبُ أن عَزِمْتُ على الكتابةِ كانت  
تزدادُ قُوَّةً وشراسةً ومضاءً ، وأنا أُرَدِّدُ في خَلْوَتِي بصَوْتٍ مرتفعٍ مرةً بعد مرة ، قَوْلُ سعد بن  
ناشبٍ المازنيّ يصف نفسه ، وهي نفس « أَخِي غَمَرَاتٍ » لا يبالى بما هو مقدّم عليه :

إذا هَمَّ لم تُرَدِّعْ عَزِيمَةَ هَمِّهِ ، ولم يَأْتِ ما يَأْتِي من الأَمْرِ هائباً  
إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عَزَمَهُ ، وَكَبَّ عن ذِكْرِ العواقبِ جانباً

ومرَّ نحو أسبوعٍ وأنا لا أجدُ إلى هُدُوءٍ نَفْسِي مَنفَعِداً ، وأخذتُ ديوانَ أبي الطَّيِّبِ  
مرةَ خامسة ، أقرؤه لا أَتَوَقَّفُ ولا أَمْلُ ولا أَهْدأ ، وأنا في خلال ذلك أراجِعُ كُلَّ ما في  
تراجم أبي الطَّيِّبِ وبعض كتب التاريخ والرجال وغيرها ، تبعاً للخواطر التي تنشأ وأنا أقرأ  
الآيات أو القصائد . وفي فجر الثاني عشر من شهر رمضان صليتُ ، فلما جئت آوِىَ  
إلى فراشي ، طار النومُ من عيني ، ومع طيرانه تبدَّدَ القتائمُ الذي كان يُلْقِنِي ، وذهب  
التَّعَبُ وما لقيتُ من النَّصَبِ ، وتجلَّى لي طريقُ بَانَ لي كأني سلكته من قبل مرَّاتٍ فأنا به  
خبير ، وأخذتُ الأوراقَ التي كنتُ كُتِبْتُها واستمهلْتُ فؤاداً في مراجعتها ، فمرَّقتُها وأنا  
على عجلةٍ من أَمْرِي ، ونبذْتُها في صندوقِ القمامة ، وأعددتُ أوراقِي ، وجلستُ على  
مكتبي ، وأخذتُ قلمي ، وسميتُ بذكر الله ، وكتبْتُ في جانب من الصحيفة الآياتَ  
الثلاثة التي تراها في أوَّلِ هذا السفر [ ص : ١٣٧ ] ، والتي أوَّلُها :

/ أَنَا آبَنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْبَاحِثِ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ

م ٦٣

ومضيتُ أكتب ، كَأَنِّي أسطرُّ ما يُمَلَى عَلَيَّ ..... لا حيرة ، ولا بَحْثَ عن  
أُسْلُوبٍ وطريق ، ولا تَرَدُّدَ ، ولا هَيْبَةَ لشيءٍ ، ولا تَحَرُّجَ من غَرَابَةِ ما أقولُ وما أكتب .  
وفرغتُ من الفَصْلِ الأوَّلِ الذي تراه هنا [ ص : ١٣٧ - ١٦١ ] ، وأصبح صباح الثالث عشر من

شهر رمضان ، وأخذتُ أهْبَتِي ، وفارقتُ بيتي ، وقطعتُ الطريقَ إلى دار « المقتطف » ، ودخلتُ على فؤادٍ ، فلقيني كالمُتَجَهِّمِ ، فسَلَّمْتُ ولم أَكَلِّمْهُ إِلَّا قَلِيلاً . فنظر في هذه الأوراق القلائل التي لا تزيدُ على عشر ورقاتٍ !! ثم رفع إليَّ بَصْرَهُ وازدادَ تَجْهُّمَهُ ، وقال : ما هذا ؟ فقلتُ : ادْفَعْ بها إلى المَطْبَعَةِ ! فازدادَ تَجْهُّمَهُ ، ولكنَّهُ رَجُلٌ حَلِيمٌ جَمُّ الْأَنَاةِ ، فسَكَتَ ، وبدأ يقرأ ما كُتِبْتُ ، وظللتُ أراقِبُهُ ، وهو مستغرقٌ ، وجَهَامَتُهُ تنقشع شيئاً فشيئاً ، ولم يكِدْ يفرغُ حتى أَشْرَقَ مُحْيَاهُ إِشْرَاقاً ، وتهلَّلتُ أساريهُ ، واستنار الذي كان بيني وبينه مُظْلَمًا ، وأخذني فشدُّ على يدي . ثم التفتَ وطلب مجيء عم « عبد الرزاق » رئيس المطبعة ، وجُمِعَتِ الصفحة الأولى ، واخترنا لها صورتها التي هي عليها ، كما تراها في أول فصل . وبقيت في دار المقتطف إلى قبيل المغرب ، أَصَحَّحَ ما يُجْمَعُ من الصفحات ، ودارت المطبعة ، وهكذا دواليك يوماً بعد يوم ، حتى كان اليوم الأخير من شهر رمضان . تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ ، وظهر عدد المقتطف في السادس من شوال سنة ١٣٥٤ ، ( أول يناير سنة ١٩٣٦ ) ، ولم يكن من نصيبِي أن أُمسِكَ بيدي أوَّلَ نسخةٍ منه ، لأنَّ أبا الطَّيِّبِ أراد أن يكافئني ، / فعَجَّلَ مكافأتي على أثر الفراغ من الكتاب بالحُمَّى التي ركبته في أواخر أيامه بمصر ، فكانت تغشاه إذا أقبل الليل ، وتنصرف عنه إذا أقبل النهار بعريق ، وتركني أقول لها يوماً بعد يوم كما قال هو لحماه :

أَبْنَتُ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ ، فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الرَّحَامِ !!

\*\*\*

حين تبدد القتام الذي كان يُلْفَنِي ، تجلَّتْ لعيني صورة واضحة كُلِّ الوضوح ، كأنني أخذتُ كتاباً مسطوراً ، فقرأته كُلَّهُ بنظرة واحدة قبل أن يرتدَّ إلى طَرْفِي . وهذه ليست مُبَالِغَةً ، ولكنها حقيقة مجرَّدة ، أَلْفُتُهَا بعد ذلك وعرفتُها مرَّاتٍ ، وأظُنُّ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكُتَّابِ غَيْرِي قد أَلْفُهَا مرَّاتٍ كما أَلْفُتُهَا . وقبل كُلِّ شَيْءٍ ، فاعلم أني إنما أَقْصُ هنا قصَّةَ هذا الكتاب كما كانت ، وأسجِّلُ تجربتي الأولى في تأليف كتاب ، ملتزماً بالصدق ، متجنباً للمبالغة رغبة في حُسْنِ التصوير .

حين قرأت ديوان أبي الطيب مرّات ، وحين قرأت تراجمه التي بين يديّ ، وما تجمّع عندي من أخباره وأخبار عصره وأخبار من لقيهم أو مدحهم من الناس = كانت خلاصة ما انتهيتُ إليه أمران :

الأول : أنّي إذا قرأت تراجمه وأخباره وما كُتب عنه ، رأيتُ رجلاً عاش حياةً غامضةً مضطربةً متناقضةً لا استواءَ فيها ، يعسر فهمُها على وجهٍ صحيح .

والثاني : ثم إنني إذا قرأت شعره جملةً واحدة ، متذوّقاً لكنّي أرى صورةً حيّاته التي يدلُّ عليها شعره ، رأيت صورةً أخرى لرجل آخر ، حركةً وجدانه فيها واضحةٌ كلّ الوضوح ، ولكن صورةً حيّاته هو غامضةٌ كلّ الغموض .

ولذلك ، فقد كنتُ ملفوفاً في قتامٍ مغبرٍّ ، لا أسيرُ خطوةً حتى أدخلُ في قتامٍ أشدَّ غُبرةً . فلما تبدّد عني فجأةً هذا القتام ، كان عمودُ الصورة واضحةً كلّ الوضوح . إلا أنّ عمودَ هذه الصورة لم ترسّمه تراجم المتنبي وأخباره الكثيرة ، بل رسّمها وحدّها تذوّق شعره ، واستنباط معانيه ، ودلالته على شخصيّة أبي الطيب ، فكانت هي المهيمنة على أخباره الكثيرة ، تزيفُ منها ما تزيفُ ، وتصحّحُ منها ما يصحّحُ ، وتجلبوها جلاءً جديداً يجعلها قادرة على أن تجعل حيّاته واضحةً جليّةً مستويةً . وبذلك صار ما صحّح من هذه الأخبار بعدئذٍ ، قادراً هو أيضاً على أن يجعل حركة وجدانه في شعره أشدَّ ظهوراً ، ويجعل صورةً حيّاته التي يدلُّ عليها تذوّق شعره أدنى إلى الوضوح وأبعد من الغموض ، وأقدر على الالتحام بصورة الحياة التي يدلُّ عليها ما صحّح من هذه الأخبار . فكَذلك كان هذا الكتاب الذي بين يديك ، هو الصورة الحيّة لأبي الطيب ، كما رأيتهَا وعاشتْهَا ، وشقيتُ أنا بها ، وشقيتُ هي لي أيضاً ، فيما أظنُّ !

## / عمود صورة المتنبي

٦٦ م

وإذا كان ذلك كذلك ، فينبغي إذن أن أبين « عمود الصورة » الذى بُنى عليه هذا الكتاب ، كيف جاء وكيف تم . فهذا هو « عمود الصورة » التى يتخلق من حوله تخطيطها ومعارفها وقسماتها ، والذى تكمن فيه شخصية أبى الطيب منذ مولده بالكوفة ، ثم تنمو سنةً بعد سنة على مر الأيام والأحداث ، فتفصح هى عنه ويفصح هو عنها ، بعد أن صار شاعراً تراه يغدو بها ويروح حتى يفارق الحياة .

١ - غلام « علوى » النسب ، يولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ، ويقيم بها حتى يصير فتى ، إلى أواخر سنة ٣٢٠ . [ انظر من ص ١٣٧ - ١٩٨ ] .

٢ - خرج إلى الشام ، وفي باديتها أظهر أنه « علوى النسب » ، فقبض عليه وسُجن ، وأقام بالسجن في أواخر سنة ٣٢١ ، إلى سنة ٣٢٣ ، وهذا معناه : إبطال « النبوة » التى زعموها فى الأخبار . [ انظر من ص ١٩٩ - ٢٣٦ ]

٣ - خروجه من السجن ورحلته بعد ذلك فى الشام منذ سنة ٣٢٣ ، وعودته إلى الكوفة سنة ٣٢٥ ، ورجوعه إلى الشام مرة أخرى فى سنة ٣٢٦ ، حتى سنة ٣٣٦ . (١) [ انظر من ص ٢٣٧ - ٢٩٤ ]

٤ - / أول لقائه بأبى العشائر الحمدانى ، ثم لقاء سيف الدولة ، من سنة ٣٣٦ ٦٧ م إلى سنة ٣٤٦ . [ انظر من ص ٢٩٥ - ٣٣١ ]

٥ - حب « خولة » أخت سيف الدولة ، ثم فراقه سيف الدولة إلى مصر من سنة ٣٤٦ إلى سنة ٣٥٤ ، وكانت فيها وفاته . [ انظر من ص ٣٣٣ - ٣٥٦ ]

(١) لم تكن تعرف يومئذ أبى الطيب رحل من الشام إلى مصر فى سنة ٣٣٥ ، فهذا خير حديد جدا ، أوقفنا عليه ابن العديم فى ترجمته رقم : ٤ ، ورقم : ٦٦ . والمقرئ رقم : ١٧ .

٦ - مجيئه إلى مصر ، وبقاؤه عند كافور الإخشيدي ، ثم فراره من مصر ، ورجعته إلى الكوفة ، ثم إلى فارس عند ابن العميد وعضد الدولة ، ثم مقتله - من جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ ، وخروجه من مصر يوم عرفة ( ٩ من ذى الحجة ) سنة ٣٥٠ ، ثم دخول الكوفة سنة ٣٥١ ، ثم سائر رحلته إلى يوم مقتله بالعراق عائداً من فارس في ٢٧ من شهر رمضان سنة ٣٥٤ . [ انظر من ص ٣٥٧ - ٣٩٢ ]

٧ - شخصية أبي الطيّب : منذ كان بالكوفة طفلاً ، ثم صبياً ، ثم فتى يعرف طرفاً من أنه علويّ النسب ، ولكنه مرغمٌ على كتمان هذا النسب . ثم ثورة نفسه واضطرامها في هذه المدة ، ثم يفارق الكوفة إلى الشام ، فينفّس عن ثورته بإظهار علويته ، فيقبض عليه العلويون ويحبسونه ، فيأس من أمر علويته ، فتقلب هذه الثورة إلى ثورة عربيّ نائرٍ لعربيته على حكم الأعاجم الذين يسيطرون على دولة الخلافة كلّها ، فيظل بقية حياته إلى أن يموت ، تحركه هذه الثورة لعربيته ، فأفصحت هذه الثورة / عن نفسها ، وأفصح هو عنها في أبيات كثيرة من شعره ، وأفصحت هي عن نفسها بأساليب مختلفة : في تركه مدح كثيرٍ من رجالات زمانه ، ممن التف حولهم غيره من الشعراء ، كالخلفاء في زمانه [ انظر هذا ص : ٧٣ ] = أو في حركة وجدانه التي يحددها تذوق شعره على مدى أربعين سنة ، من سنة ٣١٤ ، إلى مقتله سنة ٣٥٤ : تحبو حيناً إذا لم يكن له في الذي يمدحه رجاء يرضى هذه الثورة العربية الكامنة في نفسه ، وتثأل حيناً آخر تالفاً ظاهراً حين يكون له في ممدوحه رجاء يحرك هذه الثورة أو يُدني

من بلوغ آماله فيها . هذا جانب من شخصية أئى الطيب الذى أظهره تذوق الشعر وبعض الأخبار .

٨ - أمّا الجانب الآخر من هذه الشخصية ، وهى العواطف التى لا يخلو منها بشر ، كحبّ الأب والأمّ والجدة ، وحبّ الزوجة ، وحبّ الولد والعيال ، وحبّ امرأة يعينها يغلب حبّ هؤلاء جميعاً وينفرُ بسلطانه على النفس - فقد استعلن حبّ الوالدين فى حبّه لجده كما استظهرته بتذوق الشعر وبعض الأخبار فى مواضع متفرقة من الكتاب واستعلن حبّ الزوجة والولد والعيال ، كما تذوّقته من شعره [ انظر ص : ٣١٨ ، ٣١٩ ] = واستعلن حب المرأة فى حديثى عن « حولة » أخت سيف الدولة ، كما تذوّقته فى مواضع متفرقة من شعره ، وإن لم يكن فى أيدينا عنه خبر البتة .

\*\*\*

٦٩ م

### / الفقرة الأولى والثانية

أما الفقرة الأولى من « عمود الصورة » ، والتى تتضمن القول بأن أبا الطيب « علوى » النسب ، والفقرة الثانية التى تتضمن القول بإبطال دعوى « النبوة » وأن « المنتبى » لقب لا غير ، <sup>(١)</sup> فهما متداخلتان . والقول بأن « المنتبى » علوى النسب ، قول لم يسبقنى إليه أحد من القدماء ولا المحدثين ، ولا جاء به خبر يدل عليه ، أو يعين على افتراض هذا الفرض من قريب أو بعيد . فكيف جاء إذن ، وكيف صار جزءاً من « عمود الصورة » ، لا بل هو الصورة كلّها ، فإذا فقدت بطلت فقار « عمود الصورة » جميعاً بطلاناً كاملاً ؟

فى خلال تذوق شعر أئى الطيب ، فى القراءة الأولى والثانية والثالثة ، استرعى انتباهى أمر غريب جدّاً ، لم أجد له تفسيراً قطّ فى أخبار أئى الطيب . وأبو الطيب كوفى ،

(١) انظر ما سياتى فى ترجمته للرمعى رقم : ١ ، ولاى العديم . رقم : ٩ ، حيث روى حراً عن المنتبى نفسه ، فى سب تلقيه بمنتبى . وهو خبر حديد م يقع فى أيدي الناس من قتل .

والكوفة يومئذ دارٌّ من ديار العلويين يكثرُون بها ، فلم يكن غريباً ولا عجبياً أن تكون القصيدة الأولى في الديوان ( وعدد أبياتها : ٤٣ بيتاً ) = هي الأولى ، لأن قبلها مقطوعتان ، أولاهما ثلاثَةُ أبيات ، والأخرى بيتان . وقد نصَّ الديوان على أنها مما قال في صباه = قالها يمدحُ بها رجلاً « علويّاً » هو « محمد بن عبيد الله العلوي » ، قالها فيما م ٧٠ استظهرت سنة ٣١٨ : قبل خروجه من الكوفة ، [ انظر هذا ص : ١٥١ ، ١٥٢ ، والتعليق فيهما ] ، ويتذوّقها رأيتُ أنه من لذات أبي الطيب ، وأنه كان يحبُّه ويحمله ويحفظُ له ما أسدى إليه من معروف أو صنعة . لم يشغلني ذلك كثيراً ، فلما انتهيتُ في تذوّق إلى ما قاله في سنة ٣٣٦ ، حين قدّم على ابن طُغُج بالرملة ، فقال له : إني لفظتُ الناس لما بلغتك ، لفظَ المسافرين حثالة زاده ، إذا نزل أرضاً كثيرة الحَيْر موفورته :

وفارقتُ شرَّ الأرض أهلاً وثريّةً بها « علويّاً » جدّه غير هاشم

أى أن الرجل الذى فارقه دعيتُ من الأدعياء لا علويّ ، فاستوقفتنى ذمُّ هذا « العلويّ » ذمّاً صادراً من نفسٍ جريئة ، ثم لم أكد أمضى في قراءة المقطوعات بعد هذه القصيدة ، حتى رأيتُ شراح ديوانه يذكرون أن ابن طُغُج ظلَّ يحاور أبا الطيب ويداوره ويرجوه مرة بعد مرة أن يقول قصيدة يمدح بها صاحبه : « أبا القاسم طاهر بن الحسن العلويّ » ، فبعد لأيٍ ما استجاب له أبو الطيب ، وقال يمدح هذا « العلويّ » ، ولكنه يذكر في هذا المدح ذمّاً قبيحاً ذمَّ به ذاك « العلويّ » ويفسر سبب ذمّه ، فيقول قبل أن يدخل في المدح :

أتأني وعيدُ الأدعياءِ وأنهم أعدوا لى السودانَ فى كفر عاقبِ  
ولو صدقوا فى جدّهم لحذرّتهم فهل فى وحدى قولهم غيرَ كاذبٍ ؟

فليس إذن ، « علويّاً » واحداً ، بل « علويّون » ، أرصدوا له فتیاناً شداداً سوداً ليقتلوه عند مروره بكفر عاقب ، فى طريقه إلى ابن طُغُج ، ثم أبيات أخرى كثيرة [ انظر هذا ص ١٥٣ - ١٥٨ ] ، فوجدتُ ههنا شيئاً مناقضاً للذى وقرّ فى نفسى منذ أول الديوان . ثم



انطلقت حتى فرغت / من تذوق الديوان ، ولم أر للعلويين بعد ذلك ذكراً صريحاً في شعره . ٧١ م

فلما عزمت على جمع أخبار أبي الطيب وقراءتها كما قلت آنفاً ، [ ص : ٤٠ ، ٤١ ] ، وأخذت رسالة أستاذنا عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، [ انظر ما سلف ص ٣٨ ، تعليق ١ ] وهى « زيادات ديوان شعر المتنبي » دلتنى على ترجمة لأبى الطيب فى خزانة الأدب للبغدادى [ ١ ] . ٣٨٢ وما بعدها ، فاستوقفتنى قول الأصفهاني الذى قال فى ترجمة أبى الطيب : « إن مولد المتنبي كان بالكوفة ، فى محلّة تعرف بكندة .... واختلف إلى كُتّاب فيه أولاد أشرف الكوفة ، فكان يتعلّم دروس العلويّة لغة وشعراً وإعراباً » ، (١) فأيقظ هذا الخبر ما كان خافياً فى نفسى من أمر الملاحظتين السابقتين وتناقضهما . ووجدته أمراً ملحاً أن أطلب فى تراجم أبى الطيب ، وفيما قدّم به لبعض قصائده ، ما يكون من ذكر للعلويين ، أو للكوفة . وفى هذا الطلب وجدت بعض الروايات التى تحدّثنا عن أبى الطيب ، وعن نشأته ، وعن أبيه « عيّدان السقاء » ، وعن « نبوّته » يروى عن رجال من العلويين والهاشميين . ووجدت أيضاً أنّ الذى قبض عليه وسجنه علويّ أو هاشميّ ، وأشياء أخرى متنوّعة . فساورتني الرّيب ، واتمسست تفسيراً لهذا كلّّه . ثم وجدت فوق ذلك أن بعض الذى يروى هذه الأخبار عن العلويين ، كان علويّ الهوى أيضاً ، ومضيت أستقصي وأقلى ، وأتذوق الأخبار ، وأتذوق الشعر مرّة بعد مرّة ، لعلّى أجد شيئاً يهدينى إلى علاقة هذا الكوفيّ الشاعر ، بالعلويين الذين كانت ديارهم هى الكوفة مسقط رأسه ، وفيها منشؤه إلى أن جاوز السابعة عشرة .

/ وبعد تردّد طويل وحيرة ، بين دلالة تذوّق الأخبار ، ودلالة تذوّق الشعر ، لم ٧٢ م أجد مناصاً من أن أفرض فرضاً يزولّ به هذا الغموض الذى يكتنف حياة هذا الشاعر ، ويرفع اللثام عن مكنون شعره الذى دلتنى عليه التذوق . وأخذت هذا الفرض ، وعرضت عليه شعر أبى الطيب كلّّه متذوّقاً متأنّياً ، فلأن لى عصيّه واستقام مُعوجّه ، وأسفر

(١) انظر تصحيح نص هذا الخبر فيما يلى ص : ١٦٧ ، تعليق : ١ .

كل ما كان عليه نقاب وحجاب ، وتحرك كل ما تدوّقه من شعره ، وتحركت معه أخباره . فعندئذ بلغت حدّ القطع بأن أبا الطيب « علوي » النسب فرضاً يشبه الحقيقة !! والفضل في ذلك كله لخبر الأصفهاني الذي ذكر فيه « أولاد أشراف الكوفة » . وقد قام « عمود الصورة » كلها ، كما رأيت ، على هذا الذي ادّعيته ، وليس في يدي شيء غير لفظ الأصفهاني ، ثم دلالات شعر أبي الطيب . وكذلك أعملت هذا الفرض الجريء الذي لا سابق له عند أحد من كتب عن أبي الطيب ، وجعلته محور حياته كلها إلى أن قُتل ، فكنْتُ أول من شك في نسب أبي الطيب الذي رواه الرواة ، ولكنني لم أقف عند الشك المجرد ، كما ذهب إليه من قلّدي ، <sup>(١)</sup> بل أبنت عن علّة الشك ، لأثبت مكانه حقيقة أخرى ، دلّني عليها شعره ومواقفه في حياته كلها ، مما كان له ارتباط وثيق بعلة الشك .

وظهر كتابي بعد ذلك ، واستنكر عليّ كثير من الناس ما قلّت ، حتى أستاذي الرافعي ، فإنه تردّد في قبوله ، ولكنه لم يستطع أن يجد حجة تردّ قولي ، كما أخبرني بذلك ، بعد أن كتب كلمته عنه في الرسالة [ هنا ص : ٥٧٧ ] ، وقال لي : إني لم أستطع أن أذكر « علوية » أبي الطيب صراحة ، وقنعت بأن أقول إن روح أبي الطيب كانت تلازم الكاتب : « تدلّه في تفكيره ، وتوحى إليه في استنباطه .... وتبصره أشياء كانت خافية وكان الصدق فيها ، ليردّ بها على أشياء كانت معروفة وكان فيها الكذب » ، وقال : أليس هذا كافياً ؟ هذه موافقة على رأيك ، وفيها توثيق متلفّع بالحدّر ! وليت الرافعي لم يحدّر !

فقد مضت الأعوام من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥٨ ، وقد نسيت المتنبي وأهملت كل ما كتبته عنه ، وذات يوم دخل عليّ يتهلّل وجهه ، وتنير أساريره ، صديقي وتلميذي ، وأستاذي فيما بعد ، الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، وهو اليوم عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومدّ إليّ يده بورقات مكتوبة بخطّه ( ١٢ ورقة ) ، نقلها عن ظهر نسخة

(١) هو الدكتور طه حسين . كما ستري في هذا الكتاب ، وانظر ص : ١١٣ ، س : ٥ - ٩ .

مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية من كتاب « الإبانة عن سرقات المتنبي » ، لأبي سعد محمد بن أحمد العميدى ( توفى سنة ٤٣٣ هـ ) ، ونقلها ناسخ النسخة من تاريخ دمشق لابن عساكر ( ٤٩٩ - ٥٧١ هـ ) وقال في أولها : « هذه نبذة من أخبار أئى الطيب المتنبي رحمه الله تعالى ، مما أورده ابن عساكر في ترجمته » ، ومجرد وجود ترجمة للمتنبي منقولة عن تاريخ دمشق لابن عساكر ، كنز لا يقدر ، لأن تراجم الأحمدين ( أى من يسمّى أحمد ) ، مفقودة من جميع مخطوطات تاريخ دمشق ، وقد نشرتها في آخر كتابى هذا بعنوان « أربع تراجم للمتنبي » .

م ٧٤ / أمّا المفاجأة التى ملأت نفس أخى بشراً ، وأنارت أساريره بشاشة ، والتى هزنتى فأيقظت ما مات بالإهمال من أمر المتنبي ، فهو ما نقله ابن عساكر عن أئى الحسن الربيعى صاحب أئى الطيب فقال :

« الذى أعرفه من نسب المتنبي أنه : أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي ، وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمئة ، وأرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله »

[ ترجمة ابن العديم رقم : ٣ ]

وكانت مفاجأة مذهلة ! <sup>(١)</sup> ومضت أعوام بعد ذلك ، وفي سنة ١٩٦٢ ، فيما أذكر ، تلقيت أيضاً من أخى الكريم أحمد أوراقاً مصورة من كتاب ابن العديم ( ٥٥٨ - ٦٦٠ هـ ) « بغية الطلب » من نسخة بخط ابن العديم نفسه ، محفوظة بمكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية ، وهى من الجزء الأول ، وفيها ترجمة أئى الطيب ( من الورقة ٢٥ إلى الورقة ٥٢ ، إلا الورقة رقم ٤٤ ، فهى بياض بالأصل ، أى اثنتان وخمسون صفحة ) ، وهى أطول ما عندنا من تراجم أئى الطيب ، وقد نشرتها في آخر هذا الكتاب في « أربع تراجم للمتنبي » . فكانت لى فى هذه الورقات مفاجأة أخرى ، بل مفاجآت أخرى كثيرة ، لأنها تتضمن ، قبل كل شئ ، توثيق ما جاء فى ترجمة ابن عساكر المسطورة على ظهر كتاب ، توثيقاً يرفع كل ريبة ! قال ابن العديم :

(١) بل ستأتى مفاجأة أعظم ، وهو نص كلام المتنبي عن نفسه فى الترجمة الأولى المقولة من نسخة من

شرح الواحدى على ديوان المتنبي .

م ٧٥

« أخبرني صديقنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي ، مولى  
 / الحمويّ البغدادي قال : رأيت ديوان أبي الطيب المتنبي  
 » بخط أبي الحسن عليّ بن عيسى الربيعي ، قال في أوله :  
 » الذي أعرفه عن أبي الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن  
 » مرة بن عبد الجبار الجعفي ، وكان يكتُم نسبه ، وسألته عن  
 » سبب طيّه فقال .... وهذا الذي صحّ عندي من نسبه ،  
 » قال : واجتزأت أنا وأبو الحسن محمد بن عبيد الله  
 » السّلاميّ الشاعر ، على الجسر ببغداد ، وعليه من جملة  
 » السّؤال رجلٌ مكفوف . فقال لي السّلامي : هذا المكفوف  
 » أخو المتنبي ! <sup>(١)</sup> فدنوتُ منه فسألته عن ذلك فصدّقه ،  
 » وانتسب هذا النسب وقال : « ومن هنا انقطع نسبنا » .  
 » وكان مولده بالكوفة سنة ثلاثٍ وثلاثمئة ، وأرضعته  
 » امرأة « علوية » من آل عبيد الله » . [ سياق في ترجمة ابن العديم

[ رقم : ٨ ]

وإذْنُ بالفرض الذي افترضته ، والذي استثاره خبرٌ لا يعينُ ظاهرُ لفظه ، إذا  
 انفرد ، على مثل هذا الفرض ولا يوجّه إليه ، وهو قول الأصفهاني : « واختلف [ يعني أبا  
 الطيب ] إلى كُتَابٍ فيه أولادُ أشراف الكوفة » ، = لم يكنْ جُزْأً محضاً ، كما قال لي  
 م ٧٦ يومئذ مواجهاً ، أحد الأساتذة الذي / كتب بعدى كتاباً عن المتنبي صدر بعد كتابي  
 بأشهر ، وعارضني في كتابه متجاهلاً لما كتبتُ ، فلم يذكرني إلا مرةً واحدةً فقال

(١) أخو المتنبي لم يذكره أحد من مترجمي المتنبي ، لا قديماً ولا حديثاً بلا شك ، فهذه مفاجأة أخرى . ثم  
 وجدته مذكوراً فيما بعد في تكملة تاريخ الطبري للهمداني الأول : ١٩٥ من خبر مروى عن أبي الحسن محمد بن  
 يحيى الزيدى العلوي .

عَنْي : « كاتب المقتطف » . (١) لم يكن جُزَافاً ، بل كان دليلاً على أن منهجى الذى انتهجته منذ قضية الشعر الجاهلى ، فى قراءة الشعر وتذوقه ، وجعله مهيمناً على الأخبار ، كما قلت آنفاً = كان منهجاً مستقيماً ، لا فى دراسة الشعر فحسب ، بل فى نقد الأخبار أيضاً ، وإدراك دلالتها على فساد نية رواتها أو سلامة هذه النية ، كما تراه مفصلاً فى كتابى هذا !

أما هذا النصُّ المفاجىء ، فهو صريحُ الدلالة على عُمقِ علائقِ أبى الطيب بالعلويين منذ كان رضيعاً بين حرائر نسائهم اللواتى أرضعته ، أو أرضعته إحداهن ، إلى أن نشأ وتعلم فى كتاب فيه أولادُ العلويين الأشراف ، إلى أن صار فتى فى الخامسة عشرة ، يمدحُ علويًا ، من آل عبيد الله أيضاً ، كما رأيت . هذا النصُّ هو الذى نصرَ فرضى نصرًا مؤزرًا ، وألحقه بالحقيقة المقررة ، كما توقع الأستاذ فؤاد صروف فى مقدمته .

وإذن ، فالمنتبى ، الذى وُلِدَ بالكوفة ، دار العلويين ، واختلفَ إلى كُتَّابٍ فيه أولادُ أشرافها العلويين = إلّا يكن « علوى » النسب من أنفسهم صليبةً ، فهو « علوى » ، رَضاعاً ، (٢) أى هو أخوهم من الرضاع ، والرضاع لُحمةٌ كلحمة النسب ، ولذلك حَرَّمَ الله به ما يحرمُ النسبُ . وكذلك يكونُ / بعد ذلك عجباً من العجب : أن يكون أوَّلُ شعره ، وهو فى الخامسة عشرة من عمره منبثاً عن حُبِّ ظاهرٍ لثريه « محمد بن عبيد الله العلوى » وللعلويين جميعاً ، فهو :

خيرُ قريش أباً وأجدُّها ، أكثرُها نائلاً وأجودُها  
تاجُ لؤى بن غالب ، وبه سما لهُ فرعه ومَحْتِدُها  
قد أجمعتُ هذه الخليفةُ لى ، أنك ، يا أبَنَ النبىِّ ، أوَحَدُها

(١) هو الأستاذ عبد الوهاب عزام ، صاحب كتاب : « ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام » .

(٢) قد فوجئت ، كما قلت ، بنص المنتبى نفسه على المرأة التى أرضعته ، انظر التعليق السالف ص : ٥٥ .

وَأَنْتَ ، بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً ! ، شَيْخٌ مَعْدٍ وَأَنْتَ أَمْرُهَا (١)

= ثم تدلنا الأخبار بعد ذلك عن تمتعه وتخرجه من مدح علوي آخر في سنة ٣٣٦ !! لا ، بل في إصراره على أن يعرض ببعض العلويين الذين أرادوا قتله بكفر عاقب ، ويسمّهم « الأدعياء » ، ثم يرمى بهذا كله في وجه العلوي الذي اضطره ابن طفيع إلى مدحه ، كما أسلفت . لا ، ليس هذا فحسب ، فإن المتنبي يومئذ لم يبلغ من الشهرة مبلغاً ( سنة ٣٣٦ ) ، ومع ذلك فإن هذا الشريف العلوي يتلقاه بعد تمتعه ، فيقوم له عن مجلسه أمام الناس ، ويُجلّسه ويُجلّس هو بين يديه يسمع هذا الشعر ، حتى عجب الناس مما فعل من فعل / غير معهود ، ثم يجزّل له العطاء ، ويقول أحد شهود هذا المجلس : م ٧٨ « ما رأيت ولا سمعت أن شاعراً جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبي الطيب » ! هذا كله عجب يستخرج دهشة المتأمل .

= لا ، بل إن ابن العديم نفسه ، أيّدني في نقد الخبر رقم : ٦٧ [ انظر ص : ٦٧٥ ] ، فقال : « وسنذكر في ترجمة طاهر بن الحسن بن طاهر ، حكاية عن الخالدين ، ( قلت أنا : كانا صاحبين للمتنبي ، وهو مع سيف الدولة ) ، تدل على أن المتنبي كان مخالفاً للشيعة » ، فهذا تأييد أكبر لما استظهرته من عدواته لهم .

= لا ، بل إنه يروي أيضاً في الخبر رقم : ٥٠ ، [ و ترجمته لستى ] ، حديثاً جرى بين المتنبي ، وبين بعض أشرف الكوفة ، رواه الإمام أبو الحسن علي بن محمد الفصيحى ( ٠٠٠ - ٥١٦ هـ ) فقال : « قدم بعض الأشراف من الكوفة ، فدخل إلى مجلس فيه المتنبي ، فنهض الناس كلهم سوى المتنبي ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال بالكوفة وما تجدد هناك ، فقال المتنبي : يا شريف ، كيف تحلّفت

(١) هو اختيار من أبيات القصيدة جعلته متتابعاً . وقوله « وأنت » مخففة النون من « أنك » المشددة . وضطت أنا « شيخ » بالضم ، على خلاف ما هو مصبوط في جميع دواويه ، على أنه خبر « أن » كأنه قال : قد أجمعت هذه الخبيقة أنك أوحد قریش ، وأنت شيخ معد وأنت أمردها ، وبالأمس كنت محتتماً ! - على التعجب المعترض بين « أن » وخبرها . وانظر ما قالوه في إعراب « شيخ » على أنه خبر « كنت » ، وأن « محتتماً » حال من كنت . وما في ذلك من التوجيه في شروح الديوان .

الأسعار بالكوفة ؟ فقال : كُلُّ روايةٍ برطلين خُبِرَ ! فأخجله ، وقصد الشريف أن يعرِّض  
بأنَّ أباه كان سقَّاءً »

فهو ، كما ترى ، لم يَقم للشريف الكوفي وقد قام أهل المجلس ، على غير ما يوجبهُ  
أدب المجالس ، وهذا دليلٌ على ازدراء طافح ، وشَتَّانٍ مضطرم / في أغوار النفس . ولو م٧٩  
سكت المتنبي فلم يسأله كما سأله سائر أهل المجلس ، لكان تركُ القيام كافياً في إظهار  
ما في نفسه لهذا الشريف الكوفي ، وفي إيذائه علانيةً ، ولكنه أراد أن يشفى غليل ازدرائه  
وشَتَّانه ، بالهُزء به والسخرية مواجهةً وكِفاحاً ، فابتدر مع ذلك أيضاً يسأله كما سأله  
أهل المجلس ، وتَرَكَ السؤال عن أخبار مسقط رأسه التي تجددت منذ فارقها قديماً ،  
وسأله عن أسواق الكوفة وأسعار البيع والشراء فيها ، استهزاءً به ، وإنزالاً له من منزلة  
« الأشراف العلويين » إلى منزلة سماسرة الأسواق وتجارها !! وكان في هذا الخبر أيضاً الدليل  
البينُّ على أن مصدرَ القول بأنَّ أبا المتنبي كان « سقَّاءً » يبيع الماء بالكوفة ، هم هؤلاء  
العلويون أيضاً ، كما يَبَيِّنُ ذلك في كتابي هذا [ ١٢٧ - ١٥٠ ] ، وذلك يَبَيِّنُ في جواب  
الشريف العلوي الذي أجابَهُ به .

وهذه كُلُّها أدلةٌ متظاهرةٌ جاءت من وراء الغيب ، لكي تدلَّنِي على أن منهجِي في  
« التذوق » يفضي إلى كشف الحُجُب عما طَمَره غُبار السنين ، وما يسترهُ تكذُّبُ الرواةِ  
ذوى الأهواء = وأتَّى كُنْتُ ، بتوفيق الله ، مُصِيباً في قَرَضِي « علوية » أئى الطَّيِّب ،  
مستهدياً بهذا التذوق = وأتَّى حين أعملتُ هذا الفرضَ وحكمتُهُ في نقد أخبار نبوتِهِ [ هذا  
السفر ص : ١٩٩ - ٢١٢ ] ، وانتهيت إلى رفض « النبوة » رفضاً باتاً بلا مثنوية ( أى بلا  
استثناء ) ، كنتُ موفقاً بحول الله وقوته ، ولم أكن جائراً عن الحق ، حين عددتها ممَّا  
أفتعل افتعالاً ، وأقحم في خلال الأخبار التي ذُكر فيها أنه ادَّعى « العلوية » / إقحاماً م٨٠  
خبيثاً ، لستر الحقيقة التي تضمنتها هذه الأخبار ، وذلك كالخبر الذي يقول إن المتنبي :

« ادعى أنه علويّ ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدّعي أنه علويّ » ، <sup>(١)</sup> وسياقه يدلّ على أنه أُذخِلَ في باب « المُحال الكذب » ، من المثل الذي ضربه سيبويه حيث قال : « وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس » [ انظر نقده في هذا السفر : ١٩٩ - ٢٠٨ ]

ولما صار الأمرُ بيننا يومئذٍ عندى ، أتممت القول في الفقرة الثانية من « عمود الصورة » [ هذا ص : ٢١٥ - ٢٣٥ ] ، وهو سياق مهمٌ جداً ، لأنّى ضمّنته أظهر عُنصر في شخصية أبى الطيب ، كما وصفتها في الفقرة السابعة [ انظر ما سلف ص : ٥١ ، ٥٠ ] ، حين تحوّل من « علويّ مطالبٍ بنسبه » إلى « عربيّ ثائر لأُمته » .

وأختم قولي هنا بشيء لا يسوؤنى ، ولكنى أعيبه على كثير ممن يكتب عن المتنبي ، حين يذكر أمر « العلوية » فيما يكتب ، كأنها مسألة مقرّرة متفق عليها في الذي تلقيناهُ عن رواة أخبار المتنبي من القدماء ! فإذا بدا لأحدهم أن يذكر مرجعاً ، لم يذكر إلا مرجعاً نقل عني هذا الرأي واستخدمه فيما يكتب !! وأنا لا أبالي بهذا الإغفال ، لأنّ الإغفال لا يقدح في عملي ، / وإلّا يقدح فيهم هم أنفسهم ! ولكن ، هكذا زماننا وأهله ، كما وصفته ، ووصفتهم في أوائل هذه القصة .

\*\*\*

(١) ناقش الأستاذ عبد الوهاب عزام في كتابه عن المتنبي أخبار هذه النبوة ، فصار يتابعني خطوة خطوة ، دون أن يشير إلى كتابي ! ولم يستكف ، حين ناقش هذا الخبر ، أن يأخذ عني لفظ « الإقحام » حيث قال : « فدعوى النبوة فيه مسبوقه وملحوقه بدعوى العلوية ، وكأنها مقحمة في الرواية » ، وعلى أنها عبارة سيئة ، فهي فعل سيء أيضاً !! وانظر هذا السفر ص : ٢٠٨ ، ص : ٢٠ ، ثم ص : ٢١٣ ، ص : ٧ .



## ( ٣ ، ٤ ، ٧ ) الفقرة الثالثة والرابعة والسابعة

كانت « علوية » أبنى الطيب فرضاً فرضته ، واستدللت عليه بأدلة يثبتها في كتابي ، ثم أصبحت الآن ، بحمد الله ، أشبه بالحقيقة كما رأيت آنفاً . وكان التناقض ظاهراً بين شخصيته التي يكونها تذوق شعره ، وبين شخصيته التي يدل عليها تذوق أخباره ، فصار الفرض الذي فرضته قادراً على إزالة هذا التناقض ، وعلى كشف بعض الغموض الذي يحيط ببعض شعره وبعض أخباره . وكان من أخباره التي حيرتني أن أبا الطيب كان « يكتُمُ نسبهِ ويَطويه عن الناس » ، وكانت هذه حقيقة يدل عليها تذوق شعره دلالة يثبتها ، بل أكثر من ذلك : أن الشعر والأخبار جميعاً يدلان على أنه كان يُسأل عن نسبه . أما شعره ، فيجيب سائله بالازدراء والازرار والتعالي والثقة ، وأن فخره بنفسه لا يجلوده ، وإن كانوا هم فخر العرب جميعاً ، وأشبه ذلك في مواضع متفرقة من شعره صغيراً وكبيراً . وأما أخباره ، فالسائلون عن نسبه يزعم كل منهم أنه أجابه بجواب عن علة كتمان نسبه ، وهي أجوبة متباينة غير مقنعة ، كما تراه في أخباره ، ولكنها تحمل أيضاً معنى الدلّ / والاستخذاء والحيرة ، وهو تناقض مُريب . هذا على أن « كتمان النسب » ، هو في ذاته أمرٌ محيرٌ ، فإنني لم أجده مثيلاً أو شبيهاً في تراجم الشعراء ، ولا في تراجم الرجال ، لا في عصره ، ولا فيما قبل عصره . وإذا كان الكتمان مما يجوز أن يفعله الرجل مرةً أو مراتٍ ، وهو يجوب البوادي ويطويها ، فإنه غير جائز ولا مفهوم أن يفعله رجلٌ ولد بمدينة كالكوكة ، ونشأ بها ، وبقي فيها حتى بلغ السابعة عشرة من عمره ، فأهلها يعرفون من هو = فإذا ما نزل مدينة أخرى كالمدن التي أقام بها في الشام أو في العراق أو في مصر ، كتم هذا النسب ، ولعل آفاً من أهلها ينتسبون إلى نفس القبيلة التي ينتسب إليها ، ولكنهم لا يكتُمون أنسابهم كما يكتُم هو نسبه ، ولا يتخوف أحدهم ثأراً ولا طائلةً من أحدٍ ، فأى شيء يلجئ إلى الكتمان ؟

كان هذا « الكتمان » غريبة من الغرائب ، ولم يصبح جائزاً أو مفهوماً إلا مع الفرض الذي فرضته . فكَذلك صار كتمان أبنى الطيب نسبته « العلوية » ، وصارت أسبابه

وعله ، جزءاً لا يتجزأ من شخصية أبي الطيب ، لأن النسب « العلوي » ليس عارضاً يزول بزوال أسبابه ، بل هو لاحق لمن وُلِدَ « علوياً » ، وهو قائم أبداً في نفس صاحبه لا يزائله ، سواءً عادى « العلويين » وكرههم ، أو صادقهم وأحبهم . فإذا كان صاحبه مرغماً على إخفائه وكتامه ، ولكنه مُصِرٌّ إصراراً على محاولة إظهاره ، كما فعل أبو الطيب ، ثم طوّقته أغلالُ ثوروده ، فلا شكَّ عندئذ في ظهور أثر هذه المعاناة في حياته وفي شعره خاصةً .

٨٣ م / وعلى ذلك ، فقد صار لزماً عني أن أعود فأرتب شعره كله منذ سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٣٦ ، وهو القسم الأول من الديوان ، ترتيباً جديداً يجعل حركة وجدانه في شعره متسقةً مفهومة ، على اختلاف أحواله ورحلاته في مدة تزيد على عشرين سنة من حياته . فلما فعلت ذلك ، تبين لي ، في إعادة قراءة الديوان ، أن أكثر الغوامض المهمة في ديوانه قد تبددت وزالت ، وتجلت لي شخصية أبي الطيب واضحة ، وصارت حركة وجدانه في شعره ظاهرة متسقة في ترددها بين الثورة والخمود حيناً ، وبين الأمل واليأس حيناً آخر ، تبعاً للأحداث التي مرَّ بها في خلال عشرين سنة ، وهي أحداث لا نكاد نجد في تراجمه خبراً يدلُّ عليها ، وإنما يستنبطها تذوق شعره لا غير . وعندئذ تبين لي سياق هذا « الكتان » الذي لا أجده له شبيهاً أو مثيلاً في عصره ، فإنَّ أبا الطيب وُلِدَ بالكوفة في ديار العلويين ، وبقي بها حتى كبر ، وفي سنة ٣١٧ تقريباً مدَّح علوياً مدحاً يدلُّ على شدة التعلق والحبِّ وحفظ جميل أياديه عليه ، [ انظر ما سب قريباً ص : ٥٧ ، ٥٨ ] . ثم علم بعد زمانٍ من جدته أمر « علويته » ، فقلق وأنف أن يبقى أمرها مكتوماً ، ولكنه لم يستطع إلا أن يفارق الكوفة إلى الشام في أواخر سنة ٣٢٠ ، وحاول أن يظهر أمر « علويته » ، فجمع جمعاً من المقاتلة تنصُّره على إظهار نسبته العلوية ، فأخذ وسجّن .

٨٤ م وهو حين دخل السجن في سنة ٣٢١ ، إنما دخله « علوياً » مُطالِباً بإظهار نسبته إلى « العلويين » ، وكان الذين أدخلوه السجن وقيّدوه وآذوه / وسأموه الحُسنف جماعةً من « العلويين » . والذي لقيه من السجّن وفي السجّن على أيديهم ، كانت قسوته وشراسته

كافية في تذكيره بقوة هؤلاء « العلويين » . فلما أُطلق سراحه وخرج في سنة ٣٢٣ ، خرج من السجن « علويّاً » كارهاً للعلويين مُزوراً عنهم ، أو كما يقول ابن العديم : خرج « مخالفاً للشيعة » ، وأضمر هذه الكراهة وانطوى عليها .

ولكن جدته استدعته بعد ذلك إلى الكوفة ، فترك الشام ، سنة ٣٢٥ تقريباً ، وبقي بالكوفة زمناً ، ولكنه أكره على الخروج منها ، فعاد إلى الشام في سنة ٣٢٦ ، ثائراً يائساً ، يملأ شعره تهديداً ووعيداً ، ولكنه لا يملك إلا « الكتان » ، وما هو إلا التلويح دون التصريح ، فلم يأت في شعره الذي قاله منذ سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٣٥ لا للكوفة ولا للعلويين ذكراً ، ولا لمطالبته بإظهار نسبه بياناً .

ثم إذا بنا نفاجأ في سنة ٣٣٥ ، بشعر فيه تهديد ووعيد ومطالبة ظاهرة ، وذلك حيث خالف سنة الشعراء ، فافتح مديح على بن سيّار بن مكرم التيمي ، بمدح نفسه أولاً ، في قصيدته التي أولها :

أقلّ فعالي ، بلّه أكثره ، مجدٌ      وذا الجدّ فيه ، نلتُ أو لم أنل ، جدُّ  
سأطلبُ « حقّي » بالقنا ومشايخ      كأنّهم من طول ما ألتشمو مُردُّ (١)

/ وهذا سَعَى وعمل وتهديد ووعيد ، وأنه سوف يطلب حقه بالسيف . ثم نفاجأ م ٨٥ مرة أخرى بذكر « العلويين » في سنة ٣٣٦ ، بعد مضي ثلاث عشرة سنة ، منذ خرج من السجن سنة ٣٢٣ ، وأنّ العلويين كانوا قد أعدوا له السودان بكفر عاقب ليقتلوه ، وهو في طريقه إلى ابن طغج ، [ انظر ما سلف قريباً ص : ٥٢ ] . ولا نكادُ نعلم لذلك سبباً البتة في أخباره ، لم فعلوا ذلك ؟ بيد أن قصيدته التي قالها في رثاء جدته ، تكشف النقاب عن هذه الحادثة وتدُل عليها وتفسرها .

وذلك أن جدته أرسلت إليه قبل ذلك بسنة تقريباً ، سنة ٣٣٥ ، تَسْتَجْفِيهِ وتشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ( من عشر سنوات ، سنة ٣٢٥ ) ، فتوجه إلى

(١) راجع القصيدة في ديوانه ، فهي كثيرة الدلالات على ما نقول .

العراق ، فمنعه « العلويون » من دخول الكوفة ، فأرسل لها كتاباً يسألها المسير إليه ، حيث مُنع وحُيس عن دخول الكوفة ، فقُبِلَت الكتاب وفرحت فرحاً غامراً ، فلما أرادت أن تفعل ، أبلغها العلويون أنه قد مات ، فحَمَّت وماتت غماً . وملاً أبو الطيب مريته لجدته بمعانٍ كثيرة ، يُفسِّرُها ويكشف غموضها الفرض الذي كنت افترضته ، والذي صار الآن أشبه بالحقيقة كما قلت .

وتمرُّ الأحداثُ بعد ذلك ، والنسب المكتوم يحرِّك وجدانَ أبي الطيب ، وتتحوَّل شخصيته تحوُّلاً ظاهراً غريباً بعد ذلك ، كما سأفسِّره ، ويبقى منعه من دخول الكوفة ، الذي أدَّى إلى وفاة جدته ، كامناً يحرِّك وجدانه ، حتى إذا كانت سنة ٣٥١ ، أي بعد ست عشرة سنة ، حين خرج من مصر ، / وقطع الفيافي والفلوات حتى بلغ الكوفة ، فدخلها ظافراً مُراعماً للعلويين الذين سأموه الخسف من قديم ، فلم يكد يدخلها حتى قال :

فَلَمَّا أُنْحِنَا رَكَزْنَا الرُّمَّا      حَ بَيْنَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى  
وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا ،      وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَائِ الْعِدَى  
لِنَعْلَمَ مَصْرُ ، وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ،      وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ ، أَتَى الْفَتَى  
وَأَتَى وَفَيْتُ ، وَأَتَى أَتَيْتُ ،      وَأَتَى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا  
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى ،      وَلَا كُلُّ مَنْ سَيِّمَ خَسْفًا أَبِي

وهذا بينٌ جدًّا ، كما ترى . ولكن ..... ولكن لم يكن « كتمان العلوية » هو وحده سرُّ الفقرة الثالثة من عمود صورة أبي الطيب ، بل كان له قرينٌ آخر لا يقلُّ عنه قوَّةً وتحريكاً لوجدانه في شعره كُلِّه ، بل لعلَّه كان أقوى منه وأعمق أثراً في حياته .

فالمُتنبي ، قد وُلِدَ بالكوفة سنة ٣٠٣ وبقي بها إلى أن جاوز السابعة عشرة من عمره سنة ٣٢٠ تقريباً ، وقال الشعر صغيراً ، من سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٢٠ . ومع ذلك ، فالذي أثبتته في ديوانه من شعرٍ قاله في مدة مُقامه بالكوفة صبيّاً لا يزيد على ٩٤ بيتاً : سبع مقطوعات عدد أبياتها ٣١ بيتاً ، وقصيدة تفكَّه بإثباتها في شعره متندراً برجل

كوفى يدعى الفلسفة وأبياتها ٢٠ بيتاً ، وقصيدته التى مدح بها العلوى الكوفى ، وهى ٤٣ بيتاً . وهذه القصيدة والمقطوعات السبع ، تدلّ جميعاً على همّة متميزة فى إتقان الشعر / منذ هذا الزمن المبكر ، وتدلّ أيضاً على همّة عالية موفورة الجِدِّ ، وعلى ثقة شائخة<sup>٨٧ م</sup> بالنفس ، وعلى طموح بعيد لا يتردد . ومع ذلك ، فهذا الشاعر المتقن العالى الهمّة الطموح والواثق بقدرته ، لم يحركه ما حرك مئآت من أقرانه الشعراء وغير الشعراء ، إلى فراق الكوفة الصغيرة الفقيرة تطلّعاً إلى المجد والشهرة والصيت فى بغداد عاصمة العواصم ، ومقرّ الخلافة ، ومجتمع أصحاب السُلطان والثروة والجاه .

لا ، بل قد دخل بغداد ، حدثنا هو بذلك فى خبر روى عنه ، ذكرته فى هذا السفر [ ١٩٢ - ١٩٤ ] ، وحدثنا به ابن جنى أيضاً فقال : أخبرنى بعض أصحابنا قال : جىء بالمتنبى = يعنى شاعرنا = إلى أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ، فقيل : إنّه شاعرٌ . فقال : أنشدنا ، يا فتى ، شيئاً من شعرك . فأنشده المتنبي :

مِتْ إِنْ لَمْ تَأْخُذُوا بِدَمِي ، يَا لَقَحْطَانِي وَيَعْرِيَّة

قال : فمسح ابن دريد يده على رأسه وقال : لا ، بل نأخذ بدمك . (١)

وابن دريد كان ببغداد سنة ٣٢١ ، وكان دخول المتنبي بغداد ، كما استظهرته فى كتابى ، سنة ٣١٩ ، أو ٣٢٠ . [ انظر هذا السطر ص ١٩٧ ] . ومع أنه دخل بغداد وهو شاعرٌ<sup>٨٨ م</sup> طموح يريد أن يتألق ، فإن عظمتها وفنتها لم تأخذ بلُبه ، ولم يفكر ساعة فى المقام بها يزاحم شعراء الكبار الذين حازوا مجدهم ببغداد ، وفارقها إلى الشام ، لا « علوياً » يطالب بإظهار نسبه فحسب ، بل فتى « عريئاً ثائراً » منكراً للذى رآه فى بغداد من استيلاء الأعاجم على سلطان الخليفة العربى ونحوئهم له حتى تركوه بلا سلطان ، وكأنه

(١) هذا الخبر نقلته من مجموع أوراق لابن جنى ، محفوظ بالأسكوريال تحت رقم : ٧٧٨ باسم « كتاب مجموع فى علم البلاغة » . وهذا البيت ليس فى ديوانه ، ولا فى زوائد الراجكوتى ، وهو من شعر صباه الذى أسقطه المتنبي من ديوانه أو نسبه .

بعدئذ جعل إظهار علويته وَسِيلَةً يَتَذَرُّعُ بها لجمع الجموع ، ويشارك في هذا الصِّراع على السلطان ، فلعلّه يصيبُ نجاحاً . وهو ، لعرويته وعلويته ، أخلق من هؤلاء بالسلطان .

وأنت إذا قرأت القصيدة الثانية عشرة في ديوانه ، بعد التسع التي ذكرناها آنفاً [ ص: ٦٤ ، ٦٥ ] ، تراها دالّة على هذه المعاني ، وقالها قبل أن يقبضَ عليه ويسجن ، فهو يذكر فيها رِحْلته من الكوفة إلى بغداد إلى الشام ، وإقامته بأرض نَحْلَة « كمقام المسيح بين اليهود » ، ويذكر إعداد نفسه للقتال ، وأنَّ فَضْلَه الذي يفضّله على الناس لا يقنع « بعيش معجّل التنكيد » ، ويحدّث نفسه بالعزّ والعلبة ، ويحدّث عن شرفها المُعْنيهِ عن الفخر بالجلود ، وهم فخر الناس جميعاً ، ويقول :

عِشْ عَزِيراً ، أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ      بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُتُودِ  
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي ، وَدَعْ الدُّلَّ      وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُودِ  
إلى أن يقول :

إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا ، فَعَجَبٌ عَجِيبٌ      لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ

م ٨٩ / ثم لا يزال الأمر به حتى يدخل السّجن ، ويعلم علمَ يقين أن أمر إظهارِ علويته مرة أخرى ، دونه متالف وسدود ، فلا يزال يتردّد بين الرجاء واليأس من ظهور علويته منذ خرج من سجنه ، ولكنه لم ييأس من أن يجد في أصحاب السطوة والشوكة عربياً يشفي ما في نفسه من الغيظ على الأعاجم الذين استفحل سلطانهم على الخلافة ، وخاصة منذ رأى الفتى العربيّ الثائر الذي أوقع بعمر بن حابس من بنى أسد ، وبنى ضبّة وبنى رياح من تميم ، والذي أثار إعجابه ، فقال فيه قصيدة لم ينشدها بين يديه ، وإنما بقيت محفوظة عنده ، حتى أثبتّها في القسم الثاني من ديوانه . [ انظر ما سبّ ص: ٣٨ ، واتعلق هناك ] كان ذلك في سنة ٣٢١ قبل سجنه ، وكان الفتى هو سيف الدولة في أوّل نشأته ، فقال له :

وَتَعَدُّرُ الْأَحْرَارِ صَيَّرَ ظَهَرَهَا ،      إِلَّا إِلَيْكَ ، عَلَيَّ ظَهَرَ حَرَامٍ  
( أَنْتَ الْعَرَبِيَّةُ ) فِي زَمَانِ أَهْلِهِ      وَلِدَتْ مَكَارِمُهُمْ لغيرِ تَمَامٍ

وتمضى الأيام منذ خرج من السجن ، « والعلوية » و « العربية » معاً تحرّكان وجدانه اشتعالاً وحموداً ، فلا تكاد تخطى في شيء منها حديثاً عن نفسه ، وعن بغضائه للأعاجم ، وعن حُبِّه للعرب . فما يلقي من أحدٍ إلّا وهو يفتش فيه عن هذا المأمول الذي يثير وجدانه ، ثم يبلغ أقصى توهّجه ، في سنة ٣٢٦ ، حين يجده في العربيّ « بدر ابن عمار بن إسماعيل الأسديّ » وإلى طبرية ، فيحملُ شعره في بدر ، نفس ثورة الوجدان التي تلقاها عند لقائه سيف الدولة العدويّ العربيّ سنة ٣٣٦ ، بعد أن حنّكتهُ التجارب .

/ وكانت سَوْرَةُ نفسه في العهدين ، سورة رجلٍ سياسيٍّ عربيٍّ يرقُبُ ما يحيطُ به ، ٩٠ م  
ويطرُحُ على الرجل العربيّ الذي يؤمّله ، ويؤملُ بلوغَ أمله في سطوته وشوكته = كُلُّ ما في نفسه من أهدافٍ تحدّدها له عُروبتُه واعتزازه بها . إلّا أن الفرق بين العهدين واضحٌ جدّاً ، لأنَّ شعره في سيف الدولة ، لم يكن قاصراً على هذا وحده ، بل كان يتجاوز حدود هذا الإحساس الكامن فيه ، إلى الإحساس بالملحمة القديمة التي بدأت منذ عهد رسول الله ﷺ ، بين النصرانية الرومية ، والإسلام ، والتي ظلّت تتصاعد على ثغور الشام شيئاً فشيئاً ، حتى كان زمن سيف الدولة ، فظهرت ظهوراً بيّناً ، تخلّد المتنبي ملحمة العظيمة في شعره الذي قاله في عشر سنوات ، ( من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٤٦ ) عند سيف الدولة . (١)

ومعنى ذلك أنّ أبا الطيب ، قبل أن يلقي سيفَ الدولة في سنة ٣٣٦ ، كانت همومه تتنازع ، بين « علويته » التي يكتُمها مُرغماً ، والتي كانت تُوهّله ، لو أطاق ، أن يدفعَ عن دولة العرب سلطان الأعاجم = وبين آماله في أن يجد عربياً ذا سلطانٍ وشوكةٍ وطموح ، يحققَ له ولأُمته ما لا يطيقُهُ هو من القضاء على سلطان الأعاجم .

(١) حروب سيف الدولة في ثغور الشام ، هي طلائع « الحروب الصليبية » التي بلغت مداها في أول حملة صليبية سنة ٤٨٩ هجرية ، أي بعد قرن ونصف تقريباً .

فلما لقي سيف الدولة ، ونزل من نفسه المنزلة التي نعرفها ، وأقام معه عشر سنوات من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٤٦ ، اندمج الأمران فصاراهما / واحداً وأملاً واحداً ، وأصبح أبو الطيب شخصية « سياسية » ذات آمال كبيرة تحركه ، وقد بينت ذلك في الفصل الثاني عشر من كتابي ، [ هذا السفر ص : ٣٠١ - ٣٣٢ ] ، ومواضع أخرى كثيرة من الكتاب من أوله إلى آخره ، تدل على هذا أو تتصل به .

\*\*\*

#### ( ٥ ، ٨ ) الفقرة الخامسة والثامنة

وأما هاتان الفقرتان من « عمود الصورة » وهما تتضمنان البيان عما يحركه من عواطف الحب التي لا يخلو من جميعها نشر ، فإنني وقفت على جميعها بتذوق شعره لا غير ، ومراقبة حركة وجدانه تبعاً لحركتها حدة أو فتوراً . أما الأخبار عن ذلك ، فليس في أيدينا شيء يؤيدّها ، أو يهدى إليها .

ومن أول ذلك ، ما استخرجته استخراجاً من أن أبا الطيب كان يحب خولة أخت سيف الدولة ، وقد ذكرت بعض حجتني فيه في الباب الثالث عشر [ هذا السفر : ٣٣٣ - ٣٥٥ ] ، منذ كان أبو الطيب في جوار سيف الدولة ، ثم بقاء هذا الحب عاملاً ظاهراً في شعره بعد فراقه في سنة ٣٤٦ ، ثم ما بعد ذلك مدة إقامته عند كافور ، ثم فراقه كافوراً إلى العراق ، ثم إلى فارس ، إلى أن قتل .

/ وهذا الذي استنبطته بالتذوق ، كان كثيراً جداً ، ولكنني اختصرته اختصاراً في كتابي ، ومع ذلك فإنه قد يسر لي أن أقرأ شعر أبي الطيب كله منذ نشأته قراءة تكشف عما كانت تكنه نفسه من هذه العواطف الإنسانية ، في مطالع قصائده منذ شبابه ، وفي ثنايا حكمته التي يضمّنّها شعره ، ولا يبدو لأوّل وهلة أنّها من أثر هذه العواطف التي تحرك وجدانه . وقد لخص الرافعي ، رحمه الله ، رأيه فيما كتبت في كلمته في الرسالة حيث يقول : « والأدلة التي جاء بها المؤلف ، تقف الباحث المدقق بين الإثبات والنفي .



ومتى لم يستطع المرء نفيًا ولا إثباتًا في خبر جديد يكشفه الباحث ، ولم يهتد إليه غيره ، فهذا حسبك إعجاباً يذكر ، وهذا حسبه فوزاً يُعَدُّ » . [ هـ السفر : ٥٧٩ ] .

ومضت سنواتٌ طوالٌ منذ صدر كتابي عن أبي الطيب ، وكاد هذا الفرض المستنبط أن يفوز بما يؤيده من الأخبار المروية ، كما فاز فرض « العلوية » بما يؤيده كما عرفت قبل [ انظر ما سبق ص : ٥٦٠ ، ٥٥٠ ] . فقد دَخَلَ علينا في المجلس ليلاً صديقي الكريم الدكتور محمد سامي الدهان ، وذلك قبل مرضه الذي لم يُفْلِتْهُ حتى قَضَى نَحْبَهُ في يوليو سنة ١٩٧١ ، وكان عائداً من إحدى سفراته في البلاد التي تحوى المخطوطات العربية التي وقعت في أسر الأعاجم ، ولم يكد يجلس حتى قال : بُشْرَى ! بُشْرَى عظيمة ! وبدأ يتحدث عن سَفَرَتِهِ ، وأنه كَانَ قد نَوَى العودة إلى دمشق = ، ولكن شيئاً جديداً قد نَتْنَى عِزْمَهُ وأرغمه على أن يقطع هذه النية ويعرِّجَ على مصر . وذلك أنه قد ظفر بنصٍّ يؤيدني كُلَّ التأييد في مسألة حبِّ أبي الطيب حَوَلة أخت سيف الدولة ، وأنه / سوف يعود إلى م ٩٣ دمشق ، فيرسل النصَّ كُلَّهُ مصوراً . وتشعَّب الحديث بين أهل المجلس وطال ، وحانَ وقت انفضاضه ، وودَّعته دونَ أن أعرفَ منه شيئاً يُفيدني اليوم . وعند وداعه كرَّرَ أنه سيرسل النصَّ مصوراً ، ورحلَ إلى دمشق في اليوم التالي . ومضت الأيام . ومرضَ ، وجاء بعد ذلك نعيُّه ، وفقد أهل العلم رجلاً كبيراً من العلماء ، وفقدته أنا معهم ضعفين من الفقد ، وقدَّرَ الله أن يبقى هذا الاستنباط فرضاً مبنياً على تذوق الشعر ، حتى يكشف اللثامَ عن سرِّ خبرٍ من الأخبار ، وندعُّه حتى يكون ، وهو كائنٌ إن شاء الله .

أما عاطفة الحبِّ التي تتمثل في عواطف الناس على اختلافهم فطرةً فُطِرُوا عليها ، فإنَّ أظهرها ظهوراً حُبُّه لجدته التي كفلته يتيماً ونشأته وسدَّدت خُطَاهُ ، وكشفت له عن سرِّ مولده « علويًا » ، يوم أطاق أن يحمل السرَّ . وكان من عمق هذا الحبِّ في نفسه : أنَّ تركَ آثاره مكظومةً في ألفاظ شعره ، يبيِّنُها المتنوِّق من وراء هذه الحجب . فلمَّا ماتت ورثاها بقصيدته الميمية ، مهَّدَ لى تذوقها أن أعرفَ مقدار الصَّدقِ في عواطف أبي

الطيب ، وأن أقف على أسلوبه في الكشف المثلث عن هذه العواطف ، <sup>(١)</sup> وعندئذ  
تمكنت من استخراج الدلالة من شعره على زواجه [الباب السابع ص: ٢٣٩ ، وما بعدها] ، وعلى تاريخ  
ولادة ولده « محسد » سنة ٣٢٦ [ص: ٢٤٠] ، ثم ما كان من مرض زوجته وموتها في سنة  
٣٣٧ [ص: ٣١٨ - ٣٢٢] ، وأشياء أخرى كثيرة تراها مفرقة في الكتاب .

\*\*\*

### ( ٦ ) الفقرة السادسة

كان أبو الطيب قد أتم الثالثة والأربعين من عُمره ، حين عزم على فراق سيف  
الدولة = لم يفارقه مختاراً لفراقه ، فإن سيف الدولة كان مثلاً حياً لكل ما كان مكتوماً  
في نفسه من الآمال والأحلام . وفي السنوات العشر التي لازمه فيها كان يزداد له محبة  
وتوقيراً ، وأفضى كل واحد منهما لأخيه بأسراره وغاياته في الحياة السياسية التي  
قامت على « دولة الخدم » من الأعاجم . ولم يكن مقامه للمال ، كما يقول ذلك من  
يقوله ، وقد دلتنا سيرته كلها على أنه إذا لقي العربي الرجل الذي يتوهم فيه آماله  
وأحلامه ، لم يبال بالمال أو ( طلب المعاش ) ، بل ببلوغ الآمال أو ( طلب المعالي ) ، كما  
بيئت ذلك في مواضع من كتابي [هذا السفر: ٣٠٤ - ٣٠٥] ، بيد أن « الوشاة » و « الحساد » ، قد  
أكثروا السعاية في حقّه ، حتى ظنّ ظناً بلغ اليقين أن قلب سيف الدولة قد تغير عليه ،  
وكان هو بطبيعته شديد التوجس ، وكان حبّ « خولة » قد بلغ به شفاهاوية بسعاية  
الساعين والكائدين ، وبلغ منه هواها ذروة شائخة محلقة يضيّق بها صدره كأنما  
يصدّد في السماء ، / [هذا السفر: ٣٥٧ وما بعدها] ، فاتخذ الليل مركباً وطار إلى دمشق ، وكأنه  
يقول لنفسه ، ما قاله بعد ذلك بسنوات :

ضربتُ بها التّيه ضربَ القَمَارِ : إمّا لهذا ، وإمّا لِدَا

(١) انظر الباب الثاني ص: ١٦٣ ، والرابع ص: ١٨١ ، والباب العاشر ص: ٢٧٣ ، ومواضع أخرى

إمّا راحة النسيان ، وإمّا راحة الهلاك ! أصيبَ الرجل في هوى قلبه ، وفي آماله السياسية ، وفي الرجل الذى لا يجد له شبيهاً أنى تلفتت خبرته بالرجال والأعمال ، وداخله اليأس ، وتمنى الهلاك ، ومات اللهيئ في نفسه ، ورمته البوادي والفلوات إلى أرض مصر ، وإلى كافر ، فلم يملك إلا أن يستقبله بما في نفسه ، فابتدأ قوله حين لقيه :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنايا أن يكنّ أمانياً  
تميّتها لما تميّت أن ترى صديقاً فأعشى ، أو عدواً مداحياً

ومنذ ذلك اليوم وآمال أبو الطيب كلها تنقلص ، وكلّ يوم يمضى بقطعة من نفسه ومن آماله تقع في حوزة الأمس الذي لا هو يرد ولا هو يسترد . ذهب أبو الطيب الأول ، وجاء أبو الطيب الثانى ، فكان يرى ذلك رأى العين وهو يكظم في نفسه كظماً يذيب القلوب ، « فأين الشباب ، وأين الزمان ! » . وبقي على ذلك في مصر حبيساً في قبضة كافر من جمادى الأولى سنة ٣٤٦ إلى أواخر سنة ٣٥٠ . وفي هذه المدة صار شعر أبى الطيب غمطاً آخر غير الثمط الذى كان أولاً مع بدر بن عمار الأسدى ، ثم تمّ تمامه مع سيف الدولة . ولكنه كان قد صار شاعراً محمّكاً معقداً / المهارة في صياغة معانيه ٩٦ م وألفاظه ، يحتاجُ تذوقها إلى خبرة بأساليب صياغته كلها ، منذ بدأ الشعر فتى جاداً قليل الإغضاء عن التجويد ، ثم شاباً كئوباً يزلزله ما يكتمه ، ثم مكتهلاً يتفجّر الشعر منه معموساً في صبيغ الحوادث التى تمرّ به ، فلا هى تحوّل ألوانها ، ولا هو ينساها أو يغفل عن آثارها في نفسه .

والآن سقط وحيداً في تيه الغربة ، عاد غريباً كما بدأ ، ولكن شتآن !!! فهو يقول في غربة الصبى البعيد ، واثقاً مُدلاً متحدّياً :

أنا في أمة ، تداركها الله ، ( غريب ) كصالح في ثمود

وهو اليوم في غربة الكبر ، أواخر عهده بمصر وكافورها ، يقول متحيراً ضائعاً مستسلماً :

يَمَّ التَّعَلُّ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ      وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ  
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي      مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فِي نَفْسِهِ الزَّمَنُ

وإذا كان ، وهو في صباه قادراً على أن يخرج من بغداد ممتلئ النفس قوةً وتحدياً ، حين سمع وسمع الناس أحد المماليك قادة الأعاجم ، قد وضع التاج على رأسه مكللاً بالدرّ والياقوت ، وجلس على سرير من فضة حواليه الذهب مرصعاً بالجوهر ، ويقول للناس متكبراً متجبراً : « أنا أرَدَ ( دولة العجم ) وأبطل ( دولة العرب ) » ، <sup>(١)</sup> وإذا كان يومئذ قادراً على أن يردّ على كلمته / هذه في شعره نائراً مهذّباً متوعّداً هازئاً :

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ      وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ  
بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي      حَتَّى أَذِلْتُ لَهُ مِنْ ( دَوْلَةِ الْخَدَمِ )

.... فالآن ، مريداً أو غير مُريدٍ ، يجد نفسه لساناً ناطقاً في « دولة الخدم » ، ويتورط في المحنة تورطاً مؤسّساً ، في طريق طويل من أوّل مقدمه على كافر سنة ٣٤٦ ، إلى أن ينتهي عند عضد الدولة الدّيلمى في سنة ٣٥٤ ، ويختم شعر هذه السنوات المذلة ، باليأس والضّيق بهذه الثّغّة ، [ وهي آخر ما قاله أبو الطيب ] :

إِذَا اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءٍ      فَأَقْتُلْ مَا أَعْلَلَكَ مَا شَفَاكَ  
وَأَتَى شِعْتِ ، يَاطْرُقِي ، فَكُونِي ،      أَذَاةً ، أَوْ نَجَاةً ، أَوْ هَلَاكًا

كان دأوه فراق ( دولة العرب ) تحت ظلّ سيف الدولة ، فطلب البرء والشفاء في ( دولة الخدم ) ، فإذا هو داء لا شفاء ، وكان أقتل الداعين ! وألقى يومئذ السّلم ، مُدْعِناً ضارعاً منقاداً لما تأتى به المقادير .

لذلك ، فقد كان شعره في هذه السنوات التسع الأخيرة من عُمره مختلفاً كل

(١) هو « بحكم التركي » ، قال ذلك في حوالى سنة ٣٢١ أيام كان المتنبي ببغداد . انظر كتاب الأوراق

للصولى ، في أخبار الراضى ص : ٦٢ .

الاختلاف من جميع شعره ، مبايناً له في الصياغة ، حافلاً بمهارات لا يطيقها إلا قلة من الشعراء الكبار ، ثم لا تتأني لهم إلا حين يقعون في المحنة المحرقة ، بين وجوب الكتمان وضرورة الإفصاح = بين ما يُبطنونه في أغوار أنفسهم ، وما يظهرونه فيما يجري على ألسنتهم . وشعر هذه السنوات / التسع ، لم يقرأه أحدٌ بعناية كافية ، وكل ما خرج به قارئو شعر المتنبي هو هذه القضية الرثّة السخيفة : أن المتنبي مدح كافوراً ثم هجاه ! وأشبه ذلك من القضايا المُستبردة الهالكة ، يتعالم بالحديث فيها دفاعاً عنه أو قدحاً فيه من يتعالم . وشعر أبي الطيب في هذه السنوات ، كان خلاصة تجاربه في حياته ، وجماع معرفته بالرجال والأمم ، وثمرّة ناضجة قد استمدت إتياءها ونضجها ومذاقها من حياته كلها ، منذ كان صبياً إلى أن بلغ ما بلغ ، حيث وقع التناقض بين آماله التي عاش بها وفيها أكثر من ثلاثين سنة ( ٣١٤ - ٣٤٦ هـ ) ، وبين الواقع الذي يصبح فيه ويُسمى ، وهو في قبضة ( دولة الخدم ) أتى ذهب .

كانت ألفاظ شعره هذا تحمّل كلّ ما يتكتمه من الكراهة والازدراء والاستنكاف ممّا هو فيه ، وإن كان ظاهرها يخدع سامعه عن حقيقة ما يكتمه . وقد استوقف هذا الشعر ، في حياة أبي الطيب نفسه ، بعض سامعيه أو قارئيه ، كابن جنى وغيره . فإن ابن جنى كان يقرأ على المتنبي شعره في كافور ، فرمما وقف على البيت من المدح قد انطوى على معنى من الهجاء ، فيضحك ابن جنى ، ويضحك المتنبي لأنّه كان يقصد به الهجاء . والمتنبي قد أغنانا عن هذا بقوله في كافور ولقبه « الكركدن » ، [ وهو حيوان عظيم الجثة ، قصير القوائم ، غليظ الجلد أسوده ، له قرن واحد ، وهو الخريت ، وحيد القرن ، شبه الأسود كافوراً به ] :

وشعرٍ مدحْتُ به الكركدن بين القريض وبين الرقي  
وما كان ذلك مدحاً له ، ولكنه كان هجواً للورى

/ وقد بلغ أحد المتأخرين الغاية في ذلك ، وهو عبد الرحمن بن حسام زاده الرومى م ٩٩  
( أى التركى ) ( ١٠٠٣ - ١٠٨١ هـ ) ، فقد ألف كتاباً سماه : « رسالة في قلب

كافوريات المتنبي ، من المديح إلى الهجاء » ، ونشره الدكتور محمد يوسف نجم . ومؤلف الكتاب تركيُّ أجاد العربية وخالط أهلها طويلاً ، وقد كان حيث نزل في حلب والقدس ودمشق والقسطنطينية مألُفاً للأدباء ، وله أَلْفُ يوسف البديعي كتابيه : « ذكرى حبيب » و « الصبح المنسي » ، عن حيثية المتنبي . وقد استقصى المؤلف مدائح كافور قصيدة قصيدة ، فبينَ ما يضمُّره المتنبي من الدم لكافور ، وإن كان ظاهرُ اللفظ يوهم المدح . وهو كتابٌ غريبٌ فريدٌ . أجاد المؤلف فيه مع سوء عبارته ، وأصابَ الصوابَ من وجِّه ، وأخطأ من وجِّهٍ آخر . وقد أشرت قديماً إلى المعنى الذي قصده المؤلف في كتابي هذا ، [ ١٩٥٦ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ] .

ولكن القضية ليست محصورة في ألفاظ قصدها أبو الطيب قصداً ، وجعلها رموزاً لها ظاهر مكشوف ، وباطنٌ مضمَر ، بل القضية في صياغة شعره في حقتين متباينتين : تَرَكْتُ كُلَّ حَقْبَةٍ مِنْهُمَا أَثَرَهَا الواضح على صياغته وألفاظه بلا قصيد متعمد ، يستطيع المتذوق أن يميزه تمييزاً واضحاً ، لأنَّ كُلًّا مِنْهُمَا خرج من نفس واحدةٍ جميعيةٍ ، مصبوغاً بصبغة الحقة التي انغمست فيها انغماساً إلى الأعماق . كان شعراً يَفْصِمُ كُلَّهُ عن نفسٍ متطلِّقةٍ متهلِّلةٍ واثقةٍ ، تستخفُّها الآمال والآلام والأحزان ، ماضيةً إلى فضاءٍ فسيحٍ تبسطُ البهجة المنيرة من شمسٍ مُشرِّقةٍ = فإذا به يَفْصِمُ عن نفسٍ متقبضةٍ كئيبةٍ يائسةٍ ، تُؤوِّدُها الآمال والآلام والأحزان ، دالفةً إلى أفقٍ ضيقٍ يقبضه / الكمدُ المظلمُ من شمسٍ غاربةٍ . ومن لم يُعْطِ هذه القضية حقها من الأناة والتأمل عند تذوق شعر أبي الطيب في هذه السنوات التسع الأخيرة من حياته ، لم يظفر بباطل ، ووقع في غثاثة الدراسات التي لا تفرِّق بين تذوق الشعر ، وبين التلمُّظ بالكلام ومضغه ، تعالماً بحتاً !! و « المتشبع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبين زور » ، كما جاء في الحديث .

وفي كتابي هذا لم أستطع أن أوفِّي هذه القضية حقَّها كتابيةً ، لأنِّي قطعْتُ هذه

السنوات التسع في نحو ثمان وثلاثين صفحة من الكتاب ، <sup>(١)</sup> فإنّي كنت في عجلة من أمرى حتى أفرغ من الكتاب في مِقاتٍ محدّدٍ ، كما قلت آنفاً ، وكنت قد نويتُ أن أعود فأكتب عن المتنبي كتاباً كبيراً آخر ، على هذا السياق الذى التزمته في كتابى هذا ، ولم أفِ بما عقدت عليه نيّتى ! إلّا أنّ الذى كنت قد استفدته من تذوّق شعره في هذه السنوات التسع ، كان هو في الحقيقة أقوى مُعينٍ لى على تصفية تذوّق لشعره الذى قاله قبل ذلك ، وعلى التعبير عن التذوّق تعبيراً سهلاً متساوياً يفضى إلى انسياب حركة تخطيط صورة المتنبي ومعارفها وقسماتها ، وهى تتخلّق حول « عمود الصورة » . فمن أجل ذلك ، لم تكن هذه الفقرة السادسة ظاهرةً كلّ الظهور فى الذى كتبتّه ، وإن كانت آثارها فى الكتاب ، وفى الأبواب الثلاثة الأخيرة ، دالةً على الأصل بعض الدلالة .

\*\*\*

هذه هى الفقر الثمان التى آسَوتُ لى منها شخصيّة أبى الطيب ، عن / منهج م ١٠١ محدّدٍ فى تذوّق الشعر ، كلّ فقرةٍ منها لا تقوم وحدها معزولةً عن الأخريات ، بل كانت كلّ فقرة منها متأثرةً بأخواتها ومؤثرةً فى سائرهما تأثيراً بالغ التعقيد ، فقرّبتُ الأمر ويسرّته بالحديث عن كلّ فقرة على حدة ، ليكون قارىء كتابى بعد ذلك متخفّفاً من كلّ مؤونةٍ تعوقه أو تثقل عليه .

\*\*\*

العَمَرَاتُ ، ثم يَنْجَلِينَ !

حين خرج عدد المقتطف [ يناير سنة ١٩٣٦ ] ، متضمناً كتابى عن « المتنبي » ، كنت مطيّةً لحمّى عنيفةٍ هوجاء ، فلما أقلعت عنى وبدأتُ أفيقُ من بُرحائها ، كان أوّل ما قرأته عن كتابى هو كلمة الرافعي رحمة الله عليه ، منشورة في مجلة « الرسالة » ، [ ص : ٥٧٧ - ٥٧٩ ] . هزّنتى هذه الكلمة هزّاً شديداً عند أوّل قراءةٍ ،

(١) من الباب الرابع عشر إلى السابع عشر من ص : ٣٥٧ إلى ص : ٣٩٢ ، آخر الكتاب .

ففرغتُ منها وأنا لا أدري على الحقيقة ماذا قال الرافعي . كنت في مَيِّدِ الإِفاقةِ من الحمى ، [ المَيِّدُ : دَوَارٌّ يَمِيدُ بِالرَّأْسِ مَصْحُوبٌ بِالْحَيَرةِ ، كالذى يجده السكران أو راكب البحر من الاضطراب ] ، فجاءَ معه فرحٌ غامرٌ فمادَ هو نى أيضاً حتى أعمانى عن معانيها . كنتُ في السابعة والعشرين من عمري ، وكنت كاتباً مغموراً في الكتاب ، لا أتوهم أن أحداً من القراء يعرفنى أو يبالى بأن يعرفنى ، ولم يكن مما يخطر ببالي يومئذ أن أكون معروفاً ، وإذا بى أفاجأُ بَعَثَةً بِنَاءِ أستاذٍ بعيد الصيت في العرب والعربية ، وفي مجلة بعيدة الصيت في كُلِّ بُقْعَةٍ تعرف العربية . فعلت بى هذه المفاجأة فعل الخمر بشارب لم / ١٠٢ يذُقُها قط . وبقيتُ أياماً في نشوة مُذهلة ، وكنت أعيش يومئذٍ وحدى ، فلم أجذ من أحدثه عن نشوتي ! فلما تَمَلَّصْتُ من عَقَايِلِ الحمى بارئاً بحمد الله ، وذهب المَيِّدُ وسكنت النشوة ، راجعتُ قراءة كلمة الرافعي مرَّاتٍ ، فكنت أتوقَّف في كُلِّ مرةٍ عند قول الرافعي في « المتنبي » :

« كان الرجلُ مَطُوباً على سِرِّ أَلْقَى الغموضُ فيه من أوَّلِ تاريخه ،  
 ( يعنى علوية المتنبي ) ، وهو سرُّ نفسه ، وسرُّ شعره ، وسرُّ قوته . وبهذا  
 السرِّ كان المتنبي كالملك المغصوب ، الذى يرى التاج والسيف ينتظران  
 رأسه جميعاً ، فهو يتقى السيف بالحذر والتلفُّف والغموض ، ويطلبُ التاج  
 بالكتمان والحيلة والأمل » .

« ومن هذا السرِّ بدأ كاتب المقتطف ، فجاءَ بحُثِّه يتحدَّرُ في نَسَقِ  
 « عجيب ، متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادةٌ ونموٌ وشبابٌ . وعَرَضَ بين ذلك  
 « شعر المتنبي عَرَضاً خُيِّلَ إِلَى أن هذا الشعر قد قيل مرةً أخرى من فم  
 « شاعره ، على حوادث نفسه وأحوالها » .

وسببُ توقُّفى ، هو أتى يومَ فرغتُ من الكتاب ومن تصحيحه عند الطبع وقضى الأمرُ ، تقاذفنى طوال الليل رعبٌ شديد من مخافة ما يقوله الناس فيه إذا هم قرأوه ، وأمسيْتُ على غير بينة من أمرى . فهذا أوَّلُ كتابٍ كتبته مجترياً على التأليف ، وأقدمت



إقداماً على كتابته على غير مثالي سابقٍ مما عهدته الناس في كتابة التراجم ، وقد اجترأتُ أيضاً على الإتيان فيه بما لم يسبقني إليه أحدٌ ! وفارَ بي الرُعبُ والشكُّ فيما اجترحتُ فوراً أن أذهب من قلبي كُلَّ يقينٍ فيما كتبتُ ، وكُلَّ ثقةٍ بما بذلت من جُهدٍ / وتثبَّت ، ١٠٣ م  
واغتال الرُعبُ سلطاني على عقلي ، وسرَى سَمُّ الشكِّ في قلبي طولَ ليلتي ... وركبتني الحمى ، فلما أفقت منها أفقتُ وأنا في قبضة رُعبٍ حيٍّ وشكٍّ مميتٍ ، ثم جاءتْ كلمات الرافعي تزيافاً ، كلما أعددتُ قراءتها دبَّتْ كلماتها إلى صميم هذا الرُعبِ ديباً حتى قتلته ، وجعلت تَسرِّي حيث سرَى سَمُّ الشكِّ حتى أذهبتَه من قلبي فأحيته .  
وعندئذٍ عرفتُ شيئاً فشيئاً حقيقة طريقى الذى سرْتُ فيه حين كتبتُ الكتاب ، وكأنه طريقٌ لم أسلكه من قبل قط ! وكذلك ثبت عندى أن منهجى فى « التذوق » الذى ألفتُه منذ أن دارست الشعر الجاهلى قديماً ، منهجٌ سليمٌ كُلُّ السلامة ، لأننى حققتُ به الوصول إلى « سرِّ » كان مطوياً فى شعر أوى الطَّيِّب وفى تاريخه ، واستطعتُ به أيضاً أن أكتب بحثاً « يتحدّر فى نسقٍ عجيب ، متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادة ونمو وشباب » ، كما يقول الرافعى ، أى أن « عمود صورة المتنبي » الذى بنيتُ أكثره على هذا « التذوق » ، كان صالحاً لجعل شعر المتنبي ناطقاً نطقاً مبيناً عن شخصيته منذ وُلد إلى أن مات .  
وكان هذا حسبي ، بحمد الله .

وقد حدثت بعد ذلك بقليل حادثةٌ أخرى غريبة ، زادتني ثقةً بنفسى ومنهجى .  
كنت ألقى الأستاذ العقاد رحمه الله ، مراراً فى « المترو » ، عند نزولى إلى القاهرة أو عند عودتى ، فقد كنّا جميعاً نسكن مصر الجديدة . وكنتُ له مُحِبّاً لطولِ قراءتى ما يكتب ، فكنتُ أسلم عليه فيردُّ السلام على عادته من الأدب المحتشم ، ولكنى كنتُ أرى ظلالاً من الجفوة فى أسارير وجهه ، وينقبضُ عنى حديثه إذا حدَّثته ، ولا ريبَ فى أن ذلك كان لما يعرفه من علاقتى بالرافعى ، وقد كان بينهما ما كان . وكنت غيرَ راضٍ فى نفسى بالذى ١٠٤ م  
كان قد جرى بينهما ، وأرى أن كليهما كان ظالماً لأخيه ظلماً مبرحاً . وإذا كانت المودة بينى وبين الرافعى قد أتاحت لى أن أحدِّثه فى هذا الظلم مراراً ، فإن جفوة العقاد لم تترك

لى مَسَاغَاً حَتَّى أَحَدَّثَهُ بِمَثَلِ مَا حَدَّثَتْ بِهِ الرَّافِعِيَّ ، يَبْدَأُ أُنَى كُنْتُ مُصِيراً عَلَى أَنْ أُبْلَغَ مَا أُرِيدُ مَعَ الْعَقَادِ . فَلَمَّا ظَهَرَ كِتَابِي هَذَا فِي الْمَقْتَطَفِ ، سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي أَنْ أَهْدِيَهُ نَسْخَةً مِنَ الْمَقْتَطَفِ ، مَعَ عِلْمِي أَنَّهُ يَرْسُلُ إِلَيْهِ بِالْبَرِيدِ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، وَمَعَ أَنِّي كُنْتُ قَدْ عَقَدْتُ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ لَا أَهْدِي كِتَابِي إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَسَاتِذَةِ الْكِبَارِ . فَاسْتَأْذَنْتَهُ بِالْهَاتِفِ أَنْ أُرَوِّدَهُ فِي بَيْتِهِ ، فَأَذِنَ لِي ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّافِعِيَّ فِي « الرِّسَالَةِ » قَدْ نُشِرَتْ فِي ١٣ يَنَايِرَ ١٩٣٦ ، بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ صُدُورِ عَدَدِ الْمَقْتَطَفِ ، وَكَانَتْ زِيَارَتِي لِلْعَقَادِ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ . وَلَمْ أَجِدْ بَيْنَ لِقَائِهِ فِي « الْمَتْرُو » وَلِقَائِهِ فِي بَيْتِهِ كَبِيرَ فَرْقٍ . فَلَمَّا جَلَسْتُ وَاطْمَأْنَنْتُ ، أَخْرَجْتُ عَدَدَ الْمَقْتَطَفِ ، هَدِيَّةً مَنَى إِلَيْهِ ، فَأَخَذَهُ وَوَضَعَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، وَلَمْ يَكْلُمْنِي بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي شَأْنِهِ ، وَكُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَرَأَ الْعَدَدَ الَّذِي وَصَّلَهُ بِالْبَرِيدِ . فَكَانَ صَمْتُهُ جَارِحاً لِي أَيْ جَرَّجٌ . فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ غَضْبَاناً أَسِيفاً .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، كُنْتُ عَائِداً إِلَى بَيْتِي ، فَلَمَّا رَكِبْتُ « الْمَتْرُو » ، فَوَجِئْتُ بِالْأُسْتَاذِ الْعَقَادِ يُنَادِينِي وَيَدْعُونِي إِلَى مَجْلِسٍ كَانَ خَالِياً أَمَامَ مَجْلِسِهِ ، وَوَجَدْتُ فِي وَجْهِهِ الْبَشَاشَةَ مَكَانَ الْجَفْوَةِ ، وَفِي حَدِيثِهِ التَّطَلُّقَ مَكَانَ الْانْقِبَاضِ . وَالْعَقَادُ مَتَحَدِّثٌ قَلِيلُ الْأَشْبَاهِ إِذَا تَبَسَّطَ وَقَالَ مَا قَالَ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ . وَقَطَعْنَا الْمَسَافَةَ مِنْ أَوَّلِ مَحْطَةِ الْمَتْرُو إِلَى أَنْ بَلَّغْنَا الْمَحْطَةَ الَّتِي عِنْدَهَا بَيْتُهُ فِي أَوَّلِ مَصْرِ الْجَدِيدَةِ ، وَهُوَ فِي حَدِيثٍ لَا يَنْقَطِعُ ، مِلْؤُهُ النَّوَادِرُ وَالْفِكَاهَاتُ الَّتِي يُحِبُّهَا / وَيَحْسُنُ سَرْدَهَا . ثُمَّ نَزَلَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ كِتَابِي بِحَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَلَكِنِّي أَيْقَنْتُ أَنَّهُ قَرَأَ الْكِتَابَ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْحِفَاوَةَ أَوْ الْبَشَاشَةَ الَّتِي لَمْ آلفُهَا ، كَانَتْ أَثَرًا مِنْ آثَارِ قِرَائَتِهِ كِتَابِي . فَلَمَّا صَرْتُ وَحِيداً حَتَّى بَلَغْتُ بَيْتِي ، كَانَتْ نَشْوَتِي بِتَغْيِيرِ الْعَقَادِ ، تَفُوقُ نَشْوَتِي بِمَا كَتَبَهُ الرَّافِعِيَّ ، وَكَانَتْ يَدًا لِلْعَقَادِ عِنْدِي ، إِذْ زَادَتْنِي ، يَوْمَئِذٍ ثَقَّةً بِنَفْسِي وَاطْمَأْنَاناً إِلَى مَا كَتَبْتُ . وَعَلَى الْأَيَّامِ ، لَمْ أَرِ تِلْكَ الْجَفْوَةَ مَرَّةً أُخْرَى . وَتَوَثَّقْتُ الصَّدَاقَةَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ مَرَّةً كَلِمَةً وَاحِدَةً عَنْ كِتَابِي إِلَى أَنْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ! وَلَكِنهَا كَانَتْ صَنِيعَةً لَا أَنْسَاهَا .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ بَدَأَتْ الرِّسَالَةُ تَأْتِي بِأَسْمَى عَلَى إِدَارَةِ الْمَقْتَطَفِ وَعَلَى بَيْتِي ، وَفِيهَا

ما فيها ، وقرأت يومئذ ثناءً كثيراً من رجال لا أعرفهم ، كشاعرنا الكبير الأستاذ أحمد محرم وآخرين ، فذهب عني كُلُّ خوفٍ ومهابة ، وفي خلال ذلك أيضاً كتب أستاذ كبير كان قد علمني في التعليم الابتدائي ، ثم الثانوي ، هو الأستاذ محمد هاشم عطية رحمه الله ، فنقدني وسخر مني ، فرددت عليه في صحيفة الأهرام ردّاً عنيفاً ، ونقدني أيضاً الأستاذ علي عبد الرازق في جريدة « السياسة الأسبوعية » ، فكُتِبَ له كيلاً كما كال في نفس الجريدة . وتتابعت الأيام ورأيت أسمى مذكوراً بعد تحمول ذِكْرٍ ، والفضل في الذي بلغته مردودٌ كُلُّه إلى أخي وصديقي الذي لا أنساه الأستاذ فؤاد صرّوف ، أطال الله بقاءه .

\*\*\*

### / كتابان في علم « السطو » !!

١٠٦ م

#### الكتاب الأول

ثم جاءت بعد ذلك أمورٌ مستنكرةٌ بشِيعَتِها وضِيقَتِها ذِراعاً ، لأنها رَدَّتْنِي إلى حُومَةِ الفَسَادِ الذي اعتزلْتُ من أجله الجامعة والحياة الأدبية كلها ، لكي أصححَ طريقي ما استطعتُ إلى الغاية التي أتمنّى أن أبلغها . وأهمُّ ذلك حادثان : أولاً ، جاءتنِي رسالةٌ من العراق بعد ظهور كتابي بثمانية أشهر ( سبتمبر ١٩٣٦ ) ، من رجل لم أكن أعرفه من قبل . كان تاجر كتبٍ ناشئاً ، لم يبلغ ما بلغ من الشهرة فيما بعد ، وهو الكتبي المشهور « قاسم الرجب » ، رحمه الله ، دلَّتْني رسالته على أنه قرأ كتابي حرفاً حرفاً ، فإنه ضمَّنَه مقابلة بين ما في كتابي صفحة صفحة ، وبين ما جاء في صفحات كتاب آخر طبع في العراق سنة ١٩٣٦ ، أرسله إليّ بالبريد ، كما قال . ووصل الكتاب بعد أيام ، وهو كتاب « ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام » ، وكتابه هو الأستاذ عبد الوهاب عزّام ، وفي آخره أنه فرغ من تأليفه « لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة

١٣٥٥ ، عاشر تمّوز ( يوليه ) سنة ١٩٣٦ » ، أى بعد كتابى بسبعة أشهر ، وختم مقّدمته القصيرة بهذه العبارة :

« ومهما يكن فقد بذلتُ الجهدَ ، وأودعتُ الكتابَ من تفصيل سيرة الشاعر ، والكشف عن جوانب مجهولة من سيرته وأدبه ، ما يطوّع له أن أقدمه للقراء ، راجياً أن يجدوه أهلاً لذكرى أئى الطيب ، ويرهّ أوسع وأعمق وأجدى ما كتبتُ عن الشاعر منذ عاش إلى عامنا هذا ، عام الاحتفال / بمضى ألف سنة على وفاته ، والله وليّ الهدى م ١٠٧ والتيسير » .

وكنْتُ أعرف عزاماً ، رحمه الله ، ويعرفنى ، فقد كنت طالباً بالجامعة ، وكان أستاذاً بها . كان غايةً في دَمائَةِ الخُلُق ، لئِنَ الجانب ، رقيق الحاشية ، سَمَحاً سَهْلاً طويل الأنّاة ، متواضعاً عند اللقاء ، خفيض الصّوت ، فإذا حدّثته أجابك والحياء يكادُ يقطّعه عن الإجابة . وكان حافظاً للشعر ، يُسمّلك منه ما تشاء إذا نفّس عنه حيأوه . وكنْتُ لذلك أحبه وأجلّه لواسع معرفته . فلما قرأت ما ختم به مقدمة كتابه ، رابنى منه ما قال ، لأنّه أمر غير معهودٍ فيه أن يتبجّح بذكر نفسه أو أعماله . وقد نشر في سنة ١٩٣٢ ، ترجمة الشاهنامنه ، وبذلَ فيها جهداً كبيراً ، فكان خيرَ ما نشر ، ومع ذلك لم يُثنِ على نفسه ، بل كان جَمَّ التواضع هاضماً لنفسه ، فكيف قال هنا عن كتابه إنه « أوسع ، وأعمق ، وأجدى ما كتب عن الشاعر منذ عاش إلى عامنا هذا » !! غريبة !! ولكى تعلم أنها غريبة الغرائب ، فاعلم أنه حين أعاد طبع كتابه هذا في مصر سنة ١٩٥٤ ، أثبت مقدمة الطبعة الأولى ، ثم ختم مقدمة الطبعة الثانية بما يلى :

« وأصدّقُ القارئ أنى أردتُ أن أحذف من مقدمة الطبعة الأولى دعوى أن هذا الكتاب أجمع وأدق ما كتب عن الشاعر . واتفق أن جاء إلى كراجى ( بلدة بالهند ) ، وأنا أعدّ الكتاب للطبعة الثانية ، صديقنا العلامة الشيخ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وهو من أوسع الناس معرفة بالشاعر ، وكان يحفظ ديوانه كلّهُ ، فأخذ الكتاب وقرأه ، ثم نهانى عن حذف الجملة / التى هممتُ بحذفها وقال : دَعَوَى صَدِّقٍ ، فلماذا تمحوها » !! غريبة م ١٠٨

أخرى هندية الميلاد !! وستعلم السبب في إرادة حذفها ، ثم في الشهادة التي أتى بها مُخْرِجَةً له من إرادته ، فاستسلم للنهي وأثبتها راضياً عنها كُلُّ الرضى ، ولا غَرْوَ !! ولم يقنع بذلك ، بل زاد في مدح كتابه ، فوصفه مرة أخرى بأنه : « أجمع وأدق ما كتب عن الشاعر » !! غريبة أيضاً !!

ما علينا ! تجاوزتُ المقدمة ، وأخذت الكتاب أقرؤه . فإذا به ، منذ أوله ، يتعقبني تعقّباً متستراً متلفعاً بعباءة الأخبار التي رواها الرواة ، فهو يقف عند ما وقفتُ عنده منها ، ويخالفني معرضاً غير مصرّح ، أو يعارضني موافقاً لبعض رأئي مُغفلاً سائرهُ ، وأثرُ ألفاظي في ألفاظه واضحٌ كُلُّ الوضوح !! ويقف أيضاً على كُلِّ شعرٍ من شعرٍ أرى الطيب ، لم ينتبه للوقوف عنده أحدٌ قبلي ، ويعلّق عليه بنفس ألفاظي التي علّقتُ بها عليه !! وظلّ يسلّخ من كتابي سلخاً مرّة بعد مرّة ، مقتنياً آثاري ، ويقول ، وكأنّ ما يقوله ممّا يظهر لكل قارئٍ شعرٍ أرى الطيب ، بلا معاناة وبلا سبب ، ويعرضه عرضاً كأنه اجتهداً منه لم يُسبق إليه من قبل !! وأعمالٌ أخرى قبيحة ، مع الأسف ، وضنّ ضنّاً شديداً بأن يكرّمني ويشرفني بذكر اسمي ، وما هو إلّا أن يقول في ثنايا سُطور كتابه : « قال بعض الأدباء » و « رأى بعض الكتاب » و « قال كاتب المقتطف » !! يا للعجب ! فلما فرغتُ من الكتاب ، ساورني أن أكتب ، وأن أُبين قباحة هذا الأسلوب ، ولكنني تأثّيتُ به ، لأنّي كنت لم أزل أحبه وأجلّه ، ولأنّي رَحِمْتُهُ وأشفقتُ عليه من حيّائه ، إذا أنا هتكتُ عرض كتابه .

/ ويشاء الله أن لا يطول على التأمّني ، فبعد أيام قلائل كنتُ جالساً في مجلس ١٠٩ م  
أستاذنا أحمد حسن الزيات في مكتبته بمجلة « الرسالة » ، وفجأة قطع الأستاذ حديثه وقام وأشرق وجهه ، ورحّب وأهل وسهّل ، وإذا القادم هو الأستاذ عبد الوهاب عزام . فقمْتُ وسلّمْتُ ، وجلسنا . فلما برّد المجلس ، وانقضت لحظات الحفاوة بمقدمه ، التفتُ إلى أستاذنا عزام ، وأعلمته أنّي قرأتُ كتابه ، وبدأتُ أعاتبه على استكفافه أن يذكرني باسمي ، فغلبه الحياء ، وجعل يحاول أن يجامل ، وأن يجعله أمراً غير مقصود البتة ، وأنه

عرضَ لآخرين غيري ، فلم يذكر أسماءهم . فغاضتني مجاملته ، وغاضني حياةُ أيضاً ؟! فقلت له : ليس هذا بصحيح ، فإنك ذكرت الأعجمي المستشرق « بلاشير » باسمه مراتٍ ! فعجل قائلاً : لأني كنت أردّ على أقواله التي كتبها في « دائرة المعارف » ! فزادني تقزُّراً ، فقلت له : يا سيدي الأستاذ ، إنك أيضاً كنت تردُّ على أقوالى ، منذ أوّل كتابك ، فعلت كذا وكذا ، وكان أسلوبك في مناقشة الأعجمي واضحاً ، وقد تعرّضت لتقّد القضايا التي كتبها ، مؤيداً بالنقل عنه والإشارة إلى كلامه ، أفلست أنا جديراً بأن أعامل معاملته على الأقل ! ومع ذلك ، فإن أقوال هذا الأعجمي المستشرق لا قيمة لها في الحقيقة ، وهو لو انخلع من أبهة الاستشراق ، ومن روعة الاسم الأعجمي ، ثم جاءك في زى طالبٍ تتمتعنه ، لاستكثرت أن تزيدَ درجةً على درجة الصّفر . فأى شيء هذا ؟ وهب أنه جاء برأى غريبٍ ، كراهيه في أن المتنبي « قرمطى » الرأى والهوى ، فاستحق أن تردّ عليه ، أفلا يستحق رأى في « علوية أنى الطيب » مثلاً ، أن تذكره / وتردّ عليه ردّاً مباشراً ، كما فعلت مع الأعجمي ، دون أن تلجأ إلى التضمين الملفّف ، وإلى الإغفال المتعمّد ؟ ثمّ تزيد الأمر سوءاً حين تتعقّب ترتيبى لشعر القسم الأوّل من ديوان أنى الطيب ، وتوقيتى لرحلته في الشّام منذ خرج من الكوفة سنة ٣٢١ ، إلى أن لقي أبا العشائر سنة ٣٣٦ ، مع أنّى كنت أوّل من نبّه إلى هذا الترتيب ، وأوّل من حاول هذا التوقيت ! أليق هذا ؟ ثم أليق بك أن تعارضنى في كل توقيتٍ لقصائده ورحلته ، بلا جديدٍ وقفّت عليه بمجهدك ، وإنما أنت معتمدٌ فيه على تخاليط « بلاشير » ؟ هذا من عجيب السّجايا ، وأعجبُ أنّك في كتابك قد أقررت ، غير مُريدٍ !! أنك كنت تعتقد أن هذا القسم من الديوان مرتب على التاريخ ، ثم جاء ما أزالك عن اعتقادك ، فمن الذى فتح لك الطريق حتّى توقّفت في الأمر وبحث ؟ <sup>(١)</sup> وطال الكلام ، ولم أدع شيئاً مما كنت أحبُّ أن أقوله له كتابةً ، إلا قلته له بلسانى . وختمت حديثى فقلت له : خيرٌ لك أن تعيد النظر في كتابك هذا ، ففيه آفاتٌ كثيرة أرجو أن يبرأ منها إذا أعدت طبعه مرة

(١) انظر ما يلى ص : ٨٨ ، ٨٩ .

أخرى ، فهذا أليق بك ، وأكرم بك عند الناس . <sup>(١)</sup> وكان هذا حسبي ، وطرحْتُ فكرة الكتابة عن كتابه جانباً ، ولم أذكره بسوءٍ حين تعرّضت لنقد الكتاب الآخر ، كتاب كبيرهم الذى علّمهم « السطو » ، وبَعَجَ لهم أساليبه ، ومدّ لهم قياسه وعَلَله !! كما قال ابن سلام فى إمام علم النحو « عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى » !!

\*\*\*

/ وليس سبيلى هنا أن أفصّل القول فى نقد كتاب الأستاذ عزام ، والوقوف <sup>١١١ م</sup> بالقارىء على موضع موضع من أفعاله بكتابه فى كتابه ، فهو أمرٌ لا يعنينى الآن ولا غداً ، بحمد الله ، ولكنّ عنابتى هى إظهارُ فسادِ الحياة الأدبية ، فى زمنٍ مضى . <sup>(٢)</sup> نَعَمْ ، ولكنّه ألقى بذور الفسادِ التى أُبْنِيت من بعده إلى زماننا هذا .

ذكرتُ قبل ما عانيته فى ترتيب تاريخ قصائد القسم الأوّل من ديوان أبى الطيب [ انظر ما سلف ص : ٣٧ - ٤٠ ] ، وكان عملاً شاقاً وعرّ المسالك ، لأنّ اعتمادى فيه كان على « تذوق الشعر » ، وأما الأخبار وتراجم الرجال الذين قال فيهم هذا الشعر ومتى قاله ، فكان يحتاج ضبط توارىخها إلى حذر شديد . وقد استطعتُ ، بحمد الله ، أن أوفّق إلى توقيتها توقيتاً مقارباً للحقيقة ، ولم يسبقنى إلى التفكير فيه ، أو إلى عمله ، أحدٌ انتفع بعلمه . ولكنّى لم أعقد فى كتابى باباً بعنوان « ترتيب قصائد المتنبي » ، بل فرغت من الترتيب ، ثم بثّته فى مواضعه من الكتاب منذ أوّله إلى نهاية الفصل العاشر [ من ص : ١٣٧ ]

(١) انظر ما سيأتى ص : ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) كُلُّ ما فى هذه المقدمة ، وما نشرته من مقالاتى بعنوان « بيسى وبين طه » ، ليس إلّا برهاناً على فساد الحياة الأدبية كيف فسدت ؟ ومن أفسدها ؟ ولا أريد بها قدحاً فى أحد ، ولا مدحاً لأحد ، ولا ثناءً على نفسى أو عملى ، فمن فهم غير ذلك ، فهو وما فهم ، ولا حيلة لى فى إصلاح الفساد . ولكن ليعلم أنى إذ عزمتُ على صفة فساد حياتنا الأدبية ، فإنّى أقولها ناصحاً لأمتى ، ومن تعرّض للنصيحة ، فعليه أن يكون صادقاً واضحاً مبيناً ، لا يُدارى ولا يجامل ، ولا يُمارى ولا يجادل .

٢٩٤ . وقد كنت انتهيت ، في تذوق لشعر أبي الطيب ، إلى أن الترتيب الذى وضعه أبو الطيب نفسه ، في القسم الأول الذى لم يؤرخ قصائده كما أرّخ القسم الثانى من ديوانه ، كان ترتيباً مقارياً للصواب . وذلك لأنه كان واضحاً أن أبا الطيب كان ، عند جمع شعره فى ديوانه ، شديد الإحساس بالتاريخ فى القسم الثانى ، فهو خليق أن يكون شديد الإحساس به أيضاً فى القسم الأول ، ولكنه كان قد نسى الأيام والشهور والسنوات ، م ١١٢ / فرتب هذا القسم على ما بقى فى نفسه من الإحساس الخائى بهذه التواريخ التى قدّم عهده بها ، [ انظر ما قلته آنفاً من ص : ٣٨ - ٤٠ ] .

والأستاذ عزام قد قرأ كتابى بلا شك !! ورأى هذه الفصول العشرة الأولى « مرصعة » !! بالتواريخ التى تؤرخ شعر أبي الطيب الذى لم يؤرخه هو باليوم والشهر والسنة ، وأدرك كما أدرك الدكتور طه حسين : « أن أحداً لم يسبقنى إلى توقيب قصائد المتنبى هذه » [ انظر ميساق ص : ٥٢٣ ] ، بل هو قرأ التعليق الذى كتبته فى كتابى ، [ انظر هذا السفر ص : ١٥٢ ، تعليق ١٠ ] ، حيث قلت : « واعلم أننا نجتهد فى تاريخ ما لم يؤرخ من قصائد المتنبى ، وقد وجدنا فى ذلك المشقة فما فوقها ، لنترجم للرجل على بينة وهدى ، وستجد فائدة ذلك فيما يمرُّ بك إن شاء الله » ، فانظر الآن ماذا فعل الأستاذ عزام ؟

عقد فصلاً فى كتابه بعنوان « ترتيب ديوان المتنبى » ، لا يتجاوز ثلاث صفحات من الطبعة الأولى العراقية ، وهو فى صفحتين فقط من الطبعة الثانية المصرية !! وختم هذا الفصل المهم بقوله :

« كنت أعتقد كما اعتقد غيرى ، ( من غيرُه هذا ! لا أدري ) ، أن القسم الأول من كتاب ديوان المتنبى ، مرتّب على التاريخ ، حتى عرفتُ بعد بحثٍ طويل أن القصيدتين اللتين مدح بهما « مساور بن محمد الرومى » نظمتهما سنة ٣٢٩ ، يُعرفُ ذلك من ولاية هذا الأمير على حلب فى هذه السنة ، ومن ذكر هزيمة ابن يزداد فى إحدى القصيدتين ، وكانت هزيمته فى ذلك الوقت أيضاً . وهاتان القصيدتان فى الديوان مقدمتان على قصائد م ١١٣ « بدر بن عمار » / التى نظمت منذ أواخر سنة ٣٢٨ وأوائل سنة ٣٢٩ ، وأظنُّ مدح



مساور كان بعد مدح بدر . ثم بين قصيدتي مساور ومدائح ابن عمار ، قصائد كثيرة لا أظن أن المتنبى نظمها بين مدحى هذين الأميرين . فهذا أضعف ثقتي بالترتيب في الديوان ، قسمه الأول = ومنعني أن أعتمد عليه في تاريخ الشاعر ، وإن ظننت أن الأصل في ترتيب الديوان كله الترتيب التاريخي . فأدعُ الاعتماد على ترتيب الديوان في القسم الأول ، إلى أن أجد من الأدلة التاريخية ، ما يكفى للثقة بترتيب قصائده كلها على التاريخ » . (١) انتهى الكلام والحمد لله ... ثم إن الله تعالى لم يخلق لنا الألسنة إلا للكلام ، فإبطال عملها إبطال لنعمة من أجل نعم الله على الناس ، وهذا قبيح بنا معشر البشر !! أليس كذلك ؟ كان يعتقد أن القسم الأول مرتب على التاريخ ، ثم جاء ما أزال اعتقاده ، فأضعف ثقته بهذا الترتيب ومنعه أن يعتمد عليه في تاريخ الشاعر = كلام مستقيم ، ولكن ما معنى الجملة التالية له : « وإن ظننت أن الأصل في ترتيب الديوان كله الترتيب التاريخي » !! تأمل هذا الكلام ، وما يدل عليه من الحيرة المفضية إلى التناقض ! ألم يقل قبل إن هذا الظن أو الاعتقاد ، قد جاء ما يبطله بعد « بحث طويل » ؟ هذا على كل حال نص كلامه في الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ . فانظر الآن ماذا كان من أمره في الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ ، بعد أن انقضى على حديثنا عشرون سنة ، قال في مقدمة الطبعة الثانية :

/ « وقد نفذت نسخ الطبعة الأولى بعد قليل ... ثم يسر الله نشره ... فأعدت النظر ١١٤ م فيه ، وغيّرت قليلاً ، حاشا الفصل الأخير ، فقد أعدت كتابته . ووجدت الكتاب ، بعد هذه المدة الطويلة ، كما وصفته في مقدمة الطبعة الأولى ، ولم يتغير رأبي في شيء فيه ، فهو جدير بعناية كل معنى بسيرة أبي الطيب ، حقيق بثقة كل قارئ » .

وظاهر بعد الحديث الذي حدثتكم عما كان بيني وبين الأستاذ عزام ، أنه يعرض لي ، على استحياء !! من وراء برقع لا يراه غيري ! وانظر إلى ثنائه على كتابه ، وقد

(١) انظر كيف كان يتكلم الأساتذة الكبار : « يعتقدون » و « يعرفون » ، و « تضعف ثقتهم » ، و « يظنون » ،

و « يطلبون الأدلة » ، و يطلبون فوق ذلك أن يصدقهم الناس !!

وصفت لك من قبل حيائه ، وأنه أمرٌ غير معهودٍ فيه أن يتبجح بذكر نفسه والثناء على أعماله [ اطر ص : ٨٠ : ص ١٣ ] ، فليت شعري ما الذى غيّر الرجل ! وقد ذكر أنه أعاد النظر فى الكتاب ، و « غير قليلاً حاشا الفصل الأخير .... » ! وسأضرب لك مثلاً على ما غيّر فى فصل ترتيب الديوان الذى نقلته آنفاً [ ص : ٨٤ : ص ١٨ وما بعده ] ، فإنه قال هناك :

« كنت أعتقد كما اعتقد غيرى ... حتى عرفت بعد بحثٍ طويل أن القصيدتين ... » ، فكان التغيير هو هذا : « حتى عرفت بعد بحثٍ طويل مُتعب أن القصيدتين .... » فزيادة « متعب » ، تغييرٌ كان لابد منه ، لأنه أمرٌ شديد الخطر ، ولا يستقيم الكلام إلا بهذا التغيير ! وهو يستحى أن يراى قلت : « وأعلم أننا نجتهد فى تأريخ ما لم يورخ من قصائد المتنبى ، وقد وجدنا فى ذلك المشقة فما فوقها » [ انظر ما سبق ص ١١٥ : ص ١٤ ، ص ١٣ : ص ١٣ ] ثم يقتصر / هو على وصف بحثه بأنه « طويل » ، والاقتصار على صفته بالطول مفسدة وإخلالٌ وزلة لا تُغتفر !! فصار لازماً أن يغيّر فيقول : « بحث طويل متعب » لتستوى كِفَتَا الميزان ! وإذا لم يكن هذا القدر من الدقة والحرص والأمانة هزلاً محضاً ، فماذا يكون ؟

...

وينبغى أن تستيقن ، إكراماً لى على الأقل ، أن الرجل لم يبحث بحثاً لا طويلاً ولا قصيراً ، ولا متعباً ولا هيناً « حتى عرف أن القصيدتين اللتين مدح المتنبى بهما مُساوَر ابن محمد الرومى ، نظمتهما سنة ٣٢٩ .... » إلى آخر ما قال . وتفسير هذا بسيطٌ جداً عندى ، لأننى أعرف ما كتبتُ ، وأعرف ما يكتب الآخرون . أما كشف الستار عن حيل هؤلاء المؤلفين الذين يتسترون تحت عباءة « البحث العلمى المتعب » ، ويتلعبون بعقول القراء ، ويفسدون الحياة الأدبية بتعبيهم فى اختطاف ما يحتطفون ، ثم بتعبيهم فى إخفاء ذلك بأساليبهم المبتذلة المتنوعة ، فيحتاج إلى بسط وإطالة . ولكننى سأقنع هنا بما لا بُد منه .

كنتُ قد قسّمت ديوان أبي الطيّب أقساماً . لم أذكر ذلك في كتابي ، ولا أجد ما يدعوني إلى تفصيل كلّ هذه الأقسام هنا ، والذي يهمنا هما القسم الأول والثاني .

القسم الأول : يبدأ من أول الديوان ، إلى آخر القصيدة ٤٨ ( من شرح الواحديّ واليازجيّ أيضاً ) ، ويتضمّن ٢٧ مقطوعة ، و ٢١ قصيدة من قصائر / القصائد . وتاريخها م ١١٦ يبدأ من أول سنة ٣١٤ إلى سنة ٣٢٥ تقريباً . وهي ممّا قاله في الكوفة صبيّاً في الحادية عشرة ، ثم في الشام سنة ٣٢١ ، ثم في السجن سنة ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ثم في بغداد والكوفة سنة ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ثم في الشام مرةً أخرى في أوائل سنة ٣٢٦ .

والقسم الثاني : يبدأ بالقصيدة ٤٩ وما بعدها ، عند نزوله بالتنوخيين باللاذقية سنة ٣٢٦ وما بعدها .

...

أما القسم الأول ، فهو يقع في كتابي هذا من أوله ص : ١٣٧ إلى آخره ص : ٢٣٦ من هذه الطبعة . وقد استشهدت بأكثر مقطوعات هذا القسم ، أمّا قصائده ، فلم أستشهد فيه إلا بأربع قصائد من قصائده لا غير . وكان فيه توقيت رحلته والحديث عنها ، منذ خرج من الكوفة سنة ٣٢١ إلى الشام ، ثم سجنه ، ثم عودته إلى الكوفة وبغداد ، ثم عودته إلى الشام مرةً أخرى سنة ٣٢٦ . ولما بلغت في كتابي ص : ٢٣٢ ، قلت في تعليق لي هناك : « اعلم أننا تركنا في هذا الحديث عن رحلته وحجسه ، ما قال من شعر في مدح رجالٍ لقيهم في طريقه بالبلاد التي نزل بها ، إذ ليس يضرُّ إغفال ذلك .... » فكان مما أغفلته آخر قصيدتين في هذا القسم ( ٤٧ ، ٤٨ ) ، في مدح « مساور بن محمد الرومي » الذي ذكره الأستاذ عزام .

ثم شرعتُ بعد ذلك منذ ص : ٢٣٧ في القسم الثاني ، الذي يبدأ عند نزوله على التنوخيين باللاذقية سنة ٣٢٦ - ٣٢٨ ، ومضيت في تاريخ هذه الحقبة إلى أن لقي بدر ابن عمار الأسدي ، من أواخر سنة ٣٢٨ ، إلى سنة ٣٣٣ على / وجه التقريب [ ص : ٢٥٩ م ١١٧ ] ، وتابعت التاريخ والتوقيت بعد ذلك ، إلى أن انتهى المتنبي إلى أبي العشائر الحمداني في أواخر سنة ٣٣٦ ، ثم جاء القسم المؤرخ من الديوان ، منذ نزل المتنبي على سيف الدولة في جمادى الأولى سنة ٣٣٧ .

فماذا حدث ؟ حدث أن الأستاذ عزاماً ، قد تعب تعباً شديداً حقاً ، ولكن تعبته هذا كان وهو يحاول أن يتبين في كلامي هذا التقسيم الذي فصلته هنا بعض التفصيل ، وما فيه من التأريخ الذي لم يسبقني إليه أحد ، وقد ظلّ يتعقبني في هذا القسم الأول ( ص : ١٣٧-٢٢٦ ق ١ ) ، يأخذ من كلامي ، ويفرّقه على أبواب كتابه « المدرسي » ، ثم يحاول أن يعارضني مرة بعد مرة ، بلا ذكر ولا بيان ، وبأسلوب غير مرضي ولا مستساغ ، لأنه توقف ، هكذا تظاهر ، على كل شعر من شعر أبي الطيب أو خبر من أخباره ، كنت أنا أول من توقف عنده وكشف معانيه . فمن ذلك أنه حين انتهى إلى مسألة نبوته وسجنه في كتابي هذا ( ص : ٢٢٦ ) ، وجدني قد توقفت عند شعر أبي الطيب الذي قاله وهو في السجن ، وكتب به إلى « الأمير ؟ » وذلك قوله ، ( انظر ما سيأتى ص : ٢٢٧ وما بعدها ) :

رَمَى ( حلباً ) بتَوَاصِي الخِيُولِ ،      وَسُمِرَ يُرْقَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ

.....

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ ( الْخَرَشْنِيُّ ) ،      كَشَاءٍ أَحْسَ بَزَارِ الْأَسْوَدِ

وهو من القصيدة ٣٦ من القسم الأول ، فقلت في توقفي على هذين البيتين ١١٨ م اللذين لم يتوقف عندهما أحد قبلي : « والذي تنبّهنا له هنا ، أنه ذكر في هذه / القصيدة ( حلباً ) و ( الخرشنى ) ، وقد عيّنا ( أى تعبنا !! ) بالبحث عن الحادثة التاريخية التي نستطيع بها أن نعيّن السنة التي قيلت فيها ، ثم وفقنا الله لتفسير ذلك بالاستنباط » ، وذكرت الحادثة وتاريخها ثم قلت : « والخرشنى هو ملك الروم ، لأنهم ينسبون ملوك الروم إلى جبل ببلادهم ، يقال له ( خَرَشَنَة ) ، وتكون هذه القصيدة لذلك ، مما كتب أبو الطيب إلى محمد بن طغيج الإخشيد التركي ( الأمير ) ، في أواخر سنة ٣٢٢ ، وأوائل سنة ٣٢٣ » .

فتوقف الأستاذ أيضاً ، دون أن يذكرني أو يذكر ما قلت في ذلك ، وجاء يعارضني ويتعقبني ويرغم أن ( الخرشنى ) ، هو « بدر الخرشنى » ، وأنه ولي حلب سنة ٣٢٤ ، وكتب ذلك في فصل لطيف كله خلط عنوانه : « متى سجن أبو الطيب ؟ »

وكان سبيله إلى هذا الكشف أن يلتمس كتاباً فيه « تاريخ حلب » ، فوقع على كتاب الأستاذ محمد راغب الطباخ ، فذكره ، وأخذ منه ما أخذ . وفيما هو يقلّب الكتاب وقع عَرَضاً على اسم « مساور بن محمد الرومى » الذى مدحه المتنّبى بالقصيدتين ( ٤٧ ، ٤٨ ) ، وهما فى آخر القسم الأول عندى . فمن هنا قال : « كنت أعتقد كما يعتقد غيرى ... حتى عرفت بعد بحث ( متعب ) أن القصيدتين اللتين مدح بهما مساور بن محمد الرومى نظمتا سنة ٣٢٩ ، يعرف هذا من ولاية هذا الأمير على حلب فى هذه السنة ، وفى ذكر هزيمة آبن يزداد فى إحدى القصيدتين .... » إلى آخر ما قاله [ انظر ما سلف : ٨٤ ص ٢ ] ، ولم يشر إلى كتاب الأستاذ الطباخ هنا البتة !! مع أن خبر « مساور » وهزيمته ابن يزداد ، وهو الذى ساقه هنا كأنه شىء معروف مشهور = وهو أسلوبٌ مُبتَدَل من أساليب التعالم = / لا يوجد له ذكر فى كتب التاريخ المعروفة ، ولم يَجْر له ذكرٌ إلا فى ١١٩ م كتاب الأستاذ الطباخ ، وهو نقله من مخطوطة كتاب « زبدة الحلب » لابن العديم ، الذى طبع بعد ذلك بزمان طويل ! ( سنة ١٩٥١ ) . فالأمر كله غير « متعب » كما ترى ، وهو شىء جاء اتفاقاً ، ولكنه فرح به أيّما فرح ، لأنه يتيح له أن ينقُص على « الترتيب التاريخى » الذى سرت عليه فى كتابى ، فيقول بعد ذلك مباشرة : « وهاتان القصيدتان فى الديوان ، مقدمتان على قصائد بدر بن عمار التى نظمت منذ أواخر سنة ٣٢٨ وأوائل ٣٢٩ ، وأظن أن مدح مساور كان بعد مدح بدر ، ثم بين قصيدتى مساور ومدائح ابن عمار قصائد كثيرة لا يُظن أن المتنّبى نظمها بين مدائح الأميرين . فهذا أضعف ثقتى بالترتيب فى الديوان .... » ، إلى آخر ما قال [ انظر ما سلف من : ٨٤ ، ٨٥ ] .

والخلاصة ، أنه لولا توقفى عند ( حلب ) و ( الخرشنى ) ثم وقوفه عرضاً على ذكر « مساور » فى كتاب الطباخ ، لظَل الأستاذ على اعتقاده ( كما اعتقد غيره ! ) : أن الديوان مرتّب ترتيباً تاريخياً !! فهذا هو الذى أحدث له الإشكال فى هاتين القصيدتين !! ولكن الصحيح هو أن القصيدة الأولى ( ٤٧ ) ، قالها المتنّبى بعد خروجه من السجن سنة ٣٢٣ ، وبعد عودته إلى الشام سنة ٣٢٦ ، ثم فارق مساوراً ، وذهب إلى التنوخيين ،

على سياق ما في كتابي . أما القصيدة الثانية ( ٤٨ ) ، فقد قالها حقاً ، سنة ٣٢٩ ، وهو عند بدر بن عمار في طبرية ، بدليل ذكر هزيمة ابن يزداد فيها ، وأرجح الظنّ عندى أنه كتبها بطبرية ، وأرسلها إلى « مساور » ، وهو بحلب . ثم لما جمع المتنبي شعره ، على ما بقى في نفسه من تواريخ قصائد القسم الأول ، ضمّ القصيدة / الثانية التي قالها سنة ١٢٠ م ، إلى القصيدة الأولى التي قالها سنة ٣٢٦ ، وقد فعل المتنبي ذلك مراراً ، حتى في القسم المؤرخ ، فإنه ضمّ قصائد أو أبياتاً في تاريخ متأخر ، إلى قصائد في تاريخ متقدم ، وقصائد في تاريخ متقدم ، إلى قصائد في تاريخ متأخر ، ليكون شعره في الرجل الواحد ، مجموعاً في مكان واحد . وقد أشرت إلى ذلك من فعله فيما سلف [ انظر ص : ٣٨ ] .

...

ولست هنا مريداً للوقوف على جميع ما أستعجنه من أفعال الأستاذ عزام ، وهي كثيرة جداً ، ولكنني سأفكك على هذه الأشياء الغريبة التي تحرك هؤلاء الكتاب ، ملففة في الغموض والإبهام . فالأستاذ عزام ، لم يلق بالاً إلى شعر أبن الطيب عن الرجل الذي ذكره آنفاً في عرض كلامه ، وذكر تاريخ قصائد أبن الطيب فيه ، « وهو بدر بن عمار الأسدي » ، ثم أغفله في كتابه إغفالاً يكاد يكون تاماً ، ولا أدري لم ؟ إلا ما كان من قوله آنفاً : إن قصائد أبن الطيب فيه كانت سنة ٣٢٩ ، ثم لم يذكر عنه شيئاً ذا بال سوى هذا التاريخ « المحدد » !! أما أنا فقد عقدت له فصلاً كاملاً مفرداً ، هو الفصل التاسع كله [ هذا السفر ٢٥٩ - ٢٧٢ ] ، ورددت ذكره قبل ذلك وبعد ذلك [ اطلبه في الفهرس ] ، وحددت شعر أبن الطيب فيه من أواخر سنة ٣٢٨ إلى أوائل سنة ٣٣٣ . وجعلت لقاء أبن الطيب ببدر أول إسفارة واضحة عن طبيعة أبن الطيب وأهدافه بعد أن خرج من السجن ، وعن تأملاته وآلامه وحوافزه ، حيث استعلنت « عصبية أبن الطيب للعرب والعربية ، وهيأت ١٢١ م شاعريته لما يستقبله لدى سيف الدولة العربيّ العدويّ ، هازم الروم ، / وقامع الدسائس الفاطمية بالشام وبعض العراق » ، كما قلت [ ص : ٢٦١ ] .

وقد أحدث هذا الفصل للأستاذ عزام غمماً شديداً ، وارتباكاً متعباً ، ولم يستطع أن يقول فيه شيئاً في كتابه البتة ، ولم يستطع أن يتعقّبني كعادته ، فوقف بحته « المتعب » كلّهُ عند مسألة التاريخ التي يذكرها عرضاً بلا دليل البتة !! لأنّ الدليل لم يكن عنده في كتب التاريخ المعروفة !! ولا وجد ذكره واضحاً فيها ، فأخذه تسليماً = ثم اجتهداً من عند نفسه ! = من رجل آخر ، أخفى ذكره في هذا الموضوع إخفاءً تاماً ، مع أنه ذكره في مواضع أخرى كثيرة من كتابه ، إلّا هذا الموضوع !! (١)

فالأعجمي المستشرق « بلاشير » ، كتب ترجمة لأبي الطيب في دائرة المعارف الإسلامية ، وقد ذكره الأستاذ عزام وذكرها مراراً كثيرة جداً في كتابه ، وبأدبٍ جَمّ حتى عند أشد المخالفة . فكان ممّا قاله « بلاشير » أن المتنبي بعد « ثورته » : « رجع إلى احتراف المدح !! واستئناف حياة التجول بداية عام ٣٢٥ .... وقنع بمدح أهل أنطاكية ودمشق وحلب وغيرها وبعض صغار العمال في هذه المدن ، الذين كانوا يقرّون عليه في العطاء كلّ التقدير ( يا سلام !! ) . وذاع صيته شيئاً فشيئاً حتى أصبح في أوائل عام ٣٢٨ هـ شاعر الأمير بدر الخرشاني ( هكذا ، والصواب : الخرشني ) الذي ذكره في ديوانه باسم « بدر بن عمار » ، وكان والياً على دمشق ، من قبل أمير الأمراء السابق ابن رائق ، الذي كان قد احتل الشام وشيكاً . ولما كان بدرٌ من / أصلٍ عريقٍ ، فقد ١٢٢ م اعتبره المتنبي مولاه الذي كان ينتظره من أمٍ بعيد . ثم يقول : « ولم تُدْمِ صداقة المتنبي لبدرٍ إلّا حوالى عام ونصف عام » .

ثم يقول هذا الأعجمي أيضاً مادة « بدر الخرشني » من دائرة المعارف الإسلامية : « بدر الخرشني » ، أميرٌ يرجّح ( يا سلام !! ) أنه من أهل خرّشنة .... ويعرف أحياناً ( لا يا شيخ ) بنسبة ربما كانت أسطورية ( يا لطيف ) ! وهي « بدر بن عمار الأسدي » ، حاجب الخليفة القاهر .... ووُلّي على جند الأردن ، وجعل مقرّه في طبرية سنة ٣٢٨ هـ ،

(١) هذا من صميم فساد حياتنا الأدبية .

وحوالى هذا الوقت مدحه المتنبي . وفي أثناء الصراع بين ابن رائق وأمير الموصل الحمداني ناصر الدولة ، عاد بدرٌ هو أيضاً إلى العراق ، ونال الخطوة مدة قصيرة لدى الخليفة المتقى ، ولكنه اضطر إلى الالتجاء إلى الفسطاط في مصر عند محمد الإخشيدى . وتوفى بدر هناك في نهاية سنة ٣٣٠ هـ .

اللهم اغسلْ حَوْتِي ( أى إثمى ) ، وتقبَّلْ توبتى ، فإن الأستاذ عزاماً قد أوقعنى في إثم كبير بنقل هذا الخلط الخبيث إلى كتابى هذا . وأنا لا أشك لحظةً أن الأستاذ عزاماً قد استقدر هذا الكلام كما استقدرته ، ولذلك لم يذكره في كتابه ، لا ناقلاً ولا مُعلقاً ولا ناقداً ولا مصححاً ! وعلة ذلك معروفة ، وهو أن هذا الجيل من الأساتذة كان لا يملك إلا أن يقف خاشعاً مُحَبِّتاً بين يدى « العلماء المستشرقين » !! فما وجدوا من « جديد » أخذوه فأذاعوا به وتقلدوه ، أو انتحلوه وتأبطوه ، وأما ما وجدوا من « خبيث » فقد أجزوا عليه السنة في كُلِّ خبيث ، أن يُغضُّوا عنه أو أن يدسُّوه في التراب ! / وكذلك فعل الأستاذ عزام . وأنا لا أستحلُّ نقل هذا الخَبْث دون أن أبين فساده ، وإن كان عملى هنا لا يتناول مثل هذه الخبائث .

« بدرٌ الخرشنى » ، غلامٌ رومى من « خرشنة » في بلاد الروم ، ظلَّ يعلو شأنه حتى صار من كبار رجال الدولة . وحين ولى الخليفة المتقى في ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ، كان بدرٌ ببغداد ، فخلع عليه المتقى ، وقلده الحجابة ، وجعله حاجب الحجاب . ثم جرت له أمور ببغداد ، فصرف عن الحجابة سنة ٣٣٠ ، وقلده المتقى طريق الفرات ، فسار إلى الإخشيد محمد بن طغج ، أمير مصر ، مستأمناً ، فأمنه الإخشيد وولاه إمرة دمشق ، فوليها شهرين ، ومات في ذى القعدة سنة ٣٣١ . وكذبٌ بحث أن يقال إنه جعل مقره في طبرية سنة ٣٢٨ = أو أن يقال : إنَّه من أصل عريى = أو أن يقال إن المتنبي مدحه ، إلى آخر هذا الإفك .

وأما « بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدى الطبرستانى » ، فهو عريى صليبةً من بنى أسد ، يقول المتنبي ، وهو أعلم ببدرٍ من يكون ، يذكر اسمه كاملاً في شعره ، حيث يقول :



حَدَّثَ يُذَمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا      بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ

ويذكر نسبه في العرب فيقول :

إلى البدر ابن عَمَّارٍ الذي لم      يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهَلَالَا

/ سِنَانٌ فِي قَنَاةِ بَنِي مَعَدٍّ ،      بَنَى أَسَدٌ ، إِذَا دَعَا النَّزَالَا

م ١٢٤

وبنو أسد ، من معد بن عدنان . وهو ليس أسطورياً ، وليس عند العرب ما يقال له شخص « أسطوري » كالذي عند الأعاجم ، فقد ذكره محمد بن عبد الملك الفرضي الهمداني ( - ٥٢١ هـ ) ، صاحب تكملة تاريخ الطبري فقال : « وكان بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، يتقلد حرب طرية لابن رائق ، وهو الذي مدحه المتنبي بقصائد عدة » ، وليس له ذكر في كتب التاريخ المطبوعة التي بين أيدينا ، سوى هذا الكتاب ، وما جاء في ديوان أبي الطيب . ولم يكن والياً على دمشق قط ، وزال بحمد الله الخبث والخَلَطُ . فهما إذن رجلان مختلفان لا رجل واحد ، أحد شقيقه حقيقة والآخر أسطورة !! هذا مجرد عَبيث مُستشرق بارد .

ثم إن الأستاذ عزماً الذي اجتنب هذا الخبث فلم يذكره في كتابه عن المتنبي ، واقتصر ، وهو في حيرة من أمر ما قرأه في كتابي ، على أن ذكر « بدر بن عمار الأسدي » في مواضع قليلة ، ولم يؤرخ له إلا في أول الكتاب ( سنة ٣٢٩ ) ، واستخرج هذا التاريخ استخراجاً من بين التواريخ التي ذكرها بلاشير في تخاليفه السالفة بين « بدر الخرشني » و « بدر بن عمار » ، وكأن الأستاذ كان في ريبة من أمره .

وقد كنت في حديثي معه في دار مجلة « الرسالة » ، قد أشرت إلى هذا الذي كان منه في شأن « بدر بن عمار » وإغفاله ، ومضت سنوات منذ / سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٤ م ، حين نشر الأستاذ ديوان المتنبي ، وبذل جهداً كبيراً في الجمع بين النسخ المختلفة للديوان ، وكتب له مقدمة طويلة ، وعقد فيها باباً بعنوان « ترتيب الديوان » ، وذكر القسم الأول الذي لم يؤرخ ، وكان كلامه مؤمهاً أن بعض هذا القسم قد عُرف تاريخه في

بعض النسخ المخطوطة ، وليس هذا صحيحاً ، والتواريخ المذكورة فيه هي مما أودعه هو كتابه عن أبي الطيب ، ولكنه انتهى أخيراً إلى غلبة الظن بأن ترتيب هذا القسم موضوع على الترتيب التاريخي ، ولم يزد على أن قال متواضعاً في هذه المرة : « ولم أعرف في ترتيب هذا القسم ما يخالف الترتيب التاريخي ، إلا القصيدتين اللتين مدح بهما مساور بن محمد . فقد قُدرتُ أنهما نظمتا سنة ٣٢٩ » ، إلى آخر ما قاله في كتابه عن أبي الطيب . وقد أزلنا نحن إشكالهما آنفاً بحمد الله ، وبقي ترتيب المتنبي للقسم الأول من ديوانه سليماً مطابقاً للترتيب التاريخي .

ولما بدأ الديوان ، لم يتدخل الأستاذ عزام في حواشي الكتاب بشيء ، فإنه لما بلغ قصيدته التي قالها في سجنه ، وزعم في كتابه وفي مقدمته أن ( الخرشني ) هو « بدر الخرشني » ، وأن تاريخها هو سنة ٣٢٤ أو ٣٢٥ ، لم يعلق بشيء في داخل حواشي الديوان = ولما بلغ القصيدتين اللتين قالهما في « مساور بن محمد الرومي » ، والتي أرخهما في كتابه وفي مقدمته بسنة ٣٢٨ وأوائل سنة ٣٢٩ ، لم يعلق أيضاً بشيء في داخل حواشي الديوان . وقد أحسن إذ لم يفعل ، وليته استمرَّ على ذلك ! غير أنه لما بلغ مدائح ١٢٦ م / أبي الطيب في « بدر بن عمار » ، لم يملك نفسه ، فقد كان حديثي يورقه منذ سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٤ ، فأحدث هذا التعليق ، وهو التعليق الفردي اليتيم الذي جاء به من عند نفسه ، في هذا القسم الأول ، لا بل في سائر الكتاب قال :

« قصائد بدر بن عمار » يسهل تأريخها ، فبدر كان يلى طبرية من قبل ابن رائق . وكان استيلاء ابن رائق على الشام سنة ٣٢٨ ، وقتل في رجب سنة ٣٣٠ ، فقصائد بدر نظمت بين هذين التاريخين . ثم أبو الطيب في القصيدة الآتية التي مطلعها : « بقاء شاء ، ليس هم ، ارتحالاً » ، يمدح بدرًا بقوله :

حسام لابن رائي المُرَجِّي ، حُسامُ المُتَقَيَّ أيامَ صِالَا

وكانت خلافة المتقي في ٢٠ ربيع الأول سنة ٣٢٩ ، فقد نظمت هذه القصيدة

بين ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ، ورجب من السنة التالية . والظاهر أن القصائد الأخرى توالى قبل هذه القصيدة . فشعر المتنبي في « بدر » ينبغي أن يؤرخ بسنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

وهذا كلام في غاية الغموض والإبهام والاضطراب ، سقيم التركيب لا يتركب على هذا الوجه إلا في نفس تركتها الرعدة تدور في مكان ضئلي ، أشلاء متطايرة ، وألفاظاً في ظلمة تصادم . ليس هذا خيالاً ، بل / هو تصوير للحقيقة . إماً لا ، فانظر إلى سياق ١٢٧ م منطقته ! ولكن ينبغي أن تعرف ، أول كل شيء أن عدد القصائد التي قالها المتنبي في بدر ابن عمار ( ٥ ) خمس قصائد لا غير ، و ٢٣ مقطوعة . وهو كلام يتركب من ثلاث مقدمات ونتيجة ، وهذا تشقيقه وتحليله :

المقدمة الأولى : « قصائد المتنبي في بدر قد نظمت بين سنة ٣٢٨ ، ورجب سنة ٣٣٠ . »

المقدمة الثانية : « القصيدة الثالثة ، نظمت بين ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ورجب سنة ٣٣٠ » ، ( بينهما ستة عشر شهراً ) .

المقدمة الثالثة : « الظاهر أن القصائد الأخرى ( الأربعة ) توالى قبل هذه القصيدة = أى قبل القصيدة ( الثالثة ) . »

النتيجة : « فشعر بدر ينبغي أن يؤرخ بسنة ٣٢٩ . »

وأنا أرجح أن ( المقدمة الأولى ) لم تذكر إلا تمهيداً وحصرًا لما يأتي بعدها ، وإلا صار الكلام سُقماً خالصاً كله ، لأنه يناقض ( النتيجة ) ، ولكنه أساء التعبير . وأما ( المقدمة الثانية ) : فهي تجعل ( القصيدة الثالثة ) مترددة بين طرفين في زمن مقداره ستة عشر شهراً = ممكن أن تكون في الشهر الأول ، / أو الذي يليه ، إلى الشهر ١٢٨ م السادس عشر ، ( ٩ ) تسعة أشهر في سنة ٣٢٩ و ( ٧ ) أشهر في سنة ٣٣٠ . كل ذلك جائز .

وأما ( المقدمة الثالثة ) : فتجعل ظاهر الأمر أن القصيدتين الأولى والثانية ، والقصيدتين الرابعة والخامسة ، قالها المتنبي متوالية قبل ( القصيدة الثالثة ) ، أى هى تابعة لقصيدة مترددة بين طرفين فى زمن مقداره ( ٩ ) تسعة أشهر فى سنة ٣٢٩ ، و ( ٧ ) أشهر فى سنة ٣٣٠ .

ومعنى ذلك أننا إذا فرضنا أن ( القصيدة الثالثة ) قيلت فى رجب سنة ٣٣٠ ، فالقصائد الأربع الأخرى التى تالت قبلها ، ممكن أن تقع جميعاً فى الأشهر الستة الأولى من سنة ٣٣٠ فقد خرجت ( سنة ٣٢٩ ) خروجاً كاملاً سهلاً من تاريخ هذه القصائد !! أليس كذلك ؟

فكيف يمكن إذن أن تكون ( النتيجة ) الحاسمة : « فشعر المتنبي ينبغى أن يؤرخ بسنة ٣٢٩ » ؟ « ينبغى » يا للعجب ! هذا هو السهل الممتنع !! وهذا السهل الممتنع ، هو الذى يجعله سهلاً عليك أن تقبل منى ما وصفت به هذا الكلام ، وأنه حقيقة واقعة ، لا خيال فيها !

لا ، بل إذا فرضنا فرضاً آخر ، وهو أن ( القصيدة الثالثة ) قيلت فى أول ربيع الآخر سنة ٣٢٩ ، كان ممكناً أن تترشح معها القصائد الأربع الأخرى ، راجعة القهقرى ، حتى تدخل جميعاً فى سنة ٣٢٨ دخولاً صريحاً ربما أنتهى إلى أوائل هذه السنة . فكيف يمكن ، إذن ، أن تكون النتيجة الحاسمة : « فشعر المتنبي ينبغى أن يؤرخ بسنة ٣٢٩ هـ ؟ يا للعجب !

١٢٩ م / جائز جداً أن يكون الأستاذ لم يتعلم الحساب قط ، ولكن ليت شعري هل يجوز أن يكون ضعيف الذاكرة أيضاً ضعفاً يجعله ينسى ما قاله فى كتابه الذى هو « أجمع وأدق ما كتب عن الشاعر » ، والذى هو « جدير بعناية كل معنى بسيرة ألى الطيب وشعره ، وحقيق بثقة كل قارىء » ، فإنه قال هناك على وجه القطع : « قصائد بدر التى نظمت فى أواخر سنة ٣٢٨ ، وأوائل سنة ٣٢٩ » ، بهذا التحديد الحاسم

والمبهم أيضاً ، وأيضاً بغير دليل ؟ وإذا صح أنه قد نسي ما قاله في كتابه سنة ١٩٣٦ ، فكيف تذكر في سنة ١٩٤٤ أن ينقله بنصه في مقدمة الديوان الذى فيه تحديد التاريخ بسنة ٣٢٩ ، على وجه القطع بقوله « ينبغي » ؟ يا للعجب ! إنه ، كما قلت آنفاً ، كلامٌ ، والله تعالى لم يخلق لنا الألسنة إلا للكلام ، فإذا فعلنا ، فذلك إقرارٌ منا له سبحانه بعظيم نعمته ، والحمد لله رب العالمين .

وفي هذا الكلام آفاتٌ أخرى كثيرة ، أنا أعلم من أين أتت ، ولكنى أثركها جانباً ، وأحمل إثمها الرجل الذى أخذ الأستاذ عنه ، وإن لم يصحح بذكره . قلت آنفاً فى ( المقدمة الأولى ) التى قال فيها : « قصائد المتنبى فى بدرٍ قد نظمت بين سنة ٣٢٨ ، ورجب سنة ٣٣٠ » ، قلت : « إني أرجح أنه لم يذكرها إلا تمهيداً وحصرًا لما يأتى بعدها » ، إفراطاً فى حسن الظنّ ، وتبرئة لكلامه من التناقض الفاحش . وهذا التاريخ المحدد فى ( المقدمة الأولى ) إنما هو تاريخ ابن رائق منذ ولايته على الشام سنة ٣٢٨ إلى أن قتل فى رجب ٣٣٠ ، وليس تاريخاً لبدر بن عمار ، حتى يصح أن تكون مقدمة حاصرة لما يأتى بعدها من التواريخ .

/ كل ما فى الأمر أن بدر بن عمار الأسدى « كان بلى حرب طبرية من قبل ابن رائق » ، كما قال المتنبى نفسه ، أى أن ولايته تبدأ سنة ٣٢٨ حين ولّاه ابن رائق . فإذا قُتل ابن رائق فى رجب سنة ٣٣٠ ، أفمعنى ذلك أن يكون ابن عمار قُتل هو الآخر ( أتوماتيكياً ) فى هذه السنة ؟ أو معناه أن يكون صُرف عن ولاية حرب طبرية ( أتوماتيكياً أيضاً ) ساعة قتل ابن رائق ؟ من أين للأستاذ أن يكون العمل الجارى فى الولايات أى يُصرف كل العمال عن ولاياتهم ، إذا مات أو قُتل الذى ولّاهم ؟ أليس ممكناً أن يكون ابن عمار بقى على حرب طبرية بعد قتل ابن رائق ، سنة أو سنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ، أو فوق ذلك ؟ ممكن بلا شكّ ، وإذا كان هذا ممكناً ، فما قيمة هذا التاريخ ، سنة ٣٢٨ إلى رجب سنة ٣٣٠ فى الحصر المؤدى إلى حصر تاريخ شعر المتنبى فى بدرٍ بين هذين التاريخين ؟ الأمر كله فسادٌ وخَطٌّ ودَعْوَى ، ورغبةٌ فى مخالفتى ، لا أكثر

ولا أقل ، لأني قلت في كتابي : إن المتنبي بقي في جوار بدر بن عمار : « من أواخر سنة ٣٢٨ إلى أوائل سنة ٣٣٣ على وجه التقريب ، لا على وجه التحقيق » [ انظر هذا السطر ص : ٢٦٠ ] ، هذا كُلُّ ما في الأمر « والسلام » . وكُلُّ ما في الأمر أيضاً أن الأستاذ عزاماً ظل ثمانى سنوات ( من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤٤ ) ينتفض في قبضة كلماتي التي قلتها له ونحن في دار مجلة « الرسالة » ، فحاول هذه المحاولة « اليتيمة » البائسة ، في الردِّ عليّ من وراء حجابٍ ! أمّا عقول القراء ، وأمّا التحقيق التاريخي ، وأمّا أمانة العلم ، فأمور لا قيمة لها ، مادام قد بَلَغَ منِّي بَطْنُهُ مبلغاً حتى سَقَطَ في يَدَي ، وأطَرَقْتُ أنظر إلى الأرض ، أفرع السنَّ من ندم على ما قلتُ !!

١٣١ / هكذا كانت تجري الأمور ، ولا تزال تجري ، على المثل الجاري : « مِنْ دَفْنِهِ وَأَفْتَلْ لَهُ » ، يأخذُ منِّي ويردُّ عليّ ! ويظنُّون أنه باب خفيٍّ من أبواب علم « السطو » ، فسبحان ربِّنا الأكرم ، الذي علَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم !

إنما عرضت مثلاً مما في الكتاب لا أكثر ، أمّا سائر ما أخذه الأستاذ عزام اجترأً مجرداً ، أو سطواً عرياناً ، فلم أتعرض له هنا ، وقارئ كتابي وكتابه قادرٌ على أن يراه ، كما رأى بعضه ذلك الشاب العراقي الذي لم يدخُل « جامعة » ولكنه ثَقَّف نفسه بالقراءة ، وهو جالسٌ في دكانٍ صغير يبيِّع فيه الكتب ، فكتب إليّ رسالة يذكر فيها أكثر من ثلاثين موضعاً في كتابي ، أخذها الأستاذ فوزَّعها بالعدل والقسطاس على أبواب كتابه ، ورحم الله الشابَّ قاسمَ الرَّجَب الكُتُبِيُّ ، فقد كانَ مثلاً لليقظة في شبابٍ وشيوخٍ كثيرٍ ، قد نامت عقولهم واسترخت « تحت التخدير الثقافي » !

## الكتاب الثاني

أما الكتاب الثاني ... أما الكتاب الثاني ... أما الكتاب الثاني ، وأمرنا جميعاً إلى الله ، فهو كتاب الدكتور طه حسين « مع المتنبي » الذي نشره بعد صدور كتابي بسنة واحدة أو أقل .

قلت أنفاً [ انظر ما سلف ص : ٣٥٠ ، ٣٤ ] : إني حين قرأت شهادة الدكتور / طه على جيلنا ١٣٢٠ المفرغ من ثقافة أمته في سنة ١٩٣٥ ، توهمت ، بحسن الظن ، أنه سوف يبدأ عهداً جديداً في تفكيره ، وأنه سيفارق السنّة التي سنّها هو والأساتذة الكبار ، أعني سنّة « السطو » وسنّة التلخيص . ولما فرغت من من قراءة آخر مقالاته في مايو سنة ١٩٣٥ ، وجدت أيضاً أنه يحاول محاولة أن يسلك طريق « تذوق الشعر » [ انظر ما سلف : ٣٥ ] ، وهو الطريق الذي حاولت قديماً ، وأنا طالب في الجامعة ، أن أقنعه به فيأبى ويعرض ، وذلك الطريق هو كما قلت : « ضرورة قراءة الشعر الجاهلي والأموي والعباسي قراءة متذوّقة مستوعبة » ، ليستبين الفرق بين الشعر الجاهلي والإسلامي ، قبل الحديث عن صحة نسبة هذا الشعر إلى الجاهلية ، والتماس الشبه لتقرير أنه باطل النسبة ، وأنه موضوع في الإسلام ، من خلال روايات في الكتب ، هي في ذاتها محتاجة إلى النظر والتفسير [ انظر ما سلف : ١٧ ] .

ثم قلت : [ ص : ٣٥ ] واصفاً تذوّقه للشعر في مقالاته : « ولكنه تذوّق بلا منهج ، وبلا هدف ، وعلى غير أصل » . وإذا أنا مخطيء في الأمرين جميعاً خطأ فادحاً .

وجاء أسبوع الاحتفال بمرور ألف سنة على وفاة أبي الطيب ، بدار الجمعية الجغرافية سنة ١٩٣٦ . وقبيل ذلك بأيام كان قارئ الدكتور طه المصاحبة قد لقيني في الطريق ، فأخبرني أن صاحبه يرى أن المتنبي « لقيطٌ لغيّة » ، فاستكبرت ذلك واستنكرته مستعيداً بالله من سوء ما أسمع . كنت لم ألق الدكتور طه منذ فارقت الجامعة في سنة ١٩٢٨ ، حتى كان أسبوع هذا / الاحتفال . وفي أول يوم من الأسبوع بدأ الدكتور طه ١٣٣ م

محاضرته ، واستفتحها قائلاً : « لقد شكَّ بعضُ الناس في نسب المتنبِّي ، وأنا أوافقه على هذا الشكَّ » ، فكذت أقوم من فوري لأرد عليه ، ولأُعلمه أنني حاضرٌ غير غائب ! فقد غاظني زهوهُ وخيلاؤه ، وعُنْجُهَيْتُهُ وهو يرثُل ألفاظه ترتيلاً ، ليجمع أنظارَ الناس إلى مخرَج كلماته ، كعادته في الزَّهو . وكان إلى جوارى أحدُ الأساتذة المقرَّين إليه ، فأحسَّ بما هممتُ به فأمسكني وقال : لا تُعَجِّل ! فقلتُ له : إذن ، فأبلغ الدكتور طه أنَّ موافقته أو مخالفته لا تساوي عندي « قرشاً ماسحاً » تتلافظه الأيدي في الأسواق ، لأنه لُفاظة لا تصلح للتداول ! وانتهت المحاضرة .

وعند انصرافي رأيَ أستاذنا عبد الحميد العبادي رحمه الله ، فأقبل وأخذ بيدي وخرجنا من القاعة ، وإذا نحن فجأة عند الباب خلف الدكتور طه حين انصرافه ، فعزَمَ عليَّ أستاذنا العبادي أن أسلم علي الدكتور ، فاستعلنَ غضبي وأبيتُ ، ولكن لم أكُذ حتى سمعته يقول للدكتور : هذا محمود شاكر ، يادكتور ! فوقف ، والتفت التفاتةً يسيرةً ، ومددت يدي فسلمتُ ، وغلبني الحياءُ والحجلُ ممَّا لقيني به من فُرط البشاشة والحفاوة ، ثم أخبرني أنَّه قد قرأ كتابي كَلَّه ، وجاءَ ببناءٍ لم أكنُ أتوقَّعه ، وأطالَ وأفاضَ ، وعَمَرَنِي ثناؤه حتى ساخت لي الأرض [ انظر حبر دلت فيما سيأتى ٥٢٣ ] . فماتَ لساني في فمي ، فلم أستطع أن أنبس بحرفٍ حتى فرغ ، وهو آخذ بيدي لا يُرسلها ، إلى أن ركب ، وافترقنا . غير أن صاحبنا الذي كان إلى جوارى ، لم يكذبُ خبراً ، فأبلغ الدكتور طه رسالتي إليه ، لأنني لم أكُذ / أبلغ باب دار الجمعية الجغرافية في اليوم التالي ، حتى وجدتُ صاحبنا على الباب ينتظرني ، ويأخذني إلى الدكتور طه ، فإذا هو جالسٌ ومعه الدكتور منصور فهمي وأستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق وآخرون ، فاستقبلني الدكتور مهلاًلاً ضاحكاً أشدَّ ضحكٍ وهو يقول : لا تبرحُ أن تكونَ صعيدياً ، كما كُنتَ قديماً !! واستمرَّ الحديث بيني وبينه وبين الجماعة ساعةً ، حتى دنا ميعادُ محاضرة اليوم ، فقمنا إليها ، [ انظر صواباً من الحديث فيما سيأتى ص ٤٢٧ ] .



تصرَّم الأسبوع كُلُّهُ ، فلا أنا سَعَيْتُ إلى لقائه مرَّةً أُخرى ، ولا هو ذكرنى فنادانى ، ولكنى ، فى الحقيقة ، قضيتُ بقية الأسبوع أَقْلَبُ أَمْرَ الدكتور طه فى نفسى ظهراً لبطنٍ ! لم أرتَحْ إلى هذه الحفاوة المُفْرِطَةِ ، ولا إلى حديثه المُسَهَّبِ الذى يَرشَحُ ثناءً وإطراءً ، ورابنى ما رابنى من أمره ، لأننى أعرفه معرفةً !! فلما لقيتُ الشيخ مصطفى عبد الرازق فى داره بعد أيام ، وكان قد ذكرنى فى كلمته التى ألقاها فى أسبوع المتنبئى ، بثَّتُ الشيخ ما فى نفسى من الارتياح فى أمر الدكتور ، وأننى مُقْبِلٌ غداً على تجرُّعِ إحدَى فَعَلَاتِهِ ! فاستنكر الشيخُ حديثى استنكاراً شديداً ، وغضبَ مُزَوَّراً عن كلامى ، وقال لى : لا تَكُنْ سَيِّئَ الظَّنِّ بأستاذك ! وأمسِكْ عليك لسانك وأوهامك ! ورحم الله الشيخ ، فقد كانت صداقته للدكتور طه وحبُّه إيَّاه يزيدان فى سلامة طويته !! ويقعدان بها على شفا حُفْرَةِ هاويةٍ لا يراها ويأبى أن يراها ، « وعَيْنُ الرِّضَا عن كُلِّ عيبٍ كليلَةٌ » ! ولا أدري بعد ذلك ما كان ؟ وهل أحسَّ ساعةً أن الدكتور طه قد حَدَلَهُ وَخَدَلَ ثِقَّتَهُ / خَدَلَاناً كبيراً ، أو لا ؟ فإنَّ كُلَّ ما سمعه الشيخ منى من شكوكٍ وريبٍ ، سُرْعَانَ ما ١٣٥ م تحقَّقَ ، على الوجه الذى فصلَّته له تفصيلاً صريحاً . وكان ما كان ، و « رَجَعْتُ رِيْمَةً ، إلى عادتها القديمة » ، كما يقال فى المثل ، بل هى لم تفارقِ عادتها قط ، ولا تملكُ أن تفارقها ضَرَبَةً لازِبَ .

\*\*\*

ففى يناير سنة ١٩٣٧ ، أى بعد أَقَلِّ من عامٍ منذ ظهر كتابى ، كان ما توقَّعته ، كالذى حَدَّثْتُ به الشيخَ حَدْوَكِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ ، كما يقال فى هذا المثل وإخوته . نشرت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » كتاب الدكتور طه « مع المتنبئى » فى جزئين كبيرين ! وقد حَدَّثْتُك قبل ، [ ص . ٣٤ ] ، أنَّ الدكتور طه فى سنة ١٩٣٥ ، وما قبلها وما بعدها ، « كان فى قمة مجده الذى حازه بالضجة التى ثارت حول كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وأنَّه كان يومئذ يروح ويغدو على ذُرَاهَا ، يملؤه الرِّهْوُ ، وتستخِفُّهُ الحِيَلَاءُ ، ويميدُ به العُجْبُ » .

اشتريتُ الكتابَ ، وكان خسارةً ! ولكن أين المفرُّ ؟ فكلُّ محبٍّ للقراءة مثلى يُوقعه حبه مراراً وتكراراً فى الخسارة بعد الخسارة ، ثم لا يتوبُ ! هكذا كُتِبَ زماننا ! لقد جلبتُ على نفسى شراً كبيراً ! شرعت أقرؤه ، وأجارك الله وعصمك من كُلِّ تلف . وقعتُ فى مهلكةٍ من غمِّ مطبِقِ ثُويسٍ من كُلِّ نَجاةٍ . ست صفحات فى صدر الكتاب [ ص ٣٠ إلى ١٣٦ م ] / وأنا تحت أقدامِ مَزْهَوَةٍ ، وخطوات تَتَبَخَّر ، وتحت مواطئِ عُجْبٍ غليظٍ يدوسنى جَيئةً وذُهوياً ، منذ أول سطرٍ :

« لا أريد أن أدرس المتنبى ... لم أترك القاهرة إلى فرنسا للبحث والدرس ... كُتِبَ لا أستجيبُ لها إلا حين أدعُ مصر وأعتزلُ المصريين ... لا أريدُ إذن أن أدرس المتنبى ... فررت بنفسى وأهلى من الدرس والتحصيل ... أكره لنفسى أن أمضى فى درس المتنبى .... أكتفى بأيسر طبعة من ديوان المتنبى لأنى لا أريد درساً ولا بحثاً ... ليس المتنبى من أحب الشعراءِ إلى ... هو بعيدٌ كل البعد أن يبلغ من نفسى منزلة الحب والإيثار .... أحبُّ أن أعاند نفسى وأخذها من حين إلى حين ببعض ما تكرهُ من الأمر .... لم أجد بأساً أن أثقل على نفسى .... بالتحدث إلى المتنبى إذن .... إنما هى قراءة المتنبى ..... لا أريد أن أدرس المتنبى إذن ... إنما هى قراءة المتنبى فى غير نظامٍ ولا مواظبة .... قراءة إن صورت شيئاً ، فإنما تصور طغيان المرء على نفسه ، ولعبه بوقته وعبثُهُ بعقله ، وعصيانه لهواه ... قل ما تشاء فى هذا الكلام الذى تقرأه . قل إنه كلامٌ يُمليه رجلٌ يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلامٌ يهذى به صاحبه هذياناً ، قل إنه كلامٌ يصدر عن رأى وأناة ، وقل إنه كلامٌ يصدرُ عن شذوذٍ وجُموح ، فأنت محقٌّ فى هذا كُلِّه .... ما أظننى أعرفُ أدباً مقيداً مسرفاً فى التخرُّج ، غالباً فى الاحتياط ، كأدبنا العربى الذى ينشئه أصحابه وهم يفكرُّون فى الناس أكثر مما يفكرُّون فى أنفسهم ، حتى أطمعوا الناس فيهم ، وأصبحوا عبيداً للجماعة ، وخدماء للقراء .

١٣٧ م / « فلنتمرد على الجماعة ، ولننثر بالقراء ، ولننبذ الاحتياط ، إلا هذا الذى يُثير الشرَّ ويؤذى الأخلاق » ، انتهى تلخيصه ، من [ ص ٣ إلى ص ٨٠ ] .

« لا أريد أن أدرس المتنبي » ، « ولا أريد بحثاً ولا درساً » !! زهوٌ بغيض ، وخيلاءٌ نابية ، وعُجبٌ لا يرحم بائساً رماه حُبُّ القراءة في تنويرِ وقوده من زَمْهيرِ ثرثرة قارسة . و « شينشة أعرفها من أخزم » ، فهو دائماً يحبُّ أن « يغيظ » القراء ، وأن يثير « سخطهم » ، وأن يعاند نفسه و « يعاند » الناس . سلسلة طويلة مكررة من الاستعلاء والاستخفاف . ومضيتُ أقرأ محتملاً ما حُمِلْتُ ، فرأيتُ الدكتور قد صدق وعيده حيث لا خيرَ في الصدق ، فما هو إلّا « الذى يثير الشر ويؤذى الأخلاق » . كُلُّ ذلك فَعَلَ ، وجاوزهُ إلى أكبر مما قال وأفحش ، حتى فرغ من الكتاب . ولكنى فوجئت بفصل فى ثمانى صفحاتٍ [ ص ٧٠٤ - ٧١١ ] ختم به كتابه ، بعنوان « بعد الفراغ » ، لا يقلُّ عن الفصل الأول إغراقاً فى الزهو والعُجب والخيلاء ، ولكنه جاءنى أنا وحدى بأعجب العجب ، فعرفنى بشأن من شئون الدكتور لم أكن أعرفه أو أعهده ، من ذلك أنه رجل نساءً ، ينسى كُلُّ ما يهضبُ به لسانه نسياناً كاملاً فى أقلَّ من نصف سنة ، ثم يعودُ فيذكره ، فينقضُ على نفسه ما قاله آنفاً نقضاً مبرماً !

وبيّان ذلك : أنه كان مما قال لى يومَ دار الجمعية الجغرافية ، على مشهدٍ / من ١٣٨ م الأساتذة وقوفاً حوله <sup>(١)</sup> : « يا فلان ؟ اعلم أنى قرأتُ كتابك مرّتين ، بل ثلاثاً ، ولا أظنُّ إلّا أنى عائدٌ إلى قراءته مرّات ، وأنا أشهدكم ( هكذا قال ) ، أنى لم أقرأ منذ سنوات كتاباً

(١) قلت فى نقدي لكتاب الدكتور ، المنشور فى هذا السفر ص : ٥٢٣ ، ما نصه :

« إنَّ الدكتور طه نفسه ، فى أول لقاءٍ لى معه فى يومٍ من أيام أسبوع المتنبي بالجمعية الجغرافية ، وقَفَ يثنى على كتابى بما أستحى أن أردده فى هذا المكان من كلامى . ثم اعترف بأن أحداً لم يسبقنى إلى توقيت قصائد المتنبي هذه ، وأنه قد رضى كل الرضا .... إلى آخر كلامه الذى أذكره ولا أنساه » . قلت هذا فى مايو سنة ١٩٣٧ ، والذى أذكره هنا هو بعض ثنائه يومئذ ، ولا بأس إن شاء الله ، لأننى أقصُّ قصّةً ، ولا حياء فى القصص ، فيما أظن !!

مثل هذا الكتاب ، ولا أستثنى ، لا فى العربية ولا فى غير العربية ، لا عن الشعراء ولا عن غير الشعراء . وأشهد أنى ما قرأته مرة ثم عدت إليه أقرؤه ، إلا وجدت لذة أخرى فوق التى وجدتها فى المرة السالفة . وأشهد أنك مثلت لى المتنبى تمثيلاً ، وأنتك أحبيته إحياءً كأنى أراه وأسمعه . وأشهد أنك درست المتنبى كما كان ينبغى أن يُدرس ، وأشهد أنك صورت المتنبى كما كان يعيش ، أو كما كان ينبغى أن يعيش . وأشهد .... » ، وثناء آخر طويلاً ، فقد وجد لسانه لذة ( أشهد ) ، فراح يكررها على عادته .

م ١٣٩ و ( من نفسى ) ، أحبُّ أنا أيضاً أن ( أشهد ) شهادةً واحدةً على نفسى : / أنى لم أجد لإسهابه يومئذ فى الثناء ، ولا لإغراقه فى الإطراء ، بعض الذى وجدته لثناء الرافعى حين ذكر كتابى ، ولا بعض الذى وجدته من الراحة والبهجة فى صمت العقاد عن كتابى ، [ انظر ما سلف ص ٧٦ - ٧٨ ] بل الذى وجدته جاثماً فى نفسى بعد فراقه ، هو ما أفضيت به إلى الشيخ مصطفى عبد الرازق ، لأننى كنت خبيراً بالرجل أعرفه معرفةً ، و « خَمَرُ أبى الرُّوقاءِ لَيْسَتْ تُسْكِرُ » ، أو هى ليست تسكرنى أنا على الأقل ؟

قال ما قال ثم نسيه ، هكذا ينبغى أن أظن ! وبعد أن فرغ من كتابه تذكر ما قاله ، فأخذه ، فأكله ، فمضغه فأجاد مضغه ، ثم ابتلعه ، ثم عاد فاستخرجه ، فأنشأه خلقاً آخر ، فقال : « الأمر الثانى أنى أبعد الناس عن حسن الرأى فيما أُمليت ، ولا تظن أنى أريد التواضع = أو أن أغض من هذا الجهد الذى أنفقته .... إنما أريد أن ألاحظ أن هذا الكتاب إن صوّر شيئاً ، فهو خليق أن يصورنى أنا فى بعض لحظات الحياة أثناء الصيف الماضى ( !! ) ، أكثر مما يصوّر المتنبى » ، ( وهذه حقيقة كتابه هذا ، لكن من غير الوجه الذى أرادته هو !! ) . ثم قال بعقب ذلك مباشرة : « وإنه لمن الغرور أن يقرأ أحدنا شعر الشاعر أو نثر النثر ، حتى إذا امتلأت نفسه بما قرأ ، أو بالعواطف والخواطر التى يثيرها فيها ما قرأ ، فأملى هذا أو سجّله فى كتاب ، ظنّ أنه صوّر الشاعر كما كان ، أو درسه كما ينبغى أن يُدرس ، على حين أنه لم يصوّر إلا نفسه ، ولم يعرض على الناس إلا ما اضطرب فيها من الخواطر والآراء » ، وفهمت أنا تعريضه الخفى ، وفهمت أيضاً

( نظرية / اللحظات ! ) التى أتى بها بعد ذلك ، حين استمر يتكلم .... حتى ١٤٠ م سكت .... ووضعت الكتاب جانباً ، وعزمتُ أنا على أن أتكلّم .

وفى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٧ ، كتبتُ المقالة الأولى ، من المقالات التى جعلتُ عنوانها : « بينى وبين طه » . وحين بدأتُ أكتب ، كنت قد حدّدت طريقى تحديداً كاملاً ، وهو أن أواجه الدكتور طه بثلاث حقائق :

الحقيقة الأولى ، أنه ، فى أكثر أعماله ، « يسطو » على أعمال الناس سطواً غريباً أحياناً ، أو سطواً متلفعاً بالتذاكى والاستعلاء والعجب أحياناً أخرى .

والحقيقة الثانية ، أنه لا بصّر له بالشعر ، ولا يحسن تذوّقه على الوجه الذى يُتيح للكاتب أن يستخرج دَفائنه وبواطنه ، دون أن يقع فى التدليس والتلفيق .

والحقيقة الثالثة ، أن منطقَه فى كلامه كُلّه مُحْتَل ، وأنه يسترّه بالتكرار والترداد والثرثرة .

ولم أجد بُدّاً من هذه المواجهة ، لأنى يوم فارقت الجامعة ، سنة ١٩٢٨ فارقتها « ومعى ذُلُّ العجز ، يومئذٍ ، على مواجهته برأى فى تفاصيل « سُنّة السطو » التى سنّها لتلاميذه من بعده = ومعى أيضاً ما أجده فى نفسى من البشاعة ، بشاعة ادّعاء المرء امتلاك ما يسطو عليه ، كأنّه مما اهتدى إليه ، واستحقّ نسبته إلى نفسه بعد طول معاناة فى البحث وشقاء فى الدرس = وأن عجزى ، كان ، عن مواجهته بلسانى ، غير متهيب ولا متأدّب ، كان يهدمُ نفسى هدماً ، وينسفُ آدائى نسفاً ، ويتركُ فى ضميرى غُصّةً تأبى أن تزول . كان شيئاً بشعاً لا أطيقه » ، [ انظر ما سلف ص : ١٨ ] . كان ذلك كُلّه مما أجد ، لا لأنه كان أمراً يمسُننى ، لا ، بل لأنّه كان يسُنُّ سُنّةً مُثْلَفَةً مفسدةً للحياة الأدبية والحياة / العقلية والحياة النفسية فى الجيل البائس الذى أنا منه ، بسطوه سطواً عرياناً على مقالة الأعجمى المستشرق « مرجليوث » ، ثم بسطوه على آخرين لم أذكرهم ، سطواً متلفعاً بالتذاكى والاستعلاء والعجب . ذلك عجزٌ كان ، ثم انقضى .

أما الآن ، فلا ! وإذا كان غيرى قد قبل راضياً بما يفعله الدكتور بجهده ونصّبه ومعاناته ، أو قَبِلَ ذلك صامتاً على مضضٍ ، اتقاءً لمَعْرَةِ لسانه ، أو هَيْبَةً لما حازَهُ من المجد والذكر والصِّيت ، أو مخافةً من سوء ظنّ الناس به ، أو رجاءً لِخَيْرٍ يتوقَّعه على يديه ، فَإِنِّى أُبَيِّتُ . أُبَيِّتُ فى سنة ١٩٣٧ أن أستخذى لهذا السطو والإرهاب ( الثقافى ) !! وأخذتُ هذه المقالة الأولى ، وذهبتُ إلى دار صحيفة « البلاغ » ، إلى أستاذنا إبراهيم عبد القادر المازنى ، وسألته أن يقدّمنى إلى صاحب « البلاغ » عبد القادر حمزة باشا ، ولم أدكرُ له شيئاً مما أريده ، فقدّمنى إليه وانصرف . وبعد حديثٍ قصير عرّفته فيه بنفسى ، أخرجت المقالة ومددت يدي بها إليه ، وقرأ العنوان : « بينى وبين طه » والأسطر الأولى ، ثم نظر إلّى ، وقال بهدوئه الركين : قد قرأت عدد المقتطف ، ولكنى لم أر كتاب الدكتور طه . ثم عاد يقرأ حتى فرغ . ثم وضع المقالة أمامه على مكتبه ، وقال لى : لماذا كُلُّ هذا العُنف ؟ فبدأت أحدثه عن أولّية أمرى مع الدكتور طه فى الجامعة ، حتّى بلغت ما كان منه يوم دار الجمعية الجغرافية ، وما أفضيتُ به من شكوكى إلى الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وما تحقّق من هذه الشكوك بتأليفه كتاب / « مع المتنّبى » . وكان حُسن استماعه لى وإصغائه ، يزيّدنى عُنفاً فى الحديث ، فلما بلغت الغاية وسكتُ ، قال لى : ألا تخافُ لدَدَ الدكتور طه ؟ فقلتُ : إني لا أهابه ، بل أنا أعرّفه ، وأعرف أنه إذا ما قرأ المقالة الأولى وما بعدها سوف يعرف ما عندى . والذى عندى من أدلّة سطوه على كتابى ، مادّةً وأسلوباً وطريقةً فى تذوّق الشعر ، وما عندى من أدلة سطوه على آخرين ، سوف يمنعه أن يتكلّم ، ولو تكلّم ، « فما كلُّ بيضاء شحمة ، ولا كلُّ سوداء ثمرة » ! فضجّك وقال : يا لك من مخاصم عنيد ! ثم قال : سأنشر كلُّ ما تكتبه ، ولكنى أحبُّ أن تفعل كذا وكذا ..... نصيحةً ضمنتُ بعضها أول المقالة الثانية ، [ بطر هدايسر ص ٤١١ وما بعدها ] .

ومضيتُ أكتب أسبوعاً بعد أسبوعٍ فى البلاغ بعنوان واحد هو « بينى وبين طه » من بلاغ يوم السبت ٢ من ذى الحجة سنة ١٣٥٥ ( ٣ فبراير سنة ١٩٣٧ ) ، إلى أن

كان اليوم الأخير من صفر الخير سنة ١٣٥٦ ( ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ ) . لم أكد أفرغ من كتابة المقالة الثانية عشرة ، حتى جاءنى نعى أستاذى وصديقى مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، فأنهدم فى نفسى كل ما كان قائماً ، وذهب الدكتور طه وكتابه جميعاً من نفسى تحت الهدم ، فزدت كلمة فى آخر المقالة هى : « ولكن ..... وننتهى من هذه الكلمة حيث انتهى بنا هذا الفصل من كتابه فى ص : ٩٨ ، فإن فى الذى يستقبل من كتاب الدكتور طه طولاً قد امتدّ وسمقّ وتسامى !! وإن فى حاجة النفس لما يشغلنا عن الدكتور طه ، وما يأتى به ، أو يقع فيه ، أو يعرض دونه :

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعْتَنَيْتِى الَّذِى أَخَذْتُ مِنْهُ ، بِحِلْمِى الَّذِى أَعْطَيْتُ وَتَجَرَّبِى !»

/ وانقطعت عن البلاغ أياماً طويلاً ، فلما زرت الأستاذ عبد القادر حمزة ، حاول ١٤٣ م أن يجعلنى أعاود الكتابة ، فأصررت على تركها . وحاول آخرون ، فلم أستجب ، وكرهت كتابى وكتاب الدكتور طه جميعاً ، وعدت إلى عزلتى لا أبالى .

\*\*\*

وكذلك لم يكن مقدراً لى أن أتمم هذه المقالات على الوجه الجامع ، لأئى لم أتجاوز فى نقدى كتاب الدكتور طه الصفحة الثامنة والتسعين من ٧١١ صفحة . ونعم ، كنت حريصاً ، منذ أول ما كتبت ، أن أكشف فى مقالاتى الأولى عن أساليبه المتنوعة الماهرة فى « السطو » العريان ، وعن أساليبه أيضاً فى « السطو » الخفى الذى يحاول بالثرثرة البارة ، أن يجعل ما سطا عليه ، يبلو كأنه رأى ارتآه هو بعد بحث ودرسي وتنقيب وتحقيق ، إلى آخر ألفاظه التى يغر الناس بها عن الحقيقة . ومع ذلك فأنا أستطيع أن أقول إن الذى ذكرته منها بلا تفصيل فى مقالاتى ، هو جماع أساليبه التى درب عليها من قبل فى كتابيه : كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وهو الحاشية الصغرى على مقالة مرجليوث ، وفى توأمة المعدل بعد أن علّت به السن ! وهو كتاب « فى الأدب الجاهلى » ، وهو الحاشية الكبرى على هذه المقالة [ اطر ما سلف ص : ١٤ ] . بيد أنى فى الحقيقة لم أبلغ فى الذى كتبته

يومئذٍ ، كُلُّ الذى كان ماثلاً فى نفسى بعد الفراغ من قراءة كتابه « مع المتنبى » ، وحين بدأتُ أكتب ، لأنى كنتُ أدخِر شيئاً كثيراً لأبواب الكتاب الأخرى ، من ص : ٩٩ إلى ص : ٧١١ .

١٤٤ م / وكتاب « مع المتنبى » هو فى الحقيقة حاشيةٌ كُبرى على ثلاثة كُتب : أولها كتابى ، ثم كتاب الأستاذ عزام ، ثم كتاب بلاشير عن المتنبى ، وكان الدكتور طه قد اكتسب خبرةً فائقةً ، بعد عشر سنوات من ( سنة ١٩٢٦ ، إلى ١٩٣٦ ) ، فى كتابة الحواشى ( الحديثة ) . ففى هذه الحاشية الكبرى جمع كُلُّ ما استطاع أن يحتجّه من هذه الكتب الثلاثة ، ولكنه لم يفعلْ ذلك إلا بعد أن تجاوز هذه الصفحات الثمانية والتسعين التى وقفتُ عندها . وقد أقرّ هو نفسه على ذلك بلسانه ، وذلك أنه قال فى خاتمة التى سمّاها « بعد الفراغ » ، بهذا الرّهُو الغريب الذى كان يستخفه مُدلاً على القراء : « .... لم أكن جاداً ولا صاحبَ بحثٍ وتحقيق ، وإنما كنتُ عابثاً أريدُ أن أداعب المتنبى ، أو أداعب خصومه وأصدقاءه جميعاً ، وليس أدلُّ على ذلك من هذه الصفحات التى تقرأها فى صدر هذا الكتاب . فهى لا تصوّرُ بحثاً ولا جدّاً ، وإنما تصوّرُ عبثاً وهواً ، ولكننى لم أكد ألقى المتنبى وآخذ فى الحديث معه أو الحديث عنه ، حتى صرفنى عن اللهو والعبث ، [ الكتابة عملٌ ظريفٌ ، أليس كذلك ؟ ] ، واضطرّنى إلى محاولة البحث والتحقيق ، وأى غرابة فى ذلك ؟ [ لا ، لا غرابة ! ] ، ولم يكن المتنبى صاحبَ راحة ولا ميّالاً إلى اللهو ، وإنما كانت حياته كُلُّها جدّاً ، وجدّاً ثقيلاً ، ينتهى به وبقرائه إلى الملل أحياناً » ، ( ص : ٧٠٤ ) .

١٤٥ م لا ريب عندى فى أن هذا الرّهُو كُلُّه بعبثه وجدّه ، عبثٌ محضٌ ، / وخيلاءٌ بغية . ومع ذلك ، فإنّ صحّ عند أحدٍ أنّه جدٌّ ، إذا هو تورّط فى الخضوع لمنطق الثرثرة ، فإنّ هذا الجدُّ ليس من جدّه هو ، بل من جدّ كتاب الأستاذ عزام ، وكتاب الأستاذ بلاشير ، فهما الكتابان اللذان أخرجا من العبث الجادّ إلى الجدّ العابث ! ولذلك صار فيما بعد ص ٩٨ ، يذكر أسماء بعض من كتب عن المتنبى وخاصة



بلاشير ، ويرصّع بعض الصفحات القليلة بمحاشي قليلة ، يذكر فيها المراجع بالجزء والصفحة ، ويذكر أيضاً ديوان المتنبي بشرح الواحدى ، كأن هذه المراجع مراجعته هو ، وعنها أخذ ما أخذ ، ولكنها فى الحقيقة مأخوذة من كتابى عزّام وبلاشير ، والحمد لله الذى عافانى ، فليس فى كتابى ذكرٌ للمراجع . ونسى الدكتور طه أنه حدثنا فى أوّل كتابه أنه كان معتزلاً فى « قرية من قرى الألب بفرنسا » ، وأنه لم يحمل معه من مصر من الكتب ، إلّا « أيسر طبعة من طبعات ديوان المتنبي » ، وشرح الواحدى لديوان المتنبي لا يدخل فى باب « أيسر طبعة » ! فمن أين له المراجع ؟ أليست هذه عجيبة من رُجل كالدكتور طه ، ذكُورٍ لا ينسى .

لم ينسَ ، ولكنه مُستخِفٌّ بالقرءاء ويعقوبهم ، ولكن الكتابة عملٌ ظريفٌ ، وتأليف الكتب عملٌ أظرف ! فإن الدكتور طه لم يخرج فى كتابه هذا عن أن يكون عابثاً بلا جدٍّ ، فقد جمع الكتب الثلاثة وعجنها عَجْناً حتى كانت صلصالاً من حمٍ مسنونٍ ، يستجيب أحسن استجابة لأنامله الماهرة ، فهو يشكّل منها أشكالاً كما يشاء أو يشاء هواه !

وإذا كنتَ محبّاً للوقوف على قدرة هذا المثال المقتدر فى العبثِ ، فإنى / أدُلُّكَ على ١٤٦ م المقالات الثلاث الأخيرة من مقالتي [ هذا السفر : ٤٨٧ - ٥٣٠ ] حين اهتبل من بلاشير فكرة « القرامطة » اهتبال الصائد ، وجعل يردّد لفظ « القرمطة » و « قرمطية المتنبي » ترديداً غليظاً ، تلذّذاً وتشدّقاً وتشبّهاً بالذين « يملأون أفواههم بالقاف والطاء وما أشبهها من الحروف الغلاظ » أو كما قال : [ انظر ما سبق : ٣٢ ] . وهذا من فعله سَطْوٌ مجرّدٌ على بلاشير . وفكرة « قرمطية المتنبي » ، على سخافتها وثفاهتها ، فكرة واهية دالّة على خلوّ عقل القائل بها من فهم « القرمطية » ما هى ؟ ولكن الدكتور ظنّ أنه قادرٌ بالثرثرة ، وبعجن ما فى الكتب الثلاثة ، على أن يجعلَ شعر المتنبي مُبيناً عنها ، مع أنّ شعره دالٌّ على خلافها تمام الدلالة ، وكلامي الذى افترصه من كتابى ، وعجنه فى صلصاله ، مناقضٌ لها كلّ المناقضة . فكيف أطاق أن يفعل ما فعل ! هذا عبثٌ مجرّدٌ لا خير فيه . فاقراً ، غيرَ

مأمور ، ما كتبته في المقالات الثلاث ، فستعلم علم اليقين أن حياتنا الأدبية والثقافية والفكرية عامة ، قد بُذرت فيها بذورٌ من الفساد والعبث والاستخفاف ، والتعالم البغيض ، والسفَه المؤدَّى إلى انتقاض عُرَى العقل عروةً عروةً ، حتى أثمرت هذه الثمرة اليانعة النضيرة التي تتحلَّى بها حياتنا الأدبية اليوم ، ( سنة ١٩٧٧ ) ، وتتميّز تميّزاً ظاهراً ، في كتابة الكتاب وبَحْث الباحثين ! لا يكاد أحدنا يستثنى نفسه ، فهو كجلس صاحب الكبير ( الحداد ) ، إن لم تحرقه ناره ، ناله من شره ! ما علينا ، والأمر لله وحده ، لا ملجأ ولا منجى إلا إليه .

١٤٧ م

وكتاب « مع المتنبي » ، بُنى على طرازٍ غيرٍ معهودٍ في كتب الدكتور / طه أو كتب غيره ممن كتب عن الشعراء ، فلذلك قلت مراراً في مقالاتي ، وفي الذى تقرؤه من قصة كتابي : إن الدكتور طه لم يكن إلا مقلداً لى ، وقد وصفت نفسى آنفاً [ ص : ٤٢ ، ٤٣ ] ، وأنا أميلُ الرأى حائراً بين أساليب الكتابة ، وذكرت طرفاً من مناهج المحدثين من كتابنا في تأليف الكتب في تراجم الشعراء وغيرهم ، وبينت متى استقمْتُ على الطريق وكيف ؟ [ ص : ٤٦٠ ] ، وهو طريق مخالفٌ كُلُّ المخالفة للمعهود من كُتُب التراجم ، وقد انفردت بهذا النهج على غير مثالي سابق [ ص : ٧٧ ] ، فإذا جاء بعدى رجلٌ يقصُّ على آثاري قصصاً ، حُطوةً حُطوةً ، فهو بلا ريبٍ مقلدٌ لا أكثر ولا أقل . وقد بينت ذلك في مقالاتي بياناً صريحاً ، ثم قلت : « ونحن هنا لا نفخر بأننا أول من كتب تاريخ المتنبي على هذا الوضع الذى تراه في كتابنا ، ولكننا نقرُّ ذلك إقراراً للحق ، وبياناً للذى فعله معنا الدكتور طه ، حين أخذ آراءنا فأفسدها ، ووضعها في غير موضعها ، واستعملها بغير حقها ، وأخرج كتابه على غرار كتابنا غير متهيب ولا متورع من مذمة أو إثم . وأغراه بذلك ما يعلم من عظيم شهرته وبعيد صيته ، وما يعلم مما نحن فيه من الخفاء والصمت وقلة الاكتراث بالدعاية الملققة لأنفسنا .... » [ هذا السفر : ٥٢٩ ] .

ومع ذلك فإن بناء كتابه قائمٌ على جُذُرٍ تُريدُ أن تنقض ، لأنَّ بناءه كان فاعلاً بغيره ، لا بنفسه ! وبناء كتابي كان بناءً « متدوِّقاً للشعر » بنفسه وعلى طريقته .

/ وقد ذكرتُ آنفاً ، [ ص : ١٧ ] أن أول صرّاعى مع الدكتور طه فى الجامعة ، كان ١٤٨ م صراعاً على ضرورة قراءة الشعر الجاهلى « قراءة متذوّقة مستوعبة » ، وأنى كنت أحوّل يومئذ أن أقنعه به فبأبى ويعرضُ ، [ ص : ٩٩ ] ، كان ذلك سنة ١٩٢٧ وما بعده = ثم لما جاء هو فى سنة ١٩٣٥ ، وتذكر ما كنت أصارعه عليه ، حاول محاولة ما أن يسلك طريق « تذوّق الشعر » . فعّل ذلك ، ولكنه « تذوّق بلا منهج ، وبلا هدف ، وعلى غير أصل » ، [ ص : ٣٥٠ ، ٢٩٩ ] . فلما كانت سنة ١٩٣٦ ، وقرأ الدكتور طه كتابى ، كما قال هو : « مرتين ، بل ثلاثاً ، وما أظن إلا أنى عائد إلى قراءته مرات » ، [ ص : ١٠٣ ] ، ظنّ ، وأكذب الحديث الظنّ ، أنّه قد قتل « تذوّق الشعر » علماً حتّى طاعث له عواصيه ، بعد أن رأى تفسير هذه القضية ، قضية « تذوّق الشعر » التى كان أباهها على ورفضها منى رفضاً = رآها مطبّقة تطبيقاً شاملاً لكتائى كله .

وسوّلت له نفسه أن يغتال « تذوّق الشعر » ، ووجده أمراً لا غبار عليه أن يفعله معى ، جزاءً وفاقاً = ولم ؟ لأنّه ظنّ أنّى اغتلت « منهج الشك » وسرقته منه وغلبته عليه « سطواً » فاجراً ، حين شككت فى نسب المتنبى الذى رواه الرواة !! فواحدة بواحدة ، والبادى أظلم .

• • •

وههنا نكتة لطيفة أحب أن تقف عليها ، لتعرف أساليب المكر / اللطيف فى ١٤٩ م الكتابة ، وفى صناعة « السطو » خاصة ، لأنها نافعة مُجرّبة ! فالدكتور طه حين قرأ كتابى ، وقام قائماً فى الجمعية الجغرافية يلقي كلمته ، كان أوّل ما افتتح به كلامه أن قال [ سطر ماسد ١٠٠ ] : « لقد شكّ بعضُ الناس فى نسب المتنبى ، وأنا أوافقُه على هذا الشكّ » وانطلق يردّها مراراً مالتاً بها فمه . فلما حمّلت صاحبى الذى كان إلى جوارى مألّكة ( أى رسالة ) يبلّغها الدكتور وهى : « أبلغ الدكتور أن موافقته أو مخالفته لا تساوى عندى قرشاً ماسحاً ، تتلافظه الأيدى فى الأسواق ، لأنه لفظة لا تصلح للتداول » ،

لم يكذب صاحبي فبلغه إيّاها . فلما استدعاني في اليوم التالي ، استقبلني ، كما قلت ، مهلاً ضاحكاً أشدّ ضحك وهو يقول : « لا ترح أن تكون صعيدياً ، كما كنت قديماً » ، يعني أيام جدالي إياه في الجامعة ، في « المنهج » و « الشك » و « تذوق الشعر » ، [ انظر ص : ١٧ ] . ولا شكّ عندي البتّة في أمر الدكتور طه ، أنه حين بلغته الرسالة ، علم علماً ليس بالظنّ ، أتى أعني « الشكّ » الذي اصطنعه ، كما يقول هو ، منهجاً ، وذكر كلّ ما كنت أقوله له من القوادح المهلكة لهذا المنهج ، « منهج الشكّ » ، وعادت إليه ذكرى استخفاي به ، وأنه ليس شيئاً يعتدّ به ، وأن أمر العلم عندنا ، نحن أهل العربية والإسلام ، قائمٌ أبداً في كلّ خبرٍ من الأخبارِ على « التبيين » ، وهذا « التبيين » هو الذي أنشأ علم « الجرح والتعديل » في الحديث ، وأن منهجه هذا لا يساوي شيئاً ، إذا ما قورن بالذي عندنا في ذلك مبذولاً لكل طالب علمٍ هو حقّ الطالب للعم ، لا الطالب للثرثرة . وأن هذا مبذولٌ عندنا في كلّ كتابٍ = وأن / أصله كلّ راجعٍ إلى هداية الله تعالى لعباده المؤمنين ، حيث قال لهم في سورة الحجرات : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ) ، [ وقد بينت ذلك في كتابي : « كتاب الشعر » ] .

فانظر ماذا فعل بعد ذلك ؟ ألف كتابه « المتنبي » ، وتجاهل كلّ التجاهل كمنتهى التي افتتح بها محاضراته ، والتي جهّل فيها اسمي تجهيلاً ، فقال : « لقد شكّ بعضُ الناس في نسبِ المتنبي ، وأنا أوافقه على هذا الشكّ » وألغاها إلغاءً = مع أن « الشكّ » منهجُه ! = وافتتح كتابه بهذه العبارة :

« قد تعود الناس أن يؤمنوا بأن المتنبي عربيٌّ خالص النسب ..... » ، وظلّ يأكل الكلام أكلاً ليثبت « أن المتنبي » لقيطٌ لُغِيَّةٌ ، لا يعرف لنفسه أمّاً ولا أباً » ، واجتنب لفظ « الشكّ » اجتناباً يقطاً جداً ، وحشاً هذا الفصل والذي بعده بألفاظ « والشيء الذي ليس فيه شكّ » و « أنا لا أشك ..... » و « لا نكاد نشكّ » ، و « أنا لا أفهم الشكّ في عربية المتنبي » = أي هي ألفاظ تدلّ على نفى « الشك » جميعاً ، ثم يأتي بها

بعد كلامٍ طويل في معرض شيء آخر ، في قوله : « ومن حَقَّق أن تسألنى لماذا أُطِيل الحديث عن نسب المتنبي ، وأظهر الشك في معرفته لأبيه وأمه ، ما دمت لا أُميل إلى الجدل في عنصره العربى الصريح » ، [ ص : ٢٥ ] . ومع ذلك فقد كان في هذا « الشك الملقف » مقلداً مُسيئاً .

/ وقد قلتُ آنفاً [ ص : ٥٤ ] : « كنت أول من شك في نسب أبى الطَّيِّب الذى رواه ١٥١ م الرواة ، ولكنتى لم أقف عند الشكِّ المجرد ، كما ذهب إليه من قلَّدنى ( وهو الدكتور طه ) = بل أبنتُ عن علَّة الشكِّ ، لأثبت مكانه حقيقةً أُخرى ، دلتنى عليها شعرة ومواقفه في حياته كُلِّها ، مما كان له ارتباط وثيق بعلَّة الشكِّ » . وقد فسَّرت أسباب الشك في بيان « الفقرة الأولى والثانية » من عمود صورة المتنبي بياناً كافياً [ ما سلف ص : ٥١ : ٦٠ ] .

وهذا الأسلوب في تجاهل الألفاظ ، ثم الالتفاف حولها بألفاظ أُخرى ، وإخراجها مُخَرَّج الأمر غير المتعمد ، وإخفاء « المحرِّك » وراء نقاب مُموه = هو من الأساليب الناجحة أيضاً في « علم السطو » ، والذى يقتدر عليه يبلُغ مبلغاً عظيماً في باب « السطو الخفى » ، فاحفظه ، فإنه نافعٌ جداً ، وإذا خُلِطَ بمسحوق حَبِّ « الثثرة » ، طَيَّبَ نفسَ القارئ ، وأطفأ حرارةَ الفهم ، وسَهَّلَ عَمَلَ العَفْلة !! هذه فائدة طيِّبة منقولة عن ابن البيطار ، العشَّاب الطيب !! وانتهت النكتة اللطيفة !

...

قلت آنفاً إن الدكتور طه ، غرَّته نفسه أن يغتال مِنِّى « منهج تذوق الشعر » ، كما اغتلتُ أنا منه « منهج الشك » جزاءً وفاقاً ، وقد رآه سانحاً له = مطبَّقاً في كتابى من فاتحته إلى خاتمته . رآه مطبَّقاً ، ولم يعرفه مفصَّلاً ولا مشروحاً ، لا في كتابى ، ولا في كتاب غير كتابى ، / فاجتهد اجتهداً مبروراً ، ( أى لا شبهة فيه ولا كذب ولا خيَّانة ، ولا يخالطه ١٥٢ م شيء من المآثم ) .

ولمّا كان « موضوع » التذوّق بينى وبينه واحداً ، وهو شعر المتنبي ، رآه على نفسه سهلاً يسيراً ، وهيناً لئن المعاطف ، أن يتذوّقه كما تذوّقته ، وأن يستخرج منه حياة ألى الطيب ، وطبائعه وعواطفه وآماله وآلامه وأحزانه ، وأثر ذلك على بناء قصائده ، ودلالة هذا الأثر على أحداث حياته . وقد لاقى الأمرين في هذا التذوّق ! لأنه كلما جاء إلى شعر يتذوّقه ، فوجد لسانى عنده يتذوّق ، زاحنى عليه ، والتقى اللسانان ، ثم رفع لسانه ليكتب عن أثر تذوّقه !! وإذا هو من حيث لا يدري قد تذوّق بلسانى ، فتطابق ذوق اللسانين ، والحمد لله ! وقد ضربت لذلك مثلاً أو مثليين أو ثلاثة ! وتستطيع أن تجد شيئاً من ذلك مثلاً ، في المقالة التاسعة [ هذا السطر ٤٨٧ - ٤٩٧ ] . وتستطيع أن تجد مثلاً آخر في المقالة الحادية عشرة حين تفرّد لسانه بالتذوّق ، في قصيدة لم أكتب شيئاً مفصلاً في تذوّق لها ، فأشرت إليها إشارةً ، فأخذها فاجتهد فيها اجتهداً مبروراً فتذوّقها وحده !! وأثبت في كتابه تذوّقه هو ، فخرج منها بكلّ استنباط جديد يخالف ما كتبت في كتابي . فكانت العاقبة أن أتى بضروب مختلفة المذاق من الأخطاء ، ومن قلة البصر بالشعر ، ومن إهدار ألفاظ الشعر نفسه إهداراً لا يكون مثله أبداً من متذوّق قد عرف معنى « تذوّق الشعر » ، وإنما هو تذوّق عابث مُفتعل ، يحكم في الشعر والشاعر تخاليط بلاشير وأضرابه ، مع أن أوّل شرط في / « تذوّق الشعر » أن نجعله محكماً لا في شأن هذه التخاليط الأعجمية ، بل في تعديل أخبار الرواة القدماء أنفسهم أو ترجيحها ، أو استخلاص الصدق من نصوصها ونفي ما زيفه التذوّق ، [ اطر هذا السطر ٥١١ - ٥٢٠ ] .

فلما تخطى الدكتور مرحلة العبث واللّهو ، و « الشقاوة » في مداعبة المتنبي ومداعبة خصومه وأصدقائه جميعاً ، كما قال [ ص ما سف ص : ١٠٨ - ١١٠ ، ١١٢ ] ، و « شبّ عمرو عن الطوق » ، عند ص ٩٩ من كتابه أو قبلها بقليل = جاء ما صرفه عن اللّهو والعبث ، واضطره إلى محاولة البحث والتحقيق ، ( بحكم السنّ على الأقل ) . جاء هذا الجأى ومعه كتاب عزام بمراجعته ، وكتاب بلاشير بمراجعته ، وكتب اثنين آخرين ذكرهما بعد دهر في ص ٤٢٥ من كتابه ، وزعم أن كتبهم « ليست في أيدي قراء العربية » ، لأنها

كتبت فى الفرنسية والإيطالية ، ( وليس هذا صحيحاً على إطلاقه ! ) ، فعندئذ فكر وقدر ، ثم نظر ، ثم عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثم استبان له النَّهْجُ ، واستتبَّ له الطريق : أن يكون باحثاً محققاً ، وناقداً متذوقاً ، فى قَرْنٍ واحدٍ !! [ والقَرْنُ : الحبل ، أى مجتمعين فيه معاً ] ، وهذا مَرَكَبٌ وَعَرَّ شاقٌّ ، لا تصلح معه السجايا المتناقضة فى النفس الواحدة ، حين يكون : « مِنْ سَجِيَّتِهَا الأناةُ ، ومن سَجِيَّتِهَا العَجلةُ ، ومن سَجِيَّتِهَا الجَدُّ ، ومن سَجِيَّتِهَا اللهو ، ومن سَجِيَّتِهَا التفكيرُ ، ومن سَجِيَّتِهَا الهذيان » ، [ كتابه ص ٧٠ ] ، ويرضى أن تطفئ عليه بعض سجايه هذه طغياناً « بصُورُ لعبه بوقته ، وعيئه بعقله ، وعصيانه لهواه ، وطاعته لهذا الهوى أحياناً » [ أيضاً ص ٧٠ ] . / والذى هذه سجايه ، ثم يكون لا يملك أمر نفسه ، ولا يفرِّق فى أمرها بين القبيح والحسن ، ثم يبلغ به إرسال النفس على سجيته ، أن لا يفرِّق بين مواضع الجدِّ ومواضع العبث ، حتى يرضى أن يأمر قارئه غير مبالي : « قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً ... » [ ماسد ١٠٢ ] ، فهذا بلا ريب لا يُؤْمَنُ على ركوب طريق لا يصلح معه إلاَّ الجدُّ والصبرُ والحزامةُ وخفاةُ العثار = إلاَّ أن يكون غير صادق فيما يقول عن سجايه = أو إلاَّ أن يكون مترجماً سيء الترجمة لشعر العَجَبِ السُّلُوى :

إذا جَدَّ عِنْدَ الْجَدِّ ، أرضاكِ جِدُّهُ ، وذو باطلٍ ، إن شئتَ أرضاكِ باطلُهُ

- أو إلاَّ أن يكون قال ما قال ، من فَرَطَ الرَّهْوِ بنفسه ، والإدلال على سامعيه أو قارئيه ، وهم مِنْ تحت سَمائِهِ ، قيامٌ شواخصُ الأبصارِ إلى أبْهَتِهِ فى عليائه ! ولكن ما لى أنا ولهذا ؟ فإن الله لم ينصبِّنى محامياً أدفع عن كرامة عقول البائسين من السامعين والقراء !

أما الذى يعينى ، فهو منهج « تذوق الشعر » ، فإنه قد وقع فى محنة عظيمة منذ ص ٩٩ ، إلى آخر الكتاب ، لا ، بل كان ذلك منذ أوله أيضاً ، فقد صار مفروضاً عليه فرضاً لازماً ، أن يكون خادماً سامعاً مطيعاً للمعارضات الخفية الماكرة التى جاء بها الأستاذ عزام فى كتابه تحت عباءة « البحث الطويل المتعب » ، وللتخاليط التى تتخلل

كتاب بلاشير وغيره عن المتنبي ، وصارت هذه الكتب محكّمة في تذوق الشعر ، وفي حياة أبى الطيب ، ولم / تُعدّ للشعر نفسه ولا لتذوّقه هيمنةً على شىء ، لا على حياته ، ولا على تمحيص الحوادث والأخبار التى تتصل بحياته ، [ انظر ماسلف ٤٠ ، ٤١ ] . وهذه المحنة القاسية الغليظة = مع إصرار الدكتور طه على تقليدى فى « تذوق الشعر » على الوجه الذى توهم أنّه فهمه من كتابى = أدّت بالدكتور طه نفسه إلى بذل جهد كبير فى التقليد حين يتعرّض لشعر لم أتعرضّ له مكتوباً بالخير والقلم . وأما الذى رآنى قد تعرّضتُ له ، فقد اضطرّ أن يبذل جهداً مضاعفاً أضعافاً كثيرة فى تمويهه حتى يُخفى آثار سطوه عليه ، وقلّما نجح = وأن يبذل أيضاً جهداً أكبر فى تطويّعه للعجّن فى خليط من أخلاط مجلوّية من أرض بعيدة غير أرضه ،

وَمُكَلِّفُ الْأَشْيَاءِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ، مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جُذُوهَ نَارٍ

« وَحَلُمُ الْقِطَطِ كُلَّهُ فِيرَان » ، كما يقال فى المثل العامى . فالدكتور طه بدأ كتابه مشغولاً بكتابى ، وبتطبيقى فيه منهجى فى « تذوق الشعر » ، وكلمة « التذوق » لا تزال أصدائها البعيدة فى نفسه منذ كنت طالباً فى الجامعة ، [ انظر ماسلف قريباً : ١١٠ ، ١١١ ] . فلما بدأ يكتب ، اجتنب لفظ « التذوق » اجتناباً كاملاً متعمّداً ، فكان يستعمل مكانها « التبيين » و « الاستنباط » و « الاستخراج » و « التدبّر » و « التأمل » ، وهى كلمات دائرة أيضاً فى كتابى ، وخاصة حيث أختصر الكلام اختصاراً ، مجتنباً الإطالة ، فأحيل القارئ فى هوامشى على شعر أبى الطيب ، لينظر فيه على الأصول / التى درجت عليها فى الكشف عن حياة المتنبي وعن شخصيته . <sup>(١)</sup> ولكنه حين بلغ ص ١٠٦ ، وأراد هو أيضاً الاختصار !! لم يملك إلا أن يستعمل كلمة « التذوق » ، التى تورّقه ، لأول مرة حيث قال كما أقول : « وتُخذ أنت هذا الشعر ، وقف عليه من وقتك أياماً ، فما أشكّ فى

(١) انظر هذا السفر ص : ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٥ ، ٣٥٠ ، ٣٨١ ، وتعليق

الهوامش فيها . ومواضع أخرى فى الكتاب نفسه .



أَنَّكَ ستصلُ إلى ما لا أريدُ أنا أن أطيل فيه ، ولكنني واقفٌ معك عند بعض هذا الشعر ، فاجتهد أن تذوقه ، لعلنا نتعرفُ على أصول فنّ المتنبي في شيء من التفصيل والوضوح . هذه أول مرة ، ثم انطلق يستعملها مراراً بعد ذلك غير متحرج . ولكن ظهر ظهوراً بيناً بعد ذلك في سائر كتابه : أنه لم يخرج قط عن أن يكون تذوقه هو التذوق الساذج الذي ألفه فيما كتبه عن بعض شعراء الجاهلية ، وعن شعر العزّيين ، وشعر أبي نواس وأضرابه ، في كتابه « حديث الأربعة » = إلا ما شذّ قليلاً حين تذوّق بلساني بعض شعر المتنبي ، كما أشرت إليه منذ قليل .

وهو معذورٌ في ذلك ، لأن القدر الذي عرفه من تطبيق منهجي في « تذوق الشعر » ، وفي تذوق الأخبار أيضاً ، كان قدراً لا يكفي . فهو لم يستطع أن يدرك « تذوق الشعر » بمنجاة من تأثير الأخبار المروية ، كيف يكون . ولم يستطع أيضاً أن يعرف « تذوق الأخبار » أيضاً معروضةً على الشعر ، ولا كيف تكون هيمنة الشعر على الأخبار ، حتى يُزيّف « تذوق الشعر » منها ما يزيّف ، ويصحّح منها ما يصحّح ، لكي يجعلوها جلاءً جديداً يجعلها قادرةً على أن تجعل حياة أبي الطيب ، واضحةً جليلةً مستوية . ولا كيف يكون ذلك / الصحيح من الأخبار قادراً على أن يجعل حركة وجدان أبي الطيب في شعره أشدّ ظهوراً ووضوحاً = ويجعل صورة حياته التي دلّ عليها تذوق شعره أدنى إلى الوضوح ، وأقدر على الالتحام بصورة الحياة التي يدلّ عليها ، ما صحّح من الأخبار ، [ انظر ما سلف ٤٨ . ] وهذه هي بعض الأصول التي يمكنُ أن تجعل « تذوق الشعر » قادراً على استخراج صورة صحيحة مستوية غير متناقضة لحياة الشاعر ، وتعصم الكاتب أيضاً من أن تضلّله الأخبار ، فيرى في شعر الشاعر معاني بعيدة كلّ البعد عن المعاني التي يدلّ عليها تذوق شعره جملةً واحدة ، وإلا خرجت الصورة كلّها مشوهةً تشويهاً ، [ انظر ما سلف :

٤٩ ] .

فلما كان الدكتور طه لم يدرك قدراً كافياً من هذا المنهج ، وكان في عجلةٍ من أمره ، وكانت العجلة إحدى سجاياه ، لأنه قد طوى نيّته على تأليف كتاب عن المتنبي في صيف

سنة ١٩٣٦ بفرنسا ، <sup>(١)</sup> ليطمس به ذكر كتاب كتبه كاتب مغمور خامل الذكر في يناير سنة ١٩٣٦ ، كما قلت للشيخ مصطفى عبد الرزاق ، [ انظر ماسلف ١٠١ ، ١٠٦ ] - فإنه بدأ كتابه وانتهى منه على الصورة التي وصفها في فصل « بعد الفراغ » : « ولكن لم آخذ في الإملاء حتى دُفِعْتُ إليه دفْعاً عنيفاً ، لم أستطع له مقاومة ولا عليه امتناعاً ، وإذا أنا أجرى في الإملاء أو أَعْدُو فيه أشدَّ العَدُو ، حتى لا يتابعني صاحبي إلا بجهد كُلِّ الجهد ، ومشقة كُلِّ المشقة ، وإذا أنا أُملي إذا أصبحتُ ، / وأُملي إذا أمسيت ، وأُملي بين ذلك ، وأبغضُ الراحة أشدَّ البغض » ، إلى آخر ما قال ، وصدق ! [ كتابه ص ٧٠٥ ] . لما كان ذلك وفرغ من الكتاب ، مكدوداً قد انتهى به الإعياء إلى أقصاه ، وجد نفسه لم يقل للمتنبي ولم يقل عن المتنبي كُلُّ ما كان يريد أن يقوله [ ص : ٧٠٥ ] . ولكن حقيقة هذا الكلام أنه وجد « صورة المتنبي » التي كتبها ، صورة لا تمثِّل شيئاً له قيمة ، فعبّر عن ذلك بقوله : « إني أبعد الناس عن حسن الرأي فيما أُمليتُ ، ولا تظنُّ أني أريد التواضع .... وإنما أريد أن ألاحظ أن هذا الكتاب إن صوِّر شيئاً ، فهو خليق أن يصوِّرني أنا في بعض لحظات الحياة أثناء الصيف الماضي ، أكثر ممَّا يصوِّر المتنبي » [ كتابه ص : ٧٠٦ ] . وهذا صحيح جداً مع الأسف ، لأنه يصوِّر حقيقة أعماله ، ودوافعه دائماً ، منذ كتب حاشيته الصغرى على مقالة مرجليوث المسماة « في الشعر الجاهلي » ! في سنة ١٩٢٦ ، منذ عشر سنوات ، ولم يتغيَّر لا كثيراً ولا قليلاً ، وأعجزته دوافعه ، « فلم يستطع لها مقاومة ولا عليها امتناعاً » .

(١) تبين من رسالة للدكتور طه إلى توفيق الحكيم في ٢٥ أغسطس سنة ١٩٣٦ ، أنه قد فرغ من كتاب المتنبي قبل ذلك بأسبوع ، أي في ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٦ تقريباً ، فإذا كان قد غادر مصر في أواخر مايو ، فقد استغرق تأليفه ثلاثة أشهر أو أقل . وانظر كتاب توفيق الحكيم « وثائق من كواليس الأدباء » ، وفيه عجيبة من العجائب تخصُّ ما كنت أريد أن أكتبه عن المتنبي . فلا أدري كيف صار عند توفيق الحكيم منسوباً إلى نيّة سمع عنها ، من شاعرنا مطران ، والحقيقة أن هذه النيّة كانت نيّتي أنا أخبرت بها شاعرنا مطران ، فلا أدري كيف انقلبت فصارت نيّة للدكتور !

ولما كان كتابه ، كما قال ، خَلِيقاً أَنْ يَصَوِّرَهُ هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا يَصُورُ الْمُتَنَبِّئُ ! وأدرك ذلك إدراكاً يقيناً ، فإنه نظر إلى صورة المتنبى عنده ، وصورتها عندي ، فأنكر ما عنده إنكاراً شديداً ، فقد وجدها خَلْقاً مُشَبَّهاً بِتَضْيِيقِ بَهْ نَفْسُهُ ، [ والمشيئ : المختلِفُ الخَلْقُ ، المُحَبَّلُ ، القبيحُ الصورة ] . ولكي تعلم أن هذا كما أقول ، فأني موجزٌ لك صورة المتنبى التي اختلطت في كتابه حتى خرجت ، فأنكرها هو أشد الانكار :

/ لقيطٌ لغيةٌ ، لا يعرف لنفسه أمّاً ولا أباً ، شاذٌّ لأمرٍ ليس له في يد ، لا يستطيع أن ١٥٩ م  
يفخر بأسرته ، فهو يشعر بالضعة والضعف ، ( من عنده ) ، <sup>(١)</sup> نباتٌ شعبيٌّ خالص !!  
( من عنده ) ، شابٌ مستعدٌ لسانه للسخرية ( من عندي ، والتصوير من عنده ) ، صبيٌّ  
شيعيٌّ متشيعٌ للعلوين ، وقرمطيٌّ لحبه سفك الدماء ( خليطٌ من عنده ومن عندي ) ،  
حائقٌ على النظام الاجتماعي والسياسي ( خليط ) ، قويُّ الحسّ عنيف النفس ( من  
عندي ) ، يمتحن ممدوحيه ليتبين استعدادهم للخروج على السلطان ( خليط ) ،  
صاحبٌ مذهب سياسيٍّ أشمل من القرمطية والتشيع ، وهو أن تجتمع كلمة العرب وأن  
يعود إليهم ملكهم وسلطانهم ، وأن يرّد غير العرب من الخدم إلى طورهم الذي كانوا فيه  
( الأصل من عندي مع خلط ) ، ينشدُ أميراً عربياً يحى آماله ، مثل بدر بن عمار ( من  
عندي ) ، كان يسأل جدته عن خير أبيه وأمه ، ( من عندي مع خلط ) ، نشأته علّمته  
الحيطة والحذر ( من عندي مع خلط ) ، سجنه جريمة من جرائم الرأي ( من عندي مع  
خلط ) ، ما ينسب إليه من النبوة مرفوض ( من عندي مع خلط ) ، كفكف السجن من  
غلوائه ( من عندي ) ، شقّي بالأمل في أول أمره ، شقّي باليأس بعد سجنه ، فأنضج  
ذلك نفسه ( من عندي ) ، ظهور شخصيته في أوقات العنف ، وفي أوقات الحزن ( من  
عندي ) ، يشعر بالغربة ، لولا جدّته ( من عندي ) ، لقاء بدر بن عمار وثب بفنّه ، فبلغ  
من الرقي ما لم يبلغه في الأيام السالفة ( من عندي ) ، وثب فنّه الوثبة الأولى عند

(١) هذا موجزٌ لبعض مواضع الاختلاف والاتفاق ، فيما كتبتُه في كتابي ، وما كتبه الدكتور طه في كتابه .

التنوخيين ، والثانية عند بدرٍ ، وكانت نواةً ستنبت وتنمو وتعطي شيئاً كثيراً مختلفاً ألوانه  
 م ١٦٠ في الوثبة الثالثة عند سيف الدولة ، حين وثب / وثبته الأخيرة التي رفعتة إلى الأوج ( كله  
 من عندى ) ، يمتلئ قلبه بالبهجة عند لقاء بدرٍ وأمثاله حتى يعجز عن إخفائها ( من  
 عندى مع خلطٍ كثير ) ، يثورُ آبياً للضميم على من أرادوا أن يضيّموه ( من عندى ) ،  
 جبانٌ ( من عنده ) ، طبيعته التي يصورها شعره : جوع وأحاديث ، وفلسفة في الهواء  
 ( من عنده ) ، امتناعه عن مدح العلويّ طاهر من زهو وغرور ( من عنده ) ، يلتزم برأيه  
 حين يستغنى ، ويضحى حين يخاف أو يطمع أو يحتاج ( من عنده ) ، اتخذ لنفسه  
 مذهباً سياسياً وفلسفياً ، ( من عندى مع خلط ) ، يتخذ الشعر وسيلة لا غاية ، وكان  
 عبداً للطمع والمال ، لا للجمال والفن ( من عنده ) ، يمثل فكرة الجهاد بين الروم  
 والمسلمين عند سيف الدولة ، وتجد فيها فناً وجمالاً ( من عندى ) ، ينتقل انتقالاً مفاجئاً  
 في شعره ( من عندى ، ولكن بغير دلالتها على شيء ! ) ، ذليلٌ ضعيفٌ مهينٌ بين يدي  
 السلطان ، لم يكن صاحب مذهب ولا رأى ، إنما هو رجل متهالك على المنافع العاجلة  
 ( من عنده ) ، رجلٌ مضطربٌ متلونٌ ( من عنده ) ، نفسٌ غير متحضرة ولا رقيقة الحسّ  
 ( من عنده ) ، لا يقول الشعر إلا حين تدفعه دوافع كامنة أو ظاهرة ( من عندى ، مع  
 خلط ) .... و « حسبك من شرِّ سماعه » .

هذه بعض ملامح الصورة ، لم أستوعبها لأنى في مقامٍ غير مقام نقد هذا الكتاب ،  
 ولكنها كافية في الدلالة على شيئين : على « السطو » المجرد ، وعلى الخلط المحكم الذى  
 وصفته آنفاً ! [ انظر ص : ١٠٨ ، ١٠٩ ] . فلما أفاق الدكتور من إملاء كتابه وهذا ، أنكرها ،  
 م ١٦١ لا إنكار مقرّر ببشاعة / الصورة ، ولكن ببراعة وفلسفة وتذوق ، فقال في فصل « بعد  
 الفراغ » ، [ ص : ٧٠٧ ، ٧٠٨ ] :

« وأكثر من ذلك أنى أخذت أرى رأياً ، ما أظنُّ إلا أن كثيراً من الناس سيضيقون  
 به ، ولعلهم أن ينكروه على ، وقد ضقتُ به أنا وأنكرته على نفسى ، ولكنى لم أزد

إلا إمعاناً فيه ، وأطمئناناً إليه ، وتعجباً من أننى قد انتظرتُ هذه السنَّ ، وهذا الطورَ من أطوار الحياة ، قبل أن أفطنَ إليه وأطيل التفكير فيه ، وهو : أن شعر المتنبى لا يصوّر المتنبى ، وأن شعر الشعراء لا يصوّر الشعراء تصويراً كاملاً صادقاً ، يمكّننا من أن نأخذهم منه أحداً ، مهما نبحت ، ومهما نجذّ في التحقيق . وما أريد أن أطيل الاستدلال على ذلك ، ولا أن أسلك إلى هذا الاستدلال هذه الطرق المتنوية التى يسلكها الفلاسفة والعلماء والأدباء أيضاً ، وإنما أريد أن ألفتك إلى شيء يسير ، وهو أن ديوان المتنبى إن صوّر شيئاً ، فإنما يصوّر لحظات من حياة المتنبى ، لا أكثر ولا أقلّ « .... وطفق يتفلسف !

وبالطبع ، كما نقول نحن المصريين فى درج الحديث ، لا يوجد شيء كهذا الذى يؤهم الدكتور بكلامه أنه كائن . ولا يوجد شيء كهذا يقال فيه إن شعر الشعراء ، أو كلام غير الشعراء ، يصوّرهم تصويراً كاملاً صادقاً ، « يطابق الأصل ويوافقه » . لا توجد « نظرية » كما سمّاها ، تبلى هذا الحدّ من السُخف والتفاهة والإسفاف ، ويحتاج المرء معها « أن ينتظر هذه السنَّ ، وهذا الطور من أطوار الحياة » ، ويحطّم الثامنة والأربعين من عُمره ، / وينطح بقرون رأسه جدارَ الخمسين ، حتى يفطن ويحيّد الفطنة ، ١٦٢ م وحتى يفكر ويظيل التفكير ، حتى يتبين أنها باطلة ! ثم يحتاج بعد ذلك أن ييسر على قارئه المسكين فهم وجه بطلانها بضرب الأمثال ، فيقول : « فكما أنك لا تستطيع أن تزعم أنك تستخلص من هذا الكتاب صورة صادقة لى تطابق الأصل وتوافقه ، بل لا تستطيع أن تزعم أنك قادرٌ على أن تستخرج من كتبى كلّها صورة صادقة لى تطابق الأصل وتوافقه ، فكذلك أنت عاجزٌ عن أن تخرج من ديوان المتنبى صورة صادقة ، تلائم حياة المتنبى ، كما كانت فى النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة » .

هذه ثثرةٌ حائرة ، ومجرّد عبث محض بالألفاظ ، وهو فارغ يلهو به من يكون جَمَلاً مفيدة ، من ألفاظ مسطورة : « صورة » و « أصل » و « تصوير » و « قادر » و « عاجز » و « صادق » و « تطابق » و « توافق » !! والناس حين يقولون : « صوّر

الكاتب صورةً صادقةً لشاعرٍ ، لا يعنون بداهةً ما حاول الدكتور أن يُوهِم به قارئه ، ويستزِلَّ عقله بتأكيده المتواصل : « تصويراً صادقاً كاملاً !! » - عن المعنى الذى يدركه عامة الناس بالداهية ، وهو أن الذى استخرجه الكاتب من شِعْرِ الشاعر ، يجعلُ شعره أكثر وضوحاً ، وأظهر دلالة على فنه ، وأقوى بياناً عن طبيعته وعواطفه ، ويجعلهم أكثر قدرةً على تمثُل ما تخبئه ألفاظُ شعره من موقفه تجاه أحداثِ حياته التى عاشها ، فصاغها صياغةً مبيّنة عمّا كان يعتلجُ في نفسه حين صاغها . وهذا موضع المثل : « زى الطبل منفوخ عَ الفارغ » ، وصدق من قاله .

١٦٣ م / وكل ما فى الأمر أن الرجل حين فرغ من كتابه ، رأى صورةً ألى الطيب فى كتابه ، وقد رآها من قبل فى كتابى ، وأدرك أن بين الصورتين بوناً بعيداً ، كالبعد بين المستقيم والمعرج ، وبين الوليد الذى وُلِدَ لتمامه ، والسقط الذى وُلِدَ لغير تمام ، فاعتذر ، فأساء الاعتذار ، ولم يدر كيف يقول !

\*\*\*

أما الآن ، وقد فرغتُ من لَمَحَة خاطفة فى القسم الذى يبدأ من ص ٩٩ إلى ٧١١ ، من كتاب « مع المتنبى » ، وهو الذى لم يكن مقدراً لى أن أتمم كلامى فيه فى مقالاتى : « بينى وبين طه » التى كتبْتُها سنة ١٩٣٧ ، ونشرتها اليوم ملحقة بهذا الكتاب = أما الآن ، فإنى أتلفتُ إلى الأيام الغابرة البعيدة ، حين كنتُ أشفقُ من مَعَبَّةِ السُنن التى سَنَها لنا الأساتذة الكبار ، كسَنَةِ « تلخيص » أفكارِ عالمٍ آخر ، ويقضى أحدهم عمره كله فى هذا التلخيص ، دُونَ أن يشعرَ بأنه أمرٌ مخفوفٌ بالأخطارِ ، ودون أن يستكف أن ينسبهُ إلى نفسه نسبةً تجعله عند الناس كاتباً ومؤلفاً وصاحبَ فكرٍ ، هذا ضربٌ من التدليس كريمة . ومع ذلك فهو أهونُ من « السطو » المجرد ، حين يعتمد الساطى إلى ما سطا عليه ، فيأخذهُ فيمزقه ثم يفرقه ويُغرقه فى ثرثرةٍ طاغيةٍ ، ليخفى معالمَ ما سطا عليه ، وليُصبح عند الناس صاحبَ فكرٍ ورأى ومذهبٍ يُعرفُ به ،

وَيُسَبِّ كُلُّ فَضْلِهِ إِلَيْهِ . ومع ذلك ، فهذا أيضاً أهونُ من « الاستخفاف » بتراث متكامل بلا سبب ، وبلا بحث ، وبلا نظر ، ثم دعوة من يَعْلَمُونَ عِلْماً جازماً أنه غير مطيق لما أطاقوا ، إلى الاستخفاف به / كما استخفَّ هو . ومع ذلك أيضاً ، فهذا أهونُ ١٦٤ مما فعلوه وسنوه من سُنَّة « الإرهاب الثقافي » الذي جعل أَلْفاظ « القديم » و « الجديد » و « التقليد » و « التجديد » و « التخلف » و « التقدم » و « الجمود » و « التحرُّر » ، و « ثقافة الماضي » و « ثقافة العصر » = سياطاً مُلْهَبَةً ، بعضها سياطٌ حثٍّ وتخويفٍ لمن أطاعَ وأتَى ، وبعضها سياطٌ عذابٍ لمن خالف وأبى .

أَتَلَفْتُ اليوم إلى ما أَشْفَقْتُ منه قديماً من فعل الأساتذة الكبار ! لقد ذهبوا بَعْدَ أن تركوا ، من حيث أرادوا أو لم يريدوا ، حياةً أدبيَّة وثقافية قد فسدت فساداً وبيلاً على مَدَى نصف قرنٍ ، وتجددت الأساليب وتنوعت ، وصار « السطو » على أعمال الناس أمراً مألوفاً غير مستنكر ، يمشى في الناس طليقاً عليه طيلسانُ « البحث العلمي » و « عالمية الثقافة » و « الثقافة الإنسانية » ، وإن لم يكن محصوله إلا ترديداً لقضايا غريبة ، صاغها غرباء صياغةً مطابقةً لمناهجهم ومنابتهم ونظراتهم في كُلِّ قضية ، واختلط الحابل بالنابل ، قُلْ ذلك في الأدب والفلسفة والتاريخ والفنِّ أو ما شئت ، فإنه صادقٌ صِدْقاً لا يتخلف . فالأديب مَنَّا مصوِّرٌ بقلم غيره ، والفيلسوف مَنَّا مفكِّرٌ بعقلٍ سواه ، والمؤرِّخ مَنَّا ناقدٌ للأحداث بنظر غريب عن تاريخه ، والفنان مَنَّا نابضٌ قلبه بنبضٍ أجنبيٍّ عن تراثٍ فنّه .

وأما الثثرة والاستخفاف ، فحدث ولا حرج ، فالصبيُّ الكبير يهزأ مزهواً بالخليل وسيبويه وفلان وفلان ، ولو بُعِثَ أحدهم من مَرَقَدِهِ ، ثم نظر / إليه نظرةً دون أن يتكلَّم ، ١٦٥ لألجمه العرق ، ولصارَ لسائه مُضَعَّةً لا تتلجلجُ بين فكَّيه ، من الهيبة وحدها ، لا من علمه الذي يستخفُّ به ويهزأ .

والله المستعان على كُلِّ بليَّة ، وهو المسئول أن يكشفها ، وهو كاشفها بمشيئته ، رَحْمَةً بِأَمَّةٍ مسكينة ، هؤلاء ذُنُوبُها كانوا ، وأشباؤه لهم سبقوا ، وغفرانك اللهم .

الأحد ٢٥ من دى القعدة سنة ١٣٩٧

محمود محمد شاكر

٦ من نوفمبر سنة ١٩٧٧





## كتاب المُتَنَبِّي

\* على هيئته التي نُشر عليها في عدد المقتطف ، يناير ١٩٣٦

\* الشعر الذي في رأس كل فصل ، من شعر المتنبّي



كتب فؤاد صروف قال :

« هذا العدد من المقتطف يختلف عن كل  
عدد صدر منذ ستين سنة إلى يومنا هذا . فهو في  
موضوع واحد ، ولكاتب واحد .

أمّا الموضوع فأبو الطيب المتنبي .

وأمّا الكاتب فالأستاذ محمود محمد شاكر .

وقد رأى محرر « المقتطف » في العناية  
بالاحتفال بانقضاء ألف سنة على وفاة المتنبي ، وفي  
طرافة المباحث التي انطوت عليها رسالة الأستاذ  
شاكر ، ما يُسوّغ له أن يجعل هذا العدد بمثابة  
كتاب يرفعه :

إلى أبي الطيب المتنبي »



\*\*\*\*\*

٣ / أَنَا الَّذِي نَظَرُ الْأَعْمَى إِلَى أَدَى  
وَأَسَمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ  
أَنَامَ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا  
وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

\*\*\*\*\*

كنتُ في غُلواءِ الشباب حين وقعت لى ، فيما كنا نتعلم من « المحفوظات العربية » ، أبياتٌ للمتنبى حفظتها في غير عناء ، وجعلت أرددها بكثير من اللذة والحماسة ، لأنها كانت تنطوى ، فيما أظن الآن ، على ذكر سجايا يتيه بها الشاب وتهتزُّ مَعاطفه ، إذ لا يزال في مستهل الحياة ، يراها ، أو يتصورها ممتدة أمامه ، ميداناً رحباً ليس له فيه إلا الاقتحام والغزو والظفر . فكَذلك كان مما حفظته ، وكأنا طبعته في ذاكرتي بأحرف من نار :

رِدَى حِيَاضِ الرَّدَى ، يَا نَفْسُ ، وَأَتَّرِكِي      حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالتَّعَمِّ  
إِنْ لَمْ أَذْرِكِ عَلَى الْأَرْمَاجِ سَائِلَةً      فَلَا دُعِيْتُ أَبْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ

\*\*\*

أَيْنَ فَضْلِي ، إِذَا قَنَعْتُ مِنَ الدَّهْرِ      رِ بَعِيشٍ مُعْجَلِ التَّشْكِيدِ ؟  
أَبَدًا أَقْطَعُ الْبِلَادَ ، وَنَجْمِي      فِي نَحْوَسَ ، وَهَمَّتِي فِي سُعُودِ

\*\*\*

٤ / لَا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى      حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

\*\*\*

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِينَةً وَقَيْنَةً      فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ  
وَتَضْرِيبُ أَعْنَاقِ الْمُلُوكِ ، وَأَنْ تُرَى      لَكَ الْهَبَّاتُ السُّودُ وَالْعَسْكَرُ الْمَجْرُ  
وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا      تَدَاوُلُ سَمْعَ الْمَرْءِ أُنْمَلُهُ الْعَشْرُ

\*\*\*

وعندما أراجع ديوان المتنبي الآن تمرُّ بي أبيات من الشعر كأن رنينها إذ أقرؤها  
محمول إليّ من مغاور متغلغلة في جوف الماضي . وأكثر هذه الأبيات من شعر الغزل  
والنسيب الذي كان المتنبي يستهلُّ به بعض قصائده . ولست أحفظ الآن من ذلك  
إلا نزرًا يسيرًا ، لأن رجولة المتنبي كانت هي التي فتنتني في صباى دون رفته ونسيبه ، وقد  
كنت أظن أن رجولته هذه يكون مردُّها ، في الغالب ، إلى خياله المتوثب وحده - إلى أن  
قرأت أصول هذا الجزء من المقتطف وتجاريه ، فإذا هي ، بحسب رأى الكاتب ، متصلة  
أوثق اتصال بأصله ونشأته وتربيته التي قامت عليها جدته ، « أمُّ أمّه » وحوادث عصره  
وحياته ، وإذا أقوى شعره إعراب بليغ ، وبيان واضح عن ذلك كله .

وكنت أطلب العلم في جامعة بيروت الأمريكية فكان أستاذنا في الأدب العربي  
« جبر ضومط » رحمه الله عليه ، مولعاً بدراسة المتنبي وتدرسه ، فقضينا معه سنتين نحفظ  
من قصائد المتنبي ما يتخيَّر لنا منها ، ونمعن في حلّ أبياتها وإعراب ألفاظها ، ويمعن هو في  
تفسير معانيها وبيان ما تحمل في ثناياها / من حكمة وفلسفة . وكان لا يفوته أن يلمح  
أحياناً إلى أن حياة المتنبي على صلة وثيقة بعصره . وكان معظمنا لا يعي من تاريخ الشرق  
العربي في ذلك العهد إلا اليسير ، فمرَّ بهذا التلميح غير آبه .

وأكبر الظن عندى الآن - وقد اطلعت على رسالة صديقي الأستاذ محمود محمد  
شاکر ، وما جلاه فيها من دقائق هذه الصلة - أن أستاذنا كان قد حاول أن يجتلي بعض  
هذا الغامض ، فتبينت له أشياء لم ينشرها ، إمّا التزاماً بالحذر العلمي قبل القطع برأى ،  
وإمّا مراعاة للأحوال السياسية .

وعلى ذلك ظل المتنبي - على علو مقامه في الأدب العربي ، ونصوع معانيه ، وسمو حكمته ، وكال رجولته - تكتنفه في ذهني غمامات من الغموض ، على كثرة شراح ديوانه ومفسريه .

ولكن مشاغل الحياة ، وانصراف أساتذتنا ، عند طلبنا العلم ، عن ترسيخنا في معرفة أصول تاريخنا الشرق العربي ، صرفتني عن دراسة المتنبي ، فكنت فيما تلا من عهد الدراسة ، لا أذكره إلا عندما أسكن إلى ساعة من الراحة ، فأخرج شرح اليازجي ، وأقرأ بعض قصائده المشهورة ، صادفاً عما قد تنطوى عليه أحياناً من مُعلق المعنى ، أو مهجور اللفظ ، أو معقد التركيب ، مكتفياً بما فيها من قوة ورجولة ، تكاد تحسُّهما ، بعد انقضاء عشرة قرون ، تتفجران من معاطف هذا العربي كالينبوع ، وتتطايران من عينيه كالشرر .

فلما ذكر المذكرون بانقضاء ألف سنة على مصرع المتنبي في ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٤ ( وقد كان مصرعه في ٢٧ رمضان سنة ٣٥٤ ) قلت : هي فرصة فذة تتيح للمقتطف أن يشارك في إحياء ذكرٍ عظيم من عظماء العرب ، ونابعة / من نوابع اللسان العربي ، كسنته في الاشتراك في إحياء ذكرى العظماء من علماء الفرنجة ، وفلاسفتهم ، وكتابهم ، وزعمائهم . ولكن الفرق فيما يجب على المقتطف في الحالين واضح .

فنحن حين نحتفل بذكر عظيم من عظماء الفرنجة نجتريء بمجمل من سيرته وأثره ، لأن الغرض إنما هو التعريف بآثاره من الناحية الذهنية ، والإشادة بخلقه أو مثاله من الناحية الأدبية . ولكننا - إذ كان المتنبي من عباقرة شعرائنا - لا ينبغي لنا أن نجتريء بمجمل أقوال الرواة والنقاد في حياته وشعره .

فتحدثت في ذلك مع صديقي المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر ورغبت إليه أن يكتب كلمة مسهبة بعض الإسهاب عن المتنبي . وأقرُّ أنني كنت مقتنعاً - عندما ألفتيت إليه هذا الاقتراح - أن الكلمة لن تزيد عن عشرين ، أو ثلاثين من صفحات

المقتطف ، فوعدني أن يبذل ما لديه . ولكن البحث تشعب أمامه ، ومواطن الاستنباط والمقابلة تعددت ، فلم يرض ، وقد وجد مجال القول ذا سعة ، بالنهج المطروق . فبعد أن كتب عشرات من الصفحات مرّقتها ونَبَذَها ، وعاد إلى الكتابة على نهج آخر . فأصبح المقال عدداً كاملاً من المقتطف ، أو يزيد . وليس هذا العدد الكامل إلا موجز سِفَرٍ في المتنبي ينوئ أن يجعله في أربعة مجلدات أو أكثر .

ولا أخفى عن القارئ أنني مغتبط بهذا كل الاغتباط . ففي هذه الرسالة ، على إيجازها بالقياس إلى ما كان يجب أن تكون ، دلائل على تبُّحر الكاتب في تاريخ هذا العصر من حياة شرقنا العربي ، ومقدرته على تبيين الإشارات الخفية في شعر المتنبي إلى حوادث ذلك العصر ، وبراعة عجيبة في استنباط / حالات الشاعر النفسية من أبيات شعره وربطها بحياته الخاصة ، والأحداث التي كانت في الأمة العربية بوجه عام . وفي الغالب أن يكون عملٌ كهذا متعذراً إذا لم يوفق الكاتب إلى دليل يهديه سواء السبيل ، في تيه الحوادث ومجاهل الآراء ، فضلاً عما يقتضيه من سعة نادرة في العلم ، وبراعة فذة في الاستنباط . وهذا الدليل الذي هداه هو رأى جديد في أصل المتنبي ونشأته ، أشبه ما يكون بالنظرية العلمية في ميدان العلوم الطبيعية .

فالحقائق في علوم الطبيعة هي خصوم النظريات ، والبحث عن الحقائق بالمجهر والمطياف وغيرها من أدوات العلم ، عمل لا ينقطع ولن ينقطع ما بقى الإنسان على فطرته في حب الاستطلاع . ولا يخفى أن النظريات توضع لتفسير طائفة معروفة من الحقائق ، فإذا انقضت عقود من السنين أو سنوات قلائل ، فالغالب أن تجيء هذه الحقائق الجديدة التي يُكشَف عنها بعد وضع النظرية مخالفة للنظرية في مجملها أو لنواحي منها ، فتعدّل النظرية القديمة ، أو تُطوَّى وتوضع نظرية جديدة . ويشترط في النظرية الجديدة أن تكون تفسيراً عاماً مُنسَقاً للحقائق الجديدة والقديمة معاً ، وأن يكون فيها من المرونة ما يجعلها تحتل تفسير الحقائق التي تستجُدُّ ، والتمهيد للكشف عن أمور مجهولة .



فالأستاذ شاكر وضع هذا الرأي أولاً فيما قيل عن أصل المتنبي ووالده وذهابه إلى الكوفة لزيارة جدته ، وامتناع ذلك عليه ، فاستقامت الحوادث المتناقضة في الروايات المنقولة على أساس هذا الرأي الجديد . ثم لما طَبَّقَه على نفسية المتنبي في شعره ، وحوادث حياته الأخرى ، وخاصة حديث نبوته إلى أن اتصل بسيف الدولة ، تساوقت واتصل الأول منها بالآخر . واستقام كذلك فهمها على منوال يرتضيه العقل ، ويؤيده ما كان من حوادث العصر . ولا يبعد / أن تكون هذه النظرية تمهيداً للكشف عن أشياء في حياة المتنبي وتاريخ عصره على منوال ما تولده النظريات في العلوم الطبيعية ، كما قدمنا . ولعلَّ الأستاذ محمود يحقق كل هذا تحقيقاً مفصلاً في سفره المرتقب ، إن شاء الله .

ولا يسعنى في هذه السطور أن أفصل القواعد التي بنى عليها الأستاذ شاكر رأيه ، فهي كثيرة مفرقة في جميع الفصول ، وهذا البحث الظريف في حياة المتنبي وأدبه ليس إلا وليد تطبيقها .

فقد استطاع أن يكشف من شعر المتنبي عن دقائق حياته ، وينقض الروايات المنقولة إلينا عن أصله ونشأته وتنوُّه وحبه ومصرعه ، ويصل بين حياة الرجل وأحداث عصره . وبذلك اتسقت حياة المتنبي ، واتصل أولها بآخرها ، وقُلَّت الفجوات في تسلسلها ، واستقام فهمها على أساس معقول من الأدب والتاريخ .

فالذى يقرأ هذا البحث ويعود إلى مطالعة ديوان المتنبي ، متدبراً ، تنكشف أمامه معاني شعره ، وصلتها بنفس صاحبها من ناحية ، وتاريخ عصره من ناحية أخرى .

فقد نقض الأستاذ شاكر الرواية المتداولة عن أن والد المتنبي كان سقّاءً بالكوفة ، ورسم صورة لحدائثه في مدارس الأشراف العلويين فيها ، وبَيَّن صلة المتنبي بالعلويين من نشأته إلى وقت مصرعه ، وتأثير ذلك في حياته وشعره وآرائه السياسية ، ونَفَى ما أُتِّهِمَ به المتنبي من النبوة مستدلاً على صحة ما يذهب إليه بما استنبطه من شعره ، وما استخرجه من دفائن الحوادث التاريخية المتصلة بمسألة النبوة ، واستطاع أن يصل إلى السبب المعقول في تسمية أبي الطيب بالمتنبي .

٩ / وقد درس حياته وهو في جوار سيف الدولة دراسة وافية من شعره وحوادث عصره ، فكشف عن الصلة بين سيف الدولة والمنتبي ، وأنهما كانا يعملان معاً على تحقيق الأمل السياسى لردّ الحكومة إلى العرب ، ونزعها من يد الأعاجم الذين كانوا قد استولوا على مقاليدها ، وبين أثر هذه الصلة السياسية في شعر أبنى الطيب الذى قاله لسيف الدولة .

وأثبت فيما أثبتته من تاريخ هذه الفترة أن أبا الطيب كان يحب « خولة » أخت سيف الدولة ، وما كان لهذا الحب من الأثر في سمو شعره ، وروعة بيانه .

فؤاد صروف

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا  
مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا  
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا  
وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا »  
« رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ »

وبعد .... فهذه كلمة مني عن شاعر العربية ولسانها الحكيم :

أبي الطيب المتنبي

وأنا أشكر لكل من أعانني - بعلمه أو قلبه أو عطفه - عونته ، وأخص بالشكر  
الفريق أمين فهد المعلوف ، والأستاذ محمد فريد نامق ، والأستاذ فؤاد صروف .

محمود محمد شاكر

مصر الجديدة : شارع المنصورة ٢٢

أول شوال سنة ١٣٥٤

٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥

\*\*\*\*\*

ذَكَرْتُكَ بَيْنَ ثَنَائِهَا السُّطُورِ ،  
 وَاضْمَرْتُ قَلْبِي بَيْنَ الْكَلِمِ  
 وَلَسْتُ أَبُوحُ بِمَا قَدْ كَتَمْتُ ،  
 وَلَوْ حَزَّ فِي النَّفْسِ حَدُّ الْأَلَمِ  
 تُمَرِّقُنِي - مَا حَيْثُ - الْمُنَى ،  
 فَأَرْقَعُ مَا مَزَّقْتَ بِالظُّلَمِ  
 فَكَمَ كَتَمَ اللَّيْلِ مِنْ سِرِّي ،  
 وَفِي اللَّيْلِ أَسْرَارُ مَنْ قَدْ كَتَمَ  
 نَشَابَهُ - فِي كَتَمِ مَا نَسْتَسِرُّ  
 سَوَادُ الدُّجَى ، وَسَوَادُ الْقَلَمِ

محمود محمد شاكر

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

١٣ / أَنَا أَيْنَ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الدَّ  
سَبَاحِثٍ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ  
وَأِنَّمَا يَذْكُرُ ( الْجُدُودَ ) لَهُمْ  
مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ  
إِنَّ الْكَذَابَ الَّذِي أَكَّادُ بِهِ  
أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي ثَقَلَهُ

\*\*\*\*\*

« أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي  
أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي  
أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي  
هو أبو الطيب الملقب بالمتني . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ، بمحلة كانت بها تسمى  
« كندة » ، وكان أبوه الحسين سقاء يسقى الناس على جميل له بالكوفة ، وكان لقبه الذي  
يلقب به هو : « عِيدَانُ السَّقاء » . (١)

• / حَدَّثَ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ( الْمُحَسِّنِ بْنِ عَلِيٍّ التَّنُوخِيِّ ) قَالَ : ١٤

(١) ضبطه اس العديم في « بغية الطلب » في ترجمة المتني ، نقلا عن الخطيب البغدادي أنه قال : « عِيدَانُ ،  
بكسر العين ، وبالياء المعجمة بائنتين من تحتها » ، وكذلك ضبطه صاحب القاموس ، وذكره الزبيدي في تاج  
العروس فقال « هكذا ضبطه المصاغي » ، وهكذا ضبطه الأمير ابن ماكولا في الإكمال ( ٦ : ٩٩ ) . ونقل الحافظ  
الذهبي في مشتببه النسبة : ٤٣٣ عن أبي القاسم بن برهان النحوي ( عبد الواحد بن علي ) : « إن المتني : ابن  
عِيدَان » ، جمع عِيدَانَة ( بفتح فسكون ) ، وهي النحلة الطويلة ، وأخطأ من قال بالكسر ، يريد عِيدَان » ، ونقله  
أيضاً الحافظ اس حجر في تبصير المتني : ٩٠٥ و « السقاء » ، هو الذي يسقى الماء ، بتشديد القاف ، مضبوطاً في  
جميع المواضع من بغية الطلب . وحاء في تكملة تاريخ الطري [ بيروت ١٩٦١ ] الجزء الأول : ١٩٥ ، عن أبي  
الحسن محمد بن يحيى الزبيدي العلوي ( انظر الصفحة التالية ) : « وأبوه يسمى عبدون السقاء » ، ولم أجد أحداً قال  
هذا ، مع اختلافه عن نصر التنوخي ، فكأنه من عمل ناسح أو من عمل الناشر ، فلا يعتد بمثل ذلك .

« اجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أنى الحسن بن أم شيبان الهاشمي ، <sup>(١)</sup> وجرى ذكر المتنبي فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى « عيذان » ، يستقى على بعير له ، وكان جُعْفِيًّا صحيح النسب » .

• وحَدَّث التنوخي أيضاً ، عن أبيه قال :

« حَدَّثني أبو الحسن محمد بن يحيى العلويّ الزيدى ، <sup>(٢)</sup> قال : كان المتنبي وهو صبيّ ينزل في جوارى بالكوفة ، وكان يُعرف أبوه ، بـ « عيذان السَّقاء - يَسْتَقِي لنا ولأهل المحلة .... » .

(١) نقلته في الطبعة الأولى مصحفاً : « القاضي أبو الحسن بن أم شيبان » ، وترجمت له عن الخطيب البغدادي في التاريخ ١٢ : ٩٩ « على بن محمد بن صالح » . وهذا خطأ محض . ثم تبين لي أن الصحيح هو ما ضبطه ابن العديم وغيره « أبو الحسن بن أم شيبان » ، وهو والد المذكور آنفاً ، وهو : « القاضي أبو الحسن محمد بن صالح ابن علي بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، ابن أم شيبان » . و « أم شيبان » هي والدته يحيى بن عبد الله جد أبيه ، واسمها كنيهاً ، وهي والدته يحيى بن عبد الله بن محمد ، جد أبيه ، ويعرف هو وأهله بـ « بني أم شيبان » . وهذا القاضي أبو الحسن بن أم شيبان ولد سنة ٢٩٤ هـ ، وتوفي سنة ٣٦٩ هـ ، وهو من الكوفة ، بها ولد ونشأ ، وفارقها إلى بغداد سنة ٣٠١ هـ مع أبيه ، ثم تكرر دخوله إليها . ثم دخلها سنة ٣٠٧ هـ ، فقرأ على أبي بكر بن مجاهد ولقي الشيوخ ، ثم استوطن بغداد في سنة ٣١٦ هـ ( تاريخ بغداد ٥ : ٣٦٣ - ٣٦٥ / المنتظم ٧ : ٥٦ ، ١٠٢ ) .

(٢) كنت ظننت في الطبعة الأولى أنه هو « محمد بن عمر بن يحيى » ينتهي نسبه إلى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم . كان من أهل الكوفة ثم سكن بغداد ، وكان المتقدم على الطالبين في وقته ، والمنفرد في علو محله مع المال واليسار ، وكثرة الضياع والعقار . ولد سنة ٣١٥ هـ ، وتوفي ببغداد في ١٠ ربيع الأول سنة ٣٩٠ هـ ، ثم حمل بعد ذلك لسنة أو أقل إلى الكوفة فدفن بها . ولكني أرجح الآن أن هذا خطأ ، ولعل هذا المذكور « محمد بن يحيى » هو عم « محمد بن عمر بن يحيى » ، ولكن أعياني أن أجده ذكره فيما بين يدي من الكتب .

\* ثم عقب على كلامي هذا عالماً الجليل الدكتور محمود مكى ، بعد سنوات من طبع هذا الكتاب فقال : « أبو الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوي ، المذكور ، هو فيما أرجح عم الشريف الثري محمد بن عمر بن يحيى المشار إليه في هذه الحاشية . وقد عثرتُ على خبر متعلق به ، جاء فيه ما يلي :

=

• وقال أبو الحسن العلويّ الزيديّ أيضاً من حديث التنوخي عنه : « كان عِيْدَان ، والد المتنبّي ، يذكر أنه جُعْفِيٌّ ، وكانت جدة المتنبّي همدانيّةً صحيحة النسب / لا أشكُّ فيها ، وكانت جازتنا ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات .... » . ١٥

• ثم قال التنوخي ( علي بن المحسن ) ، قال أبي :

« فاتفق محيي المتنبّي بعد سنين إلى الأهواز منصرباً من فارس ، فذكرته بأبي الحسن ( يعني محمد بن يحيى العلويّ الذي مرَّ آنفاً ) فقال : تَرِنِي وصديقي وجاري بالكوفة ، وأطراه ووصفه ... »

« وسألْتُ المتنبّي عن نسبه فما اعترف لي به ، وقال : أنا رجلٌ أُحِبُّ القبائل ، وأطويّ البوادي وحدي ، ومتى انتسبتُ لم آمن أن يأخذني بعضُ العرب بطائلةٍ بينها وبين

= « لما دخل معز الدولة بن بويه بغداد في سنة ٣٣٤ عزم على أن يبايع أبا الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلويّ ، فمنعه الصيّريّ من ذلك وقال : « إذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوأم البلدان ، وأطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا أمره فيك . وبنو العباس قومٌ منصرون ، تعتلّ دولتهم مرّةً وتصحّ مراراً ، وتعرض تارةً وتستقلّ أطواراً ، لأن أصلها ثابتٌ وثيّانها راسخٌ » . فعزل معز الدولة عن تعويله ، وأحذر أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله من دار ابن طاهر إلى دار الخلافة » ( الفضل بن المقتدر ، ولى الخلافة بعد ، وتلقّب بالمطيع لله ) [ تكملة تاريخ الطبري ، للهمداني ١ : ١٤٩ ( ط . بيروت ١٩٦١ ) ] .

وقد أشار ابن الأثير إلى هذا الواقعة ولم يذكر اسم « محمد بن يحيى العلوي » صريحاً ، فقال في دخول معز الدولة بغداد ، في ١١ جمادى الأولى : ٣٣٤

« وكان أعظم الأسباب في ذلك [ أي في إدار أمر الخلافة ، وذهاب ريح الخلفاء ] ، أنّ الديلم كانوا يتشيّعون ويغالون في التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخلّوها من مستحقها ، فلم يكن عندهم باعثٌ دينيٌّ يحثُّهم على الطاعة ، حتى لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعةً من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين ، والبيعة للمعزّ لدين الله العلويّ ، أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار عليه بذلك ، ما عدا بعض خواصه فإنه قال : « ليس هذا برأي ، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستجلّين دمه ، ومتى أجلس مع بعض العلويين خليفة ، وكان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لقتلوه » ، فأعرض عن ذلك » [ ابن الأثير ، الكامل ٨ : ١٦٢ ] .

القبيلة التي أنتسب إليها . وما دمت غير منتسبٍ إلى أحدٍ ، فأنا أسلم على جميعهم ويخافوني لساني » .

هذا ما ذهب إليه رواتنا ممن وقع إلينا كلامهم في نسب المتنبي ، يزيد بعضهم وينقص بعض ... وقبل أن نبدأ كلامنا عن نسبه ، نذكر لك طرفاً من أمر « الكوفة » التي ولد بها أبو الطيب وفيها نشأ ، عسى أن تكون منه فائدة فيما يستقبل من كلامنا .

...

كان تمصير الكوفة وأول أمرها ، على ما ذهب إليه أكثر العلماء ، في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما بين سنة ١٧ إلى سنة ١٩ من الهجرة ، وذلك أن المسلمين لما فرغوا من وقعة رستم بالقادسية وعصفوا بالفرس ثم انحدروا ، كان مما أنزلهم فيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، مكاناً من سواد العراق يقال له : « سَوْق حَكَمَة » ، فُتِفَض المسلمون وجَهِدَهم المرض ، فكتب سعدٌ إلى عمر بذلك ، فكتب إليه :

« إن العرب لا يصلحها من البلدان إلّا ما أصلح الشاة والبعير ، فعليك بالريّيف ، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً » .

١٦

/ فلما ورد كتابُ عمر ، دَلَّ آبَنُ بُقَيْلَةَ ( رَجُلٌ من سواد العراق ) سعداً على موضع الكوفة ، وكان يقال له « سَوْسْتَان » ، فلما أَقَرَّ سعدُ الرَّأْيَ على اختيار الموضع أسهم بين المسلمين ، فأسهم لنزارٍ وأهل اليمن سهمين ، فمن خرج سَهْمُهُ أوَّلاً ، فله الجانب الشرقي ، وهو خيرُهُما ، فخرج سهمُ أهل اليمن أوَّلاً ، فصارت خططُهُم في الجانب الشرقي من الكوفة .

ومما وردَ في صفتها وحُسْنُها ما يروى عن مالك بن دينار قال : كان عليُّ رضي الله عنه إذا أشرف على الكوفة قال :

يا حَبْدًا مُقَامُنَا بِالْكُوفَةِ      أَرْضُ سَوَاءٍ سَهْلَةٌ مَعْرُوفَةٌ  
تَعْرِفُهَا جِمَالُنَا الْعُلُوفَةُ



وما قاله محمد بن عُمَيْرٍ العُطَارِدِيُّ في مجلس عبد الملك بن مروان :

« الكوفة سَفَلَتْ عن الشام ووبائها ، وارتفعت عن البصرة وحرّها ، فهي مَرِيئَةٌ مَرِيئَةٌ . إذا أُنْتَنَا الشَّمالُ ذهبَتْ مسيرة شهر على مثل رَضْرَاضِ الكافور ، وإذا هَبَّتْ الجنوبُ جاءَتْنا رِيحُ السَّوَادِ وورده وياسمينه وأُتْرَنجُه . <sup>(١)</sup> مَأُونَا عَذْبٌ ، وعيشُنَا خِصْبٌ » .

فهي كما ترى أرضٌ ذات طبيعة جميلة ، حُبِبَتْ إلى كثير من المسلمين البقاء بها فَأَثَرُوهَا على غيرها ، حتى كانت الفتنة الكبرى بين عَلِيٍّ ومعاوية رضى الله عنهما ، فاتخذها أمير المؤمنين عَلِيٌّ قاعدة أمره ، واجتمع فيها أشياعُه وغلبوا عليها ، فمن يومئذٍ والكوفة معقل من معاقِلِ الشيعة والعلوية والزيدية إلى يوم الناس هذا . يقول السيد محسن الأمين الحسيني العاملي صاحبُ كتاب ( أعيان الشيعة ) : <sup>(٢)</sup> « ثم إن الكوفة ضعفت بعد انتقال الخلافة منها إلى بغداد ، ثم خربت . واليوم فيها كثير من العمران ، وجميع أهلها شيعة » .

/ أمّا أمر تخطيطها وعمرانها في القرن الأول والثاني أو القرن الرابع الذي عاش فيه <sup>١٧</sup> أبو الطيب ، فلا نكاد نجد بين أيدينا شيئاً مما رُوي يدُّنَا عليه ، ويقفُنَا عنده ، إلّا ما رُوي عن بشر بن عبد الوهاب القرشي من أنّه ذكر قَدْرَ الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلاثي ميل ، وذكر أن فيها خمسين ألف دارٍ للعرب من ربيعة ومُضَر ، وأربعة وعشرين ألف دارٍ لسائر العرب ، ( وستة آلاف دارٍ لليمن ) ، وذلك في سنة ٣١٤ وما قبلها .

وقد رَمَى إلينا المتنبي طرفاً آخر من تخطيط الكوفة لعهد صباهُ ، إذ يقول وهو بالشام فيما مدح به ( على بن إبراهيم التنوخي ) :

أُمنَسِيَ السُّكُونُ وَحَضَرَ مَوْتاً ( ووالدتي ) وَكِنْدَةَ السَّيِّعَا

(١) السَّوَاد : الريف .

(٢) هو كتاب جليل على ما فيه .

يقول الواحدى : « هذه أماكن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا ينزلون هذه المحال » . ولا شك أن « محلة كندة » التى ولد بها صاحبنا أبو الطيب كانت خطة من خطط الكوفة ، نزلها فى الصدر الأول من نزل من بطون كندة فسُميت بهم ، وأن سائر الكوفة - أو الجانب الشرقى منها على التحقيق - كان مقسماً مخططاً إلى أحياء كثيرة غير هذه التى ذكرها أبو الطيب فى شعره . ولكن مما نعجب له أن بشر بن عبد الوهاب يقول : إن دور أهل اليمن ( جميعاً فى كل أحياء الجانب الشرقى ) بالكوفة كانت فى سنة ٣١٤ وما قبلها وعدتها ( ستة آلاف دار ) ، ويقول صاحب ( إيضاح المشكل فى شعر المتنبي ) أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني أن ( ابن النجار ) حدثه ببغداد : (١)

/ « أن مولد المتنبي كان بالكوفة فى محلة تعرف ( بكندة ) بها ثلاثة آلاف بيت من بين روائى ونساج » ، وذلك سنة ٣٠٣ . فليت شعرى أكان جُلُّ أهل اليمن النازلين بالجانب الشرقى من الكوفة ، وهو خير جوانبها ، ما بين سقاء ونساج ؟ هذا عجب أن يكون ذلك كذلك ، إذا كان النساجون والسقاؤون وحدهم قد شغلوا من دور أهل اليمن بالكوفة ، ثم بمحلة كندة وحدها ، ثلاثة آلاف دار ، فكم شغل من بقى من أهل اليمن من أصحاب الصناعات ومن لف لفهم من التجار وأصحاب الأرضين . ثم ما يبقى من حى أهل اليمن لرجال اليمن وأشرافها وفرسانها وعلمائها وشعرائها وأدبائها ، وهم كثر .

١٨

(١) كنت نقلت هذا فى الطبعة الأولى من خزانة الأدب للبغدادى ( ١ : ٣٨٢ ) ، حيث نقل القسم الأول من كتاب « إيضاح المشكل فى شعر المتنبي » ، ثم طبع هذا الكتاب فى تونس سنة ١٩٦٨ . باسم « الواضح فى مشكلات شعر المتنبي » ، والخير فيه ص : ٦

و « ابن النجار » . هو « محمد بن جعفر بن محمد بن هرون بن فروة ، أبو الحسن اتقىمى النحوى » ، ولد سنة ٣٠٣ بالكوفة ، ورحل إلى بغداد ، ثم مات بالكوفة سنة ٤٠٢ . ( تاريخ بغداد ٢ : ١٥٨ / ومعجم الأدباء ٦ : ٤٦٧ / وبيعة النوعة ) . ولابن النجار « كتاب تاريخ الكوفة » ، قال ياقوت : « وقد رأيته » .

فهذه المبالغة وجه من وجوه إسقاط قول ( ابن النجار ) ، وسترى أن المتنبى قد مُنِنَ في حياته وبعد موته بضروب من العداوات قد جعلت تاريخ الرجل مزلة لا تثبت عليها قدم ، ولا يهتدى فيها إلا بصير متثبت . ولو نظرت إلى أقوال الأصفهاني صاحب ( إيضاح المشكل ) ، وما رواه في مقدمة كتابه ، رأيته ممن كان يتحامل على أبى الطيب ، ويذكره بالسوء في كل قوله ، وما أتى له بمحمدة إلا وأتبعها بمذمة بالغة قارصة . وهو قد ألف كتابه هذا لأصغر أبناء « عضد الدولة » = الذى مدحه المتنبى ، وكان آخر من مدح = بهاء الدولة ، وهو أبو نصر خُره فيروز ، [ ويقال اسمه خَاشاذ ] بن عضد الدولة بُويه بن ركن الدولة بن بُويه بن فناخسرو الديلمي ، وكان التحاسد واقعاً بين أبناء عضد الدولة ، حتى إن المتنبى حين ذكر أخويه ، وهما أكبر من بهاء الدولة ، في مدح أبيهما دعا لهما فقال :

فَعَاثَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا      بَضُوءَهُمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ

فكأنى بالمتنبى قد أدرك ذلك منهما ، وألمَّ بطرف من تحاسدِهما . وقد خابت دعوة صاحبا ، فإن شرف الدولة شيرزِيل بن عضد الدولة حارب / أخاه صمصام الدولة ١٩ وظفر به بعد حروبٍ وحبسه . ولا أظن أن بهاء الدولة كان بمنجاة من ميراث أسرته من التباغض والتحاسد وسوء الظن والحقد ، بل لقد وصفه المؤرخون بأبشع الصفات ، فقالوا إنه كان « ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء ، حتى إنه كان خواصه يهربون من قُربه .... ولم يكن في ملوك بنى بُويه أظلم منه ولا أقبح سيرة .... وكان به مرض الصرع ، يُصرع في دَسْت المُلْك ، ورث ذلك عن أبيه » ، فليس عندى بمُستغرب ولا مستبعد ، أن يضطغن مثل هذا السقيم المريض القلب ، على المتنبى ، لأنه مدح أباه وأخويه ورفع من ذكرهم ، ولم يجد هو من شعراء زمانه من يقول فيه ما قاله أبو الطيب في أبيه وأخويه ، فكتب الأصفهاني كتابه تقريباً وزُلفى إليه .<sup>(١)</sup> ومما يؤيد ذلك أن كتاب الأصفهاني في نقد

(١) كت قد وقعت في خطأ غريب فظيع . ومر في كتابي هذا وظل قائماً فيه مدة سِت وأربعين سنة .

كلام آبن جنى ، وهو صاحبُ المنتهى ومريده ومن الضَّالِّعين معه . وسيأتى طرف من غرائب ما ذكره الأصفهاني في ثنايا القول ، يؤيد رأينا في أن الرجل كان يلفق بالهوى الجائر ، وما كان يؤلف بالتاريخ . <sup>(١)</sup> هذا على أنى أخشى أن يكون الأصفهاني في نفسه علوى الهوى ، كبنى بويه الديلميين ، وكانوا شيعةً غلاةً في التشيع .

\*\*\*

- لم أُنَبِّهْ له ، ولا وجدتُ من تنبَّه له ونَبَّهني إليه ، حتى جاء عالمنا الجليل الدكتور محمود مكى ، فوضعنى على طريق الصواب . كنت قد كتبت بعد قولى : « وظفر به بعد حروبٍ وحبس » ، ما نصه فى الطبعيتين السالفتين : « فلعل بهاء الدولة كان ممن يحقد على المنتهى ، إذ لم يمدحه أو يذكره فى شعره ( مع صغره إذ ذاك ) » . وهذا خطأ فادحٌ ، فكتب لى أخى محمود مكى معلقاً على هذه الجملة ما يأتى :

« هذا أمر بين الاستحالة ، بهاء الدولة لم يكن قد وُلِدَ بعد . الكلام هنا عن بهاء الدولة أنى نصر خُره فيروز أصعر أبناء عضد الدولة ، تُوْفِيَ من ذاء الصرع فى الرابع أو الخامس من جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ ( ابن الأثير ٩ : ٩٠ / ابن تغرى بردى ٤ : ٢٣٣ ينصان على تاريخ ٥ جمادى الآخرة ٤٠٣ / الشريف الرضى ، ديوانه : ٥٩١ له مرثية فيه سُجِّلَ بين يديها أن وفاته كانت فى آخر هار الأحد ، لأربع خبون من جمادى الآخرة ٤٠٣ / ابن الخوزى ، المنتظم ٧ : ٢٦٤ يذكر وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة بغير تحديد لليوم ) .

وكان عمر بهاء الدولة ، على ما يذكر ابن الأثير ومعه سائر المؤرخين ، على خلاف يسير بينهم فى ذلك ، كان عمره ٤٢ سنة و ٩ أشهر و ١٥ يوماً . فكأن مولده كان فى ١٩ شعبان سنة ٣٦٠ ( وهو ما جاء نصاً فى ديوان الشريف ) . وأما أبو الطيب ، فكان مقتله قبل ذلك بنحو ست سنوات ( قتل فى ٢٧ رمضان سنة ٣٥٤ ) ، وأما سيف الدولة . فمات يوم الجمعة لخمس بقين من صفر سنة ٣٥٦ ، أى قبل مولد بهاء الدولة بنحو أربع سنوات » .

يقول أبو فهر : إشارة الدكتور مكى إلى سيف الدولة ، لأنى كنت كتبت فى التعليق التالى : « وقد اشتدت المنافسة أخيراً بين بهاء الدولة وسيف الدولة » ، وهو أيضاً خطأ فادح لا شك فيه . وإشارته إلى شعر الشريف الرضى ، إلى قصيدته التى أوَّها :

دَعِ الدَّمِيلَ إِلَى الْغَايَاتِ وَالرَّئِكَأَ  
مَاذَا الطَّلَابُ أَتَرَجُّوْا بَعْدَهُ دَرَكَأَ

(١) هذا طرف من القول ، وبقيت أطراف ترجع إلى العداوة بين بنى بويه وسيف دولة وبنى حمدان [ انظر

ما سيأتى ص : ١٥٩ ] ، وما جرَّت هذه الخصومة بين أهل العصر ، والأدباء خاصة . وقد امتدت المنافسة أخيراً بين =

والآن ، وقد فرغنا من القول فی محلة كندة التي ولد بها المتنبي ، وما وقع فی أمرها من المبالغة ، ننظر فی نسب الرجل ، لترى كيف بالغوا أيضاً فی الإساءة إليه ، وتحقیر مولده ، والخط من أصله ونشأته ، لأغراض خافية قد أحاطت بصاحبنا ، أضرت به فی حياته ، وأفسدت تاريخه بعد وفاته .

رأيت قبل فی أول ما رويناه لك من أقوال الرواة ، أنهم أرادوا أن يثبتوا بما رووا أن الحسين والد المتنبي هو عیدان السقاء ، كان يسقى الماء علی بعر له بالكوفة . وراوى القصة كلها هو علی بن المحسن التنوخی ، عن أبيه المحسن التنوخی ، ونحن نقدّم فنشكك فی رواية المحسن التنوخی لأسباب نذكر طرفاً منها هنا ، ثم تأتى بعد أسباب أخرى تثبت ما نقوله إن شاء الله . [ انظر ما سیأتی : ١٤٩ ] .

\*\*\*

٢. / القاضي أبو علی المحسن بن علی التنوخی ولد سنة ٣٢٧ ، وتقلد القضاء سنة ٣٤٩ ، فكان من أصحاب الوزير أبی محمد المهلبی ، وكان المتنبي حين دخل بغداد فی طريقه إلى عضد الدولة بشيراز ، قد ترفع عن أن يمدح الوزير المهلبی ، فأغرى المهلبی به الشعراء وغيرهم ، كأبی علی الحاتمى صاحب الرسالة العجيبة المعروفة بالحاتمية ، ذكر فیها سرقات المتنبي ، وزعم أنها قد وقعت كما قيدها بينه وبين المتنبي ، <sup>(١)</sup> فلا عجب أن يكون

بنى بويه الديلمين وبى حمدان العرب التغليين ، وتورط الأدياء فیها فكتبوا وألفوا يريدون بما ألفوا التقرب إلى واحد من الخصمين . وأيضاً فإن بنى بويه كانوا يعرفون يقيناً أن المتنبي لم يكن خالص المدح لهم ، فقد شات مدحهُ بالحسرة علی لقائهم فی بعض قصائده ، وما كان ذلك ليحصى عليهم .... وهناك كثير من القول أعفناه ها . وربما أتى بعضه عرضاً فی آخر ما نكتبه عن مدح المتنبي بنى بويه إن شاء الله .

(١) الرسالة الحاتمية . مطبوعة ، وقد طبع صديقنا الدكتور محمد يوسف نجم كتاباً آخر للحاتمى فی الخط علی أبی الطيب ، سماه : « حبة الأدب » ، ونشره الدكتور نجم باسم « الرسالة الموضحة » ( سنة ١٩٦٥ بيروت ) . والكلام هنا أكثر انطباقاً علی الكتاب التالى

محسن التنوخى من أعداء أبى الطيب لصلته القريية بالوزير ، فقد بلغ به أن كان من ندمائه . ولا عجب أيضاً أن يسند التنوخى روايته ( أو كذبه ) إلى بعض شيوخه لئلاً يفتضح . ولذلك زعم ، كما قدمنا لك ، أن القاضى ابن أم شيان حدّثه فقال : « كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يقال له عيدان .... إلخ » ، والقاضى ابن أم شيان ، يحتاج أمره إلى بعض النظر ، إذا حدث عن المتنبي ، لأنى أخشى أن تكون صلته قريية جداً ، بحياة المتنبي وما لقيه من العلويين ، كما سأبينه فيما بعد .

وهذا الشيخ التنوخى يقول : إنه سأل المتنبي عن نسبه فما ( اعترف له به ) ، وكان إذ ذاك شاباً فى السابعة والعشرين ، وكان المتنبي قد نيف على الخمسين ، (١) فما نظن أن القاضى التنوخى كان يجزئ أن يسأل المتنبي عن ذلك ، لبعد ما بينهما ، ولتعالى المتنبي وترفعه حتى على الخلفاء والوزراء ، وأيضاً لما يعلم من صلة القاضى بالوزير المهلبى وتحققه بخدمته ( كما قال عن نفسه ) . فمن يرفع عن الوزير أبى محمد المهلبى ، وهو من هو فى سياسة عصره ودسائسه ، لا يتبدل مع صاحبنا القاضى / التنوخى . هذا ، فإن كان قد سأل المتنبي حقاً كما يقول ، فما يكون جواب المتنبي عن ذلك هذا الكلام الملفق الضعيف الذى يضع من رأى صاحبه ويستفسد من عقله : « أنا رجل أطوى البوادر وحدى وأخبط القبائل .... » ، (٢) فلم يكن المتنبي ممن يطوى البوادر وحده إذ ذاك ، بعد أن سار اسمه مسير الشمس ما بين مشرقها ومغربها . والمتنبي الذى لم يخف أن يخرج غير محروس يوم قتل وقد أوعدوه ، وأرصدوا له ، وتحقق هو ذلك ، لا يقول : « ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التى أنتسب إليها » . وهل أذل من قوله : « وما دمت غير مُنْسَبٍ إلى أحد ، فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لسانى » ؟ أهذا يقوله من أوعد الملوك وجاهرهم بالعداوة فى عصر كانت تذهب فيه الأرواح مع كلمات الوشاية والدسيس والمكر السيئ ؟! كلاً يا أبا على ....

(١) لقيه التنوخى بالأهواز منصرفاً من فارس من عند عضد الدولة قبيل وفاته سنة ٣٥٤ .

(٢) انظر ص : ٢٧٩ ، ومن أين استخرج الوضاعون هذا الخبر .

وقد بالغ صاحبنا التنوخى في روايته عن المتنبي حين سأله عن أبى الحسن محمد ابن يحيى العلوى الزيدى ، ومبالغته تدل على أنه كان يريد أن يولد كلاماً ، فأطال فيما روى ليوهم السامع بطول قوله ، أن المتنبي حرّكته الذكرى ، فأفاض فقال عن أبى الحسن العلوى : « تَرْنَى ..... وصديقى ..... وجارى بالكوفة ..... وأطراه ووصفه » .

وأخرى ..... فمن جهل هذا التنوخى بأساليب الوضع المتقنة - التى جرى عليها شيوخ الوضّاعين وأحكموا أمرها حتى خفيت على الحفىّ البصير من العلماء والأدباء - أنه جمع بين النقائص فى الكلام الواحد الذى يراد به إثبات ما لا يكون ، أو كَوْن ما لم يثبُت . فمن ذلك أنه روى أنَّ أبأ الرجل كانَ سَقَاءً يسقى على بعير له ، ثم حدّث عن الرجل نفسه أنه قال : « متى انتسبت لم آمَنُ / أن يأخذنى بعض العرب بطائلةٍ بينها وبين القبيلة التى أنتسبُ إليها » . وهذا أمرٌ من الأمر ، فإن العرب لذلك العهد كانت قد نسيت التّراثَ القديمة ، وألقت بالسّخائم المتوارثة ، وانصرفت إلى ما جدّ من الأحداث فى دولتهم وقرّق شملهم وجعل بأسهم بينهم ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، حتى لعبت بهم الأعاجم فحطّمتهم الأيام . فإذا كات العرب قد نسيت ما قدّم أو ذكرته قليلاً قليلاً ، فما خوف المتنبي مما لا يُخَاف منه ؟ وما خوفه وهو آمَنُ فى المدن بين الكوفة وحلب وأنطاكية ودمشق والفسطاط ؟ أو كان المتنبي وحده من أهل عصره هو الذى يخشى ذاك ؟ ألم يكن فى عصره مثله من يطوى البوادي وحده ؟ كلا ، وإن رجلاً قد سقط بآبائه السواقط إلى السّقاءة وغيرها من حقيرة المهن ، لا تُبغى عنده طائلة ، وإن بُغيت فما يكون لمدرَكها عنده فخرٌ . و ( آبن السقاء هذا ) ما عَرَض فى شعره كُلّه إلى قبيلة فهجاها أو عَرَض بها أو لمزها بشيء ، حتى يخشى ظهور كيدٍ يُكاد به ، ولئن فعل لقالوا له كما قال الأول :

وكن كيف شئت ، وقل ما تشأ      ء ، وأرعذ يمينا وأبرق شمالاً

نجا بك عَرَضُكَ مَنْجَى الدُّبَا      ب حَمَتَه مقاذيرُهُ أن يُنالاً

وما عَرَض كعرض سقاء وابن سقاء ينجو به ناچ من طالب ثارٍ أو مدرِكٍ تَرّة !

وهلاً أدرك هذا المترفع المتعالى على الملوك والأمراء ، عنيتُ المتنبي ، بنسبه رجلاً آخر غير هذا السقاء ، الذى هو أبوه ، فوقَفَ عليه بنسبته !! ما كان يضير هذا الرجل ، لو أنه كان قد سئل عن نسبه ، كما يوهم التنوخي ، أن يرتفع بنسبه شيئاً إلى رجل من الناس معلوم غير منكور ولا محقر ؟! إن الرواة قد / اختلفوا ، كما رأيت في صدر مقالنا ، ٢٣ في اسم جدّه ( أئى أبيه ) ولم يجمعوا على شيء ، وأخطأ بعضهم في اسم أبيه فسماه ( محمداً ) ، واقتصر جُلّ شراح ديوانه من الأوائل ، ثم أكثر النسخ المخطوطة - على اسم أبيه وحسب ولم يزيّدوا . فهذا دليل على أن الكتان إنما كتاناً للنسبة كلها لا كتاناً إلى قبيلة بعينها يخشى من الانتساب إليه أن يلحقه من جرائها أذى في ترة ، أو مكروهاً في ضغينة قديمة أو مُحدثّة ، وأئى ثار يكون للعرب والقبائل عند من كان سقاء بالكوفة ! ثم إن التنوخي يروى هذا الخبر ، ويروى أيضاً أنه كان جُفَعِيّاً صحيح النسب ، وما تصحُّ نسبة سقاء إلى جُفَعِيّ بن سعد العشيرة إلا أن يذكر نسبه متصلاً إلى جُفَعِيّ ، لأن سقاء يدعى الانتساب إلى جُفَعِيّ ، لا بدّ له من أن يقيم دعواه بالدليل والبرهان : وهما النسب المتصل المعروف غير المنكر ، ما من ذلك بُدّ . ولو كان ذلك ، لوقع إلينا نصٌّ واحدٌ يُذكر فيه نسب المتنبي إلى رجل من جُفَعِيّ لا يُختلفُ في أمر نسبه . فما ظنُّك بمن آخِطَفَ في جدّه الأدنى والذى بعده ، ولم يتجاوزوا ذلك إلى متفق عليه من عمود النسب ؟

أو لم يكن الذى حفز التنوخي أن يسأل المتنبي عن نسبه فأخفاه عنه ، ليحفزه أن يسأل ابن أم شيبان الهاشمي ، أو أبا الحسن العلوي ، كيف صحّت نسبة الرجل إلى جُفَعِيّ ، وخاصة بعد أن جحدّه المتنبي وكنم عنه ما عرفه غيره ؟ ولو كان فعل ، لكان نَسَبُ الرجل مشهوراً عندنا ، كما صارت مهنة أبيه مشهورة منقولة .

وبعد ، ألم يكن بين العرب جميعاً مَنْ يعرف أن الرجل جُفَعِيّ القبيلة غير / « ابن أم شيبان الهاشمي » و « أئى الحسن العلوي » و « أئى عليّ التنوخي » ؟ أو قد حرصوا ثلاثتهم على أن لا يذيع نسب الرجل إلى جُفَعِيّ ؟ ولو كان ذلك ، فما الذى حملهم على ٢٤



هذا الحرص ؟ والتنوخي نفسه لم يكن يعرف سبب حرص المتنبي على كتمان نسبه إلا في السنة التي مات فيها ( سنة ٣٥٤ ) ! أكانوا ثلاثتهم لا يأمنون « أن يأخذ المتنبي بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي ينتسب إليها » ؟ وكذلك شهد الرجل ( التنوخي ) على نفسه في حديثه بالتخليط أو الوضع .

ولا يفوتك أن المتنبي في أول أمره كان بأنطاكية واللاذقية ، وكان التنوخيون ينزلونهما من قديم ، وقد نبتت بين صاحبنا وبين رجال من تنوخ هناك نابتة من المودة ، ثم تمت وربت واهتزت ، فمدحهم ورثاهم ، ودفع عنهم ، ورمى دونهم ، وأقام طويلاً بينهم مكرماً ، وقد كان بين أصحاب أئى الطيب من التنوحيين وأبناء أعمامهم عداوة ، فلما مات محمد بن إسحق التنوخي ورثاه المتنبي ، جرى في أنطاكية الخبر بأن أبناء عمه قد شمتوا بموته ، فلجأ هؤلاء الشامتون إلى أئى الطيب يسألونه أن ينفي الشماتة عنهم ، فكان مما قال في ذلك :

( أبناء عم ) كُلُّ ذَنْبٍ لَأَمْرِي إِلَّا ( السَّعَايَةِ ) بَيْنَهُمْ مَغْفُورٌ  
طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءٍ وَدَادِهِمْ وَكَذَا الذُّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ

ثم عادوا فسألوه أن يزيد ، فكان مما قاله على لسانهم :

رَشَى أَبْنَاءُنَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدْنَا عَنْهُ ، وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ  
وَعَرَضَ أَتْنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ ، وَإِلَّا فَرَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاضِ  
/ أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْنَ بَنِي أَبِي ( لِنَجْلٍ يَهُودِيٍّ ) تَدْبُ الْعِقَارُبُ (١) ٢٥

وهذه العداوة التي كانت بين التنوحيين مما يحجزنا عن الثقة بأقوال أحد من تنوخ ( كأئى على التنوخي ) ممن يذكر من أمر أئى الطيب شيئاً ، وعلينا أن لا نطمئن إلى قوله

(١) انظر ما سيأتى ص : ٢٢٨ ، فإنه مهم ، حيث ذكرت هذا البيت ، وما وقع بين التنوحيين من الفرقة بسبب العنوية والتشيع .

حتى تقطعنا الحجة بأنه كان ممن لا يميلون إلى هوى ، ولا يُصغون أفئدتهم إلى بغضة ،  
فما ظنك بأبى على التنوخى ، وهو قد اجتمعت الدلائل - كما رأيت - على وهن روايته ،  
واختلاط حديثه ، وبيان هواه ؟

وليس عجيباً أن يكون التنوخى ممن يحمل لأبى الطيب فى صدره شحنة لصلته  
المعروفة بأبناء عمومته ، فتحمله هذه الشحنة على وصف الرجل بكل نقیصة ، أو النیل  
منه بكل سبیل . واعلم أن علياً التنوخى ( والد المحسن هذا ) كان ممن وُلِدَ بأنطاكية  
وشب بها ثم رحل عنها ، فلعلّه رحل عن أنطاكية لِحدِّث وقع بين أهله وبين أقاربهم ، (١)  
وبقيت فى صدره وصدر أبنائه حزازات موروثه وأحقاد لبنى عمه هناك . ولا عجب ، فقد  
كانت هذه الفترة من العصر العباسى مُرجلاً يغلب بالأحقاد بين الأخوة وبنى الأعمام ،  
حتى قتل الرجل منهم أباه وعمه وأخاه ، وهتك عرضه ، واستباح حُرُماته ، وخاصة مَنْ  
رَقَى درجات الإمارة ، أو أدرك سبباً من السلطان كأصحابنا التنوخيين ، ( وهم نسلُ  
ملوك تنوخ الأقدمين ) .

\*\*\*

هذا ، ولو سلمنا للتنوخى رحمه الله بصحة روايته عن أبى الحسن العلوى ، وأن  
الذى قاله عن المتنبى هو من لفظ أبى الحسن جملةً ليس بموضوع ولا مبتدع من عند  
نفسه - فعندنا فى أقوال العلويين المعاصرين عن أبى الطيب سببٌ / للتوقف دون التسليم  
لهم هكذا ، لا نجادل .... (٢)

(١) أعنى فتنة التشيع التى فرقت الناس .

(٢) وقيل فلا تنس ما كتبنا لك : أن العصر الذى كان أبو الطيب أحد رجاله ، كان من بين العصور العربية  
عصرًا خبيث النفس ، فاسد الطوية ، قد طغت فيه الدسائس ولعبت به الأهواء واستحرت الأحقاد بين الرجل  
وأخيه ، والوالد وبنيه ، والوحيد وعشيرته التى تؤويه . وفصل هذا المعنى ، وخذ به واعرضه فى أثناء كلامنا ، فما  
فى كل موضع يمكن الإشارة ، ولا عند كل مفرق من القول يجب التعليق والتفصيل ، وما يفوز القارئ حين يفوز  
إلا بما يفتن إليه مما يغفل عنه غيره ويتحازه سواه .

ففى ديوان أئى الطيب معنى من المعانى ، وإخاله سرّاً من الأسرار ، لعله أن يكون يوماً ما مفتاحاً تتسنى له الأبواب المغلقة فى نسب الرجل ، ومعرفة أصله الذى يصله بنسب غير مجهول ولا موضوع ، فعلىنا أن نستوفى هنا بعض الرأى الذى نذهب إليه ونُقَيِّدهُ على مُكْثٍ .

نشأ صاحبنا بالكوفة ، وهى إذ ذاك دارُ العلويين ، <sup>(١)</sup> ومعقل الأئمة منهم والنابيين من رجالهم وشجعانهم ، فكان حقيقةً بمثله ممن ينال بالشعر ويؤمل منه ، أن يمدح مَنْ تُرْجى عنده الفواضل من كبار العلويين وأجوادهم ، وهم أهل بلده الذين فى ظلهم نشأ ، وبين ربوعهم نما ، ومن علومهم نهلَ واغترف ، <sup>(٢)</sup> واستقى وأفاض ( على الناس من غيرهم ) مما استقى وما اغترف .

فعجباً لأئى الطيب ، أيما عجب ، أن لا يكون مدح من العلويين إلا رجلين ما امتدَّ به العمر ، وقد بين أبو الطيب فى إحدى قصيدتيه ، وبينت الرواية فى الأخرى ، سبب ذلك المدح ....

/ قال العكبرى : « وكان محمد بن عبيد الله العلوى المعروف بالمشطَّب ، <sup>(٣)</sup> هذا ٢٧ الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شابٌ دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجرح فى وجهه فكسته الضربة حسناً .... فهذا ما سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا » - :

(١) من العلويين الزيدية ، والعلويين الاثنى عشرية الإمامية ، وكان بينهما فى الكوفة من الخلاف والشحناء ما بينهما .

(٢) « اعلم كما سترى بعد أن المتنبي تعلم فى كتاب للعلويين » ، هكذا قلت قديماً بل الأمر الآن أكبر من التعلم كما ستعلم بعد .

(٣) قال الأمير ابن ماكولا فى الإكمال ١ : ٨١ « الأشتر النقيب أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن على بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أى طالب ، مدحه المتنبي ، وكان يلقب « المصهرج » ، قاله لنا الشريف النسابة » ، وانظر جمهرة ابن حزم ص : ٥٦ ( ثانية ) ففى سياق النسب اختلاف .

فمدحه المتنبي بقصيدته التي أولها : (١)

أهلاً بدارٍ سباكٍ أغيدُها      أبعدُ ما بَانَ عَنْكَ خُرْدُها  
فذكر فيها أن ناقته حملته إلى ( ابن عبيد الله ) هذا الممدوح :  
إلى فتى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وقد      أنهلها في القلوبِ مُورِدُها  
لَهُ أَيْادٍ إِلَى ( سَالِفَةٍ )      أَعُدُّ مِنْهَا وَلَا أَعُدُّها  
ثم طفق يمدحه إلى أن قال :

وَكَمْ ، وَكَمْ نِعْمَةٌ مُجَلَّلَةٌ      رَيَّتُها كان منك مولدُها  
وَكَمْ ، وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَحَتْ بها      أَقْرَبُ مِنِّي إِلَى موعِدُها  
وَمَكْرَمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الـ      بِرٍّ ، إِلَى مَنْزِلِ تَرْدُدُها  
أَقْرَّ جِلْدِي بها عَلَى فِلا      أَقْدِرُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَجَحِدُها  
فَعُدَّ بها لا عِدْمَتُها أَبَدًا ،      خَيْرُ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُها

٢٨ / والمتنبي ، كما ستعلم بعد ، كان أوَّل أمره وهو صبيٌّ : « يَخْتَلِفُ إِلَى كِتَابٍ فِيهِ  
أَوْلَادُ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ » من العلويين ، فكأنَّ ( محمد بن عبيد الله العلوي ) هذا كان من  
لِذَاتِ أَبِي الطَّيِّبِ أَوْ أَسْنَانِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي الْمَكْتَبِ ، (٢) وَأَخَذَتْ بَيْنَهُمَا الْمُوَدَّةَ ثُمَّ ،  
وَلَعَلَّهُ كَانَ يُفْضِلُ عَلَى الْمُتَنَبِّي وَيَتَعَهَّدُهُ وَيَكْرُمُهُ فَلِذَلِكَ قَالَ : « لَهُ أَيْادٍ إِلَى سَالِفَةٍ » .

(١) الرأى عندنا أن المتنبي قال هذه القصيدة بعد مرجه إلى الكوفة من مقامه بالبادية سنة أو أقل ، وقبل  
خروجه إلى بادية كلب واللاذقية حيث سجن في دعوى النبوة ، كما يزعمون ، وقد كانت سنه حين قالها على  
الأرجح عندنا خمس عشرة سنة أى سنة ٣١٨ هـ . واعلم أننا إنما نجتهد في تأريخ ما لم يؤرخ من قصائد المتنبي ، وقد  
وجدنا في ذلك المشقة وما فوقها ، لنترجم للرجل على بيته وهدى . وستجد فائدة ذلك في كثير مما يمر بك إن شاء  
الله .

(٢) تقول : « فلان سن فلان » ، أى مثله في سنه ، والجمع أسنان .

فأكدت هذه المودة القديمة سبب المدح حين عاد من رحلته في البادية يتسقط اللغة وينتجع الرزق . <sup>(١)</sup> وأرجح الظن أن المتنبي حين عاد إلى الكوفة : عاد إليه صاحبه العلوي بالإفضال والتعهد ، فلما أصيب بالجراحة في حربه ، مدحه المتنبي لصداقته ومودته ، ولما أسدى إليه من معروف ، وما اتَّخذ عنده من صنائع .

\*\*\*

أما آخر الرجلين العلويين ممن مدح ، فهو أبو القاسم طاهر بن الحسن بن طاهر العلوي لم يمدحه المتنبي ابتداءً كما مدح غيره . وفي ما نرويه لك من خبره عجب ! ( انظر ما سيأتى أيضاً ص : ٢٩٢ ، ٢٩٣ ) .

٢٩ / كان الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طُغْج وهو بالرملة لم يزل يرأسل أبا الطيب بطبيرة سنة ٣٣٦ ، ويعزم عليه في القدوم عليه ، فلما كثر ذلك منه أجابه ومدحه وأقام عنده مُدَيِّدَةً ، فلم يزل أبو محمد ( الحسن بن عبيد الله بن طغج ) ، يسأل أبا الطيب أن يخصَّ أبا القاسم ( طاهراً العلوي ) بقصيدة من شعره ( وأنه قد اشتبه ذلك ) !! وأبو الطيب يقول : « ما قصدتُ إلا الأمير ( ولا أمدح سواه ) !! » فقال له أبو محمد : « عزمت عليك أن أسألك قصيدة تنظمها في فأجعلها فيه » ، [ تأمل هذا !! ] ، وضمّن له عنده مئاة من الدنانير ، فأجاب .

(١) هذا ما قلته منذ أربعين سنة ، أما الآن فقد صار ما قلته هذا لا يعبر عن الحقيقة . فإن علاقة المتنبي بالعلويين لم تقتصر على تعهده في كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، بل ارتفعت علاقته إلى أخوة من الرضاع . فقد ذكر ابن العديم ( ٥٨٨ - ٦٦٠ هـ ) في ترجمته التي سننشرها مع سائر التراجم الجديدة في آخر الكتاب ، أن المتنبي : « أرصعته امرأة علوية من آل عبيد الله » وأمدده فقال : « أخبرني صديقتنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي مولى الحموي البغدادي ، قال : رأيت ديوان أبي الطيب المتنبي بخط أبي الحسن علي بن عيسى الرعي قال في أوله » ، وذكر ما نقلته وغيره كثير . و « علي بن عيسى الرعي » ، ممن روى عن المتنبي وأحد عنه شعره . فالأمر إذن أحل من التعلم في كتاب أولاد أشراف الكوفة من العلويين . و « آل عبيد الله » ، هم بنو « عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب » . ومهم « المشطَب » الذي مدحه ، كما ترى في نسبه ص : ١٥١ ، تعليق : ٣ ، والأرجح الآن أنه أخو المشطَب من الرضاع على الأقل ! بل قد تيسر بعد هذا ، أن المتنبي نفسه قال : « رَضَعْتُ لِبِلَالِ علوية من بنات عبيد الله بن يحيى » . كما ستري في ترجمة الرعي في ( سنة ١٩٨٤ هـ ) - التراجم الأربع .

قال محمد بن القاسم الصوفي : « فسرْتُ أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبي الطيب ، فركب معنا حتى دخلنا عليه ، وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريره ، والتقاء مُسَلِّماً عليه ، ثم أخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه . فتحَدَّث معه طويلاً ، ثم أنشده أبو الطيب ، فخلع عليه للوقت خلعة نفيسة » .

قال علي بن القاسم الكاتب : « كنت حاضراً هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعراً جلس الممدوح بين يديه مستمعاً لمديحه غير أبي الطيب ، فإني رأيت هذا الأمير قد أجلسه في مجلسه ، وجلس بين يديه ، فأنشده :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ      وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لَحْظُ الْحَبَائِبِ (١)

/ وفي هذه القصيدة التي يمدح بها رجلاً علوياً ساميَ القدر يقول :

كثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا	يُزُولُ ، وَبَاقِي عُمُرِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ
إِلَيْكَ ، ... فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ إِذَا اتَّقَى	عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ
أَتَانِي وَعِيدُ ( الْأَذْعِيَاءِ ) ، وَأَنَّهُمْ	أَعَدُّوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذَرْتُهُمْ ،	فَهَلْ فَيَّ وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ
إِلَيَّ لَعَمْرِي قَصْدُ كُلِّ عَجَبِيَّةِ	كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ
بَأَيِّ بِلَادٍ لَمْ أَجِرْ دَوَائِي ؟ !	وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأهُ رِكَائِي ؟ !

٣٠

(١) لا بد لنا هنا من التنبيه إلى خطأ ينبغي وقع فيه أحد كبار أدبائنا في كتابه عن المتنبي ، إذ زعم أن المتنبي قال هاتين القصيدتين ( في ابن طغج والعموي ) بعد فراق سيف الدولة وقبل اتصاله بكافور ، والصحيح أنهما قيتا سنة ٣٣٦ وهو بالرملة ، ومن ثم في تلك السنة رحل إلى أنطاكية قاصداً أبا العشائر الحمداني الذي وصل أسبابه بسيف الدولة سنة ٣٣٧ . وسترى ذلك في موضعه من كتابنا هذا . هذا على أن أسلوب الرجل في هاتين القصيدتين ونفسه في الشعر ، غيره فيما قاله بعد فراقه لسيف الدولة ، وذلك بين لمن تدبر أدنى تدبر .

وَنَفَسُ الرَّجُلِ فِي الْقَصِيدَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَدْ لَقِيَ كِيداً فِي سَنَتِهِ تِلْكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْأَدْعِيَاءِ (وهم الذين يدعون الشرف بنسبتهم إلى على رضى الله عنه) . وَيُؤَيِّنُ مِمَّا وَرَدَ فِي شَعْرِ أُمِّ الطَّيِّبِ أَنَّهُ حِينَ أَزْمَعَ الرَّحِيلَ مِنْ طَبْرِيةَ سَنَةِ ٣٣٦ ، أُرْصَدَ لَهُ هَؤُلَاءِ الْعُلُوِيُّونَ (الأدعياء) قَوْماً مِنَ السُّودَانِ عَبِيدَهُمْ فِي طَرِيقِهِ بِكَفَرٍ عَاقِبَ لِيَقْتُلُوهُ ، (١) فَلَمْ

(١) كفر عاقب : قرية على بحيرة طبرية من أعمال الأردن ، وانظر ما سيأتى ص : ٢٥٤ .

الحمد لله وحده ، فهذه قرينة واضحة تؤكد صدق ما ذهبْتُ إليه في تفسير شعر أمِّ الطَّيِّبِ ، في هذه المسألة ، وفي علاقته بمحمد بن طُغْجٍ حين كان محبوباً بكيد العلويين في أول شبابه ، [ انظر ما سيأتى ص ٢٢٤ - ٢٣٤ ] ، فإنَّ أمِّ الطَّيِّبِ كان يصانع العلويين ، ولكنه لا يأمنهم ، وكان عَدُوًّا للقرامطة . فقد ثبت عندى أنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْرَوْا بِقَتْلِهِ ، هم قَوْمٌ مِنْ وَلَدِ «العباس بن على بن أمِّ طالب» ، فقد جاء في نسخة ابن جُنَيٍّْ من ديوان المنتبى ( ص : ١٩١ ، طبعة الدكتور عزام ) أنَّ المنتبى قال : « يَهْجُو عَلَوِيًّا عَبَاسِيًّا :

أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ	وَجَرَّكُمْ مِنْ خِيفَةِ بَيْتِكُمْ التَّمَلُّ
وَكَيَّدَ أُمِّي الطَّيِّبِ الْكَلْبِ ، مَا لَكُمْ	فَطَنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَا لَكُمْ عَقْلُ
وَلَوْ ضَرَبْتَكُمْ مَنْجَنِيْقِي وَأَصْلَكُمْ	قَوِيٌّ لَهَدَّكُمْ ، فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ
وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ	لَمَا كُنْتُمْ تَسْلُ الذِّى مَا لَهُ نَسْلُ

وجاء في نسخة أخرى : « وتوعده قوم من ولد العباس بن على بن أمِّ طالب بطبرية بشر ، فقال لهم أبو الطَّيِّبِ في ذلك .... » .

فهذا نصٌّ قاطعٌ ، أنهم هم الذين توعده بطبرية ، وأرصدوا له بكفر عاقب . و « وَلَدَ أُمِّ الطَّيِّبِ » ، الذين ذكرهم في البيت الثاني ، أبوهم : « أبو الطَّيِّبِ ، محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أمِّ طالب » ، وهو الذى قتله محمد بن طُغْجٍ الإخشيد قبل سنة ٣٣٤ ، وكان أبو الطَّيِّبِ جليل الحال في الأردن ، وكثر ماله وضياعه ، وكان يسكن مدينة طبرية ، فكسبه رجال محمد بن طُغْجٍ في بستانٍ له فقطعوه بالسكاكين ، وذلك في أيام القرامطة ، وكان مُتَّهِماً بالميل إلى القرمطيِّ لعنه الله ، ( جمهرة النسب لابن حزم : ٦٧ ، ومقاتل الطالبين : ٧٠٠ ) . وقول المنتبى في البيت الأخير : « لما كنتم نسل الذى ما له نسل » ، فإن ابن حزم قال في الجمهرة : ٦٧ ، « لا عَقِبَ لِلْعَبَاسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، إِلَّا مَنْ وَلَدَهُ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَاسِ فَقَطْ » ، فالظاهر أنَّ هَؤُلَاءِ الْعُلُوِيُّونَ الْعَبَاسِيُّونَ كانوا قَلَّةً في العدد ، أو كانوا يتهمون بأنَّ أباهم « العباس » لا عَقِبَ له البتة ، ولذلك قال في شعره بعدُ « بِهَا عَلَوِيٌّ جَدَّهُ غَيْرَ هَاشِمٍ » ، أى أنه دَعَى من الأدعياء . وليس يبعد أن يكون أبو الطَّيِّبِ العلوى هذا ضالِّعاً في أمر سجن أمِّ الطَّيِّبِ المنتبى .

يظفروا بما أملوا ، وأحفظ ذلك أبا الطيب ، فلما دخل الرملة كان ، على عادته كما سترى ذلك ، ثائراً لا يفتأ يذكر ما يختلج في ضميره ، لا يُراعى ولا يُحائى ولا يتهبّب ، ومن آثار هذه الحفيظة قوله في هذه القصيدة أيضاً :

إذا ( علوي ) لم يكن مثل طاهرٍ فما هو إلا حجةٌ للتواصِبِ (٢)

ثم أجرى هذا الأمر مجرى المثل كعادته فقال :

٣١ / إذا لم تكن نفسُ النسيبِ كأصلهِ فماذا الذي تُغنى كرامُ المناصِبِ ! (١)  
وما قرّبت أشباه قومٍ أباعدٍ ولا بُعدت أشباه قومٍ أقاربٍ

والبيت الأخير هو حجته في نفى العلوية عنهم ، وإثبات أنهم أدياء لا يمتئون إلى الشرف بسببٍ ولا صلة . فلو كانوا علويين ، لا جرم ، لتشابهت الأخلاق في الكرم والسمو ، ولكانوا كهذا العلوي الذي يمدحه ( طاهر بن الحسن ) .

ليس هذا فحسب ، فإن أبا الطيب ، قبل هذا بأيام قلائل ، يقول للأمير أئى محمد بن طُفج في مديحه :

كريمٌ نفضتُ الناسَ كما بلغتُهُ كأنهم ما جفَّ من زادٍ قادمٍ  
وكادَ سُروى لا يقي بندامتى على تركه في عمري المتقادمِ  
وفارقتُ شرَّ الأرضِ أهلاً وُربةً بها ( علوي ) جدُّه غيرَ هاشمٍ  
( وشرُّ الأرض ) ، هي طبرية التي كان بها قبل مقدمه إلى الرملة .

\*\*\*

أو ما ترى بعد أن في تجنب المتنبي مدح العلويين ورجاهم وأئمتهم في أول أمره وهو بالكوفة ، إلا واحداً كان رفيق صباه وأحد أسنانه ، [ وأخاه في الرضاع كما استظهرت في

(١) « التواصب » ، هم الخوارج الذين نصبوا العداوة لأمر المؤمنين على بن أبى طالب ، واحداً « ناصي » .

(٢) « المناصب » جمع « منصِب » ، وهو الأصل الذي ينتمى إليه ويتنسب .



ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ ] ومن خير المُفضّلين عليه والمُتعهّدين في مِحنته وفقره - ثم في طلب الأمير منه أن يمدح طاهراً العلويّ فيمتنع ويستعصى عليه ، حتى يكثر عليه الأمير ويقول : « أنا أشتهى ذلك » ، فيقول أبو الطيب : « ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه » ، فلا يزال به يحتال عليه حتى يستخرج منه وعدّه ، ثم في إكرام العلويّ له هذا الإكرام البالغ بنزوله له وإجلالسه في مرتبته وعلى سريرته ، وهو بين جِلّة الأشراف العلويين ، ولا يتورّع المتنبيّ إذ ذاك / أن يذكر بعض العلويين بالمذمة والتعريض ونفى النسبة الكريمة عنهم - ألا ترى أن هناك سرّاً من الحفيظة بينه وبين العلويين الذين نشأ بينهم وفي ديارهم ، ودرس في مكتبهم ، بين أولادهم ؟ (١)

هذا ، وسيأتى طرف من ذلك بعد ، (٢) فترى أن أبا الطيب حين خرج في أوّل أمره باللاذقية ، كان الذى عدّبه وسجنه رجلٌ هاشميّ أو علويّ هو ( ابن عليّ الهاشمي ) ، (٣) وكان بكوّتكين ، فجعل في عنق صاحبنا ورجليه خشبتين من الصفصاف فقال له :

زَعَمَ الْمُقِيمَ بَكْوُتَكِينَ بِأَنَّهُ      مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنِ عَبْدِ مَنَافٍ  
فَأَجَبْتُهُ : مُذْ صِرْتُ مِنْ أَبْنَائِهِمْ      صَارَتْ قِيُودُهُمْ مِنَ الصَّفْصَافِ  
يسخر منه ، ومما أخذه به .

أفلو شككنا ، من أجل هذا ، في صحة ما يقوله العلويون عن أبنى الطيب ،

(١) بل زاد الأمر على التعلم والنشأة وزاد العجب ! انظر ما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ ، وانظر توثيق مقالتي هذه في ترجمة ابن العديم رقم : ٦٨ ، من أن المتنبي كان مخالفاً للشيعة .

(٢) سيأتيك في حبر نبوته أيضاً بعد أنهم زعموا أن أبا الطيب ادعى أنه علوي حسي ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوي . وسرى بطلان ذلك إن شاء الله ، وتأويله عندنا على الرأى والنظر لا الرواية . [ وقد وجدت في تكملة تاريخ الطبري ، الأول : ١٩٥ ( بيروت ١٩٦١ ) أن المتنبي ادّعى أنه حُسينيّ ، وذلك في رواية حديث أبن الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوي ] ، وكأن هذا هو الصواب المحض .

(٣) انظر ص : ١٥٥ ، والتعليق : ١ .

وتوقفنا دون الأخذ بأقوالهم في ترجمة الرجل ، نكون قد أتينا أمراً كبيراً لا يقرُّنا أحد عليه ؟  
لا أدري !

...

رَأَيْتَ قَبْلُ أَنَّ الَّذِي قَالَ : إِنَّ وَالِدَ الْمُتَنَبِّيِّ هُوَ « عِيْدَانُ السَّقَّاءِ » ، إِنَّمَا هُوَ أَبُو عَلِيٍّ  
الْحَسَنُ التَّنُوخِيُّ ، وَهُوَ مِنْ شَبَوَيْخِ الْعِرَاقِ وَأَصْحَابِ الْوَزِيرِ الْمَهْلَبِيِّ ، فَرَزْدُ عَلَى هَذَا أَيْضاً أَنَّ  
الْمُتَنَبِّيَّ حِينَ دَخَلَ الْعِرَاقَ بَعْدَ فِرَاقِ كَافُورٍ ، أَعْرَضَ عَنِ الْمَهْلَبِيِّ ، وَلَمْ يَمْدَحْهُ ، وَلَمْ يَبَالِ بِهِ ،  
فَأَعْرَى بِهِ الشُّعْرَاءَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ / وَالْأَدْبَاءِ . وَكَانَ شُعْرَاءُ الْعِرَاقِ خَاصَّةً يَخَافُونَ أَنَّ  
يُنَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي الْعِرَاقِ مَا نَالَ فِي الشَّامِ ، فَيَذْهَبَ بِأَرْزَاقِهِمْ مِنَ الْمَدْحِ ، وَيُعْصِفَ  
بَذِكْرِهِمْ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ ، كَمَا فَعَلَ بَيْنَ هُمٍ أَعْلَى مِنْهُمْ طَبَقَةً مِنْ شُعْرَاءِ الشَّامِ كَأَبِي فِرَاسِ  
الْحَمْدَانِيِّ ، وَالسَّرِيِّ الرَّفَاعِيِّ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ النَّامِيِّ ، وَأَبِي الْفَرَجِ الْبَيْهَقِيِّ ، وَخَلَقَ كَثِيرٌ مِنَ  
الشُّعْرَاءِ . وَقَدْ هَجَمَ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ وَوَقَعَ فِي عَرْضِهِ شُعْرَاءُ الْعِرَاقِ حِينَ أَغْرَاهُمُ الْوَزِيرُ  
الْمَهْلَبِيُّ بِهِ حَتَّى قَالُوا فِيهِ :

أَيُّ فَضِيلٍ لَشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ      لَمِنْ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا  
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ بِالْكُوفَةِ الْمَاءَ      ، وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحْيَا

فَزَعَمُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ سَقَّاءً لَا أَبَوَهُ ، وَهَاجَ هَذَا الْقَوْلُ الْحَسَنُ بْنُ لُثْكَ شَاعِرُ  
الْبَصْرَةِ ، وَكَانَ ، كَمَا كَانَ الْخَالِدِيَانِ ، ( حَاسِداً لَهُ طَاعِناً عَلَيْهِ هَاجِياً إِلَيْهِ ، زَاعِماً أَنَّ أَبَاهُ  
كَانَ يَسْقِي الْمَاءَ بِالْكُوفَةِ ) ، فَقَالَ ابْنُ لُثْكَ شِمَاتَةً حِينَ رَأَى وَفِيقَةَ شُعْرَاءِ بَغْدَادَ فِي  
الرَّجُلِ :

قُولُوا لِأَهْلِ زَمَانٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ      ضَلُّوا عَنِ الرُّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بِهِ وَعَمُوا  
أَعْطَيْتُمُ الْمُتَنَبِّيَّ فَوْقَ مُنَيَّتِهِ      فَرَوَّجُوهُ بِرَغَمِ أُمَهَاتِكُمْ  
لَكِنْ (بَغْدَادَ) ، جَادَ الْعَيْثُ سَاكِنَهَا ،      نَعَالَهُمْ فِي قَفَا السَّقَّاءِ تَزْدَحِمُ

وقال أيضاً :

« مُتَنَبِّئُكُمْ آبن سَقَاءٍ كُوفَانٍ ..... »

ونضج - بعد ذلك - إناء ابن لنكك بما فيه .

فذكر المتنبي بالسوء وزعمهم أن أباه كان سقاءً ، من « مصنوعات » / العراق ٣٤  
وتجارته التي كان المهلبى ( وزيراً ) لها إذ ذاك على ما نرجح ، فكم اتجر صاحبنا المهلبى  
بالأكاذيب في أيام وزارته ، كما روت التواريخ عنه وعن أيام أصحابه . وإلا فكيف ( يصح  
في الأذهان ) أن يقف ابن السقاء ، هذا المتنبي ، كما زعموا ، في كل المواطن موقف المتعالي  
المتكبر الذي لا يرى أحداً فوقه ولا أحداً مثله ، حتى سيف الدولة ابن حمدان ولي نعمته ،  
وصاحبه ، ومكرمته على حين مساءة من الزمن ؟! يا عجباً !! ألم يكن في مجلس سيف  
الدولة من يعرف ذلك يوم غضب عليه ، وترك الشعراء يقعون فيه ، ويتصدى له أبو فراس  
وهو يشد ، فيجبهه ويقطعه عن الإنشاد ؟ يقول المتنبي في هذا المجلس :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مَن ضَمَّ مَجْلِسُنَا      بَأَنِّي خَيْرٌ مِنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ  
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْنَى      وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَن بِهِ صَمَمُ

فانظر كيف فضّل نفسه على من ضمّ مجلس سيف الدولة وفيهم سيف الدولة  
نفسه ، ولم يزد أبو فراس - وهو قريع المتنبي في الشعر وعدوه لمنزلته عند سيف الدولة -  
على أن قال له فيما قال : « ومن أنت يا دعي كندة » !! وفي قوله : « دعي كندة » نظر .  
فما نظر الرجل ادعى لكندة ، وأصحابنا يزعمون أنه كان يخفى نسبه ! وكان أولى بأبي  
فراس ، وأوقع في المتنبي ، وأوضح له في تيهه وتعاليه على الأمراء والملوك وكبار الشعراء كأبي  
فراس نفسه - أن يقول له إذ ذاك : « من أنت يا ابن سقاء كوفان » ... لو أنه كان علم  
ما علمه التنوخي وأصحابه ، وشعراء العراق ، وشاعر البصرة الحسن بن لنكك ، الذين  
كانوا بالعراق على صلة ( ببلاط ) الوزير المهلبى وزير معز الدولة أحمد بن بويه ( الديلمي )  
علو بني حمدان ، وفي رأسهم سيف الدولة ( العدو العري ) .

/ أَتَرَى شعراء الشام الذين ذهب برزقهم وذكرهم ، ولم يُعْفِهِمْ من ذمِّهم لهم في شعره ، كانوا لا يَتَقَصُّونَ خبر الرجل وقد استفحل أمره بينهم ، فيعلموا أنه كان ( ابن سقاء ) ، فيلمزوه بذلك ، ويستخفُّوا به ، أو يعبثوا به ويتنادروا عليه ؟! وهذا آبن السقاء يتحدَّاهم ويتحدَّى سيف الدولة نفسه ، وأبو فراس قريعه وعدوه في ذاك المجلس إذ يقول :

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ  
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ مِنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَّ ، وَذَاكَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمُ

أَتُنْهَمُ لِيَطْلُبُونَ لَهُ عَيْبًا فَيُعْجِزُهُمُ الْطَلْبُ ، ويكون متعالماً في العراق بعد أن الرجل ابن سقاء كان يسقي الناس على بعير له بالكوفة !!

اقرأ ديوان الرجل كله ، تجده تيّاهاً يتسامى بنفسه على كلِّ ممدوح ، ويتعالى على كلِّ أهل عصره ، ولا يفتأ يوسع الشعراء من سُخْرِيته وهو قد قطع أرزاقهم ، وألوى بهم ويذكرهم ، وكلامه كلام الواثق الذي لا يُدَاخِلُهُ الشكُّ ، ولا يروِّعه الكذب ، ولا يرُدُّه الافتراء ، فلو كان في نسب الرجل ، إذ ذاك مطعنٌ لطاعن ، أو في أصله تُهْمَةٌ لمتهم ، لَتَرَدَّدَ في قوله تَرَدَّدَ الحيران ، ولاجتنب الفخر حيث يكثر الحسد والهمهمة والتلفيق والدسُّ عند الأمراء ومن إليهم من رجال الدولة . ولو كان في نسب الرجل شيء ، لسمعت عند كل موضع من فخره في شعره نادرة يتناقلها الأدباء ، وغمرة قد غمره بها أنداده وأعداؤه من الشعراء . ألم يسمع هؤلاء إلى قوله في فخره :

لَا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُّفُوا بِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجَدُّوذي  
وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلُّ مَنْ نَطَقَ الضَّأَّ دَ وَعَوْدُ الْجَانِي وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

/ فهذا من أكبر الفخر ، فما من قوم يفخر بهم « كلُّ من نطق الضاد » غير أبناء علي رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ . ويقول يرثى جدته وقد ماتت بالكوفة ، وكان صاحبنا إذ ذاك قريباً من الكوفة حيث نشأ وعُرف :

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نَفْسَهُمْ بِهَا أَتَفَّ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا

والعجب أن لا يصلنا عن هذا وغيره خبرٌ واحدٌ يُطعن فيه الرجل بأنه ابن سقاء ! وما يكون لابن سقاء أن يقول مثل هذا ، ويكون كل ما وصلنا من خبر أبيه إنما وصل في خبر دخوله بغداد في آخر عمره ، ومن رجال بينهم وبين الوزير المهلبى آصرةٌ مودّة وتنادم ، أو شعراء آسدهم هذا الوزير المهلبى وأغراهم بالرجل ، حتى وقعوا في عرضه ، وولغوا في شرفِ نسبه ، وجودة قريضه وبيانه !! إنه العجبُ وما فوق العجب !

هذا ، إذا أغفلنا كُلَّ الإغفال أمر « العلوية » و « العلويين » و « الشيعة » وأتباعهم من « المتشيعين » وما كان بينهم وبين أئى الطيب من عداوة بلغت حدَّ الإِرصاد له ابتغاء قتله والفتك به ، [ انظر ما سلف : ١٥٣ - ١٥٦ ] .

\*\*\*



\*\*\*\*\*

- ٢ -

فَوَا أَسَفَا أَلَّا أَكِبَّ مُقَبَّلًا  
لرَأْسِيكَ وَالصَّدْرِ اللَّذِي مُلِغًا حَزْمًا  
وَأَلَّا أَلْفَى رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي  
كَأَنَّ ذَكَايَ الْمِسْلِكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا  
ولو لم تُكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ  
لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخَمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا

\*\*\*\*\*

هما ، ولا غيرهما ، .... أبوه الذي كان سَقَاءً ، زَعَمُوا ، يسقى على بعير له ٣٧  
بالكوفة ، « وكان جعفيًا صحيح النسب ... » ، وجدته ، « وكانت همدانية صحيحة  
النسب لا يُشكُّ فيها ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات » . هما ولا غيرهما ، أصله  
وَفَرَعُهُ ، وقديمه وحديثه وعشيرته وأهله ، وعصبته وقومه ، والقائمون بأمره في أوَّل  
حَدَاثَتِهِ ، لا عم ولا خال !!

أُمَّا أُمُّهُ فَقَدْ جَهِدَتْ أَنْ أَجِدَ لَهَا خَيْرًا وَاحِدًا ، أَوْ ذَكَرًا فِي كَلَامٍ ، فَمَا وَصَلْتُ .  
أُمَّا مَا يَزْعَمُ بَعْضُ الْكِتَابِ وَالْأَدْبَاءِ مِنْ أَنَّهُ أَرَادَ أُمُّهُ بِقَوْلِهِ وَهُوَ فِي السَّجْنِ ، وَقَدْ كَتَبَ بِهِ إِلَى  
الْوَالِي :

يَبْدِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرَبُ      لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأُنْثَى غَرِيبٍ  
أَوْ ( لَأُمِّ ) ، لَهَا إِذَا ذَكَرْتَنِي ،      دَمٌ قَلْبٍ بِدَمْعٍ عَيْنٍ يَذُوبُ

فليس عندنا بشيء ، فإنه كان يسمى جدته ( أُمُّهُ ) ، وقد جاء ذلك في قصيدته  
التي رثاها بها فقال :

٣٨ / وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ      لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخَمَ كَوْنُكَ لِي ( أُمًّا )

ومن قرأ قصيدته هذه وتدبرها ، وقع في قلبه اليقين أنه لم تعطفه عاطفة إلى أحد  
من أهله ، ( ولا نستثنى أباه السقاء !! ) ، إلا أن تكون هذه الجدة الكريمة التي حملته

صغيراً وثكلته شأباً بفراقه لها ، ثم ماتت به سروراً حين جاءها كتابه وهو متوجهٌ إلى العراق ( ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك !! ) أو كما قالوا .... وفي قصيدته هذه إشارة دقيقة بليغة مقدّرة ، يشير بها إلى أن أمه قد ماتت وهو صغير ، فكفلته جدّته العجوز رحمها الله ، <sup>(١)</sup> وذلك في قوله :

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي (وقد رَضِيتُ نِي ، لَوْ رَضِيتُ بِهَا ، قِسْمًا) <sup>(٢)</sup>  
فتدبّر الشطر الأخير فَضَّلَ تدبّر ، تجد المعنى الذي أردناه من أن أمه ماتت وهو صغير ، فكان مما ( قُسِمَ ) لجدته أن تحضنه ، فرضيت بذلك رضى خالصاً ، وأحبته حباً عظيماً ، يقول في الدلالة عليه :

لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةَ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحَقِهَا وَصَمًا  
وفي تسميته جدته ( أمّا ) بعضُ الغنى في الحجة المرجّحة لقولنا هذا .

شهد التنوخي ، أو أبو الحسن العلوي الزّيدى ، أو من تشاء ، لجدّة المتنبّي أنها كانت من « صلحاء النساء الكوفيات » ، ولعلّ هذا أمرٌ لا ريب فيه ، وإن / لم يكن قد وقع لنا الخبر بذلك ، فإنها هي التي تولّت تنشئة المتنبّي من صغره ، حتى كَبُرَ ، وقد شهد له أكثر أهل عصره حتى أعداؤه : أنه كان كما قال علي بن حمزة البصرى ( راوية المتنبّي : كما سماه أهل المغرب ) : <sup>(٣)</sup>

(١) كان هذا الذى قلته ظناً ظننته ، ثم جاء النص على ذلك فيما حدثنا به ابن العديم ، عن الربيعي ، أن المتنبّي أرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله ، فدل هذا على أن أمه ماتت قبل أن يتم رضاعه ، أو لعلها ولدت ثم ماتت في ولادها ، ولم ترضعه قط .

(٢) القسم بالكسر النصيب ، وقد مضى الشراح من أصحابنا ولم ينظروا في قوله ( لو رَضِيتُ ) . فاعلم أن ( لو ) في هذا البيت إنما تفيد الأسف والحسرة ، وهما وجه من وجوه التمنى ، وللبيت موضع آخر من كتابنا هذا نتولى فيه شرحه ، فقد أفسده الشراح . [ انظر هذا ص : ١٧٣ ، ١٧٤ ] .

(٣) كان من أئمة العربية ، مات في رمضان سنة ٣٧٥ بصقلية ، ولما دخل المتنبّي بغداد كان بها على بن حمزة ، فنزل المتنبّي في داره ، وقرأ عليه شعره ، وقد تركنا بقية قوله في المتنبّي لموضعه من الكلام إن شاء الله .



« بلوث من أُنَى الطَّيِّبِ ثَلَاثَ خِلَالٍ مَحْمُودَةٍ ، وتلك أَنَّهُ مَا كَذَّبَ وَلَا زَنَى وَلَا لَاطَ » ، وقال ابنُ فُورَجَه : « لم يكن فيه ما يشينه ويسقطه إلَّا بخله وشرُّه على المال » .  
وقد كان أثرُ جدَّته يَبِينُ في أوَّلِ شعره كما ستري ، وقد ذكر المتنبِّي خُلُقَه في أبيات لهُ ، منها قوله :

وترى المُرُوءَةَ والفُتُوَّةَ والأَبُو      ةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتِهَا  
هُنَّ الثَّلَاثُ المَانِعَاتِي لَدُنِّي      فِي خُلُوقِي ، لَا الخَوْفُ مِنْ تَبَاعِثِهَا

فلا شكَّ أن أكثر ذلك من أثر جدَّته ، وزكاءِ نفسها ، وصلاحِ قلبها . وقد وصفها المتنبِّي فجمع ما شاء ودلَّ عليها ، وأبلغ ، صادقاً فيما قال :

فَوَا أَسْفَهَا أَلَّا أُكِبَّ مُقْبِلًا      لرَأْسِيكَ والصَّدْرِ اللَّذِي مُلِقًا حَزَمًا  
وَأَلَّا أَلَاقِي رُوحَكَ الطَّيِّبِ الَّذِي      كَانَ ذِكِّي المِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا

ويبدو لنا أن هذه العجوز الحازمة التي بيَّنت للمتنبِّي أمره ، ومهَّدت له طريقه ، كانت مع حزمها وهديها ، وبصيرتها ، رقيقة القلب تكاد تنخلع من نفسها إذا أعطت عواطفها قيادها . ومع ذلك ، فقد كانت تحزُّمُ أمرها ، وتقسو / على نفسها ، حتى يَحِيلَ لمن لم يَحْبِرْهَا أَنَّهُ لَا تَعْطَى المَقَادَةَ لشيءٍ إلَّا للعقل والتدبير المُحْكَم . وفي الذي رَوَّاهُ من خبر وفاتها ، دليلٌ يَبِينُ على ذلك ، فإنها كتبت تشكو إلى ولدها وحفيدها شَوْقَهَا وَلَوْعَتَهَا وطولَ غيبته عنها ، فلما توجَّه إلى العراق ( من الشام ) « ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك !! » ، انحدر إلى بغداد ، وكتب إليها كتاباً يسألها موافاته ببغداد ، فلما أخذت كتابه « قَبْلَتَهُ وَحُمَّتْ لَوْقَتَهَا ، وغلبها الفرح فقتلها » ، رحمة الله عليها . وقد ورث المتنبِّي عنها هذا ، فقد كان مع ما يبدو من شِدَّتِهِ وَصَوْلَتِهِ وَرَجُولَتِهِ ، مُتَهَالِكًا لَا يَسْتَمْسِكُ فِيهَا بِمِسْ عَاطِفَتِهِ وَيَلْمُ بَقْلِيهِ . وفي رثاء جدته بلاغٌ لك ، إن تدبرته . وستري ذلك أيضاً في آخر ما نكتبه عن أمره مع سيف الدولة ، وعن أمره مع النساء ، أو مع المرأة التي أَحَبَّهَا فهِلَكَتْ ، ثم أَهْلَكَهُ على إثرها جَوَى دَاخِلٍ وَأَسَى دَفِينٍ .



- ٣ -

\*\*\*\*\*

لَا يَقْوَمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرُّقُوا بِي  
وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي ..  
وَبِيهِمْ فَخَرُّ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّأ  
دَ وَعَوَّذُ الْجَانِي ، وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

...

وَلَأَنِّي لِمَنْ قَوْمٌ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ  
بِهَا أَتَفَّ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا

\*\*\*\*\*

/ ندعُ الآن أمر جدته إلى حينه ، إن شاء الله ، في كتابنا عن المتنبي ، ونبدأ برأى ٤١  
لم نجد له ما يؤيده من نصوص التاريخ ، ولكن ...

رَوَى الأصفهاني أن المتنبي ، وهو ابن السقاء !! ، « اختلف إلى كتاب فيه أولاد  
أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس ( العلوية ) شعراً ولغة وإعراباً ، فنشأ في خير  
حاضرة » . (١)

وتأويل هذا ، أن العلويين ، وهم « الأشراف » ، كما يتضح من هذا النص ، كانت  
لهم مكاتب خاصة يتلقَى فيها أولادهم مبادئ العلوم . ولا شك أن العلويين كانت ،  
ولا تزال ، لهم مدارس خاصة بهم ، تقوم أصولها في التعليم / على أصل اعتقادهم . وقد مرَّ ٤٢  
في قراءتي كثير من ذلك لا أذكر موضعه الآن ، وإنما أذكر أن الشريف الرضي كانت  
له مدرسة سماها ( دار العلم ) . ونحن وإن لم نك نعلم نظام هذه المدارس العلوية ، إلا أنه

(١) الواضح في مشكل المتنبي : ٦ / والخزانة ١ : ٣٨٢ ، ويحيل إلى أن صواب هذه العبارة : « وكان يتعلم  
دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً » .

يتبادر إلى الفهم أن هذه الكتابات والمدارس كان لا يدخلها إلا أبناء العلويين . ونصُّ الأصفهاني يقول بذلك . فدخل « أحمد بن عبيد الله السَّقاء » ، الذي هو المنتبي ، بين أبناء العلويين في كتاب لهم ، غريب عجيب ! فيجب هنا أن نفهم من هذا الشاهد أنَّ بين جدَّة المنتبي وبين العلويين سبباً موصولاً قوياً ، هو الذي شرح صدورهم وأرضاهم أن يُدْخِلُوا بين أبنائهم غلاماً كان أبوه سَقَاءً في بلدهم .<sup>(١)</sup>

هذه واحدة من علاقة أبي الطيب وجدَّته بالعلويين . ثم إنَّ أبا الطيب فارق جدته ورحل لغير سبب معلوم إلى البادية ، ثم عاد إلى الكوفة شاعراً قولاً ذا لسان ، فلم يمدح إلا « محمد بن عبيد الله المشطَّب العلوي » ،<sup>(٢)</sup> الذي قدمنا ذكره وذكر السبب في مدحه ،<sup>(٣)</sup> ولم يمدح أحداً من العلويين قاطبة على كثرتهم ، وثرائهم وعلو مرتبتهم ، ونخلوص عربيتهم ،<sup>(٤)</sup> في عصر اختلطت فيه الأمور ، وصارت الشوكة إلى الأعاجم .

(١) قد برح الخفاء الآن ، فلا عجب . فالمنتبي إلا يكن علوى النسب ، فإنه أخو العلويين من الرضاة ، لأن امرأة علوية من آل عبيد الله ، هي التي أرضعته . انظر ما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ ، ثم ص : ١٦٤ ، تعليق : ١ .  
(٢) لا يَغْرُزُك ما يقوله الدكتور طه حسين في كتابه « مع المنتبي » ١ : ٧٤ ، أن المنتبي قال قصيدته في « محمد بن عبيد الله العلوي » يُزِيه وصديقه ، في بغداد ( لا في الكوفة ) ، وأن « محمد بن عبيد الله العلوي » كان رجلاً رصيناً !! فإنه إنما اختطف هذا الكلام من بلاشير في كتابه « أبو الطيب المنتبي » : ٦٢ ، ٦٣ ، وأشار بلاشير في هامش كتابه إلى مرجعه ، وهو كتاب الوزراء للصائى : ٢١٠ ، وهذه الإشارة تدلُّ وحدها على تدليس المستشرقين وقلة علمهم ، لأن الذى في كتاب الصائى المذكور ، هو في ذكر دور ابن الفرات ( قتل يوم الاثنين حادى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٣١٢ ) وأنها كانت وقفاً ، وابتاعها جماعة « وتنقل الملك من واحد إلى آخر ، فمن ذلك الدار التي في الطرف وتوازي سكة الخوض ، فإنها حصلت لأبي الحسين محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى ، ثم انتقلت إلى ورثته » ( الوزراء : ٢١٠ ) . والكلام في دار تنقل الملك فيها من واحد إلى آخر بعد سنة ٣١٢ ، فهل عند أحدٍ منهما علمٌ بأمر « محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى » ومتى فارق الكوفة ودخل بغداد ، وحصلت له دار آبن الفرات ؟ وظاهر الخبر يدل على طول المدى في تنقل ملكها من واحد إلى آخر ، حتى انتهت إلى العلوى الكوفى الذى مدحه المنتبي بهذه القصيدة في سنة ٣١٦ - ٣١٩ على الأكثر ، وكان العلوى الكوفى كان يوم مدحه فتى قد بلغ الحلم ، أمرّد ، أو نبئت لحيته ولم تم ، كما جاء في قصيدة المنتبي [ انظر ما سلف ص : ٥٧ / ثم ص : ١٥١ ، ١٥٢ ] ثم ما سيأتى ص : ٥١١ - ٥١٣ .

(٣) انظر ص : ١٥١ ، تعليق : ٣ ، ففيه نسبة إلى « آل عبيد الله » .

(٤) والمنتبي كما تعصم ، كان من أكثر أهل عصره تمجيداً للعربية وتعصباً لها .

فلما خرج صاحبنا إلى الشام ، ذكروا فيما ذكروا من ( أمر الفضول الذي بُنِيَ به ، يَعْتُونَ النبوة ) : أنه ادّعى العلوية مرتين ، أى ادّعى أنه علويّ صليبيّ ، وكان الذى قبض عليه هناك وعذبه وسجنه ( ابن على الهاشمي ) أو : / العلوي ، لا أدري . وكان إذ ذاك باللاذقية سنة ثيِّف وعشرين وثلاثمئة ، واللاذقية يومئذ دارّ من ديار العلويين ، يرض فيها رؤوس من الدُّعاة العلويين .

ولما كان أبو الطيب بطبرية سنة ٣٣٦ ، وأراد الخروج إلى الرملة ، أُرصد له العلويون قوماً من عبيدهم السُّودان ليقْتُلُوهُ ، ولكنه فَاتَمَّ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ ، ودخل الرملة يمدحُ الأميرَ أبا محمد الحسن بن عبد الله بن طُغْج ، فكان مما قال في قصيدته : [ انظر ما سلف ص : ١٥٤ - ١٥٦ ] .

وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَثَرِيَّةً      بِهَا ( عَلَوِيٌّ ) جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ

ثم كان ما روينا لك من امتناعه عن مدح العلويّ ( أنى القاسم طاهر بن الحسن ابن طاهر ) ، ولم يمدحه إلّا بعد إلحاح الأمير وتدّيته في السؤال منه ، وكان مما قاله أبو الطيب في هذا المدح ، [ انظر ما سلف : ص ١٥٤ ] :

أَتَانِي وَعَيْدُ ( الْأَدْعِيَاء ) ، وَأَتَهُمْ      أَعْدَاؤِي لِي السُّودَانُ فِي كَفْرِ عَاقِبِ  
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذَرْتُهُمْ      فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَذِبِ

ثم انتزع من ذلك أمثالاً في النسبة إلى العلوية المكرمة فقال :

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسِيبِ كَأَصْلِهِ      فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ ؟  
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ      وَلَا بَعُدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ  
إِذَا ( عَلَوِيٌّ ) لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ      فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ

فلما دَعَتْهُ جَدُّهُ إِلَى الْعِرَاقِ أَنْ يَزُورَهَا ، قَصَدَهَا ، والنصّ الذى ورد في ذلك هو هذا : « فتوجه نحو العراق ولمْ يُمَكِّنْهُ دُخُولُ الْكَوْفَةِ ( عَلَى حَالَتِهِ / تَلْكَ ) ، فأنحدر إلى بغداد ، وكانت جَدُّهُ ( قَدْ يَسِسَتْ مِنْهُ ) ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسيرَ إليه .... » .

هذا نصٌ في أصول ديوانه ، فكأنَّه من لفظ أُنَى الطيب نَفْسِهِ . وهو نص غريب كما ترى !!  
وليت شعري وشِعْرُكَ ما الذى أَرَادَ بقوله : « لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك » ،  
وهو قد أتاها قاصداً دُخُولَهَا ، ورؤية جَدَّتِهِ التى تحبه ويحبُّها ، ويقطع صاحبنا الأرض من  
أقصى الشَّامِ إلى أسْفَلِ العراق ودخول الكوفة همُّه ، ثم يمتنع من دخولها لغير سببٍ مذكور  
أو معقول !! إذن فلا مناصَّ من القول بأنَّه قد مُنِعَ من دخول الكوفة ، وهذا هو الوجه  
الآخر لتأويل هذا النص الغريب .

فإن صَحَّ أيضاً ما أسنده التنوخى ، ( وذلك ما أوردناه في أول كلامنا ص :  
١٣٨ ، ١٣٩ ) ، إلى أُنَى الحسن العلوى وابن أمَّ شيبان الهاشمى ، وهما كوفيان ، وأن  
ذلك من كلامهما ، كثرت الأدلة التى تُوجِّه الحَدَسَ والظنَّ إلى وجهٍ بعينه ، وذلك أن  
بين المتنبي والعلويين سبباً مجهولاً حملهم أوَّلُ أوَّلٍ إلى إكرامه بدخوله بين أبنائهم في  
كتائبهم بالكوفة ، ثم حملهم بعدُ على النية المعقودة للفتك به في الشام ، ثم حملهم على  
منعه من دخول الكوفة ليرى جَدَّتَهُ العجوز التى أرسلت إليه تشكو شوقها وطول غيبته  
عنها . ويزيدك في هذا يقيناً وعليه اعتماداً ، رثاء المتنبي لجَدَّتِهِ ، ففيه لطائف من الإشارة  
نكتفى بذكر البين منها هنا ، ثم نعود إليها بعد قليل . يقول المتنبي :

هَيْبَنِي (أَحَذْتُ الثَّأْرَ فَيْكٍ مِنَ الْعَدَى) فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فَيْكٍ مِنَ الْحَمَى

ثم يقول :

لَعَنَ لَذَّ يَوْمٍ ( الشَّامَتِينَ ) يَوْمِهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا

فقد أثبت أبو الطيب أن لجدته ثَمَّ له أعداء ، كان همُّه كُلُّهُ أو أكثرُهُ أن / يأخذ  
منهم ( ثأرها ) وثأره ، وأن هؤلاء الأعداء قد شتموا بموتها يوم ماتت . فهذه الجدة الصالحة  
العجوز قد اتخذت لنفسها أعداء يُرْضُونُ أَنْفُسَهُمْ بالشَّماتَةِ ، وهؤلاء الأعداء ، ولا بُدَّ  
كانوا من الكوفة ، والأرجح أنهم كانوا من العلويين ، والهاشميين ، لما رأيت قبل من الصلة  
أو العداوة القائمة بينهم وبين أُنَى الطيب المتنبي .

وأنا لا أرى بأساً من ترجيح الظن بأن المتنبى كان من أبناء العلويين ، فإن هذا يفسر كل غموض في حياة الرجل وشعره ، وفيما روى عن نسبه من الملفقات . وحسبى هنا أن أمر بك مرأً على مواضع بعينها ، لترى رأيك ، وفقك الله ، فيما أردنا من القول به ، فإن رأيت حجتنا ساقطة فأسقطها ولا تؤاخذنا بما ظلمنا ، فإن رجحت ما نقول به ....  
فَأَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ لآبَائِهِمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ .

\*\*\*

ووضع القضية عندنا هو هذا :

تزوج رجل من العلويين ، ولأ جرم أن يكون من كبارهم ، بنت جدة المتنبى ، فحملت منه ووضعت أحمد بن الحسين ( وهذا الحسين غير عيّدان ، السقاء ) ، (١) ولأمر ما أريد هذا الرجل العلوي على طلاق امرأته وفراقها ، وحمله العلويون على ذلك ، ففارقها وطلقها ، فرجعت إلى أمها بجنينها أو طفلها ، وحزنت حزناً أهلكها ، فاستلها الموت وذهب بها ، وبقي الطفل فكفلته جدته وتعهدهت وقامت بأمره ، حتى بلغ مبلغ الفتيان ، ودلته على الطريق بعد / أن صرحت له بحقيقة أمره ، وصحيح نسبته ، وكان من ٤٦ حزمها أن حذرت الفتى عواقب التصريح بأمر نسبه ، وأخذت عليه الموائيق والعهود ، بحبها له وحبها لها ، وأنه إن فعل كان في ذلك هلاكها وهلاكه ، فبقى على ذلك متملماً حتى كان من أمره ما كان من ادّعائه العلوية بالشأم ، فقبض عليه ، فاضطر إلى الإخلاد والتسليم ، وحرص على أن يطيع أمر جدته ، بعد أن علم حزمها وصواب رأيها ، وإخلاصها له المشورة ، ومحضها له النصيحة . (٢)

\*\*\*

(١) ممكن أن يكون « عيدان السقاء » هذا جده لأمه .

(٢) سأذكر في آخر هذا الفصل ( ص : ١٧٧ ) قصة تشبه قصة هذه القضية ، وهي زيادة ، لم أذكرها و الطبعة الأولى من هذا الكتاب .

وهذا الوضع لقضية المتنبي هو الذي يفسر لك طول تكثّم المتنبي على نفسه ، وإخفائه جهده من أصحاب الألسنة المتنقلة بين الرجال ، ويفسر أيضاً مخرج قصة ( أبيه السقاء ) ، وحرصهم على حبكها ، والتقديم لها بلطيف القول ، وحسن العبارة ، كما رأيت في أول كلامنا ( ارجع إلى نقدنا لكلام التنوخي ) - ويأتيك بالدليل البين في أمر دخوله كتاب أشراف العلويين بالكوفة وتعلمه دروس العلوية - ويبين أيضاً عن السبب الذي من أجله سكت المتنبي عن مدح العلويين وعظمائهم وأصحاب الجاه والسلطان منهم وهو بالكوفة ، ثم تأييه على مدح أبي القاسم العلوي صاحب الأمير ابن طغج حين كان بالرملة ، ثم ما كان قبل من إرصاد العلويين له عبيدهم لقتله بكفر عاقب . وكفاك هذا ، فإننا سنبنى بقية كلامنا عن المتنبي من أول أمره على هذا الأسّ أو ما يقرب منه . ومحسبك هنا أن نفسّر لك بعض المعاني في رثاء جدته على هذا الأصل . ونص مقدّمة رثاء جدته هو هذا :

/ « ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه ، وطول غيبته عنها ، فتوجّه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يمست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه وحملت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها » . [ انظر ص : ١٦٩ ، ١٧٠ ] .

وتأويل هذه العبارة كلّها : أنه حين ورد عليه كتاب جدته أزعج الرحيل من الشام إلى الكوفة ليلقي بها جدته ، فبلغ الخبر مشيخة العلويين ، فذهب بعضهم إلى جدته ، وأبانوا لها سوء رأيها ، ونهوها أن يكون لقاء ولدها من همها ، وأخبروها أنهم قد أجمعوا رأيهم على منعه من دخول الكوفة بعد ما كان من أمره وهو بالشام ، من إظهاره العلوية ، ورغبته في تحقيق نسبته إلى العلويين . فلما فجئهم الخبر بورود صاحبهم « المتنبي » على طرّف الكوفة ، خرجوا إليه وأنذروه أن يكون ذلك من إرادته بعد فضوله في الشام ، وأمروه بالانحدار إلى بغداد ، ورجعوا إلى جدته فأياسوها من لقائه بتأ . فلما استقرت بالمتنبي بغداد ، وزاد شوقه إلى جدته ، وبكى من خيفته عليها ، حمله ذلك على الكتابة إليها ، بعد أن لم يجد عن ذلك محيصاً في نفسه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ببغداد ،



ففرحت العَجُوزُ فَرَحَ اليائس من أمرٍ ، ثم أتته البُشرى بالظفر من وجهٍ آخر ، فاشتدَّ ذلك عليها ، واستبدت العواطف المعتلجة المتنازعة المتضادة بذلك البُنيان المهتم الضعيف ، فأنقضَّ بعضه على بعضٍ ، فماتت رحمةُ الله عليها ، وأثابها بما صبرت .

فلما ماتت المسكينة ثارت نفسُ الرجل ثورة اليأس ، وخاف أن يستعلن للعلويين بالعداوة وهو ببغداد : أن يقتلوه من أجل ذلك ، فأضمر ما في نفسه ، / وأشار إلى هذه المعاني من طَرَفٍ خفيٍّ . ويحسن أن نذكرَ هنا أن المتنبي خرج آخرَ مرةٍ من الكوفة مُرغماً على ذلك الخروج . وهذا أمرٌ طبيعيٌّ إذا صحَّ القول الذي نقول به .

فانظر الآن ماذا يقول الرجل في رثاء جدته :

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانًا تُكَلَّ صَاحِبِهِ قَدَمًا

وقد شرح الشراح هذا البيت ، وأداروا معانيه ، ولكنه بقي في شرحهم لا معنى له ، كقولهم : « وكنت أبكى عليها في حياتها خوفَ فقدها ، وفرت الأيام بيني وبينها ، فذاق كِلَانًا تُكَلَّ ( فقد ) صاحبه قبل الموت » ، فالعطف في الذي قالوا به « وفرت الأيام » لا معنى له هنا ولا فائدة منه . وتفسير البيت هذا :

لما أياسوها من لقائي ، وقد منعوني من دخول الكوفة ، علمتُ يقيناً أنَّها ستحمل ثِقلاً يهدُّها ، فبكيْتُ خِيفَةً عليها من أثر الحزن فيها ، وما يبكي أن لا ألقاها ، وكيف أبكى لذلك ( وقد ذاق كِلَانًا تُكَلَّ صاحبه قديماً ) ، بالفراق الذي حُمِلنا عليه ! ولو كنت باكياً لبكيْتُ للفراق الذي كان بيننا بمنزلة الموت ، فعددتُني هي قد مِتُّ ، وعددتُها قد ماتت ( وهذا تأويل قوله : وذاق كِلَانًا .... ) ، أي ثكلتني وثكلتها .

ثم يقول بعد أبيات :

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا ، ففَاتَتْ وفَاتَنِي ، وَقَدْ رَضِيتُ نِي ، لَو رَضِيتُ بِهَا ، قِسْمًا (١)

(١) تفسير البيت عند الشراح هو هذا : فارقتها لأطلب لها حظاً من الرزق ففاتتني هي وفاتني هذا الحظ ، =

/ فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْعَمَامَ لَقْبِهَا وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعْيَ وَالْقَنَا الصُّمَّا

ومعنى البيتين عندنا : كانت العجوز رضى الله عنها قد رغبت إلى أن أكتنم أمر نسبتى العلوية إلى أن يشاء الله ، ولكنى خالفتها ، وآثرت فراقها لعلى أصيب بعيداً عن الكوفة ما لم أدركه بها ، فخرجت أطلب لها ( حظاً ) ، أى فضلاً وخيراً في ردِّ شرف انتائنا إلى العلويين ، ولكن شاء ربك أن تفوتنى بها الأحداثُ فتموت ، ويفوتنى أيضاً بعد موتها ذلك الحظُّ ، لما أعلمُ من أنها كانت هى السببُ في امتناعهم عن الفتك بى إن حاولتُ أمراً ، فواحسرتاه ! لم خالفتها ، وخرجت أطلب لها هذا الحظُّ ، وقد رضيت بى قسماً وحظاً ونصيياً ، وجعلتُ ظفرها بى عذلاً لما فاتها من الحظ الذى كنت أطلبه لها ؟ فيا ليتنى رضيت بها كما رضيت بى ، <sup>(١)</sup> وجعلتها عذلاً لما فاتنى من هذا الحظ . وعلى هذا الأصل يكون معنى البيت الثانى واضحاً بيناً فهو يقول : كنت أريد القتال والحرب لأشفى بالدم المهرق غليلها ، وأردَّ عليها حياتها في شرف نسبنا إلى العلوية ، فالآن وقد ماتت وفاتت ، لا حيلة لى إلا أن أسال الله أن يبرّد قبرها بما يُدرُّ عليها من ماء الغمام . ثم قوله :

هَبْنِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيْكِ مِنَ الْعَدَى فَكَيْفَ بِأَخِذِ الثَّارِ فَيْكِ مِنَ الْحُمَى  
لَئِنْ لَدَّ يَوْمُ الشَّامَتَيْنِ يَوْمُهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنْى لِأَنْفِهِمْ رَغَمًا <sup>(٢)</sup>

وقد مضى بعض القول فى هذين البيتين ، ( ص : ١٧٠ ) ، ولكن بقى أن نقول : إن هؤلاء الأعداء والشامتين كانوا من أشراف الكوفة ، لما رأيتُ أولاً ، إذ لا يعقل أن يكون

- وقد كانت راضية أن أكون قسماً لها من الدنيا ، لو رضيتها قسماً لى ( والقسم النصيب ) ، وقد كنت أطلب من الرماح أن تسقيني دم الأعداء ، فلما ماتت تركت الحرب وجداً عليها ، وصرت أطلب من السحاب أن يسقى قبرها . أو كما قالوا !! فانظر هذا التفسير ، واقرأ تفسيرنا .

(١) اعلم أن ( لو ) فى بيت المتنبي معناها الحمى والأسف والحسرة .

(٢) الأنف ، والآناف ، بالمد والأنوف جمع « أنف » .

غير ذلك . لا يُعَقَّل مثلاً أن يكون أولئك الأعداء والشامتون من طبقة السقائين والنسّاجين ومن إليهم ! ولو كان ذلك كذلك ، لما / حَفَلَ المتنبي بذكرهم ولا التعريض بهم ، وأن يجعل نفسه رَغماً لأنوفهم ، وهو مَنْ هُوَ في الكبرياء والتسامي والغلو في الترفع والعظمة .

وعلى عادته أتى في القصيدة بإشارة عجيبة ، هي من باب التفات القلب إلى ما يَلِجُ فيه من الرأي المُضْمَر .... يقول : <sup>(١)</sup>

فَوَا أَسَفَا أَلَّا أُكِبَّ مُقْبِلًا      لِرَأْسِيكَ وَالصَّدْرِ اللَّذَى مُلِكًا حَزَمًا  
وَأَلَّا أَلَاقَى رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي      كَأَنَّ ذِكْرِي الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا

ثم استيقظت في قلبه تلك الثورة العجيبة التي أصبحت طابع شعر الرجل كله ، فأنفَتَلَ من معاني الحنان والرقّة إلى معاني القسوة والعتوّ ، فقال :

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتٌ أَكْرَمَ وَالِدٍ      لَكَانَ أَبَاكَ الضَّحَمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا  
لَئِنْ لَدَّ يَوْمَ الشَّامِتِينَ بَيَوْمِهَا      لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغَمًا

ذكرته روح جدته بالثأر القديم الذي نسيه في قوله قبل ذلك : « هبيني أخذت الثأر فيك من العدى » فصرخ صرخته هذه ، فكأنى به يقول : أبعدوك وتَقَوِّك ، فما يضير نفيمهم روحاً طيباً ، ونفساً زكية !! ولا تأسَى ولا تحزنى ، فإنك قد ولدتنى ، وكفاك شرفاً أن تكونى لى أُمًّا ، فإنى مُرَغِمٌ أنوفهم ، وحاملهم على خُطْطَةِ الْحَسَفِ حَتَّى يُعْطُوا الْمَقَادَةَ وهم صاغرون . فعلى هذا فَسَّرَ قوله :

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ      بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا  
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا ، إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي ،      وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهَا قُدَمَا  
فَلَا عَبَرْتُ لِي سَاعَةً لَا تُعْزِنِي      وَلَا صَحَبْتَنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا

(١) انظر ما سلف ص : ١٦٣ - ١٦٥ ، ثم ما سياتى : ٢٤١ - ٢٤٣ ، ثم ص : ٢٧٧ ، والتعليق رقم :

١ ، و ص : ٢٨٠ - ٢٨٣ ، ثم ص : ٣٧٢ - ٣٧٥ .

وقوله :

مَا بِقَوْمِي شَرُّتُ ، بَلْ شَرُّوا بِي ، وَبَنَفْسِي فَحَرْتُ لَا بِجُدُودِي  
/ وَبِهِمْ فَخَرُّ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّأ دَ ، وَعَوِذُ الْجَانِي ، وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

٥١

وفخر من نطق الضاد ، هم أبناء رسول الله ﷺ ، وقوله أيضاً :

وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعَشْمَا<sup>(١)</sup>  
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَسْتُ (السَّيِّدَ الْبَطْلَ الْقَرْمَا)<sup>(٢)</sup>

ثم فسر على هذا الأصل قوله أيضاً ، وقد جعل قوم يستعظمون ما أتى به في رثاء جدته :

يَسْتَعْظِمُونَ أُيَّاتًا نَأَمْتُ بِهَا ، لَا تَحْسُدُنَّ ، عَلَى أَنْ يَنَامَ ، الْأَسَدَا<sup>(٣)</sup>  
لَوْ أَنَّ ثَمَّ قُلُوبًا يَعْقِلُونَ بِهَا أَنْسَاهُمْ الدُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدَا

وتدبر قوله : ( لا تحسُدُنَّ ) ولو كان غير المتنبي - هذا الموتور صاحب الثأر عند هؤلاء القوم - لقال : ( لا تعجبين ) أو ما يقرب من ذلك .

ونحن لو شئنا أن ننقل لك هنا ونُفسر كل شيء يدل من قريب أو بعيد على ما نذهب إليه ، لكلفنا ذلك أن نشرح لك أكثر ديوان المتنبي ، ولكن بقيت أشياء ننبه إليها . لو أنت قرأت ديوان الرجل لوقعت على كثيرات من أمثالها . وذلك كقوله بعد وفاة جدته ومرجعه إلى الشام :

سَأَطْلُبُ ( حَقِّي ) بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمُّوا مُرْدُ

(١) يعني سيفه و « ذبابه » ، حده .

(٢) « القرم » بفتح وسكون ، السيد المعظم المكرم الذي لا يذل لشيء .

(٣) النجم : زئير الأسد .

فَقُولُهُ : ( حَقَّى ) ، لَا يَقَعُ هَذَا الْمَوْقِعَ مِنْ شَعْرٍ إِلَّا مِنْ أَحَدٍ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ دَعِيَ طَوِيلَ الْبَاعِ وَاللِّسَانِ فِي الدَّعْوَى وَالْكَذْبِ ، أَوْ رَجُلٍ صَادِقٍ / لَا يَكْذِبُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا عَلَى النَّاسِ ، وَلَيْسَ الْمُنْتَبِي بِأَوَّلَهُمَا . إِذِنْ فَقَدْ كَانَ لَهُ حَقٌّ يَطْلُبُهُ بِالْحَرْبِ وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ « حَظًّا » فِي رِثَاءِ جَدَّتِهِ ، وَإِنَّمَا خَفَّفَ « الْحَقَّ » فِي الرِّثَاءِ وَجَعَلَهُ « حَظًّا » لِمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ لِكَافِرٍ :

فَأَرْمِ بِي حَيْثُ شِئْتَ مِنْنِي فَإِنِّي أَسْدُ الْقَلْبِ آدِمِي الرُّوَاءِ  
وَقُوَادِي مِنَ ( الْمُلُوكِ ) ، وَإِنْ كَانَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ

فَلَا عَجَبَ بَعْدُ فِي فَخْرِ الْمُنْتَبِي وَتَعَالِيهِ وَتَعَاظُمِهِ ، فَكُلُّ مَفْسَّرٍ بَيِّنٍ وَاضِحٍ الْعِلَّةِ وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا الْأَصْلِ ، وَكَانَ عَجَبًا عَاجِبًا عِنْدَ النَّاسِ أَنْ تَبْلُغَ الْحِمَاةُ بَابَنَ سَقَاءٍ ، أَنْ يَفْخَرَ مِثْلُ هَذَا الْفَخْرِ ، وَيَتَعَاظِمَ عَلَى الْمُلُوكِ مِثْلُ هَذَا التَّعَاظُمِ ، وَذَهَبُوا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ مَذَاهِبَهُمْ . وَلَعَلَّ هَذَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، هُوَ الْمَذْهَبُ الْحَقُّ .

...

أَحَبُّ أَنْ أُخْتِمَ هَذَا الْفَصْلَ ، بِقِصَّةٍ اخْتَرْتُهَا مِنْ بَيْنِ أَشْبَاهِهَا ، وَهِيَ قِصَّةُ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، وَوُلِدَ كَانَ لَهُ مِنْ إِحْدَى بَنَاتِ دِهَاقِينَ الْأَهْوَازِ ، حَيْثُ كَانَ مُسْتَرًّا قَبْلَ تَوْلِيهِ الْخِلَافَةَ . وَقَدْ زِدْتُهَا عَلَى أَصْلِ الْكِتَابِ ، لِأَنِّي آثَرْتُ أَنْ لَا أُغَيِّرَ شَيْئًا مِنْ سِيَاقِ الْكِتَابِ ، كَمَا كُتِبَ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ ، شَبِيهَةٌ بِالْقِصَّةِ الَّتِي افْتَرَضْتُهَا آنَفًا فِي مَوْلِدِ « الْمُنْتَبِي » ، وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ رَجُلًا عَلَوِيًّا ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً ، ثُمَّ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِظْهَارِ نَسَبِ وَلَدِهِ إِلَيْهِ ، لَسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَوْجِبُ الْكِتْمَانَ إِلَى حِينٍ . وَنَقَلْتُهَا مِنْ كِتَابِ « الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ » لِلجَّهْشِيَارِيِّ ، [ تَوَفَى سَنَةَ ٣٣١ مِنْ الْهَجْرَةِ ] ، وَهِيَ فِي كِتَابِهِ ص : ١٢١ - ١٢٣ ، قَالَ الْجَهْشِيَارِيُّ :

« لَمَّا كَانَ [ أَبُو جَعْفَرِ ] الْمَنْصُورِ ، [ وَهُوَ ثَانِي الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ ] ، مُسْتَرًّا / بِالْأَهْوَازِ [ قَبْلَ تَوْلِيهِ الْخِلَافَةَ ] نَزَلَ عَلَى بَعْضِ الدَّهَاقِينَ ، فَاسْتَتَرَ عِنْدَهُ ، فَأَكْرَمَهُ »

الدهقان بِجَمِيعِ ما يَقْدِرُ عليه ، حَتَّى أَخْدَمَهُ آبَتُهُ ، وَكَانَتْ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ : لَسْتُ أَسْتَحِلُّ أَسْتَحْدِمَهَا وَالْحَلَوَةَ بِهَا وَهِيَ جَارِيَةٌ حُرَّةٌ ، فَرُوجُهَا . فَرُوجُهُ إِيَّاهَا ، فَعَلِقْتُ مِنْهُ [ أَى حَمَلْتُ ] . وَأَرَادَ أَبُو جَعْفَرٍ الْخُرُوجَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَوَدَّعَهُمْ ، وَدَفَعَ إِلَى الْجَارِيَةِ قَمِيصَهُ وَخَاتَمَهُ ، وَقَالَ : إِنْ وَلَدْتَ فَاحْتَفِظِي بَوْلَدِكَ ، فَمَتْنَى سَمِعَتْ أَنَّهُ قَدْ قَامَ فِي النَّاسِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَيَكْنَى أَبَا جَعْفَرٍ ، فَصِيرِي إِلَيْهِ بَوْلَدَكَ ، وَهَذَا الْقَمِيصُ وَالْخَاتَمُ ، فَإِنَّهُ يَعْرِفُ حَقَّكَ ، وَيُحْسِنُ الصَّنْعَ إِلَيْكَ ، وَفَارَقَهُمْ . فَوَلَدَتْ أَبْنًا ، وَنَشَأَ الْعُلَامُ وَتَرَعَرَ ، فَكَانَ يَلْعَبُ مَعَ أَثْرَابِهِ . وَمَلَكَ أَبُو جَعْفَرٍ ، فَعَبَّرَ الْغُلَامَ أَثْرَابَهُ بِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ لَهُ أَبٌ ، فَدَخَلَ إِلَى أُمِّهِ حَزِينًا كَثِيرًا ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ حَالِهِ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا قَالَ أَثْرَابُهُ ، فَقَالَتْ : بَلَى ، وَاللَّهِ إِنْ لَكَ أَبًا فَفَوْقَ النَّاسِ ! قَالَ لَهَا : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَتْ : الْقَائِمُ بِالْمُلْكِ . قَالَ : فَهَذَا أُمِّي وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ! هَلْ مِنْ شَيْءٍ يَعْرِفُنِي بِهِ ؟ فَأَخْرَجَتْ الْقَمِيصَ وَالْخَاتَمَ ، وَشَخَّصَ الْفَتَى فَصَارَ إِلَى الرَّبِيعِ [ مَوْلَى أُمِّي جَعْفَرُ الْمَنْصُورِ ، وَأَحَدُ رِجَالِ دَوْلَتِهِ ] ، فَقَالَ لَهُ : نَصِيحَةٌ ! قَالَ : هَاتِيهَا . قَالَ : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَعْلَمَ الْمَنْصُورُ الْخَبَرَ ، فَأَدْخَلَهُ إِلَيْهِ ؛ فَقَالَ : هَاتِ نَصِيحَتَكَ . فَقَالَ : أَخْلِنِي ! فَنَحَى مَنْ عِنْدَهُ ، وَبَقِيَ الرَّبِيعُ ؛ فَقَالَ : هَاتِ . قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ يَتَنَحَّى . فَتَنَحَّى ، وَقَالَ : هَاتِ . قَالَ : أَنَا أَبْنُكَ . قَالَ : مَا عَلَامَةُ ذَلِكَ ؟ فَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ وَالْخَاتَمَ ، فَعَرَفَهُمَا الْمَنْصُورُ ، وَقَالَ لَهُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا ظَاهِرًا ؟ قَالَ : خِفْتُ أَنْ تُجْعِدَ ، فَتَكُونَ سَبَّةً آخِرَ الدَّهْرِ . فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَبَلَهُ ، وَقَالَ : أَنْتَ الْآنَ ابْنِي حَقًّا . وَدَعَا الْمُورِيَانِيَّ ، [ هُوَ أَبُو أَيُّوبِ سَلِيمَانَ بْنِ أَبِي سَلِيمَانَ الْمُورِيَانِيَّ ، أَحَدُ / رِجَالِ الدَّوْلَةِ ] ، فَقَالَ : يَكُونُ هَذَا عِنْدَكَ ، وَمَا كُنْتَ تَفْعَلُهُ بِوَلَدِي لَوْ كَانَ لِي عِنْدَكَ فَأَفْعَلُهُ بِهِ . وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ فِي أَنْ يُسْقِطَ الْإِذْنَ عَنْهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْبُكُورِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَالرَّوَّاحَ ، إِلَى أَنْ يُظْهِرَ أَمْرَهُ ، فَإِنَّ لَهُ فِيهِ تَدْبِيرًا . فَضَمَّهُ الْمُورِيَانِيَّ إِلَيْهِ ، وَأَخْلَى لَهُ مَنْزِلًا ، وَأَوْسَعَ لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، فَكَانَ يَغْدُو وَيَرْوَحُ إِلَى الْمَنْصُورِ ، وَخُصَّ بِهِ جَدًّا ، وَكَانَ الْفَتَى فِي غَايَةِ مِنَ الْعَقْلِ وَالْكِمَالِ ، وَكَانَ الْمَنْصُورُ يَخْلُو

معه ، فیسأله الموریائی عما یجری بَینهما ، فلا یُخبره ، فیکول له : إن أمیر المؤمنین لا یکتُمْنی شیئاً ! فیکول له [ الفتى ] : فما حاجتک إلى ما عنْدی إذن ! فحسده الموریائی ، واستوحش منه ، وثقل علیه مکائهُ ، فأطعمه سُماً فمات ، وصارَ إلى المنصور ، فأعلمه أنه ماتَ فجأة ، ثم ولَّى ، فقال المنصور : قَتَلْتُهُ ! قَتَلَنِی اللهُ إن لم أقتُلْکَ بِهِ ! فلم یلبث بَعْدُ أن فَعَلَ به ما فَعَلَ .





- ٤ -

أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِيفُ بِهَا  
لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى ، مَا عَاشَ ، وَأَتَّعَبَا  
وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً  
وَالسُّمُورَ أَخَاً وَالْمَشْرِفَى أَبَا  
يَكُلُّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِماً  
حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا  
فَالْمَوْتُ أَغْدُرُنِي ، وَالصَّبْرُ أَجْمَلُنِي ،  
وَالْبِرُّ أَوْسَعُ ، وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

\*\*\*\*\*

- ٥٥ / ماتت أم ( أحمد بن الحسين ) أُمِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي وهو وليدٌ بعدد ، فيما زعمنا ،  
فوقع إلى جَدَّتْه واختارتَه وآثرتَه على حظها من الدنيا ، فكفَلَتْه ، وألقت كُلَّ ذاتِ قلبها  
وكبِدها في تعهِّده ورعايته ، ثم في تربيته وتنشئته ، ثم في النصيحة له وتطريق وعمر الدنيا  
عند قَدَميه ، ومنحته في ذلك حنان الأمِّ الفاقدة على ولدها اليتيم المَلَطَّم بلا أب ولا أم .  
وكانت العجوز ، كما وصفوها ، « من صلحاء النساء الكوفيَّات » ، وكما وصفها حبيبها  
وولدها ثم حفيدها ، « حازمة ، طيبة الروح ، زكية النفس » ، غَيَّرَ أَثْنَى الْعَقْلِ .  
وكانت امرأةً متورةً ، كما ذهبنا إليه فيما مضى بك ، لا تزال تجحد في قلبها الأمرَ  
الذي يقول لها : « ها أنا ذا .... فلا يَلْفِتَنَّكَ حنائِكَ عن الجِدِّ في تدبير العزم وإدارة الرأي  
على وجوهه ، في طلب الثَّار الذي لك في أعدائك / المُنْزِلِيكَ بشر منزلة ما ترضاهما  
٥٦ نفسٌ كنفسك في الطيب والزكاة » . وأطاعت العجوز آمِرَها بالانتصاف لنفسها  
ولحفيدها ، ولا حيلة لها إلاَّ تشعة الصغير على غرارٍ فَذِّ يَكْفُلُ لها إدراك ما تروم ، وكذلك  
فعلت . فكان المتنبي في الزمن ، ثُمَّ في الشعراء خاصة ، شخصيةً عجيبة ، إذا أخذتها من

يَمِينِ التَّوْتُ بَكَ إِلَى شِمَالٍ ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تَطْلُبُهَا مِنْ وَجْهِ ، رَاغَتْ مِنْ وَجْهِهِ ، وَأَسْتَبْهِمُ  
أَمْرُهُ عَلَى النَّاسِ بِاسْتَبْهِامِ الْغُرُضِ الَّذِي رَمَى إِلَيْهِ هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ :  
« مَلَأَ الدُّنْيَا وَشَغَلَ النَّاسَ » ....

لا ندرى كيف تَمَّ الرَّأْيُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعُلُوِّينَ أَنَّ « يَخْتَلَفُ - الْفَتَى أَحْمَدُ - إِلَى  
كِتَابٍ فِيهِ أَوْلَادُ أَشْرَافِ الْكُوفَةِ » ، كَمَا نَقَلَ الْأَصْفَهَانِي ، <sup>(١)</sup> وَلَعَلَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ أَنَّ  
يُرْضَوْنَ الْعَجُوزَ ، وَيَخْفَفُوا عَنْهَا ثِقْلَ هُمُومِهَا ، وَيَحْمِلُوهَا عَلَى الْمَطَاوِعَةِ لَهُمْ خَشْيَةً أَنْ تَفْجَأَهُمْ  
بِمَا لَا يَجِبُونَ مِنْ إِظْهَارِ مَا أَرَادُوا كِتْمَانَهُ وَإِخْفَاءَهُ . دَخَلَ الْفَتَى الْكِتَابَ ، وَقَدْ قَالَ التَّنَوُّحِي  
فِي حَدِيثِهِ الَّذِي أَسْنَدَهُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْعُلُوِّ ، وَهُوَ يَعْنِي الْمُتَنَبِّئِي : « وَنَشَأَ وَهُوَ مُحِبٌّ  
لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَطَلَبَهُ » . وَلَا شَكَّ أَنَّ جَدَّتَهُ الْحَازِمَةَ الصَّالِحَةَ كَانَتْ مِنْ وَرَائِهِمْ تَسْتَحْتُهُ  
عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَتَسْتَفِزُّهُ إِلَى ذَلِكَ ، لِيَتِمَّ لَهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَا تَوَمَّلَ مِنَ الْفَرَحِ بِنَبُوغِهِ  
وَتَقْوَقِهِ عَلَى لِدَاتِهِ وَأَسْنَانِهِ مِنَ الْعُلُوِّينَ ، وَيَسْتَطِيعُ بَعْدَ أَنْ يَذْكُرَ لَهَا « حِطًّا » وَيَطْلُبُ لِنَفْسِهِ  
« حَقًّا » هُضِيمَ وَمُنْعَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى أُلْقَى فِي أَسْوَأِ مَجْهَلَةٍ وَبِشْرٍ مَنْزِلَةٍ ، فِي خَفَاءٍ مِنْ  
النَّسَبِ ، وَقَلَّةٍ مِنَ الْمَالِ ، وَيُعَدُّ عَنْ مَسَاعِي الْمَجْدِ . وَقَدْ وَجَدْتُ / الْعَجُوزَ أَرْضًا صَالِحَةً ٥٧  
بَطْبِيعَتَهَا لِمَا تُرِيدُ مِنْ أَمْرِهَا ، فَتَأَذَّبَ الْفَتَى بِالْعِلْمِ الَّذِي كَانَ يَتَلَقَّاهُ فِي كِتَابِ أَوْلَادِ أَشْرَافِ  
الْكُوفَةِ ، وَاجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ ، وَبَرَعَ وَفَاقَ أَصْحَابَهُ ، وَأَخَذَتْهُ جَدَّتُهُ بِأَخْلَاقِ صَالِحَةِ طَبِيعَةٍ ،  
وَحَاسِبَتِهِ وَحَرَصَتْ عَلَى اسْتِطْلَاعِ خَبَرِهِ كُلِّهِ ، وَأَلْقَتْ فِي قَلْبِهِ وَفِكَرِهِ وَخِيَالِهِ طَلَبَ الْمَجْدِ  
بِالْعِلْمِ ، ثُمَّ زَيْنَتْ لَهُ الْفِتْوَى وَعُلُوَّ النَّفْسِ وَبُعْدَ الْهَمَّةِ وَعِظَمَ الْمَطْلَبِ ، وَأَدَّبَتْهُ بِالْصَّدَقِ  
وَالْأَمَانَةِ وَكِتَابِ السِّرِّ ، وَعَلَّمَتْهُ مِنْ حِيلَتِهَا وَدَهَائِهَا وَحَذَرَهَا ، سَعَةَ الْحِيلَةِ ، وَخَفَاءَ الدَّهَاءِ ،  
وَتَقْدِيمَ الْحَذَرِ . وَبَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ الْفَتَى مِنَ الْفِكْرِ مَا يَسَّرَ لَهَا مَا تُرِيدُ أَنْ تَبُوحَ لَهُ بِهِ ،  
طَفِيفَتِ تَدِيرَ لَهُ السَّرَّ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ، وَتَأَخَذَ نَفْسَهَا بِالْحَذَرِ وَالتَّكْتِمِ ، وَالْإِحْتِرَاسِ مِنْ  
ثَوْرَةِ الْفَتَى إِذَا هِيَ فَجِئَتْهُ بِمَا تُرِيدُ ، حَتَّى بَلَغَتْ مَا أَرَادَتْ .

(١) أَعُودُ فَأَكْرُرُ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ تَجَاوَزَ هَذَا الْقَوْلَ ، بظهور الخبر الذي رواه ابن العديم عن الربيعي : أَنَّ الْمُتَنَبِّئِي  
قَدْ أَرْضَعَتْهُ امْرَأَةٌ عُلُوبِيَّةٌ مِنْ آلِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَكَانَ أَحَاهُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، عَلَى الْأَقْلِ ! انظر (ص : ١٥٣ ، تعليق : ١) .

وهذه المعاني كلّها دائرة في حياة المتنبي وشعره دَوْران الدّم في عروقه ، فإذا أنت قرأت ديوانه من أوله إلى آخره ، فلن يفوتك أن تراها جميعاً ، أو ترى بعضها ، ماثلاً غير خفيّ في كلّ موضع من شعره .

ويؤيّد قولنا هذا : أنّ الغلام ، وهو صغير بالمكتب ، كانت له وقرة من الشعر تسيل على أذنيه ، وكانت حسنة جميلة فقال له بعض أصحابه من الفتيان ( العلويين ) : يا أحمد ، « ما أحسن هذه الوقرة » ؟ فكان جوابه أعجب جواب من صبي في مكتب :

لا تحسّن الوقرة حتّى تُرى منشورة الضفرين يوم القتال  
على فتى معتقل صعدة يعُلّها من كلّ وافى السبال<sup>(١)</sup>

/ فظنّ ما شئت بغلام في مثل سنّه لا يزال في أوّل طلبه للعلم يقول مثل هذا ٥٨  
القول . ويحسّن أن نطيل القول قليلاً في هذين البيتين ، ففيهما أصول كثيرة من حياة الرجل ونفسيته فيما بعد .

فالأصل الأوّل : هو هذا الالتفات الشعريّ الجميل من المعنى المحدود بغرض قائله ، إلى المعنى المتراعى بخيال سامعه ، فإن أصحابه كانوا يُعجبونه من حسن وقفته واسترسالها ولينها ، فتجاوز صاحبنا هذا بخياله من الصّورة الحاضرة إلى الصورة التي يريد أن يراها ، شعثناءً غبراء يوم ينشر مضفوراً يوم القتال بين الغبار الثائر والدم المهرق . وهذا إثبات للأصل الشعري القائم في نفسه .

والأصل الثاني : هو الرجولة والفتوة ، وبعد الهمة ، وعظم المطلب ، وانصرافه عن سفساف الأمور إلى معاليها ، لا يعابُ بلدّة لا تُجدى خيراً ، ولا تؤقّ ثمرًا ، وإنما يجد لذّته فيما يأتيه بما يريد ، ولو كان فيه شقاؤه وجهده . وقد شرح صاحبنا هذا المعنى النفسيّ في شعره بعدُ فقال :

(١) « الضفر » ، الخصلة المضفورة من الشعر كالعذيرة . وقوله : « معتقل صعدة » أى حامل رمح إلى الحرب . « ويعُلّها » ، يسميها من الدم مرة بعد مرة . و « الوافى السبال » ، هو الطويل اللحية .

سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي ، كَيْفَ لَدَتْهَا      فِيمَا التُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ  
الدَّهْرُ يَعْجَبُ مِنْ حَمْلِي نَوَائِبَهُ      وَصَبِرَ نَفْسِي عَلَى أَحْدَائِهِ الْحُطَمِ

وهذا أصل رُجُولته وفتوّته النفسية التي ظهرت واستعلنت في كل شعره حتى صار بها فذاً أوّحد .

والأصل الثالث : هو الثورة الدائمة ، فأنت تراه من صِغَرِه هكذا ، لا يريد إلا القتال والدم .

/ والأصل الرابع : أن هذين البيتين من صغير كقائلهما ، يُضْمِرَان وراءهما معنى آخر غير هذه المعاني ، وهو أنه مُنْشَأً على طلب الثأر من عدوّ ، فهو لا يزال ينقل الصورة من وضع إلى وضع آخر يُرضى ما يدور في نفسه من المعاني المحددة بطفولته ، وما غُدِيَتْ به من الآراء والأخلاق . وإن شئت فتدبّر السرّ العجيب في قوله « يُعْلَمُهَا » ، أى يسقيها الدم مرّة بعد مرّة ، لا يكتفى بواحدة . وتعجّب من قوة الأصل الشعريّ في هذا الغلام ، ومن طغيان الحقد والثأر على قلبه الصغير .

والأصل الخامس : هو بياؤه الخفيّ عن عدوّه الذي يريد أن يحاربه ، وقد صرّح بذلك في قوله « كُلِّ وَافِي السَّبَالِ » ، فانظر من أراد هذا الصغير بهذه الصيغة ؟ أترأه عَنَى كُلِّ كبير السن ذى حيلة طويلة ؟ أترى ذلك !! كَلَّا ، فالبيّن البيّن أنه أراد قوماً بأعيانهم كَتَى عنهم بهذه الصيغة ؟ ومن هؤلاء الذين يريدُهم بهذه الصفة ؟ أليس المعقول أن هذا الصغير إنّما يتجه خياله إلى أقرب الناس إليه في بلده ، ثم إلى الذين أوْحَتْ إليه جَدَّتْه بأنّ بينها وبينهم سَخِيمةً من العداوة ؟ ومن يكون هؤلاء من أهل بلده إلاّ مَشَيْخَةُ العلويين الذين أنزلوا الهوان به وبجدته ، (١) فيما ذهبنا إليه من الرأى فيما مضى .

والأصل السادس : أن هذه الثورة التي تلبّست به وأخذت عليه مذهبَه في حياته ، إنّما هى من أثر جَدَّتْه ، إذُ باحث له بسرّها ، وألْقَتْ إليه بمكنون / صدرها .

(١) وهذان البيتان من الأدلة على ما ذهبنا إليه في قضيتيه مع العلويين في الذى مر بك ، ولم نذكرهما هناك لتفادى الإطالة .

وذلك لأنَّ الفتي الصغير لا يكادُ يُدرك هذه المعاني كلها ويُسيغها حتى تظهر هكذا مُسهَّلةً على لسانه ، إلّا أن يكون قد أخذَ بها ، وهُيَّءَ لها ، وأُعطِيَ من نفسٍ غيرِ قوةٍ تخرُجُه من طبيعة الطفولة ، إلى عادةِ الرجولة والفتوة .

ولولا أن صاحبنا أبا الطيب قد « أسقط من شعره الكثير ، وبقي ما تداوله الناس » ، <sup>(١)</sup> كما حدثنا بذلك أبو القاسم الأصفهاني ، عن أبي الفتح بن جني ، لوجدنا فيما أسقطه كثيراً من أمثال هذا القول الذي يدلُّ على نفسية الصبي التي كبرت معه ، وكانت هي ( المتنبّي ) الشاعر الفرد الذي لا يكادُ يخفى شعره على أقلِّ النَّاسِ بصراً بالشعر .

...

وأبياتٌ أخرى قالها وهو بالمكتب أيضاً :

إلى أيّ حين أنت في زِيٍّ مُحَرِّمٍ      وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ ؟ وَإِلَى كَمْ !! <sup>(٢)</sup>  
وإِلَّا تُمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا      تُمُتْ وَتُقَاسِ الدَّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ  
فَتُبْ وَاثْقًا بِاللَّهِ وَثْبَةً مَاجِدٍ      يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى التَّحْلِ فِي الْفَمِ

وهي وإن كانت مما قال في صغره ، إلّا أنها أمثل من الأبيات الأولى / في الدلالة على المعاني التي ذكرناها ، والأصول الستة التي استنبطناها . فتدبرها على ما قدّمنا لك ، تجد الشاعر الكبير في الشاعر الصغير ، إلّا في موضع واحد قلَّ في شعره بعدَ الكِبَرِ ، وذلك هو تقديم الثقة بالله ، على الثقة بسيفه ونفسه ، وهذا الموضع ولا شك من أثر جدته التي كانت « من صلحاء النساء الكوفيات » . وهو يؤيد رأينا في أن العجوز كانت

(١) هذا القول يغلب على شعر صباه ولا شك ، ولا شك أيضاً أن بعض شعره في فتوته وكهولته قد سقط ، أو أسقط ، ولكنه قليل جداً لا يكاد ينفع شيئاً .

(٢) « زي محرم » كناية عن فقره ، لقلة ثيابه التي تسره . والمحرم من الحاج لا يلبس إلا إزارين غير مخيطين .

تَمَحُّهُ نَفْسَهَا ، وَتَمَحُّضُهُ نُصْحَهَا ، وَتَرْبِيَّتُهُ عَلَى مَا أَرَادَتْ ، لَمْ تَكْتَفِ أَنْ تُرَكِّنَ فِي تَأْدِيهِهِ وَتَقْيِفِهِ إِلَى الْمَكْتَبِ ، أَوْ إِلَى الزَّمَنِ وَأَحْدَاثِهِ ، وَهُوَ الْمُعَلِّمُ الْأَكْبَرُ وَالْأُسْتَاذُ الْبَارِعُ .

هذا وما نَشَلُّكَ فِي أَنْ الْفَتَى كَانَ وَهُوَ بِالْمَكْتَبِ أَكْثَرَ أَصْحَابِهِ تَحْصِيلاً لِلْعِلْمِ وَإِقْبَالاً عَلَيْهِ ، وَانْصِرَافاً إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ لَمَّا ذَكُرُوا مِنْ قُوَّةِ ذَاكِرَتِهِ الَّتِي كَادَتْ تَكُونُ إِحْدَى الْخَوَارِقِ = ثُمَّ لَمَّا أَخَذَتْهُ بِهِ جَدَّتُهُ مِنَ الْأَدَبِ وَالرَّأْيِ ، وَمَا زَيَّنَتْ لَهُ مِنْ طَلَبِ الْمَجْدِ ، ثُمَّ مَا تَهَيَّأَ فِي نَفْسِ الصَّغِيرِ مِنْ أَصْلِ طَبِيعَتِهِ الَّتِي تَسْرِعُ بِهِ إِلَى السَّمَوِّ ، وَلِهَذَا كَانَ الْفَتَى مُحْسِداً بَيْنَ أَتْرَابِهِ ، مَنْظُوراً إِلَيْهِ بِعَيْنٍ . فَالْحَسَدُ الصَّغِيرِ الَّذِي مُنِيَ بِهِ وَهُوَ فِي الْمَكْتَبِ ، وَمَا يَمْوجُ فِي صَدْرِهِ مِنْ حِقْدٍ وَثُورَةٍ وَيُبْغِضُ لِمَنْ أَرِيدَ لَهُ أَنْ يَشْتَأَهُمْ وَيُبْغِضَهُمْ = كُلُّ ذَلِكَ كَانَ هُوَ الْأَصْلَ فِيمَا تَعَجَّبَ مِنْهُ الْمُتَعَجِّبُونَ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ هَذَا الشَّاعِرِ لِلْحَسَدِ وَالْحُسَادِ وَالْوَشَايَةِ وَالْوَشَاةِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُلَمُّ بِهِ . وَقَدْ أَلَمَّ صَاحِبُنَا بِهَذَا الَّذِي أَرْدَنَاهُ فِي قَوْلِهِ وَهُوَ بِأَنْطَاكِيَةِ فِيمَا بَعْدَ :

أَبْدَلُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي      فَلَا أُعَاتِبُهُ صَفْحاً وَإِهْوَاءَا  
( وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي )      إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا  
( مُحْسِداً الْفَضْلَ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي )      أَلْقَى الْكَمِيَّ وَلَقَانِي إِذَا حَانَا

/ فهو من يوم كان في وطنه الكوفة إلى سنة ٣٢١ حين رحل إلى الشام ، كان يلقى العنت من الحسد والحساد ، وما تكذبوا به من أباطيلهم ، وما ألقوا عليه من عيوبهم . فلما استمر مريره وبرع وفاق الشعراء ، وأكل أرزاقهم إلى رزقه ، أجلب عليه الحساد والوشاة ، فدسوا له وأذاقوه من بأسهم ، فبقى إلى آخر عمره يذكر ذلك في شعره ، ويتخيَّله في صغير أمره وكبيره .

...

قلنا : إن الفتى كان أحذق أستاذانه وأسرعهم إلى التحصيل ، وأحفظهم للعلم ، وظاهر شعره الذي قاله في أول أمره وصباه ، يدلُّ على أنه لم يقصر درسه على « دروس

العلوية وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً » ، بل كان كما كان إلى يوم وفاته ، متتبعاً للكتب يقرؤها ويحققها ويحفظها ، من كتب الشعر والأدب والدين والفلسفة والكلام وغيرها من علوم عصره ، وسنأتى على طرف من شعره فى سياق الدليل على ذلك . وقد روى بعض الرواة ، هو صاحبنا الأصفهاني ، أن المتنبي « وقع فى صغره إلى واحد يُكنى أبا الفضل بالكوفة ، فهوّسه وأضله كما ضلّ » ، هكذا قالوا !

ولا شك أن أبا الطيب قد لقي هذا الرجل وهو بالمكتب لم يبرحه بعد ، والقصيدة التى فى ديوانه ، والتى قدّموا لها بقولهم <sup>(١)</sup> : « وقال وهو بالمكتب يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه » ، هى فى ذكر هذا الرجل الذى ذكره الرواة ، وأولها :

كُفَى ، أَرَانِي ، وَبِكَ ، لَوَمَكِ ، الْوَمَا هَمَّ أَقَامَ عَلَى فَوَادٍ أَنْجَمَا <sup>(٢)</sup>

ويقول فيها ، وقد ذكر اسم الرجل :

كَصِفَاتٍ أَوْحَدِنَا (أبى الفضل) الذى بَهَرْتُ ، فَأَنْطَقَ وَأَصِفِيهِ وَأَفْحَمَا

ومن قرأ القصيدة كلّها ألقاها كلّها ، فما فيها بيت واحد من الشعر ، ولفظها وكلامها ومعانيها غثّ كله ، وما ندرى ما الذى جعل أبا الطيب يحرص على إبقائها فى ديوانه ، وقد أسقط الكثير من شعر صباه ، على ما ذكر تلميذه ابن جني <sup>(٣)</sup> وقد أعجم صاحبنا القصيدة كلّها ، وأتى فيها بكل ساقطة من ألفاظ الفلسفة وما إليها ، وبالغ حين مدح الرجل بما ينقل الكلام من معنى المدح إلى معنى الهجاء ، حتى انحَلَّ ذلك بعريتها إخلالاً

(١) الأرجح أن مقدمات القصائد الموجودة فى نسخ ديوان أبى الطيب القديمة ، هى من لفظه هو لا من لفظ شراح الديوان . فلذلك يجب التوثق منها ومن لفظها ، لأنها وثيقة تاريخية وأدبية تحدد مقاصد الرجل فى شعره .

(٢) ترتيب ألفاظ صدر البيت : « كُفَى لَوَمَكِ ، وَبِكَ [ أى وبلك ] أَرَانِي الْوَمَا » .

(٣) انتبه إلى قول المتنبي فى مقدمة القصيدة : « وأراد أن يستكشفه عن مذهبه » ، فإن هذه العبارة تنفى ثرثرة وكلاماً غثاً قاله من قاله فى شأن هذه الأبيات .

يَبِينُ لم يقع مثله في ساقط شعره وسفسافه : والظنُّ عندنا أَنَّهُ لقي أبا الفضل هذا ، وكان يدعى الفلسفة ، ويتججُّ بذكرها ، ويظنُّ بنفسه العلم بها ، ويُعرِّضُ نفسه لقراءة دُرُس فيها ، وكان في ذلك أضحوكة يُعْجَبُ منها وَيَتَفَكَّهُ بها ، وكانت صورته في ذلك كَلِّهِ تستقصي الضَّحْكَ وتستخرجه ، فقال له أبو الطيب هذه القصيدة تندراً به وعبثاً وسخريةً . ولا حاجة بنا إلى تفصيل ذلك بذكر الآيات التي تدلُّ على ما أردناه ، فإن قليلاً من التدبُّر ، فيما جمع فيها أبو الطيب من السُّخف والمضحكات والمناقضات والمبالغات ، فيه دليلٌ كافٍ وإفٍ . ويبيِّنُ إذن أن المتنبي ما أثبت هذه القصيدة في ديوانه ، إلاَّ لأنَّهُ كان يذكرُ بها شخصيةً كانت تستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك ، وغاية الاستغراب .

٦٤ / والعجب للأصفهانيِّ ، صاحب « إيضاح المشكل » ، الذي مرَّ في أول كلامنا ذكره ، أن يزعم أن معنوها كَأَيُّ الفضل هذا النكرة ، قد هوَّسَ أبا الطيب وأضلَّهُ كما ضلَّ ! فمن كان في بديهة المتنبي وذكائه وتوقُّده ، لا يلعب به رجلٌ مغمورٌ غيرُ مذكورٍ كهذا الذي ذكروه . وظاهرُ أمرِ الأصفهانيِّ ، أو مَنْ قال له ذلك ، أنه وقع إليه خبرُ أبي الطَّيِّب وتندُّره بأبي الفضل ، هذا الدعيُّ على الفلسفة ، فقلب الخبر من معنى الهزل إلى معنى الجدِّ ، ونسب إلى المتنبي الأخذ عنه ، والاعتداء بسُخْفِهِ وهَذْيَانِهِ . فلولا جاءوا بشيخٍ مذكورٍ من شيوخ الفلسفة ، وادَّعوا ذلك فيما ادَّعوا على الرجل !!

ونحن لا نثني عن أبي الطيب التأثير بالفلسفة وغيرها مما يداخلها أو تداخله على مذهب الأوائل ، وكيف يكون ذلك ؟ والدنيا يومئذٍ موجٌّ متلاطمٌ بالجدل والخصام ، والعلماء يومئذٍ كثيرون ، وأصحاب المذاهب الغريبة متوافرون ، وأصحاب الجدال مغرمون بإقامة الشبهة وردّها بالحجة والبرهان العقلي ، والكتب الخلفة كثيرة لم تذهب بعُد ، وهي كتبٌ نشأ منها بعُد علم الكلام الذي اختلطت به الفلسفة وصارت أصلاً من أصوله ، والمساجد لذلك العهد كانت عامرة بالصُّحْب الذي لا يُجْدِي ولا ينفع في أصول الدين وعقائده ، فلسنا نشكُّ بعد أن هذا الفتى المتوقِّد = الذي قال عنه كثير ممن رأوه إنه كان



واسع العلم والمعرفة = قد اختلط وسمع وبحث ونظر وجادل ، وأخذ بأطراف مما سمع وقرأ وحفظ ، حتى بان ذلك في شعره الأول بياناً لا خفاء فيه ، ثم قل بعد أن استحکمت قوته وغلب عليه الأصل الشعري الذي آستولى على أكثر موهبته وقدرته .

ونسوق إليك هنا طرقاتاً من ذلك فيه غنى إن شاء الله ، يقول :

٦٥ / وضاعت الأرض حتى كان هارِبُهُمْ إِذَا رَأَى ( غَيْرَ شَيْءٍ ) ظَنَّهُ رَجُلًا

يريد « لا شيء » فأبدل ، وهذه من ألفاظ المتكلمة ، والخيال خيالهم ، وقال :

يَتَرَشَّقْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ ( حَلَاوَةُ التَّوْحِيدِ )

وهذا من ألفاظ المتصوفة ، وقال :

كُتِمْتُ حُبْلِكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرُمَةٌ ثُمَّ اسْتَوَى فِيهِ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي  
كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي ( جِسْمِ كِتَابِي )

والبيت الثاني ، واللفظ الأخير خاصة ، دليل على تأثره بالمعاني الفلسفية

والصوفية ، وهذه هي التي أخرجت له هذا الخيال السخيف ، وقوله :

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأَيْهِ فِي زَمَانِهِ أَقْلُ جُزْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ

فهذه قسمة حسابية !! و « الجزء » و « الجزئية » من ألفاظ المتكلمين

والفلاسفة ، وقلما يأتي أحدهما في الشعر مستحسنًا ، وقوله :

فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقُ تَجِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ ( أَصُولُ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَنْفَرُغُ )

وهذا مدح فلسفي ليس بشعر ، وانظر إلى جمعه « البراعة » وهي من الغرائب التي

تلدها الفلسفة ، وقوله :

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءَ دَائِي عِنْدَهَا هَائَتْ عَلَيَّ ( صِفَاتُ جَالِينُوسَا )

بَشَرٌ ( تَصَوُّرٌ غَايَةٌ ) فِي آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونَ ( وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا )

/ فقلوه : ( صفات جالينوسا ) ، يريد ما يصفه جالينوس للأمراض من الدواء ، وهو دليل على نظره في كتب الطب ، ثم قوله : ( تصور غاية ) ، من أساليب المتفلسفة ، وقوله : « تُفسد التقييسا » يريد « تفسد القياس » ، وهو مما يرد في كتب الكلام . ومن تتبع سائر شعره في صباه ، وجد فيه آثاراً كثيرة تدل على ما قرأ أبو الطيب وما سمع من كتب الفقه والحديث والتفسير والجدل والمنطق والملل والنحل والتاريخ وسير الأوائل والأنبياء الماضين ، وغير ذلك مما كان من علوم أهل عصره ، وقد أحاط بكثير من ذلك واستوعبه ونظر فيه نظر المتفكر المتدبر ، ولولا ذلك لما ولع بذكره في شعره ، ولما دار على غير إرادة منه فيما نظن .

وقد كان في هذا القسم من شعره يلجأ إلى الأساليب الفلسفية في استخراج المعاني وتوليدها ، وكان يكثر من التقسيم الفلسفي ، والتوجيه المنطقي وغيره من ألوان كلام المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة والمتزندقه أيضاً ، حتى فسدت معاني شعره ، فلذلك كان أكثر ما تجد من ساقطه ومردوله = مما عابه عليه النقاد ، وخاصمه به المتعصبون عليه = هو من هذا القسم الذي قاله في صباه إلى أطراف سنة ٣٢٨ على وجه التقريب لا التحقيق . (١)

\*\*\*

وهذا العهد من حياة المتنبي لم ترد عنه رواية مؤثقة مستفيضة ، وإنما عملنا فيه الاستنباط من قليل شعره الذي قيل في صباه ، واستخراج الأصول النفسية منه ، ثم مسيرها بعد وتدرجها معه حتى بلغت مبلغها في كبير شعره الذي « ملأ الدنيا وشغل الناس » .

(١) تتبع هذا اللوح من الألفاظ والأساليب في شعر أبي الطيب ، محدداً بالوقت الذي قيل فيه ، وحصره في زمانه ، وقصره على زمن القول ، مع الانتباه إلى معرفة شيء صحيح عن الرجل الذي نحوط بهذا الشعر = كُـ ذلك واجئ الناقد والأديب والكاتب ، قبل أن يقول شيئاً في شعر أبي الطيب ، فإن لم يفعل ، وكتب بلا حذر ، فالذي فعل هو الغرث لا غير .

٦٧ / عندنا أن المتنبي بقي في المكتب إلى سنة ٣١٧ تقريباً ، وكانت سنه أربعة عشر ، ولكنه كان بتوقده وذكائه في درجة من أناف على العشرين ، وقد ذكر التنوخي أنه قال الشعر صبيّاً ، وذكر غيره أنه كان آية في الذكاء والفطنة ، وقال غيرهما إنه من ذهابة عصره ، أي كان كذلك فيما بعد . وكان مما ورثه عن جدته ، هذا الإحساس المُرهِف الدقيق الذي يهتز في قوته وكبريائه ، لا في ضعفه وذله . واجتماع الذكاء والحس المُرهِف هما آلة كل شاعر ، وقد ظفر المتنبي من كليهما بنصيب الأسد المصور ، ولذلك كان شعره أروع شعر في العربية وكثير غيرها ، وكان مُحَبِّباً إلى أهل عصره متداولاً سائراً بينهم ، لأنه كان يأخذ بنفسه المُرهِفة من شعور الناس وآلامهم وأحداثهم ، ويبنى بما يأخذ بيوث شعره ، وروائع بلاغاته .

وهب الله هذا الذكي المُرهِف الحس جدّة حازمة كانت ، فيما ذهبنا إليه ، تُوقد في قلبه نيران الثورة ، وتورثها بالحق على قوم بأعيانهم ، وتدرّبه على كرائم الخلق كالصدق والأمانة والوفاء وحُبّ المجد ، والتطلع إلى العلياء ، والجرأة المُستَنَفِرة التي لا تهيّب ، يحذ منها الحذر الذي لا يتهاون ، والذهاء الذي لا يتورط في موارد التلّف . وشرع الفتى يطلب العلم ويستزيد منه ، ويشتد في الطلب مُصمّماً معتماً أمراً في نفسه أن يبلغه أو يهلك دونه . ثم انفتحت لعينيه الدنيا برذائلها وفضائلها وحكمتها وثرثارتها ، وجدها وهزلها ، فاضطربت نفسه وطففت تلمس الأشياء هنا ونم ، لتستقر على ما ترضى به وتأنس إليه .

٦٨ وكانت الكوفة ، التي نشأ بها وشب وترعرع وتفتى ، لذلك العهد ، / بلداً من بلاد الإسلام ، قد رمتها القرامطة بجيوشها مرّات وفعلت بأهلها الأفاعيل ، وكانت الدولة العربية في شغل عن الكوفة بانقسامها شيعاً يأكل بعضهم بعضاً ، وظهرت شوكة الأعاجم ، وكانوا أصحاب حيلة ودهاء ، فأوقعوا بين المسلمين وبين عرب البادية ، حتى صارت الدولة العربية المترامية الأطراف في ثورة دائمة لا تفتت ، ولا تنقطع الحروب في ناحية إلا اتقدت نيرانها في أخرى . وانقسمت دويلات ، ولم يبق للخليفة إلا الاسم الكريم يحمله مُرَعماً ويضعه مُرَعماً لا إرادة له . ولا شك أن إحساس أبي الطيب قد ألم

بذلك كله وفصله ونقده ، وعرف الداء الذى كمن فى بدن العربيّة واستلّ قوّتها وقتل روحها ، فأزّاد إلى ثورته ثورةً وإلى حقده حقدًا .

وكانت أخلاق الأمة قد اتضعت وفشلت بما تداخلها من أخلاط الأمم الذين لا أصل لهم يرجعون إليه ، ولا خلق عندهم يستندون به ، وفسدت العامة من أهل المذّن فساداً كبيراً ، واضطربت فى أيدي الناس حبال الأخلاق ، وصاروا لا يقيسون الناس إلا بمقياس الظاهر ، ولا يزنونهم إلا بميزان المال . فبطلت موازين الرجال التى يوزنون بها من العقل والحكمة والعلم والرّجولة وكرم العنصر . (١) فكان نظر الفتى إلى هذا ، مما ألقى الخطب على النار التى فى صدره ، فبعضت إليه سفساف الأخلاق وتعلّق بمعالها ، وزين فى قلبه أن يكون هو الثائر الذى يردّ هؤلاء الأهمال والهمج إلى مردّ ، ويأوى بهم إلى مأوى ، ويقوم عليهم قيام الراعى حتى يخلصوا من الشرّ ، ويستمسكوا بالعروة الوثقى ، ويفيئوا إلى الخلق الكريم الذى لا يبخص الناس حقهم ، ولا يظلمهم ، ولا يذنبهم ، بل يعدل بينهم بالقسط ويرفعهم عن الدنيّة ، ويجعلهم قوة مستحكمة تردّ عدوان العادى ونغى الباغى ، ليصلوا بذلك إلى المجد والسلطان .

/ اصطدم هذا الخيال الذى أراد أن يحققه بحقيقة ما هو فيه من الفقر والخفاء ، والبعد عن مساعى المجد ، وامتناع نفسه عن إعطاء الطاعة للأخلاق التى كان يصلّ بها أهل ذلك العصر إلى ما يريدون من المكر السيّء والدسيس وما إليهما من حيل الخبيثين . وقد روى الرواة أن أبا الطيب قال :

« أذكرُ وقد وردت فى صباى من الكوفة إلى بغداد ، (٢) فأخذت بجانب منديل

(١) لا تحمل ، أيها القارىء ، كلامى هذا على التعميم المطلق ، فإن ذلك لا يصحّ البيت ، ولكن أهل زماننا من الكتاب والقراء حين يسمعون مثل هذا ، مما قيل قديماً أو حديثاً ، يحملونه على التعميم المطلق ، ويلدّ لهم أن يصفوا أسلافهم بكل قبيحة من القبايح ، بغياً وعدواناً على الحق وعلى التاريخ .

(٢) انظر دخول المتنبي بغداد فيما سلف [ ص : ٦٥ ] ، وما سيأتى ، انظر الفهرست .

خمسة دراهم ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دُكان يبيع الفاكهة ، فاستحسنتها ، ونويتُ أن أشتريها بالدرهم التي معي ، فتقدمت إليه وقلت :

- بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ؟

فقال بغير اكتراث : أذهب فليس هذا من أكلك ، ..

فتماسكت معه وقلت :

يا هذا ، دع ما يَغِيظ ، واقصدِ الثمن .

فقال : ثمنها عشرة دراهم .

فليشدَّ ما جَبَّهني به ، ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ... وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان ، ودعا له وقال :

- يا مولاي ! هذا بطيخ باكُور ، بإجازتك أحمله إلى البيت ؟

فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟

/ قال : بخمسة دراهم ..

قال : بل بدرهمين ...

فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل .

فقلت له : يا هذا ! ما رأيْتُ أعجب من جهلك ؟ آسَمْتُ عليَّ في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، وكنتُ قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولاً !!

فقال : اسكت ، هذا يملك مئة ألف دينار !

قال المتنبي : فعلمت أن الناس لا يُكْرِمون أحداً إكرامَهُمْ مَنْ يعتقدون أنه يملك

مئة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك  
مئة ألف دينار » .

فبهذا وأمثاله من أعمال الحياة لذلك العهد اصطدم قلبُ الفتى ، فاستقرَّ على أن  
يجد لما يريد مخرجاً ، غير العلم والعقل والنصيحة والأخذ باللين والملاطفة ، وازداد بذلك  
للناس احتقاراً ، ولأعمالهم بغضاً ، وحقَّرَ العظماء الذين لا يَعْظُمون في أعين الناس  
إلاَّ بالمال ، وجعل يديرُ الرأي حتى خلَصَ إلى العزم : أن يطلُبَ المال ، لا ليجمعه  
ويفرِّحَ به ، ولكن لينال به ما يريد مما ينطوي عليه قلبه من حقدٍ على قوم ، وما يدور فيه  
من معاني الإصلاح ، وما يبغى من إيقاظ الهمة العربية للاستيلاء على السلطان المضيع ،  
والجحد المفقود .

...

/ ومع هذا ... ، كان الذكاءُ ، والثورةُ ، والنَّظَرُ ، والتجربةُ والاختلاطُ بالناس  
واختبار أخلاقهم ، وتعجُّبه من فساد أقيستهم وبطلانِ مذاهبهم ، ثم اعتماده في نفسه على  
الثقة بها ، واعتداده بمقدرته ، واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى  
الحكم أو السلطان أو القضاء إلاَّ بالسوء والقبيح ، ثم طبيعته الشاعرةُ المرهفة التي  
( تلتقط صُور ) الأشياء ثم تنتزع منها الأخيصة الشعرية ، والحكم البليغة ... كلُّ ذلك  
أسرَعَ بالفتى إلى ضرب من القول السَّاحِر الذي لم ترَ العربية مثله في شعر شاعرٍ ، إلاَّ أن  
سخريته التي انفرد بها لم تكن بُعد في كبره إلاَّ ضرباً من الحكمة والعبرة التي لا يفطن إليها  
إلاَّ أفذاذُ العقول ، ثم يَدُّون عليها بالإيجاز العجيب ، فلا يبالغون في تصويرها ، بل  
يضعون لها اللَّفْظ الذي يُخْرِجُها مُخَرَّجَ الحكمة ، ويزيدها روعةً في السَّخَر ، وستعرض  
لتفصيل ذلك بُعد . وقد حفظ لنا المتنبي ضرباً من سخريته في صغره تدلُّ على  
ما استحکم في شعره بُعد ، وصار في شاعريته طبيعةً متأصلةً مستحكمة .

مرَّ المتنبي برجلين قد قَتَلَا جُرَدًا ، وأبرزاه يعجَّبان الناس من كِبَرِهِ ، فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَغِيرُ      أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيْعَ الْعَطَبِ  
رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ ،      وَتَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ  
كِلَا الرَّجُلَيْنِ أَتَلَّى قَتْلَهُ ، ...      فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبِ  
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ ؟      فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنَبِ

قتل الرجلان ، الكنانى والعامرى ، هذا الفأر الكبير ، فأخرجاه ليعجبا الناس من  
كبره ، وهذا سُخِّفَ مِنْهُمَا ، إذ شغلا نفسيهما بعبث لا معنى لمثله / عند المتنبي الذى  
يريد فى نفسه قتل الملوك ، فمن هنا قال : « الْجُرْذُ الْمُسْتَغِيرُ » ، الذى قد أغار عليهما كما  
تغير الجيوش . ثم لما فرغ من جعله كذلك ، ذكر أن هذا الفأر قد وقع فى ( أسر المنايا )  
كما يقع العدو فى الأسر ، حين رماه الكنانى والعامرى بالسهم كما يُرمى العدو ، وبذلك  
يسخر من رجلين يجمعان قلوبهما على قتل ، ثم لا يكون المقتول إلا فأراً !! ثم لا يكتفى  
صاحبنا بهذا ، بل يقول إنهما أخذوا يصارعانه كما يصارع العرى خصمه مستعيناً عليه  
بالقوة حتى يَكْبَهُ على وجهه مقتولاً ، وذلك قوله : « تَلَّاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ » ، ثم يقول  
بعد : كِلَاكُمَا تَوَلَّى قَتْلَهُ ، وذلك لِكَبْرِ الفأر وشدته ، ولكن مَنْ مِنْكُمَا الذى سَرَقَ حُرَّ  
ثيابه وجيّد سلاحه ، كما يسرق السارق فى الحرب من أسلاب القتلى ويخفيها عن أصحابه  
من المقاتلة ؟ ثم يعود فيقول : إنكما كنتما تصارعانه بعد أن رميتماه بسهميكما ، وكان  
أحدكما من خلفه ، فمن منكما الذى كان من ورائه ليحتال على صرعه ؟ وقد عرفت حيلته  
فى صَرَعِ هذا الفأر العظيم ، فإنه عَضَّةً فى ذنبه ، وهذه العَضَّةُ بَيِّنَةٌ ثُمَّ !

وأنت إذا عُدَّتْ فقرأت الأبيات على ما تكلّفنا شرحه ، رأيت بلاغة الرَّجُلِ فى  
السخرية ودقته فى اختيار اللفظ وإيجاز الصورة التى يريد أن يتفكّك لك بها . وهذا الضرب  
من الكلام من أكثر ضروب الكلام دَوْرَاناً فى شعر المتنبي ، حتى بلغ من دقته فى  
وضعه ، وثقوذه فى معرفته وإتقانه ، أنه كان يقول القول فى المدح وهو أبلغ الهجاء ، كما  
فعل بكثير من ممدوحيه ، حاشا سيف الدولة ، وفى أولهم كافور الأسود الحَصِيُّ .

وكانت هذه السخرية هي المنفذ لآلام أبا الطيب ، وما يضيق به صدره من  
 الأحقاد والآراء ، ولعله كان في أصل طبيعته قريب الميل إلى المَرَح / والطَّرَب في وقارٍ ،  
 ولولا ما كلّف نفسه من المشقّة للسيادة والمجد ، لكان من أبرع الناس نكتةً بليغة  
 وأكثرهم نادرةً عالية . يدلّك على هذا أنّ أبا الطيب كان قد نادى في حياته كثيراً من  
 الأمراء ، وكانوا يحبّونه ، ولا يصلح للمنادمة رجل متزمتٌ باردُ الطبع ثقیلُ الظل ، طويلُ  
 الصمتِ جَهْمُ الوجه ، مُقَطَّبٌ . ومما قاله « مُعَاذُ اللّاذِقِ » لأبي الطيب سنة ٣٢١ :  
 « والله إنك لشابٌ خطير ، تصلح للمنادمة ملوكٌ كبير » ، ومعنى هذا أنّ أبا الطيب كان  
 ظريفاً خفيف الروح ، محبباً إلى النفس ، مع وقارٍ وثوثة . ومن تدبّر سخريته في شعره  
 كلّهُ ، وجد فيه هذا المعنى ، إلا أنه لم يكن يَهْزُلُ هَزْلَ السخفاء .

\*\*\*

كان هذا الفتى يمشى في نواحي الكوفة بآلامه وأحقاده وفقره ، ويتنقل في حوانيت  
 الورّاقين يقرأ ما يقع بين يديه من الكتب ، ويختلف إلى مجالس الأئمة يستمع العربية  
 والفقه والجدل ، وينظر متعجباً إلى الحوادث التي تقع بين ظهرائي قومه ، ويتسمّع لما تَرِدُ  
 به الأنباء من أخبار الدولة المترامية الأطراف ، يضحكه ما يقع من الأحداث العجيبة التي  
 ترفع وتضع ما بين عشية وضحاها ، ويكون فيما يرتفع إلى الذروة أقوامٌ ، من العجب أن  
 يصلوا إلى كسب الرزق ، ثم هم يرتفعون فيما يرتفع بهم إلى إمرة الأمراء ، ومشيخة  
 الكتابة ، وسياسة الدولة ، والقضاء بين الناس . فلا عجب بعد أن يكون هذا الفتى  
 الثائر الذي يشهد آثار الأحداث في أمته ، كثير العجب ممّا يرى وما يسمع ، قليلُ  
 الحفل بهذه الأصنام التي ترفعها الحوادث وتضعها ، عظيم العجب بنفسه وما أوتى من  
 فطنةٍ وذكاءٍ وعلمٍ ولسانٍ قولٍ ، لم ينل بها إلا الفقر والمسكنة والجحيم :

٧٤ / لِمَ اللَّيَالِي الَّتِي أُخِنْتُ عَلَى جِدْقٍ      بِرِقَّةِ الْحَالِ ، وَأَعِزَّنِي وَلَا تُلِمُ  
 أَرَى أَنَا سَاءً ، وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ،      وَذِكْرُ جُودٍ ، وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ



وقد بقى في الكوفة على ذلك - فيما نرى - إلى أطراف سنة ٣١٧ ثم خرج إلى البادية القريبة ، بادية الجزيرة المفضية إلى نَجْد ، وفيها قبائل من كَلْب ، فالتقى بهم وأخذ يتنقل بينهم ، لِيَسْمَعَ ما بقى من العربية المبرأة على ألسنة هؤلاء القوم الذين قلت بينهم الأعاجم ، ولم يظفر هناك بطائل إلا ما مرّن عليه من مشقة السّفر ، واكتساب الصديق ، واختبار الخلق . ثم عاد إلى جدّته بالكوفة يشاركها آلامها وشقاءها ، يَنال من فضل بعض أصحابه متعففاً ، كمحمد بن عبيد الله العلوى المشطّب الذى مرّ آنفاً ، ١٥١ .

١٥٣ . ١٦٨ . ولعلّ العلويين الذين نكبوا جدّته كانوا يُفضّلون عليها لِيَتَّقُوا بذلك شرّ أحداثها لو حدّثتها نفسها بشيء . وبقى المُتنبى هناك بالكوفة منقطعاً عن مدح أحد من العلويين أو غيرهم من رجال الكوفة وعظمائها ، وقد جاء في حديث المتنبى الذى ذكرناه آنفاً أنه انحدر مرّة من الكوفة إلى بغداد ، وما نشك أن مخرجه هذا إلى بغداد كان فيما بين سنة ٣١٩ إلى أوائل سنة ٣٢٠ . (١) ودخل صاحبنا بغداد يرى العجب العاجب من الأحداث التى كانت تقع بها ، وشعب الجند على الخلفاء ، وظهور الموالى من العجم والدليم والترك على مواليهم من الأمراء والخلفاء ، وقضائهم فى شؤون الدولة ، وتصريفهم سياسة الأمة على الشهوات المتنازعة والأهواء المتصارعة ، لا يرتدعون ولا يرعّون . فعفّ كذلك عن مدح أحد من هؤلاء الأمراء والخلفاء ، وأنف أن يتكسّب بشعره من هؤلاء المحقرين لديه ، ورضى بالفقر واستمسك به ، وبدأت تندفع الدوافع فى صدره المملوء أحقاداً مؤرّثة ، وتراّت لم ترّو بعد من الدم ، فعجّ صدره / بالنار المضطربة التى لا تهدأ ، ٧٥ .

ثوّرتها أفكاره ونظراته التى لا تفتّر ولا تكِل . ففى سنة ٣٢٠ اعترم الخروج من الكوفة ، وإن أبت جدّته عليه ذلك ، لما كانت تحشى من تدفّعه إلى موارد التّلف بما يحمل فى صدره ، وعقد قلبه على إحداث حدّث لعلّه أن يصيب من ورائه ما يبتغى وما يؤمل ، ويُدرك به فى قوم ثاراً ، ويشفى به صدر جدّته وصدره . ولعلّ هذه الأبيات التى نروها لك كانت آخر ما قاله بالكوفة مما وصل إلينا وما لم يصل من شعره ، ولعله عنى بالخطاب فيها جدّته ، قال :

(١) انظر ما سلف : ١٩٢ . تعليق : ٢ .

مُحِبِّي قِيَامِي ، مَا لِذَلِكَُمُ النَّصْلِ      بَرِيئاً مِنَ الْجَرْحَى ، سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ  
أَرَى مِنْ فِرْنِدَى قِطْعَةً مِنْ فِرْنِدِهِ      وَجَوْدُهُ ضَرْبُ الْهَامِ فِي جَوْدَةِ الصُّفْلِ  
وَحُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْحُضْرَةِ الَّتِي      أَرْتُكَ أَحْمَرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ الثَّمَلِ  
أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ      ( فَمَا أَحَدٌ فَوْقَ وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي )  
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرْفِي وَذَائِلِي ،      نَكُنْ وَاحِداً يَلْقَى الْوَرَى وَأَنْظُرُنْ فِعْلِي

وقوله : « محبي قيامي » ، يعنى ثورته وظهوره وخروجه ، وما نظن أحداً كان يحب ذلك منه غير جدته ، مع خوفها عليه وخشيتها أن يصيبه مكروه ممن يترصص من العلويين ، فيما ذهبنا إليه . وفي الأبيات أكثر بين من ثورة الصبا وغروره ، ولكنها تدل دلالة بيّنة على عزيمة هذا الفتى الأبي الذي يريد أن يدرك ثاراً ، ويحدث أمراً .

ولم يمض إلا قليل بعد ذلك حتى خرج الفتى من الكوفة واتخذ طريقه ، على ما وقع عندنا من الرأى ، من الكوفة إلى بغداد ، ثم خرج لوقته متخذاً / طريقه في ديار ربيعة بين ٧٦  
النهرين إلى نصيبين ورأس عيني وحران ومنبج ، وطبق يتنقل بين القبائل في جوف البوادي حتى انقضى به المسير إلى الشام في سنة ٣٢١ ، فنزل بدمشق وأعمالها وما يدانيها ، ( أعنى بعلبك ، وطرابلس وحمص ) ، ثم كره الأرض التي نزلها ، ثم صعد سنته إلى منبج وحلب واللاذقية وأنطاكية ، ومدح بها من مدح ، ثم اعتقل بحمص ، لما قالوا به من ادعائه العلوية ، ثم النبوة ، ثم العلوية ، ثم استتيب وأشهد عليه بالكذب فيما ادعى ، ثم تاب وأطلق . هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير ميسر بعد لغموضها ونقصها . وهذه الرحلة عندنا تفسير آخر سنعرضه بعد .

- ٥ -

سَيَصْحَبُ النَّصْلَ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ  
وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ  
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَا تَ مُصْطَبِرٍ  
فَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لَا تَ مُفْتَحِمٍ  
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدًا  
وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرَبِ وَالْعَجَمِ  
فَإِنْ أَجَابُوا ، فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ ،  
وَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ

- ٧٧ / النبوة في حياة المتنبي هي أبرز الحوادث التي عُرف بها الرجل ، ثم تُيزر بها بُعد .  
وقد اختلف الناس في أمرها اختلافاً كبيراً ، فعلى هنا أن نذكر لك أول ذى بدء رواية  
الرواة في أمر نبوته ، تامة كما رووها ، ثم نعقبها برأينا الذى ارتضيناه ، وقضينا به . وقد  
جاءت الرواية بها عن التنوخى الذى مر ذكره في أول كلامنا عن نسب المتنبي ، وجاءت  
أخرى عن أبى عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى الذى قال : إنه لقي المتنبي باللاذقية ،  
وبايعه بالنبوة ، وأخذ يبعثه لأهله أيضاً !! كما سترى .

\*\*\*

- ١ - روى التنوخى ( على بن المحسن ) ، عن أبيه المحسن التنوخى ، عن  
القاضى أبى الحسن بن أمّ شيبان الهاشمى الكوفى ، قال :  
٧٨ / « وقد كان المتنبي لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسنى ، ثم  
ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشأم بالكذب في

الدعويين ، وحُيس دهرًا طويلًا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب ، وأشهد عليه بالتوبة وأُطلق .

٢ ... وحَدَّث التَّنُوخِيُّ أيضًا ، عن أبيه المحسن قال ، حدثني أبو علي بن أبي حامد قال :

« سمعت خلقًا بحلب يحكون ، وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك ، أنه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ ، أمير حمص من قبل الإخشيدية ، فقاتله وأثقره ، وشرّد مَنْ كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحَبَسَه في السجن حبسًا طويلًا ، فأعتلّ وكاد أن يتلف ، حتى سُئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائب منه ولا يُعاوِدُ مثله ، وأطلقه » (١) ... ..

...

ثم هذا حديث مُعَاذٍ اللَّاذِقِيُّ ننقله على طوله :

٣ - « قَدِمَ أَبُو الطَّيِّبِ اللَّاذِقِيُّ فِي سَنَةِ ثَيْفٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثُمِئَةً ، وَهُوَ لَا عِذَارَ لَهُ ، وَلَهُ وَفَرَةٌ إِلَى شَحْمَتِي أُذُنِيهِ ، فَأَكْرَمْتَهُ وَعَظَّمْتَهُ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَحَسَنِ سَمْتِهِ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ الْأَنْسُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَخَلَوْتُ مَعَهُ فِي الْمَنْزِلِ اغْتِنَامًا لِمُشَاهَدَتِهِ ، وَاقْتِبَاسًا مِنْ أَدَبِهِ قَلْتُ :

/ - وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشَابٌّ خَطِيرٌ ، تَصْلُحُ لِمُنَادِمَةِ مَلِكٍ كَبِيرٍ .

٧٩

- فَقَالَ : وَيْحَكَ !! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ أَنَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ !

فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَهْزُلُ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ كَلِمَةً هَزَلُ قَطُّ مِنْذُ عَرَفْتَهُ .

(١) هذا الحديث تنمة فيها ذكر قرآن أبي الطيب وغير ذلك سنعرض له فيما بعد .

- فقلت له : ما تقول ؟
- فقال : أنا نبي مرسل .
- فقلت : إلى من مرسل ؟
- فقال : إلى هذه الأمة الضالة المضلّة .
- قلت : تفعل ماذا ؟
- قال : أملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً .
- قلت : بماذا ؟
- قال : بإدراج الأرزاق ، والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصا وأبى .

- فقلت له : إن هذا أمرٌ عظيمٌ أخاف عليك منه ! وعدّلتُه على ذلك .
- فقال : بديهة :

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ ، إِنِّي      خَفِئْتُ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي  
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مُطَلَّبِي ، وَأَتَى      أُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهَاجِ الْجَسَامِ  
أُمِثْلِي تَأْخُذُ التَّكْبَاتُ مِنْهُ ،      وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ ؟  
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصاً      لَخَضَّبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي  
وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتُهَا اللَّيَالِي      وَلَا سَارَتْ فِي يَدِهَا زِمَامِي  
إِذَا امْتَلَأَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مِنِّي      فَوَيْلٌ فِي التِّيْقُظِ وَالْمَنَامِ

- فقلت : ذكرت أنك نبي مرسل إلى هذه الأمة ، أفيوحي إليك ؟

- قال : نعم !

- قلت : فأنزل علي شيئاً مما أوحى إليك !

- فأتاني بكلام / مَا مَرَّ بِمِسْمَعِي أَحْسَنُ مِنْهُ .

- فقلت : وكم أوحى إليك من هذا ؟
- فقال : مئة عِبرَةٍ وأربعَ عشرة عِبرَةٍ .
- قلت : وكم العِبرَةُ ؟ فأتاني بمقدار أكبر من الآي في كتاب الله تعالى .
- قلت : في كم مدة أوحى إليك ؟
- قال : جُمْلَةً واحدةً .
- قلت : أَسْمَعُ في هذه العِبرَات أن لك طاعة في السماء ، فما هي ؟
- قال : أحبس المِندَرَارَ ، لقطع أرزاق العُصاة والفُجَّار .
- قلت : أتحبس في السماء مطرها ؟
- قال : إِي والذي فطرها ! أَمَا هِيَ مُعْجِزَةٌ ؟
- قلت : بلى والله .
- قال : فَإِنْ حبست المطر عن مكان تنظرُ إليه ، ولا تشك فيه ، هل تؤمن بي ،  
وتصدّقني على ما أُوتيتُ من ربِّي ؟
- قلت : إِي والله .
- قال : سأفعل ، ولا تسألني عن شيءٍ بعدها ، حتى آتيك بهذه المعجزة ،  
ولا تُظهِرُ شيئاً من هذا الأمر حتى يَظْهَرَ ، وانتظرْ ما وُعِدْتَهُ من غير أن تسأله .
- ثم قال لي ، بعد أيام : أَتُحِبُّ أن تنظرَ المعجزةَ التي جرى ذكرها ؟
- قلت : إِي والله .
- فقال لي : إذا أرسلتُ إليك هذا العبد فاركب معه إلَيَّ ولا تتأخر ولا تُخْرِج  
معك أحداً .
- قلت : نعم .

« فلما كان بعد أيام تغيّمت السماء في يوم من أيام الشتاء ، وإذا عبّده قد أقبل فقال : يقول لك مولاى : أركب للموعد . فبادرتُ إلى الركوب معه ، وقلت : أين ركب مولاك ؟

- قال : إلى الصحراء . واشتدّ وقع المطر فقال : بادر بنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاى ، فإنه ينتظرنا بأعلى تلّ لا يصيبه فيه مطرٌ .

- قلتُ : وكيف عمل ؟

- قال : أقبل إلى السماء أوّل ما بدا السحاب الأسود ، وهو يتكلم بما لا أفهم ، ثم أخذ السوط فدار به في موضع تنتظر إليه ....

« وإذا هو على تلّ بعيد عن البلد نصف فرسخ ، فأتيت إليه ، فإذا هو على التلّ لم يصبه من ذلك المطر شيء ، وقد / خُضْتُ في الماء إلى رُكبة الفرس ، والمطر في أشدّ ما يكون . ونظرتُ إلى نحو مئتي ذراع في مثلها من ذلك التلّ ما فيه قطرة مطر . فسَلَمْتُ عليه ، فردّ علىّ السلام . فقلت : ابسط يدك ، أشهد أنّك رسول الله . فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ، ثم قال :

أَيَّ مَحَلٍّ أُرْتَقَى      أَيَّ عَظِيمٍ اتَّقَى  
وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللَّهُ      هُوَ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ  
مُحْتَقَرٌّ فِي هِمَّتِي      كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي

« وأخذتُ بيعته لأهلى ، ثم صَحَّ بعد ذلك أن البيعة عَمَّتْ كُلَّ مدينة بالشام ، وذلك بأصغر حيلة تعلّمها من بعض العرب ، وهى « صَدْحَةُ المطر » يصرّفه بها عن أى مكانٍ أحبّ ، بعد أن يحوى بعضاً وينفث في الصَدْحَةِ التى لهم .

« قال أبو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسُّكُونِ وَخَضِرَمُوتِ وَالسَّكَّاسِكِ من الذين يفعلون هذا ولا يتعاطمونّه ، حتى إنّ أحدهم يَصْدَحُ عن غنمه وإبله وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطر ، وهو ضَرْبٌ من السَّحَرِ . وسألت المتنبي بعد ذلك : هل دخلت السُّكُون ؟ قال : نعم ! أما سَمِعْتَ قولى :

مِلْتُ الْقَطْرَ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا      وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّفِيعَا  
أَمْنَسِيَ السَّكُونِ وَحَضَرَمَوْنَا      وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّيِّعَا

« فقلت : مِنْ ثَمَّ أَسْتَفَادَ مَا جَوَّزَهُ عَلَى طَعَامِ أَهْلِ الشَّامِ .... ( وأنت منهم يا أبا عبد الله إذن ، فقد آمنت بنبوته ) ؟؟ »

/ ثم قال أبو عبد الله هذا : « ومما كان يُمَخَّرَقُ به في البادية ، أنه كان مَشَاءً قَوِيًّا على السير ، يسير سيرًا لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ومحالّ العرب بها . وكان يسير من حِلَّةٍ إلى حِلَّةٍ بالبادية ، وبينهما مسيرة أربعة أيام ، فيأتي ماءً فيغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم يأتي أهل هذه الحِلَّةِ فيخبرهم ما حدث في تلك الحِلَّةِ التي فارقتها ، ويوهم أن الأرض تُطَوَّى له . وسئل في تلك الأيام عن النبي ﷺ : فقال : أَخْبَرَ بِنَبَوَّتِي حيث قال : « لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وأنا آسَمِي في السماء « لا » .

« ولما أَشْتَهَرَ أمره ، وشَاعَ ذِكْرُهُ ، وخرج بأرض ( سَلَمِيَّة ) من عمل حمص في بني عَدِيٍّ ( وظهر منه ما خِيفَ عاقبته ) ، <sup>(١)</sup> قَبَضَ عليه آبن على الهاشمي في قرية يقال لها ( كُوْتَكِين ) ، وأمر النَجَّارَ أن يجعل في رجله وعنقه قُرْمَتَيْنِ من خشب الصفصاف ، فقال المتنبي :

زَعَمَ الْمُقِيمُ بِكُوْتَكِينِ بَأْثُهُ      مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِنِ عَبْدِ مَنَافٍ  
فَأَجَبْتُهُ : مُذْ صِرْتُ مِنْ أَبْنَائِهِمْ      صَارَتْ قُيُودُهُمْ مِنَ الصَّفْصَافِ »

\*\*\*

انتهى حديث مُعَاذِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ اللَّاذِقِ ( أَيْ عَبْدِ اللَّهِ الصَّدِّيقِ !! ) ( الذي كان أوَّلَ من صدَّقَ نبوةَ أبي الطيب وآمن به وأخذَ ببعثته لأهله !! )

\*\*\*

(١) في بعض الكتب هذه الزيادة .



وما دمنا قد أطلنا بذكر هذا الحديث فلا بأس عليك ، إن شاء الله ، لو نقلنا لك ما رواه أبو العلاء المعري أيضاً قال :

٤ - / « وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه ، أنه لما حصل في بني عديّ وحاول أن يخرج فيهم قالوا ، وقد تبيينوا دَعَواه : هُهنا ناقةٌ صعبةٌ ، فإن قَدَرْتَ على رُكوبها أقررنا أنك مرسل = وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي رائحة في الإبل ، فتحيّل حتى وثب على ظهرها ، فتفترت ساعةً وتكرّرت بُرْهةً ، ثم سكن نفاؤها ومشت مشى المُسَمِّحة ، وأنه ورد بها الجَلَّة وهو راكبٌ عليها ، فعجبوا له كلّ العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

« وحدث أيضاً أنه كان في ديوان اللادقية ، وأن بعضَ الكتاب انقلبَت على يده سيكين الأفلام فجرحته جرحاً مُفْرِطاً ، وأن أبا الطيب ثقل عليها من ريقه وشدَّ عليها غير منتظر لوقته . وقال للمجروح : لا تحلّها في يومك ! وعدَّ له أياماً وليالي ، وأن ذلك الكاتب قُبِل منه ، فَبَرِيء الجرحُ ، فصاروا يعتقدون في أبي الطيب أعظم اعتقاد ويقولون : هو كمحيي الأموات .

« وحدث رجلٌ كان أبو الطيب قد استخفى عنده في اللادقية أو في غيرها من السواحل : أنه أراد الانتقال من موضع إلى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلبٌ ألحَّ عليهما في الشباح ، ثم انصرف . فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد ذلك الكلب قد مات . فلما عاد الرجل ألقى الأمر على ما ذكر .... ولا يمتنع أن يكون أعدَّ له شيئاً من المطاعم مسموماً ، وألقاه ، وهو يخفى عن صاحبه ما فعل ..... و « الخريق » سَم الكلاب » .

\*\*\*

٨٢ / هذا حديث نبوته ونبوءاته ومعجزاته عند أكثر الرواة ، أمّا قرآنه فقد أجمعوا أنه لم يبق إلا ما نرويه لك . قال أبو علي بن أبي حامد ، الذي مرّ آنفاً :

٥ - وكان ( يعنى أبا الطيب ) قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه ، وكانوا يحكّون له سوراً كثيرةً ، نَسَحَتْ منها سورة ضاعت ، وبقي أولها في حفظي ، وهى :

« وَالنَّجْمِ السَّيَّارِ ، وَالْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، إِنَّ الْكَافِرَ لَفِيْ أخطار ، آمُضِ عَلَى سَنَنِكَ ، وَأَقْفُ أَثْرَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَامِعُ زَيْغٍ مِنْ أَلْحَدِ فِي دِينِهِ ( الدين ) وضلَّ عن سبيله ( السبيل ) » .

قال : وهى طويلة ، لم يبق منها فى حفظي غير هذا .

\*\*\*

وأنا لا أحبُّ أن أتجاوز هذه النصوص إلى ما سواها ، إلا وقد نظرت فيها وبصّرت القارىء بالتوائها وضعفها ووهنها ، ويأتيه ما استنبطناه وقد وقر فى نفسه ردُّ هذه المقالة التى نُيز بها أبو الطيب ، وبذلك يقوم ردنا مقام البيّنة على ما أردناه ، أصبنا أو أخطأنا .

لن نعود تارة أخرى إلى ما قدّمنا من ذكر التنوخى ، ثم روايته عن أبى الحسن العلوى وابن أم شيبان الهاشمى ، ففى أول كلامنا تجدُّ بعض الأدلة على وهن رواية التنوخى ، واستسقاطنا إياها ، ولا غنى لك عن العودة إلى تذكره عند هذا الحديث عن نبوة المتنبى . [ انظر القول فى التنوخى فيما سلف : ١٤٥ - ١٤٩ ] .

٨٥

/ بيّنا لك فيما مرَّ ما بين أبى الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأرٌ قديمٌ هو الذى أراد أن يدركه فيهم ، وينال « حقه » منهم ، ورجع عندنا الاستنباط أن يكون أبو الطيب « علويّاً » منكوباً فى نسبه وشرفه وجاهه ، وأنه كان يريد أن يظهر نسبته إلى العلويين ، ولكن عارضته دون ما أراد أهوالٌ وأحداثٌ ، فإذا جمعت هذا الرأى هنا ونظرت فى النص الذى وقع إلينا من التنوخى عن ابن أم شيبان الهاشمى ، [ رقم : ١ ] ، وهو علوىٌّ كبير ، ملكك الشكُّ وغلب عليك فيما روى ، فإنه لم ينس أن يذكر لنا فيما قال - لو صدق التنوخى فى روايته عنه - أن أبا الطيب ادّعى العلوية مرتين .

\*\*\*

أما حديث معاذ بن إسماعيل اللاذقي [ رقم ٣٠ ] ، فنقد سندُه لا يتيسر لنا ، لأن صاحبنا هذا اللاذقي مجهولٌ لم نفع له على ذكر ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التي تُسبب إليها كانت لوقت أي الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومحطاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في التاريخ العربي كله . فلا بأس من أن تجعل هذا ذكراً مذكوراً وأنت تتبصر في أصل الرواية ، على وَهْها وتضارُّها وتهالك معانيها التي يُفسد بعضها بعضاً ، كما ستري بعد .

\*\*\*

فالحديث الأول ، وهو حديث ابن أمّ شيبان الهاشمي ، [ رقم ١٠ ] ، عجيبٌ لا يُفرغ العجب من اختصاره وتداخله . فهو رُتَّب أمر ظهور المنتبى على درجاتٍ ثلاثٍ :  
الأولى : ادَّعَاؤه العلوية = والثانية : ادَّعَاؤه النبوة = والثالثة : ادَّعَاؤه العلوية مرة أخرى .

فأما أن يدَّعي العلوية ، ثم يعود فيدَّعي النبوة ، فهو قولٌ لا بأس به ، ولكن العجب أنه بعد هذا عَقَّب على « النبوة » بلفظ التعقيب ( ثم ) ، فقال « ثم عاد يدَّعي أنه علوي » . فالذي يدَّعي النبوة ويُبَاع بها ، كما يقول / اللاذقي الصديق !! ، لا يُعَقَّب على هذه الدعوى بالعلوية . فادعاء الرجل النبوة ، ثم انحطاطه منها إلى العلوية ، إكذاب لنفسه ، وإقرارٌ منه بالمَحَرَقَةِ على الناس والعبث بهم ، ولا يكون ادَّعي النبوة ثم ينحطُّ منها إلا بعد قتالٍ يُرغم فيه على التسليم ، ولا شك أنه لو كان فُعل بصاحبنا ذلك ، لحبس لوقته قبل أن يتمكن من القيام بالدعوة إلى نفسه مرةً أخرى بين بني كلب فيدَّعي العلوية . ثم لو أنه كان مُطلقاً ، ورجع عن النبوة إلى ادعاء العلوية ، لكان ذلك كافياً في تكذيبه وتحقيره عند من سلَّموا له بما ادَّعى من علويَّته بدءاً ، وثبوتَه بعد . فهذا وجه في إبطال هذا النص .

\*\*\*

أما حديث أبي علي بن أبي حماد ، [ رقم : ٢٢ ] ، ولم نعرف الرجل ، فهو حديث محكم لا يقع فيه هذا الاعتراض الذى قدمناه ، إذ اقتصر صاحبه على ذكره النبوة وحدها ، وما يأتية التوهين إلا من قِبَل غَرَابَتِهِ عما جرت عليه الأحكام فى شأن مَنْ يَدْعُونَ النبوة .

فيقول أبو علي : إِنْ لَوْلَا أَمِيرَ حمص : « استتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام » .

أما أن يستتبه ويُشْهَد عليه أنه تائب ، فهذا لا بأس به ، وهو الحكم مع المتنبئين .

وأما أن يكتب وثيقة عليه ببطلان بُبُوته ، فهذا أمرٌ لا معنى له ، لأن الوثيقة إنما تُكْتَبُ فيما يُخَاف من قِبَلِهِ مُعَاوَدَةُ الدَّعْوَى ، فتكون إقراراً مكتوباً مشهوداً عليه بالبطلان من المدعى نفسه ، كدعوى الملكية فى العُرُوض ، ودَعْوَى العلوية « مثلاً » فى النسب ، فتكون الوثيقة حُجَّةً عليه إذا عَادَ لِيَحَاجَّ الناس فيما ادعاه ، بعد الإقرار على نفسه بالكذب فى الدعوى الأولى . أما النبوة ، فالأمر فيها على غير ذلك ، فإن الرجل إذا ادَّعى النبوة ثم / استتَبَ وأشْهَد على نفسه بالكذب فيما ادَّعى ، ثم رجع بعد ذلك يدَّعيها مرة أخرى ، لم يكن يُنْظَرُ حتى يحَاجَّ الناس فيما يدَّعى ، ويقول لهم : إنكم لم تأخذوا على وثيقة مكتوبة مشهوداً على فيها بالكذب ، وإنما يكون جزاؤه القتل من غير إنظار ولا استتابة .

٨٧

فهذه الوثيقة التى ذكرها أبو علي ، إذا صح أمرها ، إنما تكون قد أخذت عليه فى دعوى العلوية لا دعوى النبوة . فأنت ترى أن نصَّ ابن أم شيبان فيه ذكر العلوية مرتين ، وأن ذكر النبوة يكاد يكون مُفَحِّمًا فيه = وترى أن نصَّ أبي علي بن أبي حماد يرجح دعوى العلوية لا دعوى النبوة ، فإذا قرئت هذا إلى ما تمادينا فى ذكره عن نسب المتنبى ، وما أتينا به من الحجة فى ترجيح نسبته إلى العلويين ، لم تَبْعُدْ عن الحكم بأن هذه الروايات إنما يراد بها « دعوى العلوية » لا « دعوى النبوة » .

أما ثالث الأحاديث ، وهو حديث أئى عبد الله الصديق !! معاذ بن إسماعيل اللاذقى ، [ رقم : ٣ ] فعجب كله ، وبطلانه بين للمتدبر أدنى التدبر ، ولولا أن كثيراً من كتب عن المتنبي مر به ولم يعرض له لتركناك نحكم بوضعه من سياقه ومدرجه ، دون أن نأخذ أنفسنا بنقده . وأنت إذا تدبرت الحوار الذى زعمه أبو عبد الله هذا بينه وبين أئى الطيب ، لم تشك ساعة فى أن الرجل كان يضع هذا الكلام وضعا ولا يرويه رواية . والعجب له !! قد آتهم نفسه فى مواضع من كلامه بقله العقل وعمى البصيرة ، وسرعة التهور فى التسليم .

فهذا المسمى مُعَاذاً كان ولا شك رجلاً مسلماً مُدْرِكاً يملك من العقل مقداراً يكفى ، على الأقل ، فى الإنصات له إذا حدث ، وإلا يطل حديثه هذا / من غير محاولة منا فى إبطاله ... فإن كان كذلك ، أو أقل من ذلك قليلاً ، فما نطئه كان يصبر على الرجل حين أدعى النبوة كل هذا الصبر ، فيتأدى فى الحوار معه ، ثم يصف كلام فتى فى السابعة عشر أنه « ما مرَّ بسمعه أحسن منه » . فهذه إما أن تكون كلمة جاهل ، وإما كلمة وضاع يريد أن ينتقص من الرجل ، فهو يهين لانتقاصه بامتداحه وتعظيمه .

ثم كيف يُعقل أن رجلاً مسلماً كان فى عصر المتنبي ، ثم فى مدينة كاللاذقية ، ويدل كلامه على بعض العلم ، يُصدّق دعوى حبس المطر ويُعدها معجزة ، فضلاً عن تصديقه النبوة بعد موت محمد ﷺ ؟

وأعجب من ذلك فى الوضع البين أن يدعى هذا المسمى معاذاً أنه أقرّ بنبوة المتنبي ، ثم بايعه لما رأى معجزة حبس المطر ، وأنه أخذ البيعة لأهله أيضاً على الإيمان به ، فأئى رجل مسلم غير جاهل ولا مفتون فى ذلك العصر ، يتهور فى الكفر بغير معجزة ولا بينة ؟

ومن عجيب سهُو هذا اللاذقى فى الوضع أنه قال بعد ذلك تَوّاً : « يريد معجزة حبس المطر » ، « وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب » . فلو أنه كان قد اتقن

وضعه ، لزعم أنه بقى على بيعة المنتبى والإقرار له بالرسالة ، إلى أن رأى ، بعد زمانٍ ، أو سمع وأستيقن ، أن الذى فعله المنتبى وزعمه معجزة له ، أمر مشهور عند بعض العرب يتعاطونه إذا كَرَبَهُمُ المَطَرُ ، ثم يصف كما وصف أنه « صَدْحَةُ المَطَرِ ، يصرفونه بها عن أى مكان يحبون ، بعد أن يحووا بعضاً وينفثوا فى الصَّدْحَةِ التى لهم .... الخ » ، فكفر بنبوة المنتبى لذلك ، وتاب ورجع إلى الإسلام .

ثم من ضعف وضع هذا اللادق أنه زعم أنه كان قد رأى كثيراً من أهل السَّكُونِ وحَضَرَمَوْتِ يفعلون صَدْحَةَ المَطَرِ ولا يتعاطونها ، فسأل المنتبى : هل دخلت السَّكُونِ ؟ قال : نعم ! وما دام / اللادقُ هذا كان قد عَرَفَ هذه الصَّدْحَةَ ، فكيف آمن بنبوة صاحبه ، ولا دليل له على نبوته غيرها ، وهى مشهورة فى اليمن معروفة معمول بها ، كما يقول !!

وأعجب من هذا أنه يدعى أن دعوة المنتبى قد عمَّت كل مدينة بالشَّامِ وبويع له بها .

كيف يكون هذا ؟ والشَّامُ إذ ذاك منزل من منازل أئمة الدين والعلم ، وكان أكثر أهلها لا يتخلفون عن صلاة ، ولا يزال بين ظَهْرَانِيهِمْ عالمٌ يقرأ فى مجلسه ، أو واعظ يعظ فى حَلَقَتِهِ ، أو خطيبٌ يخطب من منبره ، ثم يؤمنون بدعوى رجل لا تؤيده مُعْجِزَةٌ بَيَانِيَّةٌ ، ولا خارقةٌ كونية . وإن زعمنا أن اللادق قد آمن بالمنتبى لصدْحَةِ المَطَرِ ، أفئو من له كل مدينة بالشَّامِ وتباعيه لهذه الضلالة ، أو هذه الأكذوبة التى لا تعقل ؟ ليكن اللادق رجلاً لا عقل له ، أفىكون أهل الشَّامِ كلُّهم هذا الرجل ؟!

ويقول اللادق للمنتبى يخوفه مما يقول به من النبوة : « إن هذا أمرٌ عظيمٌ أخاف عليك منه » ، فيجيبه المنتبى بشعر لا ذكر للنبوة فيه ، وإنما هو شعرُ رجلٍ مُقاتِلٍ يريد الحرب ، لا مقالةً نبويَّةً يريد أن يؤمنَ الناس به . ثم إن الذى قاله فى الشعر يدل على غير ذلك ، فإنه قال :

ذَكَرْتُ جَسِيمَ مُطَلْبَى ، وَأَتَى  
أَخَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهْجِ الْجِسَامِ

وليست النبوة مطلباً يُطْلَبُ وَيُخَاطَرُ فيه بالنفس والنفيس ، وإنما النبوة أمرٌ من الله لمن أوحى إليه أن يَصْدَعَ بما يؤمر به ، فيكون عمله هدايةً للناس باللين أو بالشدة كما يشاء الله ، فلا يكون ذلك مطلباً للنبى يريد أن يناله ، بل / يكون أمراً يجب أن يطيعه ويعمل ٩٠ به ، وكذلك الأبيات التى أنشدها :

أَيَّ مَحَلٍّ أُرْتَقَى      أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقَى

فالقول فيها قريب من هذا .

أما البيتان الأخيران ، فهما الدليل على تلفيق الرجل ، فالبيت الأول هذا : « مُلِثَ الْقَطَرُ » ، أول قصيدة للمتنبى ، والبيت الثانى فى آخر القصيدة ، ولا رابط بين البيتين حتى ينشدهما المتنبى معاً فى الاستدلال على دخول السكون أو حضرموت ، وكان يكفيه البيت الثانى فى الاستدلال لما أراد . ثم إن المتنبى ، بغير شك ، لم يدخل اليمن فى حياته كلها من يوم وُلِدَ إلى يوم مَاتَ . أما الذى ذكر فى الأبيات فهو ، كما قدمنا لك ، أسماء خطط لأهل اليمن بالكوفة التى ولد بها أبو الطيب ، [ انظر ص : ١٤١ ] .

وأيضاً ، فإن هذه القصيدة التى منها هذان البيتان ، فى مدح على بن إبراهيم التنوخى ، وكان مدحه سنة ٣٢٣ بعد خروجه من السجن ، أو بعد رجوعه عن الكوفة إلى الشام سنة ٣٢٦ ، على ما حققناه . (١) وهذا الذى ذكره اللادق فى حديثه كان سنة ٣٢١ ، قبل أن يُقْبَضَ عليه . فهذه كلها أدلة بينة على وضع القصة وتلفيقها ، وأنها وضعت على الأرجح بعد وفاة المتنبى بزمان .

ومن أكاذيب هذه الرواية أيضاً ، دعواهم أن المتنبى كان عارفاً بالفلوات ومواقع المياه ، ومحالاً العرب بها ، فذلك لا يتيسر إلا لمن وُلِدَ بهذه البلاد / ونشأ بها ، والمتنبى ٩١ دخل البلاد فى السنة التى يروى فيها اللادق هذا الحديث ، وحُبِسَ فى السَّنة نفسها ، فما

(١) الرأى هو هذا الأخير كما سترى بعد فى موضعه ، ولا يصح عندنا غيره .

كان له أن يعرف مجاهل البادية ومواقع مياهها ومحال أهلها ، كما زعم ، في قلة من الوقت . فانظر الآن ما تقول في هؤلاء الوضعيين ؟

\*\*\*

أما معجزات المتنبي التي ذكرها أبو العلاء المعري ، [ رقم : ٤ ] فلا نتكلم فيها لأن بطلانها بين وفسادها مكشوف ، ولقد علمت بهذه الأحاديث التي رويناها لك ، أنهم كانوا يريدون أن يتهموا الرجل بما هو منه براء ، فأولئ أن تكون المعجزات التي رواها أبو العلاء ضرباً من الكيد له ، وتأيداً لاتهامهم الرجل بدعوى النبوة . (١)

\*\*\*

أما قرآنه ، الذي رواه أبو علي بن أبي حامد ، [ رقم : ٥ ] فهو كما ترى ليس بقرآن ، وإنما هو « ضرب من الهذيان » ، والعجب أن يبايع له اللاذقي ولا يحفظ من قرآنه شيئاً ثم يصفه فيقول : « ما مرَّ بمسمعى أحسن منه » ! [ انظر ص : ٢٠١ ] ثم الأعجب أن نعيم يبعثه كل مدينة بالشام كما قال ، ولا يبقى من قرآنه إلا هذه الحماقة الصغيرة التي رووها ، يزعم أبو علي بن أبي حامد أنها بقيت في حفظه !!

\*\*\*

ولا ندري لماذا أصيب المتنبي بهذا العجب !! ففي مسألة نسبه ، كانت نسبته إلى جُعْفَى بن سعد العشيرة ، التي كان يخفيها خوفاً ، لا يعرفها إلا التنوخي وابن أم شيبان ، وأبو الحسن العلوي = وقرآنه لا يحفظه إلا أبو علي بن أبي حامد واللاذقي ، = على فرض أن اللاذقي حفظ ما حفظه أبو علي = ثم لا يحفظان معاً منه إلا قطعة بعينها ، مع أن

(١) انظر تمة القور في الصفحة التالية ، والتعليق رقم : ١



اللاذقي قد ذكر تعدّادها مئة عبدة وأربع عشرة عبدة ، [ انظر ص : ٢٠٢ ] واتفقا معاً على حفظ هذه القطعة ونسيان ما بقي من هذا العدد !!

\*\*\*

٩٢ / وبعد ، فإنّ أحداً لا يشك في أن الرجل ( أبا الطيب ) كان قد سجن لأمرٍ ما ، ولكن حرص هؤلاء الذين رَوَيْنَا أقوالهم على أن يجعلوا حبسه من أجل النبوة ، يجعلنا نرى أنهم جعلوا مسألة « النبوة » غطاءً يسترون به حقيقة ما قام من أجله أبو الطيب فقُبض عليه . <sup>(١)</sup> ويبيّن على مذهبنا في نسب المتنبي أن الرجل حُبس من أجل « دعوى العلوية » التي ذكرها الرجل الطيب آبن أم شيبان ، وأقحم عليها « النبوة » ، ليجعل دعواه في علويته كذباً ، فإن الذي يدّعي النبوة لا يتورّع عن ادّعاء العلوية . ثم إن هذا الرأي من آبن أم شيبان ، لو صحّ عنه ، يزيدنا يقيناً بأن الرجل كان يعرف من أمر نسب المتنبي شيئاً ، ويريد أن يخفيه ، وأن لا يُظهِر عليه أحداً من الناس .

ومسألة القبض على المتنبي وحبسه ، لها عندنا سياق تاريخي آخر استنبطناه ، ولكن يحسن بك أن تهَيّء في نفسك مرة أخرى ما قلنا به من نسبة المتنبي إلى العلويين ، وما أفضنا فيه من القول في عدة مواضع ، ليسهل عليك أن تعيننا على تحقيق ترجمة الرجل . هذا ، ونحن والقاريء في هذا الموضوع سواء ، فمن تبين له وجه أو توجه له رأي ، فليكتب لنا به مشكوراً .

\*\*\*

(١) فكأنه من المقصود به أن كلّ هؤلاء الرواة لحر بوة أبي الطيب ، شيعة علويون ، حاشا أي العلوي المعري . فإنه متى عر امتسى دعوى النبوة ، اتى ذكرها ابن القارح الشيعي في رسالته ص : ٢٥ [ رسالة اعفران ، ست الشاطيء ، الطبعة الثانية ] . فقال أبو علاء : « وحدثت أنه كان إد سئل عن حقيقة هذا اللقب قال : هو من النبوة ، أي المرتفع من الأرض . وكان قد طمع في شيء قد طمع فيه من هو دونه ( يعني ثورة امتسى وحبسه ) ، ثم قال أبو علاء : « وقد دلت أشياء في ديوانه على أنه كان متألهاً ، ومثل غيره من الناس مُتَدَلِّهاً » [ رسالة اعفران ، طبعة ثانية ص : ٤١٠ ، ٤١١ ] . فأبو العلاء لم يذكر ما ذكره [ انظر رقم ٤٠ ] دلالة على بوة أبي الطيب ، بل دلالة على قلة عقل من روى هذه الأحبار . مع ظهور غلطها .



- ٦ -

دَعَوْتُكَ لَمَّا بَرَأْنِي الْبَلَاءُ  
وَأَوْهَنَ رَجُلِي ثِقْلُ الْحَدِيدِ  
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي النَّعَالِ  
فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقِيُودِ  
وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفِلِ  
فَهَا أَنَا فِي مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ  
فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ  
وَلَا تَعْبَانَّ ( يَجْعَلُ الْيَهُودَ )  
وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى ( أُرْدَتْ )  
وَدَعْوَى ( فَعَلَتْ ) بِشَأْنٍ بَعِيدِ

٩٣ / قلنا إن المتنبي في أواخر سنة ٣٢٠ ، اعتزم الخروج من الكوفة ، وأنه عقد قلبه على إحداث حَدَثٍ لعله يُصِيب من ورائه ما يبتغي وما يؤمل ، ويدرك به ثأراً في قوم ، ليشفي به صدرَ جدته وصدره ، ثم أنفذ عزمه في الرحلة عن الكوفة إلى بغداد ، ومن ثم اتخذ طريقه مُصْعِداً إلى ديار ربيعة بين النهرين ، إلى الموصل ونصيبين ورأس العين ، وانحدرَ بعدَ إلى الشام ، فقبض عليه هناك .

٩٤ وكان مُرُور المتنبي برأس عين في أوائل سنة ٣٢١ على الأرجح ، وفي تلك السنة حدثَ حادثٌ كان من جرَّائه أَنْ قُتِلَ أَبُو الْأَعْرَبِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ / ( ابن عم سيف الدولة ) . وذلك أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ اجتمعوا إلى بَنِي أَسَدِ الْقَاصِدِينَ إلى أرض الموصل ومن معهم من طييء ، فصاروا يداً واحدة على بَنِي مَالِكٍ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ ثَعْلَبٍ ( وهم قوم بني حَمْدَانَ ) ، وَقَرَّبَ بعضهم من بعض للحرب . فركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن

حمدان ، ( أخو سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان ) ، في أهله ورجاله ومعه أبو الأغر بن سعيد بن حمدان للصالح بينهم ، فتكلم أبو الأغر فطعن رجل من حزب بني ثعلبة فقتله ، فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا ، وقتل منهم ، ومُلكت بيوتهم ، وأخذوا حريمهم وأموالهم ، ونَجَوْا على ظهور خيلهم ، وتبعهم ناصر الدولة إلى الحديثة ( بقرب الموصل ) . فلما وصلوا إليها ، لقيهم يَأْنَسُ غلامٌ مُؤَنَسٌ ، وقد وَلِيَ الموصل وهو مُصْعَدٌ إليها ، فانضمَّ إليه بنو ثعلبة وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة . وانقطع عند هذا التاريخ الذى بين أيدينا فى كتب التاريخ ، ولكن بعضُ رُواة ديوان المتنبي أو شراحه يقولون : <sup>(١)</sup> إن المتنبي مرَّ برأس عين فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمئة ، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو بن حابس من بنى أسد ، وبنى ضبَّة وبنى رياح من بنى تميم ، فمدحه بقصيدته التى أولها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْآرَامِ جَلَبَتْ جِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ جِمَامِي

وذكر ما كان من أمر سيف الدولة مع هؤلاء الذين ذكرناهم من قبائل العرب النازلين فى أرض الموصل وما جاورها . فبيِّن أنَّ لقاءَ سيف الدولة لهؤلاء الخارجين من بنى أسد وبنى ضبَّة وبنى رياح ، كان على إثر قتلهم ابن عمه ( أبا الأغر بن سعيد بن حمدان ) = ٩٥ وأنَّ مدحَ المتنبي سيف الدولة قد أحفظ / عليه بنى أسد وبنى ضبَّة حتى كان من أمرهم بعدُ معه ما كان - على ما نذهب إليه - من أنهم قتلوه بالعراق ، كما سيأتى بعد .

ويقول رواة الديوان : <sup>(٢)</sup> إنَّ أبا الطيّب لم ينشد سيف الدولة هذه القصيدة ، ولا نَظَنُّ أن ذلك يكون دليلاً على أنَّه لم يلقَ سيف الدولة فى سنته تلك ، بل الأرجح عندنا أنه لقيه وحده ، واتَّصل بينهما الودُّ قليلاً قليلاً ، وفى القصيدة أبيات تدلُّ على أن

(١) ، (٢) أسمت فى ص : ١٨٧ ، والتعليق رقم : ١ ، أب مقدمات القصائد المشتة فى مخطوطات ديوانه

العتيقة ، هى لفظ أبى الطيب نفسه

سيف الدولة ( وكان صغيراً في مثل سن المتنبي ) أفضّل عليه بعض الإفضال وأكرمه وأحبه . والعجب أن تكون هذه القصيدة ، وهي من أول قصائده في حياته ، (١) تدلّ على حبّ بليغ لسيف الدولة ، يقرب من حبه له بعد ، والذي تدل عليه مدائحه التي استفاضت بعد اتصاله به في سنة ٣٣٧ ، كقوله مثلاً :

وتعذّر الأحرار صيرَ ظَهرَها	إلا إليك على ظَهرَ حرام (٢)
( أنت العريّة ) في زمانِ أهلّه	ولدت مكارمهم لغيرِ تمام
أكثرَ من بذلِ التّوال ، ولم تزل	علماً على الإفضال والإانعام
صعرت كلّ كبيرة ، وكبرت عن	لكائه ، وعددت سنّ غلام
ورفقت في حُللِ الثّناء ، وإنما	عدم الثّناء نهاية الإعدام
غيبَ عليك تُرى بسيف في الوغى ،	ما يصنع الصّمصام بالصّمصام ؟
إن كان مثلك كان أو هو كائن	فبرئت حينئذ من الإسلام

وهذا غلوّ عجيب .... وأنت إذا رجعت إلى مدائح المتنبي إلى أن اتصل / بسيف ٩٦ الدولة في سنة ٣٣٧ ، لم تجد دلالة الحب والتعظيم بادية في مثل هذه المعاني ، وغيرها مما لم نذكره من القصيدة . ولعل المتنبي كان قد رأى من سيف الدولة في ذلك العهد مثلاً من أمثلة المروءة والفتوة التي كان يفتقدها في رجال عصره . وأنت ترى أن المتنبي في صِغَره ، كما بيّنا لك أوّل كلامنا ، كان يرى الرّجولة والفتوة المثل الأعلى الذي يعلّق به طرّفه ، وذلك لما انطوى عليه قلبه من حب المجد وطلب الثّار ، ولما في نفسه من الثورة على زمنه وأهله ، وعلى من ظلموه وأرادوا به شراً وذلّاً ومهانةً .

وعجيب أيضاً أن لا يمدح المتنبي واحداً من الخلفاء وأبنائهم وهم بالعراق ، ولا أحداً من كبار العراقيين من الأمراء ، ثم يعمد إلى مدح بني حمدان وحدهم ، ولم تكن

(١) كانت سن المتنبي إذ ذاك ١٨ سنة .

(٢) « ظهرها » ، يعنى ظهر ناقته .

شوكتهم بعد قد بلغت مبلغ غيرهم من الأمراء ، فذلك دليل على أنه لم يمدحهم للعطاء وحده ، بل مدحهم لأمر آخر لا نكاد ننبين إلا أطرافاً منه . ولعلّ بنى حمدان كانوا يعرفون من أمر المتنبي شيئاً ، وكانوا يصلون جدته في حال نكبتها ، فلذلك ذكر المتنبي أبوي سيف الدولة في القصيدة ، وطلب لقبهما السُّقيا ، وقد كان له مندوحة عن ذكرهما ، وذلك قوله :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ غَيْرُ مُودِّعٍ      وَسَقَى ثَرَى أَبْوَيْكَ صَوَّبَ غَمَامٍ

وفي مدحه لبنى حمدان أو سيف الدولة وإخوته وأبويه على التحقيق ما يرجح ذلك :

قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَايَا فِيكُمْ      فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامٍ  
تَاللَّهِ مَا عَلِمَ أَمْرُؤُ لَوْلَاكُمْ      كَيْفَ السَّخَاءُ ، وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ

/ وعندنا أن هذه القصيدة قد أنبت في صدر سيف الدولة محبة هذا الفتى العربى /  
الطموح الثائر الذى لا يستقر ، وكأن توافقهما في السن والفتوة قد جمع بين قلوبهما . (١) ولولا ما كان في صدر المتنبي من الأمانى التى لا تهدأ ولا تفتّر ، لبقى معه ، ولولا ما كان فيه سيف الدولة من مثل ذلك ، ومن أهبيته إلى حرب بنى أسد وبني ضبة ، لعزم على صاحبه في الرفقة في الحلّ والترحال ، ولكن أراد الله شيئاً فكان ...

\*\*\*

وخرج المتنبي من أرض بنى حمدان ، ومن جوار سيف الدولة خاصة ، إلى عزمته بالشام . وبدأت الحوادث تأخذه أخذاً حتى رمت به في سجنه ، ولم يكن المتنبي لذلك العهد مغموراً مجهولاً ، كما يذهب إليه أكثر الكتاب ، بل كانت قصائده قبل مدخله إلى الشام قد أثبتت عليه عيون الدولة العباسية وجواسيسها ، وأطراف العلويين الذين هضموه

(١) ولد المتنبي سنة ٣٠٣ ، وولد سيف الدولة في تلك السنة .

وظلموه ، ونظرات العلويين الفاطميين أيضاً ، وكانت دَعْوَةُ الفاطمية قد نَفَذَتْ في بلدان العربية في تَكْتُمُهَا واستتارها ، مع قُوَّتِهَا وحصافة القائمين بالدعوة إليها ، وما كان لهم من المذاهب في التدخُّل في شؤون السياسة تدخُّلاً حكيماً خفياً مكتوماً يترقُّون له ليصلوا إلى ضرب الخلافة العباسية والقضاء عليها ، وإقامة الخلافة العلوية الفاطمية .

وكان الذى أمسك العيون على المتنبي ، فيما نذهب إليه ، أنه قبل أن يلقى سيف الدولة في المرة الأولى سنة ٣٢١ ، وكان في طريقه بأرض العراق ، / قال من الشعر ما وقع ٩٨ إلى هؤلاء ، فلفتهم إليه . فمن ذلك ما روى من أن أبا سعيد المُجِيمِرِي عَدَلَهُ على تركه لِقَاءَ الملوك وامتداحهم ، فقال له :

أَبَا سَعِيدِ جَنَّبِ الْعِتَايَا      قَرَبَ رَأْيٍ أَخْطَأَ الصَّوَابَا  
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحَجَابَا      وَاسْتَوْقَفُوا لِرَدِّنَا الْبَوَابَا  
وَإِنَّ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا      وَالذَّابِلَاتِ السُّمَرِ وَالْعِرَابَا  
تَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَجَابَا

فمثل هذا القول لا يذهب باطلاً عند أصحاب الأمر في الدولة ، ومن يضعون عيونهم على سياسة العصر ودسائسه ، وقد كان عصراً مملوءاً بكل عجيب من الدعوات الخفية ، والثورات السرية التي لا يخطئها مُطَّلِع على تاريخ تلك الفترة من العصر العباسي . وَيَبِينُ من شعر المتنبي الذى وقع في تَرْتِينَا لديوانه في هذه الفترة ، أنه حين دخل العراق لَقِيَ بعضَ الكيد على أثر ما عُرف عنه من الثورة القائمة في صدره ، ودليل ذلك قوله :

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ آسَتِهِ      وَآخِرُ قُطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ  
وَمِنْ جَاهِلٍ لِي ، وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلُهُ ،      وَيَجْهَلُ عَلِمِي أَنَّهُ بِي جَاهِلُ  
وَيَجْهَلُ أَنِّي ، مَا لِكَ الْأَرْضِ ، مُعْسِرُ      وَأَتَى ، عَلَى ظَهْرِ السَّمَائِينَ ، رَاجِلُ

ولم يكتف صاحبنا بذلك ، بل خرج إلى ذكر نفسه وصفتها ، وعرض بما يُضمَر من الخروج ابتغاءً لما يؤمِّل من الثَّارِ أَوَّلًا ، وما سَمَّاهُ « المجد والعلی » ثانياً ، فقال :

تُحَقِّرُ عِنْدِي هَمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ      وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ  
/ وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مَنَاكِبِي      إِلَى أَنْ بَدَتْ ( لِلضَّيِّمِ ) فِي زَلْزَلٍ

٩٩

يُحَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي      وَأَتَى فِيهَا مَا تُقُولُ الْعَوَاضِلُ  
وَمَنْ يَبْغِي مَا أَبْغَى مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُنَى      تَسَاوَى الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ  
( أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسُكُمْ      وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَسَائِلُ )  
( غَنَائُهُ عَيْشِي أَنْ تَعَثَّ كَرَامَتِي      وَلَيْسَ بَعَثٌ أَنْ تَعَثَّ الْمَاكُلُ )

وَلَا يَلْفَتَنَّكَ مَا نَحْنُ فِيهِ عَنْ أَنْ تَعُودَ إِلَى مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي أَمْرِ نَسَبِهِ وَنَكْبَتِهِ الْأُولَى  
وَهُوَ صَغِيرٌ ، لِنَعْلَمَ سِرَّ الْقَوْلِ فِي قَوْلِهِ : « إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّيِّمِ فِي زَلْزَلٍ » ، فَهُوَ يَرُدُّكَ إِلَى  
ذِكْرِ الْمَشْكَلَةِ الْقَائِمَةِ فِي نَفْسِهِ ، وَالتَّيَّ وَصَفْنَاهَا لَكَ عَلَى مَا وَقَفْنَا إِلَيْهِ ، إِذْ أَنَّهُ بَهَذَا  
الشَّطْرِ قَدْ ضَمَّنَ لَكَ مَعْنَى مَا نَزِيدُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ ، مُحْكُومًا عَلَيْهِ بِأَمْرِ كُنْهُ  
ظَلَمٍ وَضَيِّمٍ . فَلَمَّا بَلَغَ مَبْلَغًا ، زَلَزَلَهُ هَذَا الضَّيِّمُ وَقَدْ حَاوَلَ مِنْ صَدْرِهِ مَخْرَجًا ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ  
- كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ - رَابِطَ الْجَاشِ ، ثَابِتَ النَفْسِ ، ثُبُوتَ الْجَبَلِ عَلَى مَا يَعْمَلُ تَحْتَهُ مِنْ  
الْعَوَامِلِ الْبِرْكَانِيَّةِ الَّتِي تَبْتَغِي مَخْرَجًا بَانْفِجَارٍ .

\*\*\*

دَعُ ذَا - وَنَعُودَ إِلَى شَعْرِهِ فِي الْفَتْرَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مِنْ تَارِيخِهِ ، فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ فِي  
الْعِرَاقِ أَيْضًا قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا : « ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ » ، وَنَنْقُلُ إِلَيْكَ طَرَفًا  
مِنْهَا لِنَتَدَبَّرَهُ عَلَى مَا رَسَمْنَا ، يَقُولُ :

لَيْسَ التَّعْلُّ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرْبَى      وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمَى  
وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرَكُنِي      حَتَّى تُسَدَّ عَلَيْهَا طُرُقُهَا هِمَمِي

١٠٠



سَيَصْحَبُ التَّصَلَّ مِنْ مِثْلٍ مَضْرِبِهِ  
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَا تُصْطَبِرُ ،  
لَأَتْرَكَنَّ وَجُوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً ،  
بِكُلِّ مُنْصَلِبٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي  
تُنْسِي الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجَوِّ بَارِقَتِي ،  
رَدِي حِيَاضُ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَأَتْرِكِي  
( إِنْ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الْأَرْمَاجِ سَائِلَةً  
( أَيْمَلِكُ الْمُلْكَ - وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةً  
مَنْ لَوْ رَأَى مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمًا  
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدًا  
فَإِنْ أَجَابُوا ، فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ ،  
وَيَنْجَلِي خَبْرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمِّ (١)  
( فَالآنَ أَفْحَمُ حَتَّى لَا تُقْتَحَمُ )  
وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ  
( حَتَّى أَذْلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخَدَمِ ) (١)  
وَتَكْتَفِي بِالْذَّمِّ الْجَارِي عَنِ الدَّيَمِ  
حِيَاضُ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ  
فَلَا دُعِيْتُ آيْنَ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ  
وَالطَّيْرِ جَائِعَةً - لَحْمٌ عَلَى وَضَمِّ (٢)  
وَلَوْ عَرَضْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنَمْ  
( وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ )  
وَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ

\*\*\*

فهذا الذي أثبتنا لك من شعره في القصيدتين ، وما صرَّح به فيهما عن آماله وآرائه ، وعن رأيه في الدولة العباسية التي ملك زمامها العجم والديلم والتُرك من خَدَم الخلفاء ، (٣) وعن رأيه في الخليفة الضعيف الذي لا يَمْلِكُ من أمر نفسه شيئاً ، ثم يُعَدُّ في نظر شعبه ملكاً مملُكاً تعطى له المقادة ، وتُصَرَّفُ إليه الطاعة بالإذعان والتسليم = وما يتجلى في كلماته من إرادة التغلب والثورة على الدولة عَرَبِهَا وَعَجَمِهَا = كُلُّ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ ، جَلَبَ عَلَى صَاحِبِنَا ، عَلَى / صِغَرِهِ ، اهْتِمَامَ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْوَلَاةِ وَالِدُّعَاةِ مِنْ ١٠١

(١) انظر التعليق الآتي رقم : ٣

(٢) ( لحم على وضَم ) حملة يكنى بها عن الضعيف الذي لا ناصر له ، كالمرأة التي لا حامى لها ، وهذه الكناية فاعل قوله ( أَيْمَلِكُ الْمُلْكَ ) ، والبيت الثاني يدل من قوله : « لحم على وضَم » .  
(٣) انظر هذا السفر ( ص : ٧٢ ، تعليق : ١ ) ، ... تُجَكُّمُ التُّرْكِيَّ وما فعله .. وما قاله .

العرب والعجم والترك والدليلم ، واهتمام أصحاب الدعوة العلوية والدعوة الفاطمية ، على التخصيص .

فلما كان اتصاله بينى حمدان فى سنة ٣٢١ ومدحه لهم ، دون غيرهم من الولاة والأمراء أمثالهم والمنافسين لهم والحاقدين عليهم ، والمريدين الإيقاع بهم لما عرفوا به من الصراحة فى الحكم ، والدهاء فى السياسة ، والعصبيّة للعربيّة الصريحة ، وبغضهم لحكام الأعاجم الذين كانوا هم أصحاب الأمر والنهى فى الدولة كلها = ازداد اهتمام هؤلاء بالفتى العرى ( المتنبى ) ، وردوا أنظارهم إليه ، وأدركوا أن هذا الثائر الشاعر البليغ سيكون له شأن أى شأن ، لو ترك غير مراقب ولا مأخوذ عليه السبيل التى يبغي ، والأمر الذى يهدد به ، فأجمعوا على الإيقاع به حتى لا يستفحل أمره ، ويتسع عليهم الخرق من قبله ، فلا يملك له الراقع مرفعة .

ورحل صاحبنا من ( رأس عين ) حيث مدح سيف الدولة ، متخذاً طريقه إلى الشام ماراً بجران ثم منبج ، ثم أنطاكية واللاذقية وحماة وحمص وعلبك ، وتردد بين هذه المدن حتى قبض عليه . وكانت هذه البلاد نفسها منازل من منازل الدعاة العلويين الذين كانوا أصحاب سياسة ودهاء فى دعوتهم إلى قلب الخلافة العباسية ، وإقامة الخلافة العلوية الخالصة ، وكانت الأعاجم فى الشرق ، والموالى الذين بلغوا غاية السلطان فى خدمة الخلافة العباسية ، يداً مع العلويين على الدولة العباسية . وكانت هذه البلاد أيضاً مجالاً للدعاة الفاطميين أصحاب الجيوش والسلطان بالمغرب ، وكان هؤلاء الدعاة يسعون ١٠٢ جُهد السعى لضم العلويين إليهم ، واستمالة الولاة على اختلافهم / إلى مناصرتهم ، ليتّم لهم دخول الشام دون معارضة بعد فتح مصر - وكانوا يُعدّون له العدة - ثم يقفوا وجهاً لوجه حيال الدولة العباسية بالعراق ، وكان قد تمّ لهم أمر عظيم فى ما وراء دجلة والفرات ، وبذلك تسقط الدولة العباسية ، وتقوم على أنقاضها الدولة العلوية الفاطمية .

وكأنى بالمتنبى فى طريقه يُظهر فى القبائل والمدن أمر نسبه ، ويذيع بينهم أنه علوى الأصل شريف النسب ، محتالاً لذلك بالدهاء ، مجتهداً فى اتخاذ العَصْد قبل أن يعلن أمره

إعلاناً صريحاً ، لئلا يواقع العلويون وينزلوا به كيدهم الذى يكيدون له . دار دورته فى البلاد التى ذكرناها وأمره إلى علو ، لما عُرف من فصاحته وبلاغته ، وحُسن سَمته ، وجَمال هَدْيِهِ ، وتوقّد ذكائه ، وما يمتاز به من حُسن المعاشرة ولطيف المنادمة ، مع سعة العلم ، ودقة الفهم له . وكان فى القبائل البادية أظهرَ أمراً ، وأشدَّ عضُدًا ، حتى كان آخر أمره بنى عدى وبنى كلب ، ففشا ذكره بينهم ، وباعوه على العون له ، فى الدعوة إلى ردّ الحكومة إلى العرب دون الأعاجم . وكان ظهوره فى بنى عدى هو الذى جلب عليه السَّجن والشقاء .

ذلك أنّ بنى عدى هم قوم بنى حمدان ، <sup>(١)</sup> فكان ظهوره هناك ، ولقاؤه قبل ذلك سيف الدولة ، ومدحه بنى حمدان عامة = سبباً فى تيقُّظ وُلاة ( مُحَمَّد بن طُغج الإخشيد ) ، وكان على دمشق ، ولم يكن ظهر أمره بمصر بُعد . وكانت بين بنى حمدان والإخشيديين الأتراك المتعصبين للدولة العباسية / عداوةٌ جلبتها المنافسة ، وكان سيف ١٠٣ الدولة مخصوصاً بهذه العداوة وحده دون بنى حمدان ، لِمَا ظهر من قوّته ، على صِغر سنه ، وحبّه فى توسيع سلطان بنى حمدان حتى يَضُمَّ الشَّام وما يتبعها إلى ولايته وولاية إخوته . فلا بدّ إذن للإخشيديين من مراقبة هذا الذى مَدَحَ بنى حمدان ، وأحدث حَدَثاً فى القبائل التى كانت لهم موالية ، خَشْيَةٌ أن يكون مُوفداً من قبل سيف الدولة للقضاء على مطامع الإخشيديين فى الاستيلاء على الشام ومصر .

وأيضاً ، فإن دعاة الفاطميين الذين كانوا بالشَّام نظروا إلى ذلك ، وخافوا أن يكون موفداً من قبل سيف الدولة وبنى حمدان ، وكان بنو حمدان قد استعصوا على الدعوة الفاطمية ، مع أنهم كانوا من شيعة العلويين . وامتناع بنى حمدان على الدعوة الفاطمية ، كان هو السبب فى مناصرتهم للخليفة العباسى وتحققهم بخدمته ، لما يعرفون من أنّ دعوة

(١) هم سو عدى بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن عنم بن تغلب ، وينتسب إلى « عدى »

هذا ، نسب بنى حمدان .

الفاطميين كانت قد ضُمَّت إليها أكثر وُلاة الأعاجم الذين كانوا يحكمون بلاد الخلافة ما وراء الفرات وفي العراق نفسه . كان هذا هو السبب أيضاً في العداوة المتَّفددة بين بنى بويه وبنى حمدان فيما بعد ، وبينهم وبين سيف الدولة خاصةً ، فإن بنى بويه كانوا علويين فاطميين ، أو نظروا إلى دعوة الفاطميين نظرة الرضا .

فاجتمعت على المتنبي عيونُ الفاطميين ، وعيونُ العلويين ، <sup>(١)</sup> وعيونُ الدولة القائمة في الشام . فلما ظهر في بنى عديّ أرسلوا في القبض عليه ، فطارذوه من بلد إلى بلد ، وكان يستخفى منهم ، حتى وقع أخيراً في يد ( آبن على الهاشمي العلوي ) ، في قرية يُقال لها كوتكين ، <sup>(٢)</sup> فقبض عليه وأمر النجار بأن / يجعل في رجله وعُنقه قُرمتين من خَشَب الصَّفصاف ، فقال له المتنبي بيتين قد ذكرناهما آنفاً ، <sup>(٣)</sup> وبقي المتنبي في السجن من أواخر سنة ٣٢١ أو أوائل سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٢٣ ، ثم أُطلق .

\*\*\*

وكان المتنبي في أوّل أمره مستخفّاً بالسجن ، لما يأمل من بلوغ خبره إلى سيف الدولة ، فإن بنى عديّ قوم سيف الدولة - كما يتوهم - لن يتركوه في أيدي هؤلاء ، إلا أن يحملوا خبره إلى بنى حمدان ، فَيَخَفُ بنو حمدان إليه ، لِنَيْتِهِمْ في دخول الشام ، ولكن نيّة بنى حمدان تأخّرت طويلاً ، فإن سيف الدولة لم يهدد أطراف الشام بعساكره إلا بعد ذلك بزمان طويل .

وممّا يدلُّ على استخفافه بالسجن في أوّل أمره ، ما رَوَوْا من أن أبا دُلف بن

(١) في ص : ١٥٥ ، التعليق : ١ ، ما يوشك أن يجعلني أرى أن لأبي الطيب العلوي العباسي يداً في حبس المتنبي ، وكان أبو الطيب العلوي متهماً بالميل إلى القرامطة ، كما بيئت ذلك آنفاً .

(٢) لعبها كانت قرية من ( سمية ) وهي قرية من أعمال حمص .

(٣) ص : ١٥٧ ، ٢٠٤ ، قوله : « رعم المقيم يكو تكين بأنه » إلى آخر البيتين .

كُنْدَاج ، سَجَّانَ الْمُتَنَبِّى ، أَهْدَى إِلَيْهِ هَدِيَّةً وَهُوَ مَعْتَقِلُ بِحْمَص ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ ثَلَبُهُ عِنْدَ الْوَالِي الَّذِي اعْتَقَلَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَهْوَنُ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالْثَلَفِ وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلْفِ  
( غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بَرِّكَ بِي ) ، وَالْجُوعُ يُرْضَى الْأَسْوَدَ بِالْجِيفِ  
كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ ، فَقَدْ وَطَّنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُعْتَرِفٍ (١)  
لَوْ كَانَ سَكْنَايَ فِيكَ مَنَقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ

/ وفي هذه الأبيات تقف كبريائه كما هي ، لم يأخذ منها عذاب السجن وشقاؤه ١٠٥  
شيئاً ، حتى إنه ليقول للذي يَبْرُهُ في سجنه : « غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بَرِّكَ » ، ولولا ما أنا فيه  
من العذاب لرددت عليك هديتك غير حافل بك ولا بها . ثم ينتزع المثل على عادته :  
« وَالْجُوعُ يُرْضَى الْأَسْوَدَ بِالْجِيفِ » ، وهي سخرية حديدة مؤلمة .

فلما طَالَ عَلَيْهِ الْأَمَدُ فِي السَّجْنِ ، لَجَأَ إِلَى الْحِيلَةِ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي  
طَعَجٍ يَسْتَعِظِفُهُ ، وَيَقْنُدُ مَا رُمِيَ بِهِ مِنْ إِرَادَةِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ ، فَكَانَ مِمَّا كَتَبَ :

يَبْدَى أَتُهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَا لِسِيءٍ إِلَّا لِأَتَى غَرِيبُ  
أَوْ لَأَمٍّ لَهَا ، إِذَا ذَكَرْتَنِي ، دُمُ قَلْبٍ بِدَمْعٍ عَيْنِي يَذُوبُ (٢)  
( إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتُكَ أَخْطَأُ ثُ ، فَإِنِّي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ  
عَائِبٌ عَائِنِي لَكَدَيْكَ ، وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوَى الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ )

إِلَّا أَنْ سَعَى الْفَاطِمِيُّينَ وَالْعُلُوِيَّينَ فِي إِبْقَائِهِ فِي السَّجْنِ ، وَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ خَوْفٍ  
وَالِ الشَّامِ مِنَ الْحَدِثِ الَّذِي أَحْدَثَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبْلِ بَنِي حَمْدَانَ = لَمْ يُصْغَعْ إِلَيْهِ سَمْعُ  
الْأَمِيرِ ، فَبَقِيَ فِي سَجْنِهِ إِلَى سَنَةِ ٣٢٣ .

\*\*\*

(١) « معترف » . صابر لا يجزع .

(٢) لم يكتب هذه الأبيات ، إلا بعد رسالة وصلته من جدته ، انظر ص : ٢٣٠ ، فيما يلي .

وقد رُوِيَتْ له القصيدة التي كانت السبب في إطلاقه ، وفيها إشارة إلى كل هذا الذي ذكرنا لك . وبحسُنْ هنا أن نُلِمَّ ببعضها ، لتتبيّن ما أرّخنا لك من التاريخ .

/ يقول المتنبي يصف الأمير :

١٠٦

وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ      عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ  
رَمَى ( حَلْبًا ) بنواصي الْخِيُولِ ،      وَسُمِرَ يُرْقَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ  
وَبِضْرِ مُسَافِرَةٍ مَا يُقَمِّنَ      لَا فِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْعُمُودِ  
يَقْدُنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ      إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعَدِيدِ  
فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ ( الْخَرَشْنِيُّ ) ،      كَشَاءٍ أَحْسَنَ بَزَارٍ الْأَسْوَدِ  
فَمَنْ كَالْأَمِيرِ آتَنِ بِنْتِ الْأَمِيرِ      أَوْ مَنْ كَابَائِهِ فِي الْجُلُودِ

والذي تنبها له هنا أنه ذكر في هذه القصيدة ( حلبًا ) ، و ( الخرشنّي ) ، <sup>(١)</sup> وقد عَيَّنَّا بالبحث عن الحادثة التاريخية التي نستطيع بها أن نعيّن السّنة التي قيلت فيها ، ثم وفقنا الله إلى تفسير ذلك بالاستنباط .

ففى جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ ، سار الدّمستق « قرقاش » في خمسين ألفاً من الروم فنازل مَلَطِيَّةَ ، <sup>(٢)</sup> وحصرها مدة طويلة حتى هلك أكثر أهلها بالجوع ، ثم فتحها وهدم سُورَهَا وقصورها ، وضربَ خيمتين على إحدهما صليبٌ ، وقال : « من أراد النصرانية انحاز إلى خيمة الصليب لترُدَّ عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى وله الأمان على نفسه ، ونُبْلِغُه مَأْمَنَهُ » ! فانحاز أكثر المسلمين إلى الخيمة التي عليها الصليب طمعاً في أهلهم وأموالهم ، وسيرَ مع الباقيين بِطَرِيقاً يُبْلِغُهُمْ مَأْمَنَهُمْ ، وفتحها

(١) انظر قضية « الخرشنّي » في ص : ٨٨ ، ٩٠ . وما فعله الدكتور عزام رحمه الله ، وما أدخل فَعْمَهُ هذا على معنى القصيدة بذلك من الفساد .

(٢) بلدة مذكورة مشهورة في ديار ربيعة على حدود بلاد الروم في ذلك العهد .

بالأمان . ثم ملكوا « سُمَيْسَاط » وحرَّبوا الأعمال ، وأكثروا القتلَ وفعلوا الأفاعيلَ الشَّنيعة ،  
( وصار / أكثر البلاد في أيديهم ) ، وسكتَ المؤرِّخون ....

١٠٧

وظاهر أن وإلى الشام ، وهو إذ ذاك مُحمَّد بن طُغج الإخشيد ، لم يكن ليَصْبِرَ  
على ذلك ، فلما امتدَّ الدمستق بجيوشه وقصد حلب ، خرج إليه هو ، أو بعض مَنْ  
أنفذه لقتاله ، فردَّه عن التوغُّل ، وانقلب الدمستق هارباً ولم يدخلها .<sup>(١)</sup> وقد جعلنا هذه  
الحادثة تاريخَ القصيدة ، لأنها توافق ما أثبتنا من تاريخ المتنبي ، ثم لما ذَكَر من أمر حَلَب ،  
ثم لِذِكْرِ هذا « الخرسنى » = و « الخرسنى » ، هو ملك الروم ، لأنهم ينسبون ملوك الروم  
إلى جبل ببلادهم يقال له ( خَرَسْنَة )<sup>(٢)</sup> = وتكون هذه القصيدة لذلك مما كتبه أبو  
الطيب إلى محمد بن طغج الإخشيد التركي ، في أواخر سنة ٣٢٢ أو أوائل ٣٢٣ سنة .

وأما قول المتنبي في هذه القصيدة يخاطب آبن طُغج :

- ١ - وَقِيلَ : عَدَوْتُ عَلَى الْعَالَمِينَ      بَيْنَ وَلَادَى وَبَيْنَ الْقُودِ
- ٢ - فَمَا لَكَ تَقَبُّلُ زُورِ الْكَلَامِ      وَقَدَّرُ الشَّهَادَةَ قَدَّرُ الشُّهُودِ
- ٣ - فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ ،      وَلَا تَعْبَأَنَّ ( بِعِجْلِ الْيُهودِ )
- ٤ - وَكُنْ فَارَقَائِينَ دَعْوَى ( أَرَدْتَ )      وَدَعْوَى ( فَعَلْتَ ) بِشَأْنٍ بَعِيدِ

فقد ذكر في البيت الأول أنه وهو رضيع لم تَتِمَّ لَهُ القوَّة على الاستمساك في  
قَعْدته ، كان قد أَثَّهَم بالخروج على السلطان !! وهذا لم يحدث ولا شك ، وإنما هو  
إشارة لما كتبنا عنه في نسبه من النكبة التي حَلَّت به وبجَدته من نَفَى النسب العلويِّ  
الشريف عنه ، ومراقبة العلويين لجَدته ، خوف أن يَبْدُرَ منها ما لا يحبون ، فجعل  
صاحبنا تلك المراقبة لنفسه ، إذ لم يفعلوا بها ذلك / إلّا من أجل نسبته هو إلى  
العلويين .

١٠٨

(١) انظر ص : ١٥٥ . والتعليق رقم : ١

(٢) انظر ما سلف . ٨٨ ، ٩١ ، وما بعدها .

والبيت الثاني استشارة لابن طعج ، إذ كان من أعداء العلويين في غير علانية ، وكان من أنصار العباسية ، فهو يقول له : مالى أراك تقبلُ فيَّ قولَ أعدائك وأعداء مواليك العباسيين ، وكان أولى بك أن تزِن أقوالهم بما تزنههم به ( ففقدُ الشهادة قدر الشهود ) ، فلا تسمع هؤلاء الذين يُضْمرون العداوة ( الكاشحين ) .

ثم جاء البيت الثالث فوصلَ كلامه عن العلويين بذكر العلويين الفاطميين فقال : ( ولا تعباً بعجل اليهود ) ، <sup>(١)</sup> و « عجل اليهود » ، كناية عن أحد دُعاة الفاطميين الذين كانوا هناك بالشام . وتأويل ذلك أن العباسيين ، وكثيراً غيرهم حتى من العلويين أنفسهم ( كبنى حمدان ) ، كانوا لا يعترفون بنسبة الفاطميين ويزعمون أن جدَّهم كان يهودياً ، وأسلم ليدخل على الإسلام فاسد العقائد نكايَةً . وآسَدَهم على ذلك أن الدعوة الفاطمية كانت دعوةً سرّية لها أصولٌ خاصة ، ودرجاتٌ مرّتبة ، من درجة التلمذة إلى درجة داعي الدُعاة ، ولكل درجةٍ من الدرجات تعلّم خاص ، ومرتبةٌ معروفةٌ مقيدة . فقول المتنبي : « عجل اليهود » إشارة إلى ذلك .

ولا أنسى هنا أن أعود بالقارئ إلى بيت من أبياتٍ مضت في ذكر التنوخي ( ص : ١٤٩ ) ، وهو قول المتنبي يذكر التنوحيين :

أليس عجيباً أن يَن يَنى أبٍ لَتَجِلَّ يَهُودِيٌّ تَدْبُ الْعَقَارُ

وقد تبين لنا بعد البحث في تواريخ العلويين أن بعض الدُعاة الفاطميين كان قد دخل اللاذقية ( وهى من منازل تنوخ ) ، وأدخل قسماً من التنوحيين / في الدعوة الفاطمية ، وبذلك افرق التنوحيون فرقتين : فرقة العلويين أو الشيعة ، وفرقة الفاطميين ، وهذه الأخيرة هى التى خرج منها الدُرُوز وهم تنوحيون . وفريق الدُرُوز يُتهمون من قديم عبادة ( العجل ) ، وقد نفى ذلك كثير من الباحثين ، والله أعلم بحقيقة أمرهم . ولعل

(١) قد حار الشراح في تفسير قوله « عجل اليهود » ، وقلوها على وحوه كثيرة لا تصح ، وهذا هو الوجه عندنا ، وهو الصواب إن شاء الله .



هذا هو السرُّ في قول أبي الطيب « عجل اليهود » ، يشير إلى الفاطميين ، وفي قوله : « نجل يهودى » ، يريد داعى الفاطميين الذى قَسَمَ التَّوخييين ، وضرب بعضهم ببعض .

وأما قوله فى البيت الرابع :

وَكُنْ فَأَرْقَاً بَيْنَ دَعْوَى ( أَرَدْتُ ) وَدَعْوَى ( فَعَلْتُ ) بِشَأْنٍ بَعِيدٍ

فهو عندنا من الأدلة فى أن الأمر الذى قبض على المتنبي من أجله لم يكن « النبوة » ، وإنما هو الخروجُ على السلطان ، وأنت إذا قَلَبْتَ الدعويين : « دعوى ( أَرَدْتُ ) ، ودعوى ( فَعَلْتُ ) » على معنى « النبوة » ، لم يَتَمَّ لك تَسَاوُقُ المعانى على ذلك ، وتَمَّ لك فى معنى الخروج على السلطان هذا التساوُق ، إذ أن إرادة الخروج شَيْءٌ ، والفِعْلُ الذى يُسَمَّى به الرجل ( خارجاً ) شَيْءٌ آخر ..

والظاهر عندنا أنَّ السبب فى إطلاق المتنبي من السجن لم يكن هذه القصيدة وحدها ، بل السببُ البليغ فى هذا الرضى عَنْهُ ، فيما نَرَجِّح ، أنَّ بعض التَّوخييين العلويِّين ( غير الفاطميين ) ، كانوا قد سَعَوْا عند آبن طغج لإطلاق المتنبي ، وذلك لصلتهم ببنى حمدان ، واتفاقهم معهم فى المذهب ( العلوية ) ، وأظهروا لابن طغج موالاتهم ، فرضى منهم بهذا وأكرمهم بإطلاقه ، <sup>(١)</sup> / ولكن العلويين الكوفيين سَعَوْا من ناحية أخرى لدى ١١٠ الوالى أن لا يُطْلَقه ، فأرضاهم بأن يأخذ عليه وثيقة تُثَبِّت بطلان دَعْوَاهُ فى النسبة إلى الشجرة العلوية الشريفة المكرمة .

وَالَّذِى حَمَلْنَا عَلَى أَنْ نَنْظُرَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ التَّوخييين ، أن المتنبي بعد خُروجه من السجن مَدَّحَ التَّوخييين ، وأخلص لهم ، ونَزَلَ عندهم ، ثم رجع إلى الكوفة وبقى بها مدة ، فلما عاد فى سنة ٣٢٦ ، رجع إليهم وبقى عندهم ومَدَّحهم أيضاً ، وأجاد فى مدحه لهم

(١) ولا بأس أيضاً أن نذكر أن ( بنى عدى ) ، وهم قوم سيف الدولة ، النازلين بأرض الشام ، كان لهم شأن فى ذلك ، وأرضاهم ابن طغج لما يخشى من انتقاضهم عليه إذا لم يبدل لهم الرضى فى رجل قبض عليه عاملة فى أرضهم . وكان فى جوارهم .

إجادةً بينةً ظاهرة . وقد كان هذا الفتى وقياً الوفاً كما وصف نفسه ، وكان يأسره الإحسان ويغلبه على أمره كثيراً ، وقد ظهر هذا الخلق في روعة المثل الذي ضربه يوماً ما فيما بعد ، وهو قوله : « وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدَا » .

\*\*\*

وقد أكثر الكتاب من الاستشهاد بحادث حبس المتنبي وما كان منه فيه ، وزعموا أنه كان متكبراً أحمق رأى ضعيف الإرادة ، فدعته كبريائه أول أول إلى الاستخفاف بالسجن ، ثم رجع فذل وانقاد واستخذى في قصيدته الأخيرة . وليس هذا لنا برأى ، فإن الأبيات البائية التي ذكرناها لا تدل على ضعف ، <sup>(١)</sup> وإنما كان المتنبي ، كما روينا لك ، مرهف الحس ، شاعر النفس ، فلما بلغ جدته خبر حبسه كتبت إليه ، وذكرت بما فعل وهو بدار غربة ، وعذلت على ما كان منه وشكت إليه ألمها ، وكشفت له عن ذى قلبها ، فرق وبكى ، وكتب الأبيات الأربعة على إثر ذلك ، وطبع عليها قلبه وحنانه ورقته ، لا ضعفه واستخذاه . ويكفى في الدلالة على بطلان رأيهم ، أنه جعل البيت الرابع مهاجمةً لجميع من ادعى عليه وأراد حبسه ، وهجاءً بليغاً لهم ، / وليس هذا من الحكمة ، ١١١ إن كان الرجل ممن يستخذى ويضعف ، وذلك حيث يقول : ( انظر ما سلف ص : ٢٢٥ ) .

عَائِبٌ عَائِنِي لَدَيْكَ ، وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوَى الْعُيُوبِ الْعُيُوبِ

\*\*\*

ثم لما كتب قصيدته الأخرى الدالية ، ذكر أبياتاً يزعمون أنها تدل على مذهبه في ثلب الرجل ، وهى قوله :

(١) انظر ما سلف ص : ٢٢٥

أَمَّا لَكَ رَقَى وَمَنْ شَأْنُهُ      هَبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعِثْقُ الْعَبِيدِ  
دَعْوَتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ،      وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ  
دَعْوَتُكَ لَمَّا بَرَأْنِي الْبَلَاءُ ،      وَأَوْهَنَ رِجْلَيَّ ثَقُلُ الْحَدِيدِ  
وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِي التَّعَالِ ،      فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِي الْقُيُودِ

ونحن لا نرى فى هذه الأبيات شيئاً يُزَيِّرُ به ، لأنه إنما أراد ، كما قلنا ، أن يترفق لغرضه بالحيلة ، حتى يخلص من السجن ، إذ وَجَدَ أن لا جدوى عليه من الصبر على السجن الذى يُضَيِّعُ الأملَ فى تحقيق ما يريد من الانتقام من هؤلاء الذين فعلوا به ما فعلوا . والذى يَدُلُّ لا يَقْسُو فى الصفات هذه القسوة التى أبرزها المتنبي فى أبياته بعد ، إذ وَصَفَ مَنْ كانوا معه فى السجن متهمكاً ساخرّاً على عادته ، فقال :

وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفِلٍ      فَهَآ أَنَا فِي مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودٍ

ثم يخاطب ابن طعج مخاطبة النَّد ، فيسأله على وجه التقريع واللوم ، فيقول : « فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ ؟ » ، ثم ينهاه ناصحاً ومَحْذَرًا فيقول : « فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ » ، ثم يأمره على وجه التعليم والتنبيه بقوله : « وَكُنْ / فَارِقًا » ، فهذا مذهب ١١٢ تعليميٍّ فى الأمر ، ينطوى على تبصير الأمير ، الذى يزعمون أن المتنبي يَدُلُّ له ، بوجه الصواب من الرأى فى التفريق بين الدعويين ، وتذكير له بأنه أخطأ خطأ كبيراً بتركه التحقق من أصل الدعوى التى أقيمت عليه وتطبيقها على ما كان منه حقيقةً ، ولو كان الأميرُ فعل ذلك ، لَبَطَلَ عنده ما يدَّعون عليه ، وهذا كما ترى فيه معنى التجهيل للأمير . ولا نَظَنُّ ابنَ طُعْجِجٍ كان يَخْطِئُ إدراك هذا البيان البين فى شعر المتنبي ، ومع ذلك فقد أعفاه من هَفْوَةِ اللسان ، وأطلقه إكراماً للتوخيخين فيما ذهبنا إليه ، وما كان من مدحه له فى القصيدة مدحاً لم يظفر بمثله من شاعرٍ مثل المتنبي الشاعر البليغ العربى الشريف .

فهذا كما ترى سياقٌ تاريخيٌّ لا بأس به ، إن رأيتَ ذلك ، في أمر القبض على أبي الطيّب ولا ذكر فيه للنبوّة ، ولا يمكنُ أن يكون قبضٌ عليه لهذا الهراء الذي يزعمون . وستعلم بعدُ أن الخالِعَ حدثنا عن أبي الحسين الناشئ الشاعر أنه قال : « كُنْتُ بالكوفة في سنة ٣٢٥ ، وأنا أُملي شعري في المسجد الجامع بها ، والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبى إذ ذاك يحضر معهم ، وهو بعدُ لم يعرف ولم يلقَ بالمتنبى ..... » . فهذا دليلٌ على أن القبض عليه في سنة ٣٢١ لم يكن للنبوّة ، إذ لو كان ذلك كذلك ، لَتَعَالَمَهُ الناس بالكوفة التي نشأ بها ، ولأشار إلى ذلك الناشئ ، وكلامُ الناشئ يدلُّ على أن ذلك لقبٌ نُبِزَ به الرجل ، ولم يكن بسبب هذه النكبة التي أصيب بها في سنة ٣٢١ ، أو الحدث الذي أحدثه في تلك السنة [ انظر القول في تلقيبه بالمتنبى في التراجم المنشورة في آخر الكتاب وما سياقٌ ص : ٢٣٣ تعليق : ١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ثم ص : ٢٧٠ ] .

\*\*\*

وهناك سياقٌ آخر للتدليل على بطلان هذا الافتراء الذي رُمي به الرجل ، نستنبطه من الأسلوب الشعريّ أولاً ، ومن الحالات النفسية القائمة في شعره / ثانياً ، ومن الأصول التاريخية في أمر المتنبى في ذلك العهد أخيراً ، ورأينا أن نُضمّر ذلك ولا نطيل به ، حتى نظهره في كتابنا ، إن شاء الله ، عن المتنبى ، بالله التوفيق . (١)

أمّا هذا النبز الذي نُبِزَ به أبو الطيّب وعرف به إلى اليوم : « المُتَنَبَّى » ، فليس مرجعُهُ إلى هذا الخروج الذي كان منه في بني عَدِيّ ، فقبض عليه ، وأُلقي في السجن من جرائه ، بل له عندنا مساقٌ آخر هو أقرب إلى الصدق وأولى بالاعتبار .

\*\*\*

(١) اعمم أننا تركنا أيضاً في هذا الحديث عن رحلته وحبسه ما قال من شعر في مدح رجال لقهم في طريقه بالباد التي نزلها ، إذ ليس يصير لها إغفال ذلك حتى حين ، ولو فعلنا لم يكن هذا العدد من المقتطف يتسع لما يريد وما نؤمل من استيفاء ترجمة الرجل على الوجه الذي نرتضيه ونقر عيماً به .

كان أبو الطيب من أوّل أمره متورّعاً في خُلُقهِ ، لا يخرج من حُدود الوقار ، مترمّناً لا يلين للشهوات ولا يلقي إليها مقاده ، مترفعاً عن سَفَسَافِ الأخلاق ، متمسكاً بمعاليها ، آخذاً نفسه بالعِجْدِ الذى لا يفتر ، وكان لا يَقْرَبُ التَّهَمَ ولا يدانيتها ، « فما كذب ولا زنى ولا لاط » ، ولا أتى أمراً منكراً يؤخذ عليه أو يُزَنُّ به ، واستمرَّ على ذلك حياته كُلِّها ، وخالف الأدباء والشعراء من أهل عصره ، فما شرب الخمر ولا حَمَلَ وِزْرَها ، ولولا اضطرابه فيما تَرَى لما حضر مجلسها ، وكان منصرفاً إلى العلم قارئاً له ، محققاً لدقائقه ، طويلَ النظر والتدبُّر فيما يمرُّ به من أحداث الزمان ، كثير الاهتمام بأمر الأُمَّة التى هو منها ، لا يفوته مَعْمَزٌ ينتقده أو خُلُقٌ يستسقطه . وكان أهل العصر / على خلافٍ له فى ١١٤ ذلك ، وخاصةً من انتسب إلى الأدب ، واعتزى إلى الشعر . فكان الأدباء والشعراء أهل شرابٍ ومُعاقرةٍ وهُوٍ وهَزَلٍ وباطل ، لا يَفْرُغُونَ إلى الجِدِّ إلّا بمقدار ، ولا يتورَّعون عن دَنِيَّةٍ إلّا مُكْرَهِينَ على الوَرَع . فلا عجب إذا عدَّه أهل صناعته من الأدباء والشعراء غريباً بينهم .

وكان المتنبى فى أوّل شعره يُكثر من ذكر « الأنبياء » ، ويردّد أسماءهم فى شعره ، ويشبّه نفسه بهم ، ويقس أخلاق ممدوحيه إلى أخلاقهم ، فمن ذلك قوله فى نفسه :

ما مُقامى بأرض نَحْلَةٍ إلّا ( كمُقام المَسيح بين اليَهُودِ )

وقوله فى القصيدة نفسها :

إن أكن مُعْجَباً فمُعْجَبٌ عَجِيبٌ ( لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ )  
أنا تَرَبُّ النَّدى ، وربُّ القوافى وسِمَامُ العِدى ، وَغَيْظُ الحُسُودِ  
أنا فى أُمَّةٍ ، تَدَارَكُها اللهُ ، ( غَرِيبٌ كصالحٍ فى ثُمُودِ )<sup>(١)</sup>

وقوله :

« أَنَا الَّذِى بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ أَلْ أَقْدَارَ وَالْمَرْءِ حَيْثُمَا جَعَلَهُ »

(١) يروى ابن جنى أن المتنبى قال : « لُقِّبْتُ بالمتنبى بهذا البيت » .

فشبه نفسه بالأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله ليكونوا شهداء على الناس .

وقوله في رثاء التنوخى « محمد بن إسحق » :

وَكَاثِمًا ( عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ) ذِكْرُهُ وَكَانَ ( عَازِرَ ) شَخْصُهُ الْمَقْبُورُ

/وكان أيضاً كثير الإنذار للملوك والأمراء بعذاب بئس سيئاتهم من قبله ، كقوله :

مِيعَادُ كُلِّ رَفِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ غَدًا وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرَبِ وَالْعَجَمِ  
فَإِنْ أَجَابُوا ، فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّوْا ، فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ

فهذه أمثلة مما تناثر في شعره من هذه المعاني ، وأنت إذا تَقَضَّتْ ديوانه وجدت في

معانيه المعاني التي تنبئ بالغيب ، كقوله في بدر بن عمار :

لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا فِي النَّاسِ ، مَا بَعَثَ الْإِلَهِ رَسُولًا  
لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ ، مَا أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

ولا نطيل بذكر الشواهد في ذلك ، فهذا أمر متعلّم مشهور .

\*\*\*

وعندنا أن أبا الطيب لما عاد من الكوفة سنة ٣٢٦ ، واتصل سببه ببدر بن عمار ولزمه ، (١) وعلا عنده ، وأصاب كرامة لم يُصَبَّ بمثلهما من قبل ، تناوشه الشعراء إذ خافوه على أرزاقهم ، وطفقوا ينتقصون الرجل ويطلبون له العيوب ، وأغراهم بذلك ما وجدوا من ترفعه عن مجالس لهوهم ، وانصرافه عن الهزل الذي يكونون فيه ، وظنوا به الكبر ، فأخذوا يذكرون شعره ويتنادرون به . فلما وقعوا على كثرة دَوران أسماء الأنبياء في هذا الشعر ، وتشبيهه نفسه بهم ، وما هو فيه من التعفف والتورع ، أرادوا له لقباً يَنبِزُونَهُ به ، فلَقَّبُوهُ ( المتنبى ) ، يريدون المتشبه بالأنبياء ، وأخذوا يذكرونه بهذا الاسم ، ويتداولونه بينهم . ثم

(١) انظر ما سيأتى في آخر الباب التاسع ( ٩ ) ، ص : ٢٧٠

استفاضت شهرته به لَمَّا اتَّصل بأبى العشائر سنة ٣٣٦ ، وصار لا يُدْكَرُ إلَّا به ، بل لعلَّ سرَّه هذا اللَّقب فلم يُنكره .

/ وقد رأيت قَبْلُ أن القبض عَلَيْهِ كان سنة ٣٢٢ ، وأن الناشئ قال : إن ١١٦  
أبا الطيب كان يحضر مجلسه سنة ٣٢٥ بالكوفة ، <sup>(١)</sup> « وهو بعدُ لم يُعَرَفْ ، ولم يُلقَّبْ  
بالمُتنبى » ، [ انظر ما سلف ص : ٢٣٢ ثم ص : ٢٧٠ ] ، فتلقَّيه بالمتنبى كان بعد سنة ٣٢٥  
ولا شك كما رأيت ، وبذلك ينتفى أن يكون قد حُبِسَ من أجل دعوى النبوة . فلما علا  
أمر المتنبى وظهر ، وخشى من خَشْي من العلويين ومن إليهم ، أحدثوا من هذا التَّبَرُّ  
( المتنبى ) = الذى قُصِدَ به التشبُّه بالأنبياء فى الخُلُق ، والوعيد والإنذار ، وتشبيه نفسه  
به فى شعره = أحدثوا قصةً مختَرعةً عن نُبوَّة زعموا أن الرجل ادَّعَاها ، وأعانهم على صَوِّغِها  
ما كان من أمر حبسه حين أراد إظهار نسبته إلى الشجرة العلوية المكرمة . فكانت هذه  
القصص التى نفضناها وأظهرنا بُطلانها ، والحمد لله .

\*\*\*

• ثم بعد سنين طويلة من كتابة هذا الرأى الذى استخرجته وقطعتُ به ،  
جاءتنى ترجمة أبى الطيب فى كتاب ابن العديم « بُعْيَةُ الطُّلُب » ، ونقل فيها ابن العديم عن  
إمام من أئمة العربية = صاحب المتنبى بشيراز ، وكتب عنه ديوانه بخطه ، وراه بخطه أبو  
الدَّرِّ ياقوت بن عبد الله مولى الحموى البغدادى = وهو الإمام أبو الحسن على بن عيسى  
ابن الفرج الرُّيِّعى ، ( ولد سنة ٣٢٨ ، ومات فى ليلة السبت لعشر بقين من المحرم سنة  
٤٢٠ ) . وقال الربيعى : « ما أَظُنُّ أحداً صدَّق فى رواية هذا الديوان صدَّقى ( يعنى ديوان  
المتنبى ) ، فإنى كنت أكاثره ( يعنى يكثر المتنبى ) ونحن بشيراز ، وربما أخذَ عنى من

(١) انظر ما سأتى [ ص : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ] فى دخول المتنبى الكوفة ، وزواحه فى نحو سنة ٣٢٥ ، أيضاً .

كلام أئى على النحوى ( يعنى الفارسى ) [ انظر تراجم المتنبى فى آخر الكتاب ، ترجمة ابن العديم رقم :

١١ ] .

فقد روى ابن العديم فى ترجمة المتنبى [ التراجم فى آخر الكتاب ، رقم : ٩ ] عن أئى الحسن الربعى قال : « قال لى المتنبى : كُنْتُ أَحَبُّ الْبَطَالَةِ وَصُحْبَةِ الْبَادِيَةِ = وكان ( يعنى المتنبى ) يذمُّ أهل الكوفة ، لأنَّهم يُضَيِّقُونَ على أنفسهم فى كُلِّ شَيْءٍ ، حتى فى الأسماء فيتداعونَ بالألقابِ = ولما لُقِّبْتُ بالمتنبى ثَقُلَ ذلك علىَّ زماناً ، ثم الْفُتْهُ » [ وانظر ابن العديم أيضاً رقم : ٢٢ ، ٢٩ بل انظر ، فهو أوَّلُ ، ترجمة الربعى ، فهى أقدمه ] .

وهذا عيْنُ ما قلته منذ أكثر من أربعين سنة ، وعين ما قاله الناشئ الشاعر ، وإن كان القول فى تلقيبه بالمتنبى فى كتابى هذا ، يحتاج إلى بعض التعديل ، وعلى كل حال ، فقد بطلت حماقة النبوة بحمد الله .

\*\*\*



\*\*\*\*\*

أَبْنَى أَيْنَا ، نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ  
أَبْدَأُ غُرَابُ الْبَيْتِ فِيهَا يَنْعَقُ  
نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا ، وَمَا مِنْ مَعَشَرٍ  
جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا  
وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ ، وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ،  
وَالشَّيْبُ أَوْفَرُ ، وَالشَّيْبَةُ أَزْرَقُ  
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ ، وَلِمَتِي  
مُسَوَّدَةٌ ، وَلِمَاءٍ وَجْهِي رَوْنَقُ

\*\*\*\*\*

١١٧ / خرج أبو الطيب رحمه الله من سجنه وشقائه وعذابه مُسْتَمِرَّ النفس ، مُكْتَهِلَ القلب ، فَقَدْ جَرَّبَ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ ، وَمَا ابْتَلَى بِهِ مِنَ النِّكَبَاتِ الَّتِي عَرَفَتْهُ فِي سَجْنِهِ ، وَمَا كِيدَ بِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ، فَاَنْطَوَى عَلَى مَا بِهِ غَيْرَ جَازِعٍ وَلَا شَاكٍ وَلَا مُسْتَسْلِمٍ ، وَابْتَسَمَ لِلدُّنْيَا وَهُوَ يُضْمِرُ الْغَيْظَ عَلَيْهَا ، « وَلَكِنَّهُ غَيِظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِّ » ، <sup>(١)</sup> وَكَانَ يَعْمَلُ فِي نَفْسِهِ بِمَا قَالَ بَعْدُ :

هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ      فَإِنَّمَا يَقْطَاطُ الْعَيْنِ كَالْحُلُمِ  
وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِتُهُ      شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرْبَانِ وَالرَّحِمِ  
وَكُنْ عَلَى حَدَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتُرُهُ      وَلَا يَغْرُكَ مِنْهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ

١١٨ / فَإِنْ صَحَّ مَا رَأَيْنَاهُ فِي تَرْتِيبِ شَعْرِهِ ، وَمَا قُلْنَا بِهِ مِنْ أَنَّ التَّنَوُّخِيَّيْنَ كَانُوا قَدْ سَعَوْا لِدَى ابْنِ طُغْجٍ فِي إِطْلَاقِهِ مِنْ سَجْنِهِ ، فَقَدْ خَرَجَ صَاحِبُنَا مِنَ السَّجْنِ وَلَحِقَ بِالتَّنَوُّخِيِّينَ

(١) هُوَ لِمَنْسَى وَتَوَلَّاهُ « وَغَيِظُ عَلَى الْأَيَّامِ كَانَتْ فِي الْخُتَا » . وَابْقُدْ : اَقْبِدْ مِنْ اِحْدَلْد .

باللاذقية وأقام عندهم وفي جوارهم . وكانت صلته وثيقة بأبناء إسحق التنوخي ( محمد والحسين ) ، فلما مات محمد رثاه ، وقد قدّمنا طرفاً من ذكر ما ورد في رثائه لهذا الرجل . <sup>(١)</sup> ويُن في شعره الذي رثاه به ما كان يُضمّر له من الحب ، وما يقى له به من حُسْن صنيعه عنده . وأخلص بعد موت ( محمد ) الوفاء والمودة لأخيه ( الحسين بن إسحق ) ، ولكن صاحبنا لم يسلم هناك من الأعداء ، أعدائه من العلويين والفاطميين والعباسيين ، فقد قصّد بعض شعرائهم قصيدة في هجاء الحسين بن إسحق وحلّها أبا الطيب ، فكتب الحسين إلى أبي الطيب يُعاتبه ، فردّ جواب كتابه بأبيات يقول فيها ، يعاتبه على تصديقه ما بلغه :

تُطِيعُ الْحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً      جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي  
وَهَاجَى نَفْسِهِ مِنْ لَا يُمَيِّزُ      كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمُ الْهَرَاءِ  
وَأَنَّ مِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي ،      فَتُعَدِّلَ بِي أَقْلَ مِنَ الْهَبَاءِ  
وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ ، وَأَنَا سُهَيْلٌ      طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزُّنَاءِ

ونحن نرى أن المتنبي أقام قليلاً في جوار الحسين ، ثم وافاه كتاب من جدّته = وقد كان بلغها خبر انطلاقه من السجن = بُثِّه شوقها ، وتشكو له بثها وحزنها ، وتعزم عليه في الرحلة إليها ، وتذكر له ما كان من أمرها مع العلويين بالكوفة ، وأنها أرضتهم ، وأخذت على نفسها العهد أن يُقْلِعَ / ولَدّها عما تهوّر فيه من إراداته إظهار نسبه ، ويُنّت له مَعْبَةٌ ما ينوى من ذلك ، ووعظته بما أصابه من قبل في سجنه ، وأخرجته في الحضور إليها ، فلم يجد قلب أبي الطيب بُدّاً من الطاعة ، وكنم عَزَمَهُ عن الحسين بن إسحق التنوخي ، ولكن عزمه لم يُخَفْ على صاحبه ، فأراد على المُكْت ، فأبدى أبو الطيب رأيه بالموافقة ، وأضمر الخلاف والرحلة عن اللاذقية إلى الكوفة . وقد أشار إلى ذلك في مدحه إذ يقول ، معرضاً بعزيمة البقاء ، لِيَصْرِفَ التنوخي عن أن يعوقه :

(١) انظر ص : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ .

لَكَ الْخَيْرُ ، غَيْرِي رَامَ مِنْ غَيْرِكَ الْغِنَى ، وَغَيْرِي بِغَيْرِ ( اللَّادِقِيَّةِ ) لَا حِقْ  
هِيَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى ، وَرُوَيْتُكَ الْمُنَى ، وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ

وَأَتَّخِذُ صَاحِبِنَا اللَّيْلَ جَمَلًا ، كَمَا قَالُوا ، وَانْحَدَرَ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَقَدْ امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ  
بِأَحْقَادِهِ وَآلَامِهِ وَآمَالِهِ ، وَسَارَ مِنْ بَادِيَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ ، وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى بَادِيَةٍ ، يَنْظُرُ إِلَى الْفَتَنِ  
الَّتِي مَزَقَتْ أُمَّتَهُ وَأَبْلَتْ جَدَّتَهَا ، وَمَا دَاخِلُهَا مِنَ الْإِنْحِلَالِ وَالتَّفَكُّكِ ، وَمَا أَصَابَ أَخْلَاقَهَا  
مِنَ السَّقُوطِ وَالتَّسْفُلِ ، وَمَا فَعَلَتْ الدَّعَوَاتُ السَّرِيَّةُ فِي نَقْضِ مَجْدِهَا ، وَتَفْرِيقِ كَلِمَتِهَا ،  
حَتَّى فَشَلُوا وَذَهَبَتْ رِيحُهُمْ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ مِنْ حَيَاةِ الرَّجُلِ ، فَتْرَةً نَظَرَ وَبَصَرَ وَتَجَرَّبَةً ، وَأَوَّلَانَ تَرَدُّدٍ لَا يَدْرِي  
مَا هُوَ فَاعِلٌ وَلَا مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِ . فَقَدْ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْكُوفَةِ عَلَى غَرَرٍ ، مَرْضَاةً لَجَدَّتِهِ ،  
لَا رَغْبَةً مِنْهُ فِي دُخُولِهَا ، وَأَخَذَتْهُ الْوَسَاوِسُ فِيمَا يُرَادُ بِهِ هُنَاكَ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ بِالشَّامِ  
مِنْ إِرَادَتِهِ إِظْهَارَ نَسْبَتِهِ الْعُلُويَّةِ . وَكَانَ الثَّأْرُ يَغَالِبُهُ عَلَى تَرْكِ النِّيَّةِ وَالْعُودَةِ إِلَى الشَّامِ ، لَوْلَا  
مَا يَخَافُ عَلَى جَدَّتِهِ مِنْ سُوءِ فَعْلِهِ . فَدَخَلَ الْكُوفَةَ بِهِمَّةً وَأَحْقَادَهُ وَآلَامَهُ سَنَةَ ٣٢٣ ،  
أَوْ فِي أَوَاخِرِهَا عَلَى / الْأَرْجَحِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهَا ، رَأَى وَرَأَتْ جَدَّتَهُ أَنَّ ثَوْرَتَهُ لَيْسَتْ مِمَّا  
يَجْدِي عَلَيْهِ شَيْئًا ثُمَّ ، فَانصَرَفَ إِلَى مَجَالِسِ الْكُوفَةِ وَمَسَاجِدِهَا ، يَشْتَغِلُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ  
نَفْسَهُ عَمَّا يُسَاوِرُهَا وَيَهْزُ مِنْهَا ، وَكَانَ لَا نَصْرَافَهُ هَذَا وَإِقْبَالِهِ عَلَى شِوْخِ الْأَدَبِ وَالدِّينِ  
وَالْفَلَسَفَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ عِلُومِ الْعَصْرِ ، أَثَّرَ كَبِيرٌ فِي تَهْذِيبِ نَهْجِهِ الشَّعْرِيِّ ، وَاسْتَجَمَّ بِهِدَاقَ  
الْعِلْمِ ، وَاسْتَجَدَّ بِهَا قُوَّةً أُخْرَى عَلَى الثَّوْرَةِ وَالتَّقَلُّقِ ، بَدَتْ فِي شَعْرِهِ بَعْدَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْكُوفَةِ  
رَائِعَةً مَدْوِيَّةً ، كَأَنَّمَا انْفَجَرَتْ فِي لِسَانِهِ انْفِجَارَ الْبَرْكَانِ فِي زَلَزَلِ الْأَرْضِ .

\*\*\*

وَكَانَ الْمُتَنَبِّئُ لِسَنَتِهِ تِلْكَ ، سَنَةَ ٣٢٣ ، عَزَبًا لَا يَأْوِي إِلَى سَكَنِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَعَلَّ  
جَدَّتَهُ رَأَتْ أَنَّ تَهْدِيءَ مِنْهُ قَلِيلًا بِالزَّوْجِ ، فَرَوَّجَتْهُ عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ مِنْهُ قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ ٣٢٥

قبل خروجه من الكوفة ، <sup>(١)</sup> وذلك لأن المتنبي بعد مرجعه إلى الشام سنة ٣٢٦ ، ذكر لأول مرة في شعره « الأبوة » . فمِمَّا عرفناه من خلق أبي الطيب أنه كان إذا نزل به أمرٌ أو جدٌّ في حياته جديد ، فسرعانَ ما يتلجَّج ذلك في صدره ولا يستقرُّ حتى يشير إليه في شعره ، لكثرة ما تلدُّ الحوادث في شاعريَّة هذا الرجل من المعاني والآراء .... قال أبو الطيب في قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران قريباً من سنة ٣٣٢ ، يذكر المرأة :

وترى المروّة والفتوة والأبوة      ةً فَيّ ، كُلِّ مَلِيحَةٍ ، ضَرَّاتِهَا  
هُنَّ الثَلَاثُ الْمَانِعَاتِي لَدُنِّي      فِي خَلَوَتِي ، لَا الْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا

ولعلَّ وَلَدَهُ هذا الذي ذكره في قوله : « الأبوة » هو « محسّد » الذي / ورد ذكره في ١٢١  
خير مرويٍّ وهو بواسط سنة ٣٥٤ [ انظر ما سبق ص : ٣١٧ - ٣٢٠ في ذكر امرأته وموتها ] ، وفيه أنه أجاز شعراً أنشد ، وورد ذكره أيضاً في مقتل المتنبي ، وأنه قتل معه . فلو فرضنا أنه قُتِل وهو في الثلاثين من عمره أو أقل ، لكان هذا التاريخ الذي حدّدناه لزواج المتنبي ، هو أقرب إلى الصواب إن شاء الله .

\*\*\*

وقد كان قُرْبُ المتنبي من جدّته الحازمة في الكوفة ، وتزوُّده من العلم هناك ، مما ملأه حكمة جديدة بدأت تستعلن في شعره الذي قاله بعدُ . هذا على أنه ، مُقَامُهُ بالكوفة ، لم يمدح أحداً ، ولم يتعرّض بشعره لمعروف ولا لمنكر ، على كثرة الأحداث التي كانت في تلك السنوات ، وعلى شدة ما لَقِيَ من العنت وهو بين أظهر أعدائه أو أصحاب ثأره ، ولكنه كان متمللاً من مُقَامِهِ ، مضطرباً في عيشه . وكان أثر هذا التملل والاضطراب في نفسه المُستَحْصِدة القادرة على الكتمان والاتزان في بعض الأحيان ، أن طَفِقَ يُؤلِّد هذا الشاعر معاني نفسه ، ويختار لها ألفاظها ، وينتقى

(١) انظر ما سلف ص : ٢٣٥ ، والتعليق هناك .

عباراتها ، مدققاً محصاً مفتشاً عن الكلام الموجز الذى يستطيع أن يضم فيه ما يجيش فى صدره ، ويعتليج فى نفسه ، حتى استوى على طريقة ممتدة من الأصول الشعرية التى بينها فى أول كلامنا ، <sup>(١)</sup> إلى الغاية التى كان يرمى إليها ، ولذلك اختلف نهجه فى الشعر الذى قاله بعد مخرجه من الكوفة فى سنة ٣٢٦ ، اختلف عن نهجه الأول اختلافاً يَبْيناً ، ولكنه لم ينقطع من الاستمداد من الأصل الأول الذى هو الطبيعة القائمة فى النفس ، والتى لا تتغير فى أصلها ، وإن تغيرت فى الصورة والصوغ ومذهب البلاغة والإفصاح .

هذا ، وما من شك فى أن الرواية عن هذه الفترة من حياة الرجل ، / لم تأتنا ١٢٢ بحديث يُعلم به من أمر أئى الطيب كثير ولا قليل ، إلا ما حدثناك به من أنه كان يحضر مجلس الناشئ بالمسجد الجامع بالكوفة سنة ٣٢٥ ، ليسمع منه شعره ويكتبه مع الكاتنين ، وكان لم يعرف بعد ولم يلق بالمتنبى ، <sup>(٢)</sup> إلا أن صاحبنا فى رثاء جدته سنة ٣٣٥ ، قد أفصح عن السبب فى فراقه الكوفة فى هذه المرة بعض الإفصاح ، وعرض بأشياء كانت وقعت له يومئذ هناك . يقول : <sup>(٣)</sup>

وَلَوْ لَمْ تَكُونِ بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ	لَكَانَ أَبَاكَ الضَّحَمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا
لَئِنْ لَدَّ يَوْمَ الشَّامَتِينَ يَوْمِهَا	لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنفِهِمْ رَغْمًا
( تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ	وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا )
( وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ	وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرَمَةٍ طَعْمًا )
( يَقُولُونَ لِي : مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ !!	وَمَا تَبْتَغِي ؟ مَا أَبْتَغِي جَلًّا أَنْ يُسَمَّى )

(١) انظر ما سلف ص : ١٨٣ - ١٨٥ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٢٣٢ ، ٢٣٦ .

(٣) قد آثرنا أن نقل لك الأبيات جميعها فى نظمها لتقرأها متدبراً ، فإن فى نفس الشاعر وشعره ، الذى استنبطاه منه ما أردناه هنا ، وفى نسبه هناك ، ما يتخذ دليلاً على صحة ما نقول به ، وانظر ما سأتى ص : ٢٧٧ ، تعليق : ١ .

( كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنِّي  
وَمَا جَمَعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي  
( وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذِيَابِهِ  
( وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَجِيَّتِي  
إِذَا قُلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفِ بُعْدِهِ ،  
/ ( وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّهُمْ  
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا ، إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي ،  
( فَلَا عَبْرَتِي بِي سَاعَةً لَا تُعْزُنِي  
جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتَمَا<sup>(١)</sup>  
بَأَصْعَبٍ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا  
وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعَشْمَا  
وَالْأَفْلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَظْلَ الْقَرَمَا  
فَأَبْعُدُ شَيْءٌ مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزَمًا  
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا  
وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كِرَائِيهَا قَدْ مَا  
وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلَمَا )

١٢٣

قد بينا لك أولاً أن أبا الطيب بقوله لجذته في القصيدة : « هبيني أخذت النار  
فيك من العدى » وقوله : « لعن لَدَّ يوم الشامتين بيومها » - إنما أراد « بالعدى »  
و « الشامتين » جماعة العلويين الذين أحفوا عنه نسبه ، فيما ذهبنا إليه ، ومنعوه الانتماء  
للذوحة العلوية المباركة [ ص ١٧٠ ، ١٧٤ ] ، فإذا تقرر عندك هذا وارتضيته ، وجدت أن قوله  
بعد ذلك :

تَعَرَّبَ لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

يدل على أن هؤلاء العدى والشامتين بجذته ، والذين منعه من دخول الكوفة حين  
قصدها قبل وفاة جدته سنة ٣٣٥ = كانوا في تلك السنة التي فارق فيها الكوفة  
( ٣٢٥ ) ، أو أوائل سنة ٣٢٦ ، قد أرادوه على حُطَّةٍ خَسِيفٍ ، فأبى أبو الطيب أن  
يركبها ، وشمخ بنفسه أن يذل لأحد من الناس ، أو يقبل له حكماً يريد أن يُجْرِيه عليه

(١) قوله : « كأن بنهم » ، دليل على أنه أراد قوماً بأعيانهم ، ولولا ذلك لقال : « كأن بنها » ، يرجع  
الضمير إلى الدنيا ، يعنى الناس جميعاً كما قال بعد : « كذا أنا يا دنيا » . وهذا أسلوب من أساليب أبى الطيب في  
الإشارة إلى أعراضه التي في نفسه ، والتي لا يريد التصريح بها ، وإنما يجعلها إشارة لمن يريد إفهامهم غرضه .

وفيه المذلة والهوان وإهدار الكرامة ، وإسقاط الفتوة والمروءة ، وآثر أن يخرج عن الكوفة مُرَاعِماً لهم ، مفضلاً آلام الغربة على الهوان في الوطن .

وَيَبِينُ من الشعر أَنَّهُمْ كانوا يستضعفونه ، ويسفّهون رأيه في ركوب الفلوات ، وتنقله بين البلدان : بقوله : « ما أنت في كل بلدة ؟ » وقولهم : « ما تبتغي ؟ » وما تريد من فراق الكوفة ، تُدْرِعُ الأرض من بلد إلى بلد ؟ فكان جوابه أن ما يبتغيه أجل من أن يُسمِّيَهُ لهم . ثم استدرك على ذلك / فزعم أنهم إنما يسألونه ويلحّون عليه في استخراج ١٧٤ ذات نفسه ومُضْمَرِها لخوفهم منه ، وأنهم يعلمون أنه سيأتيهم بالذبح الذي يترك صغارهم أيتاماً ونساءهم ثكالى . وقد أبلغ في إنذاره لهم بعدد كما ترى في الآيات ، ورهّبهم بما يكون منه ، وذكرهم بقومه ومحتدهم وحريتهم وقلة مُبالائهم بالمهالك ، طبيعة قائمة فيهم ، حتى إن نفوسهم لتكاد تُكره البقاء في أبدانهم ، لما فيهم من الحرّية والشرف .

ثم أفصح المتنبي عن الذي أرادوه به في قوله :

فلا عَبَرْتُ بِى سَاعَةً لَا تُعْزِنِي وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلَمَا

فكأن الذي كان منهم ، كان وضْعاً من عزة نفسه ومهانة لها ، وأنهم كانوا يريدون أن يُنْزِلُوا به ظلماً بيناً لا يَقْرُ عليه حرٌّ . وعندنا أنهم أرادوا أن يُرْضَوْه بِرِضِيخَةٍ من المال تكون عليهم كالجزية له ، يأخذها منهم كلّما حال الحَوْل ، على أن يبقى بالكوفة ، ويرضى بما يريدون منه ، غير مخالف لهم ، ولا مُظْهِرٍ لهم عداوة ، وإن شاء أن يمدحهم بشعره فعَل ، وله عليهم أن يعطوه في مديحه لهم مثل الذي يُحِبُّ به من غيرهم إذا مدحه ، وكَبُرَ على أئى الطيب أن يُرْشَى بالمال حتى يسكّت عنهم ، وَيَقْرَ على ظلمهم له وضييمهم إِيَّاه ، وفي الأرض سَعَة ومَرَاد لمن شاء أن يكون عزيزاً مكرماً .

وخرج صاحبنا من الكوفة قاصداً الشام مرة أخرى ، ونزل على « على بن إبراهيم التَّنُوخِي » .





\*\*\*\*\*

وَأَحْتِمَالُ الْأَذَى - وَرُؤْيَةُ جَانِبِ  
 سِه - غَدَاءٌ تَضَوَّى بِهِ الْأَجْسَامُ  
 ذَلْ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ يَعِيشُ  
 رَبُّ عَيْشٍ أَخْفَ مِنْهُ الْحِمَامُ  
 مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ  
 مَا لِيُجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِسْلَامُ  
 أَقْرَارًا أَلَدُ فَوْقَ شَرَارٍ ؟  
 وَمَرَامًا أَنْبَغَى وَظَلَمَى يُرَامُ !

\*\*\*\*\*

/ كان شعر أبى الطيب فى أوّل أمره ، كما حدّثناك ، قد اختلط بألفاظ لا تَسْتَقِرُّ  
 ١٢٥ فى الشعر ، وقَعَتْ إليه من ألفاظ المتكلمين والمتفلسفة وأصحاب المنطق وأهل الجدل فى  
 الملل والنحل وغير ذلك ، وكان أسلوبه يَجْرِى على طريقة هؤلاء فى التوجيه والتقسيم ، ثم فى  
 توليد المعانى الشعرية على طريقة أهل العصر فى توليد معانى الجدل واللجاج ، لإرادة الفلج  
 فى الخصومة ، لا لتقرير الحق فى القضاء والحكومة . وأتاه ذلك من قُوَّة حافظته وكثرة  
 دوران هذه العلوم فى فكره ، واشتغاله بالتّظنر فيها نظير المحقّق المفكّر ، إلّا أن تفكيره لم  
 يكن محضاً لهذه العلوم ، بل كان فى عقله الذى يفكّر به ، فكّر الشاعر الذى يتّسع  
 بالعلوم ويمدُّ بينها وبين طبيعته الشعرية أسباباً من الشّعْر والخيال . ولما عاد إلى الكوفة  
 سنة ٣٢٣ ، وهى مقرُّ كثير من أئمة العلم والأدب والشعر ، ولزم مجالسهم سنّتين  
 أو أشْف قليلاً ، عَمِلَتْ هذه المجالس فى تهذيب علمه الذى وقع عليه فى / الصّعْر ،  
 ١٢٦ وعَمِلَتْ طبيعته الشعرية فى هذه العلوم عملها ، وكان له من الفراغ ما يكفيه للتفكير  
 والاتّساع فى النظر ، وللترجيح والتعديل بين علمه وبين طبيعته . ثم كان له من توقُّد

ذهنه ، واشتعال قُوى نفسه الملتهبة بأحقادها وآلامها ، ما يحمله على استخراج روائع المعانى التى تُوافق همّه وألمه ، وعلى توليد الآيات البيانية التى تتصل بما فى قلبه وفكره ، وعلى اجتناء العبارة التى تكون فى إيجازها بمنزلة الرمز لما يدور فى نفسه من المعانى المطوّلة .

\*\*\*

والآن ، وقد رجع صاحبنا إلى الشام فى جوارِ على بن إبراهيم التنوخى سنة ٣٢٦ ، كان أوّل ما قال ، هذا الشعر الذى أوجزنا لك فى صفته ، ذالاً على مذهبه الجديد ، وعلى تدرّج حالته النفسية تدرّجاً متوالياً متفاسحاً ... يقول :

أفكر فى مُعَاقِرَةِ الْمَنَايَا      وَقَوْدِ الْحَيْلِ مُشْرِفَةَ الْهَوَادِي  
( زَعِيمٌ لِلْقَنَا الْحَطِيّ عَزَمِي      بَسْفِكَ دَمِ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي )  
( إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفِ وَالتَّوَانِي !      وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي !! )  
وَشَغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي      بَيْعِ الشَّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ !!  
وَمَا مَاضِي الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ      وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ  
مَتَى لَحَظْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي ،      فَقَدْ وَجَدْتُهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ  
مَتَى مَا آزَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّاهِي ،      فَقَدْ وَقَعَ أَنْتَقَاصِي فِي الْأَزْدِيَادِي  
ثم يقول .... بعد :

( وَمَا الْعَضْبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى      بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْكَرَمِ الثَّلَادِ ) (١)  
( فَلَا تَغُرُّكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ      تُقَلِّبُهُنَّ أَفْهَدَةَ أَعَادِي )  
( وَكُنْ كَالْمَوْتِ ، لَا يَرِثِي لِبَاكِ      بَكِي مِنْهُ ، وَيَرَوِي وَهُوَ صَادِي )  
فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْغَرُّ بَعْدَ حِينٍ ،      إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فُسَادٍ (٢)

١٢٧

(١) « الطريف » القريب العهد ، و « الثلاد » الموروث المتقادم .

(٢) نغر الحرح بالغين ( كفتح ) ، إذا انفحر وسال منه الدم . ويقال : جرح نغار ، على المبالغة . وفى رواية

( ينفر ) بالفاء يراد بها يتورم . والذى أثبتناه أجود معنى .

وَلِإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ      وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زَادٍ  
( أَشْرَتْ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمِ      نَزَلْتُ بِهِمْ ، فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادٍ )  
وَوَظَّنُونِي مَدَحْتُهُمْ قَدِيمًا ،      وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي  
وَلِمَئِي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَعَادٍ ،      وَقَلْبِي عَنْ فِتَائِكَ غَيْرُ عَادٍ )  
مُجِيبُكَ حَيْثُمَا أَتَّجَهْتَ رِكَائِي ،      وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ

وكان شعر صاحبنا في هذا الباب من القول = إلى ما قبل هذه القصيدة = شعراً قريباً لم تستخرجه فكرةً عليمَةً مستوعبة لأحداث الزمن ، ولا نظرةً مجرّبة نافذة في ضمير أخلاق الناس ، ولم يكن يزيد على الدلالة على ما في نفس الفتى من السمو ، وما في قلبه من كرم العنصر ، وما تبيد طبعته الفتيّة من أصول الرجولة المستحكمة في طبعه وغريزته ، وما يملأ صدره من أسباب الحقد وطلب الثأر ، وما يكشف عن نيته في إحداث حَدَثٍ عظيم يُجَلِّبُ فيه على أعدائه بخيله وسيوفه حتى يُدِيلَ لها من « دَوْلَةِ الْخَدَمِ » الذين ملكوا على الناس أمرهم ، وصرفوهم في أهوائهم .

فانظر الآن فرّق ما بين الشعريين : هذا الشعر ، وهذا النبذ الذي أذكره لك من شعره في صباه : (١)

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ      بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ  
( فَرُّوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبَ لِلْغَيْظِ ،      وَأَشْفَى لِيْغَلَّ صَدْرُ الْحَقُودِ )  
فَأَطْلُبُ الْعِزَّ فِي لَطْفِي ، وَدَعِ      الذَّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَّاتِ الْخُلُودِ  
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ ، وَقَدْ يَعْجِ      زُ عَنْ قَطْعِ بُخْنِ الْمَوْلُودِ (٢)  
وَيُوقَى الْفَتَى الْمَحْشُ وَقَدْ      خَوَّضَ فِي مَاءِ لَبَةِ الصَّنِيدِ

(١) قصدنا بجمع هذا الشعر هنا أن ننظر فيه بما يغينا عن الإطالة في تفصيل الفروق بين شعر صباه ، وبين شعره الذي قاله بعد خروجه من الكوفة سنة ٣٢٦ .

(٢) « البُخْنُ » برفع صغير يُغَشَّى العنق والصدر ، أو كالبُرْئِيس الصغير يكون للأطفال يقي ملابس الطفل من سائل اللبن والريق ، ويسمونه في مصر « المَرَيْلَة » .

وقوله :

وَمَنْ يَبْغِ مَا أُبْغِيَ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلَى  
أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نُفُوسُكُمْ  
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ أَمْرِ رُوحِهِ لَهُ ،  
غَنَائَةُ عَيْشِي أَنْ تَعَثَّ كَرَامَتِي  
تَسَاوَى الْمَحَايَى عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ  
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَسَائِلُ  
وَلَا صَدَرْتُ عَنْ بَاحِلٍ وَهُوَ بَاحِلُ  
وَلَيْسَ يَعْثُ أَنْ تَعَثَّ الْمَاكُلُ

وقوله :

لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي  
وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَتْرَكْنِي  
لِمِ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَّتِي  
أَرَى أَنَا سَاءً ، وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ،  
وَرَبَّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مُرْوَعَتِهِ ،  
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي  
حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طُرُقَهَا هِمَمِي  
بِرَقَّةِ الْحَالِ ، وَأَعِزَّنِي ، وَلَا تَلُمِ  
وَذِكْرُ جُودٍ ، وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ  
لَمْ يُثِرْ مِنْهَا كَمَا أَثَرِي مِنَ الْعَدَمِ

إلى آخر القصيدة . وقد مضت منها أبياتٌ ، [ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ] .

...

فتدبر النَّهْجَيْنِ فِي هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ فَضَّلَ تَدْبِيرُ ، تَجِدُ مَا رَسَمْنَا لَكَ  
وَاضِحاً بَيِّناً ، وَتَرَى أَثَرَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ إِلَى الْكُوفَةِ ، عَلَى مَا بَيْنَا لَكَ آتِئاً ، مُسْتَعْلِناً غَيْرَ خَافٍ .  
/ فقد بدأ صاحبنا يفكر بما اكتسب من تَجَرِبَةٍ ، وما أفاد من علم ، وَيُدَسُّ مَا أَلَمَ بِهِ مِنَ  
الأحداث في شعره منتزِعاً لِلْمَثَلِ ، وضارباً بِبِلَاغَتِهِ فِي مَفْصِلِ الْحِكْمَةِ ، وَنَافِذاً بِالْفَظَاهِ فِي  
مُضْمَرِ أَخْلَاقِ النَّاسِ حَتَّى يَكْشِفَ لَكَ عَنْهَا الْغَطَاءَ . فَانْظُرْ أَيْنَ قَوْلُهُ أَوَّلًا : « أَرَى أَنَا سَاءً  
وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ ... » ، مِنْ قَوْلِهِ بَعْدَ :

فَلَا تَعْرِرْكَ السِّنَةُ مَوَالٍ تُقْلِبُهُنَّ أَفِيدَةً أَعَادِي

فإنَّ الموضعَ الذى أخذَ منه المعنيين واحدٌ ، ولكنه كان فى الأوَّل غَسِيلاً محصوراً غير شامل ، وكان فى الآخر منهما حكيماً شاملاً مترامياً نافذاً إلى أصل طبيعة الكذب فى هؤلاء الناس ، مُمتدَّة من ضمائرهم إلى ألسنتهم . والسُّرُّ كُلُّ السُّرِّ فى نسبة تحريك اللسان الذى يظهر المودة والولاء ، إلى الفؤاد الذى يُضمِّر البَغَى والعدوان والكذب والنفاق . (١)

\*\*\*

هذا ، وقد بدأ أيضاً يَصِفُ فى شعره ما وصلت إليه الأُمَّة العربية ، إذ ملكتها الموالى من الترك والديلم وغيرهم ممن كانوا أوَّل أمرهم بمنزلة العبيد ، وذلك مما استفاده فى رحلته إلى الكوفة ، وما رآه فى بلاد العربية . ولم يُخَلِّ هذا مما يدور فى نفسه ، وما وقع له من المصائب والمكاييد والحسد .... يقول وهو يمدح على بن إبراهيم التنوخى أيضاً حين نزل به سنة ٣٢٦ ، أو كان ذلك فى أول سنة ٣٢٧ :

١٣٠ ( وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ ، وَمَا / تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكُهَا عَجَمُ )  
( بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ / تُرْعَى بِعَبْدٍ كَانَتْهَا غَنَمُ )  
يَسْتَحْشِنُ الْخَزْرَجِينَ يَلْمُسُهُ / وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِ الْقَلَمِ  
إِنِّ وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي ، فَمَا / أَتُكِرُّ أَتَى عُقُوبَةُ لَهُمْ  
وكيف لَّا يُحْسَدُ أَمْرُو عِلْمٍ / لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمُ  
يَهَابُهُ أُبْسَا الرِّجَالِ بِهِ ، / وَتَتَقَى حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهَمُ (٢)  
( كَفَانِي الدِّمَّ أَنَّنَى رَجُلٌ / أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكَرَمُ )

(١) سيكون تفسير هذه الأسرار البيانية واستخلاص حالته النفسية منها فى كتابنا عن المتنبي إن شاء الله ووفق . ( هكذا قلت منذ أربعين سنة ، ولم أف ما قلت حتى اليوم ، وأرجو أن أفى بما وعدت إن شاء الله ) .

(٢) « أُبْسَا الرجال به » ، آنسهم به ، وأقربهم منه مجلساً ومودة .

يَجْنِي الْغِنَى لِلْقَامِ ، لو عَقَلُوا ، ما لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعُدْمُ  
( هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسَنَ لَهُمْ ، وَالْعَارُ يَبْقَى ، وَالْجُرْحُ يَلْتَسِمُ )

ثم قوله في سنة ٣٢٧ في مدح المغيث بن علي بن بشر العجللي :  
أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِيقَتْ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى ، ما عاشَ ، وَأَتَّحَبَا  
الآيات [ انظر ص : ١٨١ ] ، وقوله له أيضاً :

فَوَادَّ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ ( وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ )  
( وَدَهَّرَ نَاسُهُ نَاسٌ صِعَارٌ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَّتُ ضِحَامُ )  
وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعِدُنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ <sup>(١)</sup>  
( أَرَانُبُ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلُوكٌ ، مُفْتَحَةٌ عُيُونُهُمْ ، نِيَامُ )  
( بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا ، وَمَا أَقْرَأُهَا إِلَّا الطَّعَامُ ) <sup>(٢)</sup>

وأياتاً أخرى .....

/ وكانت حكمة المتنبي وبلاغته في هذه الفترة آتية من قبل نظره في أمر نفسه  
ودخيلتها وخاصتها ، وما يحيط بها وما يؤثر فيها ، ويثير من كوامنها وعواطفها ، وثبتت  
فكرته على ذلك . وطفق يقلب الأمور والأحداث في الدنيا كلها على امتداد نفسه  
واتساع قلبه وهمته ، فانفجر بين جنبيه ينبوع الكلام المتدفق ، وفيه من قوته ورجولته ،  
ومن بيانه وفصاحته ، ومن ثأره وعداوته ، ومن تهكمه وسخريته . وخرج مديحه أيضاً عن  
نهجه الأول ، فصار أدق وأبلغ في أداء المعاني ، وفي تصوير الفكرة باللفظ المقارب ،  
وانقلب من مديح معروف مقلد ضعيف ، إلى مديح لا يُراد به الممدوح خاصة ، وإنما  
يريد به المتنبي أفكاره هو فيمن يحق له أن يمدحهم ، فوقع في كلامه المبالغة . و « المبالغة »

١٣١

(١) « المَعْدِن » ، المكان من الأرض تستخرج منه الجواهر ، وهو الذي يسمونه اليوم « النجم » .

و « الرَّغَامُ » ، التراب .

(٢) « يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا » ، أى يشتد ويستحرق . و « الأقران » جمع « قرْن » ، وهو كُفء الرجل في الحرب

والقتال .

في شعر أئى الطيب ليست كالمبالغة في شعر غيره من الشعراء ، فهو إذا ذكر الممدوح وبالغ في صفتة ، فإنما يعطى الشعر حق نفسه من أفكاره في عظمة الرجال الذين عَدَمَهُم في زمنه ، وكان يودُّ أن يمدحهم بهذا الشعر ، ويحفظ لهم فيه صورة حية باللفظ الناطق البليغ ، [ انظر ما سيأتى ص : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ] .

فأنت ترى أن نبوغ المتنبي إنما بدأ يتجلى ويتكشف حين أرغمته هَمَاهِمُ نفسه على استيعاب ما يحسُّ به من العواطف المتباعدة والمتقاربة ، فكانت دراسة قلبه ، ومعرفة دقائق ما يحزُّ فيه من الآلام ، ثم المعانى التى تتولد من هذه الآلام ، أصلاً من الأصول العظيمة في نبوغه ، ثم في طبع شعره بطابع لا يخفى على ناظرٍ أو متأمِّل ، ثم في هُذَيْهِ إلى أن الشعر لا يكون شعراً إلا حين يَرَوَى من معانى القلب ويستقى منها . ولهذا كانت إجادة المتنبي باللغة أفضى غاياتها في شعره الذى قاله في تصوير رجال الحرب ، أو في رسم صور الحرب ، أو فيما كشف به عن ضميره الذى كان كخومة الوغى بغبارها ودمائها / وقتلاها ، وقعقة سلاحها ، وتداوى أصواتها ، وأتباع أسنتها وجرباها . واستمرَّ نبوغه ١٣٢ أو أكثره على هذا الباب ، حتى كان اتَّصاله بسيف الدولة ، فبدأت هناك في قلبه معانٍ أُخْرُ ، <sup>(١)</sup> تفاسحت بها نفسه ورُحِبَتْ ، فأمتدَّت بلاغته ، وانبسط نبوغه على الحياة كلها ، فأخذ منها ، ثم أعطى حكمة باقيةً وبيانا خالداً ، .... على أن هذه الحكمة وهذا البيان لم ينقطع استمداؤُهُما من نفسه ، وما رزى به في حياته ، وما أصابه من أحداثٍ وأهوال .

ولو تدبرْتَ لوجدتَ لكل حكمةٍ في شعره أصلاً تاريخياً في قلب هذا الشاعر الذى لم يكن قلبه ينسَى شيئاً أو يُفْلِتُهُ . وكأنى به ، وهو يقول البيت السائر والمثل الشرود ، كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدوِّى في مِسمَعِيهِ ، كلُّ ما مرَّ به مما أثر فيه ، فيقول البيت وفي كل لفظة منه سببٌ ممدود إلى ذِكْرَى يذكرها أو فِكْرَةٍ يتخيلها ...

(١) هى معانى المرأة التى أحبها !!

ولنضرب مثلاً قريباً نُوجِزه ، وعليك بَسْطُه ، ففي الأبيات التي وضعناها على رأس هذه الكلمة يقول ...

« وَاحْتِمَالُ الْأَذَى - وَرُؤْيَةُ جَانِيهِ - غِذَاءُ تَضْوَى بِهِ الْأَجْسَامُ »

فأين نجد الأصل التاريخي في هذا البيت ؟ أصل المعنى الذي أراده الشاعر هو في قوله : « واحتمال الأذى غذاء تضيء به الأجسام » ، ولو كان غير المتنبي ، لوقف عند هذا ، فهو تمام وكفاية ، ولكن المتنبي = الذي ( لم يكن قلبه ينسى شيئاً أو يفلته ) ، والذي ( كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدوى في مسمعِهِ كل ما مرّ به مما أثر فيه ) ، والذي كان قد احتمل أذى كثيراً من وطنه بالكوفة كما مرّ بك ، والذي كان رجع إلى الكوفة ، وحمل نفسه على / معاشرته من آذوه وهضموه حقّه ، وأقام بينهم مُرْعِماً يراهم في كل لحظة ١٣٣ بعينه وبخياله = زاد في المعنى وتمّمه ، وأثبت فيه قلبه وعواطفه بقوله : « ورؤية جانيهِ » ، فهذه الجملة المعطوفة المعترضة هي توقيع المتنبي على البيت . (١) وهناك سرٌّ آخر في تسميته « احتمال الأذى » غذاء ، ليس هذا موضع تفصيله ، (٢) وعلى هذا فقصّ بقیة شعره وحكمته .

\*\*\*

وبعد . فقد شغلنا هذا عن تحرير القول في رحلته ومدخله الشام .... وقد روينا لك في أول هذا الباب أن المتنبي نزل الشام على عليّ بن إبراهيم التنوخي ، وأنشدناك أبياتاً من قصيدته التي مدحه بها وفيها يقول : (٣)

(١) انظر ما سيأتي ص : ٢٥٦ .

(٢) إذا قرأت المتنبي على هذا الأصل ، لم تجد الشاعر الذي يذكره الناس ملء الأفواه ، بل تجد شاعراً فذاً لم يرزق الشعر ولا الحكمة مثله ذا لسان وبيان . وسنفرد في كتابنا باباً كبيراً لبيان هذا الأصل في شعر المتنبي ، وتفسير أكثر شعره على هذا المذهب .

(٣) انظر ص : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .



أَشْرَتْ أبا الحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمٍ نَزَلَتْ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادٍ

وقد اختلفوا في قوله : « أَشْرَتْ » ، أهي من الإشارة عليه بمدحهم فتكون « أَشْرَتْ » بفتح الشين - أو من « الْأَشْرَ » وهو الفرح والطرب فتكون « أَشْرَتْ » بكسر الشين ، وإسناد الفرح إلى نفسه . والرواية الأولى عندنا أرجح . والظاهر أن المتنبي لما قدم على عليّ هذا باللاذقية ، أشار عليه بأن يتحدر إلى ( طبرية ) لمدح رجلاً - لعله من العلويين أو أشياعهم - فمدحه / مُرْغماً ولم يظفر منه بطائل ، فعاد إلى عليّ من قَوْرِهِ ١٣٤ وأنشده هذه القصيدة ، ثم قصيدة أخرى صرّح فيها بذكر بحيرة طبرية ، وما لقي هناك من الأدعياء ( وهم الذين يدعون النسب إلى عليّ رضوان الله عليه ) .... فيقول لعلّي .. ( والبحيرة التي يذكرها هي بحيرة طبرية المشهورة ) :

لَوْلَاكَ لَمْ أَتُرِكَ الْبَحِيرَةَ ، وَالْغَوْرُ دَفِيءٌ ، وَمَاوُهَا شَبِيْمٌ <sup>(١)</sup>	وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبَدَةٌ
تَهْدِرُ فِيهَا ، وَمَا بِهَا قَطْمٌ <sup>(٢)</sup>	كَأَنَّهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا
جَيْشًا وَغَيٌّ ، هَازِمٌ وَمُنْهَزِمٌ	كَأَنَّهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ
حَفَّ بِهِ مِنْ جَنَانِهَا ظَلَمٌ	تَعَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِبِهَا
وَجَادَتِ الْأَرْضُ حَوْلَهَا الدَّيْمُ <sup>(٣)</sup>	فَهِيَ كَمَاوِيَّةٌ مُطَوَّقَةٌ
جُرْدٌ عَنْهَا غِشَاوُهَا الْأَدَمُ <sup>(٤)</sup>	يَشْيِينُهَا جَرِيْهَا عَلَى بَلَدٍ
تَشْيِينُهُ ( الْأَدْعِيَاءُ ) وَ ( الْقَزَمُ ) <sup>(٥)</sup>	أَبَا الْحُسَيْنِ آسَمِعَ ، فَمَدَحُكُمْ
بِالْفِعْلِ ، قَبْلَ الْكَلَامِ ، مُنْتَظِمٌ	

(١) « الْغَوْرُ » غَوْرُ الْأُرْدُنِّ . وَ « شَبِيْمٌ » بَارِدٌ .

(٢) « الْقَطْمُ » ، هِبَاجٌ فَحَلَ الْإِبِلَ لَضِرَابِ النَّاقَةِ .

(٣) « جَادَتِ الْأَرْضُ » أَحْبَبَتْهَا بِالْمَطَرِ . وَ « الدَّيْمُ » جَمْعُ « دَيْمَةٍ » ، وَهُوَ مَطَرٌ لَيْسَ فِيهِ رَعْدٌ وَلَا بَرْقٌ يَدُومُ

أَيَّاماً مُتَابَعَةً .

(٤) « الْمَاوِيَّةُ » الْمَرَاةُ ، وَ « الْأَدَمُ » الْجِلْدُ . يُصْنَعُ عَلَى قِيَاسِهَا لَتَدْخُلَ فِيهِ الْمَرَاةُ صَيَانَةً لِمَائِهَا وَرَوْنَقِهَا .

(٥) « الْقَزَمُ » ، الدَّنِيُّ اللَّغِيمُ الصَّغِيرُ الْجُنَّةُ .

وصف البحيرة وصفاً رائعاً لم يدع لها عيباً إلا عيبتها أنها تجرى على أرض تطوُّها  
أقدام هؤلاء الأدعياء من العلويين واللثام من ذكرهم في قوله « القزم » . ولو رجعت قليلاً  
إلى ما كنا حدثناك من إرصاد العلويين له بكفر عاقب ( وهي بقرب طبرية ) في سنة  
٣٣٦ بعد ذلك ، <sup>(١)</sup> وجدت أن الذين قصدهم بقوله : « أشرت أبا الحسين بمدح  
قوم » ، هم من العلويين أيضاً ، ولعلمهم هم الذين انتهوا الفرصة حين نزل عندهم  
ليقتلوه ، ففاتهم برحلته إلى الرملة في جوار أبي محمد بن طُغج .

وهذا الكيد الذي لقيه ببحيرة طبرية في سنة ٣٢٦ ، وما قاساه من مدح / الذين  
أشار عليه بمدحهم على بن إبراهيم ، زلزل نفس الشاعر وهزه هزة رابية قذفت بحممه  
الشعرية البركانية التي رويها لك أولاً ، وتجذ فيه أثر ذلك بيناً كقوله :

إِنِّي وَإِنْ لُنْتُ حَاسِدِي ، فَمَا أَتُكِرُ أُنَى عُقُوبَةٍ لَهُمْ  
وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ آمُرُو عَلَمٌ ( لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَةٍ قَدَمٌ )

وبين أن على بن إبراهيم لم يكن ليقبل من شاعر أن يمدحه ويقول في مدحه له  
يصف نفسه بأن له « على كل هامة قدم » ، إلا أن يعلم ما دفع الشاعر إلى إخراج هذا  
القول . وقد تحمل هذا على لأبي الطيب ، إذ كان هو الذي أشار عليه بمدح عدو من  
أعدائه ، وزين له الرحلة إليه ، وهو يعلم ما في نفس أبي الطيب لقوم هذا الممدوح  
أو هؤلاء الممدوحين .

وبقى أبو الطيب قليلاً في جوار على التنوخي ومدحه ، ثم قال له في مدحه  
يودُّعه ، ويذكر نيته في الفراق :

وَإِنِّي عَنْكَ ( بَعْدَ غَدٍ لَعَادٍ )  
وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادِي  
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتُ رِكَائِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ ( مِنَ الْبِلَادِ ) <sup>(٢)</sup>

(١) انظر ص : ١٥٥ .

(٢) تأمل ما في هذين البيتين من نبرة الحزن ، وعمغمة البكاء . هما غير تاد من الدمع لا بيتان من الشعر .

وخرج المتنبي من اللاذقية قاصداً حَلَبَ ، ولكنه لم يبق بها طويلاً ، بل قصد قَصْدَ  
أنطاكية حين نزلها المغيث بن علي بن بشر العجلي ، فمدحه ، وذلك حيث يقول له :

لَمَّا أَقَمْتُ ( بَأَنْطَاكِيَّةَ ) اأَخْتَلَفْتُ إِلَى بِالْحَبَرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَا  
/ فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أُحْتُ رَاحِلَتِي : الْفَقْرُ وَالْأَدْبَا  
أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِقتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى ، مَا عَاشَ ، وَأَنْتَحَبَا

وكان ما لقيه أبو الطيب بطبرية لا يزال يهذه منه ، ويعتلج في قلبه وصدره ، فكان  
شعره في هذه الفترة شعر النائر المفكر المتأمل ، وقد كشف عن ذلك في قوله مثلاً :  
فَالْمَوْتُ أَغْدَرُنِي ، وَالصَّبْرُ أَجْمَلُنِي ، وَالْبُرُّ أَوْسَعُ ، وَالْدُنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

وفي قوله « وَالْبُرُّ أَوْسَعُ لِي » ، سرُّ تَقْلُقِهِ بين بلاد كثيرة في فترة وجيزة ، فإنه كان  
يريد أن ينال نيلاً عظيماً بكثرة التجوال ، حتى إذا ما جمع ما يريد استطاع أن يفعل ما  
قال وما أنذر بقوله : « والدنيا لمن غلبا » .

\*\*\*

وكانت قصيدته الثانية في مدح المغيث بن بشر أروع من الأولى ، وأكثر إفصاحاً  
عن نفسية الشاعر في تلك الفترة ، فإنه كان قد هدأ واستجم من وعناء السفر ، ووجد  
الوقت كافياً ، والقول ذا سعة ، فقال كاشفاً عن ضميره ، ومصرحاً بآرائه في الأبيات التي  
ذكرناها ، وأولها ، [ ص : ٢٥٠ ] :

فَوَادَّ مَا تُسَلِّيهِ الْمُدَامُ ( وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهْبُ اللَّقَامُ )

وفي هذه القصيدة ( غير الأبيات التي مرّت آنفاً ) ، إشاراتٌ عجيبةٌ إلى ما في  
نفسه ، كقوله في المغيث :

تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ ، وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلْذُّ لَهُ الْغَرَامُ

فَقَوْلُهُ : « وَهِيَ تَوَذَّى » ، هُوَ تَوَقُّعُ الْمُتَنَبِّئِ عَلَى الْبَيْتِ كَمَا ذَكَرْنَا ، <sup>(١)</sup> / إِذْ كَانَ الرَّجُلُ لَا يَرَى فِي عَصْرِهِ مَرْوَةَ إِلَّا وَقَدْ احْتَوَشَتْهَا اللَّغَامُ بِالسَّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَيُخَصُّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ ، إِذْ كَانَ هُوَ صَاحِبَ الْمَرْوَةِ الَّتِي لَقِيَ بِهَا وَفَعَلَهَا أَذَى كَثِيرًا مِنْ أَعْدَائِهِ وَالْحَاسِدِيهِ وَالنَّازِرِينَ إِلَيْهِ ، وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا :

وَقَبْضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ ( وَقَبْضُ نَوَالٍ بَعْضُ الْقَوْمِ دَامٌ )

فَهُوَ يُغْرِقُ بِهَذَا الشَّطْرَ الْأَخِيرَ مِنْ أَرَادُوا أَنْ يُنِيلُوهُ نِيْلًا فَعَفَّ وَأَبَى ، وَآثَرَ الْفَقْرَ عَلَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْ نَوَالِهِمْ شَيْئًا ، كَمَا مَرَّ بِكَ فِيمَا فَرَضْنَاهُ فِي مَسْأَلَةِ دُخُولِهِ الْكُوفَةَ فِي الْبَابِ السَّابِقِ ، [ ص : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ] .

\*\*\*

ثُمَّ رَحَلَ الْمَغِيثُ عَنْ أَنْطَاكِيَّةٍ مِنْ فَوْرِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّئُ :

وَلَيْسَتْ مِنْ مِوَاتِنِهِ ، وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْعَمَامُ

فَالْتَفَتَ أَبُو الطَّيِّبِ فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَمْدَحُهُ إِلَّا الْقَاضِي أَبَا الْفَرَجِ أَحْمَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْمَالِكِيَّ ، ثُمَّ عَلِيَّ بْنَ مَنْصُورِ الْحَاجِبِ ، وَعَمَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ الشَّرَافِيَّ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ يَتَوَلَّى الْفِدَاءَ بَيْنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ ، وَلَيْسَ فِي مَدْحِهِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ شَيْءٌ يَذْكُرُ ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَدْ مَلَّ ، فَهُوَ يَقُولُ لِيَكْتَسِبَ مَا يَقْوَتُهُ وَيَقْوَتَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ، وَضَاقَ ذَرْعًا بِمَا يُكَادُ بِهِ ، فَعَزَمَ عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَى حِمَصَ وَلُبْنَانَ ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالْفَرَادِيسِ مِنْ أَرْضِ قَنْسَرِينَ ، وَهِيَ الَّتِي فِيهَا ( حِمَص ) ، فَسَمِعَ زَيْيَرَ الْأَسَدِ فَقَالَ :

أَجَارُكِ يَا أَسَدَ الْفَرَادِيسِ ، مُكْرَمٌ ؟ فَتَسْكُنَ نَفْسِي ، أَمْ مُهَانَ فَمُسْلَمٌ  
وَرَائِي وَقُدَّامِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لِصٍّ ، وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ

١٣٨ / فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي عَلَى مَا أُرِيدُهُ      فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَعْلَمُ  
إِذَا لَأَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ      وَأَثَرَيْتَ مِمَّا تَعْنَمِينَ وَأَغْنَمُ

وفي خطاب أئى الطيب للأسد في هذه الأبيات ، يتجلى كل ضميره وما فيه من آثار العداوة ، وما فيه من المطالب والأمانى ، وهى تدل دلالة بيّنة على أن الرجل كان قد ملّ من مدحهم ، وأراد أن يجد منفذاً ينفذ منه إلى تحقيق آماله وآرابه فى إدراك ثاره من عُداته ، وإصلاح ما أفسد الحكم القائم فى البلاد العربية ، وكان يؤد أن يلقي الرجل الذى يُعِينه ويستعين به على أغراضه ، ويكشف له عن ضمير نفسه . فكان مدحه ، هو المقدمة للاتصال والاختبار : أن يجد عند أحد ما يؤمل ، فمدح فى طريقه « الأنطاكى عبد الرحمن بن المبارك » ، ولكنه لم يجد لديه شيئاً ، فقصد إلى لبنان فى جوار الكاتب « أئى على هرون بن عبد العزيز الأوراجي » ، وبقي عنده ومدحه مدحاً عظيماً ، ولكن الرجل لم يكن عند ظنّ أئى الطيب ، فأقام عنده يستجم من مشقة السفر فى رُبى لبنان ، يصطاد ويطرّد ، ويغترف من ينبوع الجمال الذى أبطه الله فى تلك البلاد .

\*\*\*



وَمَهْمَهُ جُبْنُهُ عَلَى قَدَمِي  
تُعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامُ الدُّلُ  
بِصَارِمِي مُرْتِدٍ ، بِمَخْبِرِي  
مُجْتَرِيٍّ ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٍ  
إِذَا صَدِيقُ نَكِرْتُ جَانِبَهُ  
لَمْ تُغْنِنِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيلُ  
فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ ،  
وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ

\*\*\*\*\*

١٣٩ / كَانَ هَذَا الاضطراب والملل الذي استشعره أبو الطيب في رحلاته في البلاد التي  
أوجزنا لك رَسْمَهَا ، أثرٌ كبير في قلبه المَوْجَع المتأمل . وكانت أيام الهدوء والراحة التي  
أهتبلها من غفلة الزمن قَدْ جَدَّدَتْ معانِي قلبه ، وَرَمَتْ في قَوَادِهِ بِالْحَطَبِ الذي يُوقِدُ به  
ناره . فلما مَلَّ الأوراجِيَّ وَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ شَيْئاً وَلَا عِزْماً ، عَزَمَ على فِرَاقِهِ ، وجعل يَتَلَفَّتْ فرأى  
أبا الحسين بَدَرَ بنَ عَمَّارِ بنِ إِسْمَاعِيلِ الأَسَدِيِّ قَدْ صَعَّدَ إلى طَبَقَةٍ من قِبَلِ أُنَى بَكْرِ مُحَمَّدٍ  
بنِ رَاقٍ لِيَتَوَلَّى حَرْبَهَا ، أَى قِيَادَةَ جَيْشِهَا وَحَمَايَتَهَا في سنة ٣٢٨ . كان أبو الحسين ، فيما  
نظَنَ ، عَرِيضاً مَاضِياً كَالسَيْفِ ، حُلُوَ الشَّمَائِلِ سَمْحاً ، قَرِيبَ الْمَذْهَبِ مِنْ أُنَى الطَّيِّبِ في  
بَعْضَاءِ الْعِجَمِ ، لما أُنْزِلُوهُ بِالدَّوْلَةِ مِنَ التَّفْرِقَةِ وَالتَّمْزِيقِ ، وَعَرَفَ أَبُو الطَّيِّبِ بَعْضَ أَخْبَارِهِ ،  
فَقَصَّده فَرِحاً ، كَأَنَّمَا وَجَدَ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنَ الْفِكْرَةِ وَالسَّطْوَةِ / وَالسُّلْطَانِ وَالْقُوَّةِ ، وَالرَّجُولَةِ  
١٤٠ الْفِدَّةِ التي أَبْدَعَ أَبُو الطَّيِّبِ في صِفَتِهَا بَعْدَ حِينٍ أُعْجِبَ بِهَا وَفَتِنَ . وَكَانَتْ أَوَّلُ قَصِيدَةٍ  
مَدَحَهُ بِهَا تَدَلُّ على مَا أَدْرَكَ أَبُو الطَّيِّبِ مِنَ الْفَرَحِ وَالنَّشْوَةِ وَانْتِظَارِ الْفَرَجِ على يَدَيْهِ :

أَحْلُمُ نَرَى ، أُمَّ زَمَانًا جَدِيدًا      أُمَّ الْخَلْقِ فِي شَخْصِي حَيٍّ أُعِيدًا ؟  
تَجَلَّى لَنَا فَأَضَاءُنَا بِهِ      كَأَنَّا نَجُومٌ لَقِينِ سَعُودًا

فقد جمع أبو الطيب في هذين البيتين كلّ عاطفة يَنبُضُ بها قلبه ، وكُلُّ ما هزّها واستثارها من الفرح بهذا العربيّ الذي :

تَعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقَهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَايِ مُكْتَحِلٌ  
( أَشْفَقُ ، عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ ، عَلَيْهِ مِنْهَا ، أَخَافُ يَشْتَعِلُ )

وبقى المتنبي في جوار بدر وفي مجالسه ( وفي عربيته ) من أواخر سنة ٣٢٨ إلى أوائل سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لآ على التحقيق ، <sup>(١)</sup> أطال المُقام في جواره ، وكأنه كان قد أحبَّ الرجل حبًّا عظيمًا لما يرى من مروءته وقُوَّتِهِ ورجولته . والظاهر أن بدرًا قد وجد في نفسه لأبي الطيب مثل ما وَجَدَ له ، فأعان ذلك الشاعر على أن يتفتَّح ويُجيد ويدع ، فإن مدائحَه لبدر تكاد تكون في الطبقة الثانية من جيّد شعره ، وفيها أبيات في الطبقة الأولى من الشعر العربيّ كُلِّهِ . وقد بدأ نهجه أيضًا يتغيّر ويتميّز بألوان وآيات . ولا عجب ، فقد مارس الرجلُ الحياةَ بشاعريته ، وتلقّف من الدنيا عبرها وحكمتها ، وسمع منها وحَفِظَ عنها ، وأعمل فيها ذهنه المتوقّد ، وأرسلها إلى قلبه لِيَفْتَتَهَا بناره ، ويصوغها في بيانه الذي وصفناه أولًا ، ثم زَيَّنَ بها كلامه .

١٤١ / ولم يكن أبو الطيب ، طَوَالَ هذه السنين ، يَدْعُ استيعابَ الكتب والآراء ونَقْدَها ، والتبصُّرَ في أعقابها وأطرافها . وأيضًا فإنه كان قد بدأ يستحكم بفعل طبيعة الحياة البشرية ، فقد شارف الثلاثين ، وامتلأ شبابه بقوته وقُوَّتِهِ ورجولته ، وعَبَّ قلبه بآلامه وأحقاده وآماله التي كان يجاهد فيها ويسعى لها ليحققها . وأيضًا فإن الأمل في إدراك الطلب ، وبلوغ الأمنية والظفر بها ، وقُرْبِ تحقُّقِ الفَلَجِ على الخصوم ، مما يُشْعِلُ القلبَ وَيَزِيدُ النفسَ مَضَاءً وَنَفَادًا . وقد كان له ذلك كُلُّهُ في جوار صاحبه وحييه بدر بن عمارِ الأسدِ العربيّ الذكيّ الفؤاد ، فاتخذ أبو الطيب سبيله في الشعر عجبًا ، واستقام

(١) فيما سلف ص : ٩٢ - ٩٨ ، حديث عن هذا التاريخ ، وكيف فعل أستاذنا الدكتور عزام رحمه الله ، لأننا نعيش في زمن الأعاجيب !! ومن بلاشير الأعجميّ الذي ألف كتاباً عن المتنبي ، يعتمد عليه هؤلاء الأساتذة الكبار ، مع ما في الذي يعتمدون عليه من فاحش الخطأ والفهم .



على طريقته ، وَمَضَى على غُلُوّاته ، ورمى الدنيا بعَيْنِي عُقاب كاسر يتلو فريسته أن تفرّ منه ، وزاده علوّاً ما وَجَد من حماية بدر له في طَبِئَةِ موطن أعدائه كما حدثناك ، وأُورَى زِنَادَه ما لقي من عداوة بعض الشعراء له ، وما سعى به الوشاة المفسدون لَدَى بدر بن عمار لِيَقْلِبُوا عليه قَلْبَه . ومثل أُنَى الطيب إذا أريد به الشرُّ انتفض انتفاضة الأسد إذا رامهُ عدوّ ، وفي انتفاضته تتقدّف قُوَّتَه كُلُّهَا على لسانه البليغ المبين ، وذلك لقوة أعصابه ، وشدة توتُّرها ، وسرعة تأثرها مع ذلك .

\*\*\*

وفي جوار بدر بن عمار الأسدى بدأت عصبيّة أُنَى الطيب للعرب والعربية تُسْفَر عن وجهه ، وتجلو عن نفس الشاعر ظلماتٍ قد ضربت عليها حجابها ، وهيأت شاعريّته لما يستقبله لدى سيف الدولة العَدَوِيّ العربيّ هازم الروم ، وقامع الدسائس الفاطمية بالشام وبعض العراق . وبذلك كُلّه كانت هذه / الفترة ، من ترتيب الزمن في تكوين ١٤٢ الشاعر الأكبر ، تطريقاً وتمهيداً للنبوغ الفدّ الذي استودعه الله في قلب هذا الشاعر وفكره وأدبه وقوته وحقده وثأره والعصر الذي عاش بين أهله مُبتَلَى بمعاشرتهم .... أو كما قال في آخر عمره يعنى نفسه :

وَقَتٌ يَضِيعُ ، وَعُمُرٌ ... كَيْتَ مُدَّتُهُ      فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأَمَمِ !!  
أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ      فَسَرَّهُمْ ... وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ !!

وقوله في صدر شبابه ، يعنى أهل عَصْرَه :

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ      وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ  
وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِغَارٌ      وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ جُثَّتُ ضِحْخَامُ

\*\*\*

أحب أبو الطيب بدر بن عمار ، وأحبه بدر وأكرمه ورفعته إليه وعزّزه ونصره على أعدائه من العلويين أو أشياعهم بطبرية وما جاورها ، ووجد كلاهما في صاحبه ملجأً يأوي إليه . فقد كان أبو الطيب مهضوماً مطاردًا ، وكان قلبه ممتلئاً من آثار الظلم التي أوقعها جبابرة العصر بالعرب ، وكان فكره متتبعاً لدهاء السياسة الذين كانوا يعملون على قلب الدولة أو تمزيق شملها بالشعوية العجمية البغيضة المبعوضة إليه ، وكان يرمى ببصره فلا يجد العربي الذي يأوي إليه ، فإن وجده فينبهه وبينه أهوال . فلما وجد بدرًا ، ووجد في قلبه وفكره مثل الذي في قلبه وفكره ، توقّد الرجل الشاعر توقّد النار المستعرة قد وجدت طعامها من الحطب .

١٤٣ وبدأ يصف بدرًا العربيّ الشجاع المحارب ، ويصف الحرب ، ويصف / كلّ قوة أو مثلاً من قوة ، ويُدع في ذلك كلّ مستمداً من قلبه الجريء ، وخياله المتسامي إلى أشرف السُلطان والغلبة ، حتى خرجت مدائحها في بدر آية في دقة التصوير ، وسمو المعنى ، وشرف الغاية ... يقول في صفة بدر :

( هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ ، فَمَا	يَبِينُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلُ )
يَكَاذُ ، مِنْ طَاعَةِ الْحِمَامِ لَهُ ،	يَقْتُلُ مَنْ مَا دَنَا لَهُ الْأَجَلُ
يَكَاذُ ، مِنْ صِحَّةِ الْعَزِيمَةِ ، مَا	يَفْعَلُ قَبْلَ الْفَعَالِ يَنْفَعُلُ
( تَعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ ،	كَأَنَّهُ بِالذِّكَاكِ مُكْتَحِلُ )
( أَشْفَقُ - عِنْدَ اتِّقَادِ فِكْرَتِهِ -	عَلَيْهِ مِنْهَا ، أَخَافُ يَشْتَعِلُ )
( أَغْرُ ... أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا	بِالْهَرَبِ ، اسْتَكْبَرُوا الَّذِي فَعَلُوا )
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِجَةٍ	أُرْبِعُهَا ، قَبْلَ طَرْفِهَا ، تُصِلُ <sup>(١)</sup>

(١) يقال : « أقبلته الشيء » ، إذا قابلته به . و « السابجة » ، من الخيل تسبح في عدوها ، صفة غالبية .

و « السوابح » هي الخيل .

جَرْدَاءَ مِلءِ الْحِزَامِ مُجْفَرَةً      تَكُونُ مِثْلَى عَسِيْبِهَا الْخُصْلُ<sup>(١)</sup>  
 إِن أَذِيرَتْ قُلْتَ : لَا تَلِيلَ لَهَا      أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ : مَا لَهَا كَفْلُ<sup>(٢)</sup>  
 وَالطَّعْنُ شَرُّ ، وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ ،      كَأَتَمَّا فِي فَوَادِهَا وَهَلُ<sup>(٣)</sup>  
 قَدْ صَبَعَتْ خَذَّهَا الدَّمَاءُ كَمَا      يَصْبِغُ خَذَّ الْخَرِيْدَةِ الْحَجَلُ  
 وَالْخَيْلُ تَبْكِي جُلُوْدَهَا عَرَقًا      بِأَذْمُجٍ مَا تَسْحَهَا مَقْلُ  
 سَارٍ ، وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاجِبِهِ      كَأَتَمَّا كُلُّ سَبَسَبٍ جَلُ<sup>(٤)</sup>  
 يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ      شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسْلُ<sup>(٥)</sup>  
 ( يَا بَدْرُ ، يَا بَحْرُ ، يَا غَمَامَةُ ، يَا      لَيْثَ الشَّرَى ، يَا حِمَامُ ، يَا رَجُلُ )  
 ( إِن الْبَنَانَ الَّذِي تُقْلِبُهُ      عِنْدَكَ ، فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثْلُ )  
 ( إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا      مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ ، فَقَدْ بَخِلُوا )  
 ( قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا آمَتْشَقُوا ،      قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا اعْتَقَلُوا )  
 ( مِثْلُكَ يَا بَدْرُ لَا يَكُونُ ، وَلَا      تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوْلُ )

\*\*\*

/ ومن تدبّر هذا التّهج في المديح ، ورجع إلى مدائحه الأول ، ولم يُخلِ فكره مما ١٤٤

- (١) « الفرس الجرداء » ، القليلة الشعر و « مُجْفَرَةٌ » ، عظيمة الجفرة ، وهي الوسط ، مدح في الخيل .  
 و « العسيب » ، عظم ذنب الفرس ، و « الْخُصْلُ » ، جمع « حُصْلَةٌ » ، وهو شعر الذنب ، ويستحب طول شعر الذيل .  
 (٢) « التليل » ، العنق ، و « الكفل » عَجَزُ الفرس . فهي مشرفة الكفل ، عريضة الصدر . إذا رأيتها مدبرة  
 لم تر عنقها من إشراف كفلها ، وإذا رأيتها مقبلة رأيت تليها وسعة صدرها ، وغاب عنك كفلها .  
 (٣) « الوهل » ، الفزع والرعب .  
 (٤) يسرى بخيله في الفلوات فلذلك امتنع أن تكون قفراً . و « السَّبَسَبُ » المطمئن من الفلاة الواسعة ،  
 يصير بخيله كأنه في الفلاة جبل .  
 (٥) « الأسل » ، الرماح ، تشتحر رماحه من كثرتها ، فإذا جاء مطر لم يُصِبْ الفلاة منه شيء لتضايقه  
 واشتباكه .

ذكرناه في أول هذا الباب ، وجد في هذا الشعر عاطفة الشاعر التي عطفته على بدر ، وعرف أن هذا الشعر ليس مديحاً كالذي تلوكه الألسنة ، وينقذه نقاد عصرنا هذا ، بل هو تصوير الرجل وإبرازها في ألفاظها الحية ، وتفصيل مميزاتا عند الشاعر ، ووجد أيضاً صيداً في ذلك كله ليس لشعر ، ولا لشعر أبي الطيب نفسه فيما سبق من مدائحه . وهذا موضع للتدبر والتأمل ، فتدبره وتأمله ، <sup>(١)</sup> ... وتأمل قوله : « يا بدر ، يا بحر .... » ، فقد ناداه باسمه ، ثم بصفة صفة من بعض صفاته ، فلما امتد في الصفات إلى كل غاية ، ووجد أنها مما لا يفرغ منه ، ضمّن كل المعاني التي في نفسه من صفة بدر في لفظ واحد هو قوله : « يَارَجُل » ، فقد كانت الصفة الجامعة لكل صفات صاحبه هي « الرجل » ، تحتها كل كريمة من معاني النفس : من مروءة وهمة وشجاعة وسماحة وسناء .

\*\*\*

وكان المتنبي ، في عشرته لابن عمار ، قد بدأ يُفسح في شعره مجالاً لإحساسه القوى بالجمال القوى المشبوب ، معبراً عنه بالعبارة المُرسلة من قلبه القوى المشبوب ، فكانت قصيدته في وصف الأسد ، والمقابلة بينه وبين بدر وأسدتيه وقوته ، رائعة قليلة المثل ، مُفردة من بين الشعر العالی ، اجتمعت له فيها الحكمة / السهلة ، والبيان المشرق الندى ، والخيال الجامع المقدّر المبدع ، والاختيار الصافي للصفات المميزة التي تجعلك تقرأ صفة ما يصف ، وكأنك تراه ماثلاً بين عينيك . ولا بأس من أن تُورد لك بعض ذلك على سبيل المثال هنا ، إذ كانت هذه الطريقة الشعرية قد بدأت عند الرجل ، ثم استحسنت فيه حتى بلغت أقصى غاياتها من شعره الذي قاله في سيف الدولة بعد .

قالوا : .... ( خرج بدر بن عمار إلى أسدٍ فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج

(١) ليس فيما بقي لدينا من ( المختطف ) سعة حتى نشرح هذا ، فنسأل القارئ أن يعيننا بذكائه وفطنته وأدبه ، فإن غمض عليه شيء ، فليراسلنا بعنواننا ، ليتسنى لنا أن نوفي أبا الطيب حقه في كتابنا إن شاء الله ، ثم انظر ص : ٢٥٠ - ٢٥١ .

قبله إلى أسدٍ آخرٍ كان يقطع طريق السابلة ، ويلحق بهم أذى كثيراً - فهاجه عن بقرة  
أفترسها بعد أن شبع وثقل ، فوثب إلى كفّل فرسه فأعجله عن استلال سيفه ، فبادره  
بالسوط يضربه حتى مرّغه في التراب .... ) ، فقال :

أَمْعَفَرُ اللَّيْثِ الْهَزْبِرِ بِسَوَطِهِ ! لِمَنِ أَدَّخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟  
وَقَعْتُ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ، نُضِدْتُ بِهَا هَامَ الرِّفَاقِ ثُلُولَا  
وَرَدَّ ، إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبَا ، وَرَدَ الْفُصَاتِ زَيْتِرُهُ وَالتِّيَلَا  
( مُتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ ، لَا يَسُ ) فِي غِيلِهِ مِنْ لَيْدَتِيهِ غِيَلَا  
( مَا قُوِلْتُ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنُنَا ، تَحْتَ الدُّجَى ، نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا )  
( فِي وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا )  
( يَطَأُ الثَّرَى مُتَرْفِقًا مِنْ تَيْهِهِ ، فَكَأَنَّهُ آسِي يُجْسُ عَلِيَلَا )  
( وَبَرْدُ غُفْرَتِهِ إِلَى يَافُوحِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا ) (١)  
( وَظَنُّهُ مِمَّا يُزْمَجِرُ ، نَفْسُهُ عِنَّا ، لِشِدَّةِ غَيْظِهِ ، مَشْغُولَا )  
( قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى ، فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْكَمَى جَوَادَهُ مَشْكُولَا ) (٢)  
( أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ ، وَبَرَبَرْتُ دُونَهَا ، وَقُرْتُ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلَا ) (٣)  
/ فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا  
( أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فَيْكُ كِلَيْهِمَا : مَتْنًا أَزْلًا ، وَسَاعِدًا مَفْتُولَا ) (٤)

١٤٦

.....  
.....  
( مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ حَتَّى حَسِبْتُ الْعَرَضَ مِنْهُ الطُّولَا )  
( وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلَا )

(١) « العفرة » ، لبدة الأسد ، وهو الشعر النابت على قفاه .

(٢) « الكمي » الفارسي في سلاحه . و « المشكول » المقيد .

(٣) « بربر » ، زجر وزأر ، و « البريرة » ، كلام الغضبان .

(٤) « المتن » ، متن الظهر ، و « أزل » ، قليل اللحم .

وَكَأَنَّهُ عَرَّثُهُ عَيْنٌ ، فَادَّئى ،  
 ( أَنُفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ ، تَارِكُ )  
 ( وَالْعَارُ مَضَاضٌ ، وَلَيْسَ بِخَائِفِ )  
 ( سَبَقَ التَّقَاءُكَ بَوْبَةِ هَاجِمِ )  
 خَذَلْتُهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتُهُ ،  
 قَبِضْتُ مَيْتَهُ يَدَيْهِ وَعُنُقَهُ  
 سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبَحَالِهِ ،  
 ( وَأَمْرٌ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ ، )  
 ( تَلَفَ الَّذِي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ حُلَّةً ، )  
 لَمْ يُصِرَّ الْخَطْبُ الْعَجِيلَ جَلِيلًا  
 فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا ( )  
 مِنْ حَتْفِهِ ، مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا ( )  
 لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ لَجَازَكَ مِيلًا ( )  
 فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلًا (١)  
 فَكَأَنَّمَا صَادَقْتُهُ مَغْلُولًا  
 فَتَجَا يُهْرُولُ أُمْسِي مِنْكَ مَهُولًا  
 وَكَفَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا ( )  
 وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ حَلِيلًا ( )

فهذا شعر لو ذهب أبينه وأفضله وأجلوه ، لما أعانتني هذه الورقات  
 ولا وسعتني ، وفيما رسمته في طريق كلامي عن شاعرية الرجل كفاية لو تدبرت . وقد  
 أثبتنا لك كثيراً من القصيدة اللامية السالفة ، ثم من هذه في وصف الأسد ، لأن هاتين  
 القصيدتين هما ( نقطة الانقلاب ) ، كما يقولون ، في شاعرية أبي الطيب من النهج الأول  
 إلى النهج الثاني الذي لزمه وسار في دربه ، وتميز به . ففي هاتين تجد أبا الطيب فتى وكهلاً  
 وشيخاً . ولو قسنتهما إلى ما يأتي بعد من / شعره ، لوجدت أن الرجل قد بدأ يستمر  
 مريزه بدءاً من هذه السنوات التي أقامها عند بدر بن عمار منذ سنة ٣٢٨ ، وفيهما أيضاً  
 الأصول النفسية والشعرية والبيانية التي مددنا لك أطرافاً منها في ثنيات القول .

\*\*\*

ولابد هنا من الإشارة إلى موضع يكثر مَوْرِدُهُ في شعر أبي الطيب : ذلك أن الرجل  
 = لاستحكام أصل الرجولة والمروءة والفتوة في نفسه غير مُدَّعٍ ولا متمثل = كان إذا رأى  
 ما يخالف الرجولة ويحطُّ منها ، اهتزت نفسه واشمأز ، وأبدى ازدراءه واحتقاره ، فهو يحبُّ

(١) « التجديل » ، الوقوع على الأرض ، وهي « الجدالة » .

من عدوه أن يستمسك بعروة الرجولة في اللقاء والهزيمة والنصر ، كما يحب ذلك من نفسه .... فحين قرَّ الأسد الثاني الذي ذكره ، من بدر بن عمار بعد هزيمة ( ابن عمته ) ، استدعى ذلك احتقارَ أُنَى الطيب له ، فثارت رجولته كُلُّها لهذا الفرار القبيح من أسدٍ هو الأسدُ ، فضمَّن شعره هذا المعنى من الازدراءِ والسخرية به حيث يقول :

« سَمِعَ ( أَبْنُ عَمَّتِهِ ) به وبخاله ، فَتَجَا يُهْرُولُ أَمْسِي مِنْكَ مَهُولًا »  
« وَأَمْرٌ مِمَّا قَرَّ مِنْهُ فَرَارُهُ ، وَكَفَّتِلَهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا »

فمن ألوان السخرية والتهمك والازدراء لهذا الأسد الجبان ، أنه حين وصف فراره جعله ( هَرُولَةً ) ، والهرولة حالة بين المشى والعدو ، فهو من خوفه واضطرابه ترك المشى وأراد العدو ، ولكن منعه الهلع أن يعدو ، فاصطكَّ ، فصار عدوه للفرار بنفسه لا هو من العدو ولا هو من المشى . ثم أبدى في البيت الثاني كُلَّ احتقاره له بقوله : « وَكَفَّتِلَهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا » ، / فما يحسن بأسدٍ أن يفرَّ ، وإِنَّمَا هُمَا خُطْبَتَانِ : إِمَّا صَبْرٌ وَظَفَرٌ ، وَإِمَّا ١٤٨ إِقْدَامٌ وَحَتْفٌ ، فبذلك يُثَبِّت الأسد أنه أسدٌ لا خرووفٌ ولا نعامَةٌ .

ولنضرب لك مثلاً آخر في ذلك . ففي سنة ٣٤٢ أوقع سيفُ الدولة بالروم في موقعة ( بطن هِنْرِيطَ ) ، وكان الدُّمُسْتُقُ وولده يحاربان ، فُجِرِحَ الدُّمُسْتُقُ ، وأصيب ولده في مقتل أشقى به على الموت ، وقرَّ الدُّمُسْتُقُ تاركاً ولده في يد الموت ، فلم يَقْتِ أبا الطيب ، حين ذكر هذه الموقعة ، أن يشير إلى هذه الحادثة ، وأن يدلَّ على ازدرائه واحتقاره لهذا الدمستق الذليل الجبان الذي خَلَفَ مُهْجَتَهُ وولده للموت ، فكان مما قال :

لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتُقُ عَائِدٌ      فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يُؤُولُ  
( نَجَوْتُ بِإِحْدَى مُهْجَتَيْكَ جَرِيحَةً ،      وَخَلَفْتَ إِحْدَى مُهْجَتَيْكَ تَسِيلُ )  
( أَتُسَلِّمُ لِلْحَطِيَّةِ أَبْنَكَ هَارِبًا ١٩      وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلُ )  
( بَوَجْهِكَ مَا أُنْسَاكَهُ مِنْ مُرْشَةٍ      نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ ) ( ١ )

( ١ ) « المرشة » طعنة رمح تفجر الدم فترشه رشاً .

وهذه الأبيات غاية في الدلالة على استحكام الرجولة في طبع أبن الطيب ، وأنه كان يؤذيه ويؤثره أن لا يجد في الرجل صفة الرجولة : من إقدام وصبر ومروءة وشهامة ، وما إلى ذلك من كريم الصفات ، ولو كان أولئك الرجال من أعدائه . وأعدّ قراءة البيت الثالث ، فكأنك بأبن الطيب ينشده متعجباً مزدرباً ، ثم ييصق على صورة هذا الجبان الدمستق .

\*\*\*

/ ثم رَجَعْنَا إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ ... وجد أبو الطيب في بدر بن عمار ( الرَّجُل ) ، فاستقرّ وهذا حيناً ، وملاً نفسه من خلال القوة والفتوة والمروءة التي تحقّق بها بدر . ولكن وقع في هدوئه واستقراره واقع هزّه ونفضه ، وذلك أنه وهو بطبرية ، التي كان بها العلويون من أعدائه ، والذين ذكرهم فيما قدمناه لك في قوله في صفة البحيرة ، بحيرة طبرية : (١)

« يَشِينُهَا جَرِيْهَا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ (الأدعياء) و (القزم) »

لم يفتأ يجد من عداوتهم له كيداً كثيراً ، حتى سَعَوْا به لدى بدر بن عمار ، وأغروا به الشعراء ليغيظوه بالسنتهم ، وكان هنالك رجل ممتّع بإحدى عينيه ( أعور ) ، يُدعى ابن كرّوس ، وكان قد اتصل ببدر ، وكان من أشد أعدائه عليه ، ولذلك قصده بالذكر من بينهم . ونحن وإن لم نكن نعرف شيئاً عن هذا ( الممتّع ) ابن كرّوس ، إلا أنه يحلّ إلينا أنه كان من صنائع العلويين أو الفاطميين ، (٢) صحب بدر كالعين عليه ، ثم ليحمله ينحاز إليهم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، على عادتهم مع الأمراء وغيرهم ، تمهيداً لقلب الخلافة من العباسية إلى العلوية أو الفاطمية .

فلما كان ذلك ، دخل على فرح أبن الطيب ما رده إلى قلقه وأضطرابه وغمومه

(١) انظر ص : ٢٥٣ .

(٢) انظر ما سيأتي أول الفصل العاشر ص : ٢٧٣ .



وهمومه ، فعاد يذكر أحزانه ، ويُقَلِّبُ الرأى فى الفراق ، إذ لم يجد عند بدر عَضُدًا ينصره  
نُصْرَةَ المحبِّ لحبيبه ، فيقول :

كَأَنَّ الحُزْنَ مَشْعُوفٌ بِقَلْبِي      فَسَاعَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الوِصَالَ  
/ كذا الدنيا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي ،      صُرُوفٌ لَمْ يُدْمَنْ عَلَيْهِ حَالًا  
( أَشَدُّ العَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورِ )      تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ آتِيقَالًا  
( أَلْفَتْ تَرْحَلِي ، وَجَعَلْتُ أَرْضِي )      قُتُودِي وَالْغُرَيْرِي الْجَلَالَ (١)  
( فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا ،      وَلَا أَرْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالًا )  
( عَلَى قَلْبِي ، كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي      أَوْجُهَا جَنُوبًا أَوْ شِمَالًا )

ثم يقول لبدر ، بعد أبياتٍ يذكر ما لَقِيَ من أعدائه من الشعراء :

فَيَا آبَنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَذَنِ      مَوَاضِعَ يَشْتَكِي البَطْلُ السُّعَالَا  
وَيَا آبَنَ الضَّارِّينَ بِكُلِّ عَضْبٍ      مِنَ الْعَرَبِ ، الْأَسَافِلُ وَالْقِلَالَا (٢)  
أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غُرُوا بِدَمِي ،      وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالَا ؟  
وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ      يَجِدُ مُرًّا بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالَا  
وَقَالُوا : هَلْ يُبْلَعُكَ الثَّرِيَا ؟      فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالَا

فهو بهذه الأبيات يعرض على بدرٍ ما يلاقى من الكيد ، وَيَسْتَعِدِّيهِ بالبيت الأخير  
على نصرته على أعدائه . ولا ندرى ما الذى كان يكادُ به أبو الطيب ؟ ولكن نظنَّ أنهم  
كانوا يتغامزون به وبشعره وما فيه من الغلو والطموح ، وما يَرُدُّ فى أثناؤه من الوعيد للطغاة  
والملوك والأعداء ، والإنذار لهم أن يصيبهم من قِبَلِهِ كُلُّ مكروهٍ . والحَقِيقَةُ أَنَّ هذه المعانى

(١) القُتُود ، حشب الرجل الذى يوضع على البعير . « الغريرى الجلال » ، نسبة إلى « الغُرَيْر » وهو فحل  
كريم من الإبل عظيم البيان . و « الجُلال » مبالغة فى « الجليل » .

(٢) « القلال » ، جمع « قَلَّة » ، وهى رأس كل شىء يقال : « قَلَّةُ الجبل » ، أى رأسه ، يعنى أحْسَاءَ العرب  
وأشرافهم .

١٥١ في شعر أبي الطيب مما يستجلب التنبّه لها ، والوقوف عندها ، فليس في العربية كلّها شاعرٌ قد كثُرَتْ في شعره المعارضُ كما كثُرَ ذلك في شعر أبي الطيب ، بل أنت تقلّب دَوّابين / الشعراءِ جميعاً فلا تكاد تجد فيها هذه المعاني في الإنذار والوعيد والترصُّص ، وخاصةً في المدح الذي يُراد به عطفُ القلوب لاستخراج مكنونها ، وإلانة الأيدي لقبض نَوّالها . وهذه المعاني مما يَعْكِس على الشعراءِ مُرادهم إن راموه وتعاطَوْه في أشعارهم . أمّا أبو الطيب فقد جَعَلها عَمُودَ شِعْره غيرَ مُبالٍ ولا حافِلٍ . فمن هذه الظاهرة في شعره = أغنى اعتياده في كثير منه على الإنذار والوعيد = بدأ أعداؤه في جوار بدرٍ يُسمّونه « المَتَنَّبِي » ويغيطونه بذلك ، ويعنون أنه يتشبه بالأنبياء ، إذ كان عَمُودَ نبوتهم الإنذار والوعيد أيضاً ، وهو قد جَعَلَ بنيان شعره على هذين . (١) ولعلّ هذا هو المراد بقوله : « أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غُرُوا ( بَدَمِي ) » . فهذا ذمُّه عندهم كما ترى .

وَاشْتَدَّ هذا الكيدُ على أبي الطيب حتّى حمّله على فراقِ بدرٍ ، إذ ( نَكِرَ جَانِبُهُ ) حين لم يجد عنده كلّ ما أراد ، ووجَدَه يسمع للوشاة ويصْغِيهم أذنه . وكان آخر ما لقي أبو الطيب من ذلك : حين سار بدرٌ إلى الساحل = ساحل طَبْرِيةَ = حين أضيّف عمله إلى عمله بطَبْرِيةَ ، وكان أبو الطيب قد تخلف عن المسير معه ، فانتَهز ذلك الأعور ابنُ كروّس ، فكتب إلى بدرٍ يقول له : « إِنْ أَبَا الطيبِ إِنَّمَا تَخْلَفُ عَنْكَ رَغْبَةً بِنَفْسِهِ عَنِ الْمَسِيرِ مَعَكَ » . (٢) وَبَلَغَ ذلك أَبَا الطيب ، فثارت نفسه وعَزَمَ الرحيل والفراق ، ولكنه أَجَلَ ذلك حتّى يعودَ بدرٌ ليعرف ما عنده ، والظاهر أن / بدرًا كان قد حمل في نفسه شيئاً من آثارِ سَعَاياتِ الأعور ابنِ كروّس ، فلما عاد إلى طَبْرِيةَ ولَقِيَهُ أبو الطيب ، فطن لما يدور في نفس بدرٍ ، وخاف أن يَحْذُلَهُ ، فاعتمد الرِّحْلَةَ وَطَى الأرض ، ولذلك كانت آخرُ

(١) انظر ما سلف في آخر الباب السادس ، ص : ٢٣٢ ، ٢٣٥ .

(٢) هذا من نص كلام أبي الطيب ، في تقديمه لقصيدته التي منها الأبيات التالية .

قصيدة مقصّدة مدّح بها بدرًا بينة الدلالة على اضطراب نفسه وقلقه وعزمه هذا ، فهو يقول فيها :

( أنكرت طارقة الحوادث مرة ، ثم اعترفت لها فصارت ديدنا )  
وقطعت في الدنيا الفلا ، وركائبي فيها ، ووقتي الضحي والموهنا

وظهر فيها أيضاً خوفه أن يُسلمه بدر إلى أعدائه ، فيُصدوا له ويفتكوا به على غرة ، فصرّح لبدر بذلك حيث يقول ، يذكر أمر تخلّفه عنه ، ثم مخاوفه ، ثم يُنذره :

فَطَنَ الْفَوَازُ لِمَا أَتَيْتُ إِلَى النَّوَى      وَلَمَّا تَرَكْتُ مَخَافَةً أَنْ تَفْطُنَا  
أَضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ      لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هِينًا  
فَإَغْرِزْ ، فِدَى لَكَ ، وَأَحْبِسْنِي مِنْ بَعْدِهَا      لَتَخْصُنِي بَعِطِيَّةٌ مِنْهَا ( أُنَا )  
( وَأَنَّهُ الْمَشِيرَ عَلَيْكَ فِي بِضْلَةٍ )      فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزُّنَا (١)  
( وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعْرِضًا )      فِي مَجْلَسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعَنِي  
( وَمَكَائِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِمْ ، )      وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِسَرِ الْمُقْتَنِي  
لُعِنْتُ مُقَارَنَةَ اللَّئِيمِ ، فَإِنَّهَا      ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ الْمَلَامَةِ ضَيْفَنَا (٢)  
( غَضَبُ الْحَسُودِ ، إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِيًا ، )      رُزْءٌ أَخْفَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يُورَنَا

ثم بقي مع بدر وهو يُضمّر في نفسه فراقه ، فكان يتتبع مرضاته في كثير / مما ١٥٣  
لا يرضى به ، حتى شرب الخمر في منادمته ، ليصرف بدرًا عما كان في نفسه قليلاً ،  
حتى تعرض له الساعة المؤاتية للفراق . فلما أتت الساعة ، بادَرَ واحتمل أهله ونفسه  
وخرج إلى دمشق ، وقصد عملاً من أعمالها يقال له : ( جَمَى جَرَش ) ، كان به أبو

(١) « المشير » ، هو الأعور ابن كروّس .

(٢) « اللئيم » تعريض أيضاً بابن كروّس . و « الضيف » ، الذي يأتي مع الضيف ولم يُدْع .

الحسين على بن أحمد المرّي الخُراسانيّ ، وكانت بينهما مودة وهما بطبريّة ، فلجأ إليه ،  
واحتفى بحماه ، وذلك في سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لا التحقيق .

- ١٠ -

\*\*\*\*\*  
 لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ  
 وَلَا أُمُرٌ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَعِنٍ  
 وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمْلَاكِهِمْ مَلِكًا  
 إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ  
 مَدَحْتُ قَوْمًا... وَإِنْ عِشْنَا نَظَّمْتُ لَهُمْ  
 قَصَائِدًا مِنْ إِيَاثِ الْخَيْلِ وَالْحُصْنِ  
 فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُذُرٍ ،  
 وَلَا أَصَالِحُ مَعْرُورًا عَلَى دَخَنِ  
 \*\*\*\*\*

١٥٥ / ظَفِر « آبن كروّس » الأعور بأبي الطيب ، وأفسد عليه بَدَرَ بنَ عمار . ويبيّن  
 أنّ دهاء أبي الطيب وحيلته أعانتته على اجتناب الخطر الذي كان له رَصْدًا في طَبِيعَةِ ،  
 والذي كاد يُدرّكه مرة أخرى بعدُ في سنة ٣٣٦ ، حين أرصد له العلويّون ليقتلوه فقاتهم  
 إلى الرملة ، وهذا مما يرجّح عندنا أن « ابن كروّس » كان من شيعة العلويين ، أو من  
 أنفسهم ، أو من دعاة الفاطمية . (١)

وكان أبو الطيب ، كما قدمنا لك ، وهو عند بدر قد بدأ يطمئن ثم هاجمه هذا  
 الأعور آبن كروّس ، فانطلق إلى غايّة في نفسه من الحقد والثورة والافتحام ، ولكنه كتم  
 ذلك . فلما نزل بعلّى بن أحمد المُرّي كانت قصيدته إعلاناً / للحرب مرّة أخرى ،  
 ١٥٦ ورزلة وقعت في قلبه فأخرجت قديمه من الأحقاد والترايب والآمال والآراء ، واستمر  
 ينتفض ويقذف بركائه بحميمه ، إلى أن كان اتصاله بأبي العشائر في أواخر سنة

(١) انظر ما سلف ص : ٢٧٠ ، وما سيأتي ص : ٢٩٠ - ٢٩٤ .

٣٣٦ . (١) وكان شعره في هذه الأغراض ، ثم في هذه الفترة ، نظراتٍ متطايرةً كالشرر تحت ظلام الليل ، وهي مع ذلك حكيمة تقع في المَفْصِل ولا تُحْطِئ ، إذ كان الرجل قد تَحَنَّن واستحكم واستمر في الشعر على طريقته ، مِمَّا وَجَدَ من الهدأة في جوار بدر ، ثم ما وجد من الكيد بَعْدَ . ولم يَتَّصِلْ بَعْدَ بَدْرِ بِأَمِير يُنادمه ، بل كان يَتَنَقَّلُ من مكان إلى مكان ثائراً مُعْضَباً مُوَعِداً مُنْذِراً مُرْعِداً ، يُريد وَيُبْغِي ، وَيُؤْمِل وَيَنْتَظِر ، وَيَمْلُ وَيَسَام ، وَيَحْنُقُ ثم ينفجر ، حتى كان ما كان من لقاءه أبا العشائر ، ثم سيف الدولة . (١)

\*\*\*

فانظر الآن إلى هذا الشعر الذي تَلَقَّى به عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرِّي ، بعد أن تَرُدَّ النظر مرةً أخرى إلى ما كتبناه في الفصل الثامن .... يقول :

( لَا أَفْتَحَارُ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ )	( مُدْرِكٌ أَوْ مُحَارِبٌ لَا يَنَامُ )
( لَيْسَ عَزْماً مَا مَرَضَ الْمَرْءُ فِيهِ ،	( لَيْسَ هَمًّا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ )
( وَاحْتِمَالُ الْأَذَى ، وَرُؤْيُهُ جَانِيهِ ،	( غِذَاءُ تَضْوَى بِهِ الْأَجْسَامُ ) (٢)
( ذَلٌّ مِنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيشٍ	( رَبٌّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْجِمَامُ )
( كُلُّ جِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ	( حُجَّةٌ لَا جِئَ إِلَيْهَا اللَّكَامُ )
( مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ،	( مَا لِيُجْرَجَ بِمَيْتٍ إِلَى الْإِلَامُ )
( / ضَاقَ ذَرْعاً بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ ذَرْ	( عَا زَمَانِي ، وَأَسْتَكْرَمَتْنِي الْكَرَامُ )
( وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصَى قَدْرِ نَفْسِي ،	( وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصَى الْأَنَامُ )
( أَقَرَّاراً أَلْدُ فَوْقَ شَرَارٍ !!	( وَمَرَاماً أَبْغِي وَظُلْمِي يُرَامُ !! )
( دُونَ أَنْ يَشْرَقَ الْحِجَارُ وَنَجْدُ	( وَالْعِرَاقَانُ ، بِالْقَنَا ، وَالشَّامُ ! )

١٥٧

(١) انظر ما سيأتي في أول الباب الحادى عشر ، والثانى عشر ، ثم ما يأتى ص : ٢٨٠ .

(٢) انظر ما قلته في هذا البيت ص : ٢٥٢ ، و « توقيع المتنبي » ص : ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

فهذه أبياتٌ قد اجتمعت فيها نفس المتنبي كلها ، بحكمتها وتجربتها وعلومها وقوتها  
ورُجولتها وثورتها وانتقاضها وزلازلها ، وبآمالها وأحقادها ووعيدها وإنذارها ، وبصدقها  
وعواطفها المتسعة التي يأكل بعضها بعضاً ، وفيها ( توقيع المتنبي ) على كل بيت .<sup>(١)</sup>  
فلا تحسبن شاعراً يستطيع أن يأتي بمثلها أو يسرق معانيها ، إلا أن يستطيع أن يسرق  
نفس أي الطيب وقلبه جملة من بين جنبيه ، أو إلا أن يكون قد مُهد له في نفسه وفي  
صدقه وفي آلامه وغير ذلك ما تيسر لأي الطيب .

وألقي أبو الطيب هذه ( القنابل ) الحكيمة في « جَمِي جَرَشِ » ، ثم أدركته  
مكايد الأعور ابن كروّس ، أو العلويّين إن شئت ، فعجل بالرحيل غير مختارٍ له ، فقال  
يودّع صاحبه المرء ويعتذر له ، وقد أبان في هذه الأبيات كل الإبانة ، فهو راحل « في  
عجل » ، وهو راحل عنه غير مُختارٍ :

( لَا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ      فَإِنِّي لِرَحِيلٍ غَيْرُ مُخْتَارٍ )  
( وَرَبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ      يَوْمَ الْوَعَى - غَيْرَ قَالٍ - حَشِيَّةَ الْعَارِ )  
( وَقَدْ مَنِيْتُ بِحُسَادٍ أُحَارِبُهُمْ ،      فَأَجْعَلْ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي )<sup>(٢)</sup>

١٥٨ / ثم انطلق أبو الطيب من « جَمِي جَرَشِ » يتقحّم البوادي عَجلاً يُقَوِّرُ قَوْرَانَ  
القَدْر على نارها المتضجرة ، وتسعّرت الدنيا في عينيه ، وتلدّعت الأفكار النارية بين جنبيه ،  
فخرج شعره كمعمعة الحريق ونقيضه وزفيره وفرّقعته ، كما سترى . ومن شدّة ما لقي أبو  
الطيب من كَيْد هذا الأعور ابن كروّس ، كان - على عادته - يتخيّله كلما تلّفت في  
مسيره واقتحامه ظُلُمات البادية . وقد حَفِظَ لنا أبو الطيب في شعره - على عادته أيضاً -  
صورة ناطقة من إحساسه وعواطفه وهو يطوى البادية طياً عَجلاً فقال :<sup>(٣)</sup>

(١) انظر ما قلته في هذا البيت ص : ٢٥٢ ، و « توقيع المتنبي » ، ص : ٢٥٢ ، ٢٥٦ .

(٢) أي : فاجعل نداءك بعض أنصاري عليهم .

(٣) لقد أكثرنا من نقل شعر أبي الطيب ، إذ كان السياق الآن يقتضي ذلك ، ولتلا فقطع القارئ بار جوع -

رَكِيتُ مُشْمَرًا قَدَمِي إِلَيْهَا ، وَكُلُّ عُدَافِرٍ قَلْبِي الضُّفُورِ  
( أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبُدُو رَحَلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ )  
( أُعْرِضُ لِلرَّمَاكِ الصُّمِّ نَحْرِي ، وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِي لِلْهَجِيرِ )  
( وَأَسْرِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي ، كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ )

وهذا البيتان الأخيران فيهما من رجولة أبي الطيب وتقحُّمه ومضائه وتدفعه واستهانته بالشقاء في سبيل آرايه وآماله ما فيهما ، ففسَّرهما لنفسك ، وأعلم أن هذا الرجل شاعرٌ مبينٌ ، قلبه في لسانه ، وعواطفه في بيانه :

( فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا ، عَلَى شَعْفَى بِهَا ، شَرَوَى نَقِيرِ  
( وَنَفْسٍ لَا تُجِيبُ إِلَى نَحْسِيسِ وَعَيْنٍ لَا تُدَارُ عَلَى نَظِيرِ )  
( وَكَفَى لَا تُتَارَعُ مَنْ أَتَانِي يُنَازِعُنِي ، سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي ) (١)  
( وَقَلَّةِ نَاصِرٍ .. جُوزِيَتْ عَنِّي بِشَرِّ مَنْكَ ، يَا شَرَّ الدُّهُورِ ! )  
( عَدَوِي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّى لَخَلْتُ الْأَكَمَّ مُوْغَرَةَ الصُّدُورِ ) (٢)  
( فَلَوْ أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ لَجِدْتُ بِهِ لِذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ )  
( وَلَكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي ، وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُورُورُ ؟ )  
( فَيَا أَبْنَ كَرُوسٍ ، يَا نِصْفَ أَعْمَى ، وَإِنْ تَفَحَّرَ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ )  
( تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ ، وَتُبْعِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ ) (٣)  
( فَلَوْ كُنْتُ أَمْرًا يُهَجَى هَجُونًا ، وَلَكِنْ ... ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ )

١٥٩

- إلى الديوان ، ثم لنختصر القول من ناحية أخرى . فعلى القارئ أن يستنبط ويستخرج المعاني على الأصول التي درجنا عليها في كتابنا هذا . والتدبر والتأمل هما الأصول في العلم والاستنباط ، وهما عماد « التدقيق » الذي أشرت إليه في المقدمة .

(١) « الخير » ، بكسر الخاء ، الكرم والتبذل .

(٢) « الأكَم » ، جمع « أكمة » ، وهي التل المرتفع . و « موغرة الصدور » ، متوقدة بالغيظ .

(٣) « لُكْن » جمع « ألكن » ، وهو الذي لا يُبين بالعريّة من عُجْمَة لسانه .



وإمّا تدبرت الأبيات ، فستجدن أن نفسه الكريمة الأبيّة الأنوفة المستنكفة ، قد أريد بها الشر والأذى فاهتزّت ، وتدافعت هزّاتها في أعصابه كلّها ، فأثبتتها على لسانه المبين في هذه الألفاظ المتقصفة بأصواتها ومعانيها ، وألوانها البيانية ، في التدفع والالتفات والانتقال ، ثم في البغض للدنيا وازدراءها ، ثم في السخرية والتهكّم والاحتقار لهذا الأعور الذى هاجه عن عُشّه في جوار ابن عمار .

\*\*\*

وأراد الله خيراً بشاعرية هذا اللسان القوّال العربىّ المبين ، إذ رماه بآبن كروّس بعد هدأة واستجمام . فلما طوى البادية ، على ما وصفنا ، يقصد قصد أنطاكية ، دخلها سنة ٣٣٤ ، وكان بها « أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن محمد الحصىي » ، وكان يُنوب عن أبيه في مجلس القضاء بأنطاكية . وكان أبو عبد الله الحصىي داهية من دُهاة عصره ، فيما نرى ، فقصده أبو الطيب / يمدحه ، وجعل أوّل القصيدة يدُل على ١٦٠ ما وصفنا لك من تسعّر الدنيا في عينيه ، وبين جنبيه ، وكانت معاني مدّحه من هذا الباب أيضاً . وقد تضمنت الأبيات التى سننقلها لك آراءه في الجيل الذى كان يتقلّب بين رجاله ، وأزدراءه للرجال الذين قصدهم فلم يُلّف عندهم خيراً يُعينه على حاجته التى قال فيها فيما مضى من الأبيات : ( قُلْ في حَاجةٍ لم أقض منها ..... ) [ ص : ٢٧٦ ] ، ثم وصف رحلته بين أهل البادية ، وما كان يحذّره في أرضهم خوْف الطلب أن يهتدى إليه فيدرّكه فيفتك به ، ثم يثور ويتمزّع في أعنة نفسه فيُنذر ويوعّد .... وبذلك تعرف أن نفسه كانت على غايتها متوتّرة مُستوفزة ثائرة . ثم يأتيه كتاب جدّته فيقصّد العراق ، فيمنعه أعداؤه من العلويين الذين أرادوا به السوء من دخول الكوفة التى بها جدته ، فيجلب ذلك عليه الهمّ والألم ، فتموت جدّته ، فيهبّ ويتلذّع ويغنّ ويبكى ، ثم تدركه رُجولته فتردّ عليه قوة مضاعفة ، فيبدع وينفرد بقصيدة من أجزل الشعر وأرصنه ، (١) ومن

(١) قد استشهدنا بأبيات كثيرة من قصيدته في رثاء جدته فيما مضى في نسبه وغيره ، وذلك لما ترى من أنها كانت تحمل نفس أى الطيب كلها : صريحها وورغوتها ، [ انظر ما سلف ص : ١٦٠ - ١٧٧ ، ثم ص : ٢٤١ ] ٢٤٣ ، ثم ما سيأتى ص : ٣٧٢ - ٣٧٥ .

أكثر شعره خاصّة دلالة على ما في نفسه ، وعلى ما أصابه في حياته من مولده إلى يومه هذا سنة ٣٣٥ .

\*\*\*

يقول أبو الطيب لأبي عبد الله الحَصْبِيُّ القاضي :

أَفْضَلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لَذَا الزَّمَنِ ( يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ )  
( وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْحَرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ )  
( حَوْلَى بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ ) ( خَلَقَ ) تُخْطِئُ إِذَا جِئْتَ فِي آسْتَفْهَامِهَا بِمَنْ ؟ )

١٦١ / وهذا بيت يهجو بالفاظه قبل أن يهجو بمعانيه ، ويدل على ما في نفس الرجل من الآلام ، وما لقي من أهل عصره من الكيد والمكر ، وما كانوا عليه من الخسة واللؤم ، والشطر الثاني من البيت الثاني صفة صادقة لعصره كما تجدها في التاريخ ، وقد أشرنا إلى صفة هذا العصر فيما مر بك :

( لَا أَقْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ ، وَلَا أُمُرٌ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَّعِنٍ ) (١)  
( وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمْلَاكِهِمْ مَلِكًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَتَنٍ )  
( إِنِّي لَا عَذْرُؤُهُمْ مِمَّا أُعْنَفُهُمْ ، حَتَّى أَعْنَفَ نَفْسِي فِيهِمْ ، وَأُنَى ) (٢)  
( فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى أَدَبٍ ، فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ) (٣)  
( وَمُدْقِعِينَ بِسُبُوتٍ صَحْبَتُهُمْ عَارِينَ مِنْ حُلَلٍ ، كَاسِيِينَ مِنْ دَرَنِ ) (٤)

(١) « قرا الأرض واقترها » ، تتبعها أرضاً أرضاً وسار فيها ينظر حالها وأمرها .

(٢) « ونى نى في الأمر » ، ضعف وقصر وتوانى .

(٣) « الرسن » ، الحبل الذى يقاد به الحمار .

(٤) « المدقع » ، اللاصق بالدقعاء ، وهى الأرض ، من فقره ودلّه . و « السيروت » ، الأرض القفر الصفصف . و « الدرن » ، الوسخ .

- خُرَابٍ بَادِيَةٍ عَرَّتْهُ بُطُونُهُمْ ، مَكْنُ الضَّبَابِ لَهُمْ زَادَ بَلَا ثَمَنٍ (١)  
( يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ ) (٢)  
وَحَلَّةٍ فِي جَلِيسِ التَّقِيهِ بِهَا كَيْمَا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ

وهذا البيت مما يدل على ذهاب أي الطيب وسعة حيلته ، ودقته في الحذر إذا أحيط به ، وخاف أن يظفر به عدوه :

- وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا فَيَهْتَدِي لِي ، فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ (٢)  
( قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَكِنَّ الْعَزْمَ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ )  
/ كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلَى فِي خَوْضٍ مَهْلَكَةٍ ، وَقَتْلَةٍ قُرِنَتْ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ (١٦٢)  
( لَا يُعْجِبُنِي مَضِيماً حُسْنُ بَرَّتِهِ ، وَهَلْ تَرَوْقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الْكَفْرِ ) (٣)  
( اللَّهُ حَالٌ أَرْجِيهَا وَتُخْلِفُنِي ، وَأَقْتَضَى كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمُطُّلُنِي )

ولا يفوتنك هنا أن أبا الطيب في هذه الفترة قد أشار إلى مطلب له بهذا البيت في هذه القصيدة ، ومن قبل ما أشار إليه في القصيدة التي قبلها بقوله : « فقل في حاجة لم أقض منها ..... » [ ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ] ونحن نقفك عند هذا البيت لتجعله منك على ذكر حتى يأتي تأويله فيما يستقبل :

- ( مَدَحْتُ قَوْماً ، وَإِنْ عَشْنَا نَظَّمْتُ لَهُمْ قَصَائِدُ مِنْ إِبْنِ الْخَيْلِ وَالْحُصْنِ )  
تَحْتَ الْعَبَاجِ ، قَوَائِمُهَا مُضْمَرَةٌ ، إِذَا تُنْشِدُنْ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أَذْنِ

(١) « الخراب » ، النصوص الذين يسرقون الإبل . « عرَّتْ » جمع « غرثان » وهو الجائع الشديد الجوع .  
« مكن الضباب » ، يبضها ، والبداة يأكلون بيض الضب .

(٢) من هذا البيت وما بعده ، أخذ التنوخي وأشباهه من أعداء أبي الطيب ، ما زعموه من أنهم سأله عن نسبه ، فكان يقول : « إني رجل أطوى البوادي وحدي ، وأحبط القبائل . ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائفة يبيها وبين القبيلة التي أنتسب إليها » . انظر : ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) « المضيم » ، الذي نزل به الضم ظملاً فقهره وأدله . و « البرة » ، هيئة اللابس الثياب وشارته .

( ١ ) فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعاً إِلَى جُدْرٍ ، وَلَا أَصَالِحُ مَعْرُوراً عَلَى دَخْنٍ ( ١ )  
( ٢ ) مُخَيِّمُ الْجَمْعِ بِالْبَيْدَاءِ ، يَصْنَهُرُهُ حَرُّ الْهَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ ( ٢ )

وبين من نفس أبي الطيب في هذا الشعر أنه قد تطلق وأستن في عدوه إلى غايته ماضياً لا يلوى على شيء ، وأن لسانه قد اندلق بمعاني قلبه ، فهو مبين في شعره وإشارته ، غير حافل بما سوف يلقاه من الكيد فيما بعد . ولولا أن الرجل كان بركاني الطبع = يحمد ثم يفور ، ويفر ثم يتقلع = لما كان من أثر كيد آبن كروسي له ، ما ترى في كلامه من التدفق والتدافع الذي تراه فيما روينا لك من الشعر . ويحسن بك وأنت تقرأ هذا أن تتبّع ما رسمنا لك في التيقظ لإشارة الرجل ، وأن يكون منك على ذكر أن الرجل كان حين يفور ويقول ، تتراعى لعينه ، ويدوى في مسمعه ، كل ما سمعه أو مر به ، فهو يوجز لك ما في نفسه ضميراً في أبياته وكلماته .

...

/ وقد استمر أبو الطيب على حالته التي نصّف ، حتى اتصل بأبي العشائر ، ( ٣ )  
فكل شعره في هذه الفترة آراء ونظرات كلها مستنبط من ينابيع نفسه ، وذلك لما قلنا به من أن الأصل في نبوغ المتنبي هو ( استيعابه ما يحس به من العواطف ، ودراسة قلبه ومعرفة ما يحز فيه من الآلام والمعاني التي تتولد من هذه الآلام ، ثم اهتدائه إلى أن الشعر لا يكون شعراً إلا حين يروى من معاني القلب ويستقي منها ) . ( ٤ )

وبينا الرجل كذلك ، إذ جاءه كتاب جدته تسأله المسير إليها وتشكو شوقها

( ١ ) « على دخن » ، الغش والفساد المستور بمثل الدخان .

( ٢ ) « الصم » جمع « صماء » ، و « الفتنة الصماء » ، الشديدة ، لا يُسمع فيها صوت ناصح .

( ٣ ) انظر ما سلف ص : ٢٧٤ ، والتعليق هناك .

( ٤ ) انظر ما سلف ص : ٢٥١ .

إليه ، وطول غيبته عنها ، فلما قَصَدَ الكوفة التي هي بها وشارفها ، حيل بينه وبين دخولها ، ورؤية جدته المسكينة ، على ما مضى في تأويل هذه الواقعة . (١) فلما ماتت رحمها الله ثارت نفسه ، وقذفت بكل مكنونها من الآلام التي لقيها ، والحوادث التي فعلت فيه فعلها ، وكاد يصرّح بما لقي من كيد العلويين له في مسألة نسبه على ما فسرناه ، وما قُصِدَ به من الحسد والوشاية . ويكفي أن نشير هنا إلى بيت واحد من قصيدته في رثاء جدته لتعلم أين بلغ الألم من قلب أبي الطيب حتى مرّقه ، والبيت لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل ، وفي تدبره أو تأمل لفظه غنى ، إذ كان حسرةً محبوسةً في ألفاظ ، وكمدًا مكفوفًا وراء كلمات ، يقول :

( عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا      فَلَمَّا ذَهَبْتَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا )  
/ مَنَافِعُهَا : مَا ضَرَّرَ فِي نَفْعٍ غَيْرِهَا ،      تَعَذَّى وَتَرَوَى : أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْلَمَا ١٦٤

...

واجتمع على أبي الطيب ما في قلبه من الألم ، وما فجأه من موت جدته ، فتنزّت نفسه بقوتها حيناً ، واستسلمت بحكمتها وفلسفتها أحياناً ، وهو فيهما جميعاً حكيم بليغ ، فهو بعد أن ثار ما ثار بمثل قوله في رثاء جدته :

كَذَا أَنَا يَا دُثَيَّا ، إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي ،      وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهَا قَدْ مَا  
فَلَا عَبَرْتُ لِي سَاعَةً لَا تُعْزِنِي      وَلَا صَحَبْتَنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا

وأنطلق من بغداد = حيث كان حين ماتت جدته = قاصداً أنطاكية بالشّام ، يقول في القاضى « أبى الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي » :

أَنَعَمْ وَلَئِنْ فَلَا مُؤَرَّ أَوَّخِرُ      أَبَدًا ، إِذَا كَانَتْ لَهُنَّ أَوَائِلُ

(١) انظر ما سلف ص : ١٧٢ - ١٧٥ ، والتعليق هناك رقم : ١ .

مَا دُمْتُ مِنْ أَرْبِ الْحِسَانِ ، فَإِنَّمَا رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلٌ (١)  
لِلْهُوَ آوِنَةٌ تَمُرُّ كَأَنَّهَا قُبْلٌ يُزَوِّدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلٌ  
جَمَحَ الزَّمَانُ ، فَلَا لَذِيذٌ خَالِصٌ مِمَّا يَشُوبُ ، وَلَا سُرُورٌ كَامِلٌ

ومثل هذا الرأي قليل عند أئى الطيب ، بل هو ليس من عادته ، ولا مما يواتيه طبعه على معاناته والعمل به ، وإنما أتاه من أنه كان قد اشتدَّ في قُورته إلى الغاية حتى بلغ أقصى ما تحتمله نفسه من العنت والمشقة ، ثم أصابته فترةٌ تعقب ذلك لا بدَّ منها ، فاستخرجت حكمته هذا المعنى ، وهو يحمل من اليأس والتعب والتَّصَبُّ ما ترى في مثل قوله : « رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلٌّ زَائِلٌ » ، وقوله : « جَمَحَ الزَّمَانُ .... » ، فهذا كلام الياثس المستسلم ، إذا قاله / مَنْ كان مثْلُ أئى الطيب في تدفعه وتَقَحُّمه وثورته ، فهو أشبه بالاستجمام من التعب والشِّقْوة والتَّصَبُّ . هذا على أن الحالة التي كانت متلبسةً به ، لم تفارقه كلَّ المفارقة ، بل كانت فيه أعقابٌ منها ، فلما قصدَ المعانى التي يقصدها على طبعه وغريزته ، والتي تكون بالفاظها كالقنبلة في حديدها ، خرجت منه أَلُطْفٌ تعبيراً ، وأقلَّ تفجراً منها في غيرها .... فيقول لهذا القاضى :

لَا تَجْسُرُ الْفُصْحَاءُ تُنْشِدُ هَهْنَا بَيْتاً ، وَلَكِنِّى الْهَزْبُورُ الْبَاسِلُ  
مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي ، وَلَا سَمِعْتُ بِسِحْرِي بَابِلُ  
( وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُونِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّى كَامِلُ )  
مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْلِيلِ عَصْرِ يَدْعَى أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيُّ ، فِيهِمْ بَاقِلُ (٢)

.... وكذلك ، ولكنه أقوى قليلاً ، مَا أَتَى به بعدُ في قصيدته لأخي هذا القاضى ، وهو « أبو سهل سَعِيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى » ، إذ يقول في صِفَةِ نفسه :

(١) « روق الشاب » ، صفاؤه وغَضارته ونُضْرته .

(٢) « الهلدى » ، حساب الهند المشهورون به . و « باقل » رجل يضربُ به المثل في البُيِّ والفَدَامة والجهل .

إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعَنِ      قَلْبٌ ، إِذَا شِئْتُ أَنْ أَسْلَاكُمُ حَانًا (   
 ( أَبْدُو فَيَسْجُدْ مَنْ بِالسُّوءِ يَذْكُرُنِي ،      فَلَا أَعَاتِيَهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا )   
 ( وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي ،      إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْثُمَا كَانَا )   
 ( مُحَسَّدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي ،      أَلْقَى الْكَمِيَّ ، وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَا ) (١)   
 ( لَا أَشْرَبُ إِلَى مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعًا ،      وَلَا أُبَيِّتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانًا )   
 وَلَا أُسَرُّ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ ،      وَلَوْ حَمَلْتُ إِلَى الدَّهْرِ مَلَانًا

وفي هذه الأبيات يلتفت ، على عادته ، إلى الأيام التي مضت له بالكوفة ووطنه ، وما لقي هناك في خبر موت جدته ، فيذكرها فيثبتها في شعره ، / والالتفات في شعر المتنبى من معنى إلى معنى ، هو الذي تستطيع أن تستخرج به أسرار الرجل كلها ، إذ كان على ما وصفنا لك يستوعب ما يدور بقلبه من الخواطر والإحساس والآلام ، ويستخرج منها معاني شعره . فالتفاتة هنا بعد رجوعه من وطنه الكوفة ، دليل على ما كان قد لقي هناك من الكيد ، وهذه الصفات التي وصف بها نفسه هي أيضاً من أثر ما لقي هناك .

...

ولم يلبث صاحبنا أن ثابت إليه قوته ، فنفضت عن نفسه أسباب اليأس والخشوع ، وألجأته إلى طريقته الشعرية التي تميز بها وانفرد ، وهي طريقة طبيعته الثائرة المستوفزة المتأهبة للقتال والنضال . ولكنه حين بدأ يعود إلى المذهب الذي جرى عليه ، كما رأيت فيما مضى ، كان لا يزال مثائباً كالمستيقظ من سبات عميق قد فتره ... فذلك قوله بعد ذلك وهو بأنطاكية أيضاً حين مدح « أبا أيوب أحمد بن عمران » :

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ ، أَتَيْتُهَا      ثَبَّتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا

(١) « حان » ، قرب حينه ، أي هلاكه .

وَمَقَانِي بِمَقَانِي غَادَرْتُهَا أَقْوَاتٌ وَحَشِي كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا (١)  
أَقْبَلْتُهَا غُرَرَ الْحَيَادِ ، كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنَى عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا (٢)

فَذَكَرَهُ الْمَاضِي وَمَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَغَامِرَةِ وَالتَّقَحُّمِ وَالْقِتَالِ وَالْكَفَاحِ ، أَشْبَهُ بِقِصَّةِ مَنْ  
يَقْصُرُ عَلَيْكَ حُلُمًا كَانَ رَأَاهُ فِي نَوْمِهِ ، فَهُوَ لَا يَنْظُرُ إِلَى / الْمُسْتَقْبَلِ كَعَادَتِهِ ، وَلَا يُنْذِرُ ، ١٦٧  
وَلَا يُوعِدُ ، وَلَا يَصِفُ مَا سَيَكُونُ مِنْهُ بَعْدُ ، كَمَا رَأَيْتَ فِي شِعْرِهِ الَّذِي سَبَقَ هَذِهِ الْفَتْرَةَ الَّتِي  
أَصَابَتْهُ . وَيُوَيِّدُ هَذَا أَنَّ حِكْمَتَهُ كَانَتْ تَجْرَى هَذَا الْمَجْرَى مِنْ كَلَامِ الْأَحْلَامِ = وَكَذَلِكَ  
كَانَ مَذْخُهُ = فَهُوَ يَقُولُ فِي حِكْمَتِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فِي النَّاسِ أَمْثَلُ تَدُورُ ، حَيَاتُهَا كَمَمَاتِهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا

فَالْمُتَنَبِّئُ لَوْ كَانَ فِي غَيْرِ حَالَتِهِ تِلْكَ ، لَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى وَرَمَاهُ إِلَيْكَ مَتَفَجِّرًا مَدُودِيًا ،  
وَلَوْ جَدَّتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُ مَلَأَى بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الْإِزْدِرَاءِ لِلنَّاسِ ، وَالِاسْتِهَانَةِ بِهِمْ ، وَلِأَبْدَعِ  
فِي السَّخَرِيَّةِ وَالتَّهَكُّمِ عَلَى عَادَتِهِ حِينَ يَتَنَاولُ أَمْثَالَ هَذِهِ الْمَعَانِي ، كَقَوْلِهِ فِيمَا مَرَّ بِكَ :  
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ ( خِلَقٌ ) تُحْطِي إِذَا جِئْتُ فِي اسْتِفْهَامِهَا ، بِمَنْ ؟

\*\*\*

وَكَانَتْ أَيَّامُهُ تِلْكَ هِيَ آخِرَةُ الْفَتُورِ الَّذِي حَدَّ مِنْ طُمَاحِهِ وَجِمَاحِهِ ، ثُمَّ أَنْبَرَى  
كَأَشَدِّ مَا كَانَ ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ نَفْسُهُ وَتَضَامَّ شَتَاتُهَا ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ أَفْكَارُهُ كُلُّهَا ، فَهُوَ  
يَنْقُلُ مِنْهَا فِي شِعْرِهِ نَقْلًا بَيِّنًا ، وَلَا يُضْمِرُ إِلَّا مَا كَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِضْمَارِهِ ، وَهُوَ الْآنَ مُنْطَلِقٌ  
فِي الْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَمَّا يَجُولُ فِي صَدْرِهِ . فَنَمَا قَدَمَ عَلَى « عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْأَنْطَاكِيِّ »  
يَمْدَحُهُ ، قَذَفَ فِي وَجْهِهِ بِهِذِهِ الْأَيَّاتِ :

(١) « المقاب » ، طائفة من الخيل يركبها أصحابها للغارة .

(٢) « أقبلتها » ، وجهتها إلى غرر الحياض تقبلها وجهاً لوجه .



أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَحِيداً ، وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ ؟

فهذه صورة مما كانت عليه نفسه قبل ما ذكرناه ، ثم انتقله بعد إلى طبيعته القوية كما ستري . فهو حين ذكر أنه يقاتل « الدَّهر » ، ذكر أنه يقاتله وحيداً / لا ناصر له ولا عَضُد . فلما جرى ذلك في ضميره ، أَبَتْ عليه كبريائه أن يَضْعُفَ في القتال لتوَحُّده وانفراده وقلة ناصره ، فاستدرك على هذا المعنى الذى خطر له ، فلام نفسه أن يَخْطُرَ لها هذا الخاطر ، وهو نَذِيرُ الضعف والاستسلام والخضوع ، فقال : « وما قولى هذا القول المستضعف الذليل ، وَمَعِيَ أَقْوَى ناصر ، وَأَشَدُّ عَضُد ، وهو هذا الصبر الذى أَقاتل به ، وهو عندى مُعْنٍ عن الأنصار والأشياع » ، ثم تَفَجَّرَ بعد ذلك :

وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي ،      وَمَا ثَبَّتْ إِلَّا وَفَى نَفْسِهَا أَمْرُ  
تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا      تَقُولُ : أَمَاتَ الْمَوْتُ ، أَمْ ذَعَرَ الدُّعْرُ ؟  
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَنْبَى ، كَأَنَّ لِي      سِوَى مُهْجَتِي ، أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَثْرُ (١)  
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا ،      فَمُفْتَرِّقُ جَارَانِ دَارَهُمَا الْعُمُرُ

وهذا كله تعليق على الشطر الأول من البيت الأول ، وجدال قائم بين الفترة التى كانت قد أصابته وما علق به من آثارها ، وما أنبسطت في نفسه من المعانى والآراء = وبين الطبيعة التى تقوم عليها شخصيته وتتميز بها نفسه ، وهى طبيعة القُوَّة والتفحُّم ، وما تُفَجِّرُ هذه الطبيعة في نفسه من معانى الإقدام ، وما تُؤَلِّدُ له من الآراء والأحكام . فلذلك كانت الأبيات التى تليها هى انتصار طبيعته القوية المشبوبة الفتية ، وكانت الآراء التى تضمنتها هى الآراء التى كثر ورودها في شعره ، آجتمعت فيها آراؤه في المجد الذى يصبو إليه ، وفيما يجب أن يأخذ نفسه به لإدراكه ، وأحكامه على أهل عصره ، وفي استسقاطه لهم ، وخاصةً ملوكهم وأمرأهم الذين قاربهم فلم يجد فيهم خيراً ، بل وجدهم / خذلاناً لمن استنصرهم ، وخباً وخداعاً لمن استنصَحهم ، فقال في أعقاب الأبيات التى رَوَيْنَاهَا :

(١) « الأتى » : السبل المتحدر الآتى من مكان بعيد .

وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زَقًّا وَقَيْنَةً ،      فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبِكْرُ (١)  
 ( وَتَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ ، وَأَنْ تُرَى  
 ) وَتَرْكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا ، كَأَنَّمَا  
 ( إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَفْعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ  
 ) وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ  
 ( عَلَيَّ لِأَهْلِ الْجَوْرِ كُلِّ طِمْرَةٍ  
 يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرَّمَاكِ عَلَيْهِمْ  
 وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّي الْجَبِ

.....  
 ( وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا      وَمَا يَفْتَضِيْنِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ )  
 ( وَأَنْتَى رَأَيْتَ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنْظَرًا      وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ ) (٤)

\*\*\*

وأخذ المتنبي بعد ذلك يشتد في نفسه ويقوى على أثر ما أصابه من الفتور ، وأخذ يستعرض حياته كلها ويستخرج ما فيها ، ويبسط آراءه ويختار منها ، / ويصوغها في شعره ، وكل ذلك مما يبينه على ما مر به من أحداث الزمن = فإنه حين رَحَلَ عن أنطاكية قاصداً دمشق ، نزل في طريقه على « علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي » ، فكان مما ورد في شعره له قوله :

(١) « الرق » إناء الخمر ، و « القينة » ، الحسناء المغنية .

(٢) « الهبوات » جمع « هبوة » ، وهو الغبار الذي تثيره الخيل . و « الجبر » ، الكثير العدد .

(٣) « طمرة » ، فرس سريعة الوثبة . و « الحيزوم » ، الصدر . و « الغمر » ، العِلّ والحقد والغيط .

(٤) أظن أن القارئ ليس في حاجة بعد إلى الوقوف به عند كل مفصل للقول ، فمى ما قدمنا من المنهج كفاية له ، وحسبه أن يطمئن عند كل بيت اطمئنان المستغرق في التدبر ، فتنفجر في نفسه لمعان ، وبذلك دى حقيقة الرجل ممثلة مجسمة في ألفاظه وأبياته . ولن تعرف المتنبي إلا أن تفعل ما نريك من الرأي .

وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادَى ، فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا !!  
تَظَلُّ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تُرَدُّ بِهِ الصَّرَاصِرُ وَالنَّعِيَا (١)

ثم يستذكر ما لقي من الحساد ، كآبن كروّس وغيره ممن آذوه وهو بطبرية وأنطاكية وغيرهما ، فيقول حين ذكر الليل :

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الدُّنُوبَا  
( وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَادَى مَشُوبَا )  
( وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيْبَا )  
( عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى لَوْ اتَّسَبَتْ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيْبَا )

ثم يزيد على ذلك إذ يذكر آرايه في الحياة وما كان منه في مسعاه للمجد وطلبه ، وما كان خرج في إدراكه من الثأر والمطالبة ( بحقه ) المهضوم في انتسابه للعلوية كما مرّ بك ، ثم ما مرّ به من الأحداث ، ومن لقي من الناس الذين استدعوا احتقاره لهم وازدراءه إياهم ، وهو مع ذلك مضطّر إلى مُعَانَاة عشرتهم ومصادقتهم ، ثم يذكر موت جدّته بالكوفة ، وأثر ذلك في نفسه ، وهى التى يحبّها حبّ الوفاء والإخلاص والبنوة ، وذلك إذ يقول :

١٧١ / أَقَلُّ فَعَالَى ، بَلَّةَ أَكْثَرُهُ ، مَجْدُ وَذَا الْجَدِّ فِيهِ ، نِلْتُ أَوْ لَمْ أَنْلِ ، جَدُّ (٢)  
( سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طَوْلٍ مَا التَّمُّوا مُرْدُ )

.....  
( أَدُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلُهُ ، فَأَعْلَمُهُمْ قَدَمٌ ، وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدُ )  
( وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَيْمٌ ، وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ ، وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ )

(١) « الطير » ها هى النسور تقع على جيف القتلى . و « الصرصرة » ، صوت البازى . و « النعيب » صوت الغراب .

(٢) « الجد » ، الأول ب كسر الجيم ، الاجتهاد . و « الجد » الثانية بفتح الجيم ، وهو الحظ والنصيب .

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرْ ، أَنْ يَرَى      عَدُوًّا لَهُ ، مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ  
بِقَلْبِي ، وَإِنْ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا ، مَلَالَةً ،      وَبِى عَنْ غَوَائِبِهَا ، وَإِنْ وَصَلْتُ ، صَدُّ

فهذه كما ترى كلمات كلها منتزعة مما كان في حياته لذلك العهد ، وما أصابه من الرزايا ، وما أدركه من الإخفاق في المطلب ، وما أوزرته ذلك من الحسرة والمرارة وألم الحرمان . ولما كان ذلك كله مما أصابه إنما أصابه ، على ما ذهبنا إليه أولاً ، في طريقه وهو يسعى لإدراك ثأره عند العلويين الذين ظلموه وظلموا جدته وأنزلوهما بشرّ منزلة ، وكانت جدته قد ماتت قبيل ذلك الوقت بقليل ، وكان أثر موتها لا يزال يحزّ في نفسه = التفت قلبه إلى تلك الحبيبة التي فارقت ، وانتقل من هذه المعاني التي تراها في الآيات السابقة إلى ذكرى جدته ، فقال :

تَحْلِيلَايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنٌ وَعَبْرَةٌ      عَلَى فَقْدِ مَنْ أَحْبَبْتُ ، مَا لَهُمَا فَقْدُ  
تَلِجٌ دُمُوعِي بِالْجُفُونِ ، كَأَنَّمَا      جُفُونِي ، لِعَيْتِي كُلِّ بَاكِئَةٍ ، خَدُّ

/ ثم تلبث صاحبنا بعد هذين البيتين وهو يكتبهما ، وتأمل أحزانه وآلامه ، ورأى أن البكاء والتعذيب مما لا يجمل به . وكيف يبكي ويُعول وهو مَنْ هو في الصبر والجلد وتحمل النكبات غير جازع ولا متململ ؟ وقد لقي بصره ، في سبيل جدته وفي سبيل نفسه ، كُلَّ نائبة ، وطوى الأرض موكباً بذرعها غير حافل ، وقاسى من الحسد ما قاسى ، وأصابه من عداوة النَّاسِ له ما أصابه ، فأغتابوه وآذوه ، فاستدرك صاحبنا على بكاء جدته بقوله بعد يَصِفُ نَفْسَهُ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَمَا كَانَ مِنْ أَعْدَائِهِ :

وَأَنَّى لَتُغْنِيَنِي مِنَ الْمَاءِ نُعْبَةٌ      وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَمَا تَصْبِرُ الرَّيْدُ (١)  
وَأَمْضَى كَمَا يَمْضَى السَّنَانُ لِطَيْتِي      وَأَطْوَى كَمَا تَطْوَى الْمُجْلَحَةُ الْعُقْدُ (٢)  
وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءٍ بَغِيَّةٍ ،      وَكُلَّ آغْتِيَابٍ جُهْدٍ مَنْ لَا لَهُ جُهْدُ  
وَأَرْحَمُ أَقْوَاماً مِنَ الْعِيِّ وَالْعَبَى      وَأَعِذُّ فِي بُغْضِي لِأَنَّهُمْ ضِدُّ

\*\*\*

(١) « النُّعْبَةُ » ، الجُرْعَةُ مِنَ الْمَاءِ ، « الرِّيد » جمع « ريداء » ، وهى النعام ، وهى أصبر حِمٍّ عَنِ الْمَاءِ .

(٢) « أَطْوَى » ، أَيْ أَجْوَع . وَ « الْمُجْلَحَةُ الْعُقْدُ » ، الذَّنَابُ الْحَرِيقَةُ ، فَيَذَنُهَا التَّوَاءُ كَأَنَّهُ عَقْدَةٌ .

وعلى ما وصفنا لك من حالته ، وممّا يَلِجُ في صدره ويعتلج في نفسه ، انحدر إلى دمشق ولم يقيم بها إلا قليلاً ، وقصد طَبْرِيَّةَ ، وذلك في سنة ٣٣٦ ، ولعلَّ أبن كَرْوَسَ كان قد غادرها إذ ذاك . والظاهر أن أبا الطيب إنما دَخَلَهَا في جِوَارِ بعض أصحابه ، ومن كانوا يُكْرَمُونَهُ من أهل الفضل والنبل ، وأطمأن قليلاً بها ، ثم هاجت العلويَّةُ عليه مرة أخرى ، وأثبتوا عليه عَدَاوتهم ، / وأرادوا أن يكيّدوا له كيّداً ليخلصوا منه ومن أفعاله . ١٧٣ ونحسب أن أبا الطيب كانت له في البلاد التي دخلها شيعةٌ تشاركه الرأى وتتعصّب لمذهبه في السياسة ، وتزيّد في تعصّبها لشعره وأدبه ، فكان ذلك سبباً في إثارة الفتن في كثير من البلاد التي دخلها .

وأنتَ ، فلا تظنَّنَّ أن مثل أُنَى الطيب كان إذا دخل بلداً دخله صامتاً مَخِيطَ الشفتين ، لا يفتحهما إلا حين ينشد قصيدته في « المدح » في مجلس من يمدحه ، ثم ينصرف إلى داره مُتَزَوِّياً في ركن من أركانها ، حتى يأذن له شيطانُ شعره بقصيدة أخرى ، وهكذا وهلم جراً . كلاً ، فإننا لا نشك في أن أبا الطيب = ذلك الظريف المجلس ، الحاضر البديهة ، الحلو النادرة ، الأديب النفس ، صاحب الرأى في السياسة ، وطالب الحكمة أُنَى كانت ، والثائر على حُكّام عصره ، والمُزْدَرَى لأهل زمانه = والذي تَكْبِيْنُ في شعره مواضع التجربة الطويلة ، والخبرة النافذة ، والتمرس بالأخلاق عَالِيَهَا وسَفْسَافَهَا ، والذي كان شعره قطعةً من إحساسه وطبيعته ، وممّا يمسُّها ممّا يدور حولهما أو يدانیهما من إحساس الناس وطبائعهم = والذي كان شعره ينمُّ على تلك الطبيعة البركانية المتفجرة التي لا تهدأ إلا ريثما ترتدُّ إليها قوتها القاصفة العاصفة الناسفة = والذي لم تكن هذه الظاهرة في شعره دَعْوَى أو باطلاً أو ظاهراً لا باطنَ له ، إذ لو كان ذلك كذلك ، لوقع فيها التخالف على تطاول السنين ، ولتقصت وضعفت بضَعْفِ الأسباب الجالية لها = والذي كان أيضاً ذا لسان وبيان ، وكان جَدِلاً طَلَقَ اللسان أُنَى النفس ، لا يهابُ أن يصارح وأن يكشف عن ضميره على شِدَّةِ ما لقي من الكيد والمكر والترصّد والرصد ، ثم كان ( الرَّجُلُ ) الشاعر الفرد من أهل عصره الذي كشف عن / سَيِّئات العصر ، ١٧٤

وصور رذائله كُلِّها في كثير من شعره = والذي كان قريباً من الأمراء ، أثيراً عند كثير من لقيهم = أقول : أنا لا أشك ، ولا تشكَّن أنت ، في أن أبا الطيب ، قد أثار كثيراً من الجدل في الأدب والسياسة ، وتمرس بالناس وتمرسوا به ، وأخذ وأعطى ، وناقش وجادل ، وذهب مذهباً في تناول الآراء والأفعال والأحداث التي وقعت في الدولة العربية ، وبين رأيه فيها في مجالس أصحابه ، وتناقلت الألسنة ما كان يقول ، ووَجَد حُسَّادَهُ مِنْ تَكشِفِهِ وَصَرَاحَتِهِ مَطْعَنًا وَمَقْتَلًا يطعنونه فيه ، وظفر الوشاة بغذاء قلوبهم وزاد ألسنتهم مما كان الرجل يكشف به من الرأي ، وما يُبديهِ من النظرات والأفكار ، فَسَعَوْا به إلى أعدائه ، وإلى الذين كانوا يُضْمرون له السوء من أصحاب السلطان ، أو مَنْ كانوا يعادون أبا الطيب لأسباب خفيت عن السُّعاة والوشاة ، وإن لم يَخَفَ عنهم أن هؤلاء كانوا ممن لا يميلون إلى بقاءه بينهم ، أو ممن يترقبون أن يظفروا به قبل أن يفوتهم بحذره ودهائه .

\*\*\*

فبين أن أبا الطيب دَخَلَ « طبرية » ، على حالته تلك التي نَصِفَ ، مراغماً للعلويين ، ثم لمن كانوا يكيّدون له قبل على عهد « بدر بن عمار » ، والذي كان يتولّى كِبَر ما يأتون به هو الأعور آبن كروس كما مرّ بك . وكان أبو الطيب في هذه الأيام التي بقيها بطبرية حَذراً متوجّساً يترقّب ، وكان بالرملة إذ ذاك ( سنة ٣٣٦ ) الأمير « أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن طُغْج » ، فلما أتاه الخبر بأن أبا الطيب نازل بطبرية ، طَمَعَ في مدح أنى الطيب ، ووَدَّ / لو نزل عليه وأقام عنده مكرماً ، فلم يزل يُراسله أن يتحمّل إليه وينزل عنده ، فأضمر أبو الطيب الرُّحْلة إليه ، وكان الخبر قد بلغ العلويين أن « أبا محمد ابن طغج » راسله وعزم عليه في الرحلة إليه ، فألقوها نُهْزَةً مُعْتَرِضة أن يفتكوا به ، وتوهّموا الطريق التي سيركُها أبو الطيب ، ولا بُدَّ ، في رحلته ، فأرصدوا له جماعة من عبيدهم السودان بقرية بالقرب من طبرية يقال لها « كَفَرُ عاقب » ، وأمروهم أن لا يُقتلوا الرجل إلا جُثَّةً دامية . والظاهر أن أبا الطيب كان قد جرى في خاطره أنهم فاعلو مثل ذلك ، فخالف الطريق التي دَرَجَ السابِلة على ركوبها ما بين طبرية والرملة ، فلما فات الرصد ،

وبلغه ما كانوا قد عزموا عليه ، وما كانوا قد أرصدوا له ، ريث نفسه ، وزفر زفرته من هذا الكيد الملاحقه بكل طريق ، وثارت في صدره الزوبعة التي كانت تثور فيه كلما أبتلى ببلاء من العداوة ، أو أصيب بمصيبة من الكيد والمكر السيئ . فلما دخل الرملة يمدح الأمير أبا محمد ابن طنج ، كان يفور ويغلي ويتقلقل ويتفجر ، فلم يأخذ نفسه بآداب المديح والزيارة المبتدأة ، ورَمَى في وجه ممدوحه بقنايله قبل أن يلج إلى مديحه فقال :

فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا ، طَلَايَ تُجُومُهَا ، وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ (١)  
مِنْ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمِلَ الْجَهْلَ دُونَهُ ، إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ  
وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطْرُهُ دَمٌ فَتُسْقَى ، إِذَا لَمْ يُسَقَ مَنْ لَمْ يُرَاحِمِ  
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ ، مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ ، رَوَى رُمَحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ  
فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ ، وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بَآثِمِ

ثم التفت إلى نفسه ( يمدحها ) ، قبل أن يمدح آبن طنج ، فقال :

/ إِذَا صَلُّتْ لَمْ أَثْرُكْ مَصَالاً لِفَاتِكَ ، وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَثْرُكْ مَقَالاً لِعَالِمِ (٢) ١٧٦

وقد قدمنا لك في أثناء القول أن أبا الطيب كان إذا نزل به نازل مما يكرهه من العَمِّ والهَمِّ ، اشتد به ذلك وأخذ عليه نفسه ، فينصرف فكره كله إلى التدبر فيما مضى عليه من الرزايا ، وما أجلب عليه من العداوة وعداواتهم . ولا يزال يحقق ببصره في هذه الحالة ، مستوعباً كل إحساس في نفسه ، وكل ما مرَّ به وأصاب منه ، حتى تتفجر في قلبه ونفسه ينابيع البيان ، فينتزع الحكمة من قلبه ولها أصول تاريخية ضاربة فيه . فإذا تدبرت الأبيات السالفة وجدت فيها تاريخ قلبه وتاريخ مصائبه كلها ، على ما سُقناه في حديثنا .

ثم إن أبا الطيب لما كرهه أمر العلويين الذين أرصدوا له بكفر عاقب ، ارتدَّ إلى

(١) « الأرقام » ، جمع « أرقم » ، وهو الحية الخبيثة المخوفة .

(٢) « صال يصُول صَوْلًا ومَصَالًا » ، سطا على عدوه سطوة جبار .

الحالة التي وصفنا ، فلم يزل يدور ذلك في فكره بين قلبه ولسانه ، فلم يَقْدِرْ أَنْ يَمْتَنِعَ عن ذكره في شعره الذي قاله في مديح أبي محمد خاصة ، ثم في شعره الذي قاله بعدُ لطاهر العلوي كما ستري . فمما قَالَ لأبي محمد يذكرُ هذا الكيدَ الذي كيد به في طَبِئَةٍ :

كَرِيمٌ لَفَظْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ      كَأَنَّهُمْ مَا جَفَّ مِنْ زَادٍ قَادِمٍ  
وَكَاذَ سُورِي لَا يَفِي بِنِدَامَتِي      عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ  
( وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً      بِهَا ( عَلَوِيٌّ ) جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ )

والظاهر أنه كانت بين الأمير آبن طُغْج وهذا العلوي الذي كاد هو وشيعته لأبي الطيب في مخرجه من طَبِئَةٍ ، عداوةً قائمةً ، وأنَّ هذا الكيد / كان لسببين : الأول ، ١٧٧ ما كان بين العلويين وبين أبي الطيب كما قدمنا ، والآخر ، هذه العداوة بين رأس العلويين بطَبِئَةٍ ، وهذا الأمير الذي خرج أبو الطيب من طَبِئَةٍ قاصداً له مادحاً إِيَّاهُ ، فلذلك قال أبو الطيب فيما يلي ما أنشدناه :

بَلَاءُ اللَّهِ ( حُسَّادَ ) الْأَمِيرِ بِجِلْمِهِ ،      وَأَجْلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَمَائِمِ  
فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً ،      وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْغَلَّاصِمِ (١)

\*\*\*

هَذَا ، وقد بَقِيَ أبو الطيب في جوار الأمير أبي محمد بالرملة مكرماً ، يصحبه الأمير في رحلاته ، وَيُحْضِرُهُ مَجْلِسَهُ ، ويرافقه في زيارته ، وَيُفْضِلُ عَلَيْهِ كُلَّ الْإِفْضَالِ ، حتى أَرْضَى ذلك القلب الذي كان بَعْضُ الْأَعَاجِمِ فِيهِ طَبِئَةً ثَانِيَةً قَائِمَةً لَا تَقْتَرُ . وكان من أصحاب هذا الأمير رَجُلٌ من شيوخ العلويين بِالرَّمْلَةِ ، وأبناء شيوخهم ، وكانت له ولأهله أيادٍ كثيرة عند بني طُغْج ، فلم يَقْتِ الْأَمِيرُ أَبَا مُحَمَّدٍ مَا فِي مَدْحِ أَبِي الطيب له ، وقد ترك أن يمدح رجلاً جليلاً كصاحبه هذا « أبي القاسم طاهر بن الحسن بن طاهر العلوي » ، (٢)

(١) « حَزَّ الْغَلَّاصِمِ » ، قطع الأعناق . و « الْعِلْصَمَةُ » حمة نائمة عند رأس الحلقوم .

(٢) نسب أبي القاسم ، مستوفى في جبهة ابن حزم : ٥٥ ، ٥٦ .



فرغب إلى أبن الطيب أن يمدحه ، وكان من أبن الطيب ما كان فى امتناعه على ما مرَّ بك ، (١) فلما أجاب أبو الطيب الأمير إلى مدحه مرغماً ، حاملاً على نفسه = إذ كان قلبه لا يرضى أبداً عن هؤلاء العلويين الذين آذوه ، والذين لقي من كيدهم بالأمس القريب ما لقي ، من إرضادهم لقتله = قال قصيدته يمدح أبا القاسم / طاهر بن الحسن ١٧٨ ابن طاهر ، ولكنه قدّم قبل مديحه هذه الأبيات ، وفيها ما فيها من لَمَزٍ قَوِّم من ( العلويين ) ، لعلمهم أن تكون بينهم وبين طاهر قرابةً دانية . والخطاب فى الأبيات لامرأة ذكرها فى تشبيب القصيدة :

وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ	تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ
يَطُولُ اسْتِمَاعِي بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ (	( وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَعْرَّ مُحَجَّلٍ
وُقُوعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِي	يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً
يُزُولُ ، وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبٍ	كَثِيرُ حَيَاةِ الْمَرْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا
عِضَاضُ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ	إِلَيْكَ ، فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى
أَعْدُوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ (	( أَتَانِي وَعَيْدُ الْأَذْغِيَاءِ وَأَنْتُمْ
فَهَلْ فِى وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبٍ ؟	وَلَوْ صَدَّقُوا فِى جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ

ثم التفت إلى نفسه ( يمدحها ) قبل مدح الشريف العلوى ، كما مرَّ بك فى قصيدة الأمير ابن طُغْج ، (٢) فقال فيما يلى ذلك :

إِلَى ، لَعَمْرِي ، فَصَدُّ كُلِّ عَجِيبَةٍ	كَأَنِّي عَجِيبٌ فِي عُيُونِ الْعَجَائِبِ
بَأَى بِلَادٍ لَمْ أَجِرْ ذُوَابَتِي ؟	وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأْهُ رِكَابَتِي ؟

وقد مضى ذكر هذه القصيدة وذكر أبيات أخرى منها ، فاكتفينا بما مضى منها

(١) انظر ص : ١٥٣ - ١٥٧ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٢٩١ .

عن الإعادة . (١) على أن هناك أشياء أخرى ، كان أولى بنا التوسع في تفصيلها ، ولكننا أجَّلناها إلى موضعها من كتابنا وبالله التوفيق .

..

/ ثم عزم أبو الطيب الرحلة من الرملة إلى جوار « أبي العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمَّدان العدوي » ، فخرج من الرملة في سنة ٣٣٦ يريد أنطاكية ، ولم يحدث له حادث إلا ما كان من أمر إسحق بن إبراهيم بن كيغلع في طلبه منه أن يمدحه ، فهجاه بقصيدته المشهورة التي أوَّلها :

لِهَوَى النَّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ ، وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

فلما بلغت ابن كيغلع ، أراد قتل أبي الطيب ، وكان إذ ذاك بطرابلس ، فخرج منها ، فأتبعه ابن كيغلع خيلاً ورجلاً فأعجزهم صاحبنا بالهرب إلى بعلبك ، ثم إلى دمشق ، ثم خرج من هناك إلى أنطاكية ، فلقى أبا العشائر . وكان مما قال لهذا الأعور ابن كيغلع :

أَرْسَلْتُ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً !! صَفْرَاءُ أَضِيقُ مِنْكَ ، مَاذَا أُرْعَمُ ؟ (٢)  
وَأَرَعْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا ، إِنَّ الشَّاءَ لِمَنْ يُزَارُ فَيَنْعَمُ  
وَلِمَنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِيَاهِهِ تَذُنُو فَيُوجَأُ أَخْذَعَاكَ وَتُنْهَمُ (٣)

ثم طفق يمدح أبا العشائر إلى أن قال :

وَالْوَجْهُ أَزْهَرُ ، وَالْفُؤَادُ مُشَيِّعٌ ، وَالرُّمَحُ أَسْمَرُ ، وَالْحَسَامُ مُصَمَّمُ  
( أَفْعَالُ مَنْ تِلْدُ الْكَرَامُ كَرِيمَةً ، وَفَعَالُ مَنْ تِلْدُ الْأَعَاجِمُ أَعْجَمُ )

فكان أبا الطيب ، كان قد ملَّ الأعاجم واستنقصهم ، وفيهم الأمير أبو محمد بن طنج الذي كان قد نزل عنده آنفاً بالرملة ومدحه ، ونال من فواضله .

(١) انظر ما سلف ص : ١٥٤ ١٥٦ .

(٢) « صفراء » . اسم أم أبي كيغلع ، وفي البيت إشارة سيئة .

(٣) « وجأ عقه » ، لَّزَّه وضره من عند قفاه . و « نهمة » ، زحره واشتد في زجره وطرده .

- ١١ -

\*\*\*\*\*  
 أَصْبِرْ عَنْكَ ، لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ ؟  
 وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَيَّ كَلَامَ وَاشٍ ؟  
 وَمَا وَجَدَ أَشْتِيَاقُ كَأَشْتِيَاقِي ،  
 وَلَا عَرِفَ أَنْكِمَاشٌ كَأَنْكِمَاشِي  
 فَسِيرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي ،  
 وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ  
 \*\*\*\*\*

١٨١ / أردنا في الباب السالف أن ندلك على نفس أبي الطيب ، وما تميّزت به من شعراء العربية جميعاً ، وما أنطوت عليه من القوة والرجولة ، وما كان يزلزلها من الثورة التي لا تزال تهزّ من قرارة قلبه ، فتنتطلق زلازلها من قلبه إلى لسانه ، فيثبّت لسانه في شعره عدد هزّات الزلزلة وقوتها ، فلذلك نقلنا إليك طائفة من شعره على التوالي في ترتيبها الزمني حتى هذا العهد الذي بدأ حين اتصل بأبي العشائر ، فدخل مدخلاً غير الأول ، وذهب في الشعر مذهباً عجباً ، وتحولت معاني نفسه من غرض بعينه ، إلى غرض آخر غير مفارق للأول ، بل منه استمدّ ، وعليه بنى . (١)

\*\*\*

١٨٢ / خرج أبو الطيب من الرملة بقلبه وبنفسه وبآرائه قاصداً أنطاكية التي كانت في

(١) انظر ما سلف في أول الفصل العاشر . وكانت قصائد أبي الطيب غير مؤرخة في ديوانه ، ولكن منذ اتصل بأبي العشائر وسيف الدولة جاءت قصائده كلها مؤرخة بالسنة والشهر واليوم ، وانظر ما قتته آنعاص : ٣٧ ، ٤٠ . ثم ص : ٨٣ - ٩٠ ، وهو مهم جداً .

يد بنى حَمْدَان التَّغْلِبِيِّين . وكان يَلِي أمرها ، من قبل سيف الدولة ، أبو العشائر الحَمْدَانِيّ الشاعر المبدع ، والمحاربُ الباسلُ ، والعريُّ الخالصُ الحبُّ للعرب والعربية ، الشديّدُ العداوةَ للروم والترك والدَّيلم الذين توالّت غاراتهم على الدولة العربية بالجيوش تارة ، وبالدسائس والمكايد والتمزيق تارةً أخرى . وكان المتنبى قد عرف بنى حَمْدَان من قبل ، وعرف منهم خاصّةً سيف الدولة ، <sup>(١)</sup> الذى صَارَ الآن سنة ٣٣٦ صاحبَ الشام ، والمستولِي على أمرها ، والمُنْتَزِعَها من يدَ بنى طُغْج الإخشيديين الأتراك .

دَخَلَ أبو الطيب أنطاكية ليلقى العرب والعربيةَ في مجلس بنى حَمْدَان ، وقد رمى دَبْرَ أذنه وتحت قدمه ، الأعاجمَ وما مدحهم به . وأراد أن ينقل شِعْرَهُ من تكْلُف المديح إلى التطلُّق والاسترسال في مدح مَنْ هُمْ من رأيهِ ، وَمَنْ يجد فيهم مَرْضَاةَ نَفْسِهِ وآماله . ولئن كان قَبْلُ قد مدح القَوْمَ العلوجَ ليستخرج منهم بَعْضَ أمواتهم التى غلبوا الأمة العربية عليها ، وليكون على مَقَرَّةٍ من مَكْرهم ودَسَّهم ، وعلى عليم بما يضمرون لأمته من الشرِّ الغالب على قلوبهم وعقولهم = فهو الآن قد وَجَدَ قُوَّتَهُ وأهله وعشيرته ، فليأتهم بكل غريبة من القول ، ولِيُجِدَ ذِكْرَهُمْ في شعره ، وليهدأ قليلاً مما كان فيه من الثورة ، ليستطيع أن يَحْرِمَ رأيهِ وتديبره مع هؤلاء القوم ، عَلَى أن يعيدوا مجدَّ العربية ، ( ويُديلوها من دولة الخدم ) الذين غلبوا على سياسة الأمة ، ورَمَوْا / بها في موارد الهلاك والفشل ، فهذا سرُّ قولهِ لأنى العشائر في قصيدةٍ مدحه بها ، والتي نقلنا أبياتاً منها في رأس هذا الباب :

فَسِيرْتُ إِلَيْكَ فِي ( طَلَبِ الْمَعَالِي )      وَسَارَ سِوَايَ فِي ( طَلَبِ الْمَعَاشِ )

فهو إنما قَدِمَ على بنى حَمْدَان لما ذكرنا لك ، لا للتكسُّب بالشعر ، وأكل الخبز من قوافيه ومعانيه .

\*\*\*

(١) قد مضى ذلك في سنة ٣٢١ ، وقد تكلمنا هناك بما فيه الكفاية إن شاء الله - انظر من ص : ٦٩

رأيت قبل أن المتنبي كان إذا مدح بدأ بنفسه فذكرها ومجّدها وعظّمها ، ثم  
يبدى آراءه في الدنيا ، ويكشف عن الثورة القائمة في ضميره وقلبه ، ثم يُنذِر ويوعِد  
ويهدّد . فلما بدأ اتّصاله ببني حَمْدان ، ترك هذا المنهج ، وأدّخر قوته كلّها لأمرٍ غير هذا  
الأمر ، وأسبغ على بني حَمْدان ما كان يُسبغ من قبل على نفسه من ثياب المجد ، فهو  
يصفهم كما كان يصف نفسه ، ويعلو بهم إلى غاية السموّ في القوّة والسلطان والسماحة  
والمروءة وعِظَم المطلب ، ولم يذكر نفسه إلّا حين يُخرجه الوُشاة والساعون بالشرّ بينه  
وبينهم .

فلما اتّصل أبو الطيب بأبي العشائر ، ونال منه مكانه ، وأدرك عنده طليباته ،  
بدأت وشاية الوُشاة بأنطاكية تفعل أفاعيلها مرّة أخرى ، ومَدّت الفتن أغناقها من قِبَل  
شيعة العلويّين والفاطميين والإخشيديين والعباسيين ، على ما نذهب إليه ، وشعر أبو  
الطيب بما هنالك ، فدَلّ أبا العشائر عليه بلطيف القول غير مُصرّح فقال :

فَيَا بَحَرَ الْبُحُورِ ، وَلَا أُورَى ،      وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ ، وَلَا أَحَاشِي  
/ كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ      فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ عَاشٍ ؟  
أَصْبِرْ عَنْكَ ؟ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ ،      وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَى كَلَامٍ وَاشٍ ؟

١٨٤

فَمَا حَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ ،      وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ حَاشٍ  
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ ، وَأَنْتَ نُورٌ ،      وَإِنِّي مِنْهُمْ لَأَلِيكَ عَاشٍ (١)  
( يُلِيْتُ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يَلْقَى      أَنْوَفًا ، هُنَّ أَوْلَى بِالْحِشَاشِ ) (٢)

(١) « عشا إلى البار يعشو ، فهو عاشٍ » ، إذا أَبْصَرَ في الليل المظلم فقصد قصدها .

(٢) و « الحِشَاشِ » عودٌ صغير يُجعل في عظم أنف البعير ، ويُشدُّه الزمام ، ليكون أسرع لانتقاده .  
وعدى في هذا البيت نظر ليس هذا موضعه .

والظَّاهر أن أبا العشائر كان قد أصمَّ أذنيه عن سعاية السعاة والوشاة والحساد ، وما كانوا يريئون من تغليب قلبه عليه ، كما فعلوا بقلب « بدر بن عمار » من قبل ، فلما لم يَأْذَنْ لهم أبو العشائر أَوَّلَ أَوَّلٍ ، زادوا في التشهير بالرجل ، وفي اجتلاب الأكاذيب في ذمِّه ونقيصته ، وفي التعريض به وبأدبه ، وجعلوا يذكرون ما كان في شعره من الثَّورة والإنذار والوعيد وذهمَّ الناس ، ويُعدَّدون مواضع فخره على مَنْ مدحه ، ويُدُّلون على سوء أدبه في مديحه إذ يقدِّم مدح نفسه ، ثم يزيد فيمدحها بما لم يمدح بمدوحه بمثله أو بما يقاربه ، ووقع إليهم ما كان يُنبئ به لدى « بدر بن عمار » من تسميته بالمتنبي ، <sup>(١)</sup> فزادوا عليه ، ووضعوا من عند أنفسهم القصص في تطويل الحكاية ، وتعظيم أمرها . وبدأ العلويون أيضاً يُعرضون بمسألة نسبهِ لِيُخرجوه أن يصرِّح بنسبته العلوية ، فعندئذٍ لا يجدون حرجاً من أن يأخذوه كما أخذوه أَوَّلَ مرة ، ثم يُلقوا به في غيابة السَّجن بضَعِّ سنين . فلما بلغوا هذا المبلغ وضاق بهم / أبو الطيب ، لم يجد بُدّاً من العودة إلى طريقتة الأولى حين يُخرج ، فكان مما قال في ذلك كله قبل أن يُلجَّ إلى مديح أبي العشائر :

١٨٥

( أُنَا أَبْنُ مَنْ بَعْضُهُ يُفُوقُ أَبَا الْبِ	سَاحِثٍ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ )
( وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ	مَنْ نَفَرُوهُ ، وَأَنْفَلُوا حِيلَهُ ) <sup>(٢)</sup>
فَخَرًّا لِعَضْبٍ أَرْوَحُ مُشْتَمِلَهُ	وَسَمَّهَرِيٍّ أَرْوَحُ مُعْتَقِلَهُ <sup>(٣)</sup>
وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ	مُرْتَدِيًّا خَيْرَهُ وَمُشْتَعِلَهُ
أَنَا الَّذِي بَيَّنَّ الْإِلَهِ بِهِ أَلْ	أَقْدَارَ ، وَالْمَرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَهُ
جَوْهَرَةً تَفْرَحُ الشَّرَافُ بِهَا ،	وَعُصَّةً لَا تُسَيِّغُهَا السَّفَلَةُ

(١) قد مضى رأيتنا في هذه التسمية ، وأنها كانت لما كثر في شعره من الإنذار والوعيد ، انظر ما سلف

ص ٢٣٢ - ٢٣٦ ، والتعليق هناك .

(٢) يقال : « نافرهُ نَفَرَهُ » ، أي فاخره فضبه في الفخر وألزمه الاستحذاء .

(٣) « العضب » ، السيف الماضي . و « شتمل » ، تقلدَ حِمائله على منكبه . و « السمهري » ، الرمح .

و « اعتقل الراكب الرمح » ، جمعه تحت فخذيه ، ويخرَّ آخره على الأرض وراءه .

( إِنَّ الْكَذَّابَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ أَهْوُنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ )  
 فَلَا مُبَالَ ، وَلَا مُدَاج ، وَلَا وَان ، وَلَا عَاجِز ، وَلَا تُكَلِّهُ (١)  
 وَدَارِعَ سِفْثُهُ فَخَرَّ لَقَى فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَبَاجِ وَالْعَجَلَةِ  
 وَسَامِعَ رُعْثُهُ بِقَافِيَةٍ يَحَارُ فِيهَا الْمُنْقَحُ الْقَوْلَةُ  
 ( وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهُ )  
 ( وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ ، وَالْدُّرُّ دُرٌّ بِرَغَمٍ مِنْ جِهَلَةٍ )

ومن صدق الرجل في محبته لأبى العشائر خاصة ، وبني حَمْدَانِ كافّة ، فَعَلَّ مَا لَمْ  
 يَفْعَلْهُ مِنْ قَبْلُ ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَى مَا ذَكَرَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّجْهِيلِ فَقَالَ :

مُسْتَحْيِيًّا مِنْ أَبَى الْعَشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً

وقد أشار أبو الطيب في هذه القصيدة إلى أَنَّهُمْ زَادُوا عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْكَيْدِ ،  
 أَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَكْثَرُوا الْقَوْلَ لَدَى أَبَى الْعَشَائِرِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ / إِنَّمَا كَانَ يَمْدَحُهُ لِلتَّكْسُّبِ ١٨٦  
 وَالنَّيْلِ مِنْ فَوَاضِلِ مَالِهِ ، وَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ بِكُلِّ نَقِيصَةٍ تُفْسِدُ عَلَيْهِ قَلْبَ أَبَى الْعَشَائِرِ ....  
 فَقَالَ :

مَالِي لَا أَمْدَحُ الْحَسِينَ ، وَلَا أَبْذُلُ مِثْلَ الْوُدِّ الَّذِي بَذَلَهُ ؟  
 أَخْخَفَتِ الْعَيْنُ عِنْدَهُ أَثَرًا ! أَمْ بَلَغَ الْكَيْدُ بَانَ مَا أَمَلَهُ ؟

ولكن أبا العشائر كان قد عرف ، فيما نظنُّ ، سِرَّ الْكَيْدِ الَّذِي يَكَادُ بِهِ أَبُو  
 الطَّيِّبِ ، وَلَعَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَيْضًا قَدْ بَلَغَهُ مَقْدَمُ أَبَى الطَّيِّبِ عَلَى أَبَى الْعَشَائِرِ ، فَكَتَبَ  
 إِلَيْهِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى الرَّجُلِ ، وَلَا يَسْمَعْ فِيهِ لِمَنْتَقَصٍ وَلَا ذَائِمٍ ، وَلَا مَتَكَذِّبٍ ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ سِرِّ  
 الرَّجُلِ الَّذِي أَنْطَوَى عَلَيْهِ فِي أَمْرِ نَسَبَتِهِ الْعُلُويَّةِ ، كَمَا قَدَّمْنَا . فَلِذَلِكَ لَمْ يَجِدِ الْوُشَاةَ أَذْنًا

(١) « التُّكَلَّةُ » و « التُّوَكَلَّةُ » ، انذى يكل أمره إلى غيره عجزاً عن القيام به .

صاغيةً ولا سَمِيعَةً ، فأنصرفوا برغمهم . ونال أبو الطيب الكرامة والعزة في جوار أبي العشائر ، وهدأ واستقر قراره ، وأطمأن قلبه ، مُنتظراً مُقدِّم سيف الدولة إلى أنطاكية في مسيره في نواحي البلاد التي استولى عليها بالشأم . وفي هذه الفترة من الطمأنينة والسكينة والكرامة لدى أبي العشائر ، استجم الرجل لقوته ، وأدّخر لسيف الدولة ذخائر قلبه وكرائم فؤاده .

...



\*\*\*\*\*

وَعِنْدِي لَكَ الشَّرُّ السَّارِ  
تُ ، لَا يَخْتَصِمَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارًا  
قَوَافٍ ، إِذَا سِرْنَ عَنْ مَقُولِي ،  
وَتَبَنَ الْجِبَالِ ، وَخُضْنَ الْبَحَارَا  
وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَاتِلُ ،  
وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا  
سَمَا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الْهُمُومِ ،  
فَلَسْتُ أَغْدُ يَسَارًا يَسَارَا  
وَمَنْ كُنْتُ بَحْرًا لَهُ ، يَا عَلِيُّ ،  
لَمْ يَقْبَلِ الدُّرَّ إِلَّا كِبَارَا

\*\*\*\*\*

١٨٧ / في سنة ٣٣٧ كان سيف الدولة « أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن  
حَمْدَانَ الْعَدَوِيُّ التَّغْلِبِيُّ » ، قد استولى على أكثر الشام ، ووقف للروم يردُّ غاراتهم على  
أطراف بلاده ، ويُوقع بهم إيقاعاً شديداً ، وغَلَبَتْ مقدرته الحربية كُلَّ مَنْ كان في عصره  
من القَوَادِ ورؤوس الفتن التي عملت في انتكاس الدولة العربية وهلاكها . وكان يُؤمِّلُ له  
أن يتَّسع ملكه اتساعاً عظيماً ، لولا ما كان من الأحداث العظيمة ، ثم ما كان في الدولة  
من دسائس الأعاجم التي فَرَّقَتْ القلوب ، فلم تَدْعُ أُمَّةٌ من الناس إِلَّا دخلت بينهم  
فمزقتهم شَرِّ مَمْزُوقٍ ، وجعلت بعضهم على بعض حرباً وفساداً . وأيضاً ما كان من دعوة  
١٨٨ / الْعَلَوِيِّينَ لقلب الخلافة التي بالعراق من عباسية سُنيَّة إلى علوية شيعية . وأيضاً ما كان  
من الدَّعْوَةِ السرية الجارفة التي كان يقوم بها دعاة الفاطميين ، وكانت هذه أشدَّ البَلَاءِ التي  
أبتلى بها العالم العربيُّ كله ، إذ أدخلت فيه ما ليس من طبيعته ، وقذفت به في ظلماتٍ نهَارُها

من ليلها ، وكان دعائها قد تفرّقا في كل مكانٍ من سلطان الدولة العباسية ، ليوقعوا بين الأمراء ، وليحوزوا إلى دعوتهم فئةٌ غالبيةٌ تُعينهم على ما يريدون وما يؤملون من إقامة الخلافة الفاطمية ممتدة من المغرب الأقصى إلى ما وراء خراسان .

وكان بنو حَمْدَان من شيعة العلويين ، ومن المتحقيقين بخدمة الدَّعوة العلوية ، إلا أنهم كانوا عَرَباً يَدْعُونَ إلى العلوية للعربية ، لما وجدوا من غلبة الأعاجم على الدولة العباسية ، ولكنهم حين رأوا ما دخل بين العلويين من فساد الأعاجم ، ومن الدعوة الفاطمية الجارفة ، وكانوا لا يقرّون هذه الدعوة ولا يسلمون لأصحابها بالنسبة الفاطمية المكرومة = رجعوا فانحازوا إلى الدولة العباسية ينصرون الخليفة ( النّائم ) على كرسيّ الخلافة . هذا ، مع إكرامهم للعلويين وتعظيمهم لهم . وقد أبدى بنو حَمْدَان من الدهاء ، وسعة الحيلة ، وحُسن السياسة والتدبير في التوفيق بين عقائدهم العلوية وسياستهم العباسية ، ما لا قِيلَ لأحدٍ من أهل ذلك العصر في الإتيانِ بمثلها ، أو القيام على أقلّ منه . وقد أثبتَ بنو حَمْدَان بسياستهم تلك أنهم كانوا يريدون إنقاذ العرب والإسلام من الفتن الباغية التي فعلت أفاعيلها لعهدهم في تضييع السلطان العربي ، وانتقال الشوكة والعزة إلى الحكم العجمي الشعوى الفاسد الطويّ ، الباغى بكيده الإيقاع بالعرب ودينهم ولسانهم . (١)

وكان سيف الدولة خاصة من بين بنى حمدان أكثرهم دهاءً وأوسعهم / حيلة ، وأشدّهم حباً للعرب ودينهم ، وأكثرهم سعياً في ردّ الحكومة والسلطان إلى العرب ، وأعظمهم همّة في مساعى المجد لنفسه ولقومه ، وأكرمهم خلقاً آسراً ، وكان من بينهم محباً للأدب قائماً على خدمته ، وكان بطبيعته شاعراً حُلُوّ اللسان ، خفيف الروح ، بيانيّ الفكر . وكان مبغضاً للأعاجم ولسانهم الذى أرادوا أن يغلبوا به على فارس وغيرها كما فعل بنو بُويه .

١٨٩

(١) انظر لهذا الفصل من الكلام ، ما سيأتى ص : ٣٢٧ - ٣٣١ ، وما قبلها أيضاً .

والظاهر أن سيف الدولة كان قد عَزَمَ في نفسه أن ينال بهِمَّتَهُ غاية الغايات في ضمّ أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظل حكومته ، وكان أوَّل ما أنفذ من ذلك أن زاحم بمناكبه الإخشيديين في الشام حتى أزاحهم عن أكثرها وردَّهم إلى الرَّمْلة ، واستأثر دونهم بأكثر البلاد الشامية ، حتى هَلَعَ منه الإخشيد ، فتزَلَّف إليه بأن زوَّجه ابنة أخيه ، ولم يُجِدْ ذلك كثيراً ولا قليلاً في إطفاء نار العداوة المستعرة بين الدم العربي والدم الأعجمي الغريب . واستمرَّ سيف الدولة في طلب التوسُّع والغلبة ، ولولا ما لقي من حروب الروم ، وما أجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم ، لكان تَمَّ له ما أراد . فإن حروب الروم ، قد استهلكت كلَّ قوته ، فلم يجد متسعاً لنيته في توطيد حكمه في الشام ، حتى إذا استجمع أذاته واستوفَّرَ بقوته ، مال إلى العراق فرَدَّ أمر الحكم إلى نِصابه في يد واحدة لا تضطرب ولا ترتجف . وذلك لما كان يرى من تقسُّم الأمر في بلاد الخلافة ، وضياع السلطان بين الموالى ، وما جرَّ ذلك من المذابح المتوالية في كل مدينة من المدن العظيمة ، ومن الفتن المتتابعة في كل ناحية من النواحي . ونحن نظن أن السبب في كثرة غزوات الروم ، في عهد سيف الدولة ، لبلاد الشام وأطرافها ، أن الذين كانوا يفتنون الناس ببغداد من الأعاجم والروم والترك والديلم لينالوا ما يريدون ، علموا بأمر سيف الدولة / وما اعتمز ١٩٠ من الميل عليهم ميلةً رابيةً ، فأوعزوا إلى ملك الروم أن يقاتله ، وأوقعوا في قلبه أن سيف الدولة إنما يريد أن يُزيل الملك من بين يديه ويغلبه على بلاده ، فتمَّ لهم بذلك ما أرادوا من صرَّف سيف الدولة عن غزوهم وتمزيقهم ، واحتلال أرضهم ، وانتزاع السلطان من أيديهم . [ انظر ما سيأتى ص ٣٢٧ - ٣٣٠ ] وكان سيف الدولة على علم بما يُبيِّتون له من المكر ، فكان ينزل الروم ويوقعهم ، ويُعدُّ انتصاره وهزيمة الروم ، انتصاراً لدعوته العربية وهزيمةً للأعاجم أصحاب هذا المكر ، وهزيمةً لمن وقع في حبالهم من العرب الذين لهم سلطان في سلطان هؤلاء . ولذلك كان وقع انتصاره في العراق وما وراء دجلة كوقع الصاعقة على رؤوس الفتنة ، وعلى الذين تولَّوا كِبَرَ هذا المكر السيئ والكيد الخفَى . وأجَدَّت هذه الوقائع - التي انتصر فيها سيف الدولة على جيوش الروم - عداوة أصحاب السلطان من

الأعاجم للدولة بنى حَمْدَان ، فطفقوا يعملون على تفريق شمل من اجتمع إلى سيف الدولة وأزره ونصره ممن كان بالموصل والشام وغيرهما ، وبذلوا في مَسْعَاتِهِمْ أموالاً وذخائر . ولولا ما كان عليه سيف الدولة من الكَرَم والسَخاء وَبَسْط اليَد للعافين والمريدين ، طبيعةً مركَّبةً في أَصْلِ خُلُقِهِ ، لَأَعْيَوْهُ ، ولَأُخْرِجُوا من سلطانه أكثر من دَانَ له ورَضِي به وبُحْكَمِهِ ، ولَأَعَانَهُمْ على ذلك ما يرون من المظالم التي ارتكبها سيف الدولة مُدَّةَ حكمه وسُلْطَانِهِ .

\*\*\*

هذا .... ، وقد كان أبو الطيب ، حين دخل أنطاكية قاصداً أبا العشائر في سنة ٣٣٦ ، عليماً بأمر سيف الدولة ، مُدْرِكاً للمكايد السياسية التي أحاطت بالرجل ، خبيراً بحقيقة ما اضطلع سيف الدولة بأعبائه من إيقاظ الهمم العربية ، / مستيقناً من أن عَرَضَ سيف الدولة فيما فعل ، إنما هو ضربُ الضربة القاضية على الفتن التي أُوْهِتْ قوة الدولة العربية وقتت في عَضُدِهَا ، وأن الرجل كان قد اتخذ لأمره أحكم سياسة وأبرعها وأحسنها وأدقها وأبلغها في الوصول إلى الغرض المطلوب . وكان أبو الطيب نفسه ، يرمى بكل نفسه إلى هذا الغرض الذي يسدُّ إليه سيف الدولة ، فكان اتفاقهما في الغرض سبباً لاتصالهما وتوافقهما وتفاهمهما ، ولما تمَّ بينهما من المودة والحب والكرامة .

وأخرى ، أن أبا الطيب ، كما وصفناه لك أولاً ، كان يرمى ببصره إلى ( الرَّجُل ) ، الرجل الذي تجتمع في رجولته صفات الخير كلها ، وصفات الكمال بأسرها ، كما كان يراها قلبه ويحلم بها فؤاده وأوهامه . و « الرجل » في أحلام أُنَى الطيب هو صورةٌ مثلها له ضميره ، من أحقاده وآلامه وثورته . فهو الرجل الضَّرْبُ الشجاع المستبسل الذي لا يهاب ولا يفتر ، بل يتفحَّم ولا يزداد على البلاء إلا مضاءً وعزيمة = وهو الرجل النافذ ببصره وبصيرته إلى أعقاب الأمور لا يَغْبَى ولا يَغْفُل ولا ينام = وهو الرجل المحارب الذي لا تغمضُ له عينٌ ، ولا يصبر على ضييمٍ ، ولا يَقَرُّ على ظلمٍ = وهو الرجل الفتى العربي الذي داخل سياسة عصره فعرف أسرارها ، واتخذ لنفسه فيها مدخلاً ومخرجاً ، وأعمل فكره

في إنقاذ أمته ، وجاهد في سبيل ذلك بقلبه وفكره ولسانه ويده . وكانت هذه الصورة في دم أئى الطيب تدور فيه دوران الدم ، فإذا وجد ( الرَّجُل ) حنَّ إليه كأشدَّ ما تجد من حنين الدم إلى الدم ، وأخلص له ، وبذل له ذات نفسه وضمير قلبه ، فتراه لا يمجَّد نفسه في شعره الذى يمدح به ( الرَّجُل ) ، بل يثذل كل كريمة من الصفات لهذا الممدوح مُضْرباً عن ذكر ثورته ، تاركاً وعيده وإنذاره وتهديده ، إلّا أن يُخرَج كما حدثناك قبل . / وقد رأيت فيما مضى أن هذا قد وقع من أئى الطيب حين لقي « بدر بن عمار الأسدي » ، وهو الفتى العربى ( الرَّجُل ) ، [ ص : ٢٥٩ - ٢٧٢ ، وانظره في القهرس ] .

وهذه الظاهرة الغريبة في شعر أئى الطيب تدل على أنه ما كان يبغي بقوله اكتساب المال وأدخاره للعيش ومُرافق الحياة ، بل كان يريد أن يحقق آماله التى يسعى إليها في ردِّ السلطان لقومه العرب الأماجد . ولهذا تجدّه لم يقرَّ سنواتٍ في جوار أحدٍ ، إلّا في جوار هذين العربيين : « بدر بن عمار » ، و « سيف الدولة » . وذلك لما كان يرى منهما من الجهاد في سبيل الغرض الذى أنطوت عليه جوانحه . وكان أبو الطيب سريع الفراق لمن مدح حاشاهما ، إمّا لأنّه لم يجد عندهم عزماً إذا كانوا من العرب ، وإمّا لأنه إنما مدح بشعره للإجازة والمال الذى هو ملاك كلِّ عمل ، إذا كان ممدوحه من غير العرب . فهذا موضع توله في شعره لأئى العشائر الحمدانى :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي ( طَلَبِ الْمَعَالَى )      وَسَارَ سِوَايَ فِي ( طَلَبِ الْمَعَاشِ )

\*\*\*

قالوا .... : « كان أبو العشائر والى أنطاكية من قبل سيف الدولة ، فلما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية ، قدّم المتنبي إليه ، وأثنى عنده عليه ، وعرفه منزلته من الشعر والأدب ، وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فاشتراط المتنبي على سيف الدولة ، أوّل اتصاله به ، أنه إذا أنشده مديحه ، لا ينشده إلّا وهو قاعدٌ ، وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه ، فنسب إلى الجنون . ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلّع إلى ما يريد

١٩٣ منه ، فلمّا أنشدته قصيدته الأولى التي أوّلها : « وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه » ، / حسن موقعه عنده فقرّبه ، وأجازته الجوائز السنّية ، ومالت نفسه إليه وأحبّه ، فسلمّه إلى الرّوّاض فعلموه الفروسية والطّراد والمثاقفة » .

ونحن لا نسلم بكل ما ورد في هذا النص ولا نثق به ، إذ كان مروياً عن غير ثقة مأمون معروف ، وإنّما هو مما يتداوله الأدباء على علاّته دون نقد أو تحريج ، ويحسن بنا أن نحدّثك عن نقده قليلاً ، فإن في النّقد بركةٌ وخيراً ليست لشيء من الكلام .

فأول ذلك ، أنّ هذا اللقاء في سنة ٣٣٧ بين سيف الدولة وأبي الطيب لم يكن أوّل لقاء ، ولم يكن أوّل تعارفٍ بينهما ، فقد حدثناك قبلُ أنه لقي سيف الدولة وأحبّه ، وأحبّه سيف الدولة في سنة ٣٢١ حين مدحه المتنبي بعد مخرجه من الكوفة متوجّهاً إلى الشام ، وكان لقاؤهما برأس عيين من أرض الموصل الذي كان يدين لبنى حمدان بالطاعة إذ ذاك ، [ ص : ٢١٥ - ٢١٨ ، ٢٢٢ ] . ولا شك أنّ سيف الدولة ، وكان إذ ذاك صغيراً لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، قد فرّح بمدح أبي الطيب له ، وأبقى ذلك أثراً في نفسه يجعله يتتبع شعر هذا الفتى العربي ومصيره . فهو كما ترى كان على معرفة به وبأدبه وشعره ومنزلته من الشعر والأدب ، هذا فضلاً عما استنبطناه هناك من العلاقة بين بنى حمدان وأبي الطيب وجَدّته ، وأنهم كانوا يفضلون عليها ويكرمونها ، وأنهم كانوا على علم بما أصابها من نكبتها في ابنتها وحفيدها .

وأخرى ، ... أنّ النص يقول إنّ أبا العشائر قدّم المتنبي إلى سيف الدولة « وعرفه منزلته من الشعر والأدب » . وهذا عجيبٌ من أمر سيف الدولة الأديب الشاعر السياسيّ المطلع على كل ما كان في البلاد العربية ، المتتبع لكل / حدّث في السياسة والأدب ، عجيبٌ أن لا يكون قد وصل إليه طرفٌ من شعر أبي الطيب يعرف منه منزلته في الشعر والأدب ، فيأتى أبو العشائر فيعرفه تلك المنزلة !!

وثالثة : أنّ النص يقول إنّ سيف الدولة قد دخل تحت شروط المتنبي حين اشترط عليه أن لا يُنشد إلاّ وهو قاعد ، وأنه لا يُكلّف تقبيل الأرض بين يديه . ونحن لا ندرى

لماذا يَدْخُل سيف الدولة تحت هذه الشروط ؟ ولا نعرف لماذا اشترط أبو الطيب هذه الشروط .... إذا كان قد جاءه على غير معرفة مُتَّصِلَة بينهما ، وكان قد جاءه مُسْتَمِيعاً طالباً رِفْدَهُ وَمَالَهُ وفواضله ؟ وهلاً أَجَلَ ذلك إلى أَجَلِهِ ، فيمدحه وينشده ، حتى إذا حَسُن موقعه عنده ، اشترط عليه ما يريد ، فَيَتَّقَى بذلك سُوء الرَدِّ ، وينال بالإذن لَهُ بما يشترط رِفْعَةً تَكْبِثُ حُسَادَهُ ، وَتَغِيظُ عُدَاتِهِ ، وَيَكُونُ فِعْلُهُ هذا أدلَّ على حُسْن سياسته ، وسعة حيلته ، وَيَكُونُ أشبه بتدبير أئى الطيِّب ، كما مرَّ بك في مواضع من كلامنا !!

والرابعة : أن في النَّص كلمة يُراد بها الغَضُّ من أئى الطيب وتحقيره ونسبته إلى الجفاء والغلظة والجَلَّافَة ، إذ زَعَمَ واضعها أن سيف الدولة سلم أبا الطيب « إلى الرِّوَاض فعَلَّمُوهُ الفروسية والطراد والمثاقفة » . فقد كان أبو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة فارساً محارباً ولا شك ، وكان قد اتَّصَلَ بكثير من أصحاب السلطان وأصحاب الفروسية والطراد والمثاقفة ، وقد مرَّ بك أنه كان قد دخل لُبْنان وشارك في الطراد والصيد ، وكذلك حين كان في جوار « بدر بن عمار » وغيره ممَّن مدح . وكيف نظرُ أن أبا الطيب كان قد طَوَى هذه السنين كلها / بالشام ، مع ما كان فيه من العُجْبِ بقوته وفروسيته ، وذكر ١٩٥ ذلك في شعره ، ثم لم يأخذ نفسه بتعلُّم ذلك أو المشاركة فيه ، مع أنها كانت من الانتشار والذيعوم بمكان لا يجهل ؟

فهذه الرواية ، كما ترى ، لا تصلح أن تكون سياقاً للقاء أئى الطيب سيف الدولة . وأَعْلَمُ أن أكثر ما يروى في ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التي تتناقلها مجالس الأدباء ، ولا يراودها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما يُروى في تراجم رجالنا كان مما يراود به مَضْعُ الكلام في مجالس الأمراء أو في سامر الأدباء . = هذا على أنها رُبَّمَا حملت فيما تحمل أشياء لولا ورودها في هذه النصوص ، لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم أمره إلَّا بها ، ولا يستمر إلَّا عليها . فلمثِّل هذا كان لابدَّ لنا من النظر في النصوص وتمييزها ، وردَّ بعضها

والأخذ ببعض ، حتى لا تتقطع بنا السبل في الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يفوتك هذا إذا قرأت ما نكتب ، أو أردت أن تقرأ أو تكتب .

\*\*\*

والسياق التاريخي عندنا للقاء أبي الطيب سيف الدولة هو ما ترى :

نزل أبو الطيب ضيفاً على أبي العشائر ، يمدحه ويخبره ويروّز ما عنده من الهمة ، وما في هذه الهمة من المطالب ، وما في مطالبه من الموافقة لما في ضميره من الآراء والأحكام . وكان يريد بذلك أن يكون على كُتب ومقرّبة من بني حَمْدان ( الذين منهم أبو العشائر ) ، ليحقق في نفسه ما عَرَف عنهم / من خبر ، وليرى رأيه في البقاء معهم أو مفارقتهم ضارباً في الأرض على ما كان عليه من قبل حتى يأذن الله له ، ويأتيه بالمواتي الموافق الذي يستطيع أن يهب له قلبه وحيه ، ورأيه وحكمته ، وتجربته وخبرته ، وآراءه في السياسة التي كان جاهداً في معرفة خفّياتها ومُضمراتها طول حياته . وكان يخصُّ بإرادته هذه سيف الدولة ، وهو علّم بني حَمْدان إذ ذاك ، والمستولى على الأمد من رجال عصره ، والذي عهد فيه أبو الطيب حين رآه في سنة ٣٢١ رجولة متحفّزة للوثبة ، وسمع من أخباره ما يكادُ يحقق تَوْسّمه في ظفره وقلّجه على خصومه وخصوم أبي الطيب نفسه .

وبقى أبو الطيب سنةً في ظلّ أبي العشائر ، وكان فتىً من فتيان بني حَمْدان ، قد جمع أداة الفتوة ولم يستكملها ، وكان أديباً مقتدرًا مولعاً بالأدب ، مبيجلاً للأدباء عاطفياً عليهم معيناً لهم ، وكان شاعراً تقع له الدرّة الجميلة في شعره ، والنادرة البديعة ، غير متعمّد ولا جاهد . وأحبّ أبو الطيب صاحبه أبا العشائر ، وأحبه أبو العشائر وأكرمه وأضفى عليه من كرمه ولينه وحنانه ، وقد حفظ له أبو الطيب هذه اليد التي له عنده ، حتى إنه لما غضب عليه بعد - لأمر سيأتى ذكره فيما يستقبل من كلامنا - وأرسل إلى أبي الطيب بعض غلمانهم ليوقعوا به وهو بظاهر حلب ، ورماء أحدهم بسهم أخطأه ، وقال له وهو يرميه : « خذه ، وأنا غلام أبي العشائر » لم يُحفظ ذلك أبا الطيب على أبي



العشائر ، ولم يَسْتَدْعِ هذا العزمُ على قتله هِجَاءَهُ أبا العشائر ، بل قال .... : [ انظر م سيات  
ص : ٣٤٤ - ٣٤٧ ] .

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَجِبُهُ      وَلَلْتَبَلُّ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ خَفِيفُ  
( فَهَيْجٌ مِنْ شَوْقٍ ، وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ      حَنَنْتُ ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أُلُوفُ )  
/ وَكُلُّ وَدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَذَى      دَوَامَ وَدَادِي لِلْحَسَنِ ضَعِيفُ  
( فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا ،      فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرَنَ أُلُوفُ )  
وَنَفْسِي لَهُ ، نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ،      وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفُ  
( فَإِنْ كَانَ يَنْغِي قَتْلَهَا - يَكُ قَاتِلًا      بِكَفِيهِ . فَالْقَتْلُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ ) (١)

وهذه الحادثة وما كان من أبا الطيب فيها ، وما قال من الأبيات السالفة ، دليل قاطع على أن الرجل كان إذا أَحَبَّ وأخلص الحبَّ لم يحوله شيء عن حبه = وَأَنَّ هِجَاءَهُ الذي كان منه لبعض من مدحهم ، إنما كان منه لأنه لم يكن يُضْمِرُ لهم حُبًّا أَبَدَةً ، بل كثيراً ما كان يخفى بين جنبيه احتقارهم وازدراءهم ، ولولا الضرورة لما مدحهم ولا قصدهم ولا وقف بأبوابهم . وهي أيضاً دليل على ما قطعنا به ، في موضع من كلامنا ، من أن أبا الطيب كان ودوداً ألوفاً ، كريم الخلق ، وفياً لمن وفى له وأحبه وباذله الود . وقد صدق صاحبنا ولم يكذب إذ وصف لنا نفسه يوماً ما فقال :

خُلِقْتُ أُلُوفًا ، لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَا      لَفَارَقْتُ شَيْبَى مُوجِعِ الْقَلْبِ بَاكِيًا

وهذا موضع من أخلاق أبا الطيب ونفسيته ينبغي الوقوف عنده وتدبره ، إذ كان كثيراً ما يعترض به المعترضون حين يذكرون أخلاقه ، حتى إنهم من اضطرابهم في فهم أخلاق الرجل ونفسيته ، رموه هو بالاضطراب والملل في الصداقة والود . وليس الأمر على ما ظنوا ، بل هو كما ترى في كلامنا هذا . ورحم الله أبا الطيب ، فقد حمل من تكذ الدنيا في حياته وبعد موته ما لقي من أرزاء .

\*\*\*

(١) أي فليقتلني بكففي لا بكفي غيره ، ولكن أبا الطيب أخرج المعنى في أسلوب غاية في البراعة .

/ هذا .... ، وقد لقي أبو الطيب وهو في جوار أبي العشائر ، كما حدثناك في الباب السابق ، كيداً كثيراً ، وتقوّل عليه المتقولون ما شاءوا ، وآذوه وكثروا عليه الوشاية والسعاية ، وغرّوا بذمه وتلبّيه ، وكان ما زعمناه من تشهيرهم به إذ تَبَزَّوه باللقب الذى عُرف به بعد وهو ( المتنبي ) . (١) ولم يكن كل ذلك مما يردُّ أبا الطيب عن غايته التى قصد من أجلها أبا العشائر ، فبقى صابراً حتى كانت سنة ٣٣٧ .

ففى جُمادى الأولى من هذه السنة قدم سيف الدولة - من حربه مع الرُّوم وظفّره بِحَصْنِ بَرْزَوَيْهِ - إلى أنطاكية التى كان بها أبو العشائر وأبو الطيّب ، فاستقبله أبو العشائر ، وأبلغه ما كان من مَقْدَمِ أبى الطيب عليه ، وإكرامه له ، ووصف له ما حَسُنَ عنده من خُلُقِ أبى الطيب ، وما وَجَدَ فيه من الفتوة والمروءة ، وما أعجب به من حُسْنِ عشرته ، وجميل أدبه فى المنادمة والمسامرة ، وما عليه أبو الطيب من الطَّبيعة الثائرة الجبَّارة ، وما انطوى عليه قلبه من محبَّة العرب وبُغْضِ الأعاجم ، وما سمعه من آرائه فى سياسة الأُمّة ، وما ابتليت به من البلاءِ الأعجمى والفتن الآكلة رطب الحياة العربية وبابسها ، وذكر له شعره الذى مدحه به .... فذكر سيفُ الدولة ذلك الفتى العرَبى الصَّبُوحَ الوجهَ ، الحسنَ السَّمْتِ ، صاحبَ الوفرة المسترسلة التى تسيل إلى شَحْمَتَيْ أذنيه = ذَكَرَ ذلك الذى أنشده مديحه فى سنة ٣٢١ وهو يَتَدَفَّقُ بفصاحته وبيانه ، ويتقلَّعُ بقوته وشِدَّتِهِ وحماسته وِحْدَةً شبابيه = ذكر سيفُ الدولة تلك الشخصية الطاغية بسحرها وجمالها وِجَالِها ، والتى لا تدع للنسيان فى الذاكرة يداً ماحيةً / أو مفسدةً ... وقد كان أبو الطيب كما وصفوه « رَجُلًا مِلءَ العين .... قوياً بديناً خليقاً شَخِيصاً ، عادى الخُلُقِ ، قوى الأساطين ، وثيق الأركان ، جيّد الفصوص ، فيه جَفَاءٌ وخشونة » . ذكره سيفُ الدولة واستيقظت فى قلبه المحبة النائمة فى غُورِهِ ، وتجمعت له أخباره التى كان قد سمعها عنه من سنة ٣٢١ إلى هذه السنة ، فتقدَّم إلى أبى العشائر أن يستدعيه لساعته ، شاكرًا له حسن وفادة الرجل وإكرامه له .

(١) انظر ما سلف ص ٢٣٢ - ٢٣٦ . ثم ص : ٢٩٨ .

وكذلك لاقى العربيُّ الثائر الشاعر الفدًى ، العربيُّ الفاتح الغازيَ المجاهدَ الفدًى ، على شوقٍ وحنين ، وحنَّ الدم إلى الدم ، وعَلِقَتِ النفسُ بالنفس ، وتعانقت القلوب في ساعةٍ من غَفَلاتِ الدهر ، أخرجت كِلَا الرجلين عن طوره . وكان هذا اللقاء الثاني فاتحةً مَجِيدٍ أبى الطيب ، وخلودِ ذكر سيف الدولة في شعره وبيانه .

وفي هذا اللقاء التاريخي الذي انتفضت فيه القلوب ، ورمت بأسرارها وأشواقها ، ثارت نفسُ الرجلِ البليغ ، واجتمعت لها كلُّ حَوَادِثِهَا وما مرَّ بها من الأهوال ، في مجلس أمير العرب الفاتح المجاهد الظافر ، وتقاذفت المعاني من قلبه إلى لسانه ، ووقفت محبوسةً في هذه الأبيات التي ضَمَّهَا الشاعر إلى قصيدته بعدُ في مدح أميره وأمير قومه : (١)

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيتُهُ      عَلَى ظَهْرِ عِزِّ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ (٢)  
مَهَالِكُ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذُّنُبُ نَفْسُهُ ،      وَلَا حَمَلْتُ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهُ  
/ ( فَأُبْصِرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ،      وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْعَبْرَ عَائِمُهُ )

ثم قال البيت الذي تنازعت كل عواطف قلبه ، ونوازع فؤاده ، وآراء فكره ، وفصَّح بيانه :

( غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ      بِلَا وَاصِيفٍ ، وَالشَّعْرُ تَهْدِي طَمَاطِمُهُ ) (٣)

وكان ذلك بدء المجد الخالد الذي بقي للعرب في صفة أمير فدًى من أمرائهم ، ردَّ به القدر عادية الروم عن بلد من بلادهم ، لا يزال مَعْقِلًا للعرب والعربية إلى يوم الناس هذا ... ألا وهو الشام الذي يضم فلذة أكباد الفاتحين من المهاجرين والأنصار ، ومن سبقهم

(١) أنشد أبو الطيب هذه القصيدة في مجلس آخر غير هذا المجلس الذي وصفناه ، ثم انظر مثل ذلك من فعل أبي الطيب ، في أبيات يقولها ابتداءً ، ثم يضمنها شعره ، ص : ٣٤٠ ، والتعريق رقم : ٢ ، وما سياتي ص : ٣١٢ - ٣١٥ .

(٢) « مؤيدات » ، شديداً الأيد . وهو القوة .

(٣) « الطماطم » جمع « طمطم » ، وهو العبي الذي لا يُفصح ، يعرض شعراء زمانه .

إليها في الجاهلية من العَرَائِقِ الصُّبَاحِ من بنى غَسَّان . وكان ذلك أيضاً بدء المجد الخالد  
لسان العربي ، والفكر العربي الصريح في ديوان شاعر فذٍّ من شعراء العربية ، لم يُرْزَق  
الشَّعْرُ ولا الحكمة مثله ذا لسان وبيان .... ألا وهو أبو الطيب المتنبي ، واحد الشعراء  
الذي جاء ( فملاً الدُّنيا وشغل الناس ) .

\*\*\*

ولا بدُّ لنا من الوقوف قليلاً عند هذا الموضوع من الكلام ، وندع صِفَةً ما نحن فيه  
من لقاء الأَسَدَيْنِ العربيَّين الفاتحين . زعمنا لك فيما مضى أن تلك الأبيات الأربعة  
المذكورة آنفاً ، كانت مما ثارَ في قلب أبي الطيب في هذا المجلس الأول ، قبل أن يحتفل  
ببائه لقصيدته الأولى التي أنشدها سيف الدولة في تلك السنة . (١) وهذا موضع تدبُّرٍ  
وبصيرة ، لا نحبُّ أن ندعه قبل أن نسوق إليك من أخباره طرفاً ، حتى تنهَجَ لنفسك نهجاً  
مقارياً يعينك على استخراج / أسرار أبي الطيب ، واستنباط ما كان يلجُّ في نفسه من  
العواطف ... بلى ، وهو عندنا قانونٌ من قوانين شِعْرِ أبي الطيب ونَفْسِهِ ، تستطيع به أن  
تعرف خَفِيَّاتِ ما في شعره من ضمائر ومبهمات . هذا ، وسنكشف لك عنه فيما  
يَسْتَقْبِلُ كَشْفاً مبيناً إن شاء الله . (٢)

٢٠١

كان أبو الطيب = على ما وصفنا لك من قُوَّةِ النفس وِحْدَةِ الطبيعة = مُرْهَفَ  
الحسِّ ، سريع التأثير ، تنطلق عَوَاطِفُهُ كُلُّهَا في ساعة من ساعات حياته ، فلا تلبث أن  
تستثير كل قُوَّة فيه ، وتجتمع كلُّ قوَاهُ حين ذلك ماضيةً من قلبه إلى لسانه ، لتثبت عليه  
عَدَدَ هَزَاتِ الزلزلة التي وقعت في قلبه ونفسه ، ويفزع لسانه إلى بيانه ليُبين عنه ما يبغى  
من الإبانة ، فيحتفل بيانه كله في أبياتٍ قليلةٍ تكون هي أول القصيدة عند أبي الطيب ،  
ثم يَدَّخِرُهَا صاحبنا لأَجْلِهَا وموضعها ، فيثبتها في مكانٍ من شعره . وكثيراً ما تقع هذه

(١) انظر ما سلف ص : ٣١١ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر لذلك الباب الثالث عشر من حديثنا عن المرأة التي صنعت لأبي الطيب حكمته ، وأيدت بيانه  
ببيانها النسوي البليغ .

الآيات في موضع لا تتساقط فيه معاني الكلام على قاعدة مطردة من حق المعنى وتتابعه ، فلذلك تبقى هذه الآيات التي تحمل في ألفاظها هزات نفسه واقعة بين كلامين ، ولا تكون هي صلة بينهما ، بل تكون كالفارق الفاصل . وهذا هو ما نسميه في شعر أبنى الطيب موضع ( الانتقال ) . ومن مواضع الانتقال هذه تستطيع أن تستنبط الحالة النفسية التي كان عليها الرجل . فإذا تبصرت فيها ، واستخرجت معانيها ، وفصلت كلامها وألفاظها ، وفسرته على الأصول الشعرية والنفسية القائمة في شعر أبنى الطيب ونفسه كما قدمناها لك = استطعت أن / تتلمس في ظلام التاريخ الحلقات التي ينبغي أن تصل بعضها ببعض ، فيسرى التيار بينها فتضىء لك ، فتكشف المعاني في شعر الرجل ، وتبين المواضع الغامضة المظلمة من حياته .... وهذه هي الطريقة التي اتبعناها فيما كتبنا مما مضى بك ، وقد تحققنا صِدْقَهَا ، ووجدنا إسعادها لنا في المشكلات التي وقفنا إلى تفسيرها أو نقدها أو تمييزها .

ويجمل بنا هنا أن نعود بك إلى الآيات التي ذكرناها ، ونبين ذلك فيها .... ونسألك أن تعذرنا إذا قصرنا ، وأن تسد لنا إذا أخطأنا ، وأن تصبر على ما نستطرد فيه من الكلام بصبر لا يفت منه الملل ، فلا حكم لملول ولا متترع .

يقول أبو الطيب قبل الآيات التي روينها لك يصف سيف الدولة :

لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ ، إِذَا رَمَى	بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاجُمُهُ
أَجَلَّتْهَا ، مِنْ كُلِّ طَائِفٍ ، ثِيَابُهُ ،	وَمَوَاطِئُهَا ، مِنْ كُلِّ بَاغٍ ، مَلَاغُمُهُ (١)
.....	.....
سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا	سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ

(١) «الأجلة» جمع «جلال» . وهو جمع «جُل» ، وهو كساء تلبسه الخيل لتصون ظهورها . «الملاغم» ،

ثم ( ينتقل ) أبو الطيب من ذكر الحرب ، ومن صفته جُيوش سيف الدولة وما كانت تأتي به من أهوال الحرب ، وما يكون منها في ساحات الوغى ، فيقول غير متخلص إلى غرضه = على ما يريد علماء البلاغة !! من حسن التخلص = فيقول يصف نفسه وما لاقى هو من الأهوال والمهالك :

سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتُهُ      عَلَى ظَهْرِ عَرَمٍ مُوَيْدَاتٍ قَوَائِمُهُ

/ الأبيات الأربعة التي آخَرُها :

٢٠٣

غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ      بِلاَ وَاصِفٍ ، وَالشَّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهُ

ثم ( ينتقل ) بعد هذا البيت انتقالاً آخر ، فيقول يذكر نفسه ورحلته :

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضاً بَعِيدَةً      سَرَيْتُ ، فَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمُهُ

ثم ( ينتقل ) أيضاً بعده فيذكر سيف الدولة .... فيقول :

لَقَدْ سَلَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعَلِّمًا ،      فَلَا الْمَجْدُ مُحْفِيهِ ، وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهُ

فلهذه الانتقالات المتتالية وقفنا عند الأبيات الأربعة التي قدمناها ، وتبصرنا فيها وفي معانيها ، وفي دلالات ألفاظها واحدة واحدة ، ورددنا البصر إلى مَقْدَم أبي الطيب إلى أنطاكية في جوار أبي العشائر سنة ٣٣٦ ، ثم مَقْدَم سيف الدولة إليها في سنة ٣٣٧ ، ثُمَّ في اللقاء الذي رَوَوْا خبره على عِلَّاتِهِ ، ونفضنا الأبيات ومعانيها ، وتَلَمَّسنا الحلقات في ظلام التاريخ والترجمة ، فوصفنا لك اللقاء الذي كان في تلك السنة بين أبي الطيب وسيف الدولة ، ونحن ننظر بعين لا تَحْسُر إلى ما قَدَّمنا من التاريخ في صدر هذا الباب ، وما عرفنا من خُلُق أبي الطيب وآرائه وأغراضه وآماله ، وما وقفنا عليه من خُلُق سيف الدولة وآرائه وأغراضه وآماله ، ثم حكمنا كما رأيت أنها كانت أَوَّل ما قال أبو الطيب من

قصيدته تلك ، وأتممنا الرأى على ذلك ، واعتمدناه ، وسيرنا على بركة الله . فانظر ماذا نرى : (١)

...

/ ثم نعود إلى ما كنّا فيه .... لقي أبو الطيب سيف الدولة ، وخرج من مجلس أمير العرب ، وهو يقول كما قال أولاً في بعض من مدح بأنطاكية :

مُقَدِّى بآبَاءِ الرِّجَالِ ، سَمِيدِعَا      هُوَ الْكَرَمُ الْمَدِّ الَّذِي مَا لَهُ جَزْرُ  
وَمَا زِلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ      يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ  
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ      فَلَمَّا التَّقَيْنَا ، صَغَّرَ الْحَبِيرَ الْحُبْرُ

واحتفلت نفس الشاعرِ الثائرِ البليغِ لهذا اللقاءِ ، ونسى نفسه وما كان يذكرها به من القوة والفتوة ، وما كان طولَ عمره يصفها به من صفات الرجولة والكمال ، ووجد آماله في آمال سيف الدولة ، وآراءه في آرائه ، وعواطفه في عواطفه ، فألقى في مدح ( الرجل ) كل نفسه وآرائه وأفكاره وعواطفه ، وألغى ذكر نفسه ، ورمى بين يدي سيف الدولة الدرّة الأولى في تاج بنى حمدان مشرقة متألّعة تسطع وتضوء .

وفي هذه القصيدة الأولى التى أولها : « وَفَاؤُكَ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ » ، رجعت إلى أبنى الطيب قوة التصوير والتمثيل ، فرسم صورة سيف الدولة كأحسن ما تأتى من بنان مُصَوِّرٍ صَنَعَ لَبِيقٍ حَازِقٍ مُبْدِعٍ ، ووصف المجلس الذى كان فيه سيف الدولة كأنك تراه . وذلك أنه دخل عليه وقد جلس في فَاَزَةٍ من الديباج عليها صورة ملك الروم ، (٢)

(١) اعلم أننا لو أردنا أن نقف عند لفظ لفظ من الأبيات ، ونكتب لك الرأى كله مقيداً لطوبنا بذلك ورقّت من هذا الحديث ، ولكاد ذلك قاطعاً لنا عن تمام هذا العدد من المقطف . فلا بد لك إذن من النظر ثم النظر . ولعلك بالبع بقوتك ما م سغه نضعنا ، وفقنا الله وإياك .

(٢) الفازة : المظنة تقوم على عمود في وسطها . وهى أشبه بما يتخذها الناس في يومنا هذا على شواطئ البحار .

وصُورُ رياضي يَدُوحها وطَيرها ووَحشها وحيوانها . فكان مما قال في صفة تلك الفائزة ،  
والأسد المُقعى في ذراها :

- ٢٠٥ / وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ  
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكُهَا سَحَابَةٌ  
وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجَّهِ  
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحاً بِهِ  
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ ، كَأَنَّهُ  
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ  
تُقْبِلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطِئِهِ ،  
قِيَاماً لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيْفَهُ  
قَبَائِعُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيْبَةً ،  
لَهُ عَسْكَرٌ خَيْلٌ وَرَجُلٌ ، إِذَا رَمَى  
أَجْلَتْهَا ، مِنْ كُلِّ طَاغٍ ، ثِيَابُهُ ،  
( فَقَدْ مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغَيِّرُهُ ،  
( وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ ،  
لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِماً  
عَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَعْرَ نِجَادُهُ
- حَيَا بَارِقٍ فِي ( فَازَةٍ ) أَنَا شَائِمَةٌ  
وَأَغْصَانُ دَوْجٍ لَمْ تُعَنَّ حَمَائِمُهُ  
مِنَ الدُّرِّ ، سِمَاطٌ لَمْ يُثَقِّبُهُ نَازِمُهُ (١)  
يُحَارِبُ ضَيْدٌ ضَيْدَهُ وَيُسَالِمُهُ  
تَجُولُ مَذَاكِيهِ ، وَتَدَايِ ضَرَاعِمُهُ (٢)  
لَا بَلَجَ ، لَا تَيْجَانَ إِلَّا عَمَائِمُهُ  
وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُفَّهُ وَيَرَاكِبُهُ (٣)  
وَمَنْ بَيْنَ أَذُنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهُ  
وَأَنْفَذَ مِمَّا فِي الْجُفُونِ عَزَائِمُهُ (٤)  
بِهَا عَسْكَرٌ لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَمَاعِمُهُ  
وَمَوْطِئُهَا ، مِنْ كُلِّ بَاغٍ ، مَلَاعِمُهُ  
وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تُزَاجِمُهُ (٥)  
وَمَلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاطِمُهُ (٥)  
فَلَا الْمَجْدُ مُخْفِيهِ ، وَلَا الضَّرْبُ ثَالِمُهُ  
وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ

(١) « الموجه » ، ذو الوجهين .

(٢) يصف الخيل (وهي المذاكي) ، والأسود وهي تختل صيدها من الظباء النافرة . « دأى الصيد » ، ختله لبيده .

(٣) البراجم : مفاصل الأصابع .

(٤) القبايع : ما يكون على قوائم السيوف من الخلى ، يعنى السيوف المحلاة بالذهب والفضة .

(٥) تأمل تكرار « مل » في البيتين الأخيرين ، وتكرار « مما » ، وهي تدل على الكثرة .



تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ ، وَهِيَ عَبِيدُهُ ، وَتَدَّخُرُ الْأَمْوَالَ ، وَهِيَ غَنَائِمُهُ  
 / وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ ، وَالِدَّهْرُ ذُوْنُهُ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ الْمَوْتَ ، وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ  
 وَإِنَّ الذِّى سَمَّى عَلِيًّا لَمُنْصِفٌ ، وَإِنَّ الذِّى سَمَّاهُ سَيْفًا لَطَّالِمُهُ  
 وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حُدَّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَيَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ (١)

فاقرأ ، ثم اقرأ ، ثم تدبر ، ثم عُدْ إلى النهج الذى أشرنا إليه فى الحديث عن « بدر بن عَمَّار » ، وَوَصَفَهُ الْأَسَدَ هُنَاكَ ، وَقَارِنْ بَيْنَ مَا تَرَى هُنَا وَمَا تَرَى ثَمَّ ، تَجِدُ التَّقَارُبَ بَيْنَهُ وَاضِحًا ، وَالتَّنَفُّسَ الشَّعْرِىَّ الْبَلِيغَ الْعَظِيمَ مُمْتَدًّا مِنْ زَمَانٍ بَدْرٍ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ غَيْرَ مُنْقَطِعٍ . وَتَدْبِرْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْأَخِيرَةَ وَمَا وَسَمَّاهَا بِهِ أَبُو الطَّيِّبِ مِنْ مِيسَمِهِ الذِّى يَتَلَذَّعُ بِنَارِ قَلْبِهِ ، وَالذِّى صَارَ عَلَامَةً بَيِّنَةً فِي كُلِّ شَعْرِهِ الذِّى قَالَهُ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بَعْدَ هَذَا . وَفِي الذِّى قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ وَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ كِفَايَةً لِلْبَصِيرِ الْمُتَدَبِّرِ .

...

وَبَقِيَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بِأَنْطَاكِيَّةٍ أَشْهَرًا مِنْ سُنَّتِهِ تِلْكَ ، وَأَبُو الطَّيِّبِ إِلَى جَوَارِهِ وَفِي مَجْلِسِهِ ، وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ وَفِي رِكَابِهِ . وَاسْتَصَفَاهُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ وَمَنْحَهُ بِشْرَهُ ، وَقُرْبَهُ ، وَامْتَدَّ الْحَدِيثُ بَيْنَهُمَا فِي بَعْضِ الْخُلُوتِ عَنْ شُؤْنِ الدَّوْلَةِ وَمَا وَقَعَ فِيهَا ، وَمَا أَدْرَكَهَا مِنَ الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ ، وَمَا كَانَ لَوْقَتِهِ مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ . وَرَأَى سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَنَّ مُحَدِّثَهُ رَجُلٌ دَاهِيَةٌ بِصِيرٍ مُحَنَّكَ قَدْ نَجَّدَتْهُ الْحَوَادِثُ ، وَلَهُ رَأْيٌ وَمَعْرِفَةٌ وَأَسْرَارٌ قَدْ اسْتَجَدَّهَا بَعْدَ اللَّقَاءِ الْأَوَّلِ فِي سَنَةِ ٣٢١ ، فَضَلَّأَ عَمَّا كَانَ يَعْرِفُهُ ، فِيمَا زَعَمْنَا ، مِنْ نَكْبَتِهِ الْأُولَى فِي نَسَبِهِ / مِنْ قَبْلِ ٢٠٧ الْعُلُوِّينَ أَصْحَابِ الْأَمِيرِ بِالْكُوفَةِ ، فَزَادَهُ قُرْبًا وَكِرَامَةً وَمَحَبَّةً ، لَمْ يَنْلِ مِثْلَهَا شَاعِرٌ مِنْ أَمِيرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَجَبًا فِي أَنْطَاكِيَّةٍ وَغَيْرِهَا ، لِمَا عُرِفَ مِنْ صَرَامَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَتَحَرُّزِهِ وَتَشَدُّدِهِ حَتَّى عَلَى الْكَثِيرِ مِنْ أَهْلِهِ . فَانْظُرْ إِذَا أُرِدْتَ إِلَى مَا كَانَ بَيْنَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَبَى فِرَاسٍ

(١) « اللزات » جمع « لَزَبَةٍ » ، شِدَائِدُ الدَّهْرِ الَّتِي تَعْقِرُ النَّاسَ .

الحمدانيّ ، فإنَّ القَرَابَةَ والرَّحِمَ لم تنفع أبا فراس في القرب من سيف الدولة ، مع أنه كان متحققاً بخدمته ، ذاهباً في طاعته ومرضاته ، حامياً لحقيقته ، مفضلاً له في حروبه وغزواته بنفسه ودمه ، ممجّداً له في شعره ، مخلّداً ذكرَ غزواته وحروبه . كلُّ هذا لم يقرب أبا فراس من سيف الدولة قُربَ أُنَى الطيب منه ، مع تقدُّمهما في الشعر والأدب ، ومع أن أبا فراس كان أولى بالتقديم والتكريم من أُنَى الطيبِ بحُسنِ بَلَاءِهِ في الحرب ، وقَدَمِ عِشْرَتِهِ لسيف الدولة ، وسبقه في تمجيدِهِ وتخليدِ ذكره وذكر حروبه . فلذلك نقول لك إن تقديم سيف الدولة أبا الطيب على سائر شعرائه المستظليين بظله ، والمبتدئين في طاعته وخدمته ، لم يكن من أجل الشعر وحده وحسب ، بل للذي بَلَّاه سيف الدولة من آراءِ أُنَى الطيب وأفكاره وعواطفه في الأمور السياسية التي كان يسعى في تحقيقها وإتمامها والقيام عليها بسيفه وخيله ورجله ورجاله المحنكين من ذوى الدَّهَاء والخبرة والمعرفة والعلم . وقد قدمنا مطالب سيف الدولة في أول هذا الباب . (١)

...

ثم عزم سيف الدولة الرحيلَ عن أنطاكية إلى حلبَ مقرَّ حكمه ، ولكن أبا الطيب ٢٠٨ لم يصحبه في رحيله هذا ، فعزم عليه سيف الدولة أن يلحقه بحلب . / وعندنا أن الذي عاق أبا الطيب عن صحبة سيف الدولة في هذا الرحيل ، أمرٌ يخصُّه هو ، وليست له فيه إرادة . وقد قلَّبنا الرأى في شعر المتنبي في تلك الفترة وما بعدها بقليل ، وتدبَّرنا كلام الرجل على الأصول التي قدمنا لك منها أطرافاً في كلامنا ، وظفرنا بأشياء دلَّتنا على أن هذا الأمر الذي عاقه كان مما يقطع في قلبه ويؤججه في عواطفه ، وتبيَّن لنا أن هذا الأمر هو مَرَضُ زَوْجَتِهِ ، والظاهر أنها كانت حاملاً ، ثم جاءها المخاض فأغضلت وعُسرت ولادتها ، ثم رَمَتْ ذَا بَطْنِهَا وماتت [ انظر ما سلف ص : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ] ، وكان مرضها ذلك في حَمْلِهَا ، ثم ما تركت له وراء ظهرها = ولعلَّ الوليد مات بعد أشهر قبل أن يستمسك = هو الذي منع أبا الطيب أن يصحب سيف الدولة يوم رحيله من أنطاكية .

(١) تلبث تحد بقية الحديث بعد قليل في هذا الباب ، فاجعه منك على ذكر .

وتأويل ذلك : أن أبا الطيب كان ولا شك عازماً على رُققة سيف الدولة ، ولولا ما فَجِئَهُ مما لا حيلة له في رَدِّهِ لَفَعَلَ ، فإنه حين أَرَمَعَ سيف الدولة الرحيلَ عن أنطاكية قال له أبو الطيب :

نَحْنُ مِنْ ضَائِقِ الزَّمَانِ لَهُ فَيْكَ ، وَخَائِتُهُ قُرْبَكَ الْإِيَّامِ

وقال أيضاً في يوم رحيل سيف الدولة ، وقد كثر المطر وكاد يعوقه عن عزمته :

رُبَيْدِكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ      تَأَنَّ ، وَعُدَّهُ مِمَّا تُبِيلُ  
وَجُودَكَ بِالْمَقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً ،      فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ  
لِأَكْبَتِ حَاسِداً وَأَرَى عَدُوّاً ،      كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ

فهو في البيت الأول يذكر ما يتليه به الدهر من العوائق ، وما يُضايقه / به من ٢٠٩  
الأرزاء التي تُحَوِّلُ بينه وبين ما يروم من صحبة سيف الدولة والقرب منه ، وقد خَصَّ نفسه بذلك إذ يقول : « نَحْنُ مِنْ ضَائِقِ الزَّمَانِ لَهُ فَيْكَ » ، ولا نَظْنُ أَنْ قد كان إذ ذاك ما يمنع أبا الطيب من الرُققة ، إلا ما يخرج عن إرادته ، ويقع بينه وبين عزمه . فلما كادَ المطر يَعُوقُ سيفَ دولة ، بان الفرُحُ في كلام أبا الطيب مقروناً بالحسرة ، لما يعلم من أن ذلك لن يَقْطَعَ فيما أبرم من عزمه ، فسأله أن يبقى قليلاً بأنطاكية ، وتعلل له بعلته التي ذكرها . وكان أبو الطيب إذ ذاك متأثراً بالحالة التي عليها امرأته ، فوقع في بيت من قصيدته الأخيرة التي ذكرنا أوَّلَهَا ، ما يُدَلِّلُ على ما في نفس الرجل من آثار ما كان فيه من الكَرْبِ ، على عادته التي أسلفنا بيانها في مواضع . فقال لسيف الدولة :

فَلَوْ جَاَزَ الْخُلُودُ خَلَدَتْ فَرْدًا      ( وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ )

فهذا الحزنُ الغالب على الشطر الأخير ، والمتمثِّلُ في كلماته ، وفي عبارته عن المعنى الذي أرادَهُ حين استدرك بقوله : « ولكن » بَعْدَ الذي كان من فرحه وطربه وتدفق نفسه بالأمال ، واستبشاره بقاء سيف الدولة ، والذي كشفت عنه قصيدته الأولى : « وفاؤكما كالربع أشجَاهُ طاسمه » ، على ما مضى في كلامنا = كُلُّ ذلك يُدَلِّلُ على أن

الرجل كان قد أدركه ما أحزنه وغم قلبه ، وردَّ عليه فرح نفسه غمًا وحسرة وتشاؤمًا من الدنيا ، وما يكون فيها من بلايا الدَّهر بالفراق والموت . وهذا بين كما ترى .

وانتقل أبو الطيب - بعد موت امرأته بقليل - من أنطاكية إلى حلب ، ثم ماتت والدته سيف الدولة ، فقال له في عزائه قصيدته المشهورة ، وأولها من دموع أبى الطيب التى كان يبكى بها ، وقد جاء فيها :

٢١٠ / نَصِيْبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ ، نَصِيْبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خَيَالٍ  
رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ  
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكْسَرُ النَّصَالَ عَلَى النَّصَالِ  
وَهَانَ ، فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا ( لِأَنِّي مَا أَتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي )  
.....  
( يُدْفَنُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَتَمَشَى أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي )

وهذا الحديث عن نفسه ومصائبها ورزاياها ، وما فيه من الحزن الغالب على عقله وعواطفه ، بعد الذى كان من أفراحه ، دليل على ما قدمنا من أن الرجل كان قد أصيب وآتلى بيلاء آلمه وحز في قلبه ، لا يزال يدفعه إلى القول الباكي الحزين . ثم يستمر على ذلك في شعره مدَّة ، فإنه في هذه السنة نفسها ( سنة ٣٣٧ ) قال وهو يمدح سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان من أسر الخارجي :

تُفَكُّ الْعُنَاةَ ، وَتُعْنِي الْعُفَاةَ ، وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ  
فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَعْيُكَ فِي الْآجِلِ

يعنى سيف الدولة ، وهذان البيتان في ختام القصيدة ، فكان حق الشعر أن يقف به أبو الطيب عند هذه الدعوة الصالحة بالظفر الذى كان ، والعمل الصالح فيما يستقبل ، ولكن نفس الرجل كانت مضطربة متأثرة ، قد غلبها الحزن ، وعمتها الدنيا ( التى ليس لها خليل ) بما جلبت عليها من أرزاء ومصائب ، فانتقل على عادته غير

متخلص ولا حافل ( بالمناسبة ومقتضى الحال ) ، فقال في عَقَب هذين البيتين ، بيتين آخرين غريبين عن معنى الدعاء وعن معنى المدح ، / اجتمعت فيهما مرارة الحياة كلّها ، ٢١١ ثم جعلهما ختام القصيدة ، قال :

( فَذِي الدَّارِ أَخُوْنَ مِنْ مُومِسٍ ، وَأُخْدَعُ مِنْ كِفَّةِ الحَايِلِ )  
تَفَأَنَّى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ

إنهما نفثة مكروبٍ حزينٍ ، قد أَدَمَتْ قلبه غَدَرَات الدَّهْرِ ، قال له الدهرُ : « تُخَذ » ، ففرح وابتهج ، ولم يكذ حتى قال له : « هَاتِ » ، فطارت البهجة ، وأطبق عليه الكربُ الخانق المظلم .

فأنت ترى الآن أن هذه المعاني التي قَيَّدناها لك ، آخِذٌ بعضها ببعضٍ ، على طَرَاژٍ لا يختلف من الحزن والكرب . هذا ، وقد كان سيف الدولة سأل أبا الطيب بعد ذلك أن يسير معه إلى الموصل ، لَمَّا أزمع هو المسير إلى نُصْرَةِ أخيه ناصر الدولة ، فاعتذر له أبو الطيب عن المسير معه بقوله :

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ ، فَمَا تُحَوِّلُ تُنَوِّفُهُ دُونَ اللُّقَاءِ ، وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ  
( إِنَّ الَّذِي خَلَّفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ ، مَا لِي عَلَى قَلْقَى إِلَيْهِ خِيَارُ )  
( وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلِّ مَاءٍ مَشْرَبٌ لَوْلَا الْعِيَالُ ) ، وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ  
إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمْ صِلَةٌ تَسِيرُ بِذِكْرِهَا الْأَخْبَارُ

فلو أن امرأته كانت إذ ذاك باقية لم تُمِتْ ، لَمَّا عَزَّ على أبي الطيب أن يفارق ( عياله ) في رفقته وصحبته . ويبيِّن من قوله : « إِنَّ الَّذِي خَلَّفْتُ خَلْفِي ضَائِعٌ » ، أنه يعنى صغيراً من ولده لا يطمئن قلبه إذا فارقه مُضَيَّعاً ليس له من يَعُولُهُ أَوْ يَكْلُوهُ ويرعاه ، وأتمَّ ذلك المعنى بقوله : « مَا لِي عَلَى قَلْقَى إِلَيْهِ خِيَارُ » . وفي الآيات جميعها حنان الأبوة ماثِلٌ بَيْنَ لا خفاء فيه .... وَحَسْبُكَ هذا من كلامنا ، فَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الدِّوَانِ ، فتدبَّر قصائده بعد ذلك ، / ففيها من مثَل هذا كثير . ولا يفوتُكَ أن تذكر ما قدمناه من دقة ٢١٢

إحساس هذا الرجل ، وسُرعة تأثره ، وظهور هذا التأثر في شعره إذا كَرِهَ أمرٌ يَغُمُّهُ أو يَشِيرُهُ أو يَهَيِّجُ كبرياءه ، وما يكون من جرّاء ذلك في شعره من الانتقال من معنى إلى معنى غير عالمٍ ( بحسن التخلص ومقتضى الحال ) .

وقد قال أبو الطيب هذه الأبيات الرائية في آخر سنة ٣٣٧ ، وفي شهر صفر من سنة ٣٣٨ ، مات أبو الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، فرثاه أبو الطيب ، وختم رثاءه بثلاثة أبيات ، فافقرأها متبصراً متدبراً ، قال :

أُنْبِكِي لِمَوْتَانَا ، عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ      تَقُوتُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلٍ  
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ ،      تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبَ مِنَ الْقَتْلِ  
( وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَهُ      حَيَاةً ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ )

فقال : « أُنْبِكِي لموتانا » ، مقالة رجل قريب عهدٍ بنكبة الموت ، يخاطب رجلاً مثله قريب عهدٍ به . ثم ذكر الاشتياق إلى « النسْلِ » ، مع ما في البيت من المارة الظاهرة التي لم يذهب طعمها من قلبه بعد . إنه بيت فاض عن قلبٍ مفجوع يتفطر حزناً ، ويقطر يأساً . كُلُّ ذلك دليل صريح على أن أبا الطيب كان يخاطب نفسه كما يخاطب سيف الدولة ، لأن بلّواهما واحدة .

...

اجتمع على أبنى الطيب ، كما ترى في أول صحبته لسيف الدولة ، أفراح قلبه بلقاء أمير العرب الذي أحبه وأمل فيه الخير والبركة والنصر لآرائه وأفكاره وسياسته ، وأحزان قلبه بفقد امرأته ، ثم صغيره الذي جدّد له ما بقلبه من أحداث الزّمن ومصائبه من الآلام . فكان تنازُعُ الفرح والحزن في تلك / النفس المُرَهفة الشاعرة الثائرة ، سبباً في استخراج كوامنها ومضمّراتها وذخائرها . وأخذ أبو الطيب يُروّز ما عنده من العواطف والأفكار ، ويتأمل ما تجدد في قلبه من المعاني التي ولّدتها الأفراح والآلام ، ويستوعب ما في ضميره من الأحداث القديمة التي تركت وسمّها فيه ، ويرمى ببصره إلى ما يستقبله في ظل سيف

الدولة . وينظر فيما وجد عند الأمير من العطف عليه والإكرام له ، ومن تقديمه على القدماء من أصحابه وشعرائه ورجاله . وشغلته الأيام بما يتجدد فيها مما يخصه ومما لا يخصه ، وحوته المجالس ، مجالس العلم والأدب والشعر والسياسة ، وأحاطت به الدنيا كلها مهياةً كأنما أُعِدَّتْ له ، ليأخذ منها ما شاء ويدع ما شاء ، ... فكان هذا كله ترفقاً من القدر لصنع هذه الشاعرية الفذة ، وتربيتها وتغذيتها وتثنيته على غرارٍ فذٍّ ، يكون به أبو الطيب شاعر العرب والعربية الذي ( ملأ الدنيا وشغل الناس ) .

وكان تنازع الفرح والحزن في تلك النفس المرفهة الشاعرة النائرة حدًا لها من غلوائها ، وصرفًا لها عن الفكر في الكبرياء ، إلى الكبرياء في الفكر ، فأصبح أبو الطيب ينظر في الحياة نظرة التدبر والتحصيل ، يقلب الرأي ، ويعبر الفكرة ، ويقيس الأشباه والنظائر ، ويرد الأمور إلى أصولها ومنازعها ، وينتزع جوهر المعاني من بين أعراضها ، لا يأتى في ذلك جهداً ولا يقصر . فمن هنا تواردت عليه المعاني ، واتخذت لها بين قلبه وفكره منزلاً ومقرّاً ، فإذا قصد إلى الشعر واحتفل له بيبانه وروافد هذا البيان من الخوافر والدوافع والعواطف ، ابتدرت هذه المعاني من منازلها بين قلبه وفكره ، إلى منازلها بين أبياته وقصائده . وهذا هو أحد الأسرار العظيمة في بيان هذا الشاعر العظيم .

\*\*\*

٢١٤ / وتلاًلاً مجذ سيف الدولة في شعر أبى الطيب ، فقرّبه وزاده عطاء وإقطاعاً ، وأسبغ عليه نعمة لم يكن أبو الطيب ينتظر مثلها أو يؤملها ، فوقع ذلك من نفسه موقع الأمانة التي تحققت من نفس الياثس الذى ضجر بأمانيه ، وقد استيقنت نفسه أنها لن تتحقق . وكان هذا أيضاً - مع الحزن والفرح اللذين يتنازعان في نفسه - عوناً على صنع شاعرية الرجل وصقلها وجلالها ، لتكون المرأة التى تتراعى فيها حقائق الحياة وفلسفتها وحكمتها وبيانها وما لها وما عليها .

ولم يكن سيف الدولة يجهل ما سيكون من هذا الرجل أول ما لقيه ، بل يقيننا أنه

كان قد انكشفت له نفسية أئى الطيب فأخذها من حيث ينبغي أن تؤخذ ، وعرف أن هذا الذى مدحه بأنطاكية سيكون مخلّد ذكره ، وحافظ أخباره وصفاته فى شعره . وليس مثل سيف الدولة يغفل عن ذلك أو يتجاوز بصره . فقد كان سيف الدولة أديباً شاعراً قد اجتمعت له من أداة الأدب والشعر أداة كاملة متقنة ، وكان بصيراً بنقد الشعر ، نافذاً فى إدراك أسرار البيان . وأيضاً ... ، فقد كان ما عليه سيف الدولة مما ذكرنا ، من أكبر العوامل فى شعر أئى الطيب ، فإنه كان يعرف يقيناً بصّر صاحبه سيف الدولة بالأدب والشعر ، فحمله ذلك على الإجادة والتبصّر ، وتقليب المعانى واختيارها ، واصطفاء أثوابها من الألفاظ واجتباؤها ، وكان ذلك من أئى الطيب لِمَا فى نفسه من الكبرياء والعظمة ، إذ لو لم يفعل ذلك لعلّاه عليه فى نظّر سيف الدولة رجلٌ غيره من الشعراء أو لسوّاه به ، وصاحبنا هذا لا يرضى بأن يسبقه إلى سيف الدولة غيره من الشعراء ، فهل يرضى بالمساواة ؟ ... كلا ، وكذلك فاق أبو الطيب كل من سبقه أو جاء بعده من شعراء العربية ، / فقد اجتمع له من الدوافع وغيرها ما لم يجتمع لأحد منهم .

٢١٥

وبعد أيضاً ، فقد كان من العوامل فى هذا النبوغ الفذّ الذى استعلن فى أئى الطيب ، ما أصاب من الاستقرار والاطمئنان فى جوار سيف الدولة ، وما تيسّر له من الرزق الذى لم يكلفه همّاً ولا كرباً ، بعد أن كان لا يمتنع لقمة من عيشه إلا ومعهما نكدّها وهمّها وشقاؤها . وأيضاً .... فقد علمت قبل أن هذا الرجل كان من صغره محباً للعلم والأدب ، لا يندع استيعاب ما يقع إليه من الكتب فى كل فنّ وعلم ، ففى جوار سيف الدولة ، تيسّر له من ذلك ما لم يكن يتيسّر ، فقد كان مليئاً بماله الذى أفاده ، يشتري ما يشاء ويستنسخ ما يرغب فيه ، وما كان سيف الدولة ليمنعه أن يستفيد مما اجتمع عنده من نواذر الكتب والمؤلفات قديمها وحديثها ، فأخذ أبو الطيب يقطع أيامه بالتزوّد من كل علم ، والاستزادة فى كل فنّ ، وقد وهبه الله ذاكرةً واعية ، وفهماً نافذاً ، وقدرةً على النقد والتمييز ، ونفساً شاعرةً تأخذ من ذخائرها ما تشاء ، وتنضو عنه ما يعلّق به ، وتجلّوه جلوة العروس فى ثياب غرسها . وكذلك اتفق لأئى الطيب فى هذا العهد كل ما يعينه على النبوغ والسبق .



قلنا قبل إن سيف الدولة قد قَرَّب أبا الطيب وزاده كرامةً ومحبةً لم ينل مثلها شاعرٌ من أمير ، مع ما عُرف عن سيف الدولة من تحرّزه وتشدّده حتى على الكثيرين من أهله ، وضربنا المثل بأبى فراس الحمداني وهو من هو في قربه من سيف الدولة لقربته ورحمته ، وتحقّقه بخدمته ، والذهاب في طاعته ومَرْضَاتِهِ ، وتمجيده في شعره ، وتخليد ذكر وقائعه وحروبه ببلاغته وبيانه / = وأشرنا إلى أن السياسة كانت أيضاً مما قَرَّب أبا الطيب وأدناه من مجلس سيف الدولة وسامره وخَلَوَتِهِ . ولعلّ هذا الأمر الأخير = مع ما قدمنا ذكره من أحوال سيف الدولة وأبى الطيب ، وما فيه من النبوغ والدهاء ، = هو الذي جعل لأبى الطيب عند سيف الدولة منزلةً لا تدانيها منزلة أحد من أقاربه أو أهله أو شعرائه الذين كانوا يبابه ، وقد قالوا إنه لم يجتمع بباب أحد من الأمراء مثل ما اجتمع بباب سيف الدولة من الشعراء والأدباء .

وقد تتبعنا ديوان أبى الطيب كلّهُ لنظفر بالدليل على أن سيف الدولة كان قد اسْتَصَفَى أبا الطيب واتَّخَذَ منه أخصاً يمنحه ودّه ويكشف له عن سرّه ، ويحدّثه بآماله في السياسة والحكم ، فوقعنا على أشياء من ذلك لا بأس من ذكرها والتدليل عليها ، على ما درجنا عليه في كلامنا من استنباط المعاني وردّ بعضها إلى بعض . هذا ، على كثرة ما يتّصل بهذا من أحوال أبى الطيب وسيف الدولة ، مما لا نستطيع أن نجмعه لك في فصل واحد ، ولذلك سنكتب ما نكتب ، وعلى القارئ أن لا ينسى ما مضى من القول فيضعه في موضعه ليزيد ما أمامه قوةً وبيانا ، وأن يستأنى لما يستقبل فيُحِلُّه محلّه ليرتبط الأوّل بالآخر ، وينكشف له ما يَغْمُضُ عليه أو يستهمم مما نحن فيه .

\*\*\*

كان أبو الطيب ، كما رأيت أولاً ، رجلاً ثائراً بما في نفسه غير راضٍ عن الحكم القائم في البلاد العربية ، وقد ذكر ذلك في كثير من شعره الذي مضى بك ، وهدد الأمراء والملوك والسلاطين بما سوف يفعله بهم ، وما يأتيهم به من القتل والفتك ، وخصّ بالذكر

٢١٧ والجُحد والوعيد الأعاجم الذين كانوا / قد استولوا على مقاليد السلطان والحكم ، ولم يفتأ يذكر ذلك من أول أمره إلى أن اتصل ببدر بن عمار . وكان ، كما قلنا قبل ، يؤمل أن يجد في بدر بن عمار ( الرجل ) الذي يستعين به على آماله وآرابه ، ويحقق بعونه له ، ما كان يدور في نفسه من المطامع السياسية : من ردّ الحكومة إلى العرب دون الأعاجم ، وكذلك هدأ حين اتصاله ببدر ، ولم يكثر من ذكر وعيده وإنذاره وآرائه ، وفسّرنا هذا هناك ، [ ما سلف ص : ٢٥٩ - ٢٧٢ ] فلما كان اتصاله بسيف الدولة على ما وصفنا في هذا الفصل ، من توافق الرجلين في المذهب السياسي ، والرأى الذى يريانه لإنقاذ العرب من عادية الأعاجم وغيرهم ممن يكيدون بالفتنة لأمتهم ، هدأ أبو الطيب هذائهُ تلك ، وانصرف بيانه إلى تمجيد صاحبه ، كما فعل حين كان في جوار بدر . وقد ألمنا بحالة أبى الطيب النفسية وفسّرناها ، وبينّا أنّ ذلك عادة له إذا لاقى العربى المحارب الفاتح الذى يؤمل في وجهه النصر والظفر وتحقيق الآمال التى تسمو بهيمته إلى غزو الأمة ، وإنقاذها من البلاء الذى حلّ بها وأوهاها وفرّق شملها . وجمعنا إلى ذلك ما كان من تقرب سيف الدولة أبا الطيب إليه ، واصطفائه بمودته دون سائر الشعراء ، وجميع أهله وقرباته ، والمتصلين به من أصحاب الفكر والرأى والدهاء . وقد مضى بك أيضاً أنّ أبا الطيب كان قد ذكّر ، حين قدم إلى أنطاكية على أبى العشائر ، أنه لم يأت مستميحاً ولا طالب رُفد وعطاء ، بل أشار إلى مُرادِه ومبتغاه الذى من أجله قصد أنطاكية ، [ ما سلف : ٢٩٦ ] ، فقال :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي ( طَلَبِ الْمَعَالِي )      وَسَارَ سِوَايَ فِي ( طَلَبِ الْمَعَاشِ )

٢١٨ = وتبينّا من شعر أبى الطيب في المدة التى سلّحها في ظلّ سيف الدولة / من سنة ٣٣٧ إلى سنة ٣٤٦ ، أنه كان يقول الشعر في سيف الدولة ممجّداً له ورافعاً من ذكره وذُكر غزواته وحروبه ، وقد تآزرت عوامل نفسه كلّها على منحه التجويد والإبداع في ذلك . وتفسير ذلك عندنا أنّ هذا الرَّجل الثائر حين لاقى سيف الدولة الفاتح ، وجّه كل ما كان في قلبه من القوة التى دفعته إلى مدح نفسه وذكرها والإفصاح عن آرائها وآمالها ، إلى مدح هذا الرَّجل ( سيف الدولة ) ، ووصفه ووصف حروبه وغزواته ، فصارت القوة

التي كانت بَيِّنَةٌ في شعره الأول إلى هذا الشعر ، فكان وَحْدَهُ هو أبداع ما أتى به وما أخرجه من البيان . وكان صورةً أُخْرَى من شعره الأول ، إلا أنها أقوى وأتم وأمثل في التجويد والتصوير .

ثم فارق أبو الطيب سيف الدولة ، وهو لا يزال ثابتاً على محبته والإخلاص له ، وكان سيف الدولة لا يزال مُستَقْصِياً لأخباره في كل بلد ينزله ، متتبِعاً لشعره الذي يقوله لكل من مدحه من بعده . وكان أيضاً لا يزال يُهْدِي إليه من هداياه ، مع أنه فارقه ومدح غيره ، بعد إكرامه له إكراماً لم يلق مثله أبو الطيب قبل اتصاله به . وكان أيضاً يُكَاتِبُهُ وَيَتَلَقَّى مِنْهُ بعض كتبه = وكلُّ هذا دليلٌ على أن المحبة التي كانت بين الرجلين لم تكن محبة أمير لشاعره وحسب ، بل كانت صداقةً لا يقطع فيها حَدٌّ من أحداث الزمان ، أو سَعَى الوشاة والمُتَقَوِّلِينَ .

...

هذا .... وقد رَوَوْا أن سيف الدولة أنفذ إلى أبي الطيب ، وهو بالكوفة سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر ، وبعد أن فارقه بسِتِّ سنواتٍ ، / هَدِيَّةً مع أحد أقاربه ، ٢١٩ فكتب إليه قصيدة أهداها إليه كما أهدى ، فكان مما ورد في هذه القصيدة ، يخاطب سيف الدولة :

أَنْتَ طَوَّلَ الْحَيَاةَ لِلرُّومِ غَايَ ،	فَمَتَى ( الْوَعْدُ ) أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ ؟
وَسَيَوَى الرُّومَ خَلَفَ ظَهْرِكَ رُومَ ،	فَعَلَى أَيِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ ؟
قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِيهِ	لَكَ ، وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا ،	كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ (١)
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَاداً ،	وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بِخَيْلُ

(١) « الشمول » هي الخمر .

نَعَصَ الْبُعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْعَطَايَا ، مَرْتَعَى مُخْصِبٌ وَجِسْمِي هَزِيلٌ

مَا أَبَالِي ، إِذَا اتَّقَنْتُكَ اللَّيَالِي ، مَنْ دَهْتُهُ حُبُولُهَا وَالْحُبُولُ

وقد ذكرنا قبل أن سيف الدولة كان قد عزم في نفسه أن ينال بهيمته غاية الغايات في ضمّ أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظلّ حكمته ، وكان أوّل ما أتم من ذلك أن رَحِمَ الإخشيديين بمناكبه حتى أزاحهم عن أكثر البلاد الشامية وردّهم إلى الرملة ، وأراد أن يوطّد سياسته وحكمه بالشّام ، حتى إذا أعدّ العدة ، واستجمع الأداة ، تحفّزَ بقوته كلها على العراق فمال عليه مَيْلَةً رَابِيَةً ، ليزيلَ عنه سلطان الموالى الذين استولوا على سلطة الخلافة . وكان هؤلاء الموالى ، أو أكثرهم ، ممن استقل بالدويلات ، مِنْ شِيعَةِ العلويّين الذين أطاعوا داعية الفاطميين ، وكان سيف الدولة لا يُقرّر بحكم الفاطميين ولا يرضى عنهم ، ولذلك نصر الخلافة العباسية ، مع أنه / علويّ المذهب . كانت هذه ٢٢٠  
هى سياسة سيف الدولة ، وكانت هذه هى إرادته ، ليجمع شمل العرب ويردّ الحكم إلى اليد التى لا تضطرب ، وإلى الفكر الذى لا يحلّله من مكانه كيد الكائدين للعربية من أصحاب الفتن والدسائس .... [ انظر ما سلف ص : ٣٠١ - ٣٠٤ ] فجاء أبو الطيب يقول في هذه الأبيات :

أَنْتَ طَوَّلَ الْحَيَاةَ لِلرُّومِ غَاظٍ ، فَمَتَى (الْوَعْدُ) أَنْ يَكُونَ الْقُفُولُ ؟  
وَسَوَى الرُّومِ خَلَفَ ظَهْرُكَ رُومٌ ، فَعَلَى أَىِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ ؟

ففى البيت الأوّل يصرّح بأن سيف الدولة كان قد وعدّه أن يَقْفُلَ من غَزْوِ الروم الذين يهدّدون أطراف الشّام ، ويُعيدُ العدة لغزو غيره ، فإن قوله ( الوعد ) معرّفاً ، دليلٌ على تخصيص وعْدٍ بعينه ، ولا يكون كذلك إلّا أن يكون وعداً وعدّه سيف الدولة أبا الطيب لتحقيق ما يريدان من ردّ الحكومة إلى العرب ، وذلك بأن يغزو سيف الدولة العراق و ( يميل عليه ) ، ويزيل عنه سلطان الموالى والأعاجم ، ولذلك سأل أبو الطيب سَيْفَ الدولة فى البيت الثّانى فقال : ( فَعَلَى أَىِّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ ؟ ) . وقد جعل القائمين

بالحكم ، والمستولين على السلطان في العراق ، « رُوماً » ، لما أشرنا إليه قبل ، من أن هؤلاء لما وقفوا على عزيمة سيف الدولة في إزالتهم عن العراق ، أو عزوا إلى ملك الروم أن يقاتله ، إذ أوقعوا في قلبه وفكره بمكرهم ودهائهم أن سيف الدولة الذي كان يمدُّ سلطانه على الشام يوماً بعد يوم ، إنما يريد بذلك أن يُزيل المُلك من بين يديه ويغلبه على بلاده ، وبذلك يتم لهم ما يريدون من صرف سيف الدولة عن حربهم ، وانصرافه إلى حرب الروم ، ويكون ذلك استهلاكاً لقوته ، حتّى إذا / ما أراد أن يميل عليهم ، يكون قد فقد صفوة المحاربين معه في قتال الروم ، فلا يصيب إذ ذاك في حربهم وقتالهم ظفراً ولا نصراً ، [ انظر ما سلف ص : ٣٠٢ - ٣٠٤ ] ، وهذا التعبير من أئى الطيّب دليل على أنّه كان يعرف سير هذا الأمر كما يعرفه سيف الدولة ، ثمّ إن أبا الطيّب أخذ يهوّن على سيف الدولة أمر غزو العراق ، ويُعريه بالإقدام على ما وعده من الفتح ، إذ وصفه ووصف أهل العراق فقال :

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا ، كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ

فهو بهذا يُعريه بهم ، إذ كانوا قوماً أهل سكرٍ وعزبةٍ ، لا أهل حرب وقتال كسيف الدولة الذي لم يكن يفرغ من غزوةٍ ويُقفل منها حتى يبادر إلى أخرى يصيب فيها النصر والظفر ، أو التجربة في القتال والمِران على مكر الحرب وتخدعها . وهذا الذى كان من ( الوعد ) بين سيف الدولة وأئى الطيّب ، كان هو السبب في أن أبا الطيّب حين دخل العراق في تلك السنة ، لم يعبأ بأحد من السلاطين والحكّام وأولى الأمر من الوزراء ، واستكبر عن جميعهم ، فلم يمدح منهم أحداً ، حتى الخليفة لم يفكر في مدحه ، بل راعمهم جميعاً حتى كان ما كان من أمر الوزير المهلبى وغيره ، وعداوتهم له ، وإغرائهم الشعراء بالوقوف في عرضه وشرفه ونسبه ، وتحريضهم الأدباء على معاندته ومُجادلته للغضّ منه والإزراء عليه ، كما مرّ بك في أوائل كلامنا ،

[ انظر ما سلف ص : ١٥٨ - ١٦٠ ] .

وأيضاً ... ، ففى ذى الحجة من سنة ٣٥٣ كتب سيف الدولة إلى أئى الطيّب كتاباً ( بِخَطّه ) يسأله المسير إليه ، فأجابه أبو الطيّب بقصيدة أنفذها إليه ، أولها :

/ فَهَمْتُ الْكِتَابَ ، أَبَرُّ الْكُتُبِ فَسَمِعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ  
وَطَوْعًا لَهُ ، وَآيَتَهَا جَاءَ بِهِ ، وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ

فإذا كان هذا الكتابُ ، كما وردت الرواية ، قاصراً على رغبة سيف الدولة إلى أبي الطيب في أن يلحقَ به ، ويكون في جواره ، فيكون قولُ أبي الطيب ( فهمتُ الكتاب ) من أسخف القول وأرذلِهِ وأحطِّه وأسَقَطِهِ ، ويكون سقوطاً قد أصاب عقلَ هذا النابغة . أيقول أبو الطيب إنه فهم كتاب سيف الدولة ( الذي كتبه له بخطه ) ، يسأله أن يسير إلى الشام ؟ وما في هذا الطلب مما يحتاج إلى « الفهم » ؟ وما فيه مما تقتضى الإجابة عنه أن يخبره بأنه قد فهمه ؟ أيكون هذا أو يُعقل !! والبيِّن أن سيف الدولة كتب إلى أبي الطيب - بعد القصيدة التي مرَّ ذكرها ، والتي أغراه فيها بغزو العراق وفتحها - كتاباً يشرح له فيه الأمر ، غير مصرِّح بشيء ، ويذكر العوائق التي تعوقُه دُون غرضهما ، ويبيِّن له ما هو فيه من الكرب والضيق ، وأنه لولا ذلك لما تأخر عن عزيمته ، ولو فني لأبي الطيب بالذي وعده من فتح العراق . ولهذا لم يأتمن سيف الدولة أحداً على هذا الكتاب الذي كتبه إلى أبي الطيب ، فكتبه إليه ( بخطه ) حَيْطَةً وحذراً أن يشيع ما ورد فيه . وقد أراد سيف الدولة في كتابه هذا أن يزيد أبا الطيب بياناً ، ولكنه لم يستطع خشية الأحداث التي لا يملك صرْفُها ، من وقوع هذا الكتاب في يد عدوٍّ من أعدائه ، ولذلك طلب من أبي الطيب أن يقدِّم عليه بالشَّام فيخلو به ، ويشرح له الأمر في غير كناية ولا تعريض ، ولكن أبا الطيب كان قد فهم ما وراء كنايات سيف الدولة وإشاراته الخفية ، فكتب إليه :

/ فَهَمْتُ الْكِتَابَ ، أَبَرُّ الْكُتُبِ فَسَمِعًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ

فهذا الذي أفضنا فيه دليلٌ كله على أنه كانت بين سيف الدولة وأبي الطيب أسرارٌ سياسيةٌ تحُصُّ أغراضهما وآمالهما في إعادة المجد العربي ، وإزالة الحكم الطاغين من الموالي ، وقمع الفتن التي قام بها العلويون والفاطميون في البلاد ، وهم لا يقدِّرون مَعَبَاتِها وعواقبها ، ولا يَزنون أمرها ، إذ يتخذها أعداء العرب والإسلام ذرائعَ لقضاء مآربهم في تمزيق

الأمة ، وتفريق شملها ، وإضاعة مجدها وسلطانها ، يُقيموا على أنقاضها ما تسوُّله لهم  
أحقادهم وضغائنهم من الأوهام والأحلام . وَحَسْبُكَ دِلَالَةٌ عَلَى صَوَابِ مَا قُلْنَا ، أَنَّهُ قَالَ  
له : « فَسَمِعَا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ » ، فتسميته سيف الدولة « أمير العرب » ، تعريضٌ ظاهرٌ  
الدلالة على ما في نفس أبي الطيب من صفة هذا الشجاع المحارب ، صفةٌ تَجُبُّ كُلَّ  
صفة .





\*\*\*\*\*

لَعَيْنَيْكَ ، مَا يَلْقَى الْقَوَادُ ، وَمَا لَقَى  
وَلِلْحُبِّ ، مَا لَمْ يَبْقَ مِنِّي ، وَمَا بَقِيَ  
وَأَحْلَى الْهَوَى ، مَا شَكَ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ  
وَفِي الْهَجْرِ ، فَهَوَ الدَّهْرُ يَرْجُو وَيَتَّقَى  
سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا  
وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعْتَقِ  
إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرُ مُسْتَمْتِعاً بِهِ  
تَخَرَّقَتْ ، وَالْمَلْبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ

\*\*\*\*\*

- / .... (١) قد رأيتَ قبلُ أن الحوافز التي اجتمعت على أئى الطيب من أول أمره ٢٢٥  
إلى عهد اتصاله بسيف الدولة ، إنما كانت ترفقاً من القدر وتطريقاً وتمهيداً للنبوغ الفذّ  
الذى صار به صاحبنا شاعرَ العرب ولسان العربية الذى آستحكم فى عصره ، وضربَ  
بحكْمته على من كان قبله ، ومن أتى بعده . وقد ذكرنا من أدلة نبوغه وأسبابه ما يُيسر لنا  
جَمْعُه فى هذه الكلمة ، إذ كانت الأشياءُ مرهونةً بأوقاتها من المعانى ومنازلها من الكلام .  
ورأيتُ أنَّ اتصاله بسيف الدولة نقلَ قَلْبَ الرجل من منزلة إلى أخرى ، نَقَلَه من  
منزلة الإحساس الشخصى الموحد ، إلى منزلة الإحساس الشخصى / المُتَوَلِّج فى الاجتماع ٢٢٦  
المُزَاجِم فى سياسته ، المؤمِّل فى سيف الدولة ردَّ السلطان إلى العرب والعربية ، بعد الغلبة

(١) كان حق هذا الباب أن يسبقه فى ترتيبنا باب آخر . نذكر فيه ما تميز به شعر أئى الطيب ، ونفصل فيه أسلوبه كله على تدرج لا يتعاقب ، ولكن منعنا من ذلك ضيق الوقت ، وانظر ما سلف ص : ٢٣٤ ، وما قبلها .

والظفر وتحقيق الأمانى . وكان هذا سبباً في انتفاض قلب ( الرَّجُلُ الشاعر ) بالفرح المستولى عليه ، الغالب على عواطفه . ثم كان أيضاً ما استنبطناه ممّا سبَّب في هذا القلب أسباباً للألم والحزن والأنين والبكاء والحسرة ، فصار التنازع في هذا القلب بين الفَرَحِ الغالبة والحسرة المتمكنة ، سبباً في استخراج مكنوناته ، وتوليد المعاني الجديدة من الصراع الهائل الذى كان فيه . وبذلك خرج أبو الطيب عن طوره الأول المحدود بحده ، إلى الطور الثانى المتفاسح المترامى إلى كلِّ غايات الحياة وأسبابها وما يكون فيها وما يكون منها .

وكان هذا الرجل الشَّاعر إنما يعتمد في توليد معاني شعره على استيعاب ما بنفسه من الأفراح والآلام ، ما تقادم منها وما جَدُّ ، ثم الاستغراق في تأمل هذه الذخائر التى في نفسه وردَّ بعضها إلى بعض ، وربَّط الغائب منها بالشاهد ، وعَطَفَ الأول منها على الآخر ، وكأنما كانت تتراءى لعينه حوادث قلبه وحوادثُ دهره ، وتتردَّد في سمعه أصوات قلبه موصولةً بأصوات الناس وكلامهم ما قلَّ منه وما عَظُم . وكان هذا الاستغراق في تأمل ما بنفسه ، هو أحد الأسرار العظيمة في تصوير شاعريته ، وتسويتها وتنشئتها وتغذيتها وتنميتها إلى الغاية التى هى عليها في شعره .

وقد بيَّنا قبل أن من أداة هذا الشاعر العظيم ما أودعه الله فيه من الحس المرهف ، وما وهبه من العاطفة الملتبهة المتوقدة التى لا يخبئ لها ضرام ، ورائةً كان ذلك من جدِّته ، أو فِطْرَةً فِطَرَهُ الله عليها غير موروثية . وكان / هذا الرجل في أوَّل أمره مُطالباً بثأراً قد نُشِئَ عليه ، وأخذ به من صغره ، حتَّى شغل فكره وعقله ، وتدَفَّق في بنيانه كله تدفُّق الدَّم ، وصار أصلاً من الأصول التى قامت عليها كل حالته النفسية = على ما ذكرناه أولاً ، وتدرَّجنا في بيانه إلى عهد اتصاله بسيف الدولة = وكان قد بلغ من العمر أربعاً وثلاثين سنة ، وهى السنُّ التى تستحكم فيها الأصول ، وتستقرُّ المذاهب ، ويقف الرجل عندها لا يملك في تبديل أمره حَوْلًا ولا قُوَّةً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ، وخاصَّةً مَنْ كان مثل المتنبى قد عرَّكته الأيام من صِغَرِهِ ، وتحاملت عليه ورَمَتْ به في ثَنُورها حتى آستوى على صُورة بعينها ، واستمرَّ

مريرة على ما فيه من القوة المستحصدة والمُنة الدائبة الفورة والنزاع ، لا تستقر ولا تهدأ ولا تطمئن .

هذا ، .... وقد استوقفنا ، ونحن نتبع شِعْرَ الرجل على طريقتنا ومذهبنا ، الفرق الكبير الكائن بين شعره الأول ، وشعره الذى قاله فى حضرة سيف الدولة ، وتدبرنا الأسباب على ما بيناه قبل ، فلم يَسْتَوِ عندنا أن يكون ذلك من أجل ما ذكرناه قبل وحسب ، فَعُدْنَا نَجِدُّ الرأى لذلك ، ونقرأ ما بين كلمات الرجل من المعانى ، ونستنبط من روائع حكمه وبلاغته ما يهديننا إلى السبب الأكبر فى هذا التجويد الفذ الذى غلب به الرجل على شعراء العربية ، فاسترَوْحْنَا فى شعر الرجل نَفْحَةً من نَفَحَاتِ « المرأة » التى تكون من وراء القلب تصنع للشاعر المُبدع بيانهُ ، وتتخذ من فنها النِسْوَى مَادَّةً تُهَيِّمُهَا لِفَنِّ صاحبها وعبقريته ونبوغه . فأتممنا الأمر على ذلك ، وَرَجَعْنَا إلى شعر أبى الطيب وما وقفنا عليه من أسرار نفسه ، وَتَمَثَّلْنَا « المرأة » بينهما وهى دائبة تصنع له بيانه وتَهَيَّئُ له فَنَّهُ ، فاستوى الأمر على ذلك . وطلبنا الدليل ، فدلُّنا على المرأة التى / سكنت قلب أبى الطيب ٢٢٨ = وهو فى ظل سيف الدولة = وجعلته حكيم الشعراء وشاعر الحكماء .

كان صاحبُ الحكمة أبو الطيب يصنع حكمته بالتدبر فى معرفة نفسه ، واستبطان أسرارها وإدراكها ، فلما جاءته « المرأة » ، وأرادت كبريائه على الخضوع لها والتصرف بأمرها ، وقعت نفسُ هذا المرأة بأسرارها وأحداثها بين نظرات أبى الطيب النافذة المتولجة إلى ما وراء الواقع والحسّ الملموس ، وبين نفسه بأحداثها وأسرارها وما أنطوت عليه وما تجللت به . ولما كانت نفسُ المرأة المحبوبة هى تمام نفس الرجل المحب وتكملتها ، كانت دراسة الحكيم المحب لنفسه المكتملة التامة بالمرأة المحبوبة ، إنما هى دراسة للكون كله ، فإنَّ العاشق لا يرى الدنيا بأسرارها إلاَّ بعينى مَنْ يَعشَقُ ، وهى على ذلك الدنيا المترامية ، بعد أن كانت قبل عشقه محصورةً فى دائرتها من نفسه الناقصة غير التامة . والحُبُّ القوى النافذ الذى يتملك حواس المحب ويغلب عليها ، هو بطبيعته امتدادٌ بهذه الحواس إلى غايات بعيدة لم تكن تصل إليها قبل غلبته على القلب والنفس

والفكر . فلهذا حين أَحَبَّ أبو الطيب = الرجلُ الثائرُ المتكبرُ الشاعرُ الحكيمُ البيانيُّ  
الفكر واللسان = كان أمتدادُ نفسه وتزاميها إلى غايات بعينها من الرجولة والثورة والكبرياء  
والحكمة والفكر ، ولم يستطع أن يكون ، بعد أن غلب الحبُّ قلبه وتفاصح به ، شاعراً  
غزلاً رقيقَ البيان . وهذا هو السرُّ عندنا في ضَعْفِ مادة العَزَل عند أبي الطيب ، وقُوَّةِ مادة  
الحكمة وما إليها ، مما هو من طبيعته المتأصلة فيه على ما فصلناه في أثناء كلامنا . وليس  
يَصِحُّ عندنا أن لا يكون أبو الطيب عاشقاً صَباً متدلّهاً ، / ما لم نجد في شعره غزلاً  
ولا أنيناً وحنيناً وبكاءً .

٢٢٩

\*\*\*

والآن ، وبعدَ هذه المقدمة ، نحاولُ أن نعيِّن لك « المرأة » التي أحَبَّها أبو الطيب  
على ما يتفق لنا ، <sup>(١)</sup> إذ كان ترتيبُ هذا الموضع من الكلام ممّا يستدعي النظر في أكثر  
شعر أبي الطيب وتقليبه على المذهب الذي اتخذناه ، فيخرج الأمر من حده ولا تتسع له  
هذه الورقات .

لما ماتت أختُ سيف الدولة الصُغرى ، وقف أبو الطيب يُعزِّيه ويُرثيها ، ويسلِّيه  
ببقاء أُخْتِهِ الكُبرى ، وذلك في يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان سنة ٣٤٤ ، وبعد  
سبع سنواتٍ من مُقامه في حضرة سيف الدولة ، فأنشده قصيدته التي أولها :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْقَةِ فَضْلاً      تَكُنِ الْأَفْضَلُ الْأَعَزُّ الْأَجْلاً

وطبق يمدح سيف الدولة بمناقبه مما يصلح لهذا الموضع من العزاء ، إلى أن قال :

أَيْنَ ذِي الرُّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرِّ      بَ إِذَا آسْتُكَرَ الْحَدِيدُ وَصَلًا ؟  
أَيْنَ خَلَفَتْهَا غَدَاةٌ لَقِيَتْ الـ      رُومَ ، وَالْهَامُ بِالصُّورَامِ تُفْلَى  
( فَاسْمَتُكَ الْمَنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا      جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فِيهِ عَدْلًا )

(١) اعلم أنا كنا نؤمل أن نبسط القول في هذا الباب ، ولكن حالت دون ذلك أحوال .

( فَإِذَا قِسْتَ مَا أَخَذَنْ بِمَا غَا دَرَنْ ، سَرَى عَنِ الْفُؤَادِ وَسَلَى )  
( وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ حَظَّكَ أُوفَى ، وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى )

٢٣٠ / فأبو الطيب يطلب من سيف الدولة أن يقيس أخته الصغرى التي ماتت ، إلى أخته الكبرى التي بقيت له ، فإذا فعل ذلك كان سلوى له وتسريةً للهيم عن قلبه . ولا ندرى كيف يتفق أن يحطّر لشاعر يرثى امرأةً محببةً ماتت ، أن يذكر أخرى = وتكون أختها = ويعزى أباها بهذا العزاء الغريب ؟ ثم يزيد في قوله له : إنك إذا فعلت ذلك الذى دلتك عليه ، « تَيَقَّنْتَ » أن حظك فى بقاء هذه الكبرى أوفى من حظ الموت فى أخذ الصغرى ؟ وكيف يُقن أبو الطيب سيف الدولة من حسن حظّه ببقاء الكبرى ، إلّا إذا كان هو على يقين من ذلك ؟ وكيف يكون على يقين من ذلك ، إلّا وهو يعرفها معرفةً تُفضى به إلى هذا اليقين ؟

ثم مضى أبو الطيب فى القصيدة كلها يمدح سيف الدولة ، ولم يتعرض لهذه الفتاة أخته الصغرى إلّا فى موضع آخر ، إذ يقول :

خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ ، وَإِنْ كَانَتْ الْمُسَمَاءُ تُكَلِّلَا  
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفْتًا ذَاتَ خِذْرِ ، أَرَادَتِ الْمَوْتَ بَعْلًا

فالعجب أن يكون ذلك عزاءً .... ، فإن أبا الطيب قد قدّم الكبرى فى المنزلة ، فكان أولى إذن أن تموت الكبرى ، إذ هى ولا شك عند أبى الطيب أفضل من هذه الصغرى التى لم تجد من الناس كفتاً يكون لها زوجاً ، فاختارت الموت بعلاً لها !! وهذا التناقض يدلنا على أن الرجل كانت قد اقترنت فى عينه صورة الكبرى بصورة الصغرى ، فاضطرب قوله ولم يمض على سنين ونهيج ، وذلك لاضطراب نفسه الذى أظهر ما فى قلبه وكشف عنه فى تدفقه حين ذكر هذه الكبرى فقال فيها البيتين : « فَإِذَا قِسْتَ ..... إلخ » .

٢٣١ / فلما ماتت الكبرى هذه التى ذكرها هنا = وهى خولة أخت سيف الدولة ، فى سنة ٣٥٢ ، أى بعد ذلك بسنوات ثمانٍ ، وكان أبو الطيب يومئذ بالكوفة ، فورد عليه

خبرها ، فكتب إلى سيف الدولة قصيدة فيها ( ٤٤ ) بيتاً ، منها واحد وثلاثون في ذِكْر خَوْلَة هذه ، وستة أبياتٍ في ذِكْر الدنيا ونكدها ، ولم يذكر سيف الدولة إلا في سبعة أبيات منها . هذا مع أن القصيدة التي رثى بها الصُّغرى ، لم يذكر فيها الصغرى مُفْرَدَةً ، إلا في بيتين هما : « خطبة للحمام .... » ، وذكر الكبرى ومعها الصغرى في ثلاثة أبيات هي « قاسمتك المنون .... » ، وجعل بقية القصيدة ، وعدتها ( ٤٢ ) بيتاً ، في مدح سيف الدولة ، إلا قليلاً في الحكمة والحياة . أليس هذا عجباً !

كان الفرقُ بين القصيدتين بيتاً واضحاً لا خفاء فيه ، وكانت الثانية في رثاء « خَوْلَة » عاطفة قد أخذها الحزن وغلبها البكاء ... يقول أبو الطيب ، وافتتحها بخطاب خولة :

يَا أُخْتُ خَيْرِ أُنْج ، يَا بِنْتُ خَيْرِ أَبٍ	كِتَايَةٌ بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
أَجَلٌ قَدَرْتُ أَنْ تُسَمَّى مُؤَنَّةً ،	وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ
( لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْمَحْزُونُ مَنْطِقَهُ	وَدَمْعُهُ ، وهما في قَبْضَةِ الطَّرِبِ ) <sup>(١)</sup>
غَدَرْتُ يَامُوتُ ، كَمْ أَفْنَيْتُ مِنْ عَدَدٍ	بِمَنْ أَصَبْتُ ! وَكَمْ أَسَكَّتُ مِنْ لَجَبٍ ! <sup>(٢)</sup>
وَكَمْ صَحَبْتُ أُنْحَاها فِي مُنَازَلَةٍ !	وَكَمْ سَأَلْتُ فَلَمْ يَنْخُلْ وَلَمْ تَخْبِ !
( طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ ،	فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ )
( حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا ،	شَرِقْتُ بِالذَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ لِي )
تَعَثَّرْتُ بِكَ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا ،	وَالْبُرْدُ فِي الطَّرِيقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ ) <sup>(٣)</sup>
/ كَأَنَّ « خَوْلَة » لَمْ تَمْلَأْ مَوَاقِبَهَا	دِيَارَ بَكْرٍ ، وَلَمْ تُخْلَعْ ، وَلَمْ تَهَبْ
( وَلَمْ تُرَدِّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَةٍ ،	وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ ) <sup>(٤)</sup>

(١) « الطرب » ، خفة ودهشة غالبية تأخذ المرء عند الحزن أو عند السرور .

(٢) « النجب » ، الضجيج واختلاط الأصوات .

(٣) « البرد » ، جمع « بريد » ، وهو الرسول الذي يخرج على فرس من بلد إلى بلد .

(٤) « الحرب » ، ذهاب المال وهلاكه ، يقول الملهوف « يا ويلاه ، واخره » .

- ( أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْ نُعِيتُ ، فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفِتْيَانِ فِي حَلَبٍ ؟ )  
 ( يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبٍ ! وَأَنْ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكَبٍ ! )  
 ( بَلَى ، وَحُرْمَةٌ مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْقُصَادِ وَالْأَدَبِ )  
 ( وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَاتُهَا ، وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةُ النَّشَبِ ) (١)  
 ( وَهَمُّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ ، وَهُمْ أَثَرُهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ )  
 ( يَعْلَمَنَّ حِينَ تُحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّشَبِ ) (٢)
- .....
- ( وَإِنْ تُكُنْ خُلِقْتَ أَتْنَى فَقَدْ خُلِقْتَ كَرِيمَةً ، غَيْرَ أَتْنَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ )  
 ( فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةً ، وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ )  
 ( وَلَيْتَ عَيْنَ النَّبِيِّ آبَ النَّهَارِ بِهَا ، فِدَاءُ عَيْنِ النَّبِيِّ زَالَتْ وَلَمْ تُؤَبِ ) (٣)
- .....
- ( وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا إِلَّا بَكَيْتُ ، وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبٍ )  
 ( قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤَيْتِهَا ، فَمَا قَنِعَتْ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ ! )  
 ( وَلَا رَأَيْتُ عُيُونَ الْإِنْسِ تُذَكِّرُهَا ، فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أَعْيُنَ الشُّهُبِ ؟ )  
 ( وَهَلْ سَمِعَتْ سَلاماً لِي أَلَمَ بِهَا ؟ ، قَدْ أَطْلُتُ ، وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كُتُبِ ) (٤)  
 ( وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ ، وَ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَانِنَا الْغُيُبِ ؟ )
- .....
- ( قَدْ كَانَ فَاسْمُكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا ، وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ )

(١) « النَّشَب » ، ما يملكه الإنسان من مالٍ وعقارٍ وغيرهما .

(٢) « النَّشَب » ، رقة في أطراف الأسنان ، وصفافؤها ونقاؤها وبريقها .

(٣) « آبَ يُؤُوب » ، رجع .

(٤) « من كتب » ، من قرب .

٢٣٣ / (وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَثْرُوكِ تَارِكُهُ ، إِنَّا لَنَغْفُلُ ، وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ )  
مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا ! كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ (١)

ولست تخطيء فيما نرى ، ما تضمنته هذه الأبيات من القصيدة من العاطفة التي عطفته على هذه التي يرثيها ، وما يتوهج في ألفاظها من نيران قلبه . ولست تخطيء أنين الرجل وحنينه وبكائه . ولا بد لنا هنا من بعض القول في أبيات منها نشرح به أمر أبي الطيب على وجهه .

\*\*\*

قد ذكرنا قبل أن الانتقال من معنى إلى معنى في شعر أبي الطيب ، هو الموضوع الذي ينبغي لنا الوقوف عنده وتمييزه والتبصر في أوائله وأواخره ، إذ كان الانتقال في شعره هو الذي يُعينك على الكشف عن أسرار قلبه ونفسه وحياته . (٢) فإذا شئت الآن فانظر إلى انتقاله من قوله في مخاطبة الموت : « وَكَمْ صَحِبْتُ أَخَاها فِي مَنْازِلَةٍ ! » إلى ذكر ما أفزعته وكرهه ، وهز نفسه وحز فيها إذ يقول :

« طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ      فَرِغْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ »  
« حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعَ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا      شَرِقْتُ بِالذَّمِّ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ لِي »

والرأى عندنا أن هذين البيتين هما أول ما قاله أبو الطيب من القصيدة حين بلغه خبر موت خولة وهو بالكوفة ، (٢) ففزع قلبه ، واضطرب أمره ، وانتشرت عليه عواطفه ، ففى البيتين أثر قلبه الفزع المضطرب ، وعليها وسَمٌ من لَوَعته وحرَقته .

(١) « الورد » غشيان الإبل الماء للشرب ، و « القرب » سيرها ليلاً لورد الماء .

(٢) انظر مثل هذا ، في شأن الأبيات التي يقولها الشاعر حين يفاجئه شيء ، ثم يضمها بعد في خلال قصيدته ، ص : ٣١١ ، والتعليق رقم : ١٠١ ، ثم ص : ٣١٢ - ٣١٥ ، ثم ص : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ثم ص : ٣٥٣ .



وقد غلب أبا الطيب بيّانه في هذين البيتين ، فصّرّح فيهما بكل ما يضمّر / لخولة ٢٣٤  
من الحبّ . انظر كيف جعل الخبر يَطْوِي الجزيرة كلّها يَقْصِدُهُ وحده دون غيره ، وقد  
تخصّص ذلك بقوله « حتى جاءني » ، وفي هذا من غلبة الحبّ على قلب أبي الطيب  
ما جعله يرى أن هذا الخبر بموتها = الذي سمعه وهو بالعراق ، وكان قد علمه الناس  
ولا شك = لم يقطع أرض الجزيرة إلّا ليلغّهُ هو ، والحبّ دائماً يخصّ ويضيّق بمثل ذلك ،  
ولا يرى فيه الشّرْكة ، ولو تساوى الناس جميعاً في المشاركة فيه أو العلم به . ثم إن أبا  
الطيب نسّب الفرع الذي لحقه إلى آماله ، إذ كانت آماله كلّها في الحياة بعد حُبّه لخولة  
متعلّقة بها وبحياته ، فلما جاءه الخبر بموتها فرّعت آماله هذه أملاً أملاً إلى الشكّ في الأمر  
الواقع ، وإلى طلب الحيلة في ردّه وتكذيبه ، عسى أن تجد لها مُتعلّقاً تستمسك به . فلما  
أخفقت الآمال أملاً أملاً ، وقطّعها الخبر الذي سمعه بالصدق واليقين ، سقطت نفسُ  
الرجل ولم تستمسك على رجولتها وقوّتها ، وغرقت في دمعها حتى شرّقت به . وهذه حالة  
في الحبّ القويّ العنيف الذي يستولى على القلب ، ولا يجعل للحياة بآمالها معنى إذا فقد  
من يحبّ ، أو ساءه من أمره ما يسوءه . فهذا من أبي الطيب دليل على أن كلامه هذا  
ليس كلام شاعرٍ يرى أخت صديقه وأميره ، وإنما هو كلام قلبٍ محبٍّ مفجوع قد  
تقطعت آماله من الدنيا بموت حبيب قد فجّعت المنية فيه .

ومثل ذلك في الدلالة على ما أصاب قلب أبي الطيب من الفجعة التي تخصّصه  
بموت « خولة » ، قوله :

« أرى العراقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مُذْنُوعٍ ، فكيفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبٍ ؟ »  
« يَظُنُّ أَنَّ فَوَادِي غَيْرَ مُلْتَهَبٍ ، وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرَ مُنْسَكَبٍ »

/ فليس يطول الليل على شاعر من أجل أخت أميره ، وإنما يطول عليه من أجل  
حبيته التي فاته بها الموت . ثم زاد أبو الطيب في الدلالة بقوله : إن سيف الدولة يظن أن  
فَوَادِيه غير ملتهبٍ ، وأن دمعها غير منسكب ، وما لسيف الدولة ولهذا ؟ أيحبّ سيف

الدولة أن يلتهب قلبه وينسكب دمه من أجل أخته ، أو يسوءه إذا لم يكن ذلك كذلك ؟

هذا ، ولا نشكُّ نحن = من قَبْل ما جمعناه عندنا من الدلائل في هذا الأمر المتعلّق بحب أُمّ الطيّب و « خولة » أخت سيف الدولة = في أن سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة الغالبة على أمرهما ، وأنه كان قد وعد أبا الطيّب عدّة لم يَف له بها في أن يزوجه أخته هذه ، وكان ذلك سرّاً بينهما ، اتّصل بعضُ خبره بأبي فراس الحمدانيّ ، فكان سبباً في العداوة الباغية بين الرجلين . ولولا علم سيف الدولة بذلك لما استباح أبو الطيّب لنفسه أن يكتب هذه القصيدة إلى سيف الدولة ، على كثرة الإشارات فيها إلى أمره وأمر « خولة » والحب الذي بينهما .

ومن الشواهد غير ما ذكرناه مما يدلُّ على الحب الذي بينهما دلالة واضحة لا تخفى على مثل سيف الدولة ، قوله :

« وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوْثٍ خَلَّاتُهَا ، وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوْثَةُ النَّشَبِ »

الآيات الثلاثة ، فقد ذكر أبو الطيّب أخلاق « خولة » ، ثم ذكر ما كانت عليه من علوّ النفس والهمة منذ نشأتها ، ثم ذكر ثَغَرها ابتسامتها ، وهذه كافية في الدلالة على معرفته « خولة » معرفةً صحيحة عن خبرة ولقاء . وأيضاً قوله :

/ « وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا إِلَّا بِكَيْتٍ وَلَا وَدٌّ بِلَا سَبَبٍ » ٢٣٦

وهذا دليلٌ على ما كانت تُسبِّغ عليه « خولة » من صنائعها وفواضلها مما يستجلب له البكاء حين يذكرها ، وما نظنُّ أن صنائع « خولة » عنده كانت مِعْشَار صنائع سيف الدولة ، ولكن حُبُّ أبي الطيّب هو الذي جعل صنائعها من قلبه بهذه المنزلة . ثم تدبر قوله : « وَلَا وَدٌّ بِلَا سَبَبٍ » ، وفي رواية أخرى « بِلَا وَدٍّ وَلَا سَبَبٍ » ، وكأن هذه الرواية الثانية يراد بها نفْي أمرٍ بعينه ، كان الوشاة يكترون القول فيه عند سيف الدولة مع علمه بالأمر الذي بينهما ، من أن صنائع « خولة » التي كانت تتّخذها عند أبي

الطيب لم تكن من أجل هذا الوُدِّ ، وإنما كانت من كرم نفسها وطيب عُصْرُها . ويكون المقصود بهذه الرواية غَيْرُ سيف الدولة ، ممن كان يَتَزَيَّدُ في القول ويتكذَّبُ عليه بما هو منه بَرَاءٌ ، ولينفَى التُّهَمَ بذلك عن هذه التي كان يحبُّها ويمنحها قلبه .

وإذا شئت الزيادة فاقرأ قوله :

فليت طالعة الشمسين غائبةً .....

وتدبر البيتين وما فيهما من العاطفة .... وأقرأ :

وهل سمعت سلاماً لي أَلَمَّ بها .....

ثم انظر إلى هذا الالتفات إلى الماضي الذي جعلناه من المذهب في الكشف عن أسرار أبي الطيب ، إذ ذكر ما كان منه حين رثى أخت سيف الدولة الصغرى - من ذكر « خولة » هذه ، وذلك إذ يقول ، [ ص : ٢٣٦ ] :

« قَاسَمْتُكَ الْمُنُونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا ..... »

٢٣٧ / فعاد يقول في هذه :

« قَدْ كَانَ قَاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا ، وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ »

« وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ ، إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ »

وتدبر الصلة بين هذا وذاك ، والحسرة المتميزة في قوله : « إِنَّا لَنَغْفُلُ .... » ، و « مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا » .

\*\*\*

وندع هذا الآن ، ونتنقل بك في مواضع من الديوان على غير ترتيب ، لِنَرَى أثر هذا الحبِّ في شعر أبي الطيب وفي حياته ، ومأصابه وهو في ظلِّ سيف الدولة من جرَّاء هذا الحبِّ . وكان حقَّ هذا الموضع من هذا الباب أن نَتَّبَعَ لك حياة أبي الطيب سنةً سنةً ،

ونكشف لك عن تدرُّج هذا الحبِّ في شعره وقصائده حتى تنتهى إلى الغاية ولكن ....  
وقف المتنبي في مجلس سيف الدولة يُنشد قصيدته التى أولها :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمْ وَمَنْ بِجَسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ <sup>(١)</sup>

وقد زعموا أن سبب هذه القصيدة كان على ما قالوا .... : « جرى له خطاب مع قوم متشاعرين ، وظنَّ الحيف عليه والتحامل » ، إلى غير ذلك . وقد أتى المتنبي في هذه القصيدة بكل عجيبة من القول في الكبرياء والحب لسيف الدولة والوعيد له ، كقوله :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بَأْنِي خَيْرٌ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمٌ

.....

/ كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيَعْجِزُكُمْ ، وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

٢٣٨

وقوله في حُبِّ سيف الدولة :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ ، وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ

وقوله في إنذاره :

لَئِنْ تَرَكْنَا ضُمِيرًا عَنْ مَيَامِنِنَا لَيَحْذَرْنَ لِمَنْ وَدَّعْتَهُمْ نَدَمٌ <sup>(٢)</sup>  
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ ، فَالْزَاحِلُونَ هُمْ

قالوا : فلما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة ، وقف له رَجَالَةٌ في طريقه ليقتالوه ، فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم ، سلَّ سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يُقَدِّموا عليه . ونَمِيَ ذلك إلى أبى العشائر ، فأرسل عشرة من خاصَّته فوقفوا بباب سيف الدولة ، وجاء رسوله إلى أبى الطيب ، فسار إليهم حتى قَرِبَ منهم ، فضرب

(١) « الشيم » ، الماء البارد ، ويعنى قلب العافل الذى لا يجد ما يجده أبو الطيب من الحرارة في قلبه .

(٢) « ضمير » ، يقال هو جبل أو حصن قريب من دمشق ، يكون على يمين القاصد مصر خارجاً من دمشق . يشير إلى نيته أن يرحل إلى مصر .

أحدهم يده إلى عَنان فرسه ، فسَلَّ أبو الطيب سيفه ، فوثب الرجل أمامه ، وتقدَّمت فرسه الخيل ، وعبرت قنطرةً كانت بين يديه ، واجتَرَّهم إلى الصحراء ، فأصاب أحدهم نَحَرَ فرسه بسهم ، فانترع أبو الطيب السهم ورمى به ، واستقلت الفرس ، وتباعد بهم ليقطعهم عن مددٍ كان لهم ، ثم كرَّ عليهم ، بعد أن فَنَى الثَّشَاب .... فلما يَسُوا منه ، قال له أحدهم في آخر الليلة : نحن غِلْمَانُ أَى العشائر ! فقال قصيدته التى مضت :  
 « وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحَبُّهُ » ، <sup>(١)</sup> ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة / مستخفياً ، فأقام ٢٣٩  
 عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة ، وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل به ذلك أو أمر به .... وكان ذلك فى سنة ٣٤١ ، فلما رَضِيَ عنه سيف الدولة ، قال له قصيدة أولها :

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ      دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرُّكْبِ وَالْإِبِلِ  
 ظَلَّلْتُ بَيْنَ أَصِيْحَابِي أَكْفَكِفُهُ      وَظَلَّ يَسْفَحُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذَلِ  
 أَشْكُو النَّوَى ، وَلَهُمْ مِنْ عِبْرَتِي عَجَبٌ ،      كَذَاكَ كُنْتُ ، وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكِلِّ

ثم انتقل من هذا المعنى إلى معنى غيره فقال :

وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَقٌّ عَلَى أَمَلٍ      مِنْ اللِّقَاءِ ، كَمُشْتَقٍّ بِلَا أَمَلٍ

وكأنه بهذا الانتقال يهَوِّن على سيف الدولة الأمر ، ويذكر له أن هذا الحبَّ الذى بينه وبين « خولة » كائن على غير أمل ، وأنه لا يطمع فى أن يظفر بإدراك أمله من زواجها . ثم يدلُّ على ذلك بما كان من الحادثة التى كَادَ يُقْتَلُ فيها ، والتى تولى أمرها أبو العشائر ( وهو من قوم حَوَلَة ) ، ويذكر لسيف الدولة أن أهل « خولة » لن يدعوه أن يكون بينه وبينها صلة كما بَلَّغَه الوشاة ، فانتقل من معنى البيت إلى قوله :

(١) انظر ما سلف ص : ٣٠٩ ، وخبر هذه الحادثة هو من لفظ أَى الطيب ، كما رواها ابن جنى فى روايته ديوان أَى الطيب ، عن أَى الطيب ، ( الديوان : ٣٢٧ ، ٣٢٨ ) .

« مَتَى تُزَرُّ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ » <sup>(١)</sup>

وهذه صفة ما لقي أبو الطيب في ذلك اليوم الذي رويناه لك . فانظر إلى هذا الانتقال الذي يدلُّ دلالة واضحة على ما في ضمير الرجل ، وما كان من سبب تلك الحادثة التي كادت تُودي بحياته ، ثم انظر الترفق في قوله : « لَا يُتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ » ، وذلك لما بينه وبين ألى العشائر من / المودة والحب ، فهو يجعل أداة القتل ( تُحَفَّة ) ، وقد قال لألى العشائر في هذه الحادثة نفسها أبياتاً تدل على حبه له ، وتقرب إليك بيان هذا المعنى ، وقد مضى ذكرها ، <sup>(٢)</sup> ويقول له في آخرها :

« فَإِنْ كَانَ يَبْغِي قَتْلَهَا ، يَكُ قَاتِلًا بِكَفِّهِ ، فَالْقَتْلُ الشَّرِيفُ شَرِيفٌ »

وفي تلك السنة نفسها ، سنة ٣٤١ ، يقول أبو الطيب ما نقلناه في رأس هذا الباب :

« لِعَيْنَيْكَ ، مَا يَلْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقِيَ وَلِلْحُبِّ ، مَا لَمْ يَبْقَ مَنَّى وَمَا بَقِيَ »

فعلى ما نذهب إليه من شدة تأثير الحوادث في ألى الطيب ونفسه ، واستخراجه معانى شعره من تلك الحوادث ، وتهجيمه دائماً على ذكر الحوادث القريبة ، نجد في هذه القصائد ما يشير إلى هذه الواقعة وما لقي فيها من الكيد .

والظاهر أنَّ هذه الجفوة التي كانت في سنة ٣٤١ ، امتدت إلى أوائل سنة ٣٤٢ ، وكان من جرَّائها أن انقطع أبو الطيب مُدَّة عن مدح سيف الدولة فاستبطأه وتنكَّر له ، فركب سيف الدولة يوماً في رجاله ، وقدم عليه أبو الطيب راكباً مُهَرَّه ، فلما سلَّم عليه ازوَّره عنه وأعرض ، فقال أبو الطيب :

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ آزُورَارًا وَصَارَ طَوِيلَ السَّلَامِ آخِصَارًا

(١) « تحفة » ، أهدى إليه طرفة تعجب لمرسل إليه لغرابتها ، « التحفة » ، الطرفة الغربية المحببة .

(٢) انظر ما سيف ص : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

تَرَكْتَنِي الْيَوْمَ فِي حَجَلَةٍ ، أُمُوتَ مِرَاراً وَأَحْيَا مِرَاراً  
أَسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِياً ، وَأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِي سِرَاراً  
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ إِلَيْكَ ، أَرَادَ أَعْتِذَارِي أَعْتِذَاراً  
/ كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا تِ ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي آخْتِيَاراً

٢٤١

ثم يذكر له العلة في ذلك الانقطاع عن مدحه فيقول ، [ ثم انظر ص ٣٥٤ ] :

( وَلَكِنْ حَمَى الشَّعْرَ ، إِلَّا الْقَلْبَ حَلْ ، هُمْ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا )  
( وَمَا أَنَا أُسْقِمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَلَا أَنَا أُضْرِمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارَا )  
( فَلَا تُلْزِمَنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ ، إِلَيَّ أَسَاءَ وَإِيَّايَ ضَارَا )

وهذا الهم الذي يُسْقِمُ الجسمَ ويُضْرِمُ ناراً في القلب ، ولا يملك له الإنسان رداً ، لا يكون إلا هذا الحب العنيف الذي تنقطع دونه الآمال ، ولا يكون هذا الهم إلا ذلك ، فإن أبا الطيب كان ممتعاً بكل شيء في ظل سيف الدولة ، فقد كان صاحب إقطاع ومال كثير قد أسبغه عليه سيف الدولة . ثم انظر ما في قوله في البيت الأخير ، من الجزع المشوب بالعزة والترفع ، والرقّة أيضاً .

...

وحسبك هذا من شعره وهو في جوار سيف الدولة ، ثم أنظر إلى أثر هذا الحب في شعره بعد فراق سيف الدولة ، فإنه أدل وأبلغ في الكشف عن سرّ قلبه . ولا بأس في أن نسرّد لك ذلك على ما وقع في ترتيب ديوانه .

فمن آثار هذا الحب في شعر أبي الطيب ، ما وقع في القصيدة الأولى التي أنشدّها كافوراً في جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ ، حين قدم عليه بالفسطاط . وقد رأيت قبل أننا لم نتعرض لعاطفة أبي الطيب في شعره إلى أن اتصل بسيف الدولة ، فإذا أنت عُدت إلى شعره في ذلك العهد الأول ، لم تجد فيه إلا قسوةً وشدةً وعنفاً ليس لشعر ، وقلماً لأن

٢٤٢ الرجل أو تَرَقَّقَ إِلَّا متكلفاً للغزل . وكان قد فارق قبل سيف الدولة رجالاً أَحَبَّهُمْ وصحبهم وبَاذَلَهُمْ مكنون صدره من / الودِّ ، ولم يَظْهَر في شيء من شعره بعد فراقهم أثر لهذا الفراق إِلَّا قليلاً قليلاً . ولكنه حين فارق سيف الدولة ودخل مصر اختلف الأمر اختلافاً بيّناً ، وظهرت في شعره رِقَّةٌ لا عهد له بها ، ولا تكون العِلَّةُ في هذه الرِقَّةِ التي ظهرت فيه بعد أن جاوز الأربعين ، واستحكم واستمرَّ مَرِيْرُهُ ، واستوت طبيعته على طريقة من القوة والتشدد والاستمساك = لا تكون من أجل فراقه سيف الدولة وحَسْبُ ، فإن ذلك الفراق بين ( الرجلين ) لا يعمل في تغيير الطبيعة المتأصلة كل هذا العمل . وليس لشيء من العمل في تغيير الطباع وتبديلها مثل ما للحبِّ في القدرة على ذلك . وكان أبو الطيب حين فارق سيف الدولة ، يتلَفَّت قلبه إلى تلك التي خَلَفَهَا من ورائه ، وخَلَّفَ عندها قلبه وعواطفه ، فأثار ذلك في قلبه ذكرى وآلاماً ، جعلت الدنيا تضيق بها نفسه وتضجّر منها .

فكان أوَّل ما لَقِيَ كافوراً لَقِيَهُ بالبيت الذي عدّه الأدباء والنقاد من سوءِ أدب المتنبي ومن جَفائهِ وغلظتِهِ . وليس الأمر على ذلك ، فإن الرجل لم يكن جافياً ولا غليظاً ولا سيِّئَ الأدب ، ولا ضعيفَ البيان ، ولكنه كان كما حدَّثناكَ مُرَهَفَ الحسِّ ، تغلبه العاطفة على أمره فلا يملك لبيانه تصريفاً ، بل تُصَرِّف عاطفته هذا البيان كما شاءت ، والعاطفة لا تعرف أميراً ولا كبيراً ، ولا تفرِّق بين لقاء الملوك ولقاء الصعاليك ، فلذلك رَمَى في وجه كافور بهذا ، في شهر جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ ، [ انظر ماسيأتى ص : ٣٦٢ ] :

كَفَى بِكَ ذَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا      وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا  
تَمَنِّيْتُهَا لَمَّا تَمَنِّيْتُ أَنْ تَرَى      صَدِيقاً فَأَعْيَا ، أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِيَا

ثم يمضى أبو الطيب على طريقته حتى يرقَّ رِقَّةً ، لو أنت قلبت ديوانه لم تجد لها شبيهاً ولا مثيلاً ، وذلك قوله في خطاب قلبه ، ذلك القلب الذى حَطَمَ فيه فراق « خولة » وهذَّ بنيان رُجولته وقُوَّتَهُ :



٢٤٣ / حَبِّتِكَ قَلْبِي ، قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى ، (١)  
 ( وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يُشَكِّيكَ بَعْدَهُ ،  
 ) فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَتْ بِرَبِّهَا  
 إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ تَخْلَاصاً مِنَ الْأَذَى  
 وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تُدُلُّ عَلَى الْفَتَى ،  
 ( أَقَلَّ اشْتِيَاقاً أَيُّهَا الْقَلْبُ ، رُبَّمَا  
 ) خُلِقْتُ الْوَفَا ، لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبَا  
 وَقَدْ كَانَ غَدَاراً ، فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا  
 فَلَسْتُ فَوَادِي إِنْ رَأَيْتَكَ شَاكِيَا  
 إِذَا كُنْ إِثْرَ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا  
 فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا  
 أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أُمَّ تَسَاخِيَا  
 رَأَيْتَكَ تُصَفِّي الْوُدَّ مَنْ لَيْسَ صَافِيَا  
 لَفَارَقْتُ شَيْئِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا

أَيُّ رِقَّةٍ ، وَأَيُّ تَوَجُّعٍ ، وَأَيُّ جَمَالٍ !!

فاقرأ الآن الأبيات وتدبرها ، وأنظر في خطابه قلبه - على غير عادته - خطاباً رقيقاً متنهداً ذا زَفَرَاتٍ ، وانظر اضطراب أمره بين قلبه وفكره ، وبين عاطفته ورُجولته ، يقول لقلبه : « لَسْتُ فَوَادِي إِنْ رَأَيْتَكَ شَاكِيَا » ، ثم يعود فيقول : « خُلِقْتُ الْوَفَا ... » فليس في الأبيات حُبُّه لسيف الدولة وحسب ، بل فيه تَفَحُّاتٌ من لوعة الحبِّ الذي يستولى على القلب : حُبُّ المرأة التي يهجرها الرجل وهو يعلم يقيناً أنه لا يهجرها ، وإنما يهاجر قلبه الذي بين جنبيه ويعانده ويُراغمه .

هذا ، وقد ظهر نفسُ هذا الأثر في كثير من شعر المتنبي ، وهو في جوار كافور ، بعد فراقه سيف الدولة . ظهر في حكمته ظهوراً بيّناً ، وذلك كقوله ، وذلك في رمضان سنة ٣٤٦ :

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ  
 مَنِّي ، بِحِلْمِي الَّذِي أُعْطِيتُ وَتَجَرَّبِي  
 فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ ،  
 قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ

(١) يريد هذه الكناية ( سيف الدولة ) .

٢٤٤ / وهذا القول ليس من مذهب المتنبي في كلامه الأول إلى فراقه سيف الدولة .  
ومثّل ذلك قوله ، في ذى الحجة سنة ٣٤٦ :

أُوذُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوُدُّهُ      وَأَشْكُو إِلَيْهَا ( بَيْنَنَا ) وَهِيَ جُنْدُهُ  
( يُبَاعِدُنْ جَبًّا يَجْتَمِعُنْ وَوَصْلُهُ ،      فَكَيْفَ بِحَبِّ يَجْتَمِعُنْ وَصْدُهُ ؟! )  
( أُنْبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيْبًا تُدِيْمُهُ ،      فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيْبًا تُرُدُّهُ )

ثم تَلَفَّت المتنبي إلى ما كان من فراقه « خولة » ومُهاجَرَتِها مراغماً لقلبه ، متكلِّفاً  
الصبر والجلد ، فقال في عَقَب ذلك :

( وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتُ تَغْيِيراً      تَكْلُفُ شَيْءٍ فِي طِبَاعِكَ ضِدُّهُ )

وكان أبو الطيب يظنُّ أن في الفراق ما يُنسيه « خولة » ويمحو من قلبه آثارها . وقد  
فارق ، وعلم أن ذلك لن يكون ، وأنَّ ما كان من اندفاعه ومُراغَمَتِهِ عند أوَّل الفراق ، إنما  
كان أمراً يخالف طبيعة حَبِّهِ التي وصفها في شعره قَبْلُ وهو عند سيف الدولة بقوله :

إِلَّامٌ طَمَاعِيَّةُ الْعَاذِلِ      وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ  
( يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ ،      وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى الثَّاقِلِ )

هذا .... وإذا أنت أخذت في دراسة شعره في المدح والحكمة في هذه الفترة ،  
وجدت آثارَ هذا الحبِّ الذي انقطعت منه آمال اللقاء والنظر والابتسامة والتلطُّف ،  
وما رُمِيَ في قلب أبي الطيب من الكَمَد والحسرة والأسف والحنين ، فأصبح كلامه وبيانه  
من تلك العواطف اليائسة التي انطوى / عليها قلبه ، وأضطرب بها ضميره وفكره ، (١)  
وبذلك تميَّز شعره في هذا العهد ، من شعره فيما سبقه ، وتباين عنه تَبَايُنًا عَظِيْمًا .

(١) سيكون بيان ذلك تفصيلاً في بيت بيت وقصيدة قصيدة في موضعه من كتابنا عن أبي الطيب ،  
ونعتمد عن ذلك هنا ، لما نرى من تشعب الموضوع وسعته ، وما يقتضى من الوقت .

ويقول أبو الطيب يذكر فِرَاقَهُ سيفَ الدولة ومَقْدَمَهُ على كافور ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٤٧ :

فِرَاقٌ ... ، وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُدَمِّمٍ      وَأُمُّ ... ، وَمَنْ يَمْنَتْ خَيْرُ مُيَمِّمٍ  
وَمَا مَنَزِلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ      إِذَا لَمْ أُبْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ  
سَجِيَّةُ نَفْسِي لَا تَزَالُ مُلِيحَةً      مِنَ الضَّيِّمِ ، مَرْمِيًّا بِهَا كُلَّ مَخْرَمِ<sup>(١)</sup>  
( رَحَلْتُ .... فكم بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنِ      عَلَى !! وَكَمْ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَيِّعِمِ !! )<sup>(٢)</sup>  
( وَمَا رَبَّةُ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَائُهُ ،      بِأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ )  
( فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنِّعٍ      عَذَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمِّمِ )  
( رَمَى ، وَأَتَقَى رَمِي ، وَمِنْ دُونِ مَا أَتَقَى ،      هَوَى كَاسِرٌ كَفَى ، وَقَوَّسِي ، وَأَسْهُمِي )

فهو بالبيت الأول قد عَيَّن من أراد بهذه القصيدة . فالذى فارقه هو سيف الدولة ،  
والذى قصده ويُسَمِّه هو كافور ، وعلى ذلك اتفق الشراح جميعاً ، فلما أتى البيت الرابع  
قال : « رحلت » ، يعنى رَحَلته عن حلب ، ثم ذكر بعده ما كان من جرَّاء هذا الفراق ،  
وأبان عن الذى كان سبباً فيه ، وقابل فى ذلك بين اثنين : رجل وامرأة . فذكر بالكية  
تبكى على فراقه يعنى غزال ، وبالكيا يبكى يعنى أسد ، وجازعةً لفراقه زينتها قُرْطُها الذى  
فى أذنها ، وجازعاً زينته حسامه . وقد اتفق الشراح أيضاً = ولا شك فيما قصده / أبو  
الطيب = على أنه قصد سيف الدولة بقوله « ضَيِّعِمِ » ، وقوله : « رَبِّ الحُسَامِ المُصَمِّمِ » .  
والمقابلة بين سيف الدولة وهذه المرأة دليل على صلتها بسيف الدولة وبأبى الطيب ، ومعرفة  
سيف الدولة بهذه الصلة ، ولا نشك بعد ما رأيت أنه عنى بالكياة الجازعة لفراقه  
« خولة » أُنحت سيف الدولة ، ثم قال بعد : « فلو كان ما بى من حبيب مُقَنِّعِ عَذَرْتُ »

(١) « المخرم » ، من مخارم الجبال ، وهو الطريق المفضى إلى أفواه الفجاج .

(٢) الشادن : ولد الغزال ، يريد به المرأة الغريرة الحساء ، والضيعم : الأسد .

وصبرت على ما يصيبني منه لحبي إياه ، والأذى من المرأة المحبوبة ينزل من قلب المحب منزلة الرضا ، فهو لا يحمل على فراق ولا يَبِين ، ولكن الذى حملنى على الفراق كَوْنُ هذا الأذى إنما أصابنى « من حبيب مُعَمَّم » ، هو سيف الدولة . ثم صرح فى البيت الأخير مبيناً عن هواه فقال : إن سيف الدولة رماه بسهمه ( يريد الأذى الذى أصابه منه ) ، واتقى بدرعه أن يرميه أبو الطيب بسهم مثله ، وهذا الالتقاء من سيف الدولة عَمَلٌ لا محَلَّ له ، إذ كان يعلم يقيناً أن أبا الطيب لن يرميه جزاءً له كما رماه ، لما فى قلبه من حُبِّ « خولة » أخته وهواها الذى يحبس يده ، ويكسر كَفّه ، ويحطم قَوْسَه ، ويَدُقُّ سهامه .

هذا .... وقد رووا أن أبا الطيب اتّصل به وهو بمصر أن قوماً نَعَوْهُ فى مجلس سيف الدولة بحلب ، فقال قصيدة يذكر ذلك ولم ينشدها كافوراً ، وكان مما جاء فى أولها قوله : [ قالها فى أول سنة ٣٤٨ ، فيما أرجح ] .

بِمَ التعلُّلُ .... !؟ لا أَهْلٌ ولا وَطَنُ ، ولا نَدِيمُ ، ولا كَأْسُ ، ولا سَكَنُ  
أُرِيدُ مِنْ زَمَنِى ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِى  
لا تَلَقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ  
فَمَا يُدِيمُ سُورُ مَا سُرِرَتْ بِهِ ،  
( مِمَّا أَضَرَّ ) ( بأهل العشق ) أَنَّهُمْ  
( تَفَنَّى عُيُونُهُمْ دَمْعاً ، وَأَنفُسُهُمْ  
تَحَمَّلُوا .... حَمَلَتْكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ ،  
( مَا فِى هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُهَجَّتِى عَوْضٌ  
يَا مَنْ تُعِيْتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ ،  
كَمْ قَدْ قُتِلْتُ ، وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمْ !!

ولا نَدِيمُ ، ولا كَأْسُ ، ولا سَكَنُ  
ما لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ !!  
مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ  
ولا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ  
هَوُوا وما عَرَفُوا الدُّنْيَا ، وَلَا فَطَنُوا )  
فى إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنُ )  
فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنُ  
إِنْ مِتُّ شَوْقاً ، ولا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ )  
كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ  
ثُمَّ آتَفَضْتُ فَرَالَ الْقَبْرِ وَالْكَفْنُ

٢٤٧

وفى هذه الأبيات عندنا قول كثير نوجزه ونمُدُّ منه أطرافاً نتفادى بها الإطالة .... ،  
ففى الأبيات الأولى تأخذ عينك أثر الأحران التى كانت فى قلب الرجل متمثلة مصورةً فى  
شعره . وتدبّر عبارته عن آلامه بقول : « بِمَ التعلُّلُ » .... !! وتأمل هذا السكون الذى

يَعْقُبُ استفهامه وتعجبه ، فهو بيانٌ في غير لفظ ، ثم يعود إلى القول فيقول : « لا أهل ، ولا وطن ، ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن » ، فقد كان بمصر وليس بها أحد يسكن إليه إلا ولده « محسّد » ، وهو مهاجرٌ لا وطن له ، وهو بمصر غريبٌ لا صديق له ولا نديم ، وقد سَمِتَ نفسه كل شيءٍ حتى الكأس من الخمر لا تسليّه ولا تحركه . ثم تَمَمَ ذلك بلوعة قلبه ، إذ فقد سَكَنَهُ وحيبيه الذى يسكن إليه ويأوى . ثم مضى ينتقل في المعنى حتى انتقل من تجلّده تارةً ، ومن أحزانه أخرى ، إلى الداء الذى يَسْلُ قلبه وَيُسْقِمُهُ ، فقال منتقلاً على عاداته التى بيّناها قبل ، [ ما سلف ص : ٣٤٠ تعليق : ٢ ] .

مِمَّا أَضَرَّ ( بِأَهْلِ الْعِشْقِ ) أَنَّهُمْ هَوُوا ، وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا ، وَلَا فَطَنُوا

وهو بيان عن نفسه وما يحزُّ فيها من آلام « خولة » ، وما لقيه بعدها من الاضطراب بين رجولته التى تأبى أن تخضع أو تضعف ، وبين عواطفه التى / تأبى إلا أن تخضع لخولة ، وتتعبد بذكرها وهواها وآلام حبا . وكان من جرّاء هذا الاضطراب أن أنكر ( الرجل ) قلبه ، وقسا عليه وتعنف به ، وذمَّ له هذه التى قد تولّه بها ، وهى التى أَضَرَّتْ به وَأَشَقَّتْه وعدّته ، سفهاً وجهلاً منه ، إذ أراد ما لا يكون ، وما لا تأتى به الأقدار ، ولا ترضى به التقاليد الاجتماعية في هذه الدنيا ، كما ذكر في البيت الماضى ، فقال في عقب ذلك معانداً ومرامعاً لما في قلبه :

« تَفَنَّى عُيُونُهُمْ دَمْعاً ، وَأَنفُسُهُمْ فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهُهُ حَسَنٌ »

يرحمك الله يا أبا الطيب .... ثم انطلق يعاند قلبه ، ويذمُّ له « خولة » ، ولا ذنب لها إلا ما تكلّفه هو بالفراق وإبرادة نسيانها ، « وتَأبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقل » أن يكون ذلك . ثم انظر خطابه بعدُ لسيف الدولة بقوله :

يَا مَنْ نُعِيْتُ ، عَلَى بُعْدٍ ، بِمَجْلِسِهِ ، كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

فوربك إني لإخال أبا الطيب قد قال هذا البيت وهو يبكى ، فإن في الشطر الأخير عبراتٍ من دمه لا تزال تجول فيه وتترقّق . فكلُّ ذلك آثارٌ بينةٌ على انتقال طبيعة

أبى الطيب من تكبرها وعتوها وتزمتها ، إلى حالة نفسية طارئة قد نفذت فيه آلامها وأهوالها ، فهو يعانى منها ما يعانى ، ويضطرب لها ويهتز ويتلذع ، حتى كان شعره بعد فراق سيف الدولة كثير الشكوى ، مخالطاً بالحزن والحسرة والألم ، وقد تنبه إلى ذلك أبو الطيب نفسه ، فقال فى قصيدة من مدائحه لكافور ، فى شوال سنة ٣٤٧ :

( لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخَا لَرَآكِ ! فَكُلُّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ  
/ ( أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ ؟ )  
وَيْبَى مَا يَذُودُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ ، وَلَكِنْ قَلْبِي ، ( يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ ) ، قُلْبُ

٢٤٩

وهذا الذى به مما يذود عنه الشعر ويمنعه من أن يقوله ، هو الذى ذكره أولاً فيما

تقدم ، [ ص : ٣٤٧ ] :

وَلَكِنْ حَمَى الشَّعْرَ ، إِلَّا الْقَلِيلَ ، هَمُّ حَمَى النَّوْمِ إِلَّا غِرَارًا  
وَمَا أَنَا أُسْقِمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

وهو حب « حولة » الذى ملأ قلب الرجل وأخذته وتفرّد به دون فكره وإرادته .

.... فلما ماتت « حولة » رحمه الله فى سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر ، تغيّرت

طبيعة أبى الطيب واسودّت الدنيا فى عينه ، وامتلاً قلبه حُزناً ، وتقطّعت نفسه عليها حشرات ، فكان شِعْرُهُ بعدُ من هذه المادّة ، وأوّل ذلك ما كان من شعره فى القصيدة التى رثّاها بها ، إذ يقول لسيف الدولة :

فَلَا تَنَلِّكَ اللَّيَالَى !! إِنَّ أُيْدِيَهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرَبِ (١)  
وَلَا يُعَيِّنُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ ، فَإِنَّهُمْ يَصِيدُنَ الصَّقْرَ بِالْخَرَبِ (٢)  
( وَإِنْ سَرَرَنَ بِمَحْبُوبٍ فَجَعَنَ بِهِ ، وَقَدْ أَتَيْنَكَ فِي الْحَالَيْنِ بِالْعَجَبِ )

(١) « النع » ، شجر صلب تصنع منه القسي . و « الغرب » ، شجر ضعيف العيدان .

(٢) و « الخرب » ، طائر لا يصيد ، وهو ذكر الحبارى .

( وَرُبَّمَا أَحْتَسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا ، وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرِ غَيْرِ مُحْتَسَبٍ )  
 وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَّائَتَهُ وَلَا أَتَتْهُى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ (١)  
 / تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ (٢)  
 فَقِيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً ، وَقِيلَ : تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ  
 وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

وأعد قراءة الآيات الثلاثة الأخيرة ، وتدبر نفس أى الطيب فيها ، فهو يكاد ينقطع ويسقط من العجز والتعب والفكر فى الذى أصابه بموت حبيبته « خولة » . فإذا أردت أن تعرف تمام حالة أى الطيب هذه ، وامتداد فكره فيها ، فاقرا قصيدته التى قالها حين توفيت عمّة عضد الدولة بن بويه فى سنة ٣٥٤ ، فبيل موت أى الطيب بقليل ، والتى يقول فيها :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى ، فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ !!

.....  
 لَوْ فَكَّرَ ( الْعَاشِقُ ) فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِى يَسْبِيهِ ، لَمْ يَسْبِهِ .....

وبقى كثير من الإشارات إلى هذا الذى فى قلبه ، طويناه حتى يأتى أجله ، والله المستعان .

\*\*\*

(١) « اللّانة » ، الحاحة .

(٢) « الشجب » ، الهلاك ، يريد الموت .





يَا رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ  
لَمْ يَكُنْ ، غَيْرَ أَنَّ أَرْكَ ، رَجَائِي  
وَلَقَدْ أَفْنَتِ الْمَفَاوِزُ خَيْلِي ،  
قَبْلَ أَنْ نَلْتَقِيَ ، وَزَادِي ، وَمَائِي  
فَأَرْمِ بِي حَيْثُ شِئْتَ مِنِّي ، فَإِنِّي  
أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرُّوَاءِ  
وَقُوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ كَا  
نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ

/ قد ذكر الرواة في موضع القول من فراق أبي الطيب حضرة سيف الدولة أسباباً ٢٥١  
مُوجِبَةً لهذا الفراق ، كالذي يروون من أنه كان بحضرة سيف الدولة ، وفي المجلس أبو  
الطيب اللغوي ، وابن خالويه النحوي ، وجرت مسألة في اللغة بين أبي الطيب اللغوي  
وابن خالويه ، فتكلم أبو الطيب المتنبي ، وَضَعَفَ قول ابن خالويه ، فأخرج ابن خالويه  
( من كُتْمِهِ مفتاحاً من حديد ) يشير به إلى المتنبي ، فقال له المتنبي : وَيُحْك ! اسكت ،  
فإنك أعجميٌّ ، وَأَصْلُكَ حُوزِيٌّ ، فمالك والعربية ! فضرب ابن خالويه وَجْهَ المتنبي  
بذلك المفتاح ، فأسال دمه على وجهه وثيابه . فغضب المتنبي من ذلك ، ولا سيما إذ لم  
ينتصر له سيف الدولة ، قولاً ولا فعلاً ، فكان ذلك أحد أسباب مفارقتها لسيف الدولة .

= وكالذي يروون من كَيْدِ أبي فراس له عند سيف الدولة بمثل قوله له : « إِنَّ / هذا ٢٥٢  
المتشدد ( يعنى المتنبي ) كثيرُ الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار  
عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من  
شعره !! فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه » ، فأعرض عن أبي الطيب لذلك .

فهذه الروايات وغيرها ، كما حدثناك قبل ، <sup>(١)</sup> هي من الأحاديث التي تتناقلها مجالس الأدباء ، ولا يراد بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، ولكننا نستفيد منها على علائها ، ونأخذ منها ونَدْعُ ، ولا نطيل القول هنا بنقدها وتجريحها ، فلذلك أجله وموضعه إن شاء الله .

والرأى عندنا أن فراق أوى الطيب لسيف الدولة مشكلة معقدة يطول تفسيرها وتبينها على وجه معقول لا يتناقض ولا يختلف . ومختصره أن هذا الفراق كان لأسباب قد اقتضاها حُبُّ أوى الطيب « خولة » أخت سيف الدولة ، وبقي أبو الطيب في جوار صاحبه وحبيبته يتلذع بالأم قلبه وفكره تسعة أعوام مُجرمة ، وهو على عِدَّة من سيف الدولة أن يحقق آمال فكره السياسية ، وأمانى قلبه وعواطفه بزواج « خولة » ، ثم أدركه اليأس ، وظن أن في الفراق راحة له ونسياناً ، وهو ما أشار إليه في قوله ، على ما فسرناه به : <sup>(٢)</sup>

« وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِراً تَكْلُفُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ ضِيْئُهُ »

وقد حمّله على ذلك ما كان يلقيه من الكيد والسعاية من قبل ( قَوْم ) / « خولة » كأبى فراس وأبى العشائر وغيرها ، وما فعلوه من تحريض الأدباء عليه ، كابن خالويه ، وإغراء الشعراء بغيظه ومنافسته والنيل منه حتى ضاق بهم ، فاستعدى عليهم سيف الدولة بمثل قوله له في عيد الأضحى سنة ٣٤٢ :

أَزَلَّ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكِبَتِهِمْ ، فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسْداً  
( إِذَا شَدَّ زَيْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ )  
( وَمَا أَنَا إِلَّا سَمَهْرِي حَمَلْتُهُ ، فَزَيْنَ مَعْرُوضاً ، وَرَاعَ مُسَدِّداً )

(١) ص : ٣٠٧ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٣٥٠ .

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي ، إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا  
 فَسَارَ بِهِ ، مَنْ لَا يَسِيرُ ، مُشْمَرًا ، وَعَنَى بِهِ ، مَنْ لَا يُعْنَى ، مُعَرَّدًا  
 ( أَجْزَنِي إِذَا أُتْشِدْتُ شِعْرًا ، فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدًا )  
 ( وَدَغَ كُلُّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي ، فَإِنَّنِي أَنَا الطَّائِرُ الْمَحْكِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى )

وقوله أيضاً في ذلك ، في صفر سنة ٣٤٣ :

أَفَى كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَيْبِي شَوْعِرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي ، قَصِيرٌ يُطَاوِلُ (١)  
 لِسَانِي بِنُطْقِي صَامَتْ عَنْهُ عَادِلٌ ، وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاكِكٌ مِنْهُ هَازِلٌ  
 وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تَحْيِيهِ ، وَأَغِيظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ  
 وَمَا النَّيَّةُ طَبِي فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى الْجَاهِلِ الْمُتَعَاقِلِ (٢)  
 وَأَكْبَرُ تَبْهِي أَنَّنِي بَكَ وَائْتَقِ ، وَأَكْثَرُ مَالِي أَنَّنِي لَكَ آمِلٌ  
 لَعَلَّ لِسِيفَ الدَّوْلَةِ الْقَرْمِ هَبَّةٌ يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلٌ (٣)  
 رَمَيْتُ عِذَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ وَهُنَّ الْعَوَازِي السَّلَامَاتُ الْقَوَاتِلُ

فهذه أبيات صارخة الدلالة على ما كان يلقاه أبو الطيب في ذرى سيف الدولة من الشعراء في بلاطه . ثم انظره ، فقد بين في هذه الأبيات أيضاً عن وشايات وسعايات كان يكاد بها لدى سيف الدولة من قَبْلُ : من الطعن في نسبه ، والتشهير به في خلقه وضميره ، وذلك حيث يقول في جمادى الآخرة سنة ٣٤٢ :

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ ، إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ  
 ( وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيَمَا يَرِينِي أُصُولُ ، وَلَا لِلْقَائِلِيهِ أُصُولُ )  
 أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى ، وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجُولُ

(١) « الضين » ، ما بين الإبط والكشح في الإنسان .

(٢) « طَبِي » ، أى شَأْنٌ وَعَادَقَ .

(٣) « هَبَّةُ السيف » ، هِزْئُهُ وَمُضَاوَاهُ فِي الضَّرِيَّةِ .

/ سِوَى وَجَعِ الْحُسَادِ دَاوٍ ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ  
وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنِيلُ  
وَأَنَا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسٍ كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ  
يَهُونَ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ (

وقد كان يَتَوَلَّى أَمْرَ هذا الكيد كُلُّهُ أَبُو فِرَاسِ الحمداني ، وعندنا أن المنافسة في الشعر لم تكن هي السبب ، وإنما كانت « خولة » السبب الأكبر الذي جلب عليه كيد أبي فراس ، ثم أبي العشائر ، مع أنه هو الذي قَدَّمَهُ إلى سيف الدولة وقرَّبه إليه على ما يقولون . وقد بلغ من ذلك أن أُغْرِيَ أَبُو العشائر غلمانَه بقتله ، وقد رأيت قَبْلُ أن أبا الطيب على ذلك لم ينقص حُبَّهُ لأبي العشائر ولا ضَعْفُ ، [ انظر ما سلف : ٣٤٤ ، ٣٠٨ : ٣٤٦ ] . وهذا لأنَّ الأمر لم يكن منافسةً في شعرٍ أو غيره ، وإنما كان غيرةً من أبي العشائر على بعض حُرْمِهِ . وأبو الطيب ، كما حدَّثناك في مواضع ، كان يضع ( الرجولة ) وتوابعها في المنزلة الأولى ، ويحبُّ من عدوِّه أن يستمسك بعُرْوَتِهَا ، فلذلك لم يَحْقِدْ على أبي العشائر حين أخذته الغيرة على حُرْمِهِ ، بل ازداد تعطفاً عليه وتلطفاً له ، على تكبره وتعاليه وعُتُوِّه ، حتى قال له ، [ انظر ص : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ] :

( وَنَفْسِي لَهُ ، نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَفْسِهِ ، وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنِيفُ )  
فَإِنْ كَانَ يَبْغِي قَتْلَهَا ، يَكُ قَاتِلًا بِكَفِّيهِ ، فَالْقَتْلُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ

وبهذا يصبح لفراق أبي الطيب لسيف الدولة معنى يُعْقِل ويعتمد عليه ويُعْتَدُّ به ، ثم تَتَسَقُّ حالته النفسية الظاهرة في شعره ، وتتساق معاني ديوانه متدرجة على أساس من نفسه وآلامها وآمالها وأشواقها ، وما أصابها من الكيد والعدوان ، وما مُنِيَتْ به من حُرْقَةٍ الحبِّ ، ولوعة الحرمان .

/ خرج أبو الطيب من حَلَب حيث كان سيف الدولة ، قاصداً دمشق ، وقد ٢٥٥  
 آحتال لذلك حتى تمَّ له الفراق قبل أن تدركه مكاييد ألى فراس وأصحابه ، وذلك في  
 أواسط سنة ٣٤٦ ، وكان يَحْمِل بين جنبيه قلباً مَمْرَقاً قد اعتورته السَّهام ، أو كما قال ،  
 وهو يعزى سيف الدولة حين ماتت والدته ، وذلك في سنة ٣٣٧ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى      فَوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ  
 فَصِيرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ      تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ  
 وَهَانَ .... فَمَا أُبَالِي بِالرَّزَايَا ،      لِأُنِّي مَا أَتَنَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِي

فَهُوَ قد أُصِيبَ فِي آمَالِهِ السِّيَاسِيَّةِ ، وَأُصِيبَ فِي هَوَى قَلْبِهِ ، وَأُصِيبَ فِي حُبِّهِ  
 سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَمَا كَانَ يَضْمُرُ لَهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْقِيرِ وَالْوَدِّ ، فَانطوى عَلَى مَا بِهِ ، مُحْزُوناً  
 ضَجِيراً مُلَوَّلاً ، يَتَبَرَّمُ بِالدُّنْيَا وَيَضْيِيقُ بِهَا وَيَأْهَلُهَا ذَرْعاً . فلما وافي دمشق ودخلها ، كان بها  
 رجل يهودي من قَبْلِ كَافُور ، كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ يَسْتَثْقِلُ ظِلَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَكَانَ قد لَقِيَهُ قَبْلُ  
 فِي سَنَةِ ٣٢٧ ، حِينَ نَزَلَ عَلَى صَاحِبِهِ أَبِي عَلِيٍّ ( هَرُونَ بن عبد العزيز الأوراجي ) الْكَاتِبِ ،  
 فَسَوَّلَتْ نَفْسُ هَذَا الْيَهُودِيِّ لِإِرَادَتِهِ وَرَغْبَتِهِ أَنْ يَحْمِلَ أَبَا الطَّيِّبِ عَلَى أَنْ يَمْدَحَهُ بَعْدَ أَنْ  
 مَدَحَ أَمِيرَ الْأُمَرَاءِ سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَتَقَدَّرَ أَبُو الطَّيِّبِ هَذَا الْيَهُودِيَّ وَغَثِّثَ بِهِ نَفْسَهُ ، فَسَكَّنَهَا  
 بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَازْدِرَائِهِ وَالتَّهَانِ بِهِ ، فَغَضِبَ الْيَهُودِي ( أَبْنُ مَلِك ) غَضَبَةً يَهُودِيَّةً ، حَتَّى  
 إِذَا مَا كَانَ مِنْ كَافُورٍ مَا كَانَ ، مِنْ مَكَاتِبَتِهِ فِي طَلَبِ أَبِي الطَّيِّبِ أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ ، فَعَلَهَا  
 أَبْنُ مَلِك ، وَكَتَبَ إِلَى كَافُورٍ أَنْ أَبَا الطَّيِّبِ قَالَ : « لَا أَقْصِدُ الْعَبْدَ ، وَإِنْ دَخَلْتُ مِصْرَ  
 فَمَا قَصْدِي إِلَّا أَبْنُ سَيِّدِهِ » . (١) ثُمَّ ضَاقَتْ دِمَشْقُ بِأَبِي الطَّيِّبِ ، فَخَرَجَ مِنْهَا يَرِيدُ  
 صَاحِبَهُ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن طُغْجٍ بِالرَّمْلَةِ الَّذِي مَدَحَهُ فِي سَنَةِ ٣٣٦  
 ٢٥٦ كَمَا قَدَمْنَا ، [ ص : ٢٩٠ ، وَمَا مَدَحَاهُ ] فَاسْتَقْبَلَهُ / وَأَنْزَلَهُ مُنْزَلاً كَرِيماً ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ الْهَدَايَا النَّفِيسَةَ ،  
 وَخَلَعَ عَلَيْهِ الْخِلْعَ الْفَاخِرَةَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ بِمَوْكِيفٍ ثَقِيلٍ ، وَقَلَّدَهُ سَيْفاً مُحَلَّيً ، جِزَاءً لِمَا كَانَ

(١) خبر ابن ملك اليهودي في رواية ابن جني لديوان المتنبي : ٤٣٥ ( طبعة عزام ) .

مدحه به أولاً ووفاء بالصُّحبة . فكان كافور يقول إذ ذاك لأصحابه : « أَثْرُوْتُهُ يبلغ الرملة ولا يأتينا !! » . وبلغ ذلك أبا الطيب ، وأنَّ كافوراً يَجِدُ عليه في نفسه : أن يَقْصِدَ عُمَّالَهُ ( كَأَبْنِ طُغْج ) ولا يقصده ، وأتت آبنَ طُغْج كُتِبَ كافور في طلب أبنِ الطيب ، وكان آبن طغج ، فيما نرى ، رجلاً بصيراً داهية مترقفاً حُلُوَ اللسان مُطَاعَ الرُّغْبَةِ ، فأخذ يراود أبا الطيب ، وأبو الطيب يتعسَّرُ عليه ويضيق بطلبه ، لما تحمل نفسه من الضُّجْر والتبرم . وبعد لأيٍ ما ظفر به الأمير آبن طُغْج وحمله على المسير إلى كافور . فلما قدم عليه ، أمر له بمنزل ، ووكل به جَمَاعَةً ، وأظهر التُّهْمَةَ له ، وطالبه بمدحه فلم يمدحه ، فخلع عليه الخلع حتَّى أخرجته بكرمه ، فلم يجد أبو الطيب الذى يقول :

« وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيْدًا »

.... لم يجد بُدًّا من أن يحمل نفسه على مدح هذا الأسود الخنصى ، علَّه يصيب عنده ما فاتته عند غيره من الفحول البيض . وعزَّى نفسه بذلك ، ولكنها أبت عليه أن تكون خالصة لكافور ، فرمت في وجه كافور بأبياتها لا أبيات أبنِ الطيب ، [ وحمذى الأول سنة ٣٤٦ ] ، [ اطرماسف : ٣٤٨ ] :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا      وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا  
تَمَنِّيْتَهَا لَمَّا تَمَنِّيْتَ أَنْ تَرَى      صَدِيقًا فَأَعْيَا ، أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا

واستقبال كافور بهذين البيتين هجاء دونه كل هجاء فيه إقذاعٌ وفُحْشٌ وسخرية وتهكُّم . وبقي أبو الطيب بعد ذلك بمصر يحتال لأمره ، ولا يزال / يَنْفُثُ في كل شعير ذات صدره من الآلام والآمال ، وألقى على شعره ظلاً من الحزن والفجيعية والحسرة واليأس ، ولكنه كان مع ذلك يجتهد في أن يظفر من كافور بولاية من الولايات يقوم عليها ، ليجرَّب نفسه بعد أن أخفق في عقد آماله على غيره . وكان أبو الطيب حين خرج من حلب ، خرج ومعه الخالديان ( أبو عثمان سعيد بن هاشم وأخوه محمد ) ، وكان يُريدانه على أن يصحبهما إلى العراق ، فيمدح الوزير أبا محمد المهلبى ، فأبى عليهما وخالفهما ، فذلك حيث يقول أبو الطيب ، يذكر ما كان من أمره وأمرهما ، ويعرِّض بحاجة نفسه لكافور ، [ فى شعان سنة : ٣٤٩ ] :

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ ، وَفِيكَ فَطَانَةٌ ،  
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ،  
( وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَذِلَّ عَوَازِلِي )  
( وَأُعْلِمُ قَوْمًا خَالِفُونِي ، فَشَرَّفُوا )  
سُكُونِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ  
ضَعِيفٌ هَوَى يُنْعَى عَلَيْهِ ثَوَابُ  
عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابُ ( ١ )  
وَعَرَّيْتُ ، أَنِّي قَدْ ظَفَرْتُ وَخَابُوا ( ١ )

.....  
.....  
( إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ فَالْمَالُ هِينٌ )  
( وَمَا كُنْتُ - لَوْلَا أَنْتَ - إِلَّا مُهَاجِرًا )  
وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ ( )  
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بَلَدَةٌ وَصِحَابُ ( )

ولم يكن أبو الطيب يؤمل من كافور ماله أو عطاياه أو هداياه ، فقد كان غنيا بما أعطاه سيف الدولة ، أو ما آذخه من عطائه وإقطاعه الذي كان له بالشام ، (٢) بل كان يريد أن يلقى بعض بلاد الصعيد ، أو صيدا كما ذكروا ، / وذلك ليحقق ما استطاع آماله ٢٥٨ السياسية التي تتراعى إلى غاياتها التي قدمناها قبل . وقد زعموا أن كافورا قال له حين ذكر حاجته : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين ، سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فمن يطيقك » ؟ وهذا من كلام الرواة وحسب .... والذي نراه رأيا أن كافورا كان يعلم يقينا أن أبا الطيب لا يضمير له حبا ولا كرامة ، بل كان يزدريه في نفسه ، وحسبه ما لطمه به في أول لقاء كما مر بك ، وحسبه ما كان يذكر في مدحه له من الحنين إلى سيف الدولة وندمه على فراقه كقوله ، ( سنة ٣٤٩ ) :

أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً ، وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبِعَادِ يُشَابُ

(١) يعنى بالتشريق ذهاب صاحبيه إلى العراق قاصدين المهلبى ، والتغريب مقدمه هو على مصر لمدح كافورا .

(٢) يذكرون أن سيف الدولة تقدم إلى ( ديوان البر ) بإخراج الحال فيما وصل به أبو الطيب المتنبى فخرجت بخمسة وثلاثين ألف دينار في مدة ( أربع سنين ) .

وَأَيُّنْ تَعْرِضُ وَأَبْلَغْ إِفْصَاحاً عَنْ حَقَارَةِ هَذَا الْأَسْوَدِ فِي نَفْسِ أَيْ الطَّيِّبِ ، مَا يَقُولُهُ  
له في أول مديحه ، [ في شوال سنة ٣٤٧ ] :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ ، وَالشُّوقُ أَغْلَبُ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ  
والضمير في قوله ( فيك ) يرجع إلى سيف الدولة ، ويُريد بالهجر مفارقتها سيف  
الدولة ، وبالوصل مَقْدَمَهُ على كافر ، ثم يزيد فيقول بعد :

أَمَّا ( تَغْلُطُ ) الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى ( بَغِيضاً ) تُنَائِي ، أَوْ ( حَبِيباً ) تُقَرِّبُ  
وَاللَّهِ سَيَّرِي ، مَا أَقَلَّ تَقِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْفَى الْحَدَالَى وَغُرْبُ (١)  
عَشِيَّةَ أَحْفَى النَّاسِ بِي ( مَنْ جَفَوْنَهُ ) وَأَهْدَى ( الطَّرِيقَيْنِ ) الَّتِي أَتَجَبُّ

/ فَانْظُرْ إِلَى نَفْسِ أَيْ الطَّيِّبِ فِي شَعْرِهِ ، وَدَقَّةَ بَيَانِهِ بِقَوْلِهِ : ( أَمَّا تَغْلُطُ الْأَيَّامُ ) ،  
وهذا التصريح الذي وضعناه بين الأقواس يريد به سيف الدولة وكافوراً ، أفتظن أن هذا  
كان مما يخفى على ( الأستاذ ) كافر ، وكان من علماء عصره وأدبائهم ؟ وهل كان يخفى  
على كافر ما سخر أبو الطيب به في شعره من ذكر سَوَادِهِ والتعريض به ، وجعله من  
مادة مدحه له ، والإتيان في ذلك بكل غريبة ونادرة ، مما يدل على تمكن الأصول البيانية  
في لسان أبي الطيب وقلبه ؟ انظر إلى قوله وهو يهتئ كافرأ ببناء الدار التي أقامها بإزاء  
الجامع الأعلى على البركة ، [ في رجب سنة ٣٤٦ ] :

نَزَلْتُ ، إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ ، فِي أَحْسَ - مِنْ مِنْهَا ، مِنْ السَّنَى وَالسَّنَاءِ  
وهذا لا بأس به ، ولكن تدبر التهكم العجيب في هذه الأبيات ، وذكر  
المستحيلات التي لا تقع ولا تكون ولا تتوهم ، إِذْ جَعَلَهُ ( شَمْساً مُنِيرَةً ) ولكنها  
سوداء .... !!

تَفْضُحُ الشَّمْسُ - كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ - سُ - بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ ( سَوْدَاءِ )  
إِنَّ فِي ثَوْبِكَ - الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ - لَضِيَاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءٍ

(١) « الشية » التأني والتوقف ، « الحدال » موضع بالشام . « غرب » ، جبل هناك .



وهذا الضياء هو سواده !!

إِنَّمَا (الْجِلْدُ) مَلْبَسٌ ، وَأَيُّضًا ضُ الـ نَفْسِ خَيْرٌ مِنْ آيُّضَا ضِ الْقَبَاءِ (١)  
كِرْمٌ فِي شَجَاعَةٍ ، وَذَكَاءٌ فِي بَهَاءٍ ، وَقُدْرَةٌ فِي وَفَاءٍ  
مَنْ لِيَبْضِ الْمُلُوكُ أَنْ تُبْدَلَ اللَّوْ نَ ( بَلَوْنِ الْأُسْتَاذِ ، وَالسَّحْنَاءِ )

/ ثم يجعله بعد ذلك ( رَجَاءَ الْعُيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ ) ، [ انظر مئة ص : ٣٥٧ ] وذلك لأنه  
عجيبة عن عجائب الدهر . وتدبر كُلَّ شعر الرجل في مدح كافور تجد أمثال ذلك بيناً  
دالاً على نفسه ، وتنبه لألفاظ الرجل فإنها هي التي كان يطوى تحتها معاني تهكمه  
بكافور كقوله : « يا رجاء العيون » ، وتنبه إلى قلبه المعاني ، وَلَفَّتْهَا عَنْ وَجُوهِهَا ، كقوله  
مثلاً ، [ انظر ما سلف : ٣٤٨ ] .

وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْمُلْكَ بِالْمُنَى ، وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشْبَنَ النَّوَصِيَا  
( عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا ، وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا )

وهذا البيت الأخير تعريض بسقوط همة كافور ، وليس بمدح . وكان حق المعنى أن  
يكون :

( عِدَاكَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا )

وذلك أن الأعداء يستعظمون ما كان من تملكه البلاد ، وَيَعُدُّونَهُ أَمْرًا عَظِيمًا  
كالرقى إلى السماء = وذلك لحسد هم وعداوتهم التي تربو في صدورهم ، فترمى في الواقع  
بالوهم فيتعاضم في العيون = ولكن كافوراً لُبْعَدَ هِمَّتِهِ ، لا يراها أمراً عظيماً ، بل هي  
مساج في الأرض لا جهد فيها إلا كجهد المشي .... فهذا هو المعنى الذي قلبه أبو  
الطيب ببيانته القوي ، ليعرضه مدحاً ، وهو ذمٌ بليغ وهجاء نافذ .

(١) تدبر قوله ( الجلد ) فهو هناك من أقبح الهجاء باللفظ قبل المعنى ، وكذلك قوله « لون الأستاذ  
والسحناء » .

فكان كافور يُجيد فَهَمَ ذلك وينفذ إلى أسراره ، وَيُبَصِّرُ به إن لم يكن قد أدركه ، فقد كان أبو الطيب وهو بمصر مُلقًى بالرزايا ، مقصوداً بالعداوة من أقوام بعينهم كانوا يمهّدون للدعوة الفاطمية ، وكانوا على صلة بكافور وثيقة ، يدون له المحبة والإخلاص ، وهم يعملون على إهلاكه . وكان كافور / يتقَى ذلك بدهائه وحيلته وخبرته السياسية ، فكان يهادى المعزّ لدين الله الفاطمى صاحب المغرب ويظهرُ ميله إليه ، وهو مع ذلك يُذعن بالطاعة لبني العباس ، ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء . وأيضاً ما كان من عداوة الوزير أئى الفضل ابن حنّزابة ( جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن ابن الفرات ) ، وكان عالماً فاضلاً له درسٌ يليقيه وهو فى وزارته ، وكان المتنبى لم يمدحه ولا عَبّاً به ، فلذلك عاداه ، وكاد له كيداً بالغاً ، حتى إن المتنبى ذكره بعد خروجه من مصر فقال ، [ و ربيع الأوّل سنة : ٣٥١ ] :

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْجِكَاتِ ، وَلَكِنَّهُ ضَحِكَ كَالْبُكَ  
بِهَا ( نَبَطِيٌّ ) مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرُسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَاحِ !

والنبطى هو هذا الوزير ، وكان عالماً بالأنساب قائماً عليها ، ألّف كتباً فى أسماء الرجال والأنساب ، وقصدته العلماء لذلك ، كالحافظ المحدث أئى الحسن الدارقطنى ، وقدم عليه من العراق وأقام عنده .

وأقام أبو الطيب بمصر على كُرهِه ، إلى أن وردَ أبو شجاع فاتك غلامُ الإخشيد ( محمد بن طُغْج ) من الفيوم ، فلقى المتنبى بالميدان على رِقْبَةٍ من كافور . وكان فاتك عند مَقْدَمِهِ قد أهدى إليه هدايا قيمتها ألف دينار ، فأنشده قصيدته التى أولّها ، [ فى حمادى

الآخرة سنة ٣٤٨ ] :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ ، فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

وقال له فيها يذكر ما كان منه :

( وَمَا شَكَرْتُ لَأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي ، سَيِّانٍ عِنْدِي إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ )

لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحاً أَنْ يُجَادَ لَنَا ، وَأَتْنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالٍ  
/ لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّى وَتَكْرِمَتِي ، إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلِيَاءِ يَحْتَالُ  
وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طُولَ لَابِسِهِ ، إِنَّ الثَّنَاءَ عَلَى الثَّنَائِلِ تَنْبَالُ (١)

يشير بالتنبال إلى كافور ، .... ثم يزفر المتنبي زفرته من جوف قلبه :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، الْجُودُ يُفْقِرُ ، وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ  
وَلَمَّا يَلْبُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ ... ، مَا كُلَّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ شِمْلَالُ (٢)  
إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكُ الْقَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَإِجْمَالُ  
ذِكْرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ مَاقَاتُهُ .... ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

وكذلك كان أبو الطيب قد يئس من بقائه في مصر ، وبرم بالمال وأصحاب المال ، وعزم على الرحلة من مصر ، فأعد له العدة ، واعتمد على الهرب بحيلته ودهائه قبل أن يذركه كافور الذى أُرصد له الرُقباء وبث عليه العيون . وانتهر هذا الداهيةُ الخبيرُ البصيرُ الفرصةَ في العيد يوم عرفة من سنة ٣٥٠ = وكان رَسْمُ كافورٍ أن يستقبل العيد بيومٍ ، ( هو يوم الوقفة الآن ) ، وتُعدُّ فيه الخَلَعُ والحُمْلَانَاتُ والهدايا وأنواع المبارّ لرابطة جُنْدِهِ ، وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تُفَرَّقُ ، وثانى اليوم يذكر له من قَبْلِ ، ومن رَدٍّ واستزاد = فأهتبل المتنبي غفلةً كافور واشتغاله بالعيد ، ودفن رماحه بُراً ، وسار ليلته ، وحمل بغاله وجماله ، وهو لا يألو سيراً وسُرى . وقطع في هذه الليلة مسافة أيام ، حتى وقع في تيه بنى إسرائيل ، إلى أن جازه على الحِلَلِ والأحياء والمفاوز والمجاهيل والمناهل والأواجن .... فلما بلغ كافوراً الخبيرُ ، بذل في طلبه ذخائر الرغائب ، وكتب إلى عمّاله في سائر أعماله ولكن .... يقول المتنبي [ في قصيدته لما نالته الحمى بمصر سنة ٣٤٨ ] :

(١) « التنبال » ، القصير اللقيم .

(٢) « الشملال » ، الناقة السريعة الخفيفة المشى .

فَرَبَّتَمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي ١ بِسِيرٍ ، أَوْ قَنَاقٍ ، أَوْ حُسَامٍ  
وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ (١)

\*\*\*

---

(١) « الفِدَامُ » ضرب من النسيج ، يجعل على قم إبريق الخمر ، ابتغاء تصفيتها وترويقها .

\*\*\*\*\*

فَلَمَّا أَتَيْنَا ، رَكَزْنَا الرِّمًا  
حَ يِّنَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى  
وَبِتْنَا نُقْبِلُ أَسْيَافَنَا  
وَنُمسِّحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعَدَى  
لِتَعْلَمَ مِصْرُ ، وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ،  
وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ - أُنَى الْفَتَى  
وَأُنَى وَفَيْتُ ، وَأُنَى أُبَيْتُ ،  
وَأُنَى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا  
وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى ،  
وَلَا كُلُّ مَنْ سِيَمَ خُسْفًا أُنَى

\*\*\*\*\*

٢٦٣ / خرج أبو الطيب من مصر ، وقد آجتواها ، وبُعِضَتْ إليه هذه الحياة الفاسدة  
التي بها وبغيرها من البلاد العربية ، والتي وَصَفَهَا في قصيدته حين مرض بالحمى وهو  
بمصر فقال ... ٤ [ من قصيدة الحمى ، في ذى الحجة سنة ٣٤٨ ] :

( وَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خِيبًا      جَزَيْتُ عَلَى آبِتْسَامٍ بَابِتْسَامٍ )  
( وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفَيْهِ      لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ )  
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي ،      وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ  
/ ( وَآئِفٌ مِنْ أَخِي لِأُنَى وَأُمِّي      إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكَرَامِ )  
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا      عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّقَامِ

٢٦٤

وتنازعت قلبَ أبي الطيب كلُّ أسباب همه ويأسه : همُّ الحب ويأسه من اللقاء ،  
وهمُّ السياسة ويأسه من إدراك المطلب وتحقيق الآمال ، وأثبت كل ذلك في قصيدته التي

قالها يوم خروجه من مصر ، فتدبرها وفصلها على ما رسمنا فيما مضى .... يقول ، [ و يوم  
عرفة ، دى الحجة سنة ٣٥٠ ] :

عِيدٌ بَأْيَةٍ حَالٍ عُدْتُ يَا عِيدُ ،      بما مَضَى أَمْ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ ؟  
أَمَّا ( الْأَجَبَةُ ) فَالْيَبْدَاءُ دُونَهُمْ ،      ( فَلَيْتَ دُونِكَ يَبْدَأُ دُونَهَا يَبْدُ )

لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي      شَيْعًا تُتَيَّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ  
يَا سَاقِيَّ ! أَحْمَرُ فِي كُوُوسِكَمَا ،      أَمْ فِي كُوُوسِكَمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدُ ؟!  
أَصْحَرَةُ أَنَا ؟! مَا لِي لَا تُحَرِّكُنِي      هَذِي الْمُدَامُ ، وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ !  
إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً      وَجَدْتُهَا ، وَ ( حَبِيبُ النَّفْسِ ) مَفْقُودُ  
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا !! .. وَأَعْجَبُهُ      أَنِّي - بما أَنَا شَاكٍ مِنْهُ - مَحْسُودُ  
أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثَرِّ خَازِنًا وَيَدًا ..      أَنَا الْغَنِيُّ ، .. وَأُمُوالِي الْمَوَاعِيدُ

ثم يخلص أبو الطيب إلى ذم مصر وأهلها ، ووصفهم بالكذب والمماطلة ، وما  
كان من ولاية كافور الأسود الخصي عليها ، وما كان يجري من المكر فيها وفي سياستها ، ثم  
يهجو كافوراً بأفحش الهجاء ، ثم يذكر هَمَّ نفسه وفراق سيف الدولة ، وذلك قوله :

٢٦٥ / أَوْلَى اللَّتَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْدِرَةٍ      فِي كُلِّ لَوْحٍ ، وَبَعْضُ الْعَذْرِ تَفْنِيدُ  
وَذَاكَ ، أَنَّ ( الْفُحُولَ الْبَيْضَ ) عَاجِزَةٌ      عَنِ الْجَمِيلِ ، فَكَيْفَ ( الْخِصْيَةُ السُّودُ ) !

ونحن نقدم العذر لأبي الطيب فيما ذم به مصر ، وما ذكر من أخلاقها ، فقد كان  
الرجل منكوباً في نفسه وآماله ، وقلبه وهواه ، وزاده القوم كيداً ، وأثبت عليه الأسود  
كافور عداوةً باغيةً ، وهو الذي أقدمه على مصر بطلبه ، وقد أعذر أبو الطيب بمدحه إياه  
أياً كان ، بعد أن كان في جوار أمير العرب سيف الدولة . هذا .... وليس يمنعنا من  
شهادة الحق - ولو على أنفسنا - ما يأتي به بعض الناس من الغضب الباغى ( للقومية ) .  
وقد ذكر أبو الطيب عيوباً لا تزال متأصلة في مصر ، ولا خير في الغضب من ذكرها ، بل

الخير كُلُّ الخير في معرفتها والتنبه لها والعمل على إصلاحها . والحقيقة التي لا تُجحد أن أبا الطيب قد نفذ ببصيرته إلى ما كان يسئل مصر ويقتلها من الخلق الفاسد ، وقد كشف عنه في قصائده التي قالها في هجاء كافور ومدح فاتك ورثائه . وليس أبو الطيب وحده هو الذى عرف ذلك يومئذٍ وأدركه ، بل قد عرف ذلك كثيرٌ من أهل عصره ، وإذا أنت قرأت التاريخ الذى بين أيدينا ، وقفت على ذلك ، وعلمت أن الرجل كان بصيراً نافذاً إلى ضمائر الناس يجلوها ويكشف عنها . ولا بأس هنا من أن نذكر لك آياتاً قد قالها القاضى التنوخى الكبير ، حين قدم هو أيضاً مصر وخرج منها كارهاً ، يقول :

تَرَكْنَا أَرْضَ مِصْرَ لِكُلِّ فَذَمٍّ	لَهُ بَاعٌ يُقَصِّرُ عَنْ ذِرَاعٍ
نُفُوسٌ لَا تَلِيْقُ بِهَا الْمَعَالَى ،	وَأَخْلَاقٌ تَضِيقُ عَنِ الْمَسَاعِى
أَقَمْتُ بِهَا .... وَمِنْ مَحَنِ اللَّيَالِ	مُقَامُ الْأَسَدِ فِي كَهْفِ الضَّبَاعِ
/ أَقُولُ ، وَقَدْ نَأَوْنَا ، بُعْدًا وَسُخْفًا	لِشَرِّ الْخَلْقِ فِي شَرِّ الْبِقَاعِ
وَكَمْ خَلَفْتُ مِنْ كَرَمٍ مِهِينٍ	بِعَرْصَتِهَا ، وَمِنْ عِرْضٍ مُضَاعٍ
وَأَجْسَامٍ مُسَمَّنَةٍ شِبَاعٍ ،	وَأَحْسَابٍ مُضْمَرَةٍ جِيعٍ
وَنَقَصٍ فِي أَكَابِرِهَا حَضِيضٍ ،	وَجَهْلٍ فِي أَصَاغِرِهَا مُشَاعٍ
لَقَدْ نَامَتْ سِرِيرَتُكُمْ ، وَكَانَتْ	فَضِيحَتُكُمْ قِتَاعًا لِلْقِنَاعِ
جَعَلْتُمْ ذَنْبَنَا أَنَا سَمِعْنَا ... ،	وَمَا الْآذَانُ إِلَّا لِلْسَّمَاعِ

وهذا ليس مما يُغضبُ منه ، فإن في التاريخ من أمثال ذلك ما لا يُدفع ، وقد كانت في مصر لذلك العهد ، وفي غير مصر ، أخلاقٌ فاسدة هي التي عَصَفَتْ بالمجد العربى وأضاعته بين ذئاب الأعاجم وغيرهم ، حتى صرنا إلى ما نحن فيه الآن . فهذا الغضبُ التاريخى لا محلَّ له ولا وجه ، إلا القصور في معرفة التاريخ . هذا .... وليس بمنكر أن تكون هناك فضائلُ أخرى تُلطِّف هذه العيوب وتخفف منها ، فتُنسى في جانبها ، وتُخفى صورتها في ظلِّها .

.... سار أبو الطيب يطوي الفلوات بماله ورجاله ورماحه وخيله هارباً من كافور وما أتبعه من الطلب ، وقطع في سيره الفلاة ما بين مصر وطور سيناء خائفاً يترقب ، وتراءت له أيامه كلها بأهوائها وغفلاتها ، وحسناتها وسيئاتها ، واضطربت نفسه وعَلَّتْ أمواجها ، وأدركته رجولته وفُتُوتُه ، حين لَفَحَتْهُ هَبَّاتُ الهجير وقد نَصَبَ لها حُرَّ وجهه ، وتنسَّم من سمائها التي اعتادها في أوَّل أيامه قبل أن يستنيم إلى بعض الدَّعة ، ويركن إلى غَفَلَاتِ الراحة ، وكذلك غَلَبَ ما كان به من اليأس والضَّجَر ، ومدَّ ذراعيه يَسْتَمْسِكُ بالحياة ، يَبْغِي الظفر وتحقيق الأمل . ومن هنا قال في قصيدته التي / ذكر فيها رحلته عند وروده إلى الكوفة .... يصف الثَّوق التي نجا على ظهرها ، [ في شهر ربيع الأوَّل سنة ٣٥١ ] :

( وَلَكِنَّهُنَّ ( جِبَالُ الْحَيَاةِ ) ، و ( كَيْدُ الْعُدَاةِ ) ، و ( مَيْطُ الْأَذَى )  
ضَرَبْتُ بِهَا التَّيْهَ ضَرْبَ الْقِمَارِ ، إِمَّا لِهَذَا وَإِمَّا لِذَا  
إِذَا فَرَعْتُ قَدَمْتُهَا الْجِيَادُ ، وَيِضُّ السُّيُوفِ ، وَسُمُرُ الْقَنَا

وَقُلْنَا لَهَا : أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ ؟ فَقَالَتْ - وَنَحْنُ بَتْرِيَان - : هَا

ولم يكن أبو الطيب في مخرجه هذا يريد مكاناً بعينه يَقْصِدُهُ ، بل كان متردداً بين أن يقصد المدينة وقيم بها ، أو يقطع في رحلته الفلاة إلى نجد ، أو ينحدر إلى العراق . ولعله كان يتلقَّف الأخبار وهو في طريقه ، حتى يرى رأيه في قصده ، ويتَّقى شَرَّ الكيد الذي كان يُكَادُ به طول عمره من جراء السياسة ، ومن أجل تَقَحُّمِهِ على أصحاب الدسائس متهاوناً بهم . <sup>(١)</sup> والظاهر من شعر أبي الطيب أنه ، لأمر ما ، اعتمد الرحلة إلى الكوفة

(١) قد حاولنا أن نهتدي في ظلام التاريخ إلى وجه من الرأي ، فلا نقرر الآن شيئاً ، فإن ذلك يقتضي التنقيب في تاريخ العلويين خاصة في ذلك العهد ، وما كان لهم وما كان منهم . والكتب التي بين أيدينا من التاريخ ناقصة ، ومفرقة . فإذا تم لنا شيء من السند التاريخي ، فحينئذ نقدم على القطع برأى من أمر مدخله الكوفة . هذا على أن في أيدينا أشياء ، ولكنها لا تكفي في الدلالة على الوجه الصحيح .



ودخلوها . وقد رأيت قَبْلَ في خبر موت جَدَّتِه أَنَّهُ حين أراد دُخُولَ الكوفة ليرأها ، منعه العلويُّون ، فيما ذهبنا إليه ، وحملوه على مفارقة جوارها إلى بغداد ، <sup>(١)</sup> فكان من جرَّاء ذلك ما استعلن في قصيدته التي يريُّ بها جَدَّتِه ، من الحِدَّة والتهوُّر / والثُّورة ، والتعريض ٢٦٨ بما أريد به من الظلم والضم ، فكان مما قال :

لَقِنْ لَدَّ يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمَهَا	لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي ( لِأَنفِهِمْ رَغْمًا )
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعِظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ،	وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ،	وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعَشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَجِيَّتِي ،	وَالْأَفْلَسْتُ ( السَّيِّدَ الْبَطْلَ الْقَرَمَا )
( إِذَا فَلَ عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدِهِ ،	فَأَبْعُدُ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا )
وَأَنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَهُمْ	بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
( كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا ، إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي ،	وَيَا نَفْسُ ، زِيدِي فِي كَرَائِبِهَا قُدْمَا )
( فَلَا عَبْرَتْ بِي سَاعَةً لَا تُعْزِنِي ،	وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا )

وقد قلنا ثم أنه أراد بالشامتين الذين كان لأنوفهم ( رَغْمًا ) - العلويين ، وأنه أُنذر وأُوعِد وهُدِّدَ يريدُهم بذلك ، لما أنزلوه من الكيد له حتى خَفِيتْ نِسْبَتُهُ إِلَى الشجرة العلوية المباركة . ولم يزل أبو الطيب يُسِرُّ ذلك في نفسه ، وهو في كل مرة يلقى من العلويين كيداً كثيراً ، كما رأيت من إرصادهم لقتله بكفر عاقب ، [ ص : ١٥٤ - ١٥٦ ، والتعليق هناك ] .

فالآن ، يتمكن أبو الطيب - بعد استمرار عزيمته ست عشرة سنة ( من سنة ٣٣٥ إلى سنة ٣٥١ ) - من دخول الكوفة ، بعد أن حِيلَ بَيْنَهُ وبينها في موتِ جَدَّتِه ، وقد لَقِيَ في هذه السنوات من المصائب والأرزاء ما فَتَّ حيناً في عضده ، وما رَمَى في قلبه بالعزم والقوة حيناً آخر . يدخُلُ الكوفة وقد رَغِمَتْ أنوف من مَنَعُوهُ عن دُخُولِهَا أَوَّلًا ، ومن فارق الكوفة وتغَرَّبَ غَيْرَ قَابِلٍ لما أرادوه عليه من ظلمهم له .... فيقول :

(١) انظر ما قلته في شعره في رثاء جدته فيما سلف ص : ١٦٠ - ١٦٥ ، ثم ص : ١٧٠ - ١٧٧ ، ثم

ص : ٢٤٠ - ٢٤٣ ، ثم ص : ٢٧٧ ، والتعليق : ١ ، ثم ص : ٢٨٠ - ٢٨٢ .

/ فَلَمَّا أَتَحْنَا رَكَزْنَا الرِّمَاءَ ح ، يَبِينُ ( مَكَارِمَنَا وَالْعُلَى )

فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ : ( مَكَارِمَنَا وَالْعُلَى ) ، أَتَكُونُ ( مَكَارِمَهُ وَالْعُلَى ) هَذِهِ هِيَ السَّقَاءَةُ وَمَا إِلَيْهَا ؟ إِذْ تَكْذَبُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَعَمُوا أَنْ أَبَاهُ كَانَ ( سَقَاءً بِالْكَوْفَةِ يَسْقَى الْمَاءَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ) . وَالْعَجَبُ أَنْ يَذْكُرَ أَبُو الطَّيِّبِ هَذِهِ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى وَهُوَ مُقِيمٌ بِالْكَوْفَةِ ، الَّتِي كَانَ بِهَا مِنْ يَعْرِفُهُ مِنْ لِدَاتِهِ الَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فِي الْمَكْتَبِ وَهُوَ صَغِيرٌ . إِنْ يَكُنْ مَا زَعَمُوا .... فَتَبَّأُ ( لَابِنِ السَّقَاءِ ) هَذَا مِنْ شَيْخٍ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ وَلَا مِنَ النَّاسِ !! هَذَا ، وَفِي الْآيَاتِ الَّتِي تَلَى هَذَا الْبَيْتَ نَفْحَاتِ الصَّدَقِ ، وَصُورَةٌ مِنْ قُوَّةِ الْعَزِيمَةِ ، وَكَرَمِ الْعَنْصَرِ ، وَعِزَّةِ نَفْسٍ تَتَمَيَّزُ فِي أَلْفَافِهَا ، لَا قَبْلَ لَكْذَابٍ وَلَا دَعَى بَأَنْ يَجْعَلَهَا تَتَرَاوَى فِي كَلَامِهِ وَاضِحَةً بَيِّنَةً سَمَحَةً مُسْتَعْلِنَةً .... يَقُولُ :

وَبِتَّنَا نُقْبِلُ أَسْيَافَنَا      وَتَمَسَّحُهَا مِنْ دِمَائِ الْعِدَى  
لِتَعْلَمَ مِصْرُ ، وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ،      وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ ، أَتَى الْفَتَى  
( وَأَتَى وَفَيْتُ ، وَأَتَى أُبَيْتُ ،      وَأَتَى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا )  
( وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى ،      وَلَا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسَفًا أَبَى )  
( وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَهُ ،      يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى )  
( وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ      وَرَأَى يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا )  
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى ،      عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخُطَى

وَفِي قَوْلِهِ : « وَأَتَى وَفَيْتُ » الْبَيْتَانِ ، إِشَارَاتٌ بَيْنَةً إِلَى مَا مَضَى فِي كَلَامِنَا عَنْ نَسَبِهِ وَغَيْرِهِ ، وَلَا تُطِيلُ بِإِعَادَتِهَا هُنَا مَرَّةً أُخْرَى . وَكَذَلِكَ أَرْغَمَ / أَبُو الطَّيِّبِ أَنْوْفَ أَعْدَائِهِ جَمِيعاً ، وَأَرَاهُمْ أَنْ عَزَمَهُ لَا يَزَالُ مَاضِياً مُتَقَحِّماً لَا يُرَدُّ عَلَى بَعْدِ الشَّقَةِ وَتَطَاوُلِ الْأَيَّامِ ، وَأَنَّهُ قَرَّبَ إِلَيْهِ مَا كَانُوا يَبَاعِدُونَهُ عَنْهُ بِتَهْكِمِهِمْ وَسُخْرِيَّتِهِ بِهِ إِذْ قَالُوا : « مَا أَأَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ ! وَمَا تَبْتَغِي ؟ » .

وقد صدق إذ قال :

إِذَا قُلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفِ بُعْدِهِ ، فَأَبْعُدْ شَيْءٌ ، مُمَكِّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا

\*\*\*

لَمْ يَرِدْ فِي خَبَرِ أَبِي الطَّيِّبِ وَمَدْخَلِهِ الْكُوفَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٣٥١ شَيْءٌ  
يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِهِ التَّارِيخُ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ إِلَى وَجْهِ بَعِينِهِ . وَالَّذِي فِي رِوَايَةِ الرِّوَاةِ أَنَّهُ تَوَجَّهَ  
بَعْدَهَا إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ( بَغْدَاد ) ، وَلَكِنْ مِنْ قَبْلِ رَحْلَتِهِ حَدَّثَ بِالْكُوفَةِ حَدَّثَ حَضْرَهُ  
الْمُتَنَبِّئِي ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا خَارِجِيًّا كَانَ قَدْ ثَارَ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ مِنْ بَنِي كَلَّابٍ ، وَاجْتَمَعَتْ  
إِلَيْهِ فِئَةٌ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ الْخَوَارِجِ ، فَانْتَهَضَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْفَوَارِسِ دِلَّيْرُ بْنُ لَشْكُرَوَزٍّ ، وَانصَرَفَ  
هَذَا الْخَارِجِيُّ قَبْلَ وَصُولِ دِلَّيْرٍ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَمَدَحَهُ أَبُو الطَّيِّبِ ، وَأَنْشَدَهُ وَهُوَ فِي الْمِيدَانِ ،  
فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ بِمَرْكَبٍ ذَهَبٍ . وَلَسْنَا نَعْرِفُ سَبَبًا لِمَدْحِ أَبِي الطَّيِّبِ هَذَا الرَّجُلِ  
( دِلَّيْرٍ ) ، وَلَمْ يَرِدْ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ الَّتِي بَأْيَدِينَا ذِكْرُ هَذَا الْحَادِثِ ، وَلَا ذِكْرُ الْخَارِجِيِّ  
الَّذِي ثَارَ بِالْكُوفَةِ فِي سَنَتِهِ تِلْكَ . وَهَذَا مِمَّا يَجْعَلُنَا نَأْخُذُ الْحَذَرَ فِي الْقَطْعِ بِرَأْيِي ، وَالظَّاهِرُ  
أَنْ لِهَذَا الرَّجُلِ ( دِلَّيْرٍ ) عِلَاقَةٌ بِالمَشَاكِلِ الْعُلُويَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِلذَلِكَ الْعَهْدِ بِالْكُوفَةِ ، وَأَنَّهُ  
كَانَ مِمَّنْ يَمِيلُونَ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي فِيهِ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ، وَأَبُو الطَّيِّبِ ، فَإِنْ نَفَسَ أَبِي الطَّيِّبِ ،  
كَمَا رَأَيْتَ كَانَتْ نَفْسَ الرَّجُلِ الْمُنْتَصِرِ الظَّافِرِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ هُوجِ الْعَوَاصِفِ سَالِمًا  
غَالِبًا ، كَمَا مَرَّ بِكَ فِي قَوْلِهِ :

فَلَمَّا اتَّخَذْنَا رَكْزَنَا الرَّمَّا حَ بَيِّنَ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى

/ أَقَامَ أَبُو الطَّيِّبِ بِالْكُوفَةِ أَشْهُرًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ سَنَتِهِ تِلْكَ إِلَى بَغْدَادِ فَنَزَلَ عَلَى  
صَاحِبٍ لَهُ هُوَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيِّ ، <sup>(١)</sup> وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي دَارِهِ . وَبَيِّنُ مِنْ نَزُولِ أَبِي الطَّيِّبِ  
عَلَى هَذَا الْفَتَى دُونَ سِوَاهُ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ ، أَنَّهُ قَصِدَ بِذَلِكَ أَنْ يَبْدَى

(١) انظر ص : ١٦٤ ، التعليق : ٣ .

بفعله ازدراءه لهم ، واستهانته بهم . ولعله كان مما أراد أيضاً أن يكون على مقربة من سياسة الدولة ، ليخبر الرجال الذين كانوا يوقدون نار الفتنة إذ ذاك ، وليروا ما عندهم . وهذا بين مما قدمناه قبل ، <sup>(١)</sup> من المراسلة التي كانت بينه وبين سيف الدولة . وبين أيضاً أنه كان متعالماً عند أهل السياسة في ذلك العهد أن أبا الطيب كان مقدّمه من أجل ذلك ، فقد ذكر الحاتمي ( صاحب الرسالة الحاتمية ) : أن معز الدولة بن بويه الديلمي ( ساءه أن يرد على حضرته رجل صكر عن حضرة عدوه ) ، يعني سيف الدولة .

ثم إن أبا الطيب لم يقف أمره عند ذلك ، بل قد رغب إليه جماعة من أصحاب الوزير المهلب أن يمدح الوزير ، فأبى عليهم أبو الطيب وجبههم بأسوأ الرد . وكان السبب في سوء ردهم أن أبا الطيب ، كما علمت ، لم يكن يرضى أبداً عن هؤلاء الأعاجم الذين مزقوا الدولة العربية وتقاسموها بينهم - ونعني منهم هنا بني بويه - وكان المهلب وزير معز الدولة البويهى ، وكان مشايعاً لهم في كثير . وعلى أن مشايعة الوزير المهلب لبني بويه كانت ، فيما نرى ، ارتفاقاً للرزق ، فإن أبا الطيب لم يعبأ به ، بل أغضى عنه تهاوناً وازدراءً . فأحفظ ذلك الوزير المهلبى ، فأسد عليه الأدباء والشعراء وأغراهم به ليغيظوه ويكيدوا له ، ويغلظوا / له القول في مجلسه . فكان ما رأيت قبل من هجائهم إيّاه ، وزعمهم أن أباه كان سقاءً بالكوفة ، كما ورد في الشعر الذى قدمناه في أول الأبواب .

ولا يفوتك هنا أن تعلم أن التنوخى الذى روى قصة نسبه كان بالعراق لذلك العهد . وأيضاً أن ابن أم شيان الهاشمى ، وأبا الحسن الزيدى العلوى كانا كذلك ببغداد . وقد رأيت في الباب الأول كلامنا عن هؤلاء وما ادّعوه من أن أباه كان سقاءً ، فاجتماع هؤلاء ببغداد ، ومقدم أبى الطيب عليها من أجل السياسة ، وهو عدو بني بويه ، إذ كان من أصحاب سيف الدولة ، ورجلاً من الذين اتخذهم لسره وآرائه السياسية ، ثم ما كان من امتناعه عن مدح الخليفة العباسى ومعز الدولة الديلمي ( العلوى الفاطمى )

المذهب ، وازدراؤه لوزير معز الدولة ( أئى محمد المهلبى ) ، ثم ما كان من عداوة الشعراء والأدباء له بإغراء المهلبى وغيره ، نقول : إن هذا كله ممّا يجعلك تستيقن فساد الروايات التى يرويها الرواة عن أمر المتنبى ، وخاصةً ما كان ظاهر التحامل ، بين الضغينة ... عفا الله عنهم !! لقد رَمَوْا الرجل بكلِّ نقيصة ، ووضعوا لكل ما كان يتمدّح به في شعره قصّة تخالف ذلك : رأوا المتنبى يتمدّح بالكرم ويمدّح عليه ، فوضعوا القصص في بُخله وشراسته على المال ، ورأوه يمجّد الرجولة والشجاعة ويصف بها نفسه ، فوضعوا الأكاذيب في حكايات جُبْنه وخَوْره .... إلى غير ذلك من الأحاديث التى لا تصلح لتحقيق ولا ترجمة .

\*\*\*

وبقى أبو الطيّب ببغداد مستهيناً بكل كيدٍ وحقدٍ ، وأخذَ يقرأ ديوانه على بعض أصحابه بدار على بن حمزة البصرى . ثم فرغ من أمره ورجع إلى الكوفة / في أواسط سنة ٢٧٣ ٣٥٢ وبقي بها ، ولم يقل شعراً بلغنا ، إلى أن بدأت سنة ٣٥٤ فارتحل إلى بغداد ، وكان الوزير المهلبى قد مات .

والظاهر من أمر أئى الطيّب أنّه حين بلغه وهو بالكوفة في سنة ٣٥٢ موث « خولة » أخت سيف الدولة ، تمزّقت أحلامه ولم يبق له قلب يمدّه بالقوة والتدافع والثورة ، كالذى كان له من قبل ، واستيأس من أمره إلّا قليلاً . فلما جاءه كتاب سيف الدولة في ذى الحجة من سنة ٣٥٣ يذكرُ العوائق التى تمنعه عن فتح العراق ، ويبين له ما هو فيه من الكرب والضيق والعُسْر ، على ما قدمنا في شرح قوله : (١)

« فهِمْتُ الْكِتَابَ ، أُبَرِّ الْكُتُبَ فَسَمِعْتُ لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ »

..... أُحِيطَ بِأَبِي الطَّيِّبِ ، وَأَسْلَمَتْ نَفْسُهُ قِيَادَهَا لِأَحْزَانِ قَلْبِهِ ، فَلَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ عَلَى الرَّحَلَةِ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، لِئَلَّا يُذَكَّرَ الْمَكَانُ وَأَهْلُهُ ، بِمَكَانِ قَلْبِهِ وَالسَّائِكِيهِ ، نَعْنَى « خَوْلَةٌ » ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَسِيَ هَمَّهُ بِقَصْدِ أَرْضٍ غَيْرِ الشَّامِ الَّتِي يَتَلَفَّتْ قَلْبُهُ إِلَيْهَا فِي حَنِينٍ وَأَنِينٍ وَبِكَاءٍ .

وكان أبو الفضل بن العميد ، <sup>(١)</sup> وهو بالرّى ، يخرج كل عام خَرَجَتَيْنِ إِلَى أَرْجَانِ ، فبَلَّغَهُ مَقْدَمُ الْمُتَنَبِّئِ إِلَى بَغْدَادَ ، فَرَاثِلَهُ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ فِي الْحَضُورِ إِلَيْهِ بِأَرْجَانِ . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ الْعَمِيدِ كَانَ يَسْمَعُ بِأَخْبَارِ أَبِي الطَّيِّبِ ، وَكَيْفِيَّةِ اشْتِهَارِهِ فِي الْأَقْطَارِ ، وَتَرْفُعِهِ عَنْ مَدَحِ الْوُزَرَاءِ ، فَسَمِعَ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ / مَدِينَةِ السَّلَامِ مُتَوَجِّهًا إِلَى بِلَادِ فَارَسَ ، وَكَانَ يَخَافُ أَنْ لَا يَمْدَحُهُ ، وَيَعَامَلُهُ مَعَامَلَةَ الْمَهْلَبِيِّ = فَيَتَكَبَّرُ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَيَعْرِضُ عَنْ سَمَاعِ شِعْرِهِ . وَالصَّحِيحُ مِنْ هَذَا أَنَّ ابْنَ الْعَمِيدِ كَانَ يَخَافُ أَنْ لَا يَعْجَبَ بِهِ الْمُتَنَبِّئُ ، فَرَاثِلَهُ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاضِلِهِ . فَمَضَى أَبُو الطَّيِّبِ فِي سِيرِهِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى أَرْجَانِ يَصْحَبُهُ تَلْمِيزُهُ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيَّ . قَالَ عَلِيُّ هَذَا : « فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهَا ( أَبُو الطَّيِّبِ ) ، وَجَدَهَا ( يَعْنِي أَرْجَانُ ) ضَيْقَةَ الْبُقْعَةِ وَالْدُّورِ وَالْمَسَاكِينِ ، فَضْرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ : تَرَكْتُ مَلُوكَ الْأَرْضِ وَهُمْ يَتَعَبَّدُونَ لِي ، وَقَصَدْتُ رَبَّ هَذِهِ الْمَدْرَةِ .... ؟! فَمَا يَكُونُ مِنْهُ !! ثُمَّ وَقَفَ بِظَاهِرِ الْمَدِينَةِ وَأَرْسَلَ غَلَامًا لَهُ عَلَى رَاكِلَتِهِ إِلَى ابْنِ الْعَمِيدِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ : مَوْلَايَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئُ خَارِجُ الْبَلَدِ - وَكَانَ وَقْتُ الْقَيْلُولَةِ ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ فِي دَسْتِهِ - فَثَارَ مِنْ مَضْجَعِهِ ، وَاسْتَبْتَه ، ثُمَّ أَمَرَ حَاجِبَهُ بِاسْتِقْبَالِهِ ، فَكَرَبَ وَاسْتَرْكَبَ مِنْ لَقِيهِ فِي الطَّرِيقِ ، فَفَصَلَ عَنِ الْبَلَدِ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَتَلَقَّوهُ وَقَضَوْا حَقَّهُ وَأَدْخَلُوهُ الْبَلَدَ . فَدَخَلَ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ فَقَامَ لَهُ مِنَ الدَّسْتِ قِيَامًا مُسْتَوِيًا ، وَطَرَحَ لَهُ كُرْسِيًّا عَلَيْهِ مَحْدَّةً دِيبَاجَ ، وَقَالَ أَبُو

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي ، وكان عالماً أدبياً فصيحاً ذا بيان ، وكان من أئمة التّرجمة ، وقد سُمي بالجاحظ الثاني ، وكان من دهاة السياسة وتدير الممالك .

الفضل : كُنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب ..... » ، وكان دخول أبى الطيب أَرْجَان وَلِقَاؤُهُ ابْنَ العميد فى شهر صفر سنة ٣٥٤ .

كان أبْنُ العميد من رجال عصره فى السياسة وتدير الملك ، ومن شيوخهم فى العلم والفلسفة وما إليهما ، ومن أفذاذ البلغاء والأدباء ، وكان أمةً وحده . فلا عجب أن يحتفل له ببيان أبى الطيب احتفالاً عظيماً فى أوّل اللقاء ، فيمدحه بقصيدته المشهورة : « بَادِ هَوَاكَ صَبَّرْتَ أَمْ تَصْبِرَا » ، والتي يقول فيها يصف أبْن العميد :

٢٧٥ / مَنْ مُبْلَغُ الْأَعْرَابِ أَتَى بَعْدَهَا جَالَسْتُ رِسْطًا لَيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا  
وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مُتَمَلِّكاً مُتَبَدِّياً مُتَحَضِّراً  
وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَالَهُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا

وأكرمه أبْن العميد واحتفل له ، فبقى عنده المنتبى شهرين أو أشْف قليلاً ، وكان المنتبى ، وهو فى جوار ابن العميد ، لا يزال يُعاوده همُّ قلبه ويغلبه اضطرابُ نفسه ، فكان ذلك فى شعره ، ولكنه كان يتأسك على الضعف ، ولا يعطى المقادة إلا مقهوراً . وقد وقع ذلك فى قصيدته التى مدح بها ابن العميد ، وفطن ابن العميد إلى هذا الاضطراب فى شعر أبى الطيب . رَوَوْا أَنَّهُ لما أنشدته :

بَادِ هَوَاكَ ، صَبَّرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاءُكَ ، إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى  
كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَأَتَيْتَسَامُكَ صَاحِباً لَمَّا رَأَى..... وَفَى الْحَشَامَا لَا يُرَى !!

فقال له ابن العميد : يا أبا الطيب ، أتقول : « بَادِ هَوَاكَ » ، ثم تقول بعده : كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ ؟ ما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به !! فكان جوابُ أبى الطيب : « تلك حال ، وهذه حال » . وهذا هو ما نقول به .... فَإِنَّ أبَا الطيب كان يذكر « خولة » أحياناً فلا يُخْفِي هَوَى ، ولا يَرُدُّ دمعاً ، وتنطلق عواطفه من عقال رجولته ، فإذا ما ارتدَّت إليه قُوَّتُهُ وإرادته ، رَدَّ ذلك بـرجولته وأبدى الصبر ، وأظهر الاتسَام والرضى . وهذه حالة من أحوال الحُبِّ الطاغى المسيطر ذى السلطان والغلبة . وظهورها فى شعر أبى الطيب فى بيتين

متعاقبين ينقضُ معنى أحدهما معنى الآخر ، كما قال ابن العميد ، دليلٌ على أن الرجل كان أحياناً فى أسر الهوى لا يملك نفسه ، ولا يجدُ فى تناقض معانى البيتين شيئاً . وذلك لأن هذا التناقض الذى نراه فى معانى شعره ، يكون عنده اتساقاً فى معانى / عواطفه وحبّه ، وتعبيراً بليغاً صادقاً عن إحساسه وضميره وحاجة نفسه ، ... فهذا قوله : « تلك حال ، وهذه حال » .

وأنظر .... ، فإن الرجل حين ودع ابن العميد قال : [ سنة ٣٥٤ ] :

وَمَنْ لِي يَوْمٌ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ ، قَرِئْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ  
(وَأَلَّا يَخُصَّ الْفَقْدُ شَيْئاً ، .. لِأَنَّنِي فَقَدْتُ ، فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي)  
تَمَنَّيْتُ يَلْدُ الْمُسْتَهَامُ بِذِكْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتِيلاً وَلَا يُجْدِي  
وَعَظُمَ عَلَى الْيَوْمِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا ، وَلَكِنَّهُ عَظُمَ الْأَسِيرُ عَلَى الْقَدِّ  
فَإِمَّا تَرِنُنِي لَا أَقِيمُ بِنَدَةٍ فَافَّةٌ غَمْدِي فِي دُلُوقِي مِنْ حَدِّي (١)

وهذه الإشارة التى فى البيت الثانى بقوله : ( لأننى فقدت ... ) ، هى إلى صاحبه « خولة » التى ماتت فى سنة ٣٥٢ ، فلم ينسها بل بقى مضطرباً مغلوباً على أمره لا يستطيع الصبر تارة فتغلبه دموعه ، ويتحاملُ أخرى بصبره فينطوى على وجده ولوعته ، .... والنار التى فى حشاه .

\*\*\*

(١) « الدوق » ، سرعة اسلاب السيف وحروجه من عمده . يقول : إن رأيتنى مزعجاً لا أقيم ببلدة . فإن ذلك مضاعف كالسيف الحاد ، تحركه جذه حده ، فيزق فيخرج نعتاً من غمده .



- ١٦ -

\*\*\*\*\*

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيِّباً فِي الْمَعَانِي  
بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّعِ مِنَ الرُّمَانِ  
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا  
غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ  
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ ، لَوْ سَارَ فِيهَا  
سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ  
إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ الْوُرُقَ فِيهَا  
أَجَابَتْهُ أَغَانِي الْقِيَانِ  
وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ  
- إِذَا غَنَّى وَنَاحَ - إِلَى الْبَيَانِ  
وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا  
وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ

\*\*\*\*\*

/ وَرَدَ عَلَى أُنَى الطَّيِّبِ - وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ الْعَمِيدِ - كِتَابٌ مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازَ ٢٧٧  
يَسْتَتِرُهُ وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ تَكُنْ لِأُنَى الطَّيِّبِ رَغْبَةً تَحْمِلُهُ ، فَلَمْ يَخَفْ إِلَى  
اسْتِدْعَائِهِ . فَكَلِمَةُ ابْنِ الْعَمِيدِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : مَا لِي وَلِلدَّيْلِمِ ؟ فَقَالَ لَهُ : عَضُدُ الدَّوْلَةِ  
أَفْضَلُ مِنِّي ، وَيَصِلُكَ بِأَضْعَافٍ مَا وَصَلْتُكَ بِهِ . فَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ : « إِنِّي مُلْقًى مِنْ  
هَؤُلَاءِ الْمُلُوكِ ، أَقْصِدُ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ ، وَأَمْلِكُهُمْ شَيْئاً يَبْقَى بَقَاءَ النَّيِّرَيْنِ ، وَيُعْطُونَنِي  
عَرَضاً فَانِيّاً .... وَلِي ضَجَرَاتٌ / وَاحْتِيَارَاتٌ ، فَيَعْقُوقُونَنِي عَنْ مُرَادِي ، فَأَحْتَاجُ إِلَى ٢٧٨  
مِفَارِقَتِهِمْ عَلَى أَقْبَحِ الْوَجْهِ !! » (١) فَكَاتَبَ ابْنُ الْعَمِيدِ عَضُدَ الدَّوْلَةِ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، فَوَرَدَ

(١) أَعَدَّ قِرَاءَةَ هَذَا النَّصِّ فَإِنَّهُ مَلَى بِإِشَارَاتٍ كَثِيرَةٍ تَطَاقُ أَكْثَرَ الَّذِي قُلْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ .

الجواب بأنه مُملِكٌ مُرادَه في المُقام والطَّعن . فسار المتنبي من أَرْجان ، فلمّا كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبى عَمَر الصَّبَّاح ، فلما تلاقيا وتسائرا ، استنشدُه ، فقال المتنبي : الناس يَتَنَاشِدُونَ ، فَاسْمِعْهُ . (١) فَأَخْبَرَهُ أَبُو عَمَرُ أَنَّهُ رُئِيسٌ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي . ثُمَّ دَخَلَ الْبَلَدَ ، فَأَنْزَلَ دَارًا مَفْرُوشَةً ، وَأَنْشَدَ أَبَا عَمَرَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي قَالَهَا فِي الْكُوفَةِ ، وَالَّتِي قَالَ فِيهَا ، [ انظر ما سلف : ٣٦٩ ، ٣٧٤ ] .

فَلَمَّا أَنْخَنَّا رَكَزْنَا الرِّمَاءَ      حَ يَنْ مَكَارِمِنَا وَالْعُلَى  
وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا ،      وَنَمْسُحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَى  
لِتَعْلَمَ مِصْرُ ، وَمَنْ بِالْعِرَاقِ ،      وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ ، .... أَنَّى الْفَتَى  
( وَأَنْى وَفَيْتُ ، وَأَنْى أَيْتُ ،      وَأَنْى عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا )

فرجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده هذه الأبيات ، فقال عضد الدولة : « هَوْنًا ..... يَتَهَدَّدُنَا الْمُتَنَبِّى !! » .

وبينّ مما روينا لك أن أبا الطيب كان لا يزال يَحْقِرُ الأعاجم ويغضهم لما أصابوا به قومه من البلاء ، وكان استعصاؤه على ابن العميد وجَدَّالُهُ معه في الرحلة إلى عضد الدولة ، من أجل مذهبه السياسى ، ومن أجل أن هؤلاء ، بنى بُوَيْهَ ، كانوا أعداء صاحبه سيف الدولة = ومن أجل أنهم كانوا من / شِيعَةِ الْعُلُوِيْنَ الْفَاطِمِيْنَ الَّذِينَ لَا يَرْضَى عَنْهُمْ أَبُو الطَّيِّبِ وَلَا سَيْفُ الدَّوْلَةِ = ومن أجل أنه يَعْلَمُ أَنَّ مَدِيحَهُ فِيهِمْ سَيَبْقَى لَهُمْ ذِكْرًا خَالِدًا فِي شَعْرِهِ ، وَهُمْ لَهُ أَعْدَاءُ ، وَلَكِنْ الرَّجُلَ ، كَمَا عَلِمْتَ قَبْلَ ، كَانَ مُضْطَرِبًا قَدْ دَاخَلَ الْيَأْسَ وَاسْتَبَدَّ بِهِ ، فَسَارَ وَهُوَ يَقُولُ :

وَأَيُّ شَيْءٍ يَا طَرْقِي فَكُونِي ،      أَذَاةً ، أَوْ نَجَاةً ، أَوْ هَلَاكًا

فلما دخل شيراز واستقبله أبو عمر الصَّبَّاح ، واستنشدُه كأنه يَحْتَبِرُ شَعْرَهُ ، لم يصبر المتنبي فرمأه بقوله : « النَّاسُ يَتَنَاشِدُونَ ، فَاسْمِعْهُ » ، إِذْ كَانَ شَعْرُهُ قَدْ سَارَ مَسِيرَ النَّيِّرِينَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ الْطَّلَبَ بِأَمْرٍ مِنْ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، غَضِبَ

(١) أَعَدَّ قِرَاءَةَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَرَّاتٍ ، فَإِنَّ فِي ضَمِيرِهَا حَقِيقَةَ أُنَى الطَّيِّبِ .

لنفسه ولعربيته ولشعره ، فاختار من قصائده قصيدة فيها ذكر ظفره بمراده ، وفلججه على  
الخصوم من الملوك والأمراء ، وهجاء كافور الذى كان عنده قبل أن ينزل على عضد  
الدولة ، لتكون هذه القصيدة تهديداً ووعيداً وإنذاراً ، ومقابلةً لإساءة عضد الدولة  
بإساءةٍ مثلها . ولذلك لما سمع عضد الدولة :

« وأنى وفيتُ ، وأنى أُيئتُ ، وأنى عتوتُ على من عتا »

عرف مراد المتنبي فقال : « هوناً .... يتهددنا المتنبي !! » .

...

ويبين أن هذا اللقاء الأول ، وضع بين أوى الطيب وعضد الدولة أسباب الحذر  
والاحتراس ، فكان أحدهما يتملق الآخر خوف البغى والعدوان . ولا شك أن عضد  
الدولة كان يعلم من أمر هذا الداهية السياسى ، أوى الطيب ، كثيراً ، وكان يُرصد عليه  
العيون والرقباء .... على أن أمر أوى الطيب ، كان / بيناً ، فإنه حين حضر سباط عضد  
الدولة بعد أيام من مقدّمه عليه ، أنشده قصيدته التى أولها ، [ سنة ٣٥٤ ] :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيْباً فِي الْمَعَانِي      بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ  
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا      غَرِيبُ الْوَجْهِ ، وَالْيَدِ ، وَاللِّسَانِ  
مَلَاعِبُ جَنَّةٍ ، لَوْ سَارَ فِيهَا      سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ

فهذا هجاء بين لأرض فارس وأهلها . فقد زعم أن سليمان عليه السلام - الذى  
عُلم منطق الجنّ والطير والحشرات والبهائم = لو دَخَلَ أَرْضَهُمْ لاحتاج إلى ترجمان ،  
فأخرجَهُمْ بذلك من منزلة من ذكرنا وجعلهم دونهم ! وأتته = من هوانهم على الله ، وقتلهم  
في الأرض = لم يُعلم الله سليمان لسائهم ، وليس يخفى هذا على مثل عضد الدولة .  
ولم يكتف أبو الطيب بذلك ، بل أتبع هذا قوله بعد :

إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْوُرُقَ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُ الْقِيَانِ  
( وَمَنْ بِالشَّعْبِ ، أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ - إِذَا غَنَى وَنَاح - إِلَى الْبَيَانِ )

فَتَمَّ المعنى وأبان مقصده من الأبيات الأولى ، إذ جعلهم أقل منزلة من الطير في البيان والإفصاح . ولم يكتف أيضاً بهذا ، بل أراد أن يُعْلِمَ عَضُدُ الدولة ، أن هذه البلاد ليست مكانه الذى يرتاح إليه ، وليست بالأرض التى تحرّصُ عليه أو يحرصُ عليها ، وأنه غريبٌ عنهم ، وأن مدحه لهم ليس شيئاً ، وأنه عربىٌ ليس بأعجمى يميل إليهم أو يكون له شأنٌ بينهم ، فقال :

وَلَكِنَّ ( الْفَتَى الْعَرَبِيَّ ) فِيهَا ( غَرِيبُ الْوَجْهِ ، وَالْيَدِ ، وَاللِّسَانِ )

فَكُلُّ ما قال أبو الطيب في مديح هذا الديلمي ( عضد الدولة ) ليس / من قلبه ولا من نفسه . وشعره بين الدلالة على أن الرجل كان يقول مُتَكَلِّفاً بعد أن أخرج بمقدمه عليه . وقد فَطَنَ عضد الدولة إلى كُلِّ هذا ، فقد كان أديباً شاعراً جيد القريحة ، وقال :

« إن المتنبى كان جَيِّدَ شِعْرِهِ بِالْعَرَبِ » ( يعنى غرب فارس ) ، ويُشير بذلك إلى عدوّه سيف الدولة خاصة . وبلغت المتنبى مقالة عضد الدولة فقال : « الشَّعْرُ عَلَى قَدَرِ الْبَقَاعِ » .... وهذا تصريح بليغ ، ولا شك أن عضد الدولة أخبر بقول المتنبى هذا .

ولم يكن كل ذلك مما يمنَعُ هذا الملك المدبّر عَضُدُ الدولة الديلمي = الذى وَصَلَ بدهائه وسياسته وحُسْنِ تدبيره أن كان أوَّلَ من حُوطِبَ بِالْمَلِكِ فى الإسلام ، وأوَّلَ مَنْ حُطِبَ لَهُ على المنابر بعد الخليفة = من أن يكسُو أبا الطيب من نعمته ، ويُغْرِقَهُ بِنَدَاهُ وكرمه . فإنهم يروون أنه حين أنشده : « مغانى الشعب .... » ، حمل إليه من أنواع الطيب فى الأردية والأمان ، من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد إليه فرسه الملقب بالمَجْرُوح = وكان قد اشترى له بخمسين ألف شاة = وبدرّة دراهمها عَدْلِيَّة ، ورداء حَشَوُهُ دِيْبَاجٌ رُومِيٌّ مَفْصَلٌ ، وعمامة قُومَتْ بخمسمئة دينار ، ونَصْلاً هنديةً مرصّع النجاد والجفّن بالذهب .

هذا ، .... وقد كان الجمال الطبيعي ، الذى مَسَحَ الله به بلاد فارس ، ممَّا أراح  
نفس أى الطيب وأراح همَّها قليلاً ، فكان شعره الذى مدح به عَضُدُ الدولة مقارباً ليس  
فيه اضطرابٌ بينٌ ، أو أثَّرَ ظاهرٌ من داءِ قلبه ، إلَّا فى أبيات قلائل . ولم يظهر فى شعره  
ذلك ، لأنَّ مُدَّةَ إقامته هناك كانت قليلة ، فإنه بقى بشيراز على الأرجح من أواخر ربيع  
الآخر إلى أول شعبان من سنة ٣٥٤ .

/ ولكن ظهر همُّ أى الطيب واستعلن ، وعادت إليه ذكرى « خولة » وموتها ، وذكرُ  
آماله ومغامرته وجراته ، حين توفيت عمَّة عضد الدولة ، فرثاها بقصيدة ليس فيها شيءٌ  
إلَّا هذه الأبيات ، [ سنة : ٣٥٤ ] :

لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعَ عَنْ جَنْبِهِ	لَا بَدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ
وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ	يَنْسَى بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ ،
نَعَافُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شَرِّهِ !!	نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى ... ، فما بالنا
عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ !!	تَبْخُلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا
وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ ثَرِّهِ !!	فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهِ ،
حُسْنُ الَّذِي يَسْبِيهِ ، لَمْ يَسْبِهِ (	( لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى
فَشَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ	لَمْ يَرُقُّ الشَّمْسُ فِي شَرْقِهِ ،
مِيتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ	يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ ،
وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ	وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ ،
كَغَايَةِ الْمُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ	وَغَايَةِ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ ،
فَوَادَهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ	فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ

ففى هذه أثرٌ بين لتفكيرِ أى الطيب فى الموت ، بعد الذى لَقِيَ من فقد  
« خولة » ، كما بيناه فى مواضع .

...



لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجَعَةٍ  
لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعُ عَنْ جَنْبِهِ  
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى ، فَمَا بَالُنَا  
نَعَا فَمَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ !!  
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ  
مَيِّتَةً جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ  
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمْرِهِ  
وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ  
وَنَغَايَةَ الْمُفْرِطِ فِي سِلْمِهِ  
كَغَايَةِ الْمُفْرِطِ فِي حَرْبِهِ  
فَلَا قَضَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ  
فُوَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ

/ أشرنا قبل إلى أن الرجلين ( أبا الطيب وعضد الدولة ) ، كانا يتخادعان ، وأنهما  
كانا في الباطن عدوين لا يأمن أحدهما جانب صاحبه ولا غدرته ولا سوء المنقلب . ويُبين  
لك عن هذا أن أبا الطيب مع إكرام عضد الدولة له ، كما رأيت ، لم يستطع القرار بأرض  
فارس أكثر من ثلاثة أشهر ، ولولا ما أشرنا إليه لاستطاب أبو الطيب المكان الذي وجد  
فيه غاية الإكرام ، والمال الكثير المبدول ، والعطايا السابغة الكريمة . وهو مع ذلك دليل  
على أن أبا الطيب ليس من الطمع والحرص على المال بالمنزلة التي يذكرونها بها ، / ويتابعهم  
عليها كثير من الذين نصبوا أنفسهم للكتابة عن الرجل والترجمة له من المحدثين .....  
وقضية هذه العداوة بين أبي الطيب وبنو بويه الدَّيْلَمِيِّين قضية مُعَقَّدة طويلة ، ولها  
في التاريخ الإسلامي والعربي أسباب ممتدة . ونحن نختصرها هنا ونجعلها في وجهين قريين :

فالأوّل منهما : ما عُرف عن أبي الطيب من بغضاء الأعاجم على ما فصلناه في مواضع .

والآخر : هو المسألة السياسية المتصلة بالخلافة العباسية ، والدعوة العلوية ، والدعوة الفاطمية والدعوة القرمطية ... وهذه هي أكبر مشاكل التاريخ الإسلامي ، وخاصة في هذا العصر الذي كان المتنبي أحد رجاله الأفاضل .

كان العلويون يريدون إخراج سلطان الخلافة من يد العباسيين إلى أيديهم ، وقد تمكنوا بالدعوة التي قام بها الدعاة العلويون أن يحزموا أمرهم ، ويجمعوا إليهم رؤوس الدولة فيكونوا من شيعتهم . وكان من شيعة العلويين ، ممن نذكرهم هنا ، بنو بويه الديلميون ، وبنو حمدان العرب التغلبيون . ثم غلبت على بنى بويه الدعوة الفاطمية فصاروا من العاملين عليها في المشرق ، واستعصى على هذه الدعوة بنو حمدان . وكانت سياسة بنى بويه علوية أعجمية ، وكانت سياسة بنى حمدان علوية عربية . فاشتعلت البغضاء بينهما ، ثم زاد العداوة وضراً وضراً ما كان من استجابة بنى بويه للدعوة الفاطمية ، واستعصاء بنى حمدان عليها ومناوأتهم إياها في الشام والموصل . وكان بنو بويه يعلمون أن بنى حمدان قد أدركوا خفايا السياسة الدبلوماسية الأعجمية المظاهرة للدعوة الفاطمية ، / وأنهم يعملون على نقضها . وكان دليل ذلك عندهم مناصرة بنى حمدان ٢٨٥ للخلافة العباسية ، مع أنهم من رؤوس شيعة العلويين مذهباً وعملاً ، وقد علم بنو بويه أن هذه المناصرة إنما يراد بها إزاحة بنى بويه عن مواضعهم من العراق ، وإبعادهم عن مقر الخلافة .

فلما كان ما كان من أمر سيف الدولة وظهور سلطانه بالشام ، ووقوفهم على نيته في اتخاذ العدة واستجلاب العدد ، وتهية أمره لفتح العراق ، على ما ذكرناه ، استحرّت العداوة بين هؤلاء وهؤلاء ، وخاصة سيف الدولة ، وهو رأس بنى حمدان ، وأصلبهم عوداً ، وأشدّهم مراساً ، وأقدرهم رأياً ، وأحزمهم دهاءً ، وأبعدهم نظراً ، وأمضاهم عزيمة وهماً . وكان من آثار ذلك ما أشرنا إليه قبل في سبب حروب الروم وسيف الدولة .



وكان أبو الطيب ، كما علمت ، من المقرئين لدى سيف الدولة ، ولم يكن بنو بويه ليخطفوا معرفة الرجل ومذهبه في السياسة ، وأن هذا المذهب هو مذهب سيف الدولة ، فلذلك حذره عضد الدولة على ما رأيت ، وبقي له ( عدواً مداجياً ) . وقد كان أبو الطيب ، فيما ذهبنا إليه ، علوياً منكوباً في نسبه ، فليس بمستغرب أن يُراد به ، من قبل العلويين ، ما أريد به من قبل وهو بطبرية سنة ٣٣٦ ، حين أرصد له العلويون عبيدهم السودان ليقتلوه ، [ انظر ما سلف : ١٥٥ ، والتعليق : ١ ] فيكون من ذلك أن يسعى هؤلاء العلويون لدى عضد الدولة في إيذاء الرجل والنيل منه . وأيضاً ما كان الدعاة الفاطميون يريدونه به لما يعلمون من أمره أولاً ، وإنكاره نسبهم ، وقوله إنهم من « نسل اليهود » ، كما قدمنا في خبر نبوته ، إذ قال : [ انظر ما سلف : ٢١٥ ، ٢٢٧ - ٢٢٩ ] :

« فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَعْبَأَنَّ ( بِعَجَلِ الْيَهُودِ ) »

/ يريد ( بعجل اليهود ) أحد الدعاة الفاطميين . ولعل الذي جعل الفاطميين يكيّدون له ، سعاية الأسود الخصى كافور ، فإنه كان قد بذل أموالاً في طلب المتنبي حين مخرجه من مصر قبل هجائه له ، فلا عجب أن يبذل أكثر من ذلك بعد أن يبلغه الهجاء المفزع المفزع ، وما فيه من السخرية والتمثيل به كقوله :

( وَأَسْوَدُ ، .... مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ ) يُقَالُ لَهُ : أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى

وأبلغ من ذلك تحريضه أهل مصر على قتله والفتك به ، كقوله ، [ سنة ٣٤٩ ] :

أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمَا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتَّهْمُ  
فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِيْنُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقَدَمُ  
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْماً فِي الَّذِي زَعَمُوا

وقد كان كافور ، كما قدمنا ، على صلة بالفاطميين والعباسيين معاً ، يخادعهم ويداجيهم معاً ، فليس بعيداً أن يكون هو الذي حمل الفاطميين الذين بالعراق على الإِصْصَادِ لأبي الطيب ، وأن يكون بذل مالا كثيراً للانتقام منه .

والظاهر أن عَضُد الدولة كان قد علم بكل ذلك الذي يُكادُ به أبو الطيب ، ففضَّل أن يرفع يده عن دَمِهِ ، فأغْرَى بعضُ أتباعه بأن يُوقع في نفس أبي الطيب شيئاً من الخوف والرُّعب ، فيخفُّ أبو الطيب للرحلة عن شيراز ، ويتعد عن دياره ليلقى حتفه في مكانٍ آخر . ولذلك « استأذنه المتنبي في المسير عن شيراز ليقضى حوائج في نفسه ثم يعود إليه » . وكان هذا من ألى الطيب ضرباً من ضروب دهائه ومخادعته ، فلمَّا عزم الرحلة ، كان من دهاء عضد الدولة أن زاده كرامةً ليوثق في نفسه أنه مُصدِّقه ، « فأمر أن تُخلع عليه الخلع / الخاصة ، وتُعاد صِلَتُهُ بالمال الكثير » ، ويقيننا أن أبا الطيب حين وَجد ذلك ، من إكرام عضد الدولة له ، وكان قد بلغه طرفٌ من أخبار الكيد الذي يُكادُ به ، عَرَفَ ما يريده عضد الدولة وما يُراد به ، ولذلك أشار في آخر قصيدة مدحه بها = وهو مفارق له في أوَّل شعبان سنة ٣٥٤ = إشاراتٍ كثيرة ، منها قوله :

وَمَنْ يَظُنُّ ( نَشْرَ الْحَبِّ جُوداً ، وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشُّبَاكَ )

وهذا المَثَلُ ، هُوَ مَثَلٌ لما تراه قَبْلُ من أمر عضد الدولة . ثم انظرُ إلى يَأْسِ أبي الطيب وقد علم أنه قد أُحيطَ به ، وأنه مقتولٌ لا محالة .... إذ يقول :

« وَأَيُّ شَيْءٍ يَا طُرْقِي فَكُونِي ، أَذَاً ، أَوْ نَجَاةً ، أَوْ هَلَاكَا »

.....

« وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ ، يَعُودُ ، وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أَمْتَسَاكَ »

فلما فصل أبو الطيب من شيراز ووصل إلى دَيْرِ العَاقُولِ - وهي ضيعة بالعراق - اجتمعت عليه بنو أسدٍ وبنو ضَبَّةَ ، فقتلوه وقتلوا غلمانَه وقتلوا ولده محمداً . وقد قدمنا لك أنَّ سيفَ الدولة كان قد أوقع بعمر بن حابس من بني أسدٍ ، وبني ضَبَّةَ ، وبني رياح من بني تميم ، وذلك في سنة ٣٢١ ، وقد هجاهم أبو الطيب في مدحه لسيف الدولة في تلك السنة . وكان ذلك المدح وهذا الهجاء سبباً في أن أحفظ عليه هؤلاء القوم من بني أسدٍ وبنو ضَبَّةَ .... (١) قال أبو الطيب لسيف الدولة ، وذلك قديماً في سنة ٣٢١ :

(١) انظر ما سلف ص : ٢١٥ - ٢١٨ .

٢٨٨ / مَهْلًا أَلَا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَّا فِي «عَمْرُو حَابٍ» وَ «ضَبَّةِ الْأَعْتَامِ»  
يريد عمرو بن حابس من بنى أسد .

لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأَسِنَّةُ فِيهِمْ جَارَتْ ، وَهَنَّ يَجُزْنَ فِي الْأَحْكَامِ  
فَتَرَكْتُهُمْ خَلَلَ الْيُبُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُؤُسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ  
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ ، وَنَجُومُ بَيْضٍ فِي سَمَاءٍ قَتَامِ  
وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فَلَانٍ كُنْيَةً حَالَتْ ، فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَنِي أُسْدٍ وَبَنِي ضَبَّةٍ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنْ شِيعَةِ الْعُلُوِيْنَ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ كَانُوا  
قَدْ انْحَاذُوا إِلَى الْأَعَاجِمِ مَخْدُوعِينَ ، وَصَارُوا بَعْدُ مِنْ شِيعَةِ بَنِي بُيُوتِهِ الْفَاطِمِيِّينَ . وَلَيْسَ  
يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ كَافُورٌ هُوَ الَّذِي أَمَدَّهُمْ بِالْمَالِ لِيَقْتُلُوا الرَّجُلَ ، وَتَوَسَّطَ لَهُ فِي ذَلِكَ أَصْحَابُهُ  
مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوْ الْفَاطِمِيِّينَ .

هذا هو مختصر القول في مقتل أبي الطيب في ٢٧ رمضان من سنة ٣٥٤ . أما  
ما يروونه من السخف في حكاية مقتله بسبب القصيدة التي أولها :

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً وَأَمَّهُ الطَّرْطُوبَةَ  
وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا مَحَبَّةَ

..... إِلَى آخِرِ الْفَحْشِ الْقَبِيحِ الَّذِي وَرَدَ بِهَا ، فَلَنَا فِي نَقْدِهِ وَنَقْضِهِ وَجُوهٌ لَا نَطِيلُ  
الْقَوْلِ بِهَا هُنَا ، وَلَهَا مَوْضِعُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ كِتَابِنَا . وَأَيْضًا فَقَدْ وَرَدَ أَنْ سَبَبَ قَتْلَهُ : « أَنَّهُ  
لَمَّا وَرَدَ عَلَى عِضْدِ الدَّوْلَةِ وَمَدَحِهِ ، وَصَلَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَثَلَاثَةِ أَفْرَاسٍ مُسَرَّجَةٍ  
مُحَلَّلَةٍ بِالذَّهَبِ ، ثُمَّ دَسَّ لَهُ مِنْ يَسْأَلُهُ : أَيْنَ هَذَا الْعِطَاءُ مِنْ عِطَاءِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ؟ فَقَالَ  
أَبُو الطَّيِّبِ : « إِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ / كَانَ يُعْطَى طَبْعًا ، وَعِضْدُ الدَّوْلَةِ يُعْطَى تَطْبَعًا » .....  
فُبُلِّغَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَغَضِبَ . فَلَمَّا انْصَرَفَ مِنْ أَرْضِهِ ، جَهَّزَ إِلَيْهِ قَوْمًا مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ فَقَتَلُوهُ ،  
بَعْدَ أَنْ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ثُمَّ انْهَزَمَ ، فَقَالَ لَهُ غَلَامُهُ أَيْنَ قَوْلُكَ :

الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فقال : قَتَلْتَنِي قَتَلَكَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ..... » ، فمثل هذه الرواية لها تأويل وسيقاً فيما قدمناه لك .

...

وَرَجِمَ اللَّهُ أَبَا الطَّيِّبِ إِذْ يَقُولُ :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا ، فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعْنَا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُحُوبٍ  
تَمْلِكُهَا الْآتِي تَمْلِكُكَ سَالِبٌ ، وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ

وَأَنْتَ يَا أَبَا الطَّيِّبِ

فَدَتَكَ نُفُوسُ الْحَاسِدِينَ ، فَإِنَّهَا مُعَذَّبَةٌ فِي حَضْرَةٍ وَمَغِيبٍ  
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرِيبٍ

أبو فهر

محمود محمد شاكر

٣ شوال سنة ١٣٥٤

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥

قَضِيَّةُ الْمُتَّبَعِ  
وَأَرْبَعُ تَرَاجِمٍ لَمْ تُنْشَرِ



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه ونعمه ، والصلاة والسلام على صفوته من خلقه محمد رسول الله ، وعلى أبويننا إبراهيم وإسماعيل ، وعلى سائر رُسُلِهِ إلى عباده .

وبعد ، فهذا ما كنت كُتِبْتُه قديماً في صحيفة « البلاغ » بعنوان « بينى وبين طه » ، وكان غرضى أن أكشف الحقيقة التى انطوى عليها كتاب الدكتور طه حسين « مع المتنبي » . كُتِبْتُها يومئذ والدكتور طه حسين حىُّ بعد ، يستطيع أن يردنى إن جُرْتُ عن الحق ، أمّا اليوم فأنا أعيدُ نشرها بعد أن فارقنا ، غفر الله لنا وله ، ويستقبلها جيلٌ لم يشهد تلك الأيام ، وهى عنده خيرٌ من الأخبار . ولم أنشرها على ما كُتِبْتُ عليه يومئذ ، إلا لأنها أصبحت تاريخاً يُروى ، ولأنها تتضمن تفصيلاً كثيراً عن أشياء ذكرتها فى كتابى ، يبين بها الفرق بين منهجى فى دراسة الشعر والشعراء ، وبين منهج غيرى ممن كتب سيرهم ، أو فسر شعرهم ، كما أشرت إليه فى المقدمة الأولى . ثم ضمنتُ إليها ما كُتِبْتُه فى مجلة « الرسالة » يومئذ عن « نبوة المتنبي » ، وردّ أخى وصديقى الأستاذ الجليل سعيد الأفغانى إلى أن انقطع القول بينى وبينه ، / لأنه أيضاً رواية تاريخ ، وإبانة عن منهج . ثم لم أثبت شيئاً مما كُتِبَ عن كتابى هذا مما فيه ثناءٌ عليه ، لقلة انتفاع هذا الجيل به ، إلا كلمة واحدة أثبتتها ، لا لما فيها من ثناء ، بل لأن صاحبها كان أستاذى وصديقى ، ولأن وفاته كانت أحد الأسباب الداعية إلى ترك الاستمرار فى نقد كتاب الدكتور طه ، رحم الله الراحل ، وغفر له ولنا جميعاً .

ثم ألحقت بهذا التاريخ أربع تراجم للمتنبي لم تُنشر ، لأن الكتب التى نُقِلَتْ عنها لم تزل مخطوطة ، ولأن فيها شيئاً جديداً كثيراً عنه ، لم يقع لى ولا لأحد قبلى . وقد بينتُ

أَمَرَ أَوْلَاهُنَّ فِي مَقْدَمَةِ هَذِهِ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ ، وَأَمَّا التَّرَاجِمُ الثَّلَاثُ الْأُخْرَى ، فَقَدْ بَيَّنْتُ أَمْرَهُنَّ فِي مَقْدَمَةِ الطَّبْعَةِ السَّابِقَةِ . وَكَانَ الْفَضْلُ كُلُّ الْفَضْلِ فِي الْوُقُوفِ عَلَى هَذِهِ التَّرَاجِمِ الثَّلَاثِ الْأُخْرَى ، مُصْرُوفًا إِلَى أَخِي وَصَدِيقِي الْأُسْتَاذِ الْجَلِيلِ أَحْمَدِ رَاتِبِ الْنِفَاحِ ، عَضْوِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَمَشَقٍ ، نَقَلَ بَعْضَهَا قَدِيمًا بِخَطِّهِ ، وَصَوَّرَ لِي بَعْضَهَا . وَشَكَرِي لَهُ لَا يَنْفِي بِقَلِيلِ كَرَمِهِ ، فَكَيْفَ بِالكَثِيرِ الَّذِي غَمَرَنِي بِهِ آسِيًا وَمُوَاسِيًا فِي كُلِّ ضَرَاءٍ لِحَقَّتَنِي ، أَوْ آتِيًا وَمَوَاتِيًا فِي كُلِّ سَرَاءٍ زَادَهَا بِهِجَةً إِسْرَاعُهُ إِلَيَّ وَهُوَ أَنَا ، وَأَنَا هُوَ ؟ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ وَنَفَعَ بِهِ .

مصر الجديدة :

٣ شارع الشيخ حسين المرصفي

السبت : ١٥ رجب ١٣٩٧

٢ يولييه ١٩٧٧

محمود محمد شاكر



بینی وین طه



\*\*\*\*\*

إِنَّمَا أَنفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سِبَاعُ  
يَقْفَارُ سَنَ جَهْرَةً وَأَغْتِيَالاً  
مَنْ أَطَاقَ الْيَمَاسَ شَيْءٌ غِلَاباً  
وَأَغْتَصَاباً لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤلاً  
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى  
أَنْ يَكُونَ الْغَضَنَفَرُ الرَّبَّالاً

\*\*\*\*\*

/ نشر الأستاذ الجليل ، عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية ، الدكتور طه ١١/٢  
حسين بك كتاباً سَمَّاهُ « مع المتنبي » ، ولدته المطبعة وفيه سبعة عشر صفحة وإحدى عشرة  
صفحة ، كلها جيد النسخ ، جميل الرونق ، لو تمنى عالم عَرَبٌ لَأَلْقَى في أمنيته أن يكون  
له بعدادها ولَّد يحملون عنه العلم من جيل إلى جيل .

وقد عشت مع المتنبي زمناً يطول أو يقصر ، كما عاش معه الدكتور الجليل ،  
وكتبت عنه كتاباً متواضعاً في مئة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، نشره المقتطف في  
أول شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، لذكرى ألف سنة مضت على مقتل أبي الطيب ، كما كتب  
عنه الدكتور الجليل كتاباً فخماً ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في شهر يناير سنة  
١٩٣٧ .

١٢/٢ فمن حق المتنبي على أن أقرأ ما كتب عنه الدكتور طه وغير / الدكتور طه ، كما  
أنه من حق نفسي على أن أضع التاريخ في موضعه الذي أرخته به دورة الفلك ، فإن  
التاريخ لا يصلح معه الأدب الذي أدبنا به الله تعالى في قوله : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ

(\*) نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ٢ من دى الحجة سنة ١٣٥٥/١٣ من فبراير سنة ١٩٣٧ .

لَكُمْ تَفْسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ آتَشْرُوا فَأَنْشَرُوا فَأَنْشَرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ( سورة المائدة : ١١٢ ) ، فوالله إنا لنفسح للدكتور الجليل في مجالسنا حتى يبلغ الغاية التي هو لها أهل ، وعلى وُدنا أن نفسح له في التاريخ أيضاً .... لولا أن التاريخ « يحتج بشدة » .

فبيني وبين الدكتور الجليل أمران جليان أيضاً : أولهما ما يقوله هو عن المتنبي ، وآخر الأمرين ما يقوله كتابي الذي نشر في يناير سنة ١٩٣٦ ، وكتابه الذي نشر في يناير سنة ١٩٣٧ . ففي أولهما حديث رويناه : « أن إبراهيم النظم المعتزلي قال لرجل : أتعرف فلاناً المجوسى ؟ قال : أجل ، أعرفه ، ذاك الذى يخلق وسط رأسه مثل اليهود . فقال النظام : لا مجوسياً عرفت ، ولا يهودياً وصفت » = ( والنصارى لا اليهود هم الذين يخلقون وسط رؤوسهم ) = وفي آخرهما خبران رويناهما ، أحدهما عن الرياشي فيقول : كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء ، فمر يوماً بالشمرذل وهو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله :

وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعاً وَطَاعَةً وَبَيْنَ تَمِيمٍ ، غَيْرَ حَزِّ الْغَلَاصِمِ

فقال له الفرزدق : والله يا شمرذل ، لتتركن هذا البيت أو لتتركن / عَرْضَكَ ! ( يتوعده بالهجاء ) . فقال الشمرذل : خُذْهُ عَلَى كُرْهِ مَتْنِي يَا أَبَا فِرَاس ! فهو اليوم في قصيدته :

\* تَحْنُ بِزَوْرَاءِ الْمَدِينَةِ نَاقَتِي \*

قال الرياشي : وكان الفرزدق يقول :

« خَيْرُ السَّرْقَةِ مَا لَا يَجِبُ فِيهِ الْقَطْعُ »

يريد سرقة الشعر ، لا يجب فيها قطع يد السارق .

= والخبر الآخر عن الضحّاك الفُقَيْمِيّ قال : « بينا أنا بكازمة ، وذو الرُّمّة ينشد قصيدته التي يقول فيها :

أَجِينَ أَعَاذَتْ بِي تَمِيمٌ نِسَاءَهَا وَجُرْدَتْ تُجْرِيدَ اليماني من الغمْدِ

إذ راكبان قد تَدَلَّيا من نَعْفِ كاظمة ، متَقَنَّعان ، فوقفا ، فلما وقف ذو الرُّمَّة ،  
حَسَرَ الفرزدق عن وجهه وقال : يا عُبَيْد ( وهو الراكب الآخر وراوية الفرزدق ) ،  
أَضْمُمُهَا إِلَيْكَ . فقال ذو الرُّمَّة : نَشَدْتُكَ الله يا أبا فِرَاس ! فقال الفرزدق : دع ذا عَنكَ .  
فانتحلها الفرزدق في قصيدته ، وهي أربعة أبيات » .

والفرزدق كان فحلاً قَطِماً من فحول الشعر ، كان ينفُض الشعراء بلسانه نفُض  
النَّداف ضريبة القطن ، فلا عجب أن يكون مهيباً تخافه الشعراء ، وتَقْنَى شَبَاة لسانه  
بالعفو له عن بعض ما يُغَيِّر عليه من جيد شعرهم وبضائع أفكارهم . فهذا أدب الشاعر  
اللص أى فراس ، لم يُرَوْ عنه أنه أغار على / شعر أحد من شعراء عصره في غيبة صاحبه ،  
وإنما كان مذهبه في اللصوصية أن ينحطَّ على صاحب الشعر كالصَّقْر لا يبالى ، أن  
يستلبه ما شاء اغتصاباً في مشهده ، على الرضى أو على الغضب ، وعلانية غير  
مستخف بريية ، ولا مُهادِنٍ بحيلة ، ثم لا يأخذه حين يأخذه إلا كما هو بنصّه  
لا يغيره ولا يبدِّله ولا يُسْقِط منه ، ولا يأخذ بعض المعنى ويدع سائر . إن الفرزدق  
شاعر بليغ قد أَوَى حظاً من الشعر سَجَدَ له الأخطل حين سمع إنشاده ، وشهد له  
جرير بالعلو ، وتساقط دونه الشعراء تساقط الجياد دون الغاية ، أتظن الفرزدق = هذا  
اللص = كان يَزَعُه شيء عن أن يعمد إلى المعنى الذى أراداه الشمردل أو ذو الرمة ،  
فيأخذه فيضعه في أى اللفظ شاء ؟ أَوْرأيته إن فعل ، كان يعجز عن تجويد المعنى  
وتحسين اللفظ وإبداع القافية ؟

إن الفرزدق لخليق أن يفعل فيُخْفى مأخذه وسرقته ، فيجود الشعر ، فيزيد في  
بيانه ، فلا يعرف النقاد من أين أخذ ولا كيف سرق ، فيبرأ من صعلكة الشعراء  
وغاراتهم وسرقاتهم . ولكن هذا أدب الفرزدق ، وهو أدب الإغارة والسطو وانتهاج  
أقوال الشعراء من جيد القوافي .

ولكنّ آتني عشر قرناً قد دارت على آداب الناس دورة الرّحى ، فطحنت أدباً كثيراً وذرتّه في الهواء ، فكان مما طحنت وذرت أدب جَمّ بعضه « أدب الإغارة والسطو » ، وهو أدب لا يقوم به ولا يعتمد على أصله ، إلا أصل في النفس قوى مستحكم متأسك عزيز يأنف الدّنية ، ويأبى الحفّة ، ويتهجم حين يتهجم مُقدماً حاسراً متدفّعاً كأنه قبلة تنطلق ....

\*\*\*

/ وبعد ، فإن الأول قال : « مَنْ يمدح العروسَ إلا أهلها » ، فأنا أعوذ بالله من أن أكون كأهل العروس ، ما يعرفون من نعت حسن إلا نعتوها به ، وإن كانت شوهاء مدبرة ، وأعوذ بالله من شر النفس وما تأمر به وتتولّج فيه وما تنزّو إليه ، وأعوذ بالله من أن أكون ذليلاً ضرعاً لا يدفع عن نفسه ولا يحمي حماه .

١٥/٢

هذا ما أقدمه بين يدي نقد كتاب الأستاذ الجليل ( عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية ) الدكتور طه حسين بك ، الذى سماه فيما يسمى « مع المتنبي » . وعلى للقارئ أن لا أُخلّ بما أختصره له من أبواب هذا الكتاب وفصوله ، ولى على القارئ أن يتابع النقد ، ويفصل بينى وبين الدكتور الجليل ، فما كان من مالى فهو لى وإن جحدّه الجاحد ، وما كان للدكتور فأنا أدعه له طيب النفس ، وأسأل الله أن تَقَرَّ به عينُ الدكتور .

\*\*\*

قسم الدكتور الجليل عميد الأدب العربي كتابه إلى خمسة كتب ، فالكتاب الأول فى صِبا المتنبي وشبابه ، والفصل الأول من هذا الكتاب كالمقدمة يقول فى ص ٦ : « لا أريد أن أدرُس المتنبي إذن ، فالذين يقرأون هذه الفصول لا ينبغي لهم أن يقرأوها على أنها علم ، ولا على أنها نقد ، ولا ينبغي أن ينتظروا منها ، ما ينتظرون من كتب العلم

والنقد ، وإنما هي خواطر مرسلّة تثيرها في نفسى قراءة المتنبي .... قراءة المتنبي من غير نظام ولا مواظبة ، وعلى غير نسق منسجم ..... » . ثم يقول في ص ٧ : « وقل ما تشاء في هذا الكلام الذى تقرؤه : قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، / وقل إنه كلام يَهْدِي به صاحبه هدياناً ، قل إنه كلام يصدر عن رأى وأناة ، وقل إنه كلام يصدر عن شذوذ وجموح ، فأنت محق في هذا كله ، لأننى مرسل نفسى على سجيّتها » .

هذا مختصر الفصل الأول من ص ٣ إلى ٨ ، ونحن لا نعلق عليه بشئ إلى حين ، ومن شاء فليقرأه كله ، فإنه بيان بليغ معجز ، وفن رفيع لا يعرفه ولا يجيده ولا يتأتّى له وإن ركب إليه كل مركّب ، إلا الدكتور الجليل طه حسين بك !

أما الفصل الثانى والثالث من الكتاب فهما في نسب المتنبي ، من ص ٩ إلى ص ٣٤ . وقد أراد الدكتور بهذين الفصلين أن يخلص إلى القول بأن « مولد المتنبي كان شاذاً ، وأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به في سيرته كلها » ص : ٤٤ . فلذلك زعم الدكتور أنه يشك في نسب أئى الطيب ، وأنه يتوقف في القطع برأى في صحة ما يرويه الرواة من نسبه . وسيجد القارئ من طرافة ما يقول الدكتور طه حسين لذة لا تعدلها لذة النكتة المصرية البارة من رجل همّه أن يكون حاضر البديهة ، سريعاً إلى تصوير فنه العبرى في ألفاظ تهكم .... يقول الدكتور :

« قد تعودّ الناس أن يؤمنوا بأن المتنبي رجل خالص النسب ينتهى من قبل أبيه إلى جُغفَيّ ، ومن قبل أمه إلى همدان » ، ولكن « ديوانه لا يثبت ذلك ولا يؤكد ، بل لا يسجله ولا يذكره » ، بل « لعل ديوانه ينفيه نفيّاً هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح » ص : ٩ . « فالمتنبي لم يمدح / أباه !! ولم يفخر به !! ولم يرّثه !! ولم يظهر الحزن عليه حين مات » ص : ٩ أيضاً . ثم إن المتنبي « كان يؤثر أن ينتسب إلى السيف والرمح وإلى الحرب والبأس على أن ينتسب إلى هذا الرجل الطيب !! الذى سماه المؤرخون الحسين » . وأكثر من ذلك ، فقد اختلف المؤرخون في جده : « ولم يجمعوا على الاسم الذى يلصقونه به » ص : ١٠ . والمؤرخون يزعمون « أنهم كانوا يعرفون عن ( والد المتنبي )

شيئاً يسيراً جداً ، كانوا يزعمون أن أبا المتنبي كان سقّاء في الكوفة » ص : ١١ ، ولعلهم لم يقصدوا بذلك إلا أحد أمرين : « الرفع من شأن المتنبي أو الوضع من قدره .... فكأنهم إذن لم يعرفوا من أمر أبى المتنبي إلا مثل ما عرفوا من أمر جدّه ، أى لم يعرفوا شيئاً » ص : ١٢ . إذن ، « أكان المتنبي يعرف أباه ؟ قال المؤرخون نعم ، ولم يقل المتنبي شيئاً » ص : ٩ ، وقد « اتّهم المتنبي في نسبه ، وسئل عن أبيه وجده فلم يستطع ، أو لم يرد أن يجيب سائليه ، وآثر أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس » ص : ١٧ ، وقال في جواب سائليه :

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْـ	بَاحِثٍ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ	مَنْ تَفَرُّوهُ وَأَتَقِدُوا حِيلَهُ
فَخَرًّا لِعَضْبِ أَرْوَحٍ مُشْتَمِلَةٍ	وَسَمَهَرِيَّ أَرْوَحٍ مُعْتَقِلَةٍ
وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ لَهُ	مُرْتَدِيًّا خَيْرُهُ وَمُنْتَعِلُهُ
أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ الْـ	أَقْدَارَ ، وَالْمَرْءَ حَيْثُمَا جَعَلَهُ
إِنْ الْكَذَابَ الَّذِي أَكَاذُ بِهِ	أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ

/ ويقول في آخر هذه الأبيات :

١٨/٢

وَرَبِّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ ، مَعِي	مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أَكَلَهُ
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ ،	وَالدُّرُّ دُرٌّ بَرِّغَمٍ مَنْ جَهَلَهُ

والدكتور لا يحتاج أن يقف عند شيء من هذه القصيدة إلا شيئاً واحداً « هو هذا الكذاب الذى كان المتنبي يُكاد به عند أبى العشائر » = « أتراه يمسّ نسبه من قريب أو بعيد ؟ » ص : ١٦ . ثم يقول فى ص : ١٧ : « ليس فى ذلك من شك عندى » ، وهذه الأبيات « تصور ضعف المتنبي من ناحية نسبه أبلغ تصوير ولقواه .... » ص : ١٧ . هذا هو الفصل الثانى من كتاب الدكتور طه من ص : ٩ إلى ص : ١٧ مختصراً بتوسع !!



إن الدكتور طه حسين رجل عبقرى ليس فى ذلك شك عندى ، فهو من قبل شكه فى نسب أبى الطيب قد استطاع أن يشك فى الشعر الجاهلى وفى أشياء كثيرة !! واستطاع أن يتغلب بتوفيق الله له على خصومه والمناوئين له ، واستطاع أن يقوم كالجليل لا يعمل فيه السيف عمل السيف ، ويعمل هو فى السيف عمل الجبل فى تثليمه وتحطيمه وتكسيه ، ورجع السيف عودَه على بدنه ، حديدَةً لا تنفع ولا تقطع !!

ولكن هل يستطيع الدكتور الجليل ، أو كتابه الأجل أن يجيبنى : لماذا شك الدكتور طه حسين فى نسب أبى الطيب ؟ وما هى الأسباب التى دفعته إلى هذا الشك ؟ أما الدكتور الجليل فأكبر الظن فيه أنه يترفع ، على عادته ، عن الإجابة ، فهو رجل عبقرى ، والعبقرى لا يقال له « لماذا ؟ » . / فإذا قيل له : « لماذا » ؟ رَوَى وجهه ١٩/٢ وانصرف ، وترك سائله لصخرة الأعشى التى ذكرها فى لاميته المشهورة . وأما كتابه الأجل فهو أطوع لسائله وأسرع إلى جوابه .

سألت كتاب الدكتور : « لماذا شك صاحبك فى نسب أبى الطيب ؟ » فقال : « لا أدري والله .... » ... كذا !! إذن فما هى الأسباب التى دفعته إلى ما يظهر من الشك ؟ فقال الكتاب : « إن الدكتور يزعم أنك إذا قرأت ديوان أبى الطيب مستأنياً متمهلاً ، لا تجد فيه ذكراً لأبيه ، ص : ٩ ، وأنتك تجده لم يمدحه ، ولم يفخر به ، ولم يرثه ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات » ، ص : ٩ ، وهذا كافٍ فى تشكيك العلماء فى نسب أبى الطيب ، وهو كافٍ فى اليقين بأن المتنبى لم يعرف أباه .

هذه هى الأسباب التى دفعت الدكتور الجليل طه حسين بك عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية إلى الشك فى نسب المتنبى ، فمن حق المتنبى علينا أن ننظر فيها ، أهى مما يحمل على الشك فى نسب رجل لم يشك فى نسبه الذى رواه المؤرخون أحد ، من يوم أن روى ذلك النسب إلى اليوم السادس من شهر شوال سنة ١٣٥٤ ، والأول من شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وهو يوم صدر كتابى عن المتنبى !

ألا فليحدثنا الدكتور طه ، أليكون لازماً على كل شاعر أن يمدح أباه ، وأن يفخر به ، وأن يرثيه ، وأن يظهر الحزن عليه حين يموت ؟ فإن لم يفعل الشاعر ذلك ، فهو شاعر : « لا يعرف أباه » ! إني أجد من الشعراء من فخر بأبيه ، وقد كان ذلك في شعر كثير من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وعصر / بنى أمية أو بنى العباس ، ثم أجد فيهم كثيراً لا يُعدُّ كثرةً من لا يفخر بأبيه ولا ذكره في شعره ، أفكل هؤلاء لم يكن يعرف أباه ولا يثبت نسبه لضغفه وخسته ؟ وليحدثنا الدكتور الجليل عن شعراء العرب الذين رثوا آباءهم من الجاهلية إلى يومنا هذا ، وليحدثنا الدكتور الجليل عن هؤلاء الشعراء الذين أظهروا الحزن على آبائهم حين ماتوا ، وليرجع الدكتور إلى ما شاء من كتب الشعر ، وكتب الأدب ، فيجمع لنا أسماء الشعراء الذين رثوا آباءهم وحزنوا عليهم ، وليثبت أن هؤلاء كانوا من الأشراف ذوى الأنساب = وأن سائر الشعراء الذين لم يفعلوا مثل الذى فعلوا ، هم من السوقة الملقطين اللقطاء الذين لا يعرفون آباءهم ولا يثبتون أنسابهم ! إن الدكتور طه رجل ذكى صاحب حيلة ونَفَاز ، فرمى رأى الرأى فأراده ليتخذ رأياً ، فيختلق له الأسباب ، فيرى الأسباب لا تغنى فى الرأى ، وأن الاعتراض يأكلها سبباً سبباً ، فيحتال بجعل الاعتراض فى سياق قوله ، ويأتى به على وجهٍ ليجعله ظهيراً لرأيه . وهذا الذى نقوله ليس بزعم من عند أنفسنا ، بل هو ما ترى ...

رأى الدكتور طه أن إغفال الشاعر ذكر أبيه لا يدل على شيء البتة ، وأن الشعراء الذين لم يفخروا بآبائهم ، ليسوا أقل نسباً ولا أخطأ مغرِساً من الذين فاحروا ونافروا بآبائهم ، وأن التاريخ يحدثنا « أن أبا جرير الشاعر لم يكن شيئاً ، وأن جريراً أضاف إليه من الخلال والخصال والأخلاق ما لم يكن منه بسبب ، حتى غلب به الشعراء وقهر به الفحول ، ثم لم يمنعه ذلك من أن يظهره للناس كما هو ، ليثبت لهم أن شعره كان أكبر من غروره ، وأن / طبع أبيه قد خذله وأعياه فأنجدته شعره ، وأعانه على أن يخلقه خلقاً جديداً » ص : ١٢ . فهذا جرير « كان أبوه يشرب من ضرع العنز مخافة أن يُسمع صوتُ الحلب فيطلب منه لبن ، ففاخر به ثمانين شاعراً فغلبهم . فاخر جرير بهذا البخيل الكثر اللئيم

الفرزدق ، وأبوه غالب بن صعصعة ، وكان غالب من أجواد العرب المعروفين ، وكان جدّه كذلك ، وهو الذى مَنَعَ الوئيد فى الجاهليّة فلم يدع تيمماً تكد بناتها وسُمى : « مُخْبَى المَوَدَّات » . وعرف الدكتور ذلك فأراد أن يتأوّل على الوجه الذى يرضى به ، فزعم أن « شعر جرير غلبَ غُرُورَه » ، والله ما أدري ماذا يريد الدكتور طه بهذا الزعم وما فهمته ولن يفهمه أحد .... لقد عرف الدكتور الجليل أن المتنبى = وهو الشاعر الذى رمى شعراء عصره فأصماهم فغلبهم فذهب بأرزاقهم عند الأمراء = كان يستطيع أن يفعل ما فعل جرير ، وأن يفخر بأبيه السقاء ، على أنى فراس الحمدانى وغيره من أشرف الشعراء فى عصره ، وعرف أن كثيراً من الشعراء غير جرير قد فخروا بآبائهم على من كان أكرم منهم أباً وأماً ، فماذا يفعل الدكتور بعد ذلك ؟ إنها لمشكلة تلد مشاكل ! إذن ، فما الذى يضيره أن يقول : « أما المتنبى فلم يستطيع شعره أن يغلب غروره ( !! ) ، ولم يستطيع أن يضيف إلى أبيه ما ليس فيه ، ولم يستطيع أن يخلق أباه خلقاً ، ومن يدري ؟ لعل مصدر ذلك أن جريراً كان يعرف أباه فصوّره كما أراد لا كما كان ، وأن المتنبى لم يكن يعرف أباه فلم يستطيع أن يصوّره لا كما أراد ولا كما كان » ، وانتهى كلام الدكتور ص : ١٣ .

حقاً إن طه حسين بك رجل صاحب حيلة لا تفرغ ، وحقاً إن له فتناً قد / غلب ٢٢/٧ به أهل الفنون ، وحقاً إنه لعبقري ! هذا الدكتور يقول إن شعر جرير قد أعانه على أن يخلق أباه خلقاً جديداً ، ومعنى ذلك أن جريراً ، قد صوّر أباه صورة ليس بينها وبين الحقيقة سبب ولا نسب ، ومعنى ذلك أيضاً أن معرفته لأبيه لم تُغنِ فى هذا الخلق الجديد شيئاً ، لأنه التمس له من فنه الشعرى صورة متخيّلة زيّنها له شيطان شعره ، ولم تُعنه حقيقة أبيه لما فيها من لؤم وخسة وضّعة . فإذا كان المتنبى لا يعرف أباه كما يزعم ، فإن ذلك لا بأس به ، لأنه إذا أراد أن يصوّره فلن يرجع إلى حقيقته لينتزع منها الصورة ، كما أن جريراً لم يرجع إليها ، وإنما المرجع هنا إلى شيطان الشعر ، فهو وحده الذى « يخلق أباه خلقاً جديداً » ، كما خلق جرير أباه خلقاً جديداً . وجُهد المتنبى فى هذا أقل من جهد جرير ، فالمتنبى الذى لا يعرف أباه ولا يعرف حقيقته ، يتخيل ما يشاء من الآباء كأحسن الآباء ،

أما جرير « الذى يعرف أباه » ، فمن جُهِدِه أن يغالط نفسه ، وأن يغالط الناس الذين يعرفون أباه ، وأن يطمس صورة أبيه البخيل الكز اللئيم لئلا تتراءى له وهو ينقل الصورة الجديدة ، فتفسد عليه فنه . ثم على جرير أن يتخيل ما لم يكن من صورة الأبوة الكريمة المدحة التى يستطيع أن يغالب بها الشعراء ويفاخرهم ويظهر عليهم بها فى فخره ونفاره . لعل المسألة إذن أن الأمر فى جرير والمتنبى هو ما قال الشاعر :

إِنِّى وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَتْنَى وَشَيْطَانِى ذَكَرَ

فشیطان أبى الطیب كان أنثى ، ضعيف المنة قليل الخير ، يكذب صاحبه / فى طلب الخيال القوى للآباء ، وكان شیطان جریر ذكراً فحلاً قد امتلاً قوة ، لا يطلب خيلاً إلا أدركه وظفر به وغلب به الشعراء !!

٢٣/٢

إنى أشفق على الدكتور طه حسين بك من بدوات عبقريته ، [ فهى تصور له الأشياء كما يريد لها هو ، لا كما يجب أن تكون ] !! فيتورط فيحتال ، فتكون حيلته كالكدبة البلقاء لا تجد ما يسترها . أراد الدكتور أن يثبت فى أثناء هذا الفصل أن أبا الطيب « لا ينتسب إلى الرجال ، لأنه لا يريد أو لا يستطيع أن يجد فى الانتساب إلى الرجال غناء » ، ص : ٥١ ، وأن المتنبى هو الذى يأتى فى شعره بالدليل على ذلك ، فهو يقول :

أَنَا أَبْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا أَلِ سَبَاحِثَ ، وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ  
وَلِئَمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَقُوا حَيْلَهُ

« فالمتنبى كما ترى لا ينسب نفسه إلى أب كآباء الناس ، وإنما ينسب نفسه إلى متجزئ ، له بعضٌ يمتاز عن كله ، وبعضه هذا يفوق آباء الباحثين عن نسبه » ، ص :

. ١٥

لقد مضى على زمن وأنا أجد اللذة فى تتبع كتب الفكاهة ، فكان أعجب ما يعجبني منها المُحَالَات ، وهو الكلام الذى يأتى به الرجل تحسبه مستقيماً ، وهو محال لا يكون ولا يفهم على وجه من الوجوه . وأشهد أن فنّ الدكتور طه فى شرح هذا

الشعر أعجب إلى الآن من ذلك . كيف لا ؟ وهو عميد الأدب العربى بالجامعة المصرية ، وهو بعد ذلك إمام الأدباء / المجددين فى هذا العصر ! أيّما امرئ فى القراء ٢٤/٢ فهم شرح الدكتور الذى نقلناه ، فله عندنا ثلاث نسخ من كتابنا عن المتنبى من طبعته الثانية . أى شئ هذا الذى ينسب نفسه « إلى متجزئ بعضه يمتاز عن كله » ! وأنا أتولى تفهيم الدكتور معنى هذا الشعر ، فالمتنبى يقول : أنا ابن من ولده يفوق أبا الباحث ، ويعنى بذلك نفسه = هذا كل ما أراد المتنبى أن يقوله . (١) والذى أوهم الدكتور فأوقعه فمرغ كلامه فى هذا ( المتجزئ الذى له بعض يمتاز عن كله ) ، هو قول أئى الطيب [ بعضه ] فى البيت . ولعل حيلة الدكتور أو عبقريته تقول : فلماذا لم يقل : « أنا ابن من نجله ... » ؟ فلو قال المتنبى ذلك لما كان قوله : « والنجل بعض من نجله » يعطى من المعنى إلا أقله ، ولا يزيد فى كلام أئى الطيب شيئاً ، لأنها حقيقة معروفة ابتداءً . ولكن المتنبى أراد أن يقول للسائل :

إن الحقيقة المقررة هى أن الولد بعض الوالد ( أى جزء منه ) ، فإذا كان الولد ( وهو جزء ) يفوق أباك ( وهو كل ) ، فما ظنك ( بالكل ) الذى يكون ( جزؤه ) خيراً من ( كل أبيك ) ؟ ولذلك قال المتنبى ( بعضه ) ولم يقل ( نجله ) .

هذا هو المعنى على الصورة التى أظن أن الدكتور يفهم بها البيت ! وهذه المعادلة المنطقية لأبد وأن يتشابه طرفاها . فإذا كان والد / الباحث رجلاً ، فلا بد إذن من أن يكون ٢٥/٢ والد المتنبى رجلاً أيضاً . ولكن الدكتور طه يقول : « هو لا ينسب نفسه إلى رجل ، لأنه لا يحفل أو لا يريد أن يحفل بالانتساب إلى الرجال » ، ص : ١٥ . ويقول : « هو إذن لا ينتسب إلى الرجال ، إلخ » ص : ١٥ أيضاً ، « ولكن المتنبى كان يؤثر أن ينتسب إلى

(١) قول المتنبى : « أنا ابن من بعضه » مأخوذ من قول رسول الله ﷺ : « فاطمة بضعة منى ، فمن أغضبها أغضبني » أخرجه البخارى وغيره . و « البضعة » ، يفتح فسكون ، القطعة من كل شئ ، أى بعض الشئ .

الرمح والسيف .... على أن ينتسب إلى هذا الرجل الطيب الذى سماه المؤرخون الحسين » ، ص : ١٠ من هذا الكتاب الجليل !

هذا بعضٌ من خَلَطٍ كثير وقع فى الفصل الثانى فى الكتاب من ص : ٩ إلى ص : ١٧ . وهذا ، غير الأخطاء التى تدل على أن الدكتور صادق فيما يقول فى مقدمة كتابه ، أن هذه الفصول لا ينبغى أن تقرأ « على أنها علم ، ولا أنها نقد ، وإنما هى خواطر مرسلة ، تثيرها قراءة المتنبي فى غير نظام ولا مواظبة وعلى غير نَسَقٍ منسجم » ، ص : ٦ . فإذا كانت القراءة فى غير نظام ولا مواظبة على نَسَقٍ ، فالفهم إذن كذلك . وإذن فقد صدق الدكتور أيضاً ، وأدرك حقيقة ما يجب أن يشعر به قارئ كتابه إذ يقول : « قل ما تشاء فى هذا الكلام .... قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً .... فأنت محق فى هذا كله » ، ص : ٧ ، وصدق .

وميعادنا الأسبوع القادم لنظهر الدكتور على أخطائه ، ونُدلُّه على المواضع التى أخذها من كتابنا فى هذا الفصل ، وأفسدها على الناس ، لأنه أراد أن يحاكى ، فخذلته المحاكاة ، وأراد أن يقلدَ فخانه التقليد .

- ٢ -

/ رَغِبَ إلينا بعض بلغاء العربية ، وَمَنْ هُمُّهُ أَنْ يَحْقِ الحقَّ وَيُبْطِلَ الباطل ، وَأَنْ يَبْرَأَ ٢٦/٢  
الأدب من داء اللجلجة ، وَزَمَانَةُ الثَّرَثَةِ ، وَعِلَلُ التَّلْفِيقِ وَالتَّمْوِيهِ الَّتِي يُرْتَجَى بِهَا التَّلْبِيسُ  
عَلَى الْعُقَلَاءِ ، وَاسْتِمَالَةُ الدَّهْمَاءِ إِلَى فَاسِدِ الْآرَاءِ = أَنْ نَعْمَدَ إِلَى النِّقْدِ الَّذِي كَتَبْنَاهُ فِي بِلَاغِ  
السَّبْتِ الْمَاضِي ، وَالَّذِي كُنَّا عَلَى نِيَّةِ إِتْبَاعِهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَا بَعْدَهَا ، فَتَقَدَّمَ لَهُ كَلِمَةٌ فِي  
مَجْمَلٍ مَا نَنْقُدُهُ مِنْ كِتَابِ الدَّكْتُور طه حَسِينِ الَّذِي سَمَاهُ فِيمَا يُسَمَّى « مَعَ الْمُتَنَبِّئِ » ، وَأَنْ  
نُحَدِّدَ أَغْرَاضَ النِّقْدِ وَنُمَيِّزَ بَيْنَهَا ، وَنَفْصِلَ أَبْوَابَهَا ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي جَمْعِ الْمُؤْتَلَفَاتِ مِنْ أَبْوَابِ  
النِّقْدِ فِي نَسْقٍ مَفْصَّلٍ ، وَالمُتَشَابِهَاتِ مِنْ فَعَلَاتِ الدَّكْتُور فِي قَرْنٍ مُشْتَرَكٍ ، وَأَنْ نَجْعَلَ مِنْهَا  
عَلَى ذِكْرٍ مَا كَتَبَهُ النِّقَادُ وَالْأَدْبَاءُ وَالمُتَرَجِّمُونَ لِأَيِّ الطَّيِّبِ ، وَأَنْ نَشْرِكَهُمْ مَعَنَا فِي الْإِنْتِصَافِ  
مِنْ الدَّكْتُور طه ، فَإِنَّ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْ كِتَابٍ قَدْ فَرَّغَ النَّاسُ مِنْ قِرَاةِهِ فِي فَبْرَايِرِ سَنَةِ  
١٩٣٦ ، يَسْتَطِيعُ الْوَقِيعَةُ فِي كِتَابٍ لَمْ يَفْرُغَ النَّاسُ مِنْ قِرَاةِهِ بَعْدُ ، فَمَا بِالْكَ فِيمَا مَضَى  
عَلَيْهِ بَعْضُ الْعَامِ ، وَمَا مَضَى عَلَيْهِ أَعْوَامُ !

ولكنى أعتقد أن ليس شيء أشقَّ عَلَى الْقَارِئِ مِنْ أَنْ يَقْدِّمَ لَهُ النَّاقدُ بَيْنَ يَدَيِ  
نَقْدِهِ مَجْمَلٌ مَا يَتَعَطَّاهُ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْأَبْوَابِ وَالْفُصُولِ وَالْغَايَاتِ ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتْ  
أَغْرَاضُ النِّقْدِ تَتَنَاولُ فِيمَا تَتَنَاولُ كُلُّ الْأَصُولِ الَّتِي بُنِيَ / عَلَيْهَا الْكِتَابُ = وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ ٢٧/٢  
الْكِتَابُ مِنْ كُتُبِ الدَّكْتُور طه حَسِينِ بَلْ ، فَإِنَّ مَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ اضْطِرَابِ الْآرَاءِ  
وَتَخَالُفِهَا وَتَنَاقُضِهَا ، وَمَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الذُّيُولِ اللَّفْظِيَّةِ الْمَكْرُورَةِ الْمَعَادَةِ عَلَى غَيْرِ جَدْوَى  
وَلَا فَائِدَةٍ ، وَمَا يَنْزُو بِهِ مِنَ الْقَفَرَاتِ « الْأُولِيمِيَّةِ » الْمَحْكَمَةِ مِنْ فِكْرَةٍ إِلَى فِكْرَةٍ لَا تَتَصَلُّ بَيْنَهُمَا

صلة من المنطق ، ولا تربطها من رابطة إلا الألفاظ الدائرة التى توقع التشابه فى نفس القارئ إذا غفل ولم يتدبَّرها = كل ذلك يجعل اختصار الأغراض وتحديدَها أمراً عسيراً لا يُثمر ثمرة تكون كِفَاءً لما يلقاه فى سبيله من نَصَبِ الفكرة وعِلاجِ الرأى .

وأيضاً ، فإن جَمْعَ المؤتلفات ، وضَمَّ المتشابهات كُلاً إلى كُلِّ ، هو أشقُّ على القارئ ، وأخرى أن يحمله على سوء الظنِّ فيما نكتب ، وربما وقع أحد المتشابهين فى أول الكتاب والآخر فى أدباره ، فإذا عرضنا لنقدِهما معاً ، نُحِيلُ للقارئ أننا لم ننصف الدكتور طه ، إذ أخذنا جزءاً من كلامه فى باب من الأبواب وتركنا سائر الباب ، فلعل فى سائره ما يفسِّرُ ذلك أو يوجِّهه أو يحدد الرأى فيه ويقرِّبه إلى جهة الصواب ، وينزع بنا إلى جهة الخطأ والتحامل . ولو فعلنا ذلك لكانت المشقة أبلغ ، والجهد فى الحكم على النقد أشدَّ وأصعب ، فإن هذا المذهب فى القول يقتضى القارئ أن يُلمَّ ، وهو يقرأ ، بأطراف الكتاب كله على معنى الإحاطة ، مع التنبُّه السابق إلى الخطأ والتلبس والطُّفرة فى الكلام ، وأن يكون قد عرف مثلاً الذى عرفنا من وجه التأويل فى الفكرة أو الرأى أو المذهب . فهذا كما ترى لا يستطيعه قارئ النقد على الوجه المرضئ .

/ وأما أن نجعل كتب النقاد والكتّاب والأدباء الذين درسوا أبا الطيب ، وكتبوا عنه على ذُكْرِ منا حين نقد ، فسنحمل النفس عليه ، مع ما تعرف فيه من العَنَتِ حتى نبليغ رضا الأدباء والقراء . وفى الانتصاف لمن لم ينتصف لنفسه ، فضيلةُ الصُّدُق ، وشيعةُ العدل ، وحسن الجزاء عند الله وعند الناس .

\*\*\*

ولا بأس ، فهذه كلمة نُجمل فيها بعض أغراض النقد على سبيل العرض والتقديم ، لا على سبيل التحديد والبسط والإحاطة . فأوّل ذلك أننا اعتمدنا أن نكشف عن الطريقة التى انتهجها الدكتور طه فى كتابه وهو يترجم حياة أبى الطيب . فهل كان الدكتور مقلداً فى نهجه أم مبتدعاً ؟ وهل استطاع أن يسوق القول على النهج الذى



لا يختلف ، أم أعبى فاختلف واضطرب ؟ وهل أصاب فيها خيراً أم أخطأه الخير ، ولم يستحقب من ذلك إلا مَعَرَّةَ التقليد والمحاكاة ؟ والقول في هذا لا يكون مُدْرِكاً غايته من الإصابة والبيان إلا أن نفرغ من نقد أجزاء الكتاب جزءاً جزءاً ، وبعد أن نميز الفاسد من الصالح ، ونفصل بين المؤلف والمختلف ، والسليم وذى الآفة ، وما تسلم نسبته إلى الدكتور طه ، وما يُستلحق إلى نسب غير نسبه ، إلى آخر هذا الباب .

والثانية : أن نعرض الأخطاء التى ارتطم فيها الدكتور خطأً خطأً فى فصل فصل وكتاب كتاب ، ونبين فساد المذاهب وبطلان الحجج ، ونكشف عن ضعف الصلة بين الفكرة والفكرة ، ونحدد سوء الانتقال من مقدمة / لا تنتج النتيجة التى استولدها منها ، ٢٩/٢ وننصو عن كلامه الزينة التى سترته ، وما خوص فيه من شعر المتنبي فأفسد معناه وأخطأ فهمه .

وثالثة العلل ، أو ما يذهب قوم إلى تسميتها « مآخذ » ، ويذهب آخرون إلى تسميتها « سرقات » ، ونحن لا نرجح أحد الاسمين فى حاق التسمية !! ولكننا تعودنا فى كتب الدكتور طه نقله معانى الناس إلى معانيه ، وأنفتحه من نسبة الأشياء إلى أصحابها والذين رموا أنفسهم فى نارها حتى استخلصوها بعد أن أصابهم البلاء والأذى وجهدهم الجُهد . وما أستطيع هنا أن أحدد كل الكتب التى أدركتها يد الدكتور طه ، ولكن أقرب الكتب هى ( ١ ) كتابنا عن أبى الطيب المتنبي الذى نشره المقتطف فى يناير سنة ١٩٣٦ ( ٢ ) وكتاب « ذكرى أبى الطيب » للدكتور عبد الوهاب عزام ( ٣ ) وكتاب « أبى الطيب المتنبي » لمحمد كمال حلمى بك ( ٤ ) وكتاب « المتنبي » للأستاذ شفيق جبرى ، وكثير غير ذلك مما فاضت به الصحف فى السنة الماضية حين احتفل الناس بمرور ألف سنة على مقتل أبى الطيب ، ثم آراء طائفة من القوم الأعاجم المستشرقين الذين ترجموا لأبى الطيب أو ذكروه فى بعض كتبهم أو مقالاتهم .

وهذا أو أن العودة إلى ما كنا فيه من كلمتنا السالفة ، وقد بينا أن الدكتور طه حسين بك إنما يشك في نسب المتنبي ، ويزعم أنه كان ( لا يعرف أباه ) ، لأن أبا الطيب لم يذكر والده في ديوانه !! ولأنه لم يمدحه !! ولأنه لم يفخر به !! ولأنه لم يرثه !! ولأنه لم يظهر الحزن عليه حين مات !! / ولأنه سئل عن أبيه وجدّه فلم يستطع ، أو لم يُرد ، أن يجيب سائليه ! وآثر أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس ، كما توهم الأستاذ الجليل !! وذلك حيث يقول :

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يُفَوِّقُ أَبَا الْبَاحِثِ ، وَالتَّجَلُّ بَعْضُ مَنْ تَجَلَّاهُ  
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَلُوا حَيْلَهُ  
فَخَرًّا لِعَضْبٍ أَرْوَحُ مُشْتَمِلَةً وَسَمَهَرِيَّ أَرْوَحُ مُعْتَقِلَةً

إلى آخر الأبيات التي أخطأ الدكتور في فهمها ، فزعم أن أبا الطيب « ينتسب إلى متجزي » ، له بعض يمتاز عن كله » !! [ انظر ص : ٤١٠ ، ٤١١ ] .

وقد عرفت أن العلل التي حملت الدكتور على الشك في نسب المتنبي ، وإنكاره صِدْق الرواة فيما رَووه من أن أباه كان جُفْعِيًّا صحيح النسب ، وأن أمه كانت همدانية صحيحة النسب ، إنما هي علل واهية وأسباب واهنة ، المتعلق بها كالمعلق بخيوط من بيت العنكبوت . فإن الشعراء الذين لم يذكروا آباءهم في دواوينهم ، ثم لم يمدحهم ، ولم يرثوهم ، ولم يظهروا الحزن عليهم حين ماتوا ، ولم يفخروا بهم في أشعارهم وقصيدهم ، لا تلزمهم لازمة الشك في أنسابهم ، ولا تلحق بهم معرة أن يكونوا ( لا يعرفون آباءهم ) ، ثم هم ليسوا أقل شأنًا ولا أخس نسبًا ، ولا أنكد مَعْرِسًا من الذين فعلوا ذلك وأثروا به وذكروه في أشعارهم . وأيضاً فإن التاريخ يشهد أن القليل من الشعراء هم الذين رثوا آباءهم وأمهاتهم ، وأظهروا الحزن عليهم في أشعارهم ، أو فخروا بهم ومدحهم في قصيدهم . ولو أردنا أن نخرج الدكتور الجليل / لقلنا : إن أبا الطيب عاش من سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣٥٤ ، وكان في عصره هذا من الشعراء من لا نخصيمهم كثرة ، فهل هو بمستطيع أن يدلنا على عِدَّة الشعراء المعاصرين للمتنبي ، الذين رثوا آباءهم أو أمهاتهم أو مدحهم

وفخروا بهم أو بكؤهم وأظهروا الحزن عليهم حين ماتوا ؟ فإذا قرر لنا أن أكثر الشعراء المعاصرين قد فعلوا ذلك ، وأن الذين فعلوه هم من أشرف أهلهم ، ومن الذين ( يعرفون آباءهم ) ، ويعرف التاريخ أنسابهم وأصولهم ، ويعتد مفاخرهم ومثالبهم ، وأن سائر من لم يفعل ذلك منهم ، هم السفلة والغوغاء وأوشاب الناس الذين ( لا يعرفون آباءهم ) ولا يشبتون أنسابهم = إذا قرّر الدكتور الجليل ذلك أخذنا معه المتنبي بالقياس ، وبغير نظر في دلائل شعره ومخايل كلامه ، ووضعناه معه حيث وضعه في المنزلة التي يكون الرجل فيها ( لا يعرف أباه ) .

لا تجد في الناس من يطبق أن يتابع الدكتور طه في شكّه من أجل علل كهذه العلل ، فإن وجدته فلن تجد من يتابعه في أنها دليل على أن المتنبي لم يكن يعرف أباه . وأكبر الظن أن كل من قرأ كتاب الدكتور طه يشعر أن هذه العلل علل مفتعلة للشك لا أصل لها في نفس الدكتور ، ولا في نفس أحد غيره ممن ( يريد أن يدرس المتنبي ) أو من ( لا يريد أن يدرسه ) .

أو تدرى لماذا شك الدكتور طه حسين في نسب أبي الطيب ، وكيف أخذ يجحد في نفسه الحاجة إلى هذا الشك ، وأين وجد هذه الكلمات التي اتخذها ذريعة يتوسل بها إلى تحليل شكّه ؟ ولماذا لم يستطع إلا أن يتوقف في الشك / ويذهب يزعم لنفسه أو للناس ٣٢/٢ أن المتنبي كان ( لا يعرف أباه ) ؟ وما المعنى الذي أراده أو صرّح به في قوله يصف المتنبي بأنه ( لا يعرف أباه ) ؟ فخذ خبر ذلك كله بما ترى وتسمع !

ما في الدنيا أديب عربي لم يقرأ هذه الكلمة التي قالها ابن رشيق حين أفضى به القول إلى ذكر أبي الطيب ، وذلك إذ يقول : « ثم جاء المتنبي فملا الدنيا وشغل الناس » . وقد صدّق وصدّقت الأيام قوله ، فقد ذكروا من شروح ديوانه أكثر من أربعين شرحاً ، وما تكاد تجد كتاباً من كتب التراجم أو كتب الأدب لم يذكر المتنبي أو لم يترجم له ، ثم أفرد بعض القدماء كتباً لترجمته ، ثم جاء من بعدهم المحدثون والمعاصرون فكتبوا عن أبي الطيب على طريقة أهل العصر . وما رأيت أحداً من هؤلاء شك في نسب

أبى الطيب ، أو فى اسم أبيه المتداول ، فكلهم = من ألف سنة إلى أول يناير سنة ١٩٣٦ = إجماع على التسليم بصحة ما رواه الرواة ، من أن والد المتنبي كان سقاء بالكوفة ، وأنه كان جعفياً صحيح النسب ، وأن أمه كانت همدانية صحيحة النسب أيضاً .

ثم جاء كاتب هذه الكلمات فقال كلمته عن شاعر العربية ولسانها الحكيم أبى الطيب ، ونشرها المقتطف فى عدد خاص ، احتفالاً بذكرى ألف سنة مرت على مقتله ، وتداولها الناس ، ومنهم الدكتور طه حسين بك ، فى السادس من شهر شوال سنة ١٣٥٤ ( أول يناير سنة ١٩٣٦ ) . وقد كانت الفصول الأولى ، أو أكثر الكتاب ، فى نقد الروايات التى وصلت إلينا فى كتب الأوائل والأواخر عن حياة أبى الطيب ، وقد أثبتتها بإسنادها فى / أول الكتاب ، وطفقت أنقذها من كل وجه معروف للنقاد ، حتى خلصت من ذلك إلى الشك فى صحتها ، أو صحة الأقوال التى تضمنتها ، والأخبار التى اتّمت بها ، وجمعت الأدلة التى تهيأت لى فى ذلك الوقت ، وجعلتنى أبصر فساد النية وسوء القصد ، فقصعت الرأى فيها بأنها نكاية وكيد وإرادة الخط من قدر الرجل = دفع الرواة إليه العداوة والحسد وما هو من بابهما . وهذه الروايات التى كان الأدباء جميعاً ، ولا يزالون ، يقطعون بصحتها ، كنت أول من شك فيها وبين فسادها ، وقذف بها فى وجوه روايتها . وأدخلنى شكى فى هذه الروايات مداخلة من هنا وأخرجنى من ثم ، حتى ذهب فى الرأى مذهباً لم أسبق إليه ، فزعمت أن أبا الطيب كان علوياً شريف النسب ينتهى نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . وقد أثار هذا الرأى الأدباء ، فمنهم من وافق ، ومنهم من توقف ، ومنهم من عارض بالحجة ، ودفع بالبرهان كما تبين له ، ومنهم من أخذ بعض الرأى وترك بعضه ، ومنهم من كان هذا الشك الذى أثبت به فى نسب المتنبي أنه جعفى الأب همدانى الأم وأن أباه كان سقاء = حافزاً له على النظر بين اليقين والشك ، ولكنه نهج نهج العلماء المشتبهين فجرى فى نقد الروايات فى هذه الأخبار وغيرها على طريقتنا ، ولم يوافقنا فى النتيجة ، بل ذهب مذهباً آخر وسطاً ، فكان قوله إن والد المتنبي « لم يكن رجلاً ثابة الشأن » = أعنى الأستاذ الجليل المثبت الدكتور عبد الوهاب عزام صاحب ( ذكرى أبى الطيب ) المطبوع ببغداد فى ربيع الآخر سنة

/ فهل عرفت الآن لماذا شك الدكتور طه فى نسب المتنبي ؟ شك لأن إنساناً قبله ٣٤٢  
سبقه إلى هذا الشك .... ونسى أن شك هذا الإنسان قد بُنى على الجهد والنَّصَب وطول  
العلاج والتمُّرس بالنقد العُضيل الذى لا يسلم عليه أحد = وأن شك الدكتور طه الذى أتى  
به فى كتابه ، غُرَيَانٌ متكشِّفٌ لا تستره حجة ، لا يُقنَّعه برهان .

إذن فكيف بدأ الدكتور طه يجد فى نفسه الحاجة إلى هذا الشك ؟ لقد أُلِفَ  
الدكتور أو أملى - أو ما يشاء - كتاباً سماه « فى الشعر الجاهلى » ، وتوهم أنه قادر على  
الاضطلاع به ، فوقعت إليه كلمات يشكُّ بها أصحابها فى نسبة الشعر الجاهلى إلى  
أصحابه ، فأعجبه ذلك وحُبَّ إليه ، فأغرى به ، ودار دورة فى الأوهام حتى وقع على  
مذهب فيلسوف عظيم يُسمَّى ديكارت ، فاستعار مذهبه لكتابه ، فزعم أن ذلك هو  
المذهبُ الجديدُ المبتدعُ فى نقد الشعر والأدب ، وجعل يرى ذلك مذهباً ، وجعل  
المطيفون به يردِّدون ذلك القول فى عبقرية هذا الرجل التى استعلنت للناس فى هذا  
المذهب الذى سمَّوه « مذهب الشك » = وكانوا فى ترديدهم كما قالت العرب فى ذلك :  
« أنت كآبنة الجبل ، مهما يُقَلَّ ثَقُلَ » ، يريدون كالصَّدى ، صَدَى الصوت . إذن  
فالدكتور طه هو صاحب مذهب الشك فى الأدب ، وهو مبتدعه والقيِّم عليه ورائضه  
وسائسه . وقد جاء الزمن الذى لجَّ فيه الناس فى ذكر أبى الطيب ، وقام من بينهم رجلٌ  
غير الدكتور طه حسين بك ، فشكَّ فى نسب المتنبي ، أفيحلُّ لصاحب « مذهب  
الشك » أن لا يشكَّ فى نسب المتنبي / حين يتكلم عنه ؟ ساء ذلك رأياً !! إذن فلا بُدَّ ٣٥٢  
له من الشك حين يتكلم عنه ، ولا بُدَّ له من أن ( يصطنع ) مذهبه فى الشك ، ولا بُدَّ له  
من طلب الأسباب التى ( تحمله على هذا الشك ) !! وإذن فليطلب الأسباب من هنا  
ومن ثَمَّ ، وليتلقَّف أطرافها التى يتعلَّق بها تلقَّف الغريق العودَ لا يرسله من يده ، وإن  
هَوَى به إلى قرارة اليمِّ .

إذن ، فأين وجد الدكتور طه هذه الكلمات التى اتخذها ذريعة يتوسل بها إلى  
تعليل شكه أو تسويغه ؟ لقد جهد فلم يستطع أن ينال فيما كان بين يديه علة أو سبباً

ينفعه ، حتى جاء الأستاذ عزام فنشر كتابه في ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ ، أى منذ سبعة أشهر ، فقال فى ص : ٢٩ : « وقد حرص المتنبى على أن لا يذكر نَسَبه فى شعره ، فما ذكر أباه ولا جده ولا أحداً من آبائه ، ولا صرح باسم قبيلة ولا عشيرة » .

ثم عاد الأستاذ عزام يقول فى ص : ٣٦ : « وبخبرنا صاحب اليتيمة ( الثعالبي ) أن والد المتنبى سافر به إلى الشام .... وسواءً أصح ما يقوله الثعالبي أم لم يصح ، فما ذكر المتنبى والده بكلمة ، ولا رثاه حين مات كما رثى أبو العلاء المعرى أباه وأمه رثاءً بليغاً . وهذا يشهد بما اتفقت عليه الروايات من أن والد أئى الطيب لم يكن رجلاً ثابّة الشأن » . وجزى الله عزاماً خيراً الجزاء ، بما مهّد للدكتور الجليل من سبيل الحجة والبرهان والدليل للرأى الذى ارتآه فى نسب أئى الطيب !!!

أفليس هذا على التحقيق هو قول الدكتور طه حسين بك فى ص : ٩ - ١٠ / من كتابه الجليل : « فأنت تقرأ ديوان ( المتنبى ) من أوله إلى آخره ، وتقرؤه مستأنياً متمهلاً ، فلا تجد فيه ذكراً لهذا الرجل الطيب الذى أنجب للقرن الرابع شاعره العظيم . لم يمدحه المتنبى ، ولم يفخر به ، ولم يرثه المتنبى ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات !! أكان ذلك لأن المتنبى لم يعرف أباه ؟ أم كان ذلك لأن المتنبى عرف أباه ولكنه لم ير له خطراً ؟ ... كل ذلك ممكن » .

وفى ص : ١٠ : « أكان المتنبى يعرف جدّه ؟ لا يحدثنا ديوانه بشيء ، ومن أعرض عن ذكر أبيه لم يُستغرب منه أن يُعرض عن ذكر جدّه ، ومن لم يعرف أباه لم يعرف جده .... » ، إلى آخر هذه المقدمات والنتائج .

ولكن أين هذا من ذاك ؟ فكلمة الأستاذ عزام ، على ما فيها من بعض الخطأ ، فهى على ذلك لا تزال كلمة الرجل الثَّبت العالم الذى لا يريد أن يتهمج بهواه على ما ليس بحقٍّ ولا بصواب . وأما كلمة الدكتور التى نقل إليها كلام عزام ، فسييلها سبيل ما تقول العرب للذى يأتهم بالأباطيل والأكاذيب والمُحال ، وما لم يكن وما لا يمكن أن يكون :

« جاءَ بقرئى حمار » ، والحمار لا قرون له . وإن يكن في كلام الدكتور طه شيء ، فإن هذا الشيء ليس السبب الذى يحمل على الشك ، ولا العلة ، ولا البرهان على المذهب ، وإنما هو المعجزة : إذ انقلبت كلمات الأستاذ عزام حين دخلت كتابه « مع المتنبى » من قرئى كبش نطّاح إلى قرئى حمار !!

فهل اكتفى الدكتور طه بما اختلعه من كتاب عزّام ؟ كلاً ... ، فإنه أراد أن يأتي بكلمة أخرى تكون كالبخور في جوّ الساحر ، فقال في ص / ١٠ : « إذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أنهم كانوا يعرفون أبا المتنبى ويسمونه « حُسَيْنًا » ، فإنهم لم يتفقوا على جده ولم يجمعوا على الاسم الذى يُلصقونه به ( هكذا ) ، فهو الحسين حيناً ، وهو عبد الصمد حيناً آخر » .

ومن أخطاء هذا الكلام المموّه في اختلاف المؤرخين واتفاقهم ، أن يكتب الدكتور أنهم اختلفوا في اسم جده ( فهو الحسين حيناً وهو عبد الصمد حيناً آخر ) ، وليس كذلك ، فإن المؤرخين اختلفوا في اسم جده ( والد أبيه ) فقالوا هو ( الحسين ، أو الحسن ، أو مُرّة ) ، أما جده الأعلى ( والد جده ) فسموه ( عبد الصمد أو عبد الجبار ) ، فهذا خلط كما ترى .

وهذا ليس شيئاً ، ولكن هل يحسب الدكتور أن اختلاف المؤرخين في جدّ رجل من الناس يكون دليلاً ، أو كالدليل ، على شيء من ضعةٍ في النسب أو ضعف في الأرومة ؟ إن ظن ذلك فقد وَهِم . فلو رجع إلى كتب التراجم لوجد الخلاف يقع بين المؤرخين في أسماء الآباء والأجداد ، ولا يكون ذلك عند أحد من النسابين مطعناً يثلب به الرجل في نسبه ، أو يُعَمَز في أصله ، أو يتخذ للشك في صحة انتسابه إلى قبيلة من القبائل . وسبب اختلاف المؤرخين والنسابين في أسماء عمود النسب معروف لكل من مارس علوم العربية ، وعلم أنّ أصل بنائها على الرواية ، والرواية يقع فيها النسيان والخطأ والتحريف والسقط وما إلى ذلك ، وخاصة فيما هو كالأنساب : اسم بعد اسم بعد اسم ، فليس يربط ذلك بعضه ببعض معنى يقيمه ، أو يذكر به ، أو يحفظه من

الإسقاط . ولو شئنا لضربنا له الأمثال بمن لا يختلف في أمره ، ولا يقال فيه ما يقول الدكتور في أئى الطيب إنه ( لا يعرف أباه ) .

٣٨/٢ / وليس في اختلاف الرواة في نسب المتنبي ، أو خطئهم في رواية أسماء أجداده ما يسوّغ القول بأن المتنبي لم يكن يعرف أباه أو يعرف جده ، ولا يدلّ على أنه كان مدخول النسب وضيع النشأة خسيس الأصل . وإنما يكون ذلك أشبه وأحقّ وأثبت ، حين يكون هذا الاختلاف قد وقع من المتنبي نفسه ، ويكون هو الذى اضطرب وأخطأ ، ولكن الدكتور طه يعرف ويقول في كتابه إن المتنبي لم يذكر في ديوانه أباه ولا جدّه . وعلى ذلك ليس يدخل هذا الاختلاف في باب معرفة المتنبي لأبيه وجده أو جهله بهما . وإتيان الدكتور به على مجرى الشبهة والشك والارتياب ، تقحّم وخلطّ وفساد .

أفتدري أين وجد الدكتور طه هذه الكلمات التى اتخذها أيضاً سبباً في الشك والزعم بأن المتنبي كان يعرف أباه ؟ ههنا وجدها .... !

فقد روينّا في كتابنا ( ص : ١٣٨ ) من حديث التنوخى عن ابن أم شيان الهاشمى أنه قال ، وقد جرى ذكر المتنبي : « كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عِيدَان ، يستقى على بعير له ، وكان جُعْفِيّاً صحيح النسب » . وروينا أيضاً أن التنوخى قال : إن المتنبي كان يكتّم نسبه . فقلنا في [ ص : ١٤٨ ] : « ثم إن التنوخى يروى هذا الخبر ( يعنى خبر كتمان النسب ) ، ويروى أنه كان جُعْفِيّاً صحيح النسب . وما تصح نسبة سقاء إلى جُعْفَى بن سعد العشيرة إلا أن يذكر نسبُه متصلاً إلى جُعْفَى . لأن سقاء يدعى الانتساب إلى جُعْفَى ، لا بُدّ له من أن يقيم دعواه بالدليل والبرهان : وهما النسب المتصل المعروف غير المنكر ، ما من ذلك بُدّ . ولو كان ذلك ، لوقع إلينا نصّ واحد يذكر / فيه نسب المتنبي إلى رجل من جُعْفَى لا يختلف في أمر نسبه . فما ظنك بمن اختلف في جدّه الأدنى والذي بعده ، ولم يتجاوزوا ذلك إلى متفق عليه في عمود النسب » .

٣٩/٢ هذه الجملة الأخيرة من كلامنا هى التى أخذها الدكتور ، فأقحمها في الأسباب التى حملته على الشك في نسب المتنبي .... وتوهم أنها تدخل في معنى ما يريد من



الارتباب فى معرفته لأبيه أو جده . ولقد وَهَمَ ، فلسنا ممن يلقى القول على عواهنه حتى ندخلها فى كلامنا ونجعلها من أسباب شكنا ( لا شك الدكتور ) فى النسب الذى رواه الرواة . ولم نأت بهذه الكلمة فى آخر كلامنا ، إلا لذلك التَّوْخَى راوى هذه الأخبار ، من أن أباه كان سَقَاءً ، ثم كان جُعْفِيًّا صحيح النسب ، ثم أن المتنبى كان يكتُم نسبه . وقد بينا فى كتابنا فساد هذه الأقوال مجتمعة ، فإن بعضها ينقض بعضاً ، فأبن أم شيان يقول إن أباه كان سَقَاءً ، وأنه كان جُعْفِيًّا صحيح النسب ، إذن فهو يعرف النسب من لَدُن والد المتنبى إلى جُعْفَى ، وإلا فكيف عرف النسب وصحَّحه ، ولم يشك فيه ؟ روى ذلك التَّوْخَى وزعم أنه سأل أبا الطيب عن نسبه فكتمه ، فلماذا لم يتحوَّل إلى صاحبه ابن أم شيان فيعرف منه النسب ؟ ولئن صحَّ أنَّ التَّوْخَى قد صرَّفه ما يصرف الناس عن السؤال ، أفلم يسأله أحدٌ غيره ؟ ثم ، ألم يكن بالكوفة كلُّها من يعرف نسب هذا السَّقَاء غير ابن أم شيان الهاشمى ؟ بلى ! لقد عرفه أيضاً ، كما روى التَّوْخَى ، رجل آخر هو أبو الحسن الزَّيْدَى العلوى . وعلامَ يكتُم المتنبى نسبه عن التَّوْخَى ، وهو يعلم أنه قد صحب ابن أم شيان وأبا الحسن الزَّيْدَى العلوى ؟

/ وقد زعم التَّوْخَى أنه سأل المتنبى عن أحدهما ، فقال له المتنبى عنه : « تُرى وصدىقى وجارى بالكوفة » ؟ فإذا كان هذان الرجلان قد صحَّحا نسب المتنبى إلى « جُعْفَى » ، فقد عرفاه وأثبتاه علماً ، فَأَعْجَبَ هؤلاء ، أكانوا أيضاً يكتُمون نسبه ؟ حتى بلغ الأمر مبلغاً عجباً ، إذ لم يقع لأحدٍ ممن كان يتحفَّى بأخبار المتنبى نصٌّ واحد يذكر فيه نسبه إلى « جُعْفَى » ، أو إلى رجل قريب ممن لا يختلف فى نسبته إلى « جُعْفَى » ، ولكن الأمر وقع بخلاف ذلك ، فقد اختلفوا فى جدِّه ووالد جده ، ولم يأتوا بعد ذلك بشيء .

فهذا سياق قولنا فى بطلان هذه الروايات التى استبضعها التَّوْخَى ، وهو الذى استدعى قولنا : « فما ظنك بمن اختلف فى جدِّه الأدنى والذى بعده .... » ، فأخذ الدكتور هذه العبارة ولم يهتد إلى موضع ( يُلصقها ) به إلا هذا المكان من كتابه ، فأفسدها وأفسد مذهبه بها .

وبعد ، فقد رأيت كيف كان كتاب الدكتور طه يتقَّم الآراء من ههنا ومن هنا ليشك ، وثبت أنه هو الذى بدأ الشك في نسب أبي الطيب ، فهو يعلم من أمر الدنيا كثيراً ، ويعلم أو يتوهم أن الناس سيذكرونه بذلك وينسئون من أقام المذهب على الجادة ، وذلك لذيوع اسمه وشهرته ، وخُفوت أسم غيره وجَهِل الناس به . وهذه عادة هو مُعْرِى بها ، وهى محببة إليه ... ولكن « سَقَطَ العِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَان » ، كما زعموا ، من أن رجلاً خرج يلتمس العِشَاءَ فوقع على ذئب فأكله ( وهذا مثل يُضْرَب للرجل يطلب الأمر التافه فيقع في هلكة ) . والدكتور طه حسين بك ، عميد الأدب العربى بالجامعة / المصرية ، حين ألقى محاضراته في أسبوع المتنبي في السنة الماضية ، كان أحسن رأياً ، وأكرم عملاً ، وأنجى من التلف وسوء المنقلب ، فقد بدأ كلامه ذلك اليوم بهذه العبارة : « ولقد شك بعض الناس في نسب المتنبي وأنا أوافق على هذا الشك » ، ويعينى أنا بذلك . والظاهر أن هذه العبارة قد سقطت من الطبعة الثانية من « أمالى » الدكتور طه حسين عن المتنبي !! هذا على أننا كنا نحبُّ له أن يعلم أن موافقته لرأينا ومخالفته ، وبخاصة في الأدب ، سواء = وصدق أبو الطيب .

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ، رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وإلى الأسبوع المقبل تنمة هذا الحديث ، لماذا لم يستطع الدكتور طه إلا أن يتوقف في الشك ، ويذهب يزعم لنفسه أو للناس أن المتنبي كان ( لا يعرف أباه ) ؟ ثم ما المعنى الذى أراده أو صرح به في قوله يصف المتنبي بأنه ( لا يعرف أباه ) ؟

- ٣ -

/ رأيت مما كتبناه قبل في الكلمتين السالفتين أن الرواة حدثونا أنّ المتنبي هو ٤٢/٢ « أحمد بن الحسين السقاء » ، وأنه جُعْفِيُّ الأب هَمْدَانِي الأم ، وأن شراح ديوانه = على كثرتهم وجليل منزلتهم في العلم = ثم جميع من ترجم له في مَدْرَج كتاب ، أو في كتاب مُفْرَد = تناولوا أمر هذا النسب وماله وما عليه بالتسليم واليقين . وتصرّوت على ذلك ألف سنة وما فوقها ، حتى نشرت كتابي عن المتنبي في مقتطف يناير سنة ١٩٣٦ ، وبَيَّنتُهُ على نقد الرواية وتزييف الخبر ، بما تهيأ لي إذ ذاك من أسباب وعلل ، فخرّجْتُ من ذلك بالشك في صحة هذه الروايات والأخبار التي وصلتنا عن المتنبي ونسبه ، ثم جمعتُ من طوائف الرأي ما جعلني أزعم أن والد المتنبي كان علويّاً ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه . وبذلك كنت أوّل من شك في هذا النسب المروى ، وأوّل من انتهى به الشك إلى هذا الرأي .

ثم جاء الدكتور طه حسين بعدى بعامٍ ، يعلّو عدواً ويزعم للناس أنه يشك هو أيضاً ، في نسب المتنبي ، فيبنى شكّه على علل ملفقة قد بيّنتُ زيفها وبطلانها ، وأنها ليست مما يحمل أحداً على الشك أو ما هو دونه . ثم دَلَّلت على الموضع الذي نقل منه هذه العلل في كتاب الأستاذ عبد الوهاب عزام ، ثم في كتابي ، وذكرتُ ما دخلها من فساد ، إذ حُمِلت من مكانٍ هي فيه أولى وبه أليق ، إلى مكان لا تصلح له ولا يصلح هو عليها . وكان / سبب هذه الفعلة ، أن الدكتور الجليل ، وهو صاحب « مذهب الشك » ٤٣/٢ الذي كان أول من ( اصططنعه ) حين ألّف كتابه « في الشعر الجاهلي » - أنف لنفسه أن

يسبقه أحد إلى الشكّ فى نسب المتنّبى الذى أجمعت الرواية على التسليم به . وما دُمْتُ أنا قد سبقته إليه ، فعَلَى رَغْمِى ورغم التاريخ أن يكون هو أولى به منى وأحقّ . وإذن فليؤلف كتاباً ، وليُسَمِّ هذا الكتاب « مع المتنّبى » - وليشكّ فى نسب المتنّبى ، وليتقمّم الأدلّة من هنا ومن ثمّ ، محتالاً على تلييسها وتزيينها بما أوتى من حسن منطق وبلاغة أسلوب وإعجاز بيان !! ولو زعموا أن « المَخِيلَة تَقْتُلُ نَفْسَ الخائِل » ، ( المخيلة : الخيلاء والكبر إعجاباً بالنفس ) !

ولكن ، لماذا لم يستطع الدكتور الجليل إلا أن يتوقف فى الشك الذى اصطنعه ، فذهب يزعم لنفسه أو للناس أن المتنّبى كان ( لا يعرف أباه ) ؟ هذه هى المسألة التى وقفنا عندها فى الكلمة السالفة ، وإليك خبرها .

قلّى الدكتور حينئذ إلى مذهبه القديم فى الشكّ ، فحاصَ حَيَصَة بين الكتب ، فوجد فى كتاب عزام وكتاى من الأسباب الملفقة والعِلل المزوّرة ما يُقَوِّمُ أودّ هذا الشك الذى انتحاه ودبّ إليه ، فاتمّ رأيه وقال : « هذه أسباب كافية وعِلل وافية ، وإذن فَلْتَشْكُ ! » لكن أيشكّ فى « وجود » المتنّبى نفسه ، كما شكّ فى وجود بعض شعراء الجاهلية ؟ كلا ، فهذا ليس بشيء ، والعلل التى وقع عليها لا تؤدى إلى هذا الرأى . وثارت به بدّوات العبقرية - والدكتور طه حسين بك رجل عبقرى بارع ، ليس فى ذلك / شكّ عندى - فأخذت تُدِيرُ له الرأى والحجّة والبرهان وما إلى ذلك ، ويستعصى الأمر ، وتلجّج هى فيه ، حتى وضعت المشكلة وضعاً منطقياً خالصاً ، وللمنطق حيلة ، وفيه غَناء ، وبه المُستَعان فى توليد الآراء !

يقول الرواة : « إن المتنّبى جعفى الأب هَمْدَانِيّ الأم » ، والدكتور محمولٌ على الشكّ فى هذا القول ، وإذن فهو ليس بجعفى ولا هَمْدَانِيّ ، فأىّ قبيلة ينتسب إليها ؟ ذكر عزام فى كتابه ص : ٢٩ : « أن المتنّبى لم يصرح باسم قبيلة ولا عشيرة » ، وعلى ذلك لن يجد الدكتور فى ديوانه قبيلة غير هاتين يستطيع أن ينسبهما إليها . وعلى ذلك فالرجل غير منسوب إلى قبيلة من قبائل العرب . أَيْكون ، إذن ، علوىّ النسب كما زعم ( محمود

شاكر ) في كتابه ؟ ربّما ، ولكن نفس الدكتور لا تطاوعه على أن يستلب هذا الإنسان شكّه وما وُلد له هذا الشك . إذن فهو ليس بعلويّ أيضاً . وأظلمت الدنيا عليه ، وهى مُظلمة . فهذا رجلٌ لا ينتسب إلى قبيلة من القبائل ، ولا إلى العلويين ولا غيرهم ، وهو عربيّ ولا شك ، فقد صرح الدكتور بذلك كما صرح شعره ، والعرب يعتزون بالانتساب إلى قبائلهم « ويحرصون على ذلك أشد الحرص » ، فكيف الرأى ، وقد أدخله الشك مدخلاً لا يستطيع الخروج منه ؟ وهنا أسعفته العبقرية مرةً أخرى ، فالمتنبي لم يذكر أباه ، ولم يمدحه ، ولم يرّثه ، ولم يظهر الحزن عليه حين مات !! إذن ، إذن ، إذن ، فالمتنبي لا يعرف أباه . وليس في هذا شك ، فلو أنه كان قد عرّفه ، لذكره ، ثم لمدحه ، ثم لراثه ، ثم لانتسب إليه ، ثم لعرّف له قبيلة ينتهى إليها نسبه !!

٤٥٢ بهذا المنطق فاز الدكتور ، ووُلد له شكّه شيئاً يستطيع أن يسمّيه في / الآراء رأياً ، وإذن فالكتاب قد حَضَرَ وفُرِغ منه ، وإذن فليُنشر الكتاب على الناس في أقرب فرصة ، ليطمس به ذكر هذا الواغل الطُفيل الذي دخل على « مذهب الشك » آثماً ، وخرج منه سارقاً ! هذا الذى نشر له المقتطف كتابه عن المتنبي في يناير سنة ١٩٣٦ .

أنا أعرف الدكتور طه حسين بك ، وأعرف كيف يفكر ، وأعرف كيف يتهمّج على غير بصيرة في الرأى . فأنا أشهد ، والدكتور يشهد معى ، أن هذا هو ما خطر له وهو يفكر في هذا الأمر . والدكتور الجليل ، وهو الراوية الثبت ، يذكر أنه كلّمنى في أسبوع المتنبي من العام الماضى ( سنة ١٩٣٧ ) ويذكر ما دار بينى وبينه من حديث سنروى لك بعضه فيما يلى ، بعد أن نبين ماذا أراد الدكتور بمعنى قوله في صفة المتنبي إنه ( لا يعرف أباه ) .

ولعل القارئ قد عرف ، قبل أن تُعرّفه ، أن الدكتور الجليل طه حسين بك يعنى بقوله : إن المتنبي كان ( لا يعرف أباه ) : أن هذا الرجل كان ولداً بين رجل وامرأة ( لا يعرفهما أو لا يعرف أحدهما على الأقل ) ، أو كان منبوذاً لغير رِشدة ، أو كان لقيطاً . وطئ هذا معنى أنت تعرفه بعد ، وإلاً فهذا هو يقول في أول الكتاب كما

حدثك ، إن المتنبي ( لم يكن يعرف أباه ) ثم يقول في ص : ١٠ : « إن المؤرخين الذين ذكروا جدّه .... لم يجمعوا على الاسم الذي يلصقونه به !! » وفي ص : ١١ : « إن المتنبي لا ينتسب إلى الرجال ( هكذا ) ، لأنه لا يريد ، أو لا يستطيع ، أن يجد في الانتساب إلى الرجال غناء » .

٤٦/٢ / ويقول في ص : ٢٥ : « ومن حَقَّ أن تسألني لماذا أطيل الحديث عن نسب المتنبي ، وأظهر الشك في معرفته لأبيه وأمه ؟ ... فأعلم يا سيدي .... إنما آثرتها لأنهي منها إلى حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهي أن المتنبي لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه !! التمس لذلك ما شئت من علة ، فهذا لا يعنيني ! وإنما الذي يعنيني ، ويجب أن يعنيك ، أن شعور المتنبي الصبي بهذه الضعة ، أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأذنين ، قد كان العنصر الأول الذي أثر في شخصية المتنبي » .

ثم يقول في ص : ٢٧ : « ولماذا احتاج المؤرخون أن يتحدثوا عن أبيه ، وعجزوا ، أو لم يريدوا !! أن يتحدثوا عن أمه ، ولم يتحدث هو عن هذه وذاك ؟ »

وفي ص : ٣١ : « هذا يدل من غير شك على أن سرّاً من الأسرار كان يكتنف حياة أبي الطيب ويحيط بأسرته ، ويستر عنا حقيقة الصلة التي كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتي كانت بين الحسين السقاء وبين هذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتي اقتضت أن تُهمَل أم المتنبي إهمالاً تاماً !! » .

٤٧/٢ ثم يقول بعد حديث طويل كلّه شُبّه مثل هذه في ص : ٣٤ : « هذا كلّه يكفيني لأقتنع بأن « مولد » المتنبي كان شاذّاً !! وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به في سيرته كلها » . هذا ما نقلناه لك فتدبره ، فإن معناه ظاهر ، وهو أظهر عند مَنْ قرأ كتاب الدكتور من ص : ٩ إلى ص : ٣٤ . / والدكتور على عادته يُجمّع القول ويُديره من هنا وهنا ، « ويصطنع » اللفظ الساخر ليدل على غرضه بغير تصريح ، كما ترى في قوله في اسم

جدّ المتنبي : « إن المؤرخين لم يجمعوا على الاسم الذى ( يلصقونه به ) » ، ثم يعقب على ذلك بقوله ص : ١٠ : « ومهما يكن من شيء فقد كان للمتنبي أب ، وكان له جد ، لأننا لا نعرف إنساناً ليس له أب ولا جد ، لا نستثنى من ذلك إلا اللذين استثناهما الله عز وجل حين قال : ( إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ) . وأنت بعد تعرف المعنى الذى أرادته الدكتور الجليل .

وفي العام الماضى أُخْبِرْتُ أن الدكتور طه يذهب إلى أن المتنبي « لَقِيطٌ لِعَيَّةٍ » ، فاستعذت بالله ، واستكبرت أن يقول الرجل هذا القول ، حتى كان يوم اجتماعنا فى دار الجمعية الجغرافية لأسبوع المتنبي ، <sup>(١)</sup> فكان من حديثه لى أن قال : أنت تذهب إلى أن المتنبي علوى النسب ، وأنا قد قرأت هذا الفصل ، وأوافقك على الشك فى النسب ، ولكنى لا أوافقك فى أنه علوى .... ثم ماذا ، يا محمود ، لو قلنا إن المتنبي « لقيط » !! وقد والله خيّل لى أن الشيطان فَاغَرَ فِيهِ بينى وبين هذا الرجل ، فرجفت رجفة وعذت بالله ثم قلت له : إن هذا رأى منقوض من وجوه ، وهو على كلّ حال نتيجة للشك فى نسب المتنبي ، مع التوقف عند مجرد هذا الشك ، قبل القول بأنه علوى أو جُعْفَى أو هذا أو ذاك » ، وأردت أن أنبهه بهذه الكلمة إلى أن رأيه / مسلوخ من كتابى ، وذلك أنه أخذ <sup>٤٨/٢</sup> الشك فى النسب منى ، وعجز عن أن يقول شيئاً فى نسب جديد ( يلصقه به ) .

وهذا الرأى وحده هو سر اهتمام الدكتور طه بالكتابة عن المتنبي ، فلو لم يكن وَقَعَ عليه لما كتب عنه . فهو يقول فى ص : ٤ : « وليس المتنبي هذا من أحب الشعراء إلى ، وآثرهم عندى ، ولعله بعيد كلّ البعد عن أن يبلغ من نفسى منزلة الحب والإيثار ، ولقد أتى على حين من الدهر لم يكن يخطر لى أننى سأعنى بالمتنبي أو أطيل صحبته أو أديم التفكير فيه .... » .

(١) أرجو أن يعلم قارىء هذا بعد أربعين سنة من كتابته ، أن هذا الحديث قد نشر سنة ١٩٣٧ ، وقرأه الدكتور طه يومئذ ، ولم ينكره ولم يكذبه . أقول هذا لأى سمعت أن بعض الناس يزعم أن هذا اللقاء لم يحدث ، وهذا من أعاجيب زماننا !!

وقال في ص : ٥ : « وقد قلت في غير هذا الموضوع إنى لست من المحبين للمتنبي ولا المشغوفين بشخصه وفنه » .

فلولا أنى شككت في نسب أبى الطيب ، ولولا أنه أخذ هذا الشك منى ، وانتهى إلى أنه ( لقيط ) ، لما كتب عنه حرفاً واحداً ، لأنه لا يحب الرجل ولا فنه ، وتسألنى لماذا ؟ كما يقول الدكتور ، فجواب ذلك أن الأستاذ المازنى قد شرح في كتابه « قبض الريح » سرّ هذا بأحسن بيان وأدقّ فكر ، يقول المازنى ص : ٨٣ : « لقد لفتنى من الدكتور طه في كتابه « حديث الأربعاء » ، وهو مما وضع ، وفي « قصص تمثيلية » ، وهى ملخصة ، أن له ولعاً بتعقب الزناة والفسّاق والفجّرة والزنادقة » .

ثم ساق الأدلة من الكتاين على ذلك ، إلى أن قال في ص : ٨٩ : « وللقارئ أن يسأل لماذا لم يؤثر الدكتور « نحواً » آخر من « أنحاء » الأدب الغربى ، وليس هذا كل ما فيه ولا هو خيره ؟ لماذا غنى على وجه الخصوص بقصص / الزناة والزوانى ، وبحكايات الجهاد ، كما يقول هو ، « بين العواطف والشعور من جهة ، وبين العقل من جهة أخرى .... ؟ » .

ثم شرع المازنى يقارن بالقسط والحق بين الدكتور طه وبشار الأعمى وأبى العلاء ، وقد استوفى الكلام على الغريزة الجنسية عند بشار وأبى العلاء ، وأثرهما في شعرهما وآرائهما ونظراتهما إلى الحياة ، وحياة المرأة خاصة ، حتى انتهى إلى هذه الكلمة في ص : ١٠٩ :

« فلا عجب إذا رأينا الدكتور كلفاً بتناول المُجَّان وأهل الخلاعة من شعراء العرب ، وتلخيص القصص التى تدور على الخيانات وما إليها ، وتسويغ ذلك والاعتذار له ، حتى لكأنما يحاول أن يقول بلسانه غير ما تلجّ به الرغبة فى الكشف عنه والإفضاء به من مكنونات نفسه » .

وأنا أنصح من يريد أن يفهم ما تُنطوى عليه كلمات الدكتور طه فى كُتبه ، أن يرجع إلى هذه الفصول التى كتبها المازنى فى « قبض الريح » فيقرأها ويتدبرها ، فإنها من



أجود ما يُكْتَب ، وأحسن ما يعينك على التغلغل في أسرار طائفة من النفوس الإنسانية ومنهجها ، وإدراك ما ترمى إليه في أحاديثها وأشعارها وأخبارها وتأليفها واختيارها وما إلى ذلك .

وبعد ،

فهل يستقيم هذا الرأى الذى ذهب إليه الدكتور طه من أن المتنبي ( لم يكن يعرف أباه ) ، وأنه « لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه .... وأنه كان يشعر بالضعة والضعف من ناحية / أسرته ، ص : ٢٦ ، وأنه « لما تقدّمت به السنُّ قليلاً قد عرف من أمر نفسه !! ومن أمر أسرته ما أنكره وما لم يستطع أن يُقيم معه في الكوفة ، فأثر الرحيل » ، ص : ٣٣ ، وأن « الكَذَابَ الذى كان يُكاد به عند أى العشائر ، ويراه أهون عنده من نأفله ، لم يكن كذاباً كُلُّهُ !! » وإنما كان له أصل « يملأ صدر المتنبي غيظاً وحفيظةً ، ويدودّه عن الكوفة ، بل يبغض إليه الحياة في العراق ، وبحمله على أن يُنفق عمره غريباً مُجَوَّلاً في الآفاق !! » ، ص : ٣٤ ؟؟؟

لم يستطع الدكتور الجليل العبقري أن يأق بييت واحدٍ من ديوان أئى الطيب يؤدّ به هذا الرأى ، ومع ذلك فهو يقول به ويكرّره ويعيده !! هذا على أن منشأ الشك في هذا الأمر لابد أن يكون من ديوان الرجل نفسه . والدكتور يقول إن المتنبي كان يشعر بالضعة من ناحية أسرته ، وأنه عرف من أمر نفسه وأمر أسرته ما أنكره ، فأين وجد المتنبي يشعر بالضعة ، أو ينكر أمر نفسه وأمر أسرته ؟ وأين هذا الأثر الذى أتاح له أن يقتنع « بأن مولد المتنبي كان شاذاً ، وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به في سيرته ( كلها !! ) ؟ وتأمل هذه المبالغة في قوله ( سيرته كلها ) ، وقرأ الكتاب كله فلا تجد الدكتور طه حسين بك أشار في موضع واحدٍ إلى ( حكاية ) هذا النسب ، ولا أدخله في شىء من العلل التى أراد أن يعلل بها ما ( يرى من رأى ) !! فهو بذلك عاجزٌ من ناحيتين : عاجز من ناحية شعر المتنبي ، وعاجز من ناحية تفسير حياة المتنبي وتحليلها على ضوء هذه الضعة ، وهذا « المولد الشاذ » . ولا أدري بُعدَ علام أجهد الدكتور لسائه وكفّ / مُستمليه ، بإملاء

هذه الفصول عن نسب المتنبي ؟ ففيها الخطأ ، كما بينا ذلك كله ، وفيها سوء النقل من الكتب ، وفيها ضعف الفهم للشعر ، وفيها فساد الفكر وتناقضه ، وفيها قذُف المتنبي بأنه ( لا يعرف أباه ) ، وكَبُرَ ذلك مقتاً عند الله وعند الناس . لقد كنا أقرب الناس إلى الإغضاء عما في كلام الدكتور طه من الخطأ والنقص والتناقض ، لو أنه ترك هذه الآراء جانباً ومضى على غُلُوِّائِهِ يَأْتِي بما يشاء من ذبول كلامه الطويل والتي تحتال فيها كتبه ومؤلفاته !

وأستغفر الله مما قَرَطَ ، فقد نسيت أن أذكر لك أن الدكتور الجليل أراد أن يُلبس على قارئ كتابه فيوهمه ، حقاً ، أن المتنبي كان يشعر بالضعة والضعف من ناحية أسرته ، فاستشهد في هذا الفصل ص : ١٣ ، بأبيات أبي الطيب التي أولها :

أَنَا آيْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَقُوُّ أَبَا الدَّجَاجِ ، وَالتَّجَلُّ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ  
وَإِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ تَقَرُّوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ

واستخرج من هذين البيتين أن أبا الطيب « لا ينتسب إلى الرجال لأنه لا يريد أو لا يستطيع أن يجد في الانتساب إليهم غناء » ، ص : ١٥ = وأن هذه الأبيات « تصور ضعف المتنبي من ناحية نسبه أبلغ تصوير وأقواه » .

٥٢٢ / وقد بينا فيما مضى فساد فهم الدكتور لهذين البيتين ، فالمتنبي ينتسب إلى رجل لم يصرح باسمه لا « إلى متجزيء له بعض يمتاز عن كله !! » ، كما فهم الدكتور العبقري . إن الدكتور طه حسين بك ، عميد الأدب العربي بالجامعة المصرية ، رجل قد أثبتت التجارب والأيام ، ثُمَّ مؤلفاته ، أنه لا بَصَرَ له بالشعر ولا بمعانيه ، وسيأتي في مواضع أخرى من كلامنا تأييد هذا الرأي بأدلة كثيرة « تَقْصِي بِالضَّاحِكِ اسْتِعْرَابَهُ » ، كما يقول البحترى ، وسنسوق إليك هنا « فصلاً » من هذا الباب .

وأحب للقارئ أن ينفذ عن نفسه غُبَارَ هذه المعاني التي جاءت في كلام الدكتور طه ، ويبدأ معنا من حيث يجب أن يبدأ ، ليكون ذلك أنقى لنفسه ، وأظهر لفهمه مما عُلِقَ به .

لو فرضنا أن المتنبئ كان ، كما يزعم صاحبنا ، ( لا يعرف أباه ) ، وأنه كان يشعر بالضعة من قبل أبيه وأمه فلا يجهر بذكرهما ، وبالضعف من ناحية نسبه وأسرته ، وأنه قد عرف من ذلك ما أنكره وبغض إليه الحياة فى الكوفة = ولو فرضنا أيضاً أن « الكذاب الذى كان يكاد به » هو بسبيل من هذا الأمر ، كما زعم الدكتور فى ص : ١٦ ، فهناك أمران لا مناص عن أحدهما : فإما أن يكون هذا « الكذاب » مما قالته فيه الشعراء ، تَنبِئُهُ فيه بالضعة ، وأنه « لا يعرف أباه وينكر أمره وأمر أمه » ، وإما أن يكون مما قيل قولاً ، ولم يُقل شعراً .

/ أما الأول : فالدكتور مُطالب بإظهارنا على هذا الشعر إن كان سمع به أو قرأه عليه ، وما هو بمستطيع إن شاء الله !! فإنه إذا صح أن أحداً من الشعراء قد عرَّض بوالد المتنبئ أو أبيه على هذه الصورة التى اخترعها الدكتور طه ، فعندئذ يصح أن يجيب المتنبئ الشعرَ بالشعر ، وأن يكون هذا الشعر مما « يصور ضعفه من ناحية أبلغ تصوير وأقواه !! » = هذا على أنه كان أولى بالمتنبئ عند ذاك أن يسكت ، فذلك خير له من أن يفضح نفسه فى مجلس أئى العشائر ، ويحمل الناس على اللجاج فى السؤال عن نسبه ، والتقصى لأخبار أمه وأبيه وجدّه وجدّته . هذا صريح العقل .

وأما إذا كان هذا التعريض مما تداوله لسان ناطق وأذن سامعة ، وعرف المتنبئ خبر ذلك ، فكان أولى به إذن أن يسكت عنه فى شعره ، وإن شاء تكلم فيه فى مجلس مُقَنَّن يراوغ فيه بالحجة ويدافع بالحيلة ، حتى يقطع عن نفسه شرّ هذا اللسان ، ولا يتحامق فيتحدّاه هذا التحدى المؤذى الداعى إلى الشر والمماحكة وطلب الوقعة بقوله فى ذكر ذلك المفتري عليه :

وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ      مَنْ لَا يُسَاوِي الْخُبْرَ الَّذِي أَكَلَهُ  
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي ، وَأَعْرِفُهُ      وَالذُّرُّ دُرٌّ بِرَغْمِ مَنْ جَهَلَهُ

ونرجو الدكتور طه أن يتفهّم = على سبيل الجدّ ، لا سبيل العبث كما يقول عن

٥٤/٢ نفسه = قول أبي الطيب : « يُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ » ، فإن / هذا لا يقوله من يخشى أن يتطلع الناس إلى نسبه ، فينكروا منه سوءاً أنكرها هو من قبل .

وأيضاً يا مولانا الدكتور الجليل ، كيف تستطيع أن تقول في رجل يشعر بالضعة من ناحية أبيه وأمه ونسبهما أو صلتهما ، وهو يدأب على الفخر بأنه لا يذكر الجدود ولا يؤليهم اهتمامه؟؟ ولو صحَّ أنه مما يجوز أن يفخر به حين يُكاد « بالكذاب » ، ويتهم في نسبه ، فكيف يجوز أن يذكره في غير مناسبة تقتضيه أو تحمل عليه ؟ أيأتى الرجل وفيه العيب والعارُ ليدلَّ الناس على عاره وعيبه ويقول : هأنذا فانظروني؟؟

هذا المتنبي يقول في صباه لغير مناسبة :

لَا يَقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُّفُوا بِي ، وَبَنَفْسِي فَخَرْتُ لَا يُجْدُو دِي  
وَبِهِمْ فَخَرُّ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضُّا دَ وَعَوْدُ الْجَانِي وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

ويقول وهو بمصر في قصيدة الحمى ، ولغير مناسبة أيضاً :

وَلَسْتُ بِقَانِيعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأْنُ أُعْزَى إِلَى جَدِّ هُمَامٍ

إلى غير ذلك من شعره الذي يدلُّ دلالة صريحة على أن الرجل لم يكن يشعر بالضعة ، وإنما كان يكتُمُ أمراً جليلاً يخاف منه على نفسه . وإن الرجل إذا كان يشعر بالضعة في نسبه ، لا يأتى فيبته في شعره لغير سبب ولا علة إلى ذكر هذا النسب . ولو فعل ذلك لكان أحمق الحمقى ، وأشأمهم على نفسه .

٥٥/٢ / وأيضاً يا سيدي العميد ، لو كان الأمر كما زعمت حين تقول في ص : ١٦ : « ما عسى أن يكون هذا الكذاب ؟ أترأه يمسُّ نسبه من قريب أو بعيد ؟ » ، ثم تحيب نفسك في ص : ١٧ : « ليس في ذلك عندي من شك ، فقد اتهم الرجل في نسبه .... » ، أليس المعقول بعد هذا أن يكون الذين تولَّوا هذا « الكذاب » ونطقوا به ، واتهموا المتنبي في نسبه ، وسألوه عن أبيه وجده فلم يستطيع أن يجيب = أن يكونوا قد عرفوا من خبر هذا النسب الموضوع الدنيء طرقاتاً يلوحون به لهذا المتنبي ، فيهيج ويضطرب ويختلط عليه

أمره ؟ ولو كان هؤلاء قد اتهموه فى نسبه كما تزعم ، لملأوا على أى الطيب الدنيا بما يعرفون من عار أمه وأبيه ، ولتجاوبت به صدور أعدائه من الشعراء وغير الشعراء ، لفرط عداوتهم له وغيظهم منه ، ولترددت هذه الخسة فى نسبه فى كل مكان وعلى كل لسان .

أجل يا سيدى ، فإن مثل الذى جمعت به من القول فى نسب المتنبي ، لو كان على ذلك العهد ( من سنة ٣٠٣ - ٣٥٤ من الهجرة ) ، وفى البلاد العربية ، وفى غمرة تلك الفتن والوشايات والأكاذيب ، لما خفى على أهل الكوفة وهم قومه ، ولا تنشر وملاً الأسماع والبِقاع ، ولأخفت ذكر المتنبي ودس رأسه فى التراب من الهوان والعار ، ولم يجعل من دأبه أن يفخر بتركه ذكر الآباء والأجداد .

وقد بقى فى هذا الفصل كثير من التناقض ، وسوء النظر ، وقلة التمهيد للآراء وتقليبها على وجوهها ، وضعف المنطق ، وتركه ولا نبألى / به ، إذ كان فيما يستقبل من ٥٦/٢ فصول هذا الكتاب « مع المتنبي » ، ما هو أدل عليه وأعلق به . وقد رأيت أن الدكتور فى هذا الفصل أراد أن يسلبنا شكنا فى نسب المتنبي الذى رواه الرواة ، وأن يعارض رأينا فى علوية أى الطيب برأى لا يستقيم ولا يُسمى رأياً ، إذ يتهدم فيقول « إنه رجل لا يعرف أباه » . وقد خرج الدكتور منه ، بعد الذى كتبناه ، بنصيب الرجل الذى سرق قميصاً فبعثه مع ابنه ليبيعه ، وكان ابنه هذا يعرف أن أباه سرق القميص من رجل بعينه ، فعارضه فى الطريق من سرقة منه ، فأسلمه إليه . فلما رجع قال له أبوه : بعث القميص ؟ فقال الولد : نعم ! قال : بكم ؟ قال : برأس المال !!

وأنا والله أشد إشفافاً على الدكتور طه حسين بك منه على نفسه ، ولكم وددت أنى يأتى الرجل بشيء فى كتابه يقال له عنده : لم تخطيء يا سيدى . ولكن لعن الله الحظوظ ، فإنها ربما وضعت الرجل مناً فى غير موضعه الذى هو له أوفق ، فيضطر إلى ما لا معدى عنه من طلب الشيء يحسن به مكانه ويثبت فيه ، فيكون فى طريقه المَرَلَةُ والعطبُ والهلاكُ ، وما نعوذ بالله منه ، ورحم الله من قال : « العُرَى الفادح ، خير من الرِّى الفاضح » .

وإلى السبت المقبل ، نستقبل الفصل الثانى من كتاب الدكتور حفظه الله .

- ٤ -

٥٧/٢ / يبدأ الفصل الثانى من كتاب الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك « مع المتنبي » من ص : ١٨ - ص ٣٤ ، وهو عن نسبه أيضاً من قِبَل أمه وجدته . وهو أيضاً فصل من الشك كالأذى مضى ، بدأه الدكتور الجليل بهذه الكلمة الجليلة : « وهل كان المتنبي يعرف أمه ؟ مسألة فيها نظر ، كما يقول الأزهريون » ، ص : ١٨ . ونحن بسبيلنا من اختصار هذا الفصل على القاعدة التى جرينا عليها فى الكلمة الأولى من حذف الحواشى ، والإبقاء على مادة الفكر ، وعلى الرأى ، وعلى الأسباب ونتائجها ، ثم نتبع ذلك بالنقد المفصل للفصل كله . يقول الدكتور :

« فديوان المتنبي صامت بالقياس إلى أمه صمته بالقياس إلى أبيه .... ولكن الخطب فى أم المتنبي أعظم منه فى أبيه .... » ، فالرواة والمؤرخون « ذكروه فسموه الحسين » ، أما هى فلم « يذكروا من أمرها شيئاً » ، « وكلّ ما نعرفه أن أمها قد عطفت على المتنبي » ، ص : ١٨ ، وهذه الأم ( جدة المتنبي ) أيضاً « لا نعرف لها اسماً ولا أباً » ، وإنما قال بعض الرواة : « إنها همدانية صحيحة النسب ، وإنها كانت من صوالح نساء الكوفة .... » ، « هذا وديوان المتنبي لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور وصاغته الكبراء ، ووضعه جموح الشاعر فى غير موضعه من الرثاء :

/ وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّحْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا

٥٨/٢

ص : ١٩ ، وينتهى الدكتور بعد ذلك إلى قرارة الأشياء ! فلا يكاد « يشك في أن المتنبي قد كان عريباً » ص : ٢١ ، « وقد كان المتنبي يرى أنه عرى ، وسار حياته كلها سيرة ملائمة لهذا الرأي » ص : ٢٣ . والدكتور الجليل يفهم كل شيء ، ولكن لا يفهم « الشك في عربة المتنبي ، ما دامت القرائن لا تنسبه إلى أم أعجمية » ص : ٢٤ . ويريد الدكتور أن يقرر بهذه الكلمة أن أم المتنبي عريية ، ثم يقول الدكتور إنه يظهر الشك في معرفة المتنبي لأمه وأبيه ! ، لينتهى من هذه المسألة إلى « حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهى أن المتنبي لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن ( يَجْهَر !! ) بذكر أمه وأبيه . التمس لذلك ما شئت من علة ، فهذا لا يعينى ، وإنما الذى يعينى ويجب أن يعينك ، هو أن شعور المتنبي الصبى بهذه الضعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأذنين ، قد كان العنصر الأول الذى أثر في شخصية المتنبي وبُعْض إليه الناس ، وفرض عليه أن يرى أن حياته بينهم لم تكن كحياة أترابه ورفاقه ، وإنما كانت حياةً يحيط بها كثير من الغموض ، يأخذها كثير من الشذوذ . رأى نفسه شاذاً لأمر ليس له في يد ، ففكر تفكير الشاذ ، وعاش عيشة الشاذ » ، ص : ٢٦ .

ثم يقول : « وتسألنى ، ومن حقك أن تسألنى ، عن مظاهر هذا الغموض الذى أحاط بحياة المتنبي ، وعن مواطن هذا الشذوذ .... فلاحظ قبل كل شيء غموض الأمر في نسبه ، ولاحظ بعد ذلك خلوة ديوانه من ذكر أمه وأبيه أو / الإشارة إليهما ، ولاحظ بعد ٥٩/٢ هذا وذاك هذا الكذاب الذى كان يكاد به عند أبى العشائر . ثم لاحظ آخر الأمر أنه حين عرف شوق جدته إليه ، ووجد الشوق إلى لقاءها ، وذهب لتتبعه وينعم هو بهذا اللقاء ، لم يستطع أن يدخل الكوفة .... أليس هذا كله دليلاً على أن شيئاً كثيراً من الغموض قد أحاط بأسرة المتنبي ؟ » ، ص : ٢٧ . ثم ينطلق يتكلم وينشد قصيدته في رثاء جدته إلى أن يقول : « هذا يدل من غير شك على أن سرّاً من الأسرار كان يكتنف حياة أبى الطيب ويحيط بأسرته ، ويستتر عنا حقيقة الصلة التى كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتى كانت بين الحسين السقاء وهذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتى اقتضت أن تُهْمَل أم المتنبي إهمالاً تاماً .... » ، ص : ٣٢ . والمتنبي يقول عن نفسه :

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

« فهو إذن لم يتغرب عن الكوفة حباً في الغربة » ، وإنما « تغرب منكراً للحياة في الكوفة » . وما الذى ينكر المتنبي من ذلك ؟ ينكر أمرين : « أحدهما يتصل بالحياة الاجتماعية ، والآخر يتصل بالحياة السياسية . وليس من شك عندى ، ولك أن تشك ، فى أن المتنبي لما تقدّمت به السنّ قليلاً قد عرف من أمر نفسه وأمر أسرته ما أنكره ، وما لم يستطع أن يقيم معه فى الكوفة ، فأثر الرحيل » ، ص : ٣٣ . فهذا هو الأمر الاجتماعى . وأما السياسى فسيأتى ذكره فى فصل آخر ، « وهو عندى أثر من آثار الأمر الأوّل » ، ص : ٣٤ . ثم ينتهى الدكتور بهذا : « ولعل هذا كله لم يقنعك كما أقنعنى بأن طفولة المتنبي / لم تكن طفولة عادية .... وبأن الكذاب الذى كان يُكَادُ به عند أئى العشائر لم يكن كذاباً كُلَّهُ ، وإنما كان له أصل يملأ صدر المتنبي غيظاً وحفيظة » ، « هذا كله يكفينى لأقتنع بأن « مولد » المتنبي كان شاذاً ، وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ وتأثر به فى سيرته كلها » ، ص : ٣٤ .

فهذه سبع عشرة صفحة اختصرناها فى هذه الأسطر .... ولم نخل بموضع رأى للدكتور الجليل .

\*\*\*

والدكتور فى هذا الفصل يقرر أن المتنبي « لا يعرف أمه » كما كان لا يعرف « أباه » ، ويبيّن أنه يبنى شكّه فى معرفة المتنبي لأمه على العلل التى اصطنعها فى أمر أبيه ، فالمتنبي لم يرثها ، ولم يظهر الحزن عليها حين ماتت ، ولم يذكرها !! ولم يمدحها أيضاً ، أليس كذلك يا سيدى الدكتور ؟ وقد جمع ذلك فى قوله : « فديوان المتنبي صامت بالقياس إلى أمه صمته بالقياس إلى أبيه » . وقد فرغنا فى الكلمات الماضية من القول فى أن إغفال ذكر الآباء ، وهم مادة فخر الشعراء ، لا يتخذ أصلاً فى تقرير النسب ، ولا يجدى فى الحكم بأن الرجل منهم « كان يعرف أباه » أو كان « لا يعرف أباه » .



وإذا تجاوزنا للدكتور فقلنا إنَّ له بعض العذر في أمر والد المتنبي ، وقلنا إنَّ الخطب في هذا الشك الذى اصطنعه هيئ ، وله وجه ، وفيه مقال ، فإن هذا الفصل من كتابه يجعلنا نقول له مثل الذى قال : من أن « الحُطْب في أم المتنبي ( في كتابه ) أعظم من الخطب في أبيه » . !!

٦١٢ / إن الدكتور طه رجل لا يستقيم على رأى ، ولا يُلمَّ به إلمام العارف الذى لا يغفل  
عن موضع التناقض والاختلاف والفساد الذى يركب بعضه بعضاً . فهو يقول : « كان المتنبي يرى أنه عربى ، وسار حياته كلها سيرة ملائمة لهذا الرأى » ، ثم يقرر بعقب ذلك : « ولعل هذا الرأى كان أبلغ المؤثرات في حياته العملية » ، ثم يزيده تقريراً بقوله : « وهو أبلغ المؤثرات في حياته الفنية على كل حال » . ويعنى بهذا التقرير الأخير أن ( عربيته ) كان لها الأثر في شعره . فإذا كان المتنبي كالذى يقرر وبالع في تقريره ، فما الذى ينكر من أن « ديوانه صامت بالقياس إلى أمه ، صمته بالقياس إلى أبيه » ؟ وما الذى كان يريده من المتنبي ؟ أكان يريده أن يمدح أمه ؟ والعرب لا يفعلون ذلك - أم كان يريده أن يذكر أسم أمه في الشعر ؟ والعرب أيضاً قلماً يفعلون ذلك إلا لضرورة = أم كان يريده أن يفخر بأمه ؟ والعرب أيضاً لا يفخرون بأُمهاتهم .... وإنما الفخر عندهم بالآباء ، وهم أصل الدم وصلة العصب = أم كان يريده أن يرثى أمه ويظهر الحزن على موتها ؟ والعرب أيضاً كانوا قلماً يرثون أمهاتهم أو يظهرن الجزع على موت النساء عامة ... ولو كان لهذا الدكتور طريقة في الفكر يتعقَّب بها المعانى ، ويستقصى الأغراض ، ويستوعب الأسباب والروابط ، لما جعل صمَّت ديوان المتنبي عن ذكر أمه أو مدحها أو الفخر بها أو الحزن عليها وراثتها موضعاً للنظر ، أو شبهة في الغموض ، أو علة للشك وهو يقول إنه عربى ، وأن عربيته كان لها أبلغ الأثر في حياته الفنية ... التى هى شعره .

٦٢/٢ أمَّا كان أولى به أن ينظر نظرة العقلاء من العلماء فيقول : إن المتنبي رثى / جدَّته ، ولم يرث أمه ، ويسأل نفسه عن سرِّ ذلك ؟ وسرُّ ذلك بغير شك أن أمه ماتت وهو صغير لم يشهدها وهو شاعر يقول ويفصح = أو لعله وجد لموتها من الغم ما صرفه عن قول

الشعر . وهذا ليس بغريب ولا عجيب ، فكم من شاعر يُنكَبُ النكبة تُرَضُّه رَضٌّ القَصْبَة ، فما يستطيع أن يثبت آلامه في بيت واحد من الشعر ؟ أليس أحد هذين هو الأقرب إلى عقل العقلاء ، وتصرف أهل البصر ؟ ولكن هذا الرجل ، كما قلنا لك مراراً ، يرى الرأى بادية الرأى فلا يتبصر فيه ولا يقلبه ولا يروزه ، ويعزم على القول متعجماً فيصرفه هواه عن القصد ، فيلجئه ذلك إلى الاستعانة ببدايات عبقريته ، فلا تزال به تتقمم هذا وذاك ، وهو لا يبالي أن يناقض أو يخالف أو يتورط أو يغالط عقله ، ويفسد عقول الأشياع والمريدين من أصحابه .

ومن البلاء الذى لا بلاء بعده ، أنه حين يتخبط في مثل هذا ، يعمد إلى « اصطناع » الهدوء في إلقاء القول ، وكأنه على ثقة مما يقول ، ويزيد « فيصطنع » المنطق أيضاً ، وما يريد بذلك إلا إيهام من لا يقف متدبراً عند القول وقرينه ، وما يتراقدان به من المعانى والأغراض .

ثم يبالغ في التلبس فيسوق إثر ذلك شبهة أخرى يقول فيها : « ولكن الخطب في أم المتنبي أعظم من الخطب في أبيه . فقد سكت المتنبي نفسه عن أبيه ، ولكن الرواة والمؤرخين ذكروه فسموه الحسين ، وعرفوا له أباً اختلفوا في أسمه بعض الاختلاف ، وعرفوا له صناعة هى السقاية في الكوفة . وهذا على قلته وضالته كثير بالقياس إلى ما عرفوا عن أم المتنبي ، لأنهم لم يعرفوا من / أمرها شيئاً ، ولم يذكروا من أمرها شيئاً . فنحن لا نعرف اسمها ، ولا نعرف أباهما ، ولا نعرف أكانت عربية من قبل أبيها أم أعجمية ، وكل ما نعرفه أن أمها قد عطف على المتنبي وأحبته وكلفته به ، وعمرت حتى رآته رجلاً .... » ، ص : ١٨ .

فتدبر هذا الكلام الفضفاض الطويل ، وهو لغو يبتدىء ، وثرثرة لا تنتهى .... وكل ذلك لأن المؤرخين لم يعرفوا من أمر أم المتنبي شيئاً ، ولم يذكروا اسمها ولا اسم أبيها !! والدكتور مغرئ بهذا الضرب من الإفاضة حتى يصدع رأس القارئ بالضجيج اللفظي ، فينام فكره ، فيتلقى ما يريدده هو من الرأى نائماً أو كالنائم . وإلا فالأمر أهون من ذلك

بكثير أيها الدكتور العبقري . فلو أنك أمرت مستمليك أن يمد يده فيتناول كتاباً من كتب تراجم الرجال فيقرأ لك طرفاً منها ، لعلمت أن أصحاب هذه الكتب ، وهم المؤرخون ، قلما يعرضون في التراجم لذكر أمهات الرجال أو ذكر أسمائهن أو أسماء آبائهن . ومن الإنصاف أن نلاحظ أن المؤرخين لم يكونوا يقدرون في أكبر الظن في سنة ١٩٣٧ ، أنه سيُتشكك في نسب المتنبي ، وسيُتمس وجه الحق فيه بعد أن يموت بألف سنة ! ولو أنهم قدروا شيئاً من ذلك ، « لأمكنهم أن يحتاطوا له بعض الاحتياط » !! أو كما قال الدكتور في ص : ١٩ .

ما أظن أحداً يستطيع أن يُخرج من شعراء العربية وهم أُلوف لا تنتهى ، مئة شاعرٍ يعرف المؤرخون أسماء آبائهم وصناعة هؤلاء الآباء ، وأمهاتهم وأسماءهن . ولعل الدكتور يطلب بعد ذلك من المؤرخين أن يصفوا له الآباء / والأمهات ، وجليتهُم ، ٦٤/٢ وطولهم ، وعرضهم ، ولون عيونهم ، وما إلى ذلك = وإلا زعم أن هؤلاء جميعاً لا يعرفون آباءهم ولا أمهاتهم !

وهذه الأباطيل هى الأصل الذى بنى عليه الدكتور شكّه في هذا الفصل ، وهو أصل فاسد كله .

وإنما شأن المتنبي من قبلها شأن مَنْ سبقه ومن عاصره ومن جاء بعده . فلماذا نقذف المتنبي وحده بهذا « المَقْت » الذى طُلِع به الدكتور ، ولا نأخذه بالقياس على أشباهه ونظرائه ، ونجعل الأمر فيه أمرهم ؟

هذا على أن المتنبي لم يذكر له أحدٌ من شعراء عصره شيئاً عن أمه ، يهجوها أو يعرض أو يعجز ، حتى يكون « صمت ديوانه عن ذكرها » سبباً في توجيه النظر إلى أمرها . ثم يكون هذا الأمر من القُبْح والمَقْت بحيث ينكره المتنبي = ثم يكون هذا الإنكار داعية للمتنبي أن لا يَجْهَر بذكرها !! = ثم يكون في سنة ١٩٣٧ ، حافزاً للدكتور العبقري ليشك في « معرفة المتنبي لأمه » = ثم يكون هذا الشك سبباً في اقتناعه غاية

الافتناع » بأن مولد المتنبي كان شاذاً ! وبأن المتنبي أدرك هذا الشذوذ ، وتأثر به في سيرته كلها !!

فإذا كان الأمر كما رأيت الآن ، فأئى عجب فى أن لا يذكر المتنبي أمه شاباً ومكتهاً ، وراضياً وساخطاً ، ومسروراً ومحزوناً ، وما إلى ذلك من أوهام الدكتور طه .

وانظر إلى هذه الحقيقة التى يذكرها ، « حقيقة يظهر أنها لا تقبل الشك ، وهى أن المتنبي لم يكن يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه / وأبيه ، التمس لذلك ٦٥/٢ ما شئت من علة ، فهذا لا يعنينى ، وإنما الذى يعنينى ، ويجب أن يعينك ، هو أن شعور الصبى بهذه الضعة أو بهذا الضعف من ناحية أسرته وأهله الأذنين ، قد كان العنصر الأول الذى أثر فى شخصية المتنبي » = ثم انظر إلى قوله : « لماذا احتاج المؤرخون أن يتحدثوا عن أبيه ، وعجزوا ( أو لم يريدوا ) أن يتحدثوا عن أمه !! » = ثم انظر إلى هذه الصلة الفاجرة التى يعينها الدكتور بقوله : إن سرّاً من الأسرار « يكتنف حياة أئى الطيب ويحيط بأسرته ، ويستتر عناً حقيقة الصلة التى كانت بينه وبين هذه الجدة الصالحة ، والتى كانت بين الحسين السقاء وهذه الجدة الصالحة أيضاً ، والتى اقتضت أن تُهمل أم المتنبي إهمالاً تاماً » .

ألا إن أم المتنبي لم تُهمل إهمالاً تاماً لسر من الأسرار ، بل شأنها شأن غيرها من أمهات الشعراء والرجال الذين لا نعرف عن أمهاتهم شيئاً وهم السواد ، وقُل أن يكون قد ذُكر من أمرهن شيء فى كتب التراجم .

إن عادة الدكتور أن يعمد إلى الأصل الفاسد الذى بينى عليه كلامه ، فيطيل فى ذكره والتنبيه إليه بشبّه لا حقيقة لها ، ثم يدير الكلام من هنا ومن هنا ، ويحتال فى الإكثار والإطالة ، متلبساً بالهدوء والوقار ، ملوّحاً بالمنطق ، مخادعاً بالفكر ، ليتوهم من لا يدرك حقيقة هذا الأصل الفاسد الذى يعتمد عليه ، أن الرجل قد أتى بشيء ، وأنه قد فكّر ، وأنه قد علم ..... ثم أخيراً أنه قد أجاد وأحسن ! وما به شيء من ذلك .

وأنت إذا رجعت إلى هذا الفصل بعد الذى بيناه من أن صمت ديوان / أئى ٦٦/٢  
الطيب عن أمه ، وصمت المؤرخين عن ذكرها ، أمر لا غبار عليه = عرفت أن هذا  
الفصل وحل كله ، وليس فيه من جهد الفكر إلا جهد الاحتيال وإرادة التلبيس والتّمويه  
على البسطاء ، ومن لم يدرس على أصل حكيم مقرّر ، ومن لا يقف على المعانى والأغراض  
وقوف المتثبت .

ولا نحب أن نقف طويلاً عند إبطال هذه الأباطيل ، فإن أمرها بين ظاهر . وقد  
تكلمنا فى الكلمة السالفة عن المعنى الذى أرادته الدكتور طه فجمع له كل هذا الثناء من  
الألفاظ والمعانى والآراء والأفكار ، ليقول إن المتنبي « لا يعرف أباه » و « لا يعرف أمه » ،  
وليقول إن « مولد » المتنبي كان شاذاً ، ثم يفعل ذلك ليوقع فى نفس القارىء أن هذا  
الرجل كان ولدًا لغير رشدة بين رجل وامرأة من الناس لا يعرفهما ، وينكر من أمرهما  
ما كان . واللّهم إنا نعوذ بك من فضوح الدنيا وفُضُوح الآخرة ! فهذه فضيحة عقلية  
« كبرى » ، لا يرضاها لنفسه إلا من تبع هواه ، وانقاد لغرائزه ، وأعطى السّلّم لصاحب  
الأمر والنهى فى شهوات متّبعيه .

ثم يريد الدكتور تغطية هذا الفصل التّغل المعيون برأى جديد !! ( التّغل : تَنقُب  
الجلد من سوء الدّباغ . وَمَعْيُون : ظاهر الفساد تراه العين ) ، وهو أن المتنبي « عربى » !  
فمن الذى شك ، يا سيدى ، فى عريّة المتنبي ، وهل فى الأرض أحدٌ تكلم فى هذا ،  
أو خاض فيه ، أو عرّض له ؟ وأى شيء يحمل مؤلفاً على أن يملأ ستّ صفحات من  
كتابه ( من ص : ١٩ - ٢٥ ) بكلام لا وزن له ، ولا غناء فيه ، ولا معنى يُراد له ؟ ويتعالم  
على الناس فيقول : / « ونحن إذا انتهينا إلى ( قرارة الأشياء ) لا نكاد نشك فى أن المتنبي قد  
٦٧/٢ كان ( عربياً ) » !! وقد أنصف الدكتور إذ وقع له لفظ ( القَرارة ) فى هذا الرأى ، فإنه  
شئ ساقط حقاً لا يأتى إلّا من القَرار . ولماذا يدور لسانه بما يملأ صفحتين على هذا  
النمط : « إنّما أفهم الشك فى عريّة المتنبي ، لو أن المؤرخين روّوا له نسباً معروفاً أو قريباً من  
المعروف فى أمة غير عربية ، وأنه قد جحد هذا النسب وتبرأ منه ، واصطنع لنفسه نسباً

عربيا .... » ، ص : ٢٤ ، « ولكنى لا أفهم الشك فى عربية المتنبي ما دامت القرائن لا تنسبه إلى أمة أعجمية .... » ، ص : ٢٥ ؟؟

ولكن ، أيدرى القراء من أين أخذ الدكتور العبقرى هذا المعنى فأفاض فيه للَّجَاجَة لا للغرض ؟ فاعلم يا سيدى أن الأستاذ الجليل المفكر العاقل عبد الوهاب عزام حين تكلم عن نسب أبى الطيب الذى يذكره الرواة قال فى ص : ٣٤ : « ولكننا إذا رجعنا إلى الحقائق ، وتطلبنا الأدلة القاطعة ، لم نجد فى شعر أبى الطيب ما يدلنا دلالة صريحة على أن الرجل يَمَانٍ أو مُضَرِّىٌّ ، أو ما ينبىء بعشيرة أو قبيلة » ، ثم ذكر ثلاثة أدلة على حُمُول نسب أبى الطيب ، ثم قال بعدها فى ص : ٣٥ : « ومهما يكن ، فلا ريب أن شاعرنا كان ( عربياً قُحّاً ) ، فلا يعيبه أن كان من بيت فقير ، وكفاه أن كان كما قال القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا  
وَصَيَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامَا

/ « فالرجوع إلى الحقائق » ، فى كلام عزام انخط فى كلام الدكتور إلى « قرارة الأشياء » ، وكلام عزام فى أن الفقر لا يحط من قيمة الرجل العربى ، اقتطع منه أن المتنبي « عربى » . وتوهم الدكتور أن ثمة مَنْ شَكَّ فى نسب المتنبي ، أو من سَيَّشَكَ فيه لقول عزام : « فلا ريب أن شاعرنا كان عربياً قُحّاً » ، ثم نفخ الدكتور فى الكلمة الواحدة من روحه حتى بلغت ست صفحات من فصل هو ست عشرة صفحة .... فهل يملك القارئ بعد ذلك شيئاً إلا العجب ، ثم الضحك ، ثم إسناد كُفِّه إلى حشاه من الإفراط فى هذا الضحك ؟

ومن عجيب أمر الدكتور طه ، وهو الرجل العبقرى الحاذق ، أنه إذا كتب أراد أن يتطرّف فى كلامه ، فيأتى من ظرفه كلام كقِطْع الليل المظلم . يقول فى ص : ١٩ : « ومن الإنصاف أن نلاحظ أن المتنبي لم يكن يقدر فى أكبر الظن ، أننا سنتشكك فى نسبه ، وسنلتمس ( وَجْهَ الحق ) بعد أن يموت بألف سنة . ولو أنه قدّر شيئاً من ذلك ، لأمكن

أن يحتاط له بعض الاحتياط ! ومن يَدْرِى ؟ لعله كان يزدرى شَكَّنَا ، كما كان يزدرى كَيْد المعاصرين ، ولعله كان يُجيبنا بكل ما أجابهم به حين قال :

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْبَاحِثِ ، وَالتَّجَلُّ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ  
وَلِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ تَفَرَّوْهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ

وأنت ظريف ، ظريف جداً يا سيدى الدكتور ، حين تتوهم أن المتنبي لو عرف أنك ستلتبس ( قفًا الباطل ) الذى تسميه ( وجه الحق ) ، وقَدَّر / موقفه منك ( لَأَمْكُن ٦٩/٢ أن يحتاط له بعض الاحتياط ) !! أَلَمْ تَنْبِىَ يحتاط لك !! وهو الذى وقف لهؤلاء المعاصرين الكائدين له فى حضرة سيف الدولة ، ويخاطب سيف الدولة فيقول :

كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا ( عَيْبًا ) فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ  
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالْتَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ، أَنَا الثَّرِيَّا ، وَذَاكَ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ

أَلَمْ تَنْبِىَ الذى استَعْلَى على الملوك والسلاطين والخلفاء فى عهده !! ورمى فى وجوههم بهذا القول :

وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ ( مَقْتَهَا ) وَمَا يَفْتَضِيْنِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ  
وَأُنِّى رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا وَأَجْمَلَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ

يحتاط من أجلك أنت خوفًا وفرقًا ؟

آه لو علم الدكتور أسرار الألفاظ التى يستعملها الرجل فى شعره ، إذن لتوصَّل إلى فقه نفسية المتنبي ودراستها ، ولأُخلد بكلامه هذا إلى الأرض ، ودسَّه فى التراب ، وغَيَّبه وستره عن الناس .

وَأَلَمْ تَنْبِىَ يقول لك : « أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا الْبَاحِثِ » !

كلَّا يا سيدى ، فثَمَّةَ أن المتنبي قال لكبير كُتَّاب سيف الدولة أُمى الفرج السامُرِيُّ :

أَسَامَرْتُ ضُحْكَةً كُلِّ رَأٍ فَطِنْتُ ، وَكُنْتُ أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ  
صَعُرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ : أَهْجَى ! كَأَنَّكَ مَا صَعُرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ !  
/ وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ ، وَلَا جَرَّيْتُ سَيْفِي فِي هَبَاءِ

٧٠/٢

هذه نفس المتنبي تطل علينا من شعره ، لا من خفة روح الدكتور طه .

وأنا قد أثبت هذه الكلمات وأثبت كلام المتنبي ، ليعرف القارئ أن الدكتور الذى يدعى أنه يؤلف عن المتنبي ، ويقول فى آخر كتابه ص : ٧٠٦ : « فما أكثر ما بقى فى نفسى من المتنبي » ، يجهل كل الجهل نفسية المتنبي ! وإن كلمة واحدة فى كلام مؤلف ، لتدل أكبر الدلالة على صدقه أو كذبه فيما يدعى . وليس كذلك الخطأ ، فإن الخطأ بسبيل أخرى غير التغلغل فى نفس الشاعر الذى تكتب عنه ، والإحاطة بآرائه وعواطفه ، وما يحتمل أن يصدر منه وما لا يحتمل . فهذه الكلمات التى قالها الدكتور ، هى الدليل على أنه « لم يعرف المتنبي » كما لم « يعرف المتنبي أباه وأمّه » ! ولشد ما عجب من هذا « الاحتياط » الذى أراده الدكتور من المتنبي . وكلما قرأت ذلك أو مثله فى كتاب « مع المتنبي » تمثل لى أبو الطيب وهو ينشد :

وَمَنْ جَهِلْتُ نَفْسُهُ قَدْرُهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وللسبب المقبل تنمة نقد هذا الفصل ، وإظهار شيء من سائر عيوبه وما آخذه ،

والله المستعان !!



- ٥ -

٧١/٢ رأيت فى الكلمة السالفة وما قبلها أن الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك = عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ومؤلف كتاب « مع المتنبى » حالاً ، ومؤلف كتاب « فى الشعر الجاهلى » سابقاً = أراد أن يشك فى نسب المتنبى الذى رواه الرواة ، فشك على غير بينة أتى بها ، ولا لنقد « اصطنعه » ، ولا لعلّة توقّف فيها ونظر إليها ، ولا لأصل من علم الرواية أحاط به ، ولا لضرورة ملجئة لهذا الشك تحمله على تفسير شعر المتنبى وتحليله على حقيقة يهتدى إليها ، أو قرّض ينصيب نفسه للجدال فيه بالحجة والبيان والتصريف .

ثم انطلق يهيم فى خياله إذ يزعم أن المتنبى « كان لا يعرف أباه ولا أمه » ، لأنه لم يذكرهما فى شعره ، وأنه كان لا يستطيع أن يفاخر بأسرته ، ولا أن يجهر بذكر أمه وأبيه ، لأن « مولده » كان شاذاً . ونعوذ بالله من خطرات السوء ، ومن قذف أعراض الناس بالأباطيل والأوهام ، فما فى الدنيا شرّ من حديث الإفك وتعاطى « التظرف » بإسقاط المروءات .

٧٢/٢ / وأما هذه الكلمة فهى فى إظهار سائر فساد هذا الفصل الثانى من كتاب الدكتور ، وبيان مغالطاته وتناقضيه ، وسوء ما يكون فيه من الرأى والتأويل والتخيّل الفاسد .

وأوّل ذلك أنه كان بمصرَ شريف من ولد العباس يعرف بأبى جعفر الشَّقِّ ، فدخل عليه يوماً كاتبه أبو الحسين ، فوجده يبكى بكاءً شديداً ويقول : وأنقصام

ظهره ، واهلاكاه ! فقال له : ما للشريف ، لا أبكى الله عينيه ؟ فقال : ماتت الكبيرة = يريد أمه ، وكان بها باراً . فقال الكاتب : ماتت ؟ قال : نعم ! فشقَّ الكاتب جيبه ، وأظهر من الجَزَع ما يجب لمثله . ثم ما لبث أن أنكر الأمر إذ لم يجد دليلاً : لا أحد يعزِّيه ، ولا في الدار حركة ، فما هو إلا أن أتت الخادمة فقالت للشريف : الكبيرة = تعنى أمه = تقرئك السلام وتقول : إيش تأكل اليوم ؟ قال : قولى لها : ومتى أكلت قطُّ بغير شهوتك ! فابتدر الكاتب يقول له : يا سيدى ، الكبيرة فى الحياة !! فقال : وإيش تظنُّ أنها ماتت من حقِّ ، إنما رأيت البارحة فى المنام راكبة على حمارٍ مصرىِّ تسقيه من النيل ، فذكرت قول الشاعر :

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأَمِّ عَمْرٍو فَلَا رَجَعْتَ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ

وكذلك الدكتور طه حسين بك ، توهم بغير بينة أن المتنبي ( لا يعرف أباه ) ، ثم توهم أيضاً ( أنه لا يعرف أمه ) ، وجعل كلام أحلامه حقيقة يستنبط منها حقائق فى الفصلين الأولين من كتابه ، ثم يُفَيِّق فى سائر الكتاب / من تفسير هذه الأحلام ويتزَع عنها . ولكن قبل ذلك يحلِّم مرة أخرى فى شأن جدته فيقول : « وكل ما نعرفه نحن أن جدته قد عطف على ، وهذه السيدة التى قتلها حب حفيدها فيما يقال وكما سئرى ( لا نعرف لها اسماً ولا أباً ) ، وإنما نعرف أن بعض الرواة كانوا يقولون إنها همدانية صحيحة النسب ، وأنها كانت من صوالح نساء الكوفة ، وهذا كل ما نعرفه عنها التاريخ . وهو كذلك كلُّ ما نعرفه عنها ديوان المتنبي . أستغفر الله ، فديوان المتنبي لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور ، وصاغته الكبراء ، ووضعه جموحُ الشاعر فى غير موضعه من الرثاء وهو قوله :

ولو لم تكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ لَكَانَ أَبَاكَ الضَّحَمَ كَوْنُكَ لِي أَمَّا

فأقل ما فى هذا البيت أن المتنبي يذكر لنا أن جدته قد كانت بنت أكرم والد ، ولكنها لم تكن محتاجة إلى هذا النسب لأنه حفيدها ، ولكن المتنبي لم يذكر لنا شيئاً عن

هذا الوالد الذى كان أكرم الناس ، انتهى بنصه من ص : ١٨ ، ١٩ . ورحم الله من قال : « عِيَّ الصَّمْتُ خَيْرٌ مِنْ عِيَّ الْمَنْطِق » !

...

وما أدرى والله من أى أمور هذا الرجل أعجب ؟ أمن أوهامه ؟ أم / من استخراجها ٧٤/٧ ( الحقائق ) من أوهامه ؟ أم من توهمه أن هذا البيت من كلام المتنبي يشكك في نسب جدته ؟ أم من هذا الشرح العجيب الذى علق به على البيت ؟ وقد بينا في الكلمات السالفة هذه الأوهام العجيبة التى طافت برأس الدكتور الجليل ، وكشفت عن فضوح الرأى التى استخرجها من هذه الأوهام ، ووصفها بأنها ( حقيقة لا تقبل الشك ) . وبقي هذا البلاء العريض الذى ابتلينا به في فهم الشعر ممن لا يُحسِن فهمه ، ولا يُبصر مواقع الألفاظ من المعانى . فالتحاة ( يزعمون ) أن « لو » حرف امتناع لوجود ، فيقولون في التمثيل : ( لو لم تكن جاهلاً لفهمت ) أى ( وجود ) الجهل ( منع ) الفهم ، فهذا تقرير للجهل لا تشكيك فيه . وهذه مسألة بينة واضحة وضوح الصبح لدى عيين . فكذلك المتنبي ، يقرر أن جدته بنت أكرم والد ، فوجود هذا الوالد الكريم هو الذى منع أن يكون ( والدها الضخم كونها أمه ) ، فهذا تقرير لكرم عنصرها من جهة ، وفخر بنفسه من الجهة الأخرى ، فلذلك قال في البيت الذى يليه :

لَيْسَ لَدِّي يَوْمَ الشَّامِتِينَ يَوْمُهَا لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا

ثم انساق بعد ذلك يفخر بنفسه ويصفها بالجلال والحرية والشجاعة والمكارم .... فأين ( بعض التشكيك ) الذى خوَّض فيه هذا الرجل الحاذق الفطن المتكلم ؟! ... وليس هذا فحسب ، فكَمَّ السَّوَأَةُ الأخرى في شرحه حيث يقول الدكتور الجليل : « فأقل ما في هذا البيت أن المتنبي يذكر لنا أن جدته قد كانت بنت أكرم والد » ، فهل في القراء من يستطيع أن يفهم / معنى قوله ( فأقل ما في هذا البيت ... ) ؟ ٧٥/٧ وأين الباقي الأكثر يا سيدى الدكتور وما هو ؟ لقد كان أولى بك أن تقول : « فكل ما في

هذا البيت .... » لأن المتنبي يقرر أنها بنت أكرم والد ، وأن هذا قد منع ما وراء ذلك من قوله : « لكان أباك الضخم كونك لى أما » . وهذا من حيل الدكتور طه في التعبير للإيهام والتلبيس ، وخلط الباطل بالحق حتى يفسد في نظر من لا يتدبر .

ثم يقول الدكتور بعقب ذلك : « ولكنها ، يعنى جدة المتنبي ، لم تكن محتاجة إلى هذا النسب لأنه حفيدها » .

فهل يفهم أحد من الناس = ولو كان من الجاهل = هذا الذى قاله الدكتور ؟ وهل يستطيع أن يستخرج المعنى الذى ذكره الدكتور العبرى من ألفاظ هذا الشعر ؟ هل قال المتنبي لجده : إنك غير محتاجة إلى هذا الوالد الكريم لأنى حفيدك ؟ يا سيدى الدكتور طه ، هل تتكرم فتسمح لى أن أقول لك مرة أخرى ، وما بين الأولى والآخرة إلا ( فِرْكَةُ كَعْب ) : إن النحاة يزعمون أن ( لو ) هذه التى استعملها المتنبي فى أول البيت هى حرف امتناع لوجود ، وأن ( وجود ) الأب الكريم ( منع ) أن يكون حفيدها المتنبي هو أباه الضخم ؟ فأين هذا يا سيدى من الخلط الذى تقوله من أنها ( لم تكن محتاجة إلى النسب لأنه حفيدها ) ؟

\*\*\*

/ ثم ما هذا التعسف يا مولانا الجليل ؟ وما هذا التحكم فى السنة من مات من الشعراء ؟ ثم ما هذه السيطرة التى حَبَاكَ الله بها على عبادته ؟ ثم ما هذا السلطان الذى مُلْكَنَته على ما يجب أن يُقال وما لا يجب ؟ ومن الذى خَوَّلَكَ الحق فى أن تقول بعقب هذا الغُثاء : « ولكن المتنبي لم يذكر لنا شيئاً عن هذا الوالد الذى كان أكرم الناس » ؟ لماذا يذكر المتنبي ذلك ؟ وأئى ضرورة فى الشعر تقتضيه أن يثبت لك فيه اسم هذا الوالد ونسبه وصفته وطوله وعرضه ؟ وهل كان جميلاً أو دميماً ؟ وهل هو أزرق الحديقة أم أسودها ؟ وهل هو أعمى أم مبصر ؟ وهل كان أقنى الأنف أم أفطس ؟ أئذا لم يذكر لك المتنبي شيئاً عن والد جدته ، نصبت له نفسك فى مكان مُنْكَرٍ وَكَبِيرٍ تحاسبه على

الصغيرة والكبيرة حتى تبلغ ما تريد من الشك في نسبه وقذفه في أمه وأبيه ، وأنه لا يعرفهما ولا يستطيع أن يجهر بذكرهما !! وأن ثمة صلة بين الحسين السقاء وهذه الجدة ( اقتضت أن تُهمل أم المتنبى إهمالاً تاماً ) ؟ ومن الإنصاف ، كما يقول الدكتور ، أن نلاحظ أن المتنبى لو كُشِفَ له غَيْبُ الأيام وعرف أن مثلك سيتشكك في أمره ، وبلغ هذا المبلغ الذى بلغت ، متعسفاً متحكما متهمجماً ، وأن مثل هذا القول سيجد أذنًا تصغى إليه وتسمع له ، لجمع شعره فأحرقه ، ولضرب الناس على روايته وهو يقول : « اتق الصَّيَّانَ لَا تُصِيبَكَ بِأَعْقَائِهَا » ، أو كما قال المثل . ( الأَعْقَاءُ جمع عَقَى : وهو ما يخرج من بطن الصبى حين يولد قبل أن يطعم ، والعَقَى أسود لزج كالغراء ) .

فهذا كما ترى آستنطاقٌ للشاعر بما لم يقل به ، وتلفيقٌ على فهم القراء / بالمقدمات ٧٧/٢ الفاسدة ، وهوى غالب على فكرٍ مضطرب ، وسوء فهم للشعر ليس بعده سوء ولا فساد ، وتعسفٌ بغیض ، وتحكمٌ غليظ ثقيل ، بغير ضرورة موجبة ، ولا معنى مستور يُراد له التوضيح والبيان .... وهذا كما ترى أدب الدكتور الجليل طه حسين بك وفقهه في العربية ومعاني ألفاظها ، وكرسى الجامعة من وراء ذلك كله يُعِينه ، فكأنه رُوحُ القُدس !!

\*\*\*

وأعجبُ العجب ، والصيامُ في رَجَب ، ما سنذكره لك من المثل المنسوب في كتاب الدكتور طه للتناقض أولاً ، ولسوء الفهم ثانياً ، وللتعسف البغيض الغليظ ثالثاً ، إذ يتخيل الدكتور أنه وحده الذى له حَقُّ النظر والاستنباط والحكم ووضع النتائج من شعرِ المتنبى ، وأنه ليس لغيره مثُلُ الذى له من ذلك . يقول : « وإذا كان الكائدون للمتنبى من معاصريه قد عجزوا عن أن ينفروه ويُنفدوا حيله ، وبضطروهم إلى أن يذكر لهم آباءه وأجداده ، فإن الباحثين المعاصرين لنا أعجز من أولئك الكائدين . فليس بين هؤلاء المعاصرين الباحثين وبين المتنبى منافسة ولا خصومة ، وليس هؤلاء الباحثون

المعاصرون من العلم بأمر المتنبي ودخيلته بحيث كان خصومه ومنافسوه في القرن الرابع . فليس هناك شك في أن الذين عاصروا المتنبي وخصموه ، كانوا يعرفون من سيرته ومن أمره جملة أكثر جداً مما نعرف ، لأننا لا نعرف شيئاً ، أو لا نكاد نعرف شيئاً ... » ، ص : ٢٠ .

وأول ما في هذه العبارة أنه قد أراد بها الرد على رجل واحد ، لا على / ( هؤلاء المعاصرين الباحثين ) ، وهذا الرجل الواحد هو ( محمود شاكر ) الذى شك في النسب الذى رواه الرواة ، وزعم أن المتنبي كان علويًا . فما من أحد غيره حاول أن يعرف حقيقة الأمر في نسب المتنبي . وكتان هذا الرجل المؤلف آسمى وذكرى لا يجدى عليه شيئاً ، ولا ينقصنى . بل إن جعله المعاصر الواحد والباحث الواحد « معاصرين وباحثين جملة » ، دليل على أنه متخلف عاجز عن الفكر في القول الذى يريد أن يرده بهذه الكلمات . وأنا أشهد ، والدكتور الجليل يشهد معى ، أنه أعجز الناس عن النقد ، ثم أبلغهم عجزاً عن نقدي أنا خاصة .... وسيرى القارئ أمثلة كثيرة من هذا العجز ، حين أراد أن يتعرض لذكرى في كتابه بالتلميح لا بالتصريح ، حتى بلغ من عجزه أنه كان يعمد إلى النص الذى اعتمد عليه في استنباط رأى ، فيهمل النص ويرويه في ألفاظ من عنده ملفقة ، حتى يفسد معناه الذى هو له . ومع ذلك فلا يتحرج ولا يتذم من أن يشير في أسفل الصحيفة إلى الكتاب الذى نَقَلَ عنه بالجزء والصحيفة !!

ودع هذا ، فإذا كان هؤلاء المعاصرون الباحثون عاجزين عن إدراك حقيقة القول في نسب المتنبي للعلل التى ذكرها ، فلماذا لم يكن هو من جملة هؤلاء الباحثين المعاصرين ؟ ولماذا يكتب إذن عن نسب الرجل حتى يرميه بالداء القبيح في عرضي أمه وأبيه ؟ وكيف يبيح لنفسه أن يقول أنه اقتنع بأن ( مَوْلِد ) المتنبي كان شاذاً ؟ إلى آخر هذا السخف الذى عرضناه ! أترى هذا الدكتور ليس من المعاصرين ؟ أتراه يمل على غلامه هذه الفصول وهو / مِنْ وَرَاءِ حُدُودِ الدُّنْيَا فِي مَجْهُودَةِ الْآخِرَةِ ؟

وإذا كان هذا الرجل يعترف بأنه لا يعرف عن المتنبي شيئاً أو لا يكاد يعرف شيئاً !! فما غناء هذا الكتاب الذى كتبه ؟ وعلى أى شيء اعتمد ؟ ومن أخذ ؟ وكيف استوحى ؟ ألا إن فى الكلام ما يسمى ( فاسداً ) كما قالوا - وعندى أنا أن فى الكلام ما لا يستحق أن يسمى ( فاسداً ) ، لأن هذا اللفظ لا يستغرق كل معانى الفساد الذى يكون فيه . ألا ترى ذلك يا سيدى الدكتور ؟ فإن لم تكن تراه ، أفلا تراه أنت يا سيدى القارئ ؟ بلى وربّ الذى قال ( ﷺ ) : « الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار » .

\*\*\*

ومن أعجب السخف وأغربه وأعرقه نسباً فى الأباطيل ، ما عرض له الدكتور فى ص : ٢٣ ، ٢٤ إذ يقول : « وقد أنبأنا المتنبي برأيه هذا ( يعنى عربيته !! ) فى نفسه حين قال :

لَا بِقَوْمِي شُرُفْتُ بَلْ شُرُفُوا بِي ، وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِجُدُودِي  
وَبِهِمْ فَخَرْتُ كُلُّ مَنْ نَطَقَ الضُّأ دَ ، وَعَوُذُ الْجَانِي ، وَعَوْتُ الطَّرِيدِ

فهذا البيت الثانى صريح فى أن المتنبي كان يعلن إلى الناس أنه لا يشرف بقومه وإنما يشرف به قومه ، وأنه يفخر بنفسه لا بأجداده ، وإن كان قومه فخر العرب ومجتمع خلائهم وخصالهم » . ولا يفوتنك أن تسمع / لهذا العبقريّ حين يقول إن البيت الثانى ٨٠٢ صريح « فى كذا وكذا » - وعلم الله أن هذا الصريح الذى أتى به فى كلامه هو البيتان جميعاً ، وليس بيتاً واحداً !! ثم يقول فى إثر ذلك : « فما الذى يمنعا أن نصدق المتنبي ، ونرى معه أنه كان عربياً قحطانياً ، لا شيء إلا أنه لم يحفظ نسبه ، ولم يحفظه له المؤرخون ، فأمره فى ذلك أمر الكثرة التى لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم ( تأمل هذا جيداً ) ، أفنجد عربيتهم لأنهم قد أضاعوا هذه الأنساب ؟ وما يمنعا إذن أن نوجد إنسانية الناس ، لأنهم لم يحفظوا أنسابهم إلى الإنسان الأوّل ، أو إلى الأناسيّ الأوّلين » ، ووقفت العبقريّة فى ص : ٢٤ .

فأنت ترى أن هذا الرجل يزعم لك أن المتنبي في هذين البيتين يرى ( أنه عربى قحطائى ) ، ولم يقل المتنبي ذلك كما ترى ، بل قال : « وبهم فخر كل من نطق الضاد » ، والقحطانيون والعدنانيون كلاهما ينطق الضاد ، والإجماع على أن « فخر من نطق الضاد » ، وهم العرب ، هم قريش من عدنان ، فأين المرجح الذى جعل الدكتور يستخرج من كلام المتنبي أنه كان يرى ( أنه عربى قحطائى ) في هذا البيت ؟ وأين الدليل على أن « فخر من نطق الضاد » هم قحطانيون لا عدنانيون يا سيدى الدكتور ؟ أفترى لماذا أتى هذا الرجل بهذه الكلمات ، وبهذا التأويل الفاسد ، وبهذا التعسف الغليظ ، وبتحميل البيت ما لا يتحمل من المعانى والأغراض ؟ إذن فأعلم أنه ما أتى بذلك إلا ليعارض هذا المسمى ( محمود شاكر ) ، لأنه هو الذى قال / في كتابه أن « فخر من نطق الضاد » ، هم - ولا شك - أبناء على رضى الله عنه وفاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ . وجعل ذلك من الأدلة على ( علوية ) أى الطيب في باب النسب . ٨١/٢

وأكثر من ذلك أن الرجل حين غلّى صدره بهذا الغثاء الذى يَقْدَف الناس به ليؤدّ على قولى في ( علوية ) أى الطيب ، ناقض نفسه ، وأتى بالدليل على اضطراب فكره ، وقلة تبصره ، وسرعة تهجمه على الحق والباطل ، برأى ضعيف وإدراك واهن . فهو حين شك في نسب أم المتنبي وأبيه ، وقذفهما بالكبيرة الفاجرة ، حصل من الأدلة على ذلك أن المتنبي لم يذكر لنا نسبه ولا نسب أمّه ولا جدّته ، ولا ذكر المؤرخون شيئاً من ذلك ، فانتهى إلى رأى الذى قال به : من أن المتنبي ( لا يعرف أباه ولا أمه ) ، أو أنه لقيط لغير رِشْدَةٍ . ولكنه في هذا المكان لا يرى أن هذا الإغفال للنسب مما يمنعنا من القول بأن المتنبي ( عربى قحطائى ) ، وجعل أمره في ذلك أمر « الكثرة التى لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم » . فلماذا ، أيُّ هذا العبقري ، لم يجعل أمره في معرفة ( أبيه وأمّه ) ، أمر هذه الكثرة التى لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم وأضاعوها المؤرخون ؟ بل عمدت إلى القذف في عرض الرجل ، ولم تتق الله ، ولم تحفظ على نفسك شمائل أصحاب المروءة والحياء والسّتر ؟ أم تُرَاك تزعم أيضاً في



إحدى بَدَوَاتِكَ أن هذه ( الكثرة التي لا تحصى من العرب القدماء والمحدثين الذين أضاعوا أنسابهم ) ، هي كثرة من الناس لا تعرف آباءها ولا أمهاتها ، وأنها ولدت لِغَيَّةٍ من غرور الشيطان وتسويله وتزيينه !!

/ وليس هذا فحسب ، بل أنظر إلى هذا الرجل إذ يأتي للتدليل على هذا الذى ٨٢،٢ قال بقوله : « وما يمنعنا إذن أن نجحد إنسانية الناس ، لأنهم لم يحفظوا أنسابهم إلى الإنسان الأوَّل ، أو إلى الأناسيِّ الأوَّلين ؟ » .

أين هذا من ذاك أيها الرجل ؟ أتجعل الانتساب إلى قبيلة بعينها أو إلى رجل بعينه ، كالانتساب إلى جنس الإنسان ؟

اسمع ، يا سيدى الدكتور ، إنك لرجل كثير المغالطة ، شديد اللَّدَد ، غير مستقيم الرأى ، مضطرب الفكر ، متخلف النَّظَر ، فإن الشرط فى أن تكون عربياً هو أن تكون متحدرًا من سلاسل عربية رجالاً رجالاً . هذا هو الأصل . وأما أن تكون إنساناً ، فقد قال المناطقة فى تعريفه أنه « هو الحيوان الناطق » الذى يمشى على آثنين لا على أربع ، وبذلك يمتاز الإنسان ، وليس يُشْتَرَطُ فى إثبات إنسانيته أن يكون حافظاً لنسبه إلى الإنسان الأوَّل أو الأناسيِّ الأوَّلين !! فإذا تكلمت بكلام المنطق فلتنظر نَظَر المنطق ، وإلا فالعجى والسكوت خير كله ، وقد قالوا ، أو رحم الله من قالوا : « عَيَّى الصمت خير من عَيَّى التَّنَطُّق » ، فوالله إن هذه الأقوال التى تأتينا بها لتفضيح أُمَّة بأسرها ، لا رجالاً واحداً .

ومن ظريف تخليط الدكتور الجليل أنه يقول فى معرض حديثه عن اللُّغو الجميل فى عربية المتنبي : « ولكنى لا أفهم الشك فى عربية المتنبي ، ما دامت القرائن لا تنسبه إلى أمِّه أعجمية ، وما دام خصومه على كثرتهم وشدة بأسهم لم يفعلوا ذلك ، وما دام هو ينبئنا أنه عربى صريح » ، ص : ٥٢ . فالقرائن وصمت الخصوم = فى منطق الدكتور ، وفى هذا

الموضع خاصة = / هو مما لا يجعله يشك أو يقارِفُ الشك على الأصح ، ولكنه حين ٨٣،٢ دفعته طبيعته وغريزته إلى ذكر السُّوءات فى صلة والد المتنبي بأمه ، وصلته بجَدَّتِه ، وصلة المتنبي بهم جميعاً ، لم يَقم للقرائن ولا لَصَمَت الخصوم وزناً ، ولم يَحْفَل بهم ، بل جعل

هذه القرائن نفسَهَا ، وهذا الصمتَ نفسَهُ ، دافعاً من دوافع الشك ، وسبباً من أسبابه ، ودليلاً على الرأى الفاجر الذى اعتمده وامتدَّ فيه واستطال ، فأطلق لسانه فى عرض الرجل وأمه وأبيه وجدته .

\*\*\*

وقد أردنا الإطالة والتكرار فى هذا الفصل من كلامنا خاصة ، لنكشف للقراء عن هذه الفوضى العقلية ، وهذا الاضطراب الفاسد المفسد ، وعن التعسف القبيح والسيطرة الباغية ، وعن ثقل النفس التى يُعَدُّها من يجهلُ ظَرْفًا ونظَرْفًا ، وعن البذاء الذى لا يتبى أبداً إلى غاية يقف عندها وقفة المتحرِّج ، وعن سوء الفهم للشعر وقلة البصيرة به ، وعن تحميل الألفاظ العربية ما لا تحتمل من المعانى ، وعن فساد الاستنباط الذى « يصطنع » صاحبُه الهوى ، والتهجم على غير هدى ولا بيان = وما نفعل ذلك إلا لنؤدِّي أمانة الله التى حُمِّلناها بقول رسول الله ﷺ : « يَحْمِلُ هذا العلمَ من كل خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عنه تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين » . وقد رأينا من شباب هذا الجيل مَنْ أخذ يقول فى العلم عن هذه الأصول الفاسدة من التعسف والتهجم والانطلاق إثر الغرائز الدنيا ، وهؤلاء هم الذين يتعبَّدون بذكر الدكتور الجليل طه حسين بك ومن لفَّ لفَّه ، فتقاذفتهم هذه العبادة بتزكية من الدكتور طه حسين إلى الصحف والمجلات والمطابع ، فرَمَوْا فى / وجوه الناس بالعثِّ البارد الغليظ من الفهم والظُّرف والأدب ، حتى اختلط على الناس الأمر ، فكَرِهوا الأدب واستنقصوا أهله ، واستسقطوهم واستزدلوهم ، وبَادَرُوا إليهم بالمهانة والمذمة ، ثم انتهوا إلى الإعراض عنهم وإغفالهم ، فضاع المُجيدُ وهو قليل ، فى هذا العبَّار الثقيل الذى ثار فعلاً الجَوُّ ، وأعمى الأعين ، وتحوَّل فى الأنوف إلى مثل السِّدَّادة من الجيفة المتعفنة .

٨٤١٢

\*\*\*

- ٦ -

/ لا يَهْوُلُكَ ، أيها القارئ الكريم ، ما ترى من ضَخامة بعض هؤلاء الفلاسفة  
الذين يملأون الأوراق والمجالس وقاعات المحاضرة بالثرثرة والإفاضة والتطويل ، فكثيرٌ  
ذلك لَغَوٍّ وَعَبَثٍ وَعُدْوَانٍ على جهود الوادعين المتواضعين الساكنين ، وإنما هم قوم  
حَشَوُهم أَلْقَابٌ لها رَنِينٌ وصوتٌ وصَدَى تتجاوب فيه الأصداء ، وإنما هم قوم  
يتصدَّقون على القراء بالذى يستلبونه من قول الناس وآرائهم وفنونهم .... كالذى  
زعموا من أن أبى ليلي كان يساير رجلاً من وجوه أهل الشام ، <sup>(١)</sup> فمراً بحمال معه  
رُمانة ، فتناول هذا الشاميَّ رُمانةً فأخفاها في كُمِّه ، فعجب ابن أبى ليلي من ذلك  
واستكبره ، ثم رجع إلى نفسه وكذَّبَ عينيه ، حتى مرَّ بهما سائلٌ فقيرٌ ، فأخرج  
الشاميُّ الرُمانة من كُمِّه فناوله إياها ، فقال له ابن أبى ليلي : قد فعلت عَجَباً ! قال  
الشاميُّ : وما هو ؟ قال : رأيْتُكَ أخذتَ رُمانةً من حِمَالٍ وأعطيتها سائلاً . قال  
الشاميُّ : وإنك ممن يقول هذا القول ؟! أما علمت أنى أخذتها سيئةً ، وأعطيتها  
فكانت عَشْرَ حسنات ! فقال ابن أبى ليلي : أما علمت أنك أخذتها فكانت سيئةً ،  
وأعطيتها فلم تُقْبَلْ منك ؟

وكثير من هؤلاء الأذعياء من الفلاسفة يذهبون مذهبَ هذا الشاميِّ الكبير  
الوجيه ، فيعتقدون في أنفسهم أن لهم حقَّ السُّطُو على مجهود الناس ، / وأنهم حين  
يُعطون الناس ما أخذوه ، يزيدونه من أسمائهم سُمُوءاً ، ويمنحونه من جاههم جاهاً ،

(٥) نشرت في حريدة البلاغ ، السبت ٧ من المحرم سنة ١٣٥٦ / ٢٠ من مارس سنة ١٩٣٧ .

(١) ابن أبى ليلي : هو عبد الرحمن بن أبى ليلي قاضى الكوفة ، كان فقيهاً عالماً بليلاً . توفى سنة ١٤٨ هـ .

ويضعون فيه سرهم وسر عظمهم ، وتراهم يجترئون على الناس ، ولا يتذممون من العدوان والإغارة والتبجح بادعاء الملك فيما لا يملكون .... ويُعيرهم بذلك أن أكثر المنكوبين بهم هم من المستضعفين الذين يتهمون أن يقاضوهم ، أو أن يُغيروا عليهم فيستردوا أقوالهم ، وآراءهم على الرغم والممارسة والتشبيث .

وقد شاء الدكتور الجليل الأستاذ طه حسين بك ، عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، أن يؤلف كتاباً يسميه ( مع المتنبي ) ، ويشاء هذا الكتاب أن يسير بين صفحات الكتب ، فيتناول ما يشاء منها بغير إذن ولا نسبة ، غير متذمم من إثم ، ولا متحرّج من عدوان .

وقد كشفنا فى الكلمات السابقة السالفة عن الأنحاء والآراء والأصول التى استلها أو « اصطنعها » كتاب الدكتور طه حسين من كتابى عن المتنبي ، ومن كتاب العالم الجليل الأستاذ عبد الوهاب عزام . على أن للدكتور فى ذلك فضيلة ليست لغيره ، فإنه كان يُبدّل ويغيّر ، ويضع هذه الأشياء فى غير مواضعها ، متحرّياً إخفاءها بالحيلة والجرأة ، متوخّياً أسلوب الإفاضة والثثرة الذى لزمه وانطلق فيه وامتدّ عليه .

...

وهذا حين القول فى سائر ما أخذه من كتابنا فى الفصلين الثانى والثالث من كتابه من ص : ٩ إلى ص : ٣٤ ، وستترك أشياء مما كان لنا / الفضل فى تنبيه الدكتور إلى النظر فيها ، والوقوف عندها ، لنُدع لقارئ كتابنا وكتاب الدكتور موضعاً يُعمل فيه فكره ، ويصرف فيه رأيه ، و « يصطنع » أسلوب ( شلوك هولمز ) فى استجلاء الغوامض ، وحسن البصر ، وتتبع الدقائق التى تُفضى به إلى جمع الأدلة لتكوين الرأى ، ثم وضع الجانى بحيث لا يجد مساعداً للتخلص من الاعتراف بجنايته .

٨٧/٢

١ - يقول الدكتور الجليل فى ص : ٢٧ : « وتسألنى ، ومن حقلك أن تسألنى ، عن مظاهر هذا الغموض الذى أحاط بحياة المتنبي وعن مواطن هذا الشذوذ .... فلاحظ

قبل كل شيء غموض الأمر في نسبه ، ولاحظ خُلُوَ ديوانه من ذكر أمه وأبيه ، أو الإشارة إليهما ، ولاحظ بعد هذا وذاك ، هذا الكذاب الذى كان يُكاد به عند أبى العشائر ، ثم لاحظ آخر الأمر أنه حين عرف شوق جدته إليه ووجد الشوق إلى لقائها ، وذهب لتنعم وينعم هو بهذا اللقاء ، لم يستطع أن يدخل الكوفة ، فذهب إلى بغداد ، وكتب إلى جدته لِتَشْخَصَ إليه .

٢ - ثم قال في ص : ٢٨ : « لماذا كاد الكائدون للمتنبى في نسبه ؟ لماذا تعمَّد الغربة عن الكوفة وألح فيها ، وتجنَّب الحياة في العراق ما وسَّعَهُ هذا التجنُّب ؟ لماذا عجز » عن دخول الكوفة حين خفَّ للقاء جدته ، فمضى إلى بغداد وطلب إلى جدته أن تشخص إليه ؟ كل هذه حقائق واقعة لا نستطيع أن نشكَّ فيها ( هكذا ) ، ولكننا لا نستطيع أن نعللها تعليلاً قاطعاً » .

٣ - / ثم ثبت الدكتور أبياتاً من رثاء المتنبى لجدته من ص : ٢٨ - ٣١ ، ٨٨:٢ ، ويقف عند أبيات من هذه القصيدة فيستخرج منها مواضع للقول والسؤال والشبهة ، فيقول تعقيباً على هذا البيت :

طَلَبْتُ لها حظاً ففَاقَتْ ، وفَاتَنِي وَقَدَرَضِيْتُ لِي ، لَوَرَضِيْتُ بها ، قِسْماً

« فهو قد طلب لجدته حظاً لم تدركه لأنها أسرعَت إلى الموت ، ولأن هذا الحَظَّ أبطأ على صاحبه » ، ص : ٣١ . وأرجو أن يقف القارئ عند هذا الكلام العربى المبين من أستاذ الأدب العربى بالجامعة المصرية . فظاهرُ كلام هذا الفطن الفهامة البليغ ، يُفصح عن أن المتنبى « لم يدرك هذا الحظ » ، والسبب في هذا الإخفاق أن جدته ماتت ، وأن الحَظَّ أبطأ عليه . فليقرأ القارئ بيَّت المتنبى وشرح الدكتور الجليل ، ليعلم صدق الذى نقول به : من أن الرجل متخلف الفهم في العربية ، مضطرب الفكر في المنطق ، لا بصَّر له بالشعر ، ولا طاقة له على استيعاب معانيه . وما دام الأمر كذلك ، فهو لا قدرة له على استنباط المعانى من الشعر . ودعواه في التوقُّف عند الأبيات لرَبْطها بحوادث حياة الرجل ، دعوى باطلة يبطلها هذا التخلف في الفهم وسوء العلم بمعانى الكلام العربى ؟!

٤ - ويقف أيضاً عند قول المتنبي :

هَبْنِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيْكَ مِنَ الْعَدَى فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فَيْكَ مِنَ الْحُمَى  
/ فيقول معلقاً عليه : « فمن حقنا أن نسأل عن هؤلاء الأعداء من هم ، ومن  
عسى أن يكونوا ؟ » ، ص : ٣١ . ٨٩/٢

٥ - ويقف أيضاً ، وما أكثر وقوفه ، عند قول المتنبي :

لَئِنْ لَدَّ يَوْمَ الشَّامَتِينَ يَوْمِهَا ، لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لَأَنْفِيهِمْ رَغْمًا  
فيقول في ص : ٣٢ : « فهو يحدثنا بأن قوماً قد يسرون بموت جدته ، ويشمتون  
بموتها ، ولكنه يعلن إلى هؤلاء الناس أنها إن مضت ، وأعجزها الموت عن أن تكبتهم وترد  
كيدهم في نحورهم ، فقد ولدته رَغْمًا لأنوفهم ، وكَبَّتًا لما في صدورهم من الحقد والشَّان » .  
٦ - ثم يقف أخيراً ويقول : « ولكنك تقف من هذا الوصف المألوف في شعر  
المتنبي عند هذا البيت الذى لا يخلو من غرابة تدعو إلى التفكير :

تَعَرَّبَ ، لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِلْخَالِقِ حُكْمًا  
فهو إذن لم يتغرب عن الكوفة حُبًّا في الغربة ، ولكن إثارة لها ولمشقاتها وأخطارها  
على العافية في الكوفة . وهو لأمرٍ ما قد آثر هذه الغربة ، وتعرض لما قد تنكشف عنه من  
الأخطار والأهوال » ، ص : ٣٢ - ٣٣ .

فهذه ستة مواضع من كلام هذا الدكتور الجليل من ص : ٢٧ إلى ص : ٣٣ ،  
كلها مأخوذة من كتابنا كما سنرى .

\*\*\*

٩٠٢ / ففى الفقرة الأولى يقول إن المتنبي « لم يستطع أن يدخل الكوفة » ، وفى الثانية  
يسأل : « لماذا عجز المتنبي عن دخولها » ؟ ونص هذا من ديوان أبى الطيب :

« وردَ على أئى الطيب كتاب من جدّته لأُمّه ، تشكو شوقها إليه ، وطولَ غيبته عنها ، فتوجّه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة ( على حالته تلك ) ، فانحدر إلى بغداد . »

وقد جعل الدكتور الجليل ( انظر ص : ٢٧ ) هذا النصّ ، على تأويله واختصاره ، دليلاً على أن « شيئاً كثيراً من الغموض قد أحاط بأسرة المتنبي » ، فليسأل القارئ ، أيّة صلة بين هذا وبين أسرة المتنبي ؟ وأيّ سبب يصل قولهم بأن المتنبي ( لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ) بقول الدكتور : إن المتنبي كان ( لا يعرف أباه ولا أمه ) ، وأن الغموض والشذوذ كان يحيط به وبأسرته ؟ والدكتور قد ألغى ، كما ترى ، قولهم ( على حالته تلك ) ، وهى تقيّد معنى ( لم يمكنه ) . وفعل الدكتور ذلك لغير سبب ولا علة ولا فرض ، وهو لم يعرض هذا النص على القارئ ولم يتكلم فيه ، فهل من أمانة العلماء أن يفعل أحدهم هذا الفعل ؟ ولكن الدكتور معذور معذور .

فقد سقت هذا النص في كتابى [ ص : ١٨٠ ] وقلت : « وهو نص غريب كما ترى ، وليت شعرى وشعرك ما الذى أرادوا بقولهم : ( لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ) ، وهو قد أتاها قاصداً دخولها ، ورؤية جدّته التى تحبه ويحبها ؟ ... ويقطع صاحبنا الأرض من أقصى / الشام إلى أسفل العراق ، ودخول الكوفة همّه ، ثم يمتنع لغير سبب مذكور ٩١/٢ أو معقول !! إذن فلا مناص من القول بأنه ( قد مُنِع من دخول الكوفة ) . »

وهذا هو التأويل الصحيح ، كما ترى . وقلنا بهذا ، لأننا ذهبنا إلى وجود مشكلة بين أئى الطيب والعلويين فى الكوفة ، وأن هذه المشكلة اقتضت أن يُصِرَّ العلويون على مُنْع أئى الطيب من دخول الكوفة ، ويبيّن ذلك فى [ ص : ١٧٢ ] من كتابنا هذا ، .... ولكن ما الذى يحمل الدكتور طه على الأخذ بهذا التأويل الذى أوّلنا به النص ، فيقول ( لم يستطع ) ، ويقول تارة ( عَجَز ) ؟ فالعداوة بين أئى الطيب والعلويين فى الكوفة - كما فرضنا - كانت هى العلة فى أن أبا الطيب ( لم يستطع ) وعجز عن أن يدخلها . ولكن الدكتور فرض أن المتنبي ( لم يعرف أباه ولا أمه ) ، فهل فى هذه علة تجعل المتنبي ( لا يستطيع ) أو ( يعجز )

عن أن يدخل الكوفة ؟ وإذا فرضنا أنه يستطيع أن يُجرى هذا الفرض مُجرى العلة للعجز عن دخولها ، فلماذا جاء هذا الأحمق المتنبي من الشام إلى الكوفة يقطع الفلوات ؟ ألم يعرف أنه ( لا يعرف أباه ولا أمه ) إلا حين دُخل في حدود هذه البلدة ؟ فعند ذلك ( عجز ) عن دخولها = أم تُرى أن جهل المتنبي بأبيه وأمّه قد يكون سبباً في أن يمنعه أهل الكوفة من دخول بلدتهم ؟ ... هذه مشكلة عجيبة نرجو أن يتولّاها الدكتور الجليل بما عهدنا فيه من قوة المنطق والفلسفة والإفاضة والثروة والتعسّف الغليظ . وهذا الاضطراب القبيح هو الدليل على أن / الدكتور لم ( يُعط ) رأياً ، وإنما ( أخذ ) رأياً لم يحسن فهمه ٩٢/٢ ولا عَرَف موقعه من الكلام .

...

والدكتور الجليل يقول في الفقرة الثانية : « كل هذه حقائق واقعة ، لا نستطيع أن نشكّ فيها ، ولكننا لا نستطيع أن نعللها تعليلاً قاطعاً » . ومع أنه لا يستطيع أن يعلّلها ، أى أن يُجرىها من فرضه الذى فرضه مُجرى منطقياً ، فهو برغم ذلك يجعلها من أسباب الشكّ في نسب الرجل وصلة أبيه بأمه وجدته ، ومن الأدلة على أن الرجل لم يكن ( يعرف أباه ولا أمه ) ، .... هذا أعجب العجب !!

...

وأما الفقرات الأربع الباقية التى وقف عندها في أبيات من قصيدة المتنبي ، فهى مع الأسف العظيم ، بعضٌ مما وقّفنا نحن قراء كتابنا عليه ، وشرحناه لهم ، ووصلناه بحياة المتنبي صلة لا تنقطع ، ولا يدخلها الضّعف والتناقض ، ولا تختلّ معانيها بالفرض الذى زعمناه من أن المتنبي كان علوى النسب ، وأن بينه وبين العلويين مُشكلة سببت شيئاً من العداوة ، بل تكاد تكون من السبيل المفضية إلى القول به وتحقيقه تحقيقاً صحيحاً . أما الدكتور الجليل فقد وقف عندها على آثarna ، ولم يستطع أن يوفّق بينها وبين الفرض الذى زعمه ، فلذلك لم يستطيع أن يعلّلها تعليلاً قاطعاً أو شبيهاً بالقاطع ، وعمد إلى الحيلة



فجعلها من أسباب الغموض ومن أسباب الشك ، ثم / زادها سُقُوطاً فجعلها من الأدلة ٩٣/٢  
على هذا الفرض ، بعد هذا العجز كُلِّهِ ، وبعد هذا التخلف العقليّ البين .

فقد وقفنا عند قول المتنبي :

طَلَبْتُ لَهَا ( حَظًّا ) ففَاقَتْ ، وفَاقَتْنِي ، وقد رَضِيتُ لِي ، لو رَضِيتُ بِهَا ، قِسْمًا

في كتابنا ( ص : ١٧٣ ، ١٧٤ ) ، وشرحنا البيت شرحاً وافياً ، وصححنا أقوال  
شرح الديوان فيه ، ثم ضممنا إلى البيت قوله :

سَأَطْلُبُ ( حَقِّي ) بِالْقَنَّا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا لَتَّشُمُوا مُرْدُ

وقلنا في ( ص : ١٧٦ ، ١٧٧ ) إن ( الحَظَّ ) الذى طلبه ، و ( الحقَّ ) الذى  
سيطلبه ، أمرٌ واحدٌ ، هو حل المشكلة التى بينه وبين العلويين في مسألة نسبه إلى على  
ابن أئى طالب رضى الله عنه ، هذا في الفقرة الثالثة .

...

أما الرابعة التى وقف عندها الدكتور في قوله :

هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فَيْلِكَ مِنَ الْعِدَى ، فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فَيْلِكَ مِنَ الْحَمَى

فقد وقفنا عنده في مواضع ( ص : ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢٤١ - ٢٤٣ ) ، فقلنا في ص :

١٧٠ « فقد أثبت أبو الطيب أنَّ لجدته ثُمَّ له أعداء ، كان همُّه كله أو / أكثره أن يأخذ ٩٤/٢  
منهم ثأرها وثأره » ، ثم دللنا على أن هؤلاء الأعداء هم العلويون على مذهبننا .. أما الدكتور  
الجليل فهو لم يَرِدْ على أن سأل ! وما سؤال لا جواب له !!

إن الرجل يريد أن يُعرِّف قارئ كتابه أنه قد تدبَّر شعر المتنبي ونظر فيه ،  
ولكن ... أين يذهب عن القارئ الفطن أن الدكتور طه قليل البصر بالشعر ، سيء  
الفهم له ، بعيد كل البعد عن القدرة على الاستنباط منه ؟ خاصة وأن الدكتور الجليل

لا يفتأ يرمى فى كلامه بالدليل إثر الدليل على صِدْق ذلك ... كما بيناه فى مواضع من الكلمات السابقة وفى هذه الكلمة .

\*\*\*

وأما الخامسة التى وقف عندها فى قول أبى الطيب :

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ يَوْمِهَا ، لَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّى لَأَنفَهُمْ رَغْمًا

فهى فى كتابنا ( ص : ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٤١ ) وقلنا فى ص : ١٧٤ :

« إنَّ هؤلاء الأعداء والشامتين كانوا من أشراف الكوفة ، إذ لا يُعقل أن يكونوا غير ذلك ، لا يُعقل مثلاً أن يكون أولئك الأعداء والشامتون من طبقة السَّقَّائين والنساجين ومن إليهم . فلو كان ذلك / كذلك ، لما حفل المتنبي بذكرهم ولا التعريض بهم ، وأن يجعل نفسه رَغْمًا لأنوفهم ، وهو مَنْ هو فى الكبرياء والتسامى والغلو فى الترفع والعظمة » . ٩٥/٢

\*\*\*

وأما السادسة التى وقف فيها الدكتور الجليل عند قول أبى الطيب :

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا

فقد وقفنا عندها أيضاً من قبله وقلنا ( فى ص : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ) فى سبب تغرُّبه :

إن العلويين ، وهم هؤلاء الأعداء والشامتون بموت جدته ، كانوا فى سنة ٣٢٦ هـ حين ترك الكوفة فى غُبار راحلته : « قد أرادوه على حُطَّةٍ خَسِيفٍ ، فأبى أبو الطيب أن يركبها ، وشمخ بأنفه أن يذلَّ لأحدٍ من الناس ، أو أن يقبل له حكماً يُريد أن يُجرِّيه عليه ، وفيه المذلة والهوان وإهدار الكرامة ، وإسقاط الفتوة والمروءة وآثر أن يخرج عن الكوفة مراغماً لهم ، مفضلاً آلام الغربة على الهوان فى الوطن » .

ولْيَعُدُّ القارىء إلى تعليق الدكتور فى هذه الفقرة ليرى مشابه القول ، وظَرْفَ هذا الدكتور العظيم ، إذ كان كل همِّه أن يغيِّر قولنا « على الهوان فى الوطن » إلى « على العافية فى الكوفة » ، وهو تغيير يدلُّ أصدق الدلالة على عقل صاحبه وحسن فهمه للمعانى التى ينمو إليها فى كلامه !!

\*\*\*

/ وبَعْدُ :

٩٦/٢

فإن قارىء كتابنا يعلم أننا وقفنا عند أبيات كثيرة من هذه القصيدة غير التى ارتطم فيها الدكتور الجليل ، وقد تجاوزنا عنها ، إذ لم يبق فيه موضعٌ لتناول شيء أكثر من ذلك . فهذه الأربعة الأخيرة وحدها ثقيلة الحمل ، قد ناءَ بها كتابه الجليل ، فاضطرب وتخاذل واسترخت مفاصله ، فكيف ، بالله ، يطيق بعدها تناول شيء هو عليه أثقلُ وله أقتل ؟

هذا مع أننا بعد كتابة هذا الكتاب الذى نشره المقتطف فى يناير سنة ١٩٣٦ ، قد وقفنا على أشياء من معانى هذه القصيدة لها شأن وفيها مقال ، لا أظن الدكتور طه يتنبه لها ، ولو طفق يقرأ هذه القصيدة وحدها سنوات .

وتسألنى ، ومن حَقِّك أن تسألنى ، لم هذا التبجُّح ؟ وفيم هذا التعسُّف ؟ وعلام تدعى حق الوقوف عند هذا الشعر ؟ أكان شعر المتنبى ( تَرْكَةً ) لا يدخل فى ميراثها غيرك ؟ أم هو ( وَقَفَّ ) قد حَبَسَه المتنبى عليك ؟ فأجيبك ، ومن حَقِّ أن أجيبك ، أن هذا الذى وقفت عنده ونَبَّهت إليه ، ودعوت إلى النظر فيه ، وسُقِّت فى كتابى على سبيل من التدبُّر والتأمُّل والتبصُّر ، إنما هو من شعر المتنبى ، وليس من شعر غيره ، وقد زعموا أن أكثر من ستين شارحاً شرحوا هذا الديوان ، وأن أكثر القدماء قد ترجموا لأبى الطيب ، وأن عشراتٍ من المؤلفين فى هذا العصر قد ترجموا لهذا الرجل ، وتناولوا شعره على طريقة أهل العصر من التحليل والتشريح . / وقد انقضى على ذلك ألف سنة ، ومع كل هذا فأنا

أَجْزِمُ لَكَ ، وَأَصْرُّ عَلَى هَذَا الْجَزْمِ ، أَنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا لَمْ يَقِفْ عِنْدَ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِمَّا وَقَفْتُ عَنْده ، وَتَكَلَّمْتُ فِيهِ ، وَتَأَوَّلْتُ مَعْنَاهُ ، وَوَصَلْتُهُ بِتَارِيخِ الرَّجُلِ = وَأَنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ لَمْ يَسْتَنْبِطْ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ الَّذِى تَدَبَّرْتَهُ شَيْئًا مِنَ الَّذِى اسْتَنْبَطْتَهُ أَنَا مِنَ الْحَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الَّتِى كَانَتْ تَعْتَلِجُ فِي صَدْرِ الْمُتَنَبِّئِ وَفِكَرِهِ . ثُمَّ أَنَا أَرْعَمُ لَكَ فَوْقَ ذَلِكَ أَنَّ الدُّكْتُورَ طه فِي مِثْلِ قَوْلِهِ فِي ص : ٢٨ ، حِينَ قَدَّمَ لِلأَبْيَاتِ الَّتِى أُثْبِتُهَا مِنْ رِثَاءِ الْمُتَنَبِّئِ لَجَدَّتِهِ فَقَالَ :

« فَاقْرَأْ مَعِيَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَلَكِنْ قِرَاءَةَ الْمُسْتَأْنِى الْمَتَمَهِّلِ الَّذِى لَا يَمُرُّ بِالشَّعْرِ مَرًّا ، وَالَّذِى لَا يَشْغَلُهُ الْجَمَالَ الْفَنِّى عَنْ التَّمَاسِ نَفْسَ الشَّاعِرِ ، وَمَا يُكِنُّ فِي ضَمِيرِهِ مِنَ الْعَوَاطِفِ الْمَكْظُومَةِ ، وَالْأَهْوَاءِ الْمَكْتُومَةِ ، وَالْخَوَاطِرِ الَّتِى لَا يَعْرُبُ عَنْهَا إِلَّا بِالْإِشَارَةِ وَالتَّمْلِيحِ » = أَقُولُ بِلَا مُتَنَوِّيةٍ : إِنَّمَا أَخَذَ الدُّكْتُورُ طه ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ فُضُولِ كَلَامِنَا عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَهَدَاهُ إِلَى هَذَا التَّنْبِيهِ مِنْهُجَنَا فِي الْكَلَامِ عَنْهَا ، وَتَنْبِيهُنَا نَحْنُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي ذَيْلِ ( ص : ٢٤١ ، تَعْلِيْق : ٣ ) ، عِنْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، وَفِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرَةِ مَوَاضِعٍ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِنَا فِي الْكِتَابِ كُلِّهِ .

وَقَدْ قُلْتُ إِنْ هَذَا إِنَّمَا هُوَ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْعِلْمِ وَالِاسْتِنْبَاطِ ، وَقَارِئُ كِتَابِنِى يَعْرِفُ ذَلِكَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ ، وَالدُّكْتُورُ طه أَحَدُ هَؤُلَاءِ ، وَلَكِنَّهُ مُؤَلِّفٌ أَيْضًا !! وَلَهُ فِي التَّأْلِيفِ مَذْهَبٌ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ فِي أَكْثَرِ مَا أَلَّفَ ، مَذْهَبٌ قَدْ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ مَذْهَبِ الْأُخْيَمِيرِ السَّعْدِيِّ اللَّصِّ الَّذِى يَقُولُ :

وَأِنِّى لَأَسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ أَنْ أُرَى / أَجْرُرُ حَبْلًا لَيْسَ فِيهِ بَعِيرُ  
وَأَنْ أَسْأَلَ النَّكْسَ الدَّنَى بَعِيرُهُ ، وَبُعْرَانُ رَبِّى فِى الْبِلَادِ كَثِيرُ !! ٩٨/٢

= بُعْرَانُ كَثِيرَةٌ ، يَأْخُذُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ كَمَا يَشَاءُ ، وَيَذْهَبُ بِهَا أَيْنَ شَاءَ ! وَلِلْسَبْتِ الْمَقْبَلِ الْيَدِ فِي نَقْدِ الْفَصْلِ الْخَامِسِ مِنْ كِتَابِ الدُّكْتُورِ الْجَلِيلِ .

## - ٧ -

/ لقد كان من عملنا في الكلمات الماضية أن كشفنا عن عَوَارِ الفصل الثاني ٩٩/٢  
والثالث من كتاب الدكتور طه الذي سماه « مع المتنبي » ، وأبتأ عن الأصل الذي بناه  
عليه ، ومن أين أخذه ، وكيف أحاله عن وجهه ، وأخرجه عن طريقته ، وتعهده  
بطبيعته الجبارة !! فأفسده أيّما إفساد ، وأراد أن يجعله فنّاً جديداً في نسب أبي الطيب ،  
فكان قَدْفاً جريئاً في عَرْضِ الرجل . ثم زدنا فرددنا مواضع القول = الذي أفاض فيه  
الدكتور حين اطمأن له ، واتكأ عليه ، واسترخى فيه ، وتوَحَّى به الراحة والدعة =  
إلى أصله وشبيهه من كتابي عن المتنبي ، ومن كتاب الأستاذ العالم الجليل عبد الوهاب  
عزام . ثم ختمنا القول في الكلمة السادسة بالجمع بين ما وقف عنده الدكتور في كتابه  
من شعر المتنبي ، والذي وقفتُ عليه أنا من قَبْلُ من هذا الشعر نفسه ، ولم يسبقني إليه  
سابقٌ على امتداد ألف سنة تَحَطَّمْ عامٌ منها على عام .

ومن رجع إلى ما كتبتَه جملةً واحدة ، ولم يَدْعُ طَرْفَ عينه من كتاب الدكتور  
طه ، استيقن يقيناً لا يخامره الشك أن الدكتور طه إنما كان في هذين الفصلين كالناقل  
المسئ ، وكالمترجم المتخلف الذي لا يعرف معنى الكلام ، ولا يبصر عُصْرَ القول  
من أين أتى ، وكيف تدرّج ، وإلى أين انتهى !!

وما ذلك إلا لما قلنا به من أن الدكتور الجليل رجل هو في فهم الشعر وإدراك  
معانيه ، ثم في العريّة وحدود ألفاظها ، ومقاطع جُمَلِها ، ومطالع / تراكيها وفصولها ١٠٠/٢  
وغاياتها ، كالذي زعموا من أن خالد بن صفوان الخطيب البليغ ، دخل يوماً إلى

الحمام ، وفيه رجلٌ ومعه ابنه ، فأراد الرجل أن يعرف خالداً ما عنده من البيان والفصاحة فقال لابنه : يا بني أبدأ بيداك ورجلاك !! ثم التفت إلى خالدٍ كالمتباهي فقال : يا أبا صفوان ، هذا كلامٌ قد ذهب أهله ! فقال خالد : هذا كلامٌ لم يخلق الله له أهلاً قط ! وإنما الدكتور رجل يتعالم في الشعر العربي والأدب العربي بما سُوغ من شهرة وصيت ، وما استوطأ من سكوت الناس عنه ، وما استعلَى به من كرسي الجامعة = وإلا فهو أديب من الأدباء ، إذا أردت أن تصف أدبه بما تصفه به كُتبه قلت : ليس بذاك ! وَلَوَيْتَ عنقك ، وانصرفت إلى شأنك ، وشغلت نفسك بما هو أجدى عليها وأليق بها من أدب غيره ، ممن طَمَسَتْ أسماءهم هذه الطبول ذَوَاتُ الدوى والطين والعجيج الذى لا ينتهى من الدكتور فلان إلى الأستاذ علان .

هذا خلاصة ما تخرج به من مَعْنَاة كلامنا في الفصول الماضية التى نقدنا بها الفصل الثانى والثالث من كتاب الدكتور الجليل .

وأما الفصل الرابع الواقع في الكتاب من ص : ٣٥ - ٤٨ ، وقد سماه الدكتور : ( الحياة الإسلامية حين ولد المتنبي ) ، فقد كنتُ على نية الكلام فيه ، ولكنى وجدته مما لا يتعلّق بشيء مما نحن بسبيله ، وما رأيت في نقده غناءً للقارىء ، ولا في الفصل نفسه موطناً يستحق أن يتكلف له القلم مؤونة التسطير ، فلذلك أغفلناه . ونبدأ بعون الله في الفصل الخامس وقد سماه : ( صبي المتنبي في العراق ) وموقعه من ( جغرافية ) هذا الكتاب بين ص : ٤٩ ، ٩٢ . / وما أظن القارىء بالذى يكلفنى أن أختصر له هذا الفصل ١٠١/٢ قبل البدء في النقد ، على ما تعودناه في الكلمات السالفة ، ولكنى له زعيم بأن أجعله على حالة يكون فيها كالذى قرأ الفصل كُلُّه لم يُفْتِهِ منه شيء ، مضمناً قولى ما لا بد من ذكره من كلام الدكتور طه ، بعد إسقاط لَعْوِه ، وقصّ ذيوله ، وإطراح فضُولِه .

هكذا يبدأ الفصل الخامس في ص : ٤٩ : « وطفولة المتنبي مجهولة بالطبع كطفولة غيره من الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه » ، ثم يقول بعد لَعْوِي : « والذى نعرفه عن صبي المتنبي ينقسم قسمين : أحدهما ينبئنا به الرواة ، وأنا أقف منه موقف التحفظ والاحتياط ،

ولكنى لا أهمله ولا ألغيه = والثانى ينبعنا به المتنبي نفسه فيما حُفِظَ لنا من ديوان شِعْرِ الصبى ، وأنا أطمئن إليه اطمئناناً تاماً ، وآخذه أخذ الناقد الذى لا يصدّق كل ما يُلقَى إليه فى غير تفكير » .

وليقرأ القارئ هذا الكلام مرة وأخرى ، وليتدبّرهُ ، وليعرف أوّله من آخره قبل أن يقرأ كلامنا ، وما نريد له ذلك إلا ليخبرَ بنفسه ، ويقيس ما عنده ، فإن جودة العلم لا تتكوّن إلا بجودة النقد . ولولا النَّقْدُ لبطل كثيرٌ عِلْمٍ ، واختلط الجهل بالعلم اختلاطاً لا خلاص منه ولا حيلة فيه ...

ثم إن هذا الكلام الذى نقلناه ، لنا فيه وجهان من القول : أمّا أحدهما ، فالدّلالة على موضع النقل من كتابنا نقلاً بيّناً لا خفاء فيه ولا لبس = وأمّا الآخر ففساد الكلام فيه فساداً لا صلاح له .

يقول الدكتور إن صبى المتنبي ينقسم إلى قسمين : « أحدهما ينبئنا به / الرواة ، ١٠٢٢ و ( أنا ) أقف منه موقف التحفظ والاحتياط ، ولكنى لا أهمله ولا ألغيه » ص : ٤٩ . والقارئ يعلم كما قدمنا أننا أوّل من شكّ فى الروايات التى رُويت فى ترجمة أنى الطيب جميعها ، من مبدأ القول فى نسبه إلى غاية القول فى مقتله ، ولم نجعل شكنا كما جعله الدكتور حين سؤل له أن يشكّ ، لغير علة حاضرة أو سبب مذكور .

كلاً ، فقد تتبعنا نقد سنَد الرواية ونصّها على طريقتنا حتى زيفنا زيفها وأبطلنا باطلها ، وميّزنا المدخول من الأصيل ، والصّحيح من السليم ، فقول الدكتور هذا هو وصف لما فعلناه نحن ، وكان من حقنا عليه أن يضع مكان قوله : « ( وأنا ) أقف منه موقف التحفظ والاحتياط فلا أهمله ولا ألغيه » ، ما نصّه : « ومحمود شاكر ) يقف منه موقف التحفظ .... » إلى آخر العبارة ، وذلك للسبب الذى ذكرناه ، من أن تحفظنا واحتياطنا وشكنا ، إنما بُنى على أسبابٍ وعلل . وأمّا الدكتور فلم يفعل من ذلك فى كتابه شيئاً .

وَتَمَّ شَيْءٌ آخَرَ أَحَبُّ أَنْ يَعْلَمَهُ الدُّكْتُور طه ، وَهُوَ أَنَّى أَعْرِفُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَتَرَفَّقُ بِهَا فِي اسْتِجْلَابِ الْأَدَبِ إِلَى نَفْسِهِ ، مَا لَا قِبَلَ لَهُ بِإِنْكَارِهِ وَلَا الْمَكَابِيرَةِ فِيهِ ، ثُمَّ لِيَقْرَأَ الْقَارِئُ قَوْلِي فِي [ ص : ٣٠٧ ، ٣٠٨ ] مِنْ كِتَابِي هَذَا مَا نَصَهُ :

« وَأَعْلَمُ أَنْ أَكْثَرَ مَا يَرَوَى فِي تَرْجُمَةِ هَذَا الرَّجُلِ وَغَيْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ ، إِنَّمَا كَانَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَتَنَاقَلُهَا مَجَالِسُ الْأَدْبَاءِ ، وَلَا يُرَادُ بِهَا التَّحْقِيقُ ، وَلَا يُنْظَرُ فِيهَا إِلَى صَدَقِ الرِّوَايَةِ وَسِيَاقِ التَّارِيخِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ ، بَلْ إِنْ كَثُرَ / مِمَّا يُرَوَى فِي تَرَاجُمِ رِجَالِنَا ، كَانَ مِمَّا يُرَادُ بِهِ مَضْعُوعُ الْكَلَامِ فِي مَجَالِسِ الْأُمَرَاءِ أَوْ فِي سَامِرِ الْأَدْبَاءِ . هَذَا عَلَى أَنَّهَا رُبَّمَا حَمَلَتْ فِيهَا تَحْمِلَ أَشْيَاءَ لَوْلَا وَرُودُهَا فِي هَذِهِ النُّصُوصِ ، لِأَفْتَقَدْنَا مِنْ حَلَقَاتِ التَّارِيخِ حَلَقَاتٍ لَا يَنْتَظِمُ أَمْرُهَا إِلَّا بِهَا ، وَلَا يَسْتَمِرُّ إِلَّا عَلَيْهَا ، فَلَمَثَلُ هَذَا كَانَ لَا بُدَّ لَنَا مِنَ النَّظَرِ فِي النُّصُوصِ وَتَمْيِيزِهَا ، وَرَدَّ بَعْضُهَا وَالْأَخْذُ بِبَعْضٍ ، حَتَّى لَا تَنْقَطِعَ بِنَا السَّبِيلُ فِي التَّرْجُمَةِ لَهُؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ . فَلَا يَفُوتَنَّكَ هَذَا إِذَا قَرَأْتَ مَا نَكْتُبُ ، أَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ أَوْ تَكْتُبَ » . انْتَهَى مِنْ كَلَامِنَا .

\*\*\*

وَالدُّكْتُور فِي هَذَا الْبَابِ « يَصْطَنَعُ » التَّحْفِظَ وَالْإِحْتِيَاظَ فِي الشُّكِّ ، وَيَقُولُ إِنَّهُ ( لَا يَهْمِلُ النَّصَّ وَلَا يَلْغِيهِ ) تَقْبِيدًا لِقَوْلِنَا : ( فَلَمَثَلُ هَذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي هَذِهِ النُّصُوصِ ، وَرَدَّ بَعْضُهَا وَالْأَخْذُ بِبَعْضٍ .... ) ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا تَقْلِيدًا قَبِيحًا ، وَاعْتِدَاءً مُفْرِطًا فِي الْعَدْوَانِ ، وَتَأَثَّرًا لَخَطَوَاتِنَا عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ النَّفْسِ وَالرَّأْيِ وَالْفِكْرِ وَالتَّدْبِيرِ ، فَمَا يَكُونُ ؟

أَرَأَيْتَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ أَنَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ يَقْلُدُنَا ، وَيَدُلُّ بِالْأَدِلِّ الْقَاطِعِ عَلَى أَنَّهُ مَقْلُدٌ ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَقْلُدَ ؟ أَمَّا رَأَيْتَ قَبْلُ فِي الْفُصُولِ الْمَاضِيَةِ أَنَّهُ حِينَ تَكَلَّمَ فِي نَسَبِ الْمُتَنَبِّى ، وَالرِّوَايَةِ عَنْهُ مَنْقُولَةً عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَقَلُوا هَذِهِ الْأَخْبَارَ نَفْسُهَا ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ ( يَتَحَفَّظُ أَوْ يَحْتَاظُ ) ، أَوْ ( لَا يَهْمِلُ النَّصَّ أَوْ يَلْغِيهِ ) ، بَلْ تَعَلَّوْا بِهِ



الجرأة ، ويتفادفه الوهم ، « فيشك في غير تحفظ ولا احتياط » ويُهمل النصوص ويُبلغها جملةً ، ليذهب إلى رأيٍ فاسد ، يقذف به عِرْض الرجل حيث جعله ( لا يعرف أباه ولا أمه ) ، / وأن مولده كان ( شاذاً ) . فما الذي حمّله بدءاً على نبذ الاحتياط ، وإسقاط الرواية جملةً واحدة ؟ ثم ما الذي حمّله على ( اصطناع ) الاحتياط والأخذ بالتحفظ والتعلق بالرواية ، فيأخذ بعضها ويرد بعضها أو ( أن لا يهملها ولا يبلغها ) ؟ هل تجد عندك أيها الدكتور علة تنبذها للناس ، علّها تستر هذا العوار الذي في كلامك ؟ وما أصدق ما قاله مبدول العذريّ :

وما كُلُّ مَنْ مَدَدَتْ ثَوْبَكَ دُونَهُ ، لَتَسْتُرُهُ فِيمَا أَتَى ، أَنْتَ سَاتِرُهُ

وما الذي جعل الرواة في قولهم : إن والد المتنبي هو الحسين السّقاء ، وأن جدته كانت همدانية صحيحة النسب ، وأن نسب أبيه ينتهي إلى جُعْفَى = أَكْذَبَ منهم حين يقولون : إن المتنبي في صباه فعل كذا ، وكان من أمره كذا ؟ وما العلة في أن الرواة حين ذكروا جدّه لم يتفقوا عليه ولا على الاسم ( يلصقونه ) به كما قلت في ص : ١٠ ، أو حين ذكروا صباه أثبتوا شيئاً صحيحاً ( وألصقوا ) معه شيئاً كذباً موضوعاً ؟ أفى المنطق أن يكون ذلك كذلك ؟ أم المنطق أن يكونوا في ذكر صباه ، أَكْذَبَ منهم في ذكر أبيه وأمه وجده وجدته ! « نَبُّنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » !

...

وأما القسم الثاني ، وهو الذي « يُنبئنا به المتنبي نفسه ، فيما حفظ لنا ديوانه من شعر المتنبي » يقول الدكتور الجليل المفكر العبقري أنه « يطمئن إليه اطمئناناً ما ، ويأخذه أخذ الناقد الذي لا يصدّق كل ما يُلقَى إليه في غير تفكير » . فهذا كلام لا أدري ، والله ، كيف أصفه ؟ وإنما أَدْعُ للدكتور طه / نفسه أمر هذا الوصف إذ يقول ١٠٥/٢ في ص : ٧ من كتابه وعن كلامه هذا وأمثاله : « قل ما تشاء في هذا الكلام الذي تقرؤه ، قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، قل إنه كلام يَهْدِي به صاحبه هدياناً ، قل إنه

كلام يصدر عن رأى وأناة ، وقل إنه كلام يصدر عن شذوذ وجموح ، فأنت مُحق في هذا كله » ، وليختر القارىء بعد هذا أحقَّ القولين بالإثبات ، وأليقهُما بالصفة ، وأدُلُّهما على الغرض الذى يوحيه كلام الدكتور .

فمن قرأ شعر المتنبي في زمان صباه لم يجد فيه خبراً واحداً يكون كالرواية عن أمر هذا العهد من عمره ، وإنما هو شعر لا خبر فيه ولا حديث . والدكتور قد جعل هذا الشعر - كما هو بين من كلامه - قريناً لأخبار الرواة ، فلذلك يقول : « فأنا أطمئن إليه اطمئناناً ما » ، وجعله أحد قسمين مما نعرفه عن صبي المتنبي . وإذا ظنَّ ظانٌّ أنَّ الدكتور يريد بهذا القول ما يستنبطه من هذا الشعر من حالته النفسية وتعليقها ببعض الأخبار التى رويت لیتَّمَّ النقص ، ويزيد في تصوير هذا العهد من حياته ، فالدكتور نفسه قد سدَّ عليه هذا الباب بقوله : « فأنا أطمئن اطمئناناً ما ، وأخذه أخذ الناقد الذى ( لا يصدِّق ) كل ما يلقى إليه في غير تفكير » ، فإنَّ الاطمئنان لا موضع له هنا ، إلا أن يكون في صحَّة نسبة هذا الشعر إلى أبى الطيب ، وهو مما لا يشك فيه الدكتور ، ولا يدعى فيه أنه موضوع على لسانه ثم يقول : إنه يأخذه أخذ الناقد الذى ( لا يصدِّق ) كل ما يلقى إليه في غير تفكير . وليس في هذا الشعر ولا في استنباط الدكتور منه ، ما يصحَّ أن يكون / موضوعاً ( للتصديق أو التكذيب ) ، حتى يستطيع هذا الظانُّ أن يذهب بكلام هذا الرجل الدكتور العبقري هذا المذهب الجميل . ١٠٦/٢

وإذا أردت أن تتحقَّق من أن هذه العبارة لا معنى لها البتة ، فارجع إلى الفصل كُله من ص : ٤٩ - ٩٢ فاقراه ، فلا تجد الدكتور أتى ببيت واحد من شعر المتنبي في صباه يكون فيه ذكر حادثة في هذا العهد . وإذا كان الأمر كذلك ، وصحَّ عندك ، وتحقَّقت منه ، علمت أن هذا القسم الثانى الذى زعم أنه يعرفه عن ( صبي المتنبي ) ، إنما هو من اللغو والفضول ، وأن الدكتور لم يعمد إلى هذا التقسيم إلا ابتغاء الحيلة ، وطلباً لإيهام قارىء كلامه بحُسن الوصف وجمال الترتيب والتقسيم = وأن الرجل قد تعود الكلام ، فصار عنده شهوة تطلب لذَّة ، فلا يغلبها عقله ، وإنما لها عليه الغلبة . وقد قالوا في مثل

ذلك : إن الحجاج بن يوسف ثابته في صديق له مصيبة الموت ، وكان رسولُ عبد الملك ابن مروان عنده ، فقال الحجاج : ليت إنساناً يعزيني بأبيات . فقال رسول عبد الملك : أقول ؟ قال : قل . فقال : « وكلُّ خليل سوف يفارق خليله ، يموت أو يُصَلَّب ، أو يقع من فوق البيت ، أو يقع البيت فوقه ، أو يقع في بئر ، أو يكون شيئاً لا نعرفه » . فقال الحجاج : قد ، والله ، سلّيتني عن مصيبتني بأعظم منها في أمير المؤمنين ، إذ وجّه مثلك رسولاً = فانظر إلى شهوة الكلام ما تفعل .

ثم يقول الدكتور : « فأما الرواة فيحدثوننا أن المتنبي دفع إلى مدرسة / من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين ، فبدأ في هذا المكتب تعليمه ، ولا يزيد الرواة على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ص ٤٩ - ٥٠ ، ويقول في ذيل هذا الكلام ( خزانة الأدب ج ١ ص : ٣٨٢ طبع القاهرة ) ، ثم يعقب في ص : ٥٠ : « ولكن المتأخرين ، والمُحدثين منهم خاصة ، يذهبون في فهم هذا الخبر مذهباً ، أقل ما يوصف به أنه لا يخلو من مبالغة . فهم يظنون أن هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرستقراطية ممتازة ، وهم بعد ذلك يرسلون لأنفسهم العنان ( هكذا هكذا يا دكتور طه ) في تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الأرستقراطية ، ويفسرونه تفسيرات مختلفة .

« أما أنا فلست أدرى ، أكانت المدرسة العلوية هذه ممتازة أرستقراطية حقاً ، أم كانت مدرسة كغيرها من المدارس ، ولكنها تعلّم على مذهب الشيعة العلويين . فلفظ « العلويين » في هذا الخبر عندي ، يوشك أن يكون مرادفاً للفظ الشيعة . وواضح جداً أن المدارس في مدينة كمدينة الكوفة كانت تختلف باختلاف السكان لهذه المدينة . فللشيعة من هؤلاء السكان مدارسهم ، وللسنين منهم مدارسهم أيضاً . وجائز أن تسمى مدارس الشيعة مدارس علوية ، كما تسمى أهل السنة مدارس عباسية .

« وأكبر الظن عندي أيضاً أن الأرستقراطيين الممتازين من الشيعة العلوية ومن أهل السنة ، لم يكونوا يرسلون أبناءهم في طور الصبا إلى المدارس العامة ، وإنما كانوا يتخذون لهم الأساتذة والمؤدبين .... إنما كان أوساط الناس وعامتهم هم الذين يرسلون أبناءهم إلى هذه المكاتب .

١٠٨/٢ / « ..... فاختلاف المتنبي إلى هذه المدرسة العلوية لا يدل على امتياز ولا على استثناء ، وإنما يدل على الاتجاه الديني الذي وُجِّهَ إليه الصبي » ، انتهى كلام الدكتور ص : ٥٠ - ٥١ .

\*\*\*

وفي هذا الكلام أعاجيب ! فالدكتور ينقل عن كتاب مطبوع متداول هو خزانة الأدب للبغدادى ، ويحدد الجزء ١ والصفحة ٣٨٢ ويقول : « إن المتنبي دفع إلى مدرسة من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين » . والنص هناك أن المتنبي : « اختلف إلى كُتَّاب فيه ( أولاد أشراف الكوفة ) ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً » . وفي هذا النص من كتاب البغدادى سقط أو خطأ لا شك فيه ، فما في العلم شيء يمكن أن يسمى « دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً » ، وصواب العبارة « فكان يتعلم دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة وإعراباً » ، كما روينا النص بتمامه وصححناه في هامش ص : ١٦٧ من كتابنا هذا عن المتنبي . وليس العجب في أن لا يدقق الدكتور طه في نص ما يقرأ ، فهذا شيء ليس في طبيعته ولا مما يتأتى له إن أَرَادَهُ وَعَمَدَ إِلَيْهِ ، واجتهد فيه وبالعنف في الاجتهاد = ولكن العجب في أن هذا الذي يقوله الدكتور طه ليس نصاً حتى يشير عنده إلى كتاب البغدادى ، فإن الدكتور يزعم أن المتنبي « دفع إلى مدرسة من مدارس العلويين أو مكتب من مكاتبهم » ، والبغدادى يروى أنه « اختلف إلى كُتَّاب فيه ( أولاد أشراف الكوفة ) » ، ( فالكُتَّاب ) صار في كلام الدكتور طه مدرسة أو مكتباً ( وأشراف الكوفة ) ، صار في كتاب الدكتور هذا ( العلويون ) ، فلماذا فعل ذلك ؟ فعل الدكتور هذه الفعلة / المستهجنة ، لأنه أراد أن يتأوَّل كلمة ( العلويين ) إلى ( الشيعة ) ، وهو الاسم الذى يجمع ( العلويين نسباً ) ، ومن يتشيع للعلويين ممن لا ينتهى نسبه إلى عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولذلك قال : « فلفظ العلويين في هذا الخبر عندى يوشك أن يكون مراداً للفظ الشيعة » ، وليس في الخبر هذا اللفظ ( العلويون ) كما نقلناه لك ، بل فيه ( أولاد أشراف الكوفة ) ، وهى كلمة لا يمكن تأويلها ولا تحويلها عن معناها

إلى معنى ( الشيعة ) ، كما أراد الدكتور طه . وخبر البغدادي نصّ لا يقبل المكايرة ولا اللجاج ، فلذلك أزاله الدكتور ورواه بألفاظ من عنده تمهيداً للمذهب الذى أراد أن يذهب به . فكيف يرى القارىء تصرف الدكتور فى نقل العلم وهو قد خشى أن ينقل النصّ ، وتجنّب ذكره لما يعلم من فساد رأيه ، وفُسولة مذهبه ، ولما هو عليه من قبح التهجم ، وسوء الاستنباط .

وإذا قيل إن المتنبي اختلف إلى ( كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ) فمعنى ذلك بغير شك أنه ( كتاب فيه أبناء العلويين نسباً من أهل الكوفة ) ، وإلا فما معنى ورود هذا اللفظ فى الخبر ؟ أو لم يكن راوى الخبر ، وهو الأصفهاني المعاصر للمتنبي ، على علم كعلم الدكتور طه بأن للشيعة عامة مكاتب ، سواء منهم العلويون نسباً أو غيرهم من شيعة أهل البيت ، كما كان لأهل السنة مكاتب ؟ أو لم يكن يستطيع الأصفهاني أن يقول إن المتنبي ( اختلف إلى كتّاب للشيعة ) ؟ لو أنه أراد هذا المعنى الذى تطلّبه الدكتور طه ، فحرّف ، وبدّل ، وأفسد ، وتهجّم بغير علم ولا بينة ولا تثبت .

\*\*\*

/ ومسكين هذا الدكتور طه ، أفتردى لم ركب هذا المركب ؟ ولم حرّف وعمد إلى ١١٠/٢ التلبيس والتمويه ابتغاء استمالة الدهماء من قُراء كتبه ؟ أتدرى لم تورّط فى هذا كله ؟ ألا فأعلم أنه أراد أن يخالفنى ( أنا ) وحدى . فإنى جعلت اختلاف المتنبي إلى ( كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ) موضع النظر ، وأخذت أعلّل ذلك ، وقلت : « فدخل ( أحمد ابن عيدان السّقاء ، كما زعم الرواة فى نسبه ) ، والذى هو المتنبي ، بين أبناء العلويين ( نسباً ) فى كتّاب لهم ، غريبٌ عجيبٌ ، فيجب هنا أن نفهم من هذا الشاهد أن بين جدة المتنبي وبين العلويين سبباً موصولاً قوياً ، هو الذى شرّح صدورهم وأرضاهم أن يدخلوا بين أبنائهم غلاماً ( كان أبوه سقاء فى بلدهم !! ) » ص : ١٦٨ من كتابنا هذا . ثم قلت : « هذه واحدة من علاقة أى الطبب وجدته بالعلويين » ، ثم انطلقت أجمع الدلائل من الروايات ومن شعر المتنبي على وجود هذه الصلة ، لآتتهى إلى القول بأنه كان

علوى النسب . والدكتور طه خالفنا في أوّل كتابه ، فجعل المتنبي ( لا يعرف أباه ولا أمه ) ، وزعم أن ( مولده كان شاذاً !! ) ، فخشى أن ينتقض عليه قوله إن هو نقل هذا النص وذهب يتكلم فيه ليزيده إيضاحاً وبياناً ، فما وجد محيصاً من أن يطمسه ليزيده عمى وخفاءً ، فترجمه إلى لغته الضعيفة المستهجنة ، ثم تكلم فيه بعد ذلك على الهوى لا على الثبوت ، وعلى التلبس لا على التوضيح .

ثم أعجب من ذلك أن يقول : « ولكن ( المتأخرين والمحدثين منهم خاصة ) يذهبون في فهم هذا الخبر مذهباً أقل ما يوصف به أنه لا يخلو من مبالغة ، فهم يظنون أن هذه المدرسة العلوية كانت مدرسة أرستقراطية / ممتازة ، وهم بعد ذلك يرسلون لأنفسهم العنان ( !! ) في تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الارستقراطية ، ويفسرونه تفسيرات مختلفة » .

( فالمتأخرون والمحدثون ) ، في كلام هذا الرجل ، جميعاً قد تقمّصوا في فرد واحد هو « محمود شاكر » . ويدلّك على اضطراب الرجل حين ذكرني وعرض لي أنه قال بعد ذلك أنهم يذهبون ( مذهباً ) ، ولم يقل ( مذاهب ) ، وإلا لكان ذلك المذهب منهم جميعاً حجة على من هو مثل الدكتور طه . ونحن لم نقل إنها كانت ( مدرسة أرستقراطية ممتازة ) ، بل قلنا إن العلويين نسباً ( كانت لهم مكاتب خاصة يتلقى فيها أولادهم مبادئ العلوم ) ص : ١٦٧ = ثم يزعم بعد هذا وذاك وذلك أن هؤلاء ( المتأخرين المحدثين ) الذين هم ( محمود شاكر وحده ) ، يرسلون لأنفسهم العنان !! في تفسير اختلاف الصبى إلى هذه المدرسة العلوية الأرستقراطية ، ويفسرونه « تفسيرات مختلفة » . ويشهد الله أننا لم نفرسه إلا ( تفسيراً واحداً ) لا ثانی له في كلامنا الذي قيدناه في كتابنا ، ولا نعلم أحداً فسره تفسيراً آخر .

ومن قبل ما فعل الدكتور هذه الفعلة في ص : ٢٠ من كتابه حيث زعم أن شيئاً يسمى ( الباحثين المعاصرين ) قد تكلموا في نسب المتنبي وحاولوا أن يعرفوا حقيقة الأمر فيه ، ثم طفق يُزري بهم . وقد مضى أن بينا في الكلمة الخامسة : أن هؤلاء ( الباحثين

المعاصرين ) هم جميعاً جملةً واحدةً ( محمود شاكر وحده ) ، ثم نقضنا هذا اللغو والفُضول الذى أتى به ، وقلنا إن علة ذلك الفعل أن هذا الرجل عاجزٌ عن النقد ، ثم هو أبلغ عجزاً حين ينقدنى أنا خاصة . [ انظر ما سلف ص : ٤٤٩ ، ٤٥٠ ] أفرأيت الآن أيها القارئ الكريم كيف يضطرب الرجل ، وكيف / يختلط رأيه ، وأين يذهب بفكره حين ١١٢/٢ يعرض لنقدى أو الحديث عن كتابى ، فتراه لا يكتفى بإضمار أسمى وتجاهله وإغفاله ، حتى يزيد ذلك بأن يجعل ( الباحث الواحد ) و ( المعاصر الواحد ) : باحثين ومعاصرين = وأن يجعلنى ( أنا وحدى ) : المتأخرين ، والمحدثين ، جميعاً ؟ أرايت كيف يُدلس فى كلامه ؟ إنَّه لا يدع هذا الداء الذى يلجئه إلى مثل الذى يُقال فيه : « شرٌّ من الموتِ ما يُتمنَّى معه الموتُ » !

وللأسبوع المقبل تنمة القول فى هذا الفصل العجيب .

- ٨ -

١١٣ ٢ / فرغ الدكتور طه من الكلام عن النص الذي حرفه وبَدَّلَه وأفسد معناه ، ابتغاء الرد على فيما ذهبت إليه من دخول المتنبي كتاباً بالكوفة فيه « أولاد أشرافها » من العلويين نسباً . فكان من جراء ذلك أن استظهر بالعلم ، واستعان بالعقريّة ، ولجأ إلى التحقيق الفذ الذي هو فيه نسيج وحده وإمام أهله ، فخلص إلى نتيجة عجيبة لم تكن من قبل في هذا النص . وتأويل ذلك أن الدكتور الجليل زعم - فيما يُسَوَّل له أن يزعم - أن البغدادي صاحب خزانة الأدب روى في الجزء ١ ص : ٣٨٢ : « أن المتنبي دُفِعَ إلى مدرسة من مدارس العلويين ، أو إلى مكتب من مكاتب العلويين ، فبدأ في هذه المدرسة أو هذا المكتب تعليمه ، ولا يزيد الرواة على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ص : ٤٩ - ٥٠ .

وأظن القارئ يعلم أن هذا الباطل كله الذي نسبته الدكتور طه إلى ( خزانة الأدب ) ليس فيها ، وإنما هو نص محرف مبدّل ليس بينه وبين نص البغدادي في الخزانة سبب ولا نسب ، كما بينا في الكلمة السالفة . ويتمخض الدكتور الجليل عن النتيجة العقبرية التي احتفل لها في ص : ٥١ فيقول :

« ولسنا في حاجة إلى أن نطيل البحث لنعرف ماذا كان يتلقى المتنبي في هذه المدرسة التي اختلف إليها في صباه ، فالراجع بل المحقق أنه تعلم فيها الكتابة والقراءة ، وقرأ فيها القرآن كلّهُ أو بعضه ، وتلقى فيها أصول / الدين وفروعه على مذهب الشيعة ١١٤ ٢ العلويين ( !! ) ، وسمع الشعر وروى منه أطرافاً ، وتعلم فيها شيئاً من علوم اللغة والأدب بوجه عام » .

ولست تشك أيها القارئ أن هذه فائدة جلية ، وعلم ضخم قد استخرجه



الدكتور واستنبطه واحتفره من صخرة جافية نائية هي هذا النص : « أن المتنبي دُفع إلى مدرسة من مدارس العلويين » ، فأنت تعلم كما علمك الدكتور الأمين الوثيق الرواية المثبتة ، أن الرواة « لم يزيدوا على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ، فأنت هو ففصله ووضّحه بعد ( بحث لم يطل ) ، ثم رجح ما فصله ووضّحه ، أو حققه على الأصح ، ولكن .... ما يقوله الدكتور طه شيء ، والواقع شيء آخر ، فإن نص البغدادى فى خزنة الأدب ج ١ ص : ٣٨٢ هو هذا :

« اختلف المتنبي إلى كتاب فيه أولاد أشرف الكوفة فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعرباً » . وقد قلنا إن فى هذا النص خطأ ، وصوابه : « فكان يتعلم دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة وإعرباً » . فهل تجد ، أيها القارئ الكريم ، بعد هذا النص فى كلام الدكتور طه معنى جديداً لم يكن فيه ؟ وكيف تحب أيها القارئ أن تصف الدكتور طه حين يقول لك : « إن الرواة لم يزيدوا على هذا الخبر شيئاً يفصله أو يوضحه » ؟ وماذا تقول له حين ترى أن الذى أتاك به من التفصيل والتوضيح ، وما استخرجه من الفوائد الجليلة ، هو شيء مكتوب مسطور قد رواه الرواة فى هذا الخبر الذى أسقط الدكتور منه وحرّفه وبدّله ؟

/ صِفْهُ كما تشاء ، وقل ما يبدو لك ، أما أنا فأحبُّ إلى أن أقول إن الدكتور رجل ١١٥/٢ طيب القلب ، سليم الصدر ، ظريف مسكين ، قد تُخدع ، والكريم مخدوع ! وأن شهوة الكلام هى سبب البلاء الذى آتيت به فى هذا المكان وأمثاله ، وهى شيء فى أصل طبيعته ، ومغرور سجيته ، وهو قال لك فى مقدمة كتابه ص : ٧ : « قل ما تشاء فى هذا الكلام الذى تقرؤه ، قل إنه كلام يمليه رجل يفكر فيما يقول ، وقل إنه كلام يهذى به صاحبه هذياناً : فأنت محق فى هذا كله ، لأنى مرسل نفسى على سجيته » = وشهوة الكلام هى أغلب سجيّاته عليه ، فما لك بعدها مقال تقولُهُ ، وما هو إلا ما وصفه لك الدكتور .

ثم يقول الدكتور بعقب هذا فى ص : ٥٢ : « وقد كان لهذه المدرسة ( تأثير ظاهر )

فى عقل هذا الصبى وقلبه ينبئنا به الديوان » = وقد حقق الدكتور طه العبرى الأوحد الفذ أن هذا ( التأثير الظاهر ) قد ظهر فى ثلاث خصال فى هذا الشعر الذى قاله فى صباه ، فهو يقول :

« الخصلة الأولى : أن الصبى مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة .... ، والخصلة الثانية ، أن هذا الشعر ، شعر صبى متشيع للعلوين ، متأثر بآراء الشيعة ، وبآراء الغلاة منهم خاصة ... والخصلة الثالثة : أن هذا الشعر شعر صبى لم يكن بعيداً كل البعد عن أمور القرامطة وأخبارهم .... وقد يجوز أن نضيف خصلة رابعة : وهى أن هذا الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً للسخرية ثم الهجاء » .

١١٦٢ / ولا أدرى ما نصيب القراء ، أو شعور القراء ، حين يقرأون هذا الكلام ؟ أى يكون نصيبهم الضحك ، أم البكاء ، أم الحزن ، أم غير ذلك ؟ أما أنا فمن طبيعتى حين أقرأ كلام الدكتور طه فى أكثر ما يكتب أن أضحك ما واتانى الضحك وأوسع لى المجلس .

فهذا هو يزعم لك أن هذه ( المدرسة العلوية ) كان لها ( تأثير ظاهر فى عقل هذا الصبى وقلبه ينبئنا به الديوان ) ، وأول هذا التأثير الذى كان لهذه المدرسة أن ( فن المتنبى فى صباه كان فنا تقليدياً ليست له قيمة خاصة ، ص : ٥٢ ) ، وأن الصبى ( مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة ) . فهل هذه المدرسة على الخصوص هى التى أثرت فى المتنبى الصغير ( تأثيراً ظاهراً ) حتى جعلته مقلداً فى الفن الشعرى ؟ أم أن كل متعلم شاذ مبتدىء مقلد بالضرورة الملجئة إلى التقليد ؟ ثم الخصلة الثالثة ، وهى أن المتنبى لم يكن بعيداً كل البعد عن أمور القرامطة ، هى أيضاً مما يصح أن يكون من التأثير الظاهر الذى كان لهذه المدرسة ؟ فكيف يكون ذلك يا سيدى الدكتور العبرى ؟ وكيف يصح لك أن تقذف به ، والمدرسة شىء لا صلة بينه وبين أخبار القرامطة وأمورهم ؟ ثم الخصلة الرابعة التى أضافها الدكتور على أثافيه الثلاث ، وهى « أن الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً للسخرية ثم للهجاء » ، فمن أين

يأتى تأثير المدرسة فى ( طول لسانه واستعداده للسخرية ثم الهجاء ) ؟ وهل فيما نزر به الوحى على الدكتور العبقرى أن كل من تعلم فى هذه المدرسة كان طويل اللسان ، مستعداً / للسخرية ، ثم مقلداً فى الفن الشعرى ، ثم على صلة بأخبار القرامطة ١١٧٢ وأمورهم ؟!

وإن يكن فى كلام الدكتور طه شىء من الصواب فهو فى الخصلة الثانية حيث قال : « إن هذا الشعر شعْرُ صَبِيٍّ متشيع للعلوين ، متأثر بآراء الشيعة ، وبراء الغلاة منهم خاصة » ، ص : ٥٢ . ومعنى الصواب هنا على الاتساع والبَحْجَة ، وتأويل ذلك : أن المتنبي قد تأثر بمذهب الشيعة ، وذلك ضرورة اقتضاها اختلافه إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، كما نص البغدادى ، وأما سائر كلام الدكتور فليس فيه بعد ذلك صواب ، فشعر المتنبي فى صباه ليس فيه الأثر ولا الدليل عليه ، وليس فيه شىء من مذهب الغلاة من الشيعة ، كما سنبين ذلك بعد فى الكلمات المقبلة ، عند تعرض الدكتور فى كتابه للتعلق بهذا الوهم ، فى كثير من أوهامه التى لا تنتهى .

وبعد ، فالدكتور طه يقف فى ص : ٥٣ عند المقطوعات الأولى من شعر المتنبي فى صباه ، ليرى - أراه الله الخير - أنها تصور حقاً كل هذه الخصال التى أحصاها ! وعدّها عدّاً ، وهى أربع . يقف الدكتور عند قول المتنبي الذى زعموه أوّل شعرٍ نظمه ، وهو :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا      وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ آجْتِمَاعًا  
فَافْتَرَقْنَا حَوْلًا ، فَلَمَّا التَّقَيْنَا      كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا

وقد أراد الدكتور طه أن يبين لقارئ كتابه مقدار العنت الذى / تكلفه المتنبي ١١٨٢ الصبى وحمل نفسه عليه فى صناعة هذين البيتين ، فشرح البيتين بما لا غناء فى ذكره ولا فائدة فى ص : ٥٤ . ثم قال : « وأكبر الظن أن الفكرة التى حملت الصبى على أن ينظم هذين البيتين هى هذه التى توجد فى الشطر الأخير من البيت الثانى وهى : « كان تسليمه على وداعاً » ، أعجب الفتى بهذا المعنى ، فأراد أن ينظمه ، وأن يصل إليه ، فتكلف لذلك بيتاً ونصف بيت » .

ونحن لا نرى بأساً بهذا الكلام على ضعفه وقلة غنائه ، ولو وقف عنده الدكتور طه لكان مستوراً ، وكان هذا القول شبيهاً بأن نجعله ممن قد سُوِّغَ البَصَرُ بالشعر والفهم له والنقد فيه ، ولكن الدكتور طه لا يُتَّقَى على نفسه ، ولا يحفظ عليها ما يحفظ عليها الستر ، فيتخبط ويرتطم ، فيقول مبيناً عن الأسباب التي حملته على هذا الرأى .. يقول : « وأنت ترى مظهر التكلف في قوله :

« بأى من ودّدته فافترقنا »

» فكلمة ( وددته ) هنا نائية قلقة ، مُكْرَهَةٌ على الاستقرار في مكانها الذى هي فيه . أراد أن يقول ( أحبيته ) ، فلم يستقم له الوزن ، فالتمس كلمة تؤدى له هذا المعنى وتلائم هذا الوزن ، فلم يجد إلا ( وددته ) هذه » ، ص : ٥٤ - ٥٥ .

وبهذا الضرب من الكلام كشف الدكتور ما أسبغ عليه الكلام الأول من حجاب ، ودلّ على الذى هو مطبوع عليه من التخلف في النقد وسوء الفهم للشعر ، وقلة البصر به وينقده . وقد تولى الأستاذ الجليل / والكاتب المفكر عباس محمود العقاد ، ١١٩/٢ في عدد شهر مارس سنة ١٩٣٧ من مجلة الهلال ، تهجينَ هذا الضرب من النقد واستسقاطه ، وأبان عن فساده ، بما أبان عن فساد مذهب الدكتور طه في نقد الشعر وفهمه ، فقال : « والخلاف بيننا وبين الدكتور في طريقة النقد هنا جدٌ بعيد . فنحن نرى من جهة أن أبا الطيب لو أراد أن يقول « أحبيته » بدلاً من « وددته » لاستقام له الوزن مع بعض التجوز الكثير المقبول في العروض ، ونرى من جهة ثانية أن أبا الطيب كان مستطيعاً أن يستخدم هنا « حَبَبْتُهُ » الثلاثية بدلاً من « أحبيته » الرباعية ، كما استخدمها هو نفسه في قوله وهو شاعر كبير :

حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى      وقد كان غداراً فكُنْ أَنْتَ وافيًا

فلا ضرورة في الوزن ولا استكراه . وفضلاً عن هذا لا نظن كثيرين يحسبون مع الدكتور أن « وددته » في موضعها من البيتين لا تعبر عن معناها الصحيح التي لا تعبر

عنه كلمة غيرها ... فالمودة هى ذلك الحب الرقيق الذى فيه حُتُو وشوق ، <sup>(١)</sup> وليس فيه عنف ولا اعتلاج ، وليست فى العريية كلمة هى أصلح لهذا المعنى من « وددته » التى اختارها الشاعر ، وليجرب الدكتور طه أن يغيّرها فى كلام منشور ، فسيعلم أن هذه الكلمة فى نظم المتنبى الصبى هى أشبه الكلام بنظم المتنبى الكبير .

« ومن المحقق أن « المودة » ومشتقاتها ليست من الكلمات التى يلجأ إليها شاعرنا اضطراباً ، أو لعجز فى الوزن والصياغة ، فهى مألوقة فى قصائده / العديدة ، وتكاد تكون ١٢٠/٢ لازمةً له فى التعبير عن الحب بشتى معانيه ، ونذكر أمثلة على ذلك منها قوله :

ما الخجلُ إلا مَنْ أودُّ بقلبه وأرى بِطَرْفٍ لا يرى بسوائه

وقوله :

وكلُّ ودادٍ لا يدومُ على الأذى دَوامَ ودادى للحُسين ضَعيفُ »

ثم سرد الأستاذ العقاد بعد ذلك كثيراً من شعر المتنبى الذى وردت فيه هذه الكلمة ومشتقاتها ، وعقب على ذلك بقوله : « ومثل هذا التكرار لهذه الكلمة جدير بالتسجيل ، لأنه ذو دلالة نفسية ، فوق دلالاته الصناعية أو اللغوية ، لأنه يدلُّ على افتقار الشاعر طول حياته إلى الود والأوداء ، حتى قنع بالتزييف والطلاء ، كما قال :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسبُ المَنايا أن يكنَّ أمانياً  
تمنيتها ، لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعشى ، أو عدواً مداحياً

وهى ظاهرة لا نظير لها فى عامة الشعراء » ، انتهى كلام الأستاذ العقاد ، وليس لنا بعده شئ نقوله إلا كان مما يسوء الدكتور طه ولا يَبْقَى عليه ، إذ لم يَبْقَ هو على نفسه .

\*\*\*

(١) يقول أبو فهر : انظر قول المجنون ، وهو يؤيد مقالة الأستاذ العقاد :

الحُبُّ والودُّ نيطا بالفؤادِ معاً فأصْبَحَا فى فؤادى ثابتين معاً

١٢١/٢ / ثم قال الدكتور بعد الذى نقلناه آنفا : « ثم انظر إلى الشطر الثانى من هذا البيت :

بأنى من ودِدْتُه فافترقنا وقَضَى الله بعدَ ذاك اجتماعاً

« فتراه فى نفسه حسناً مستقيماً ، ولكنه مع الشطر الأول قلقٌ ، يظهر عليه التكلف الشديد ، لا لشيء فيما أظن ، إلا لأن الشاعر الصبى قد أُعْجِل ولم يملك ما ينبغى له من الأناة ، ولم يتمَّ معناه الذى ضمنه الشطر الأول ، وإنما وثب منه وثوباً إلى هذا المعنى الثانى ، لأنه عَجِل يريد أن يصل إلى الشطر الذى ألقى إليه ، والذى حمله على نظم البيتين » ، ويريد الدكتور قول المتنبي « كان تسليمه على وداعا » .

وأنت يا سيدى الدكتور الجليل رجل عبقرى ، شاعرُ الطبيعة ! فنان النفس ! ملهم الحس ! فهلا خَبِرْتَ قارئ كلامك ، ما هو تمام معنى الشطر الأول ؟ فَإِنَّكَ تزعم أن المتنبي « لم يتم معناه ، وإنما وثب وثوباً إلى المعنى الثانى » - الذى هو « وقضى الله بعد ذاك اجتماعاً » . وهذه القضية التى تريد قارئ كلامك أن يسلم لك بها لا تصحُّ عند أحد ، حتى تقرر ما تسميه ( تمام معنى الشطر الأول ) ، فبذلك يُعَرَّف أن المتنبي لم يصبر على إتمام المعنى ، فقلق وتخير واستبدَّت به شهوة الكلام ، كما تستبد ببعض مَنْ خلق الله من خلقه ، ( فوثب وثوباً ) إلى المعنى الثانى ، فكان الشطر الثانى قلقاً مع الشطر الأول لمكان هذه الطفرة ، وموضع هذه الوثبة . أمَّا عندنا وعند سائر من رزقه الله الفهم وحسَّن البصر بالكلام العربى ، فليس فى الشطرين قلق ، وإنما فيهما فُسولة المعنى وضعفه وقَلَّته .

١٢٢/٢ / وإذا أردنا بيان فساد هذين البيتين قلنا فيهما قولاً على مذهبٍ غير هذا المذهب الضعيف الذى اختاره الدكتور طه وانجذب إليه بطبيعة ضعفه فى فهم الشعر ، ولكن ليس هذا موضع ذلك ، لأننا بسبيل نقد كلام الدكتور وإظهار فساده ، والكشف عن حيله التى يتعامل بها حين يكتب فى مثل ذلك من الأدب .

والدكتور طه هو أبداً الدكتور طه حين ينقد الشعر ، فهو لا يملك إلا أن يقول :  
 ( انظر وتأمل ، ولا تنس هذا ، وأعرف ذاك ) وما إلى ذلك مما ليس فيه تفصيل ولا بيان ،  
 فإذا أراد التفصيل والبيان ، وعَمَد إلى الدلالة على موضع النقد ، اختلط واضطرب ووقع  
 أوله في آخره ، وأعلاه في أدناه ، ولم يأت إلا بمثل الذى يقال فيه : « اختلطَ المَرْعَى  
 بالهَمَل » ! [ المَرْعَى : من الإبل الذى له راع ، والهَمَل : الذى لا راعى له ] . وإذا شئت  
 أن تستيقن هذا فاقرأ تمة هذا الكلام فى ص : ٥٥ إذ يقول : « فانظر إلى قوله : » فافترقنا  
 حولاً « بعد قوله : « وقضى الله بعد ذاك اجتماعا » ، وانظر بعد ذلك إلى البيتين جميعاً ،  
 فستظهر لك الصنعة والمحاولة ظهوراً لا يدع سبيلاً إلى الشك فى أن الصبى قد أنفق  
 جهداً ثقيلاً ووقتاً طويلاً ، حتى استخرج من نفسه هذين البيتين » ، انتهى . وهو كلام كما  
 ترى : « أُنِمْما تُوجَّههُ لَأَ يَأْتِ بِخَيْرٍ » ، وليس فيه إلا التظاهر والتكثير بالكلام الذى  
 لا ضابط له ولا حد ، ( كالصنعة ، والمحاولة وإنفاق الجهد الثقيل ، والوقت الطويل ) ،  
 وإنما هو يا سيدى ثرثرة ولغوٌ وعُثاءٌ كما ترى .

...

ثم يقول الدكتور الوقاف على « هذه الأبيات الثلاثة الأخرى التى قالها صبيُّنا فى  
 حديثه .... كما ينبئنا الديوان ، وكما تنبئنا هى أيضاً » ، ص : ٥٦ :

١٢٣/٢ / أَبْلَى الْهَوَى أَسْفَا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي      وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفَنِ وَالْوَسَنِ  
 رُوحٌ تَرَدَّدَ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ ، إِذَا      أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثَّوْبُ لَمْ يَبِينِ  
 كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَتْنِي رَجُلٌ      لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي

« فواضح جداً أن بيت المقطوعة هو البيت الأخير ، وأن الفكرة التى يريد الصبى  
 تصويرها هى الإغراق فى وصف النحول » ، ص : ٥٧ ، وفى ص : ٥٦ - ٥٧ : « وكان  
 حظ هذا البيت الأخير كحظ ذلك الشطر الأخير من البيتين السابقين ، حفظه الناس  
 وأحبُّوه ، وتمثلوا به ، لأنه وحي الطبيعة البرىء ، وأهملوا ما قبله ، لأنه متكلف  
 مصنوع » ، انتهى .

ولو وقف الدكتور عند هذا القول لوفر على نفسه حسن الظن به ، ولأبقى على رضى القارئ عنه ، ولاجتنب أن ينصب فكره وعقله غرضاً للرمة ممن يحسنون الفهم . ولكن الدكتور ليس يفعل ذلك ، لأنه مسلط على نفسه ، فعاد مرة آخر للنقد ، ولتعليل ما أحس به من التكلف البين في هذا الشعر ، فأخذ يتلمس العلل ويتحسسها في حروف الشعر ، فلم يأت بشيء بل قال : « انظر كيف تكلف الوصول إلى هذا البيت الأخير :

« أبلَى الهوى ، أسفاً يوم النوى بدنى »

١٢٤٢ / فأسفاً هنا ، كلمة لم تأت إلا لتقيم الوزن ، ونبؤها عن موضعها أظهر من أن يدل عليه .

وأيضاً ، يعود الأستاذ العقاد إلى ضغط الدكتور طه وحزقه بأخطائه في فهم الشعر أو البصر بمعانيه ، وحدود ألفاظه ، فيقول في عدد الهلال المذكور آنفاً - بعد أن نقل كلام هذا الدكتور : « وعندنا أن الطريقة المثلى لتحقيق الكلام الذى تحبى به ضرورة الوزن ، أن نحذف الكلمة ، وننثر البيت ، وننظر بعد ذلك إلى قوة المعنى وقوة الأثر ، فإن بقيت للمعنى قوته ، وبقي له أثره ، فالكلمة المحذوفة حشو لا موجب له غير إقامة العروض ، فهل « أسفاً » في الشطرة التى عابها الدكتور من الكلمات التى يصدق عليها هذا القياس ؟ لا نظن ، بل هى كلمة تتعلق بها كل قوة البيت ، كما تتعلق بها نغمته الموسيقية ، ودلالته في الشعور بسبب البلى يوم النوى ، وهو الأسف والحسرة » ، انتهى كلام العقاد ، وهو كلام جيد يقصر عن مثله الدكتور طه تقصيراً كبيراً .

ثم يقول الدكتور : « ولكننا مع ذلك نلاحظ شيئاً من الموسيقى قد ( وُفق ) الشاعر إليه بين ( الهوى والنوى ) وهو يدل على شيء من ( الرق في صناعة النظم ) ، وعلى أن الصبى قد ( استطاع أن يتصرف ) شيئاً ما في الألفاظ » .



وإذا أردت أن تعرف فساد هذا الكلام كل المعرفة ، فلا تكن كالـدكتور طه يجعل

عامية هذا الزمن الذى نعيش فيه ، وما هى فيه من البعد / عن ألفاظ العربية الفصيحة ، ١٢٥/٢  
لمكان النشأة الأولى فى يُبوتنا بين الجاهلات من عجائز الحَدَم وما فوقهن - هى الأصل  
الذى تقيم عليه كلامك وفهمك ونقدك . بل أعلم أن هذا ( الصبى ) قد نشأ فى  
الكوفة ، أى فى بلد عربى ، وهذه النشأة كانت فى القرن الثالث من الهجرة أو أوائل القرن  
الرابع ، والعربية لا تزال بَعْدُ فى هذه البلاد على حالة من الخير ، لم يصبها إلا الدخيل من  
الفارسية وغيرها ، وبعض ما فشا من اللحن والخطأ . ولم تكن الكلمات العربية قد أهملت  
بَعْدُ كما أهملت فى هذا العصر ، فكان مثل قولك : ( النوى والهوى ) من الألفاظ الدائرة  
على ألسنة القوم ، يتلقَّنها الولد الصغير من لسان أمه وأبيه وجارته وذادته ، وقد كان  
الأمهات والحَدَم والجوارى لذلك العهد يحفظن الشعر ويتمثلن به ، وإن لم يُقِمَنَّ على  
الأصل . وكان الشعر العامى وهو أشبه بهنّ وأعلق بنفوسهن - مما يكثر فيه هذا الضرب  
من الألفاظ ، وهذا الصنف من المقابلة بين اللفظ وزنته أو شبيهه ، وكنّ يتغنين بكثير من  
ذلك . فالصبى بنشأته يتلقَّن هذا الكلام ، ويعرفه ويستعمله فى حديثه ، فظهوره فى شعر  
المتنبى الصبى ليس يدلُّ على شىء من الموسيقى ( وُفِّقَ ) إليه الشاعر بين ( الهوى  
والنوى ) ، أو على شىء من ( الرقى فى صناعة النظم ) « وإنما يدلُّ - إذا أراد الدكتور أن  
يذهب هذا المذهب من الكلام - على الاستعداد الطبيعى فى هذا الصبى لنظم الشعر ،  
ومعانة القرىض . وأنت بعدُ تَرَى مقدار النقص فى مثل قول الدكتور أنه يدلُّ أيضاً -  
( على أن الصبى قد استطاع أن يتصرف شيئاً ما فى الألفاظ ) ، فما يكون ذلك إلا فى  
/ مثل زماننا هذا ، إذ ينشأ ناشئنا فى العامية الدانية ، وإنما يحفظ اللغة حين يتعلَّم ، ثم ١٢٦/٢  
يكون له أن يتصرَّف فيها ، فإن سَوَّغ القدرة استطاع ، وإلا لم يستطع هذا التصرف .

ولعل الدكتور يعرف أن فيمن عاصر المتنبى من الشعراء ، جماعة منهم كانوا  
لا يحسنون القراءة ولا الكتابة ، وإنما كانوا أصحاب صناعة أو أهل خدمة ، لم يأخذوا

الشعر عن أحد من أهل العلم به ، ومع ذلك قد رَوَى الرواة لهم شعراً حسناً لا بأس به ،  
 وكانت فيه موسيقا ، وكان فيه رُقْيٌ في النظم ، وكان فيه تصرف في الألفاظ !!  
 وللسبت المقبل طَرَفٌ من القول في نقد هذا الفصل .

...

- ٩ -

/ يقول الدكتور طه في كتابه ص : ٥٩ : « قيل للمتنبي وهو في المكتب : ١٢٧/٢  
ما أحسن هذه الوفرة ! فقال :

لا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى      مَنَشُورَةَ الضُّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ  
عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً      يُعْلِلُهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبَالِ<sup>(١)</sup>

ثم يزعم أنه لم يرو هذين البيتين إلا « لما يصوران من نزاع هذا الصبي الحَدَث إلى الحرب والقتال ورؤية الدم المسفوك ، وما ينمّان به من حفيظة تضطرب في نفس الصبي ، وضغينة تضطرم في قلبه الغض ، وتطلق لسانه بهذا الكلام الملتهب » . وهذا كلام لا بأس به ، على أنه مختصر من كلامنا عن هذين البيتين في [ ص : ١٨٣ - ١٨٥ ] من كتابنا هذا عن المتنبي ، ولم يكن للدكتور من فضل إلا تبديل الألفاظ . ولا نظيل بذكر كلامنا في هذا المكان طلباً للمقارنة ، ولكنتي أدلّ القارئ على أني حين تكلمت عن / هذين البيتين ، ١٢٨/٢ حاولت أن أستخرج منهما الأصول التي يُبَيِّنُ عليها نفس أي الطيب ، وحللت معانيهما في ستة أصول ، لعلها هي أظهر ما استوت عليه نفسه حتى بلغ الغاية في أعقاب عمره . وكلام الدكتور طه الذي نصفه بقولنا ( لا بأس به ) ، هو أبداً من ( عند غيره ) ، حتى ولو كان هذا الكلام مما يصح أن يقع عليه المبتدئون من طلاب الأدب ، فإذا تجاوزوه الدكتور إلى

(\*) نشرت في جريدة البلاغ ، السبت ٢٨ من المحرم سنة ١٣٥٦/١٠ من إبريل سنة ١٩٣٧ .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، وسال حتى بلغ آخر شحمة الأذنين . و « الضفر » ، خصلة الشعر المضفورة كالغديرة ، وقوله : « معتقل صعدة » ، أي حامل رمحته إلى الحرب . و « يعلها » ، يسقيها من الدم مرة بعد مرة . و « الوافي السبال » ، الطويل اللحية .

ما يأتي به من ( عند نفسه ) ، تهالك وتهذل ، وجاء كلامه متخلعاً متحرّفاً لا يدلُّ إلا على القدرة العبقريّة في مادة الإطالة والتهويل والثرثرة .

ودليل ذلك ما يقوله بعقب ما نقلناه لك . « ولك في فهم هذين البيتين وجهان فيما يظهر : فهل كانت الوفرة التي استُحسِنَتْ له وفَّرته هو ؟ وإذن فهو غير راضي عن نفسه ، ولا مطمئن إلى حاله ، وإنما هو متحرِّق إلى الشباب الذي يمنحه القوة والحرية ، وإلى الظروف التي تتيح له خوض غمار الحرب ، وعَلَّ سعده من دماء الأعداء = أو هل كانت الوفرة وفرةً تَرَبُّ من أثرابه في المكتب ؟ فالصبي إذن يهجو ، ولا يرضى عن هؤلاء الصبية المنعمين الذين يُعَنون بوفراتهم ، وتنسيق شعورهم أكثر مما يعنون بحياة الخشونة » .

والوجه الثاني ، مع الأسف ، سخيف جداً ، وفاسد جداً ، وهو إلزامٌ للماضين من العرب ، بما يألّفه بعض العرب المحدثين . فعادة العرب في الجاهلية والإسلام توفير الشَّعر ، والعناية به ، في الرجال والنساء والصبيان جميعاً ؟!

ومع ذلك فهذان الوجهان تقسيمٌ باطلٌ لا معنى له ، وثرثرة فارغة / لا خير فيها . هذا على أن المعنى فيهما واحد لا يختلف ، وما يدلُّ أن عليه لا يتناقض ولا يتباعد . فعلام ذكر الوجهين إذن ، ما دام نص الكلام يدلُّ على أن المقصود هي وفرة المتنبي نفسها لا غيرها ؟ وعقل العقلاء يدلُّ أيضاً على أنهم يعنون تلك لا غيرها ، والعادة المعروفة لأهل ذلك الزمان هي الإبقاء على الوفرة المسترسلة في الصغار والكبار ، وعادة أهل الكوفة والبلاد التي يكثر فيها ( العلويون ) على الخصوص هي ما ذكرنا ؟

١٢٩/٢

ثم لو أن الدكتور طه كان قد تتبع خبر المتنبي ، لعرف أن مُعازداً للاذقي قال في حديثه : « قدم أبو الطيب اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو لا عِذار له ، ( وله وَفْرَةٌ إلى شحمتي أذنيه ) ، فأكرمته وعظَّمته لما رأيْتُ من فصاحته وحُسن سَمْتِه » .

وهذا دليل على أن الوفرة المقصودة هي وفرة المتنبي نفسه . وقد أردنا بهذه الكلمة أن ندلِّك ، أيها القارئ ، على طبيعة الدكتور طه التي لا تفارقه أبداً ، لتجعلها منك على

ذُكِرَ أَنِّي قرأت كلامه ، ولو شئنا أن نتعقب فعلاات الدكتور في كل وجه من كتابه ، وعند كل سطر ، وبين كل لفظٍ لفعلنا ، ولأنشأنا كتباً عدة في بيان المذهب العقلي الذي يتمرغ فيه كلامه !!

ومع أن الفائدة منه محققة لقراء كتب الدكتور ، فإن الوقت لا يمدنا بمؤنثته من الساعات ، وعندنا من العمل الذي يشغلنا بالاستفادة من العلم ، ما يقطعنا دون ذلك . فاعلم أننا سنتجاوز لك عن أشياء من هذا الكتاب ، / لا للصواب الذي فيها ، بل للبلاء ١٣٠/٢ الذي نحن فيه مما يؤذى ويُمِضُّ ويقلق .

...

وقد شاء الدكتور طه ، ولا رَدَّ لمشيئته ، أن يجعل البيتين السالفين أول حجر يُلقى به في البناء الحَرَج الذي أراد بناءه ، من أن المتنبي كان من القرامطة ، فقال في ص : ٦٠ : « ومهما يكن من شيء ، ففي هذين البيتين ربح البيعة الدامية التي كان يعيش فيها الصَّبيّة من أتراب المتنبي ، بين تلك الغارات التي كانت تنتهي بالقرامطة إلى الكوفة وسوادها من حين إلى حين » .

ولو تدبّر القارئ لعلم أن الدكتور لم يفعل ذلك إلا لغرض في نفسه قدّم له ، وأراد هنا أن يدلّ عليه ، ثم يشاء بعد أن ينسحب عليه في مواضع من كتابه .

وهذا عمل غير صالح ، وإلا فلم حَصَّ ( البيعة الدامية ) بالقرامطة ؟ والكوفة وغير الكوفة من بلاد العربية كانت ميداناً ومَجالاً ووَعْيَ دائرة ، ونزاعاً مستمراً قائماً بين الطوائف كلها لذلك العهد ، ولم يكن القرامطة وحدهم هم ( حملة السلاح ) .

وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا هذا ص : ١٩١ ، ١٩٢ وهو الفصل الذي فيه هذا البيتان فقلنا :

« وكانت الكوفة ، التي نشأ بها أبو الطيب وشبَّ وترعرع وتفتَّى ، / لذلك ١٣١/٢ »

العهد ، بلداً من بلاد الإسلام قد رمتها القرامطة بجيوشها مرّات ، وفعلت بأهلها الأفاعيل ، وكانت الدولة العربية في شغل عن الكوفة بانقسامها شيعاً يأكل بعضها بعضاً ، وظهرت شوكة الأعاجم ، وكانوا أصحاب حيلة ودهاء ، فأوقعوا بين المسلمين ، وبين عرب البادية ، حتى صارت الدولة العربية المترامية الأطراف في ثورة دائمة لا تفتّر ، ولا تنقطع الحروب في ناحية إلا اتفقدت نيرانها في ناحية أخرى .

« ولا شك أن إحساس أبى الطيب قد ألمّ بذلك كله وفصله ونقده ، وعرف الداء الذى كمن في بدن العربية ، واستلّ قوتها وقتل روحها ، فازداد إلى ثورته ثورة ، وإلى حقه حقدًا » .

فاختصاص القرامطة وحدهم بذلك لا مسوّغ له كما ترى ، وهذا ما قلناه في ص : ١٩٤ و ص : ١٩٥ ، قلنا : « كان الذكاء والثورة والنظر والتجربة والاختلاط بالناس واختبار أخلاقهم ، وتعجّبه من فساد أقيستهم ، وبُطلان مذاهبهم ، ثم اعتماده في نفسه على الثقة بها ، واعتداده بمقدرته ، واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم أو السلطان أو القضاء إلا بالسوء والقيح ، ثم طبيعته الشاعرة المرهفة التى تلتقط صور الأشياء ، ثم تنتزع منهما الأخيلة الشعرية = كل ذلك أسرع ( بالفتى ) إلى ضرب من القول الساخر الذى لم تر العربية مثله في شعر شاعر .

١٣٢/٢ « إلا أن سخريته التى انفرد بها لم تكن بعد في كبره إلا ضرباً من الحكمة / والعبرة لا يفتن لها إلا أفذاذ العقول ، ثم يدلّون عليها بالإيجاز العجيب ، فلا يبالغون في تصويرها ، بل يضعون لها ( اللفظ ) الذى يخرجها مخرج الحكمة ، ويزيدها روعةً في السّخر .

« وقد حفظ لنا المتننى ضرباً من سُخريته في ( صغره ) تدلّ على ما استحكم في شعره بعد ، وصار في شاعريته طبيعة متأصلة مستحكمة .

« مرّ المتننى برجلين قد قتلا جُرداً ، وأبرزاه يُعجّبان الناس من كبره ، فقال :

لقد أصبح الجُرْدُ المُسْتَعِيرُ      أسير المنايا صريع العطب  
رمَاهُ الكِنَانِيُّ والعامريُّ      وتلاه للوجه فعل العرب  
كِلَا الرجلين آتَى قَتْلَهُ ..      فأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ ؟  
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ ؟      فَإِنَّ بِهِ عَضَّةً فِي الذَّنْبِ

« قتل الرجلان الكنانى والعامرى هذا الفأر الكبير ، فأخرجاه ليعجبا الناس من كبره ، وهذا سُخْفٌ منهما إذ شغلا أنفسهما بعبث لا معنى لمثله عند المتنبي الذى يريد في نفسه قتل الملوك ، فمن هنا قال : ( الجُرْدُ المُسْتَعِيرُ ) الذى أغار عليهما كما تغير الجيوش ! ثم لما فرغ من جعله كذلك ، ذكر أن الفأر وقع في ( أسر المنايا ) كما يقع العدو في الأسر حين رماه الكنانى والعامرى بالسهم كما يرمى العدو . وبذلك يسخر من رجلين يجمعان قلوبهما على قتل ، ثم لا يكون المقتول إلا فأراً !! ثم لا يكفى صاحبنا بهذا ، بل ١٣٣/٢ يقول : إنهما أحذا يصارعانه ، كما يصارع العربى خصمه ، مستعيناً عليه بالقوة حتى يَكُبَّهُ على وجهه مقتولاً ، وذلك قوله : ( وتلاه للوجه فعل العرب ) . ثم يقول بعد : كِلَا كَمَا تَوَلَّى قَتْلَهُ - وذلك لكبر الفأر وشدته !! - ولكن مَنْ منكما الذى سرق حُرَّ ثيابه وجيّد سلاحه ؟ كما يسرق السارق في الحرب أسلاب القتلى ويخفيها عن أصحابه من المقاتلة . ثم يعود فيقول : إنكما كنتما تصارعانه بعد أن رميتهما بسهميكما ، وكان أحداً من خلفه ، فمن منكما الذى كان من ورائه ليحتال على صرعه ؟ وقد عَرَفْتُ حيلته في صراع هذا الفأر العظيم !! فإنه عضّه في ذنبه ، وهذه العضة بيّنة ثم = وأنت إذا عدت فقرأت الأبيات على ما تكلّفنا شرحه ، رأيت بلاغة الرجل في السخرية ، ودقته في اختيار الألفاظ ، وإيجاز الصورة التى يريد أن يتفكّه لك بها » ، إلى آخر هذا الفصل الذى أطلنا بنقله .

فجاء الدكتور طه أيضاً وذكر هذه الأبيات في ص : ٦٠ ثم قال :

« فظاهراً أن هذا الشعر ليس شعر صبي يُقرِّم ، (١) وإنما هو شعر شاعر قد

(١) القرام ( بكسر القاف وسكون الراء ) الشاعر الدون . يقال : « هو يقرِّم الشعر » ، أى يقول شعراً دوناً رديفاً .

راض نفسه على نظم الكلام ، وتعلم كيف يصرف هذا الكلام كما يحب من وجوه القول ، بل تجاوز رياضة النفس على إجادة النظم ، إلى التماس الهجاء المحض والسخرية اللاذعة ، وإلى ترتيب المعنى وتأليفه وحمايته من الاختلاط والاضطراب .

١٣٤/٢ / وهذه العبارة كما ترى ، هي جزء نفخ فيه الدكتور من كلامنا ، ثم طفق بعد ذلك يشرح هذه الآيات بما لا يخرج عن المعنى الذى قلنا ، وقطع فى ذلك من ص : ٦١ - ٦٢ . وأنا على يقين من أن الدكتور لم يتعب نفسه فى هذا الكلام إلا لِمَا وجد فى كلامنا عن سخرية المتنبي .

وقد كنت أول من وقف عند هذه الآيات ، ويُنَّ أنها سخرية .

والحقيقة أنه بعد هذه الآيات لم يوفق فى الكتاب كله إلى الكشف عن موضع واحد من سخرية المتنبي ، التى قال عنها فى ص : ٥٣ : « وخصلة رابعة : وهى أن هذا الصبى كان طويل اللسان شيئاً ما ، مستعداً استعداداً حسناً ( للسخرية ) ثم الهجاء » . فالدكتور على عادته يأخذ أصل الرأى من غيره ، ثم ينسأه نسياناً تاماً ، ولا يستطيع تطبيقه على شئ مما يقع تحت يده ، إلا أن يجد تحت يده أيضاً شيئاً يأخذه يكون بسبيل من هذا !!

...

ثم لا يكاد الدكتور ينتهى من الكلام عن سخرية المتنبي فى ص : ٦٤ ، حتى يقفز ( القفزة الأليمية ) المشهورة ، فيقول فى إثر ذلك : « قال الرواة : وقد خرج المتنبي من الكوفة مع أبيه إلى البادية فأقام فيها حيناً ، ثم عاد منها وقد نما جسمه وعقله ، وفصح لسانه ، وأصبح فتى يملأ العين والأذن » . وهذا الذى ( ألصقه ) الدكتور طه بالرواة ليس يصح على علته ، وهو قد جعل خروج المتنبي إلى ( البادية ) دون أن يعين آية بادية ، ١٣٥/٢ الحاجة فى نفسه . / والحقيقة التى رواها الرواة : « أن المتنبي حين خرج من الكوفة صعد إلى بادية السماوة فى مشارف الشام » ، وهذه هى إحدى الروايات = والرواية الثانية « أنه



سافر مع أبيه إلى الشام فلم يزل ينتقل من حاضرة إلى بادية « = والرواية الأخرى : » أنه خرج إلى البادية فعاد عربياً قحاً ، وظاهر أن المراد بالبادية في هذا النص الأخير بادية الشام ، لأن الروایتين السالفتين تدلّان على ذلك ، ويؤيده قول الواحدى في أول شرح ديوانه : « وُلد أبو الطيب بالكوفة .... ونشأ بالشام والبادية » .

هذا على أن الدكتور طه قال إن المتنبي خرج مع ( أبيه ) ، ولا ذكر في الروايات ( لأبيه ) إلا رواية من قال : « إنه خرج مع أبيه إلى الشام » ، فكيف يُحرّف الدكتور النص ، ويأخذ بعضاً ويدع بعضاً ؟ أو تدرى لماذا فعل الدكتور طه هذه الفعلة المستنكرة ؟ فعلها لأنه يريد أن يوقع نفسه في إشكال ، <sup>(١)</sup> وأن يحلّ هذا الإشكال على رأى مبيّ ، فيقول لك في ص : ٦٤ : « إن من العسير أن نقطع بالسبب أو الأسباب التى حملت الصبى على أن يرتحل إلى البادية .... فهل ارتحل إليها كما كان يرتحل إليها المتعلمون اتّماساً للصحة ورياضة اللسان ؟ أم ارتحل إليها اتّماساً لهذه البيئة ( القرمطية ) التى كانت متصلة أشد الاتصال بحياة الشعب الكوفى فى ذلك الوقت ؟ » .... ثم يقول فى ص : ٦٥ : « ليس من اليسير أن نقطع بشيء من / هذا ، ولكن الذى نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون ( تأمل هذا ! ) هو أن رحلة المتنبي إلى البادية قد نفعته من الناحيتين جميعاً ، فقد ربا جسمه ونما عقله وفصّح لسانه ، وتعلّم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية . وشعر المتنبي فى صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، بيّن لنا هذا أوضح تبين وأجلاه » . وظاهر من هذين الكلامين أنه فى أولهما قال إنه من ( العسير ) أن يقطع بأحد السبيين ، ولكنه فى آخرهما كان من ( اليسير ) عليه أن يقطع بنتيجة السبيين جميعاً ! وهذا كلام ضعيف هالك ، فإذا قطع الدكتور بهذه النتائج ، فالأسباب أيضاً فى حكم المقطوع بها بغير شك .

(١) تبين لى بعد كتابة هذه المقالة أن الدكتور طه ، أحد هذا الرأى على عادته ، من الأعجمى المستشرق ،

بلاشير ، ولذلك فالدكتور معذور فى هذه الأخطاء ، التى وقع فيها !

والدكتور يقطع بأن المتنبي تعلم أصول القرامطة وعرف مذاهبهم النظرية والعملية معا ، قبل إيراد الحجة أو شبهها على هذا الذى قطع به !! وليس ذلك فحسب ، بل إنه كما قلنا نعلم أن يذكر ( البادية ) بغير تعريف ليقول بهذا القول . وهذا فعل غير حميد ، إذ كان يجب عليه أن يعين البادية التى رحل إليها المتنبي ، لأنه إذا صح أن الرحلة كانت إلى بادية السماوة ( وهذا صحيح ولا شك ) ، فمن التهجم أن نقول إنه تعلم أصول القرامطة هناك ، فلم تكن بادية الشام موطناً من مواطن الدعوة القرمطية ، بل كانت من أعداء القرامطة ، وكثرت عليها غاراتهم ، واشتدت فيها حروبهم . وأما موطن الدعوة القرمطية ، فكان فى جنوى الكوفة إلى البحرين ، من أواخر القرن الثالث ، إلى أن خففت وذهبت ريحها . فشأن هذه البادية التى رحل إليها وكثرت عليها غارات القرامطة ، شأن الكوفة التى رحل منها وكانت عليها غارة القرامطة . وإذا كان وجوده فى الكوفة لا ينتج القول بأنه / كان قرمطياً ، كما ذهب الدكتور إليه فيما بعد ، فكذلك رحلته فى بادية الشام لا تأتى بشئ يعضد هذا القول .

...

وكما رأيت قبل أن الدكتور أقحم القرمطية فى الآيات المذكورة فى أول هذا الكلام ، تراه يعود فى ص : ٦٥ فينقل هذه الآيات ويجعلها : « كافية كل الكفاية !! ( تعجب ) لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من ( البادية القرمطية ) وهو قرمطي الرأى ، متحفز ليكون قرمطي السيرة أيضاً » . فانظر أيها القارئ كيف يفعل هذا الدكتور : ففى المرة الأولى قال ( البادية ) بغير تعريف وعلى غير تحقيق ، ثم عاد بعد صفحة واحدة يقول ( البادية القرمطية ) معرّفة موصوفة ، فهل يستطيع هذا الدكتور أن يحقق ما هذه ( البادية القرمطية ) ، وأين تقع ؟ وأين كان مكانها من الدنيا ؟ وكيف يجمع بين الروايات ويعدّل بينها ، ويأخذ منها ما يصح ؟

وانظر الآن إلى هذه ( القرمطية ) التى يزعمها فى هذه الآيات :

إِلَى أَيْ جِئْتَ أَنْتَ فِي زِيٍّ مُحَرِّمٍ      وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمْ ؟  
وَالْأَثْمُ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا ،      تُمْتُ وَتُقَاسِ الدُّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ  
فَثَبَّ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَاجِدٍ ،      يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْفَمِ

/ يقول الدكتور : « فانظر إلى هذا التحرق الذى يظهره الغلام إلى تغيير ١٣٨/٢  
حاله ... » ، ثم يقول فى ص : ٦٧ : « ليس عندى من شك فى أن هذه الأبيات تصوّر  
ما عاد به من البادية بعد أن عاش فى بيئتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد ( يعنى  
القرمطية ) » .

وقد زاد فى هذه المرة فى صفة البادية التى لا يعرفها : أنها ( مقتنعة بالمذهب  
الجديد ) ؟!

وهذه من عجائب الدكتور الكثيرة ، وهل يرى أحد من الناس فى هذه الأبيات  
دليلاً على ( قرمطته ) ؟ ليكن القرامطة من دعاة الخروج على الملوك والسلاطين ، أفكُلَّ  
خارج على الملوك وعلى الدولة هو قرمطي بالضرورة ؟

لقد كان من الأصول المقررة عند العلويين الخروج على الخلفاء ، أفكان العلويون  
أيضاً قرامطة ؟ أو كُلُّ من تكلم بمثل هذه الروح الثائرة ، فهى دليل على أنه ( قرمطي ) ؟  
اسمح لى أن أقول لك يا سيدى الدكتور أن هذه الأوهام التى تتخيّلها ليست تصلح  
للكلام فى تاريخ الشعر ، ولا بيان معانيه ومرامييه وأغراضه .

ثم اسمح لى يا سيدى الدكتور أن أسألك من أين عرفت أن هذه الأبيات قد قالها  
المتنبي بعد أن رجع من البادية ؟ وما الدليل على ذلك ؟ والذى فى الديوان المطبوع أنه قال  
( فى صباه ) وفى بعض المخطوطات : ( قَالَ وَهُوَ فِي / الْمَكْتَبِ ) أى بالكوفة ، فكيف لك ١٣٩/٢  
بالقطع بأنها مما قاله بعد أن رجع من البادية !!

وأكثر من ذلك أن ترتيبها فى الديوان لا يدلُّ على شيء من ذلك - إن كنت قد  
اعتمدت على ترتيب الديوان . وإذا كانت ( الرصانة اللفظية التى ترفع اللفظ عن

الابتدال ، وتكسبه عنوبة تحس فيها ربح الصحراء ) كما تقول في ص : ٦٧ ، هي الدليل على أنه قالها بعد عودته من البادية ، فلماذا جعلت القصيدة ، التي ذُكرت في الديوان قبلها ، وذكرتها أنت بعدها ، من شعره بعد عودته من البادية ، والقصيدة كلها ( رطانة ) لا رصانة فيها ، وهي مبتذلة اللفظ ، مِلْحَةٌ تَذَوَّقُ منها مرارة بغیضة مستكرهة ؟ هذا على أنها مما ذكرها الرواة في شعره الذى قاله وهو في ( المكتب ) بالكوفة ؟ هذا طرف من القول في القرمطية ، وسنعود إليه في الكلمة المقبلة ، بالتوضيع والبيان .

\*\*\*

ولا بأس من أن نذكر للقارئ فكاهة طريفة من حيل الدكتور طه ، فإننا حين ذكرنا هذه الأبيات ( في ص : ١٨٥ ، ١٨٦ من كتابنا هذا ) ، قلنا بعد شرح البيتين اللذين ذكرناهما في أول المقالة :

« وهى وإن كانت مما قال فى صغره ( نعى هذه الأبيات الثلاثة ) ، إلا أنها أمثل من الأبيات الأولى فى الدلالة على المعانى التى ذكرناها ، والأصول / التى استنبطناها ، فتدبرها على ما قدمنا لك ، تجد الشاعر الكبير فى الشاعر الصغير ، إلا فى موضع واحد قَلَّ فى شعره بعد الكبر ، وذلك هو تقديم الثقة بالله على الثقة بسيفه ونفسه » :

وقد سمع الدكتور لنا ، فتدبر البيت الأخير على طريقتنا فى شرح البيتين الأولين ، فقال فى ص : ٦٧ : « وانظر إلى هذا البيت الأخير :

فَنَبَّ وَإِثْقَاءً بِاللَّهِ وَثْبَةً مَّاجِدٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمِ  
فهو لا يريد بهذا ( الوثوب ) إلا الخروج على السلطان ، وشق عصا الطاعة ، والمخالفة عما يأمر به النظام المؤلف .

وقد أقر الدكتور كلامنا عن الأبيات الأولى ، وعرف كيف نقف عند الألفاظ لنستخرج منها المعانى ، فوقف عند قوله ( نَبَّ وَثْبَةً مَّاجِدٍ ) فجعله الخروج على السلطان .

ولكن الدكتور لم يستنبط هذا المعنى ، ولا كان مما يتأتى له أن يعرفه ، لولا أننا نبهنا إليه في أبيات أخرى لم يذكرها الدكتور في كتابه البتة !! مع أنها أدل على هذه ( القرمطية ) العملية التى يزعمها ، وهى الأبيات التى أولها :

/ مُجَبِّى قِيَامِي ، مَا لِذَلِكَُمُ النَّصْلِ      بَرِيئاً مِنَ الْجَرْحَى سَلِيماً مِنَ الْقَتْلِ ١٤١/٢

فقلنا نحن في ص : ١٩٨ : « وقوله ( مُجَبِّى قِيَامِي ) يعنى ثورته وظهوره وخروجه » ، فنقل الدكتور هذا إلى الموضع الذى نصحنافيه القراء بتدبر الأبيات الميمية ، ثم توكل على الله وترك هذه اللامية خشية هذه الفضيحة ، مع أنها أصل له فى الدلالة على مذهبه !! ولأسبوع المقبل .

- ١٠ -

١٤٢/٢ /والآن ننشر القول فى مشكلة ( القرامطة ) التى أراد الدكتور طه أن « يستحدثها »  
فى المتنبنى .

وقد كنا فى الكلمة السالفة قد طوينا القول طياً لأسباب غلبتنا على الإرادة ، حتى  
هجم علينا بعض كبار أصحابنا باللوم والتعنيف . وقد استحققناهما - فلهم العُتْبَى  
حتى يَرْضَوْا . فهذه كلمة نستدرك بها ما فات ، ونستأنف القول من مبدئه حتى  
لا يتفلّت من الرأى ما يجب له الحفظ والإمساك .

ومن الظلم البين للدكتور طه أن نقول إنه ( استحدث ) مشكلة القرامطة ، فليس  
هو بذلك الذى ( يستحدث ) شيئاً لم يكن !! ولكنى أنسب استحداثها إليه ، لأنه رجل  
عبرى نابغة فذٌ ، وللعبرى علينا أن ننسب إليه كل ما يقوله ، وإن لم يكن هو صاحبه  
ولا مبتدعه ولا البادى به .

وأوّل من أحدث هذه الخرافة ، فيما نعلم ، أحد الفعّة المستشرقة الأستاذ  
( بلاشير ) ، وقيدّ قوله هذا فى دائرة المعارف الإسلامية ( الترجمة ج ١ ص : ٣٦٤ ) فقال :

١٤٣/٢ / « ولقد هذّب دعاة القرامطة من شأن بنى كَلْب الذين كانوا يعيشون عيشة  
البدو فى سُهوب تلك الصحراء ، ومن المحتمل ( تأمل هذا ) أن يكون هذا الشاعر  
الشاب قد اتّصل فى ذلك الوقت ببعض هؤلاء ( الزنادقة ) ، إلا أنه من المرجح ( تأمل )  
أيضاً أن هذا الاتصال لم يترك أثراً واضحاً فى حياته لحدّاثه سنة ( تأمل هذا واذكره ) ،

ومن المحقق من جهة أخرى أن إقامة أبى الطيب بين هؤلاء البدو ، قد أكسبته معرفة واسعة باللغة العربية كثيراً ما فآخر بها فيما بعد » .

واستطرد هذا المستشرق على ضرب من الرأى ليست له سِنادةٌ تحمله ، أو عُكَّازَةٌ تُقيمُ أَوَدَه . ولسنا فى سبيل الكلام عنه ، ولكن لو أعدنا على القارىء كلام الدكتور طه بترتيبه فى كتابه ، لما خرج من هذا إلا هذا ، ولكان كل فضل الدكتور هو فيما استبدَّ به من القدرة على الحشو واللُّغو والغُلُوّ فيهما .

وسيرى القارىء ذلك فى مكانه من كلامنا هذا ، ومن كتابنا فى نقد هذا الكتاب ( مع المتنبي ) . ومأثرةٌ أخرى للمستشرقين ، فقد زعموا أن المستشرق الأعجمى الأستاذ ( مسنيون ) ألقى فى مؤتمر المستشرقين الأخير فى رومية بحثاً ادَّعى فيه أن أبى الطيب كان ( قرمطياً ) ، ذكر ذلك الأستاذ عزام فى كتابه ص : ٣٢٩ ، ثم عقب عليه بقوله : ( ورأيت بعض أدبائنا يميل إلى هذا الرأى !! ) .

...

١ / وترتيب حجة الدكتور طه فى أمر القرمطية التى يزعمها على المتنبي هو ١٤٤٢/٢  
ما نحكيه لك ، فحين ذكر بيتى المتنبي حين قيل له وهو بالمكتب : ( ما أحسن هذه الوفرة ! ) ، فقال :

لا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَنَشُورَةَ الضَّفَرَيْنِ يَوْمَ الْفِتَالِ  
عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةً يُعْلِمُهَا مِنْ كُلِّ وَافِي السَّبَالِ

فقال ، بَعْدَ حَشْوٍ ، فى ص : ٦٠ : « ففى هذين البيتين ريح البيئة الدامية التى كان يعيش فيها الضبية من أتراب المتنبي ، بين تلك الغارات التى كانت تنتهى ( بالقرامطة ) إلى الكوفة وسوادها من حين إلى حين » .

٢ ثم زعم الدكتور العبقري فى ص : ٦٤ أن الرواة قالوا : « خرج المتنبي من

الكوفة مع أبيه إلى البادية فأقام فيها حيناً ، ثم عاد منها ..... » فهل ارتحل الفتى إلى البادية .... التماساً للصحة ورياضة اللسان ؟ أم ارتحل إليها التماساً لهذه ( البيئة القرمطية ) التى كانت متصلة أشد الاتصال بحياة الشعب الكوفى فى ذلك الوقت ، تبعث الرعب فى قلوب فريق منهم ، وتبعث الحب فى قلوب فريق آخر .... » .

ثم فى ص : ٦٥ : « ليس من اليسير أن نقطع بشيء من هذا ، ولكن الذى نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون ، هو أن رحلة المتنبي إلى البادية قد نفعته من ناحيتين جميعاً ، فقد ربا جسمه ، ونما عقله ، وفصح لسانه ، ( وتعلم أصول القرامطة ، وعرف مذهبهم النظرية والعملية معاً ) ، وشعر المتنبي / فى صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، يبين لنا هذا أوضح تبين وأجلاء » . وانظر ما نقلناه لك من كلام بلاشير فى أول هذه الكلمات ، وفرّق ما بين الكلامين .

٣ - ثم حين ذكر الأبيات التى قالها المتنبي فى صباه ، وهى قوله :

إلى أى حين أنت فى زى مُحْرِمٍ ؟      وحتى متى فى شِقْوَةٍ ؟ وإلى كم ؟  
وإلا تُمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا ،      تُمُتْ وَتُقَاسَ الدُّلُّ غَيْرَ مُكْرَمٍ  
فِتْبٌ وَاتِّقَاً بِاللَّهِ وَثْبَةٌ مَاجِدٍ      يَرَى الْمَوْتَ فى الهِجَا جَنَى النَّحْلِ فى الْقَمِ

يقول الدكتور طه فى ص : ٦٥ : « وهذه الأبيات الثلاثة ... كافية كل الكفاية !! لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من ( البادية القرمطية !! ) وهو قرمطى الرأى ، متحفز ليكون قرمطى السيرة أيضاً » .... ثم فى ص : ٦٧ : « وهو لا يريد بهذا ( الوثوب ) إلا الخروج على السلطان ، وشق عصا الطاعة ، والمخالفة عما يأمر به النظام المألوف » ، « ليس عندى من شك أن هذه الأبيات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد أن عاش فى بيئتها الحشنة المقتنعة بالمذهب الجديد ( يعنى القرمطية ) » . ثم يقول : إن هذه الأبيات فيها : « الرصانة اللفظية التى تدفع اللفظ عن الابتدال ، وتكسيه عذوبة تُحسّ فيها ريح الصحراء » انتهى ! فكأن هذه الكلمة هى التدليل على أن الأبيات الثلاثة من شعر المتنبي بعد عودته من البادية .



١٤٦/٢

٤ - / ثم في ص : ٦٨ ذكر من قصيدته التي أولها :

كُفِّي ، أَرَأَيْي ، وَيْلِكَ ، لَوَمَلِكِ الْوَمَا هُمُ أَقَامَ عَلَى فُؤَادِ أَنْجَمَا  
أُيَيَاتَا هِي :

يا أيها الملكُ المُصَنِّفُ جَوْهَرًا من ذاتِ ذى الملكوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا  
نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَاهُوتُهُ فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَا  
وَبَهُمْ فِيكَ ، إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً من كل عُضْوٍ مِنْكَ ، أَنْ يَتَكَلَّمَا  
أَنَا مُبْصِرٌ ، وَأَظُنُّ أَنَّي نَائِمٌ ! مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمَا  
كَبِرَ الْعِيَانُ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينِ مِنَ الْعِيَانِ تَوَهُمًا

وقد قدم الدكتور لهذه الخمسة الأبيات في ص : ٦٧ بقوله : « وإذا كانت هذه الأبيات ( يعنى الثلاثة الماضية ) تصور تأثر المتنبي بالبيئة العملية القرمطية ، فإن ( هذه ) تصور تأثر المتنبي بالمذهب النظرى للقرامطة وغلاة الشيعة . وهذه القصيدة التى مدح بها المتنبي - فيما يقول الديوان - رجلاً يعرف بأبى الفضل ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، فيما يقول الديوان أيضاً ، وفيما / يقول الرواة كذلك ، وعندى ١٤٧/٢ أن المتنبي لم يُرد أن يمتحن أباً الفضل .... وإنما أراد أن يمدحه لا أكثر ولا أقل . ثم في ص : ٦٩ : « فنحن هنا بإزاء رأي صريح فى الحُلُول ..... وهذا الكلام صريح فى انحراف المتنبي عن الجادة الدينية ، واندفاعه إلى هذا اللون من ألوان الفلسفة التى هى إلى ( الإلحاد ) أقرب منها إلى أى شئ آخر . ومن هنا نفهم أنه حين أراد أن يثبت هذه القصيدة فى الديوان ، زعم للرواة ، أو زعم الرواة له ، أنه إنما يمتحن بهذه الأبيات أباً الفضل ، وأراد أن يعرف مذهبه = كلام يقصد به إلى الاعتذار وإلى التقيّة أكثر من أى شئ آخر . وعندى أن المتنبي حين ارتحل إلى البادية إنما اتصل فيها ، لا بالبيئة القرمطية العادية ، بل بداعٍ من دعاة القرامطة الذين كانوا يجولون فى البادية . ومن يدرى ؟ لعل هذا الداعى كان أباً الفضل نفسه هذا الذى يمدحه . ومن يدرى ؟ لعل المتنبي لم يعد إلى الكوفة مصطحباً أباه وجده ، وإنما عاد مصطحباً رجلاً آخر أو قوماً آخرين ، يريدون أن

يستقرُّوا في الكوفة ، وأن يدعُّوا فيها لمذهب القرامطة . ومهما يكن من شيء ، وسواء واتتنا النصوص أم لم تواتنا ، فإنى أجد في نفسى شعوراً قوياً جداً بأن المنتبى قد نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت إلى قرمطية خالصة » .

\*\*\*

هذا هو ترتيب حجة الدكتور العبقري فيما زعمه من أن المنتبى كان من القرامطة = بل داعياً من دعائهم كما ذكر في ص : ٧٣ من كتابه . ونحن لا نحب أن نقول إن هذا ١٤٨/٢  
الرأى ، وهذا الفرض ، وهذا ( الشعور القوى جداً ) في نفس / الدكتور طه ، إنما هو من كلام هؤلاء المستشرقين الأعاجم ، إذ لم نطلع على كثير مما كتبوه ، إلا ما نُقِلَ إلينا من موجز كلام الأستاذ ( بلاشير ) ، وما رُوِيَ لنا عن الأعجمى المتغالى في إفساد التاريخ العربى والإسلامى خاصة الأستاذ ( مسنيون ) . فنحن ندعه لمن تحقِّقه واطلع عليه ، فإن نُقِلَ إلينا بتمامه قلنا فيه ونقدناه بما علمناه إن شاء الله . أما الآن فأمامنا بلاءٌ هو أضرُّ على العربية من بلاء الأعاجم ، فلنقصده قصده ، ولننصرف إليه .

فأنت ترى ، كما قلنا ، أن هذا الدكتور العبقري قد أراد أن يتدرَّج إلى خديعة قارئ كتابه في القول بقرمطية المنتبى ، فأقحم ذكر القرامطة في الفقرة الأولى من كلامه إقحاماً ليس في الشعر ما يحمل عليه أو يقتضيه ، بل ليس في التاريخ ما يُعَيِّنُهُ تعييناً يوجب القول به ، ويلزمنا نسبة هذا الأثر إليه دون غيره من المؤثرات .

فلما فرغ من ذلك التقديم ، وخلص بهذا التطريق لرأيه ، زعم لك أن الرواة قالوا : إن المنتبى خرج مع أبيه إلى البادية ، مع أن رواية الرواة كلهم تعيَّن أنه خرج إلى ( بادية الشام ) ، وهى بادية معادية للقرامطة ، كثرت بينها وبينهم الحروب ، فلم تكن ، كما يوهم كلام الدكتور طه في سياق حديثه ، موطناً من مواطن الدعاة من القرامطة . ولو قد قال الرواة إنه خرج إلى ( البادية ) على غير تعيين ، لكان ثمة قولٌ لقائل أن يزعم أن المنتبى انحدر إلى بادية البحرين ، حيث تحتفل الدعوة القرمطية ، ولكان قول الدكتور إنه / تعلم ١٤٩/٢

أصول القرامطة فى جانب من الصواب ! فما دام الرواة كلهم إجماع على أنه خرج إلى بادية الشام ، فليس يصح أن يقال إن أبا الطيب قد تعلم أصول القرامطة هناك .... ، إلا أن يكون فى تأويل الشعر ، أو فى نصوص الرواية ، أو فى مادة التاريخ ، ما يسوق الفكر إلى هذا رأى أو يحمل عليه أو يقربه أدنى تقريب إلى جهة الترجيح . ولو قد كان فى هذا كله شيء من ذلك ، لكان لازماً على الدكتور أن يبينه ويأتى به على وجه الحجة لمذهبه ... ولكن الدكتور لم يفعل من ذلك شيئاً ، إلا أن يتهم فيقول فى أدبار هذه الفقرة : إن « شعر المتنبي فى صباه ( بعد عودته من البادية إلى الكوفة ) يبين هذا أوضح تبين وأجلاه » .

ثم يستجمع الدكتور أداة عبقريته ، ويحتفل بأسباب نبوغه الغريب ، فيستدل على الذى زعمه من الشعر الذى قاله المتنبي فى صباه بعد عودته من البادية إلى الكوفة ، فيذكر فى الفقرة الثالثة أبيات المتنبي التى أولها :

« إلى أى حين أنت فى رىٍّ مُحَرَّم ؟ »

فيزعم أنها كافية كل الكفاية !! لإثبات أن هذا الغلام قد عاد من ( البادية القرمطية !! ) التى يتوهمها توهُمًا ، « وهو قرمطى الرأى متحفز أن يكون قرمطى السيرة أيضاً » .

وقد قلنا آنفاً إن هذه الأبيات بعينها هى المذكورة فى الديوان بما ترجمته : « وقال فى صباه » ، بغير توقيت لأوان قولها ، ثم إن القصيدة التى / قبلها فى الديوان مما نُصِّ ١٥٠٧٢ على أنها مما قاله وهو ( فى المكتب ) بالكوفة . ثم إن بعض النسخ المخطوطة من الديوان تقول فى رأس هذه الأبيات : « وقال وهو ( بالمكتب ) » ، فمن أين أتى الدكتور بهذا البيان عن وقت مَقَالِها بعد عودته من البادية ؟ وما الذى رَجَّح عنده أن تكون مما قاله بعد أن تعلم أصول القرامطة ، وعرف مذاهبهم النظرية والعملية ؟

ولكن الدكتور يزعم بعد هذا الرجم بالغيب فى توقيت الشعر ، أن هذه الأبيات

الثلاثة كافية كل الكفاية لإثبات قرمطية أبى الطيب ، وذلك لما فيها من ذكر القتال ، ومن التحرق الذى يظهره فيها إلى تَغْيِير حاله ، والخروج عما هو فيه من الدعة والأمن والطمأنينة ، إلى حال أخرى فيها خوف وقلق واضطراب ومخاطرة ، ص : ٦٦ من كتابه . أَفَكُلُّ شعر فيه مثل ذلك يا سيدى الدكتور العبقري هو مما يقال فيه إنه كاف كل الكفاية !! لإثبات قرمطية صاحبه ؟ ألأن المتنبي الصغير يقول ، ويشند فى قوله ، وبطلب الموت تحت ظلال السيوف ، ولا يرضى بعيش الذل والمهانة = يوجب ذلك عليك القول بأنه قرمطى ؟ أفليس فى أهل ذلك الزمان من الشعراء من قال مثل ذلك القول وذهب هذا المذهب ، إلا القرامطة وحدهم هم المبتدعة له ، والداعون إليه ؟

\*\*\*

إنك تنسى ما تقول يا سيدى الدكتور العبقري ، فقد بدأت فى ص : ٥٢ تقول إن المدرسة العلوية التى زعمت ، كان لها تأثير « ظاهر » فى عقل هذا الصبى / وقلبه ينبعثا به الديوان = فقد حفظ الديوان للمتنبي مقطوعات من الشعر قالها الصبى وهو يختلف إلى المكتب . ثم ذكرت أن الخصلة الأولى من خصال هذه المقطوعات هى « أن الصبى مقلد فى الفن الشعرى ، يتأثر بما كان يحفظ فى المدرسة ، أو ما كان يسمع من شعر القدماء ، ومن شعر المعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير . وهذا طبيعى ، فالأصل فى الابتداء الفنى التقليد .... يلتبس الفتى نفسه فى هذا التقليد ، حتى إذا وجدها استغل قواها وعواطفها ، واستثمر كنوزها ودخائلها ، واستخرج منها شخصيته التى تنمو على مر الزمن وطول المرات » . حقاً يقيناً ، يا سيدى الدكتور ، إنك قلت هذا ، فما الذى جعل عندك هذه الأبيات الثلاثة التى قالها فى صباه وهو فى المكتب مما قاله بعد عودته من البادية ، مخالفاً بذلك رواية النسخ المختلفة من ديوان أبى الطيب ؟ ثم لماذا لا يكون فى هذه الأبيات بعينها مقلداً يتأثر بالذى حفظه فى المدرسة ، أو ما كان يسمعه من شعر القدماء والمعاصرين الذين سبقوه بوقت قصير ؟ وقد كثرت هذه المعانى فى أشعار القدماء والمعاصرين الذين سبقوا أبى الطيب كثرة بينة ، لسنا فى حاجة إلى الدلالة عليها برواية أشعارٍ فى هذا المعنى ، وهو معنى مبتذل مطروق قل أن يخلو منه شعر شاعر ؟

لماذا لا يكون هذا الشعر ، بعد الذى رأيت وعلمت ، مما يدلُّ دلالةً قاطعةً تنفى عنك كل شك في « أن هذه الأبيات ( تصوّر ) ما عاد به الغلام من البادية المقتنعة بالمذهب الجديد من دعوة القرامطة » ؟ ما هذا التحكم الباغي ، والتعسف الغليظ الذى تحمل عليه معانى الشعر حملاً ، لتقول برأى ضعيف / قد سبقك إلى التدلّى إليه بعض ١٥٢/٢ الأعاجم من المستشرقين ؟

وليتك يا سيدى الدكتور وقفت عند هذا الضرب من التعسف ، وهذا الخلط في الرأى وسوء التدبير في الفكر ، بل احتفل لك المنطق ، وأعانك الذوق العبقري ، حتى جعلت تترقى إلى التلبيس على القارئ ، ليجعل لرأيك هذا وزناً يُعْتَدُّ به ، فزعمت أن في هذه الأبيات الثلاثة جزالةً بدوية لا تخفى [ ص ٦٥٠ من كتابه ] ، وأنها تصور ما عاد به الغلام من البادية من الرصانة اللفظية التى ترفع اللفظ عن الابتذال ، وتكسبه عذوبةً نحس فيها ريح الصحراء [ ص : ٦٧ من كتابه ] = وذلك ليتوهم القارئ حقاً أن هذا الشعر مما قيل بعد عودته من ( البادية القرمطية ) التى زعمت !!

وليكن هذا حقاً لا يختلف عليه أحد من الناس ، ولا يمارى فيه ذو بيان أو فنّ أو ذوق ، ليكن كل ذلك صواباً ... ولكن كيف - بالذى تخلّقت فسوّاك فعَدَلَك - تقول في القصيدة التى ذكرت بعضها فى الفقرة الرابعة التى نقلناها ، إنها مما قاله بعد عودته من البادية القرمطية ، إذا أنت أردت أن تزنها بها الميزان من الذوق الفنى ؟ فهذه الأبيات التى زعمت أنه ( مدح ) بها أبا الفضل ليست فيها جزالة ، ولا هى مما يكون فيها رصانة لفظية ترفع اللفظ عن الابتذال ، فتكسبه عذوبة تُحس فيها ريح الصحراء .... !! بل هى كلام ساقط مرذول أشبه بالرّقية منه بالشعر . وليقرأ القارئ هذه الأبيات من أولها :

كُفِّى ، أَرَانِ ، وَيْلِكَ ، لَوْ مَلَكَ الْوَمَا	هَمُّ أَقَامَ عَلَى فُؤَادٍ أَنْجَمَا
وَحَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُحَلِّ لَهُ الْهَوَى	لَحْمًا فَيَنْجِلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمَا
/ وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبُهُ ،	يَا جَنَّتِي ، لظننت فيه جهنمًا
وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبِّ أُرْبَقَتْ	تَرَكْتَ حَلَاوَةَ كُلِّ حُبٍّ عُلْقَمَا

يا وَجَهَ ذَاهِيَةَ الذى لَوَلَاكَ ما      أَكَلَ الضَّنَى جَسَدى وَرَضَّ الأعْظَمَا  
 إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُوْ ، فَأَنْتَى      أُمْسِيْتُ مِنْ كَبِدِي وَمِنْهَا مُعْدِمَا  
 غُصْنٌ عَلَى تَقْوَى فَلَاةٍ نَابَتْ ،      شَمْسُ النَّهَارِ ثِقُلٌ لَيْلًا مُظْلِمَا  
 لَمْ تُجْمَعْ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهِ      إِلَّا لِتَجْعَلَنى لِغُرْمَى مَعْنَمَا

إلى آخر هذه القصيدة الغثة الساقطة المزدولة اللفظ والمعنى . فهل يجد القارئ فيها إلا رطانة قبيحة ، وألفاظاً مبتذلة ، ومُلُوحة تَكْسِيْبُهُ رِيح البئر فى الأرض السَّبِيحَةَ ، لا رِيح الصحراء !! وكيف يقول المتنبي هذا القول القبيح ، وقد زعم الدكتور أنه عاد من البادية ، وقد فَصَح لسانه ، وجاد بيانه !!

وقد ذكرت هذه القصيدة فى كتابى هذا ( ص : ١٨٧ ) وقلت : « ومن قرأ القصيدة كلها ألقاها كلها ، فما فيها بيت واحد من ( الشعر ) ، ولفظها وكلامها ومعانيها غثٌ كله ... » ، وقلنا إنه لم يقلها إلا تنذراً وعبثاً بهذا الجاهل الدعوى فى الفلسفة المسمى بأبى الفضل ، وأن أبا الطيب إنما أثبتنا فى ديوانه لِيَذْكُرَ بها شخصية كانت تستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك وغاية الاستغراب ، ولذلك بناها على المبالغة فى المدح ، بما ينقل الكلام عن معنى المدح إلى معنى الهجاء والسخرية ، فأعْجَمَ القصيدة وأتى فيها بكل ساقطة من الفلسفة وما إليها ، وأخلَّ بعريتها إخلالاً بيناً لم يقع مثله فى ساقط شعر / أبى الطيب وسَفَسَافَه ورديته « .... فهذا هو الوجه فى تأويل هذه القصيدة ومعانيها عندنا ، أما الدكتور طه فهو لحاجته إليها فى القول بأن المتنبي كان قرمطياً ، نقلها من هذا المعنى إلى معنى الجد ، ثم الإلحاد والزندقة ، على عاداته من الولوع بأخبار الملحميين والزنادقة وأهل الزيغ والفسوق ، كما بيناه فى بعض كلامنا الأول ، [ انظر هذا ص : ٤٣٠ ] .

وليت ذلك فحسب أن يكون كل ما يفعله الدكتور طه ليقول بهذا الرأى المرقوع المتخَرَّق الضعيف المسلوخ من كلام مَنْ لا يجيد فهم العربية من الأعاجم المستشرقين = كلاً ، بل يعتمد على النصوص فيلغيها جملة واحدة لغير عِلَّة يَبْنِي ، أو شبهة قائمة ، أو دليل مقنع . فالرواة الذين رَووا ديوان أبى الطيب إجماعاً كلهم على التقديم لهذه القصيدة بهذه الكلمات :

« وقال وهو ( بالمكتب ) يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه »

فالدكتور يسخر من الديوان والرواة ، كما رأيت فى الفقرة الرابعة ، فالمتنبى لم يرد أن يمتحن أبا الفضل هذا ولا أن يستكشفه عن مذهبه ، وإنما أراد أن يمدحه لا أكثر ولا أقل !! وذلك ليقول بأن أبا الفضل هذا كان من دعاة القرامطة ، وأن مديحه جاء على وفق مذهبه ، وفسر الشعر على ذلك ! وتفسيره = على ما فيه من الخطأ فى فهم الشعر ، وفى توجيهه إلى هذا رأى من نحلة القرامطة = لا يصح أن يثبت أمر قرمطية المتنبي ثبوتاً لا مجال للشك فيه ! وذلك لأنه تأويل وليس بتفسير ، وليس فى الشعر نفسه دليل عليه .

هذا على أن الرواة الذين ذكروا ( أبا الفضل ) هذا قالوا : إن المتنبي « وقع فى صغره / إلى ١٥٥/٢ واحد يُكنى أبا الفضل ( بالكوفة ) من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضلَّ » . فهذا نص صريح فى أن أبا الفضل هذا كان بالكوفة لا بالبادية ، وأنه كان من المتفلسفة لا من القرامطة . ولو أنه كان من القرامطة لذكروا ذلك ، ولبالغوا فيه ، لعظم عداوتهم لأبى الطيب ، فإن المتفلسفة إن يكونوا ضاللاً ، فإن الحرج فى وصفهم بالكفر والإلحاد كثير ، وأما القرامطة ، فأهل العلم جميعاً ، حتى الفاطميون ( وقد كانوا لهم أتباعاً ) ، يرمونهم بالكفر والزندقة والإلحاد فى غير تحرج .

فلو كان ما ذهب إليه الدكتور مما يمكن أن يصح ، لكان لتاريخ أبى الطيب شأن آخر غير هذا الشأن ، ولكان للكلام فى عقيدته ودينه منهج غير هذا المنهج الذى جرى عليه الرواة والمؤلفون من أعدائه ، ومن المُجْلِين عليه ، والمتحلين ببغضه والكراهة له والخط منه .

فهذا كما ترى ( عمَلٌ غير صالح ) من الدكتور طه النابغة العبقري = وبيان كاف كل الكفاية لما قلنا به مراراً ، من أنه يتجنب فيما يكتب إثبات النصوص كما رويت ، ويأبى إلا أن يطمس معانيها ، ويُحَرِّف كَلِمَها عن مواضعه ، وهو يعلم أنه لا حجة له فيه ، ولا دليل عليه . وإذا لم يرض القارىء بذلك ، وظننا تَتَحَيَّفُ الدكتور ونظلمه ونميل

عليه ، فليقرأ نص مقدمة القصيدة وهو : « وقال وهو بالمكتب » ، ومع كل هذا الوضوح وكل هذا البيان ، وكل هذا التصريح ، يزعم الدكتور أن أبا الطيب قالها بعد عودته من البادية فهل فى التحكم البغيض والتعسف الغليظ ما هو أبغض من هذا وأغلظ ؟ / ١٥٦/٢  
 أستغفر الله بل ثمة ما هو أغلظ من ذلك ، إذ يزعم الدكتور أن المتنبى « حين أراد أن يثبت هذه القصيدة فى الديوان زعم للرؤاة ، أو زعم الرواة له ، أنه إنما امتحن بها أبا الفضل ، وأراد أن يعرف مذهبه . وهو كلام ( تأمل ما يأتى ) يُقصد به إلى الاعتذار ، وإلى التقيّة أكثر من أى شىء آخر » ، [ ص : ٦٩ من كتابه ] . فلماذا الاعتذار ، وعلام التقيّة ؟ لا ندرى ، فجواب هذا اللغو كلّ عند صاحبه العبقريّ الذى لا تنفذ حيّله ، ولا تنقضى عجائبه !!

وللأسبوع المقبل تنمة القول فى هذا الفضل .



## - ١١ -

/ رأيت - أراك الله الخير ، وبَصَّرَكَ به ، وسَدَّدَكَ إليه - من فَعَلَات الدكتور طه ١٥٧/٢  
وأخطائه وما تورَّط فيه ، وما تهجَّم عليه بغير علم ، وما قطع به بغير بينة ، وما حرَّف من  
الكلام عن مواضعه ، وما أسقط من نصوص الروايات ، وما تأوَّل به على سوء الفهم  
وفقدان البصر بالعربية = رأيت ما يحملُك ولا شك على العجب ، وبغيرك بإسقاط الثقة  
بما يقول هذا الدكتور النابغة العبقري ... هذا إذا تورَّعت في الصفة الواجبة الثبوت عليه ،  
وأخذت نفسك بالوَقَار ، وتحمَّلت بحسن الأدب في ( حضرة ) أديب هو عند أصحابه  
وأشباعه من كبار الأدباء ، غُفْرانك اللهم ، بل كبير الأدباء ، فلم تُرِدْ لذلك أن تجرحهم  
بالأذى ، أو تُؤذِنَهُم بالعداوة .... وخيراً إن شاء الله فعلت .

ورأيت في كلمتنا الأخيرة خاصة - عن خرافة ( القرمطية ) التي صَبَّها الدكتور  
على المتنبي - أشياء ، منها أن الدكتور إنما استلب هذه الفكرة من الأستاذ ( بلاشير )  
المستشرق ، ولكن ( بلاشير ) يقول إنه من ( المحتمل ) أن يكون المتنبي قد اتصل ببعض  
القرامطة ، ثم ( يرجح ) أن هذا الاتصال لم يترك أثراً في حياته وشعره لحدائثة سنه . فلما  
استولى عليها الدكتور طه ، واستبدَّ بها ، وتملكها تملك المالك لما يملك ، تصرف فيها بحقه  
وحَقَّ المِلْك ، فجعل ( المحتمل ) يقيناً لا شك فيه !! وجعل هذا الاتصال الذى لم يترك  
أثراً في حياته أو شعره عند ( بلاشير ) ، اتصالاً كان له أكبر الأثر وأبينُّه وأوضحُه / في ١٥٨/٢  
حياة المتنبي !! واستدلَّ على ذلك بأبيات وصفها بأنها ( كافية كُلِّ الكفاية لإثبات  
قرمطية المتنبي ) ، على عاداته في سوء فهم الشعر ، وفي التحكُّم والتكلف والتعسف  
والغِلْظ المُفْضِي إلى البغض . ثم استدلَّ في موضع آخر بأبيات لم يحسن فهمها على

الوجه الذى تقتضيه ألفاظها ، ولا أدرك معانيها على الضرب الذى يجعل الحجة فيها كالقلعة المحصنة ، لا يجد النقد فيها عورة ينفذ منها .

ومنها : ما رأيت من تعمده أن لا يروى أحاديث الرواة ( بنصها ) وتماها ، بل يسقط منها ما يشاء ويبقى ما يشاء ، هذا على أنه يأتي بها بألفاظ من عند نفسه ، ليوافق بها الرأى الذى بينه وعَمَد إليه ، ويفعل ذلك علماً منه بأن فى ( نصوص الرواة ) ما يفسد عليه مذهبه ويُسقط قوله ، وأن فيها من وجوه القول والتأويل ما هو أرجح من قوله ، وأهدى وأسدُّ من تأويله .

ومنها : ما فعل فى توقيت القصيدة التى مدح بها المنتبى الرجل المسمى بأبى الفضل . فالرواة مجمعون على أنها قيلت بالكوفة وهو يومئذ فى المكتب ، والدكتور يخالفهم بغير بيّنة من علم مروى ، ولا استنباط مرضى ، ولا نقد ضعيف أو قوى ، ثم يزعم على ذلك أنها مما قاله المنتبى بعد عودته من البادية ( القرمطية ) المتوهمه ، ثم يُؤوّل ألفاظها ويفسرها على هذا الذى ذهب إليه ، فدلّ بذلك على اللجاجة فى الخطأ والحرص عليه ، وقلة البصر بالشعر ، وجهل الأصول المقررة فى تاريخ القرامطة ونشأتهم وأصول معتقدتهم .

ومنها : أنه لم يذكر نصّ الرواة فى صفة ( أبى الفضل ) هذا ، من إنه / كان من ( المتفلسفة ) ، ومن أنه كان فى الكوفة ، بل زعم بغير برهان ولا دليل ولا نقد أنه كان من ( القرامطة ) ، بل من دُعائهم ، وأن المنتبى لقيه بالبادية ورجع معه إلى الكوفة !!

هذا بعض ما فعله ، ثم تخيّل وتوهم واتسع فى الخيال والوهم حتى زعم أن المنتبى ( اشتغل ) فى الكوفة بنشر الدعوة القرمطية [ ص : ٧٣ من كتابه ] ، بل زاد على ذلك أن زعم أنه لا يستبعد ( بل يرجح جداً ! ) أن يكون فى بغداد مركز قوى للدعوة القرمطية ، ذهب إليه المنتبى ، فأدّى إليه شيئاً ، وتلقّى منه شيئاً ! وترك بغداد قاصداً الجزيرة والشام [ ص : ٧٣ من كتابه ] ، وأنه حين ذهب إلى الشام ذهب داعيةً من دعاة القرامطة !! [ ص : ٧٣ من كتابه أيضاً ] .

وليس بنا ولا بك حاجة إلى نقد هذا الكلام ، فأنت قد رأيت أن ( القرمطية )  
التي يقذف بها المتنبي ، إنما هي كما بينا آنفاً قد بُنِيَتْ على التلفيق والتدليس ، وأقيمت  
على إفساد النصوص وإسقاطها وتجاهلها ، والتزيُّد فيها بالوهم الكاذب ، أو بإثبات  
بعضها على وجه غير صحيح ولا أمين ولا ثقة . فإذا كان أمرها كذلك ، فكل ما يأتي منها  
وما يخرج وما يتفرع وما يتشعب ، فهو تلفيق ولغو وعَبَث وباطل لا أصل له ، لأن الأصل  
الذى خرجت منه هو ذاك الأصل ... !

والآن ... يزعم هذا الدكتور ( أن الرواة حدثوه !! ) أن المتنبي ارتحل عن الكوفة  
إلى بغداد في الخامسة عشرة من عمره ، بعد جلاء القرامطة عن الكوفة ، « وارتحل معه  
أبوه ! » [ ص : ٧١ من كتابه ] .

/ ونحن نقطع من قِبلنا ، « وعلى مسئوليتنا » ، بأن ليس أحدٌ من الرواة زعم أو قال ١٦٠٢  
إن المتنبي ارتحل إلى بغداد في الخامسة عشرة من عمره أولاً = ولا أنه ارتحل عن الكوفة  
ثانياً ، ولا أنه حين ارتحل إلى بغداد ارتحل معه أبوه ثالثاً .

فإذا كان الدكتور طه صادقاً في هذا الذى أتى به ليدلّس على مذهبه في  
( قرمطية ) المتنبي ، فهو الصادق !!

ولابدّ من القول بأن ( الرواة الذين حدّثوه ) إمّا أن يكونوا قد حدّثوه عن طريق  
الوَحْيِ الخَفِيِّ ، أو فى حُلُمٍ أو رؤيا رآها بعد ثَقَلَةٍ أخذته من طعام شهى !!

\*\*\*

ومن هذا الباب ، وعلى هذا الصراط ، وفي مثل هذا الحُلُم ، يزعم الدكتور طه أن  
المتنبي قال قصيدته التى أولها :

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا      أَبْعُدْ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا

« يمدح رجلاً ( رسمياً ! ) هو محمد بن عبد الله ( هكذا فى الأصل ) العلوى » ،  
وأنه قالها ( فى بغداد ) ، انتهى ، [ ص : ٧٤ من كتابه ] .

وقبل أن نتجاوز إلى النقد ، يجب علينا أن نصصح اسم الرجل الذى مدحه فهو : « محمد بن عبيد الله » بالتصغير « العلوى الكوفى المعروف بالمشطَب » ، <sup>(١)</sup> وقد ذكر المتنبي اسم أبيه على التصغير فقال :

مُرْتَمِيَاتٍ بِنَا إِلَى آبنِ عُبَيٍّْ      بِدِ اللَّهِ غِيْطَانُهَا وَقَدْ فَدَاهَا

١٦١/٢ / وأول ما فى كلام هذا الرجل المعروف الدكتور طه حسين بك أنه زعم أن ( محمد ابن عبيد الله العلوى ) هذا كان رجلاً ( رسمياً !! ) ، أى من رجال الحكم وأعوان الدولة وأهل السلطان .... هذا ، على أن الرواة لم يذكروا له فى ديوان أبى الطيب شيئاً يدل على عمل ( رسمى أو غير رسمى ) ، وقصيدة أبى الطيب نفسها ليس فيها إشارة إلى ذلك . إذن ، فمن أين أتى الدكتور بهذه ( الرتبة ) التى خلعها على ( محمد بن عبيد الله ) ؟؟ أو وجد ذلك فى شيء من كتب التراجم أو كتب التاريخ ؟ فإن كان وجده فليظهرنا عليه ، وما هو بفاعل . ونحن على يقين من أن الدكتور إنما وصف هذا الرجل بهذه الصفة اجترأ وتزهداً على غير بصير ولا بينة ، ولا إثارة من علم ، بل للهوى والتدليس على مذهبه ورأيه .

والثانى : أنه زعم أن القصيدة قيلت فى ( بغداد ) !! وليس أحدٌ من الرواة قال هذا ، ولا فى القصيدة ما يدل عليه ، بل الدليل على نقيضه كما سترى ، ولا فى المكان الذى ذكر فيه ( محمد بن عبيد الله العلوى ) ، ما يؤجِّه الرأى إلى ذلك كما سترى . <sup>(٢)</sup>

قال العكبرى فى شرحه ج ١ ص : ١٩٠ عند قول أبى الطيب :

يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا      كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا

(١) انظر ما سلف من كتابنا هذا ص : ١٥٢ ، والتعليق : ١ ، فيه بيان كافٍ ، ثم ص ١٦٨ ، والتعليق

(٢) تبين أن الذى قاله الدكتور طه من أن « محمد بن عبيد الله » رجل رسمى ببغداد ليس من اجتهاده ، بل هو مأخوذ كُله من تحاليل الأستاذ بلاشير ، وقد بينت ذلك فيما سلف ص : ١٦٨ ، تعليق : ٢ .

« كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شاب دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجرح في وجهه ، فكسته الضربة حسناً ، فتمنى أبو الطيب مثل ضربته ، فهذا ما سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا » ، انتهى .

/ فلو جاءنا الدكتور ببعض ثرّهاته ، <sup>(١)</sup> فزعم أن قتال هذا العلوى دليل على أنه ١٦٢/٢ كان رجلاً ( رسمياً ) ، وما نظنه إلا أتى من هذا الفهم السيء ، فالمتنبى نفسه قد قاتل في آخر عمره قوماً من العرب بظاهر الكوفة أيضاً ، فهل كان المتنبى إذ ذاك رجلاً ( رسمياً !! ) ؟ هذه واحدة . والثانية أن هذه الرواية تدلّ دلالة واضحة بينة لكل ذى عينين ، أن الواقعة كانت بظاهر الكوفة ، فهل يكون المعقول مدح المتنبى ببغداد أم بالكوفة ؟ وهل يتوهم أحد أن يترك المتنبى الكوفة ، ويقطع الأرضين إلى بغداد ، لمدح بعد غدٍ من كان قريباً منه بالأمس ؟ والرواية تقول إن ( محمداً ) هذا كان فتى دون العشرين سنة ، فما نظن أن هذا الفتى كان قد بلغ أن يكون رجلاً ( رسمياً ) ، كما ادعى الدكتور طه !! ثم ما هو العمل ( الرسمى ) الذى كان عليه محمد بن عبيد الله هذا ببغداد ؟ فإن الرجل العالم لا يحلّ له أن يقول ما لم تأت به رواية صريحة ، إلا بدليل مستنبط ظاهر الحجة قريب البرهان ، وإلا كان ما يقوله اجترأ على التاريخ .

هذا على أنه ليس فى الرواة من روى أن المتنبى قد فارق الكوفة ورحل عنها على إثر حرب من حروب القرامطة ، ولا على إثر قتال كهذا القتال الذى كان من ( محمد بن عبيد الله العلوى ) ، حتى يحلّ لكاتب مؤرخ أن يتّجه بالرأى إلى هذا الوجه خلافاً للرواية ، ومناقضة للاستنباط الصحيح من ألفاظ القصيدة كما سيأتى ، وحتى يتسع فى أمره فيكون للرأى موضعٌ وللحجة مجالٌ . والمسألة كلها فى رحلة المتنبى إلى بغداد ، هى أن البديعى قد روى فى كتابه أن / المتنبى قال : « أذكر وقد وردت فى صباى من الكوفة ١٦٣/٢ إلى بغداد .... » ، وذكر حديثاً لا يمتُّ إلى الحرب بصلة . أفصح أن يكون ذلك الذى

(١) أستغفر الله ، إنما هى ترهات المستشرق بلاشير ، ادعى ملكيتها الدكتور طه ، كما سلف قريباً .

قاله الدكتور طه تأويلاً لهذه الكلمة ، أو أن يكون استنباطاً صحيحاً يربط تاريخ أى الطيب على هذا الوجه ؟ هذا كثير ، بل قبيح ، بل غليظ جداً يا سيدى الدكتور .

ونتعجل فنضمُّ الشكل إلى شكله . فالدكتور يقول ويعترف فى [ ص : ٨٦ ، من كتابه ] أنه لا يرى فى هذه القصيدة = التى يزعم أن المنتبى قد قالها بعد عودته من البادية ( القرمطية ) ورحلته إلى بغداد = « مذهب القرامطة ، ولا إشارة إلى مذهب الحلول » . وهذا صحيح فليس فى القصيدة إشارة إلى ذلك ، بل إنها عندنا دليل على فساد مذهب الدكتور فى ( قرمطية ) المنتبى . فالأشبه والأقرب والأجدر بالاستنباط أن يكون هؤلاء القوم الذين حارهم ( محمد بن عبيد الله العلوى ) هم جماعة من القرامطة . فأنت تعلم - كما قال الدكتور طه - أن القرامطة كانوا قد أكثروا الغارة على الكوفة ، والرواة والمؤرخون قد أكثروا من رواية غاراتهم عليها ، فليس ببعيد ولا مستنكر أن يكون هؤلاء من القرامطة ، وأن يكون المنتبى قد مدح ( محمداً ) لأنه ردَّ القرامطة عن الكوفة ، وطَّنه ووطن أهله . وعلى ذلك يكون المنتبى من أعداء القرامطة والناقمين على أفاعيلهم . وصلة المنتبى بالحمدانيين تقرب هذا رأى ، فقد كانوا من أعداء القرامطة ، وقد قاتلهم أبو الهيجاء بن حمدان عم سيف الدولة فى سنة ٣١٥ مع يوسف بن أى الساج . ثم إنهم رَوَّوا أنه قد جرى حديث / وَقَعَةُ ابن أى السَّاج هذا مع أى طاهر القرمطى صاحب الأَحْسَاء فى ١٦٤/٢ مجلس أى محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج ، فذكر المنتبى ما كان فيها من القتل = وكان القرمطى قد قتل من جيش ابن أى الساج وجيش ابن حمدان مقتلة عظيمة = فهال ذلك بعض الجلساء ، فقال المنتبى :

وَبَاعِثَ كُلَّ مَكْرَمَةٍ طُمُوجٍ	وَفَارِسَ كُلِّ سَلْهَبَةٍ سُبُوجٍ
وَطَاعِنَ كُلِّ نَجْلَاءٍ غَمُوسٍ	وَعَاصِيَّ كُلِّ عَذَالٍ نَصِييجٍ
سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا	دَمَ (الأعداء) مِنْ جَوْفِ الْجُرُوجِ

و ( الأعداء ) هنا هم القرامطة ، وقد كان بنو طغج من الذين قاتلوا القرامطة وردَّوهم وكرهوا أمرهم أشد الكره . وقد أخطأ الدكتور طه فى الفصل السادس من

الكتاب الثاني [ ص : ٢٨٠ ] ، ففهم أن هذه الأبيات « تدلُّ على أنه لم يَصْدِفْ عن ( القرمطية ) إلا كارهاً » ، مع أن أمرها على العكس ، فهي دليل على بغض المتنبي للقرامطة .

...

وندع هذا ، ففي حديث الدكتور طه عن هذه القصيدة ، التي مدح بها المتنبي ( محمد بن عبيد الله العلوي ) ، عجائب من الكلام الذي يدلُّ على أنه ليس ذا بَصَرٍ بالشعر ، ولا صاحب قوة في الفهم ، ولا ربَّ طريقة في الاستنباط . وقد استأنف القول فيها من [ ص : ٨٠ من كتابه ] ، وجعل يخلط بكلامٍ محموم حتى بلغ [ ص : ٨٣ ] ، إذ يقول عن بيتي المتنبي :

١٦٥/٢ / لَا تَأَقَّتِي تَقَبُّلُ الرَّدِيفِ ، وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا  
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا زَمَامُهَا ، وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا

« هذه المحاولة التي أراد بها الشاعر أن يظهر شيئاً من الجهد حين وصف نعله ... ليست مبتكرة ، وإنما هي إطناب وتفصيل ، حيث آثر أبو نؤاس الإجمال والإيجاز في قوله :

إِلَيْكَ أبا عَبَّاسٍ مِنْ دُونِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا ، امْتَطَيْتَنَا الْحَضْرَمِيُّ الْمُلسَنَا

ويقول الدكتور تعقيباً على هذا في ص : ٨٤ : « وإذا كانت هذه المحاولة تقليداً صرفاً من الجهة الفنية الخالصة ، فإن لها دلالتها القيمة من الجهة التاريخية ، لأنها على الأقل تنبئنا بأن الشاعر الفتى لم يسافر من الكوفة إلى ( بغداد ) راكباً ، وإنما ذهب إليها راجلاً » .

وهذا الاستنباط الذي يتعالم به الدكتور طه ليس بشيء ، وإنما هو استنباط ( موضعي ) لا غناء فيه ، ولعله اختلسه من قول ابن رشيق في العمدة [ ص : ٢٠٠ - ٢٠١ ] ، إذ ذكر بيت أبي نؤاس وبيت أبي الطيب ثم قال : « ولو شاء قائل أن يقول إن أبا

نواس لم يرْ ما ذهب إليه أبو الطيب ، لكن أراد أنه معه في بلدة واحدة فقصدته في حاجته محتذياً نَعْلَهُ ، لكان ذلك أظهر وجهاً ، ما لم يكن الحضرمي من الجلود مخصوصاً به المسافر دون الحاضر ، وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد .

١٦٦/٢ / ولو اتبعنا طريقة الدكتور في هذا الاستنباط ( الموضعي ) من بيتين فحسب ، لكان كلام آبن رشيقي عن توجيه بيت آبي نواس هو هو في توجيه بيتي آبي الطيب ، فليس ثمة ما يمنع أن يكون أبو الطيب قد قال ذلك القول ( تقليداً صرفاً ) من جهة ، أو أن يكون قاله في الكوفة نفسها ، وتكذب تكذب الشعراء ليستجدي كف ممدوحه ، إذ يزعم له أنه قاسى هولاً ولقي عظيمًا ، تعظيماً لأمر الذي يمدحه = أو على عادة بعض الشعراء في التمدح بالصعلكة والرحلة ، كما قال ابن رشيقي في هذا الباب نفسه .

أما إذا حملنا قول آبي الطيب على الصدق ، وأنه قد خرج حقاً من الكوفة راجلاً قاصداً ( محمد بن عبيد الله العلوي ) ، فالاستنباط على غير ما ذهب إليه الدكتور الذي لا بصّر له بالشعر ، ولا قدرة له على الاستنباط . يقول المتنبي :

لا نَاقَتِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ ، ولا بالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا (١)  
شِرَاكُهَا كُورُهَا ، وَمِشْفَرُهَا زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا (٢)  
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيَاحِ يَسْبِقُهُ تَحْتَى مِنْ خَطْوِهَا ، تَأْيِدُهَا (٣)

(١) « الرديف » ، هو الرجل يركب خلف راكب الناقة .

(٢) « الشراك » ، أحد سيور النعل تكون على وجهها . و « الكور » ، هو رَحْلُ الناقة بأدواته ، مثل السرج للفرس . و « المشفر » ما يقع على ظهر الرجل من مقدم الشراك ، حمه بمنزلة الزمام للناقة تَرْمُ بِهِ . و « الشُّسُوعُ » أحد سيور النعل ، يُدْخَلُ بَيْنَ الإصْبَعَيْنِ ، ويدخل طرفه في الثَّقْبِ الذي في صدر النعل المشدود في زمام النعل . و « مقود الناقة » ، الحبل الذي يشد في الزمام أو اللجام تقاد به ، و « زمام الناقة » يكون في الأنف ، و « زمام النعل » الذي يشد به الشسع .

(٣) « التأيد » ، اختلف الشراح في تصريفه وتوجيهه ، والمراد هنا تأنيدها أسرع من عصف الرياح .



فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمَجَنِّ مُتَّصِلٌ      بِمِثْلِ بَطْنِ الْمَجَنِّ قَرْدُودُهَا (١)  
مُرْتَمِيَاتٍ بَنًا إِلَى ابْنِ عُيَيْبٍ      بِإِذْنِ اللَّهِ غِيْطَانُهَا وَقَدْ فَدَّهَا

فالمُتَنَبِّى يذكر أنه قد ( ركب ) نعله ماشياً فقطع أرضاً وصفها بالبيتين الأخيرين ،  
إذ يقول إنها ( كظهر المَجَنِّ ) ، منبثرة مرتفعة غليظة ، ويعنى بها / التلال ، وهى متصلة ١٦٧/٢  
بأرض ( كبطن المَجَنِّ ) ، منخفضة كثيرة الحصى والحجارة ، و « الْقَرْدُودُ » مُرْتَفَعٌ من  
الأرض إلى جانب وَهْدَةٍ منخفضة ، وهى وَهْدَةٌ غليظة ، كلفظها .

وقد قال الرواة إن ( القَرَادِيد ) قلما تكون إلا فى بَسْطَةِ من الأرض ، وفيما اتسع  
منها ، فترى لها مَتْنًا مُشْرِفًا عليها ( غليظاً ) ، لا يُنْبِتُ إلا قليلاً ، وبه شبهوا ( قُرْدُودَةً )  
الظهر ، وهى ما نسميه ( سلسلة الفقار ) ، لغلظها وارتفاعها وانخفاضها . ثم ذكر من  
صفة هذه الأرض فى البيت الأخير ، أنها ( غِيْطَانٌ وَقَدْ فَدَّ ) ، و « الغيطان » هو جمع  
« غائط » ، وهو المُتَّسِعُ المَطْمِثُ المنخفض من الأرض فى البوادي ، لا فى السواد والأرض  
المزروعة .

يقول الشاعر يصف « حَرْقًا » ، وهى الفلاة الواسعة :

وَحَرْقٍ تَحَدَّثُ غِيْطَانُهُ      حَدِيثَ الْعَذَارَى بِأَسْرَارِهَا

ثم ذكر ( الْفَدَّ ) ، وهى الفلاة التى لا شئ بها ولا نبات ، وأرضها غليظة ذات  
حصى وفيها صلابة .

فما الذى يستنبطه القارىء من صفة هذه الأرض التى قطعها المتنبي بعد شرح  
هذه الألفاظ ؟ أليس أن الأرض التى قطعها المتنبي ماشياً هى بادية قاسية جافية وعرة  
المسالك ، قليلة النبت ؟ فهذه صفة الأرض التى تحيط بالكوفة ، فإن الكوفة يدور عليها

(١) « المَجَنِّ » ، الثُّرْسُ الذى يستتر به المحارب ، وهو أُمْلَسُ مرتفع الوسط ، ويأتى فى الكلام شرح بقية

جَبَل ( سَاتِيْدَمَا ) ، وظاهرها أرض صلبة في غربها ، إذ تقع الكوفة على شاطئ الفرات من ناحية الشرق ، وأما غربها وهو / ( ظاهرها ) ففي قلب بادية الغرب التي تفضى إلى نجد . ١٦٨/٢  
فَمِنْ هذا لا يجد من يفهم أو يعقل مَحِيصاً من القول بأن المتنبي قد خرج من الكوفة قاصداً محمد بن عبيد الله العلوي في البادية حيث ( واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ) ، كما قالت الرواية فيما قدمنا آنفاً .

أما الطريق إلى بغداد فهو ما ترى . فالكوفة واقعة على الشاطئ الغربي من الفرات ، وبغداد واقعة على الشاطئ الشرقي من دجلة ، فالمتنبي لو كان قد ذهب إلى بغداد لركب البحر أولاً حتى يصل إلى شاطئ الفرات الشرقي ، ثم يقطع أرضاً سهلة كثيرة النبات هي الواقعة بين النهرين ( دجلة والفرات ) ، ثم يركب البحر مرة أخرى من شاطئ دجلة الغربي حتى يبلغ الشاطئ الشرقي الذي عليه بغداد . فهل ترى أن ذكر رُكوب البحر مرتين قد ورد في شعر المتنبي ؟ وهل رأيت الفرق بين أرض سهلة ، في حِصْن نهرين ، كثيرة النبات ، وبين فلاة قاسية كثيرة الحصا ذات ( قَرْدَدٍ وغيظانٍ وفَدَافِد ) لا نبات فيها ، هي التي وصفها المتنبي في شعره ؟ وهل يصح بعد هذا لقائل أن يقول : إن المتنبي ارتحل إلى بغداد راجلاً ؟! (١)

إن الدكتور طه ، كما نقول ونكرّر ونُبْدِي ونُعِيد ، رجل لا بَصَر له بالشعر ، ولا قُدرة له على الاستنباط ، وليس الأدب من عمله ، ولا الكتابة فيه مما يحسن . فإن أخذتك بعد هذا عدوى الشك الذي لا أصل له من الدكتور طه ، فأعلم أن الدكتور قد ترك من هذه القصيدة كثيراً لم يتعرض / له ، لأنه مما يهدم رأيه هداماً . خذ إليك ما يقوله ١٦٩/٢  
المتنبي على إثر الأبيات التي ذكرناها :

(١) الذي أوقع الدكتور طه في هذا كله ، هو الأعجمي الأكلن ، الأستاذ بلاشير ، كما أشرت إليه آنفاً . وهذا عيب الاستسلام إلى هؤلاء الأعاجم ، لا فضل لهم إلا قبح التوريط في الخطأ .

إلى فتى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ      أَنْهَلَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا  
له أيادٍ إلَيَّ ( سَالِفَةٌ ) ،      أَعَدُّ مِنْهَا وَلَا أَعُدُّهَا

ثم يقول فى آخر القصيدة :

وَكَمْ وَكَمْ نِعْمَةٍ مُجَلَّلَةٍ ،      رَبَّيْتُهَا ، كَانَ مِنْكَ مَوْلُودَهَا  
وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٍ سَمَحَتْ بِهَا ،      أَقْرَبُ مِنِّي إلَيَّ مَوْعِدَهَا  
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الدَّ      بَرٍّ ، إِلَى مَنْزِلِي تَرُدُّدَهَا  
أَقْرَ جِلْدِي بِهَا عَلَيَّ ، فَلَا      أَقْدِرُ ، حَتَّى الْمَمَاتِ ، أَحْجُدَهَا  
فَعُدَّ بِهَا ، لَا عِدْمَتُهَا أَبَدًا ،      خَيْرُ صِلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذَهَا

فتأمل قوله : « له أياد إلى سالفه » ، أى أنه كان يكرمه قبل بعطاياه ، ثم تأمل قوله :  
« وكَمْ وكَمْ .... » إلخ ، فكل ذلك دليل على الذى سبق إلى المتنبي من كرم ( محمد بن  
عبيد الله العلوى الكوفى ) ، وليس يكون شئ من ذلك إلا أن يكون هذا الرجل من أهل  
الكوفة الذين عاشرهم المتنبي ، ونال من فواضلهم ، كما بينا ذلك فى كتابنا هذا  
[ ص : ١٥٢ ، ١٥٣ ] .

...

كفى هذا ، بل لا بُدَّ من إظهارك على ضَرْبٍ من فقدان الدكتور طه البَصَرِ  
بالشعر إذ يقول : إن فى هذه القصيدة ما يدل على أن المتنبي كان لا يزال فى حاجة إلى  
ممارسة قول الشعر وتصريف الكلام : « وذلك حين أراد أن / يذكر الضربة التى تلقاها ١٧٠٧  
ممدوحه فى وقعة من الوقعات !! ( تأمل هذا ، وعُدْ إلى ما مضى ) ، فزعم أن هذه الضربة  
شَرَفَتْ ممدوحه ولم تلحق به ضرراً ولا أذى » ، [ ص : ٨٥ ، من كتابه ] .

والدكتور يعنى قول المتنبي :

يَا لَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا      كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا

أَثَّرَ فِيهَا وَفَى الْحَدِيدِ ، وَمَا أَثَّرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنْدُهَا  
( فَاغْتَبَطْتُ إِذْ رَأْتُ تَزَيَّنَّهَا بِمِثْلِهِ ، وَالْجِرَاحُ تَحْمَدُهَا )

فالمتنبى يقول فى البيت الأخير أن الجراحَ هى التى شُرِّفَتْ وعظمت وتزينت  
بحدوثها لممدوحه ، والدكتور يزعم لك أن المتنبى يقول : إن الممدوح هو الذى  
شُرِّفَ ... إلى آخر ما أتى به من كلام الأحلام .

وهذا الضرب من الفهم ، وهذا النوع من البصر بالشعر ، وبهذه الأمانة التى  
ثقلت فى السموات والأرض ، نختتم نقد الفصل الخامس من كتاب الدكتور طه . وما بقى  
فى هذا الفصل مما لم نعرض له ، فالقارئ بعد الذى كتبناه أُمِّلَكَ له وأهدى فيه .  
وللسبت المقبل نُقَدُ ما يلى ذلك من كلام مولانا العالم البصير المثبَّت .

- ١٢ -

/ أما الفصل السادس من كتاب الدكتور طه ، فهو الذى يسود صفحات كتابه ١٧١/٢ من ص : ٩٢ إلى ص : ٩٨ ، يقول فى فاتحته : « وأول مسألة تعرض لنا فى هذا الطريق ، مسألة « تاريخية » بالطبع ، أو مسألتان تاريخيتان ، فمتى ارتحل المتنبى عن بغداد قاصداً إلى الشام ؟ وهل من سبيل إلى توقيت القصائد التى قالها فى الشام ، قبل أن تنتهى به الحوادث إلى السجن ؟ » [ ص : ٩٢ من كتابه ] .

...

وأما أول ما يتساعل عنه الدكتور ، وهو : متى ارتحل المتنبى عن بغداد قاصداً إلى الشام ؟ فهو سؤال من الباطل بحيث علمت ، مما قدمناه فى الكلمة السالفة ، إذ قلنا إن وُضِعَ رحلة المتنبى إلى بغداد على مذهب الدكتور ، إنما أتاه من قِبَل أنه لم يفهم الشعر الذى استنبط منه حقيقة هذا رأى ، وقد رحل المتنبى إلى بغداد ولا شك فى بعض أيامه ، <sup>(١)</sup> ولكنه لم يرحل إليها مادحاً ( محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى ) = بل كانت رحلته لمدحه من الكوفة إلى ظاهر الكوفة فى البادية ، حيث كان محمد يقاتل جماعة من العرب أو من القرامطة ، على ما ذهبنا إليه .

وإذا أنت أنطلقت مع الدكتور فى قراءة كلامه عن هذه المسألة ، رأيت / فيها ١٧٢/٢ من رأى ما تعرف وما تنكر ، من مثل قوله : إنه يخالف الأستاذ ( بلاشير ) فى إقامة

(٥) نشرت فى جريدة البلاغ غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٦/١١ من مايو سنة ١٩٣٧ .

(١) انظر ما سلف : ٦٥ ، ٦٦ ، ثم ص : ١٩٢ ، والفهارس ( بغداد ) .

المتنبى ببغداد ، وأنه - أعنى الدكتور - يرجح أن إقامته بها لم تطل ، وأنه لم يكن آمناً في بغداد ، كما لم يكن آمناً في الكوفة ، وأنه لم يختلف إلى مجالس العلماء ، ولا إلى أندية الأدب ، ولم يتصل بأحد من الأشخاص الظاهرين إلا محمد بن عبد الله ( هكذا ) العلوى ، <sup>(١)</sup> الذى مدحه بالقصيدة التى فرغ من تحليلها ( كما يتوهم ) آنفاً ، [ ص : ٩٢ ، ٩٣ ، من كتابه ] .

ولقد تعلم أن هذا كله باطل ، لأن الأصل الذى بُنى عليه باطل . وقد قدّمنا في كلامنا الدليل على بطلان الأصل ، فلا نصدّع أنفسنا بالعودة إليه والإفاضة فيه ، فإن ذلك تعب في غير طائل ، كما كان رأى الدكتور نفسه تعباً في غير طائل .

ومن أعجب الأباطيل التى يتردّى في مهاويرها الدكتور طه ، فيأتى بالدعوى الموضوعية المتكذّبة مجترئاً متهجماً غير متهيّب من نقد ، ولا متحرّج من إثم ، ما يقول في ص : ٩٣ : « وأكبر الظن أن خوف المتنبى واحتياطه هما اللذان حملاه على أن يخفى ( اسمه ونسبه ) ، إن كان له نسب ، على القبائل التى كان ينتقل بينها أثناء رحلته » ، انتهى . وحقّاً قالت الرواة إن المتنبى كان ( يكتُم نسبه ) ، فما في ذلك شك ، ولكن من أين أتى الدكتور طه بقوله إن المتنبى كان يخفى ( اسمه ) ؟ وأى امرئ من الرواة زعم له ذلك أو حدّثه به وأوحى إليه : أن المتنبى في هذه الرحلة بعينها ، كان قد خرج خائفاً يترقّب ، [ ص : ٩٣ من كتابه ] ، حتى يلجأ إلى مثل هذا الفعل ؟ إنه ليس أهون على الدكتور / طه من أن يقول القول يدّعيه مُستأنفاً غير مسبوق إليه ، ثم يضمّه إلى هذه الفقرات التى يتقمّمها من هنا ومن ثَمَّ ، لينشئ في كلامه معنى التاريخ ، وإن كان التاريخ ليتبرّأ منه براءة الذئب من دم آبن يعقوب .. !!

...

(١) انظر ما سلف ص : ٦٥ ، ٦٦ ، ودخوله على إمام اللغة « ابن دريد » ، وانظر اجترأ الدكتور طه على ما لا يعلم بالنفى والإثبات . فهذا يضاف أيضاً إلى وجوه بطلان قول الدكتور طه .

أمّا المسألة الثانية ، وهى : هل من سبيل إلى توقيت القصائد التى قالها المتنبى في الشام قبل أن تنتهى به الحوادث إلى السجن ؟ ، فهى المسألة على الحقيقة . وليس بفخر أن نقول إننا كنّا أوّل من تنبّه إلى توقيتها ، وجعلها من مادة التاريخ . وقد قلنا فى ذيل [ ص : ١٥٢ من كتابنا هذا ] : « أعلم أننا نجتهد فى تاريخ ما لم يؤرّخ من قصائد المتنبى = وقد وجدنا فى ذلك المشقة وما فوقها = لترجم للرجل على بينة وهُدًى ، وستجد فائدة ذلك فى كثير مما يمرُّ بك إن شاء الله » .

وكل من قرأ كتابنا عرف الذى أتينا به من ذلك ، لا بل إن الدكتور طه حسين بك نفسه فى أوّل لقاء لى معه فى يوم من أيام أسبوع المتنبى بالجمعية الجغرافية وَقَفَ إلى يثنى على كتابى بما أستحى أن أردّده فى هذا المكان من كلامى ، ثم اعترف بأن أحدا لم يسبقنى إلى توقيت قصائد المتنبى هذه ، وأنه قد رضى كل الرضا ، أو كما قال ، عن الذى تدرّجت فيه من بيان رحلته حين مخرجه إلى الشام ، وأن هذا الترتيب الذى اهتديت إليه هو الترتيب .. إلى آخر كلامه الذى أذكره ولا أنساه له . <sup>(١)</sup> وسترى فيما يلى أن الدكتور طه هذا العبقرى ، لم يزد فى كلامه الذى أفضى به إلى الناس عن رحلة المتنبى - شيئا ليس فى كلامنا الذى لم يُسبق إليه .

/ ومع ذلك يزعم الدكتور طه فى [ ص : ٩٤ من كتابه ] : « أن توقيت هذه القصائد إن لم يكن ممكناً كله ، فليس مستحيلاً كله » = وهذه العبارة هى ترجمة عملنا ، بعد أن فرغنا من سردّ رحلة المتنبى = : « هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير مُيسّر بعد لغموضها ونقصها ، وهذه الرحلة تفسير آخر سنعرضه بعد » ، انتهى . [ انظر ما سلف من كتابنا هذا ص : ١٩٨ ] .

ثم زعم الدكتور بعقب ذلك أن له ( هو !! ) « إلى ذلك التوقيت طريقتين : فأما أولاً فتتصل بنفس الشاعر ، وأما ثانيتهما فتتصل بطريق الشاعر حين اضطرابه فى بلاد الشام . فأما الطريقة الأولى ، وهى الطريقة النفسية ، إن صحَّ هذا التعبير ، فإني أستنبطها

من طبيعة الحياة العقلية والشعورية التى كان يحياها المتنبى قبل أن تُلَمَّ به الكارثة ، فقد رأيناه قرمطىَّ الهوى فى الكوفة لا يتحفظ ولا يحتاط ، ورأيناه شيعياً فى بغداد ومتحرّجاً يصطنع الحذر ، ورأينا أنه فى أكبر الظن إنَّما سافر بقرمطيَّته إلى الشام ليدعو إليها هناك . وإذن فلا بد أن يمتاز شعر المتنبى فى هذا الطُّور من حياته بشيئين : أحدهما آراء قرمطية تظهر فى هذا الشعر ... والثانى تحفظ واحتياط يدفع الشاعر إلى أن يخفى آراءه ما استطاع إذا خاف أو شكَّ .. فإذا استطعنا أن نتبين هاتين الحُلتين فى طائفة من قصائد المتنبى ، فأكبر الظن أن هذه القصائد قد قيلت فى هذا الطور » ، انتهى ، والحمد لله كثيراً !

وهذا ضرب من الخطأ فى الرأى لا ينتصب للمدافعة عنه والمناظرة دونه ، أو لا يَقِفُ جهده على العمل به والتصرف فيه ، إلّا مَنْ كان فى مثل بادرة الدكتور ١٧٥/٢ / العبرى وتدفعه واندلاقه ، مجترئاً على الحق ، وإنَّ اللَّغى باب المنطق أو أغلقه = ومُتهجماً على الحكم ، وإن أبطل عمل العقل . وإلّا فأئى امرئ فى هذه الدنيا التى ابتلينا بممارستها والتصرف فيها ، يستبيع لنفسه أن يستنبط شيئاً من كلام ، ويستخرج من هذا الاستنباط معنى يقيمه صِفَةً على صاحبه ، ثم يجعل هذا هو السبيل إلى تحديد معانى الكلام نفسه أو توقيته أو تاريخه ؟!

وبيان ذلك أن الاستنباط الذى يكون من القوة بحيث يُثَبِّت صِفَةً أو يقرّر رأياً ، أو يستحدث معنى لم يكن ، ليس إليه سبيل إلّا بعد الفراغ من الترتيب ، والترتيب يقتضى التعاقب ، والتعاقب هو توقيت الكلام فى مواقيته وتحديدده فى حدوده . فالدكتور قد استنبط من شعر المتنبى - على ما فيه من الخطأ - أنه كان قرمطىَّ الهوى فى صباه من سنة كذا إلى سنة كذا ، فكيف يجعل هذا الرأى نفسه هو السبيل إلى التوقيت ؟ وكيف يتم له العمل به فى تفصيل هذا التاريخ ؟ هذا ما لا نعلمه . والدكتور لعلمه بفساد هذا المذهب ، لم يستطع أن يطبِّقه فى شيء مما أتى به البتة ، بل لقد شهد أنه « أكثر اعتماداً على الطريقة الثانية الجغرافية ، منه على هذه الطريقة الأولى النفسية » ، وما ذلك إلّا لأنه



تكلم في قضية قديمة جادلته عليها ، ولم يعرف يومئذ ما وراءها ، وإنما هو كلام يقال ( والسَّلام ) !!

أما الطريقة الثانية التى ( يصطنعها ) الدكتور طه ، وهى الطريقة الجغرافية ، فيقول في بيانها في [ ص : ٩٥ من كتابه ] : « فالظاهر أن المتنبي قد خرج من / بغداد متابعاً ١٧٦/٢ طريق الجزيرة ، حتى انتهى إليها فأقام فيها وفي شمال الشام دَهْرًا ، ينتقل بين القبائل البادية ، وبين المتحضرين في المدن ، يمدح الرؤساء وسرّة الناس ، كما يمدح أوساطهم وفقراءهم أيضاً » = ثم يدعى هذه الدعوى الباطلة : « وهو في أثناء هذا كله يمتحن أولئك وهؤلاء ليتبين استعدادهم للقرمطية ، وتهيئهم للخروج على السلطان العباسي » إلى آخر كلامه = ثم يقول : إنك إذا قرأت القسم الأول من ديوان المتنبي رأيته ينقسم إلى ثلاثة أقسام جغرافية :

« القسم الأول : قيل في الجزيرة وشمال الشام = والقسم الثانى قيل في اللاذقية ، وهو موقوف على التنوخيين = والقسم الثالث في طرابلس » ، [ ص : ٩٦ من كتابه ] . ويخيل إلى الدكتور أن المتنبي قد جاء سورّية من شَمَالها ، ثم مضى فأقام في طرابلس حيناً ( قصيراً ) = تأمل هذا = ثم انحرف إلى اللاذقية فأطال فيها المقام ، ثم انصرف عنها إلى طبرية ، فأقام قليلاً ، ثم عاد إلى اللاذقية ، ثم تركها إلى البادية غير بعيد من حمص ، فلم يكذ يعلن الدعوة إلى الثورة حتى أُجِذَ وأُلْقِيَ في السجن » ، [ ص : ٩٧ من كتابه ] . ومهما يكن من شيء !! فهو يفترض أن المتنبي قد سلك هذه الطريق التى رسمها ، وإذن فسيسلك هذه الطريق نفسها في درس شعره في هذا الطور على النحو الآتى : ( ١ ) شعره في سورية الشمالية ( ٢ ) شعره في طرابلس ( ٣ ) شعره في اللاذقية ( ٤ ) شعره حين كان يستعد للثورة في البادية ( ٥ ) وأخيراً شعره في السجن » ، [ ص : ٩٨ من كتابه ] ، انتهى كلامه حفظه الله .

١٧٧/٢ / هذا ما قاله الدكتور طه . وانظر الآن ما قلناه في [ ص : ١٩٨ ] من كتابنا هذا ، ثم قارن بينهما واحكم بما شئت :

« خرج الفتى من الكوفة واتخذ طريقه = على ما وقع عندنا من الرأى = من الكوفة إلى بغداد ، ثم ( خرج لوقته !! ) متخذاً طريقه في ديار ربيعة بين النهرين ، إلى نصيبين ، ورأس عين ، وحرّان ، ومنبج ، وطفق ينتقل بين القبائل في جوف البوادي حتى انقضى به المسير إلى الشام في سنة ٣٢١ ، فنزل بدمشق وأعمالها وما يدانيها ( أعنى بعلبك وطرابلس وحمص ) ، ثم كره الأرض التي نزلها ، ثم صعد سنّته إلى منبج ، وحلب ، واللاذقية ، وأنطاكية ، ومدح بها من مدح ، ثم اعتقل بجمص ، لِمَا قالوا به من أدّعائه العلوية ، ثم النبوة ، ثم العلوية ، ثم استُتيب وأشهد عليه بالكذب فيما ادّعى ، ثم تاب وأطلق . هذا موجز رحلته الأولى بالشام ، وتفصيلها غير ميسر بعد لغموضها ونقصها . ولهذا الرحلة عندنا تفسير آخر سنعرضه بعد » .

١٧٨/٢ هذا ما قلناه : ولعلك رأيت ما فيه مما ( يشبه ) كلام الدكتور طه ، هذا العبقري ، ولعلك فَطَنْتَ إلى أن الدكتور طه كما قدمنا يزعم أنه يخالف الأستاذ ( بلاشير ) في إقامة المتنبي ببغداد ، وأنه ( أى الدكتور ) يرجح أن المتنبي لم يطل الإقامة ببغداد = ونحن نقول ، كما رأيت ، أن المتنبي خرج من بغداد ( لوقته ) . ونحن لا نحب أن نخرج الدكتور طه فنلجئه إلى مأزق ضئلي يلتزمه لا يتقلقل فيه إلّا على أذى يدركه ، أو جائحة تناله ، إذ نطلب إليه أن / يعرض علينا شعر المتنبي ليستخرج منه كل هذا الذى قال به في التقسيم الجغرافى ، وهو نفسه قد تجنّب ذلك في كتابه . ولو قد كان يطيقه ، أو يصبر عليه ، أو يُسوِّغ القدرة على التصرف فيه ، لما كان أحجم على القول في ذلك استكثاراً وتضخيماً وتفخيماً لكتابه ، وتلبساً بالفهم ، وتظاهراً بأداة العلم ... ولكنه قد وسّعه أن يدع ذلك ، لأنه لا يسعه أن يقول فيه بمثل الذى قاله في نسب المتنبي أو قرمطيته من الحشو اللفظي الرائق المعجب الذى استكثر به وتجمّل . والمسألة كلها أن الدكتور أخذ الذى كتبناه في ترتيب رحلة المتنبي ، فقدّم له بهذه المقدمة المنطقية ، ليرى قارئ كلامه

أنه قرأ أو تدبّر وفكّر وأجهد تلايف دماغه ، فاستخرج هذا الترتيب ( الجديد ) لهذه الرحلة ! وما به شيء من ذلك ، وقد عافاه الله منه وعصمه دونه ، ومتّعه بالعافية من وِليّته وعقائيله .

\*\*\*

وثمّة في هذا الفصل من القول المعترض في مدارج الكلام ، ما هو خطأ وتحكم وتشدّق بغير علم ، وتلييس بالهوى ولجاجة ، ننصرف عنه ولا نعرض له ، إذ كان في الذى قدّمنا من الرأى في الكلمات السالفة ما يبطّلها ويدلّ على فسادها ، ويظهر عوّارها ، ويكشف عن قلتها وفُسولتها .

\*\*\*

وأما وقد فرغنا من هذه الأبواب الأولى التى هى مظنة العلم والفهم في كتاب الدكتور طه ، والتى يُشَبَّه للقارئ أن فيها من الرأى ما هو مستحدث غير قديم ، ومن العلم ما هو محقق غير مضعوف ، ومن الاستنباط ما هو مبتدع / غير مروى ولا متّبع = ١٧٩/٢ فما نجد بُدّاً من الضرب عليها بكلمة تبين عن غرض الدكتور من الإتيان بها ووضعها ، أو تأليفها ، أو جمعها ، أو إملائها ، أى ذلك شئت .

وخلاصة ما أراد أن يقول به الدكتور طه في جميع هذه الفصول من أول كتابه ، إلى آخر ص : ٩٨ منه : أن نسب المتنبي عنده موضع شك ، ولكن شك الدكتور هذا في نسبه ليس يعتمد على دليل ولا شبهة . ثم إن هذا الشك قد يدفعه إلى القول بأن المتنبي لم يكن يعرف أباه ، ولم يكن يعرف أمه ، ولم يكن يعرف لنفسه قبيلة ينتمى إليها ، وأن مولده كان شاذاً ليس كمولد غيره من أبناء ( الآباء ) ، ثم أفضى من ذلك إلى صفة المتنبي في طفولته ، ثم في صباه ، ثم اختلج الرأى اختلافاً ، فزعم أن المتنبي كان قرمطياً ، لا بل كان من دعاة القرامطة ، وأن رحلته إلى الشام كانت لذلك ، وأنه كان قد خرج

إليها » ليمتحن الرؤساء والسراة وأوساط الناس وفقراءهم ليتبين استعدادهم للقرمطية وتهيئهم للخروج على السلطان العباسي ، الذى كانوا يخضعون له في ذلك الوقت خضوعاً فيه غير قليل من التلؤن والاضطراب » ، ص : ٩٦ .

وقد قدّمنا في أول كلماتنا أن الدكتور طه إنما شك في نسب المتنبي تقليداً لنا ، وقصّاً على آثارنا ، لأننا أوّل من فطن إلى الشك في رواية الرواة ، وأوّل من صرّح بذلك ، وأجلب على كلامهم الشبهة وأدخل عليها التضعيف . ثم جمعنا الأسباب ، وأخرجنا منها مسبباتها ، حتى انتهينا إلى القول بأن / المتنبي كان علويّ النسب ، وأتينا بما يحملنا على ذلك من شعر المتنبي نفسه ، وما كان في نفسه من اجتناب العلويين من أهل زمانه في مدح أو ذم ، مع أنه قد نشأ في بلدتهم ( الكوفة ) ، وتخرّج من كتاب كان فيه ( أولاد أشراف الكوفة ) ، وقد استقصينا بعض ذلك فيما مضى . ١٨٠/٢

وأما الدكتور طه فحين قلّدنا في الشك ، أخرجنا الأمر أولاً ، فلم يستطع مناصاً من قذف المتنبي بأنه كان ( لا يعرف أباه ولا أمه ، وأن مولده كان شاذاً ) . فلما بلغ ذلك لم يجد في رأيه غناء ، ولا وجد له وزناً ، ولا اهتدى إلى طريق يعسّفها من هذا الرأى حتى يبلغ القول في حياة المتنبي والترجمة له مبلغاً يُحمد عليه = فأبلس وانتشر عليه الرأى ، فلم يجد له مخرجاً إلا أن يضع يده على رأى الأستاذ ( بلاشير ) في أن المتنبي حين خرج من الكوفة اتصل بالقرامطة ، فاصطنع هذا الرأى ، ثم تملّكه ، ثم تصرّف فيه تصرف المالك على ما بيناه آنفاً ، وتعسّف وأخطأ ، وعمى عن وجه الصواب في فهم الشعر الذى استدلل به لرأيه واستجلبه لمذهبه . لماذا ، لماذا ؟ لأنه أراد أن يقلّدنا وأن يجعل قرمطية المتنبي هى سبب رحلته عن الكوفة ، وهى سبب تقلقله في البلاد واضطرابه ، وهى الغرض الذى كان ينشده في حياته ، وهى الرأى الذى كان يمتحن عليه الرجال ، وهى التى كانت أخيراً سبباً في مقتله ... وأن يكون كتابه تقليداً لكتابتنا ، إذ جعلنا مشكلة نسبه العلويّ هى التى كانت سبب مخرجه من الكوفة ، وهى كانت سبب تقلقله في البلاد واضطرابه ، وهى الغرض الذى كان ينشده في أول حياته ، وهى التى أدّت به إلى السجن

في الذى زعموه من أمر ( نبوته ) ، ثم هى التى كانت أخيراً فى ختام أيامه سبباً فى مقتله = ، ولأننا / جعلنا المتنبي فتىً عربياً قد أنكر أمر الدولة وما وقعت فيه من سلطان الأعجمية ، وكان بهذه العربية يمتحن الناس ، فيأنس إليهم ، ويستوحشهم ويفر من أرضهم = ولأننا جعلنا المتنبي داعية سياسياً من دعاة العربية فى أقطارها = فلم يجد الدكتور بُدّاً من أن يفعل مثل الذى فعلناه ، فيجعل القرمطية فى كتابه بإزاء العلوية فى كتابنا .

...

ونحن هنا لا نفخر بأننا أول من كتب تاريخ المتنبي على هذا الوضع الذى تراه فى كتابنا ، ولكننا نقرّر ذلك إقراراً للحق ، وبياناً للذى فعله معنا الدكتور طه ، حين أخذ آراءنا فأفسدها ، ووضعها فى غير موضعها ، واستعملها بغير حق ، وأخرج كتابه على غرار كتابنا غير متعجب ولا متورّع من مذمة أو إثم . وأغراه بذلك ما يعلم من عظيم شهرته وبعيد صيته ، وما يعلم مما نحن فيه من الخفاء والصمت وقلة الاكتراث بالدعاية الملفقة لأنفسنا = وما يعلم من أن الأصل فى كثير من قراء زماننا أن يتعبدوا للأسماء الزانة المعروفة ، والألقاب العظيمة المشهورة ، وأن خطأهم الكبير هو الصواب الكبير ، لأنهم هم قائلته والناطقون به .... ونحن لا نبالى بشيء من هذا كله ، ولو جاءنا الدكتور طه فالتمس هذا الكتاب منا لنزلنا له عنه ، ما كان نزولنا عنه مما يرد عن العلم هذا الفساد الذى أظهره بكتابه كما بينا ، وما كان هذا النزول سبباً فى ستر غيوب رجل قد نصّب نفسه ، أو قد نصّب سواه ، صدرأ فى الأدب العربى فى مصر ، وفى معهد من أكبر معاهدها ، هو كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولكن ....

/ وننتهى من هذه الكلمة حيث انتهى بنا هذا الفصل من كتابه فى ص : ٩٨ ، ١٨٢/٢  
فإن فى الذى يستقبل من كتاب الدكتور طولاً قد امتدّ وسمق وتسامى !! <sup>(١)</sup> وإن فى

(١) انظر سبب نثر هذه السلسلة من نقد كتاب الدكتور ، موضّحاً فى أول كتابنا هذا ص : ١٠٧ .

حاجة النفس لَمَا يشغلنا عن الدكتور طه وما يَأْتِي به أو يَقَعُ فيه أو يَعْرِضُ دونه :

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعْتَنَى الَّذِي أَخَذَتْ مِنِّي ، بِحِلْمِي الَّذِي أُعْطِيتُ وَتَجَرَّبِي

...

## نبوة المتنبى





## نبوة المتنبي

محمود محمد شاكر

/ كتب الأنخ سعيد الأفغانى كلمة عن ( دين المتنبي ) فى العديدين من الرسالة ١٨٥/٢ ( ١٦١ و ١٦٢ ) سنة ١٩٣٦ ، وقد عرض فيها لنبوة أئى الطيب التى يزعمونها وقعت . وكانت منه مندوحة عن القول ( أو كما قال ) ، ( بأن تنبؤه فى الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشك فيه ، تضافت على ذلك كل المصادر الموثوقة حتى التى كانت تميل إليه كل الميل ، فإنها لم تنف الأمر ، وإنما التمسث له المعاذير ) . ثم علق على هذا فقال :

« قرأت أخيراً عدد المقتطف الذى كتبه الأستاذ شاكر عن المتنبي خاصة ، فإذا به يذهب إلى نفى تنبؤ أئى الطيب الذى اتفقت عليه كل المصادر تقريباً . وقد أنعمت فى تدبر الأسباب الحادية على النفى فلم أجد مقنعاً ، به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة !!

« والتاريخ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه ، ولا بد فيه حال النفى من التعرض لجميع الأخبار المثبة خبراً خبراً ، وهذا لم يصنعه الأستاذ شاكر !!

« وأمر أدعاء المتنبي العلوية ليس فيه ما يهيج عليه كل هذا ، على رغم ذلك الخيال الجميل الذى لبس أدعاءه إياها فى الكتاب المذكور !!

« وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، فقيم خجل أئى الطيب / وحيأؤه ١٨٦/٢

كلما سئل عن أمر لقبه المتنبي ؟ ولم كان يعمد إلى اشتقاقه من « النبوة » تارة ، ويعتذر بأنه شيء كان في الحداثة تارة ، ويقول إنه يكره التلقب به ، وأنه ( يناديه ) به من يريد الغضب منه ؟ وعلى أى شيء تقع كلمة كافر : « من ادعى النبوة بعد محمد ، أما يدعى الملك مع كافر » ، وكافر ليس من الذين يختلفون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق !!

« وقد روى المعري - وهو الحجة الثبت - أمر التنبؤ ، وما حَفَّ به من حادثٍ ومعجزاتٍ في رسالة الغفران . وأبو العلاء كان أخرى أن يشكَّ أو يكذب الخبر ، لو أن في الأمر مجالاً للشك واحتمالاً للتكذيب ، لأنه أشدُّ حباً للمتنبي ، وعصبية له ، وهو أنفذ بصيرة فيما يقال وأحكم نقداً للأخبار ، مع قرب زمان ، وصفاء ذهن ، وقوة حجة ، ومواتاة وسائل التحقق إذ ذاك ! » انتهى .. الرسالة ١٩٣٦ ( العدد ١٦١ - ص : ١٢٥٥ ) .

وأنا قد قرأتُ هذا الكلام في موعده حين صدرت الرسالة وأردتُ أن أردّه ، ثم بدا لي أن أدعه حيث هو ، فإن الذي قرأ ما كتبت يعلم مقدار ما في هذا الكلام من الجودة وحسن الأداء ، وقوة الحجة وجلاء البيان ، وسعة الاضطلاع وبلاغة الفهم ، ولكن بعض أصحابنا لم يزل يى حتى أخذ منى موثقاً أن أقول كلمتي فيه .

وهذا النقد الذى رمانى به أخى الأستاذ سعيد ليس ممّا يثيرنى ويُغرينى بحمل السلاح والاستعداد للمعركة . ولستُ أقول هذا استصغاراً لما يقول / أخى ، أو استكباراً لما قلتُ ، بل هو حكيمى عليه مجرداً من كلّ ما يجعل الحكم قاصراً أو باغياً .

وهذا الذى كتبه الأخ سعيد ليس ممّا أعدّه عندى نقداً ، وإنما هو اعتراض ، والاعتراض شبهة ، والشبهة يزيلها البيان . أما النقد فأمر آخر لم يسوّغ للأخ أن يظفر بالقدرة عليه فيما كتب .

وقد أتى الأخ سعيد فى كلامه من قبل أنه عدّ الأخبار المروية عن نبوة المتنبي

وغيرها أخباراً صحيحةً ابتداءً ، وهذا أوّل الزلل في نقد الناقد . ولابد لمن يريد أن ينقد ناقدًا أو يكتب فيما يتناول الروايات والأخبار ، أن يتحقق بدءاً بمعرفة الأصول في علم الرواية ، وأن يستيقن من قدرته على ضبط الفكرة حتى لا تنتشر عليه وتنفرد ، ويقع فيها الاختلاف والتضارب والمناقضة . فلا بُدَّ لي هنا من أن أدلّ الأخ على الأصل في الأخبار حتى يعرف فرق ما بين الذي انتهينا إليه ، والذي وقف عنده غيرنا ، ثم نكشف له عن الشبهة التي جعلته يعترض الذي كتبناه والذي رفضناه ورددناه وأسقطنا الثقة به والاعتماد عليه .

فالأخبار جميعاً تحتمل الصدق والكذب كما يقولون . ومعنى ذلك أنها على حالة من البراءة الأولى لا توصف بصديق ولا بكذّاب . ولا يستحقُّ الخبرُ صفة الصدق إلا بالدليل الذي يدلُّ على صدقه ، فإذا لم تجد الدليل على صدقه ذهبت عنه صفة الصدق وبقي موقوفاً . فإذا اعترضته الشبهات من قبل / روايته أو من قبل درايته ، مالت ١٨٨/٢ به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه ، فلا يؤخذ به ولا يعتمد عليه ، ويكون عمل الناقد بعد ذلك أن ينظر في هذا الخبر نظرة التدبر ، ليستخرج الحقيقة التي من أجلها تكذّبه راويه ، وبذلك يقع على حقائق مدفونة قد سترها الراوى بما كذّب . وقد أشرنا إلى ذلك في كتابنا [ انظر ص : ٣٠٦ ، ٣٠٧ ] ، وإليك ما قلناه :

« أعلم أن أكثر ما يروى في ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التي تتناولها مجالس الأدباء ، ولا يرادُّ بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما يروى في تراجم رجالنا ، كان مما يُراد به مَضْعُ الكلام في مجالس الأمراء أو في سامر الأدباء . هذا على أنها ربما حملت فيما تحمل أشياء لولا ورودها في هذه النصوص لافتقدنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم أمره إلا بها ، ولا يستمر إلا عليها . فلمثل هذا كان لا بُدَّ لنا من النظر في النصوص وتمييزها ، وردّ بعضها والأخذ ببعض ، حتى لا تنقطع بنا السبل في الترجمة لهؤلاء الأعلام . فلا يفوتك هذا إذا قرأت ما نكتب ، أو أردت أن تقرأ أو تكتب » .

وأنا حين أردت أن أكتب عن المنتبى نظرت في هذه الأخبار خيراً خيراً ، فلم أجد دليلاً واحداً يجعلها تستحق عندى صفة الصدق ، فأبقيتها موقوفة . ثم عدت فنظرت ، فتناوشتها الشبهات واعتورتها الطعون ، فلم أجد بداً من وسمها بالكذب . ثم عدت إليها فعارضتها بالعقل وشعر الرجل وحوادث التاريخ ، لأستخرج منها الحقائق التى يسترها الرواة والمتكذّبون ، فوقعت لى / أشياء هى التى جعلتها أصلاً فيما كتبت . وأنا على يقين من أن الأستاذ سعيداً لم يتنبّه إلى هذا الذى فعلناه ، مع أنه هو الأصل فى الكتابة والتحقيق . أما التسليم فليس يجدى شيئاً ، إلا التكرار والمتابعة ، ثم الزلل والتورط فيما أراد الكذابون أن يحملوا الناس عليه ويوقعوهم فيه .

ويقينى أن الأخ سعيداً لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات فيما يزعم إلا أنه قد رواها فلانٌ وفلانٌ ، ورواها المعرى - وهو الحجة الثبت - « وهو أشد منا حباً للمنتبى ، وعصية له ، وهو أنفذ بصيرة وأحكم نقداً للأخبار ، مع قرب زمان وصفاء ذهن وقوة حجة ومواتاة وسائل التحقيق إذ ذاك » ، ونحن لا ننكر على المعرى شيئاً من ذلك ، ولكن الذى ننكره أن الذى كتبناه كان عصيةً لأبى الطيب ، أو حُباً له أو فيه . ليكن المعرى صاحب عصية ، فذلك لا يجعلنا نحن من أهل العصية حتى نعبث بالحقيقة ، ونلعب بفنّ النقد من أجل أبى الطيب أو غيره من الرجال .

أما أن رواية المعرى - وهو صاحب عصية لأبى الطيب - مما يصحح هذه الأخبار أو يرجح الصدق فيها ، فهو حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، فإن أبا العلاء لم يُشهد كُتبه أنه لا يروى إلا الصحيح من الأخبار ، وترك المعرى الشك فيها أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعرى بمنزلة عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعرى ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب إليه ، ولا نفى صفة الصدق عنه .

/ وأحب أن أقرب إلى الأخ حقيقة هذه الروايات .... فهو يعلم أن الرواة قد رووا للرسول ﷺ معجزات كثيرة ، وكثير من الذى رَوَّه لم يشته أهل العلم بالحديث على

طريقتهم ، وقد رواها قومٌ على عهد الصحابة والتابعين ، وهى كذبٌ مخترعٌ بشهادة أئمة هذا العلم ، وقد بقيت هذه الآثارُ مرويةً إلى يوم الناس هذا ، وهى عند المتأخرين شائعة معروفة متداولة مصدقة ، وقد وردت فى كتب كثير من الأئمة العلماء ، أفيكون تداولها وذيوخها وتصديق العامة لها ، وورودها فى بعض كتب العلماء ، هو الدليل الذى لا دليل غيره على صحة هذه الأخبار ؟! وأكثر من ذلك ، أفيكون ظهورها على عهد الصحابة والتابعين - على قرب زمن كما يقول الأستاذ - وتصديق بعض العامة لها فى ذلك العصر ، وسكوت بعض العلماء عن الكلام فيها ، مما يدل على صدقها ؟!

ونحن قد أتينا فى الذى كتبناه عن المتنبي بالشبهات التى ترجح الكذب فى هذه الروايات التى يراد بها الوضع من قدر الرجل والتحقيق له ، والطعن فى نسبه أو عقله أو خلقه أو أدبه . لا ، بل بيننا أن ألفاظ هذه الروايات وحدها تحمل أكبر شبهة ، كالذى روى عن هذا اللادق المسمى معاذ بن إسماعيل ، وقد روى الخبر بطوله فى كتب كثيرة ، وأوردناه بتمامه فى كتابنا [ انظر ما سلف ص : ٢٠٠ - ٢٠٤ ] ، واختصره الأخ سعيد فى كلامه فى العدد ( ١٦١ ) من الرسالة . ولا أدري لم اختصره ، فإن الذى يقرؤه يجد فيه سمة الوضع والكذب مستعلنة بما لم تستعلن به فى حديث غيره . وقد بينا بعض وجوه نقده فى كتابنا [ انظر ما سلف ص : ٢٠٩ - ٢١٢ ] . فكانت حجة الأستاذ سعيد فى ردِّ قولنا / وإسقاطه أنه ( لم يجد فيه مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة ) . ١٩١/٢  
وكان حقاً على الأستاذ أن يعلمنى وجوه الضعف فى قولى حتى أستبرئ منه ، أما هذه الكلمة المجردة ، فليست بالتي تسقط كلامنا جملة واحدة ، حتى ولو كان هذا الكلام سَقَطاً محضاً .

أما ما اعترض به علينا ، فنحن نبين له وَجْهَ بُطْلَانِهِ . يقول : « وإذا كان ما ذهب إليه الأستاذ صحيحاً ، فقيم كان خجل أى الطيب كلما سئل عن أمر لقبه المتنبي ... ؟ » إلى آخر قوله ، فإن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواية ، وقد أتى به القوم ليعضدوا قولهم فى خرافة النبوة . وإذا كان أمر نبوته مشهوراً متعلماً ، أو كما يقول اللادق

إن دعوته ( قد عمت كل مدينة بالشام ) ، وقد بلغ من شهرتها أنه قبض عليه من أجلها بالشام أيضاً وحبس ( دهرًا طويلاً ) ، وأن له قرآنًا أنزل عليه .. ويزعم أبو على بن أبى حامد أن أهل الشام كانوا يحكون له سوراً منه كثيرة وأبو الطيب إذ ذاك بحلب ، فكيف يُعقل بعد هذه الشهرة أن يتندر إليه هؤلاء فيسألونه عن حقيقة هذا اللقب ؟ إن السؤال عن ( حقيقة اللقب ) ، بعد هذه الشهرة التى يزعمونها ليدل دلالة قاطعة على وضع هذه الأحاديث المروية والأخبار المتداولة التى تهوّر كثير من الأدباء فى التسليم بصحتها ، كما فعل الأخ سعيد . ولقد كان هؤلاء الذين يزعمون أنهم سألوا أبا الطيب عن حقيقة اللقب ( المنتبى ) يسألونه وهو بالشام ، وفى الشام أظهر نبوته ، وفى الشام أشتهر أمره ، وأكبر من ذلك أنهم يزعمون أنهم كتبوا عليه / وثيقةً أشهدوا عليه فيها ببطلان ما أدّعه ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائب منه ولا يعاود مثله . فهلاً كان الأوّل بهم أن يظهروا هذه الوثيقة ، ولمّا يمض عليها كثير دهر ، وقد أخذها عليه وإل من الولاة ، فهى ، ولا بُدّ ، محفوظة فى ولايته ؟ وكان أبو الطيب شجاً فى حلق الأدياء والشعراء وكثير من أصحاب السلطان وهو فى جوار سيف الدولة ، وقد أوقعوا بينه وبين أميره بكل ما ملّكوا من أسباب اللوقيقة ، أفطن أنهم كانوا يحجمون عن إظهار هذه الوثيقة ، وإحراجها بها ، والعمل بها على تحقيقه ، ثم على المنافرة بينه وبين سيف الدولة !! كانت كل هذه النقائض بالشام ، ومع ذلك لم يكن من أثرها إلا هذه الروايات الضعيفة التى تحمل ألفاظها الشكوك والريب .

وأسخف من هذه الرواية ، رواية من يروى أنه كان يَعْمِدُ إلى التّمويه على الناس بقوله : إن هذا اللقب ( المنتبى ) مشتق من « التّبوة » ، فليس يُعقل أن أبا الطيب - وهو يعلم أن بُبُوته كانت مشهورة كما ذكر الرواة - يَعْمِدُ إلى هذا التوجيه الضعيف الميّت ، وهو يعلم أنه كاذبٌ ، وأن الناس مكذبوه ، لأنهم يعلمون حقيقة أمره .

واعذاره بأنه يكره التلقّب به ، وأنه يدعوه به من يريد العَصْ منه ، فهو بسبيل من ذلك فى الضعف والسخف . على أنه مع ذلك لا يدل دلالةً ما على حدوث النبوة التى يزعمونها ، بل على العكس من ذلك ، إنه ليدل على أن هذا اللقب مفتعل موضوع

للكيد له والغضب منه ، وأنهم كانوا قد وضعوه له لِيَغِيظُوهُ به . ومثل ذلك كثير في كل عصر ومكان . ولعل الأخ سعيداً / لا يعدم رجلاً في بلده قد تَبَزَّه الناس بَنِيْزٍ يغيطونه به ، ١٩٣/٢ ولا نشك أن هذا الرجل ( يكره التلقب به ، وإنما يدعوه به من يريد الغضب منه ) .

وأما كلمة كافور فهي كلمة مفتعلة موضوعة تافهة ، وإلا تكن كذلك ، فليس فيها أيضاً ما يدل على شيء محقق كان قد حدث من أبى الطيب . وكافور كان قد سمع هذه الدُّعوى التى يزعمونها عن نبوة أبى الطيب وسلم بها ، ثم تكلم ، وليس تسليم كافور بها سنداً لها يحقق تاريخها ، ويثبت وقوعها بعد الذى ذكرنا لك من ضعف الروايات .

هذا ، وقد أراد الأستاذ سعيد أن يعلمنا سُبُل التحقيق فى التاريخ فقال : « والتاريخ لا يثبت خبراً أو ينفيه تبعاً لميل مؤلف أو رأيه .... » إلى آخر قوله ، وهو قد فعل أكثر من ذلك وأكبر ، وذلك أنه بعد اعتراضه قال : « وكافور ليس من الذين يختلفون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق » ، ولم يرد فى كلامنا ذكر كافور واختلاقه حتى يعقب الأستاذ هذا التعقيب . هذه واحدة ، والأخرى أن الأستاذ قد حكم على كافور حكماً لم يرد له ذكر فى كتاب ، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخي والبرهان العقلي : أن كافوراً لم يكن يختلف على الناس ، ولا يروج الاختلاق ... ؟ لقد أتينا نحن بالروايات ونقضناها بالدليل - ضعيفاً كان أو قوياً - أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره .

ثم بقى اعتراض الأستاذ الذى يقول فيه : « وأمر ادعاء المنتهى العلوية ليس فيه ما يهيج عليه الناس كل هذا » . وأنا لا أعلم ماذا يريد الأستاذ سعيد / بقوله ( كل هذا ) ، وإذا أرادنى على أن أجيبه على ذلك ، فليبين لى صورة المبالغة فى قوله ( كل هذا ) ، فأنا لا أعلم من أمر هذه المسألة أكثر من أن الرجل قبض عليه بالشام وحبس . أما هياج الناس ، فلم يرد له ذكر فى كلامنا ولا فى كلام الرواة . وأما حبسه أو قتاله من أجل العلوية ، فليس يبدع فى التاريخ ، وكان لزاماً على الأستاذ قبل أن يكتب هذه الجملة ويصوغ هذا الاعتراض ، أن يرجع إلى كتب التاريخ ليعلم أن الذين قاتلوا أبا الطيب

وحبسوه ، كانوا قد قاتلوا من قبله قوماً أو حبسوه من أجل ادعاء العلوية ، وكذلك فعلوا مع العلويين الذين خرجوا عليهم في أرضهم وديارهم . فقتاله وحبسه ليسا يُثَبِّتَانِ أن هذا الذى كان من أى الطيب ، إنما كان إظهاره النبوة لا ادعاءه العلوية .

وبعد ، فلو حمل الأخ سعيد نفسه على تدبر الذى كتبناه فى المقتطف عن المتنبي ، لما وقع هذا الاعتراض الذى حاك فى صدره . وقد أشرنا مرات فى كتابنا إلى وجوب ذلك ، فقد كنا نترجم للرجل ترجمة صحيحة يقرأها القارئ ليمثل صورة هذا الشاعر العبقري ، وفاءً له وتقديراً ، بعد مرور ألف سنة على وفاته ، فلم يكن سبيلنا أن نتعرض لأصول النقد وشرحها وتفصيلها ، ولم نأخذ الروايات جميعها بالنقد مرة واحدة ، فإن ذلك كان يقتضى منا وقتاً كثيراً وكتاباً كبيراً ، ولكن من يطلع على الذى كتبناه منصفاً متديراً عارفاً بطرف من أصول نقد الرواية ، يعلم يقيناً أننا لم نكتب حرفاً واحداً إلا بعد أن استوفينا عندنا نقد الأخبار ( خبراً خبيراً ) كما يريد / الأستاذ سعيد . وليس عسيراً على المتدبر أن يستخرج من الذى كتبناه الأصول التى نقدنا بها هذه الأخبار . ولعل الأستاذ قد قرأ كثيراً مما فاضت به الصحف والمجلات عن المتنبي ، وقرأ فى خلال ذلك كثيراً من نقد الأخبار التى رُوِيَتْ ، ولعله رأى أيضاً أن هؤلاء قد اتخذوا كتابنا مصدراً استنبطوا منه أصول النقد التى وضعناها ، وقاسوا عليها فأخطأوا وأصابوا ، وليس هو بأقل منهم حتى يَفُوتَهُ ما أصابَ غيره .



## حول « نبوة المتنبي »

سعيد الأفغاني

/ كنت عائداً من جولة في قرى ( البقاع ) حين قرأت كلمة الأستاذ الفاضل ١٩٦٧/٢ محمود محمد شاكر في العدد ( ١٦٧ ) من الرسالة الغراء ، التي كتبها رداً على حاشية بحثنا في دين المتنبي المنشور في العددين ( ١٦١ ، ١٦٢ ) من المجلة المذكورة .

وكانت قراءتي لرده ، بعد عشرة أيام من صدوره . فإذا تأخرت في التعليق عليه ، فهذا عذري أبسطه للقراء الكرام ، وأنا أعوذ بالله من الغرور والذهاب بالنفس ، ومن الجهل بمقدارها ، والمكابرة في العلم ، والعصية للرأى والهوى ، فما يزال الناس - والله الحمد - يقيسون فضل المرء بخضوعه للحق وإتقانه لعمله ، لا بدعواه وتبجححه . وقد ولّى زمن كان فيه الولوع بالإغراب والإتيان بالجديد - ولو تافهاً - سبيلاً إلى الشهرة وذيوخ الصيت ، وأقبل زمان فيه للتفكير حرمة وللعقل وزن ، وكُفِيَ فيه المؤلفون مؤونة الثناء على النفس ، والتحدّث إلى القراء بمزايا آثارهم وما تفردت به من معجزات .

وهؤلاء ذوو البصيرة من القراء يقلّبون ما يطالعون كل مُقلّب ، يقع إليهم الكتاب فيمحصونه ويُقلّونه ويتدبّرون ما فيه ، حتى تنكشف لهم منه / مواطن الحسن والقبح ، ١٩٧/٢ ويلمسون فيه آثار العجلة ، كما يلمسون مواضع التؤدة والروية .

وفي هذا ما كاد يصرفني عن الرد ، سيراً على قاعدتي في ألا أحفل نقداً ولا رداً إلا إذا كان حقاً . وسبيلي حينئذ أن آخذ نفسي به وأشكر لصاحبه ، وإلا فإنّ الزبد

يذهب جُفَاء وما ينفع الناس فيمكث في الأرض . وخروجي اليوم على قاعدتي ، إنما كان لمنزلة الكاتب الفاضل ، لا لِمَا في الردِّ نفسه . وليس في الأمر كُلُّ ما ظنه الأستاذ شاكر : فلا إثارة ولا إغراء ولا سلاح ولا استعداد لمعارك ، إنما هي حاشية على كلام له المحل الثاني من بحثي ، لم أرد بها نقد كتاب ولا التعرُّض لمؤلف ، وشتان بين أسطر غُلِّقت عرضاً في حاشية ، وبين كلام مطوَّل أنشئ للنقد خاصة .

أنا أدرى - والإنصاف شريعة - أن الكلام على كتاب الأستاذ شاكر لا يكفيه فصل كبير ، ففي الكتاب إحسان ، وفيه إصابة واجتهاد ، وفيه أماكن جديرة بالثناء حظيت بجهود حالفها التوفيق مرة وأخطأها مرة .

\*\*\*

وبعد ، فإنني أشكر الأستاذ على نقله كلامي بحروفه ، لأن عمله هذا سمح للقراء أن ينظروا : هل بلغ الأستاذ في الجواب على أسئلتي ما يريد من إزالة الشبهات الواردة عليه ، أم قصّر دون هذه الغاية ؟ أمّا أنا فقد عدت إلى / كتاب الأستاذ كما طلب إليّ ، ١٩٨/٢ « وأنعمت - ثانية - في تدبر الأسباب الحادية على نفى تنبؤ أبي الطيب فلم أجد فيها مقنعاً » ، كما لم أعثر في رده الذي تفضل به على شيء من الحجة . وإليك البيان :

١ - وهنّ الأستاذ رواية التنوخي لأنه صاحب الوزير المهلبى ، ولأن المهلبى عدو المنتبى ، فلا يبعد أن يكون التنوخيّ تحامل على أبي الطيب إرضاء للمهلبى . (١)  
فنحن نسأله : هل يكفى هذا الاحتمال في تبرير ردّ رواية التنوخي ، وهي كما يراها المنصف تحمل في مطاويها دليل الصدق والأمانة في نقل الحديث ، لا دليل الوضع والكذب ؟  
سأل التنوخي أبا الطيب عن معنى (المنتبى) فأجابته : « إن هذا شيء كان في الحادثة » ، وظاهر أنه يعنى التلقب لا التنبؤ ، فجوابه غير صريح ، وهو كما قال الراوى جواب مغالط ،

وكان فى وسع التنوخى أن يحتمل المنتبى - لو أراد وضعاً وتاملاً - جواباً صريحاً فى ادّعائه النبوة . ولو استقام هذا الأصل الذى بنى عليه الأستاذ رواية التنوخى ، لجاز لكل من أراد نفى خبر أن يورد عليه مثل هذه الاحتمالات الخيالية فيسقطه . وما أحسب أن خبراً - مهما كان صحيحاً - يستعصى إسقاطه على هذا الأصل !

إنما السبيل أن ينقّب الأستاذ عن نص صحيح صريح فى ترجيح الراوى التنوخى ، وأنه عهد منه وضع الأخبار ودرس الروايات ، أو أن يلجأ إلى حجة - لا إلى احتمال - قوية يرضاها العقل والمنطق السليم .

- ٢ - / استهل الأستاذ كتابه بفرض فرضه ، وخلاصته أن المنتبى علوى ١٩٩/٢  
صحيح النسب ، وأنه أخذ بكتمان هذا النسب لعداوة بينه وبين العلويين ، زعمها الأستاذ ولم يعرفها التاريخ . ثم ذهل حضرته عن أن هذا كان منه فرضاً ودعوى ، فراح يعدّه بعد صفحات حقيقة واقعةً يبنى عليها ، ويشرح بموجها أبيات الديوان ويكذب ، مستنداً إليها ، الروايات ، ويتهم الراوين . وهو بذلك يخرج على أصول سنّها هو لنفسه ، وأخبر عنها فى رده علينا حين قال : « ولابد لمن يريد أن ينقد ناقداً أو يكتب فيما يتناول الروايات والأخبار ، أن يتحقق بدءاً بمعرفة الأصول فى علم الرواية ، وأن يستيقن من قدرته على ضبط الفكرة حتى لا تنتشر عليه وتتفرق ، ويقع فيها الاختلاف والتضارب والمناقضة » . ونحن ننقل للقارئ أدلة على هذا الدهول من مواضع متفرقة من كتابه ، ليستبين أن الكاتب لم يتمكن من ضبط فكرته ، فانتشرت عليه وتفرقت . قال فى ص :  
٨٥ : « بينا لك فيما مرّ ما بين أى الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأر قديم .... » ، يقصد بما مرّ احتمالاً الذى لخصناه آنفاً . وقال فى ص : ٩٢ : « وبين على مذهبنا فى نسب المنتبى أن الرجل حبس من أجل دعوى العلوية » ، وقال فى ص :  
١٠٢ : « وكأنى بالمنتبى فى طريقه يظهر فى القبائل والمدن أمر نسبه ويذيع بينهم أنه علوى الأصل شريف النسب ، محتالاً لذلك بالدهاء ... ! » . فأنت ترى أن هذا النسب العلوى وعداء العلويين كان فرضاً أول الكتاب ، ثم صار حقيقة مقررة فى وسطه .

٢٠٠/٢

/ وماذا في أن يكون المتنبي علوياً حتى يهتم به العلويون هذا الاهتمام ، وحتى يحتال هو لإذاعته في القبائل والمدن بالدهاء ، والبلاد تعج عجيجاً بالعلويين والأشراف ؟  
والغريب أن يتخذ الأستاذ من نظريته هذه التي افترضها برهاناً يضرب به كل الروايات والأخبار التي تحمل أمر تنبئه ، ويشغل الأمراء والناس والعلويين ودعاتهم بأمر فتى دون العشرين يدعى العلوية فقط ، فيقول في رد رواية اللاذقي ص : ٨٥ : « أما اللاذقي فمجهول ، ولا يتيسر نقد سنده ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التي نسب إليها كانت لوقت أبي الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومخطأً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في التاريخ العربي كله » ، هل اهتمامهم بفتى دون العشرين من عمره من الأحداث العظيمة التي أحدثوها في التاريخ العربي كله أيها الأستاذ ؟! ولم لا يفتالونه مرة واحدة ، ويريجون أنفسهم من وضع الأخبار والدس عند الحكام ؟ إن في الأمر مطامح لنفس هذا الفتى جعل سلّمه إليها شيئاً آخر مع العلوية هو أكبر منها وأخطر .

وقد رددت أنا قسماً كبيراً من رواية اللاذقي هذا ، ولكن لشيء غير ما ذهب إليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً . وما أكثر ما يبين الإنسان لنفسه الخطأ في البحث ، ثم « تنتشر عليه الفكرة » فيبنى على غير أساس . ولست أجد كلاماً في تصوير عمل الأستاذ وأصوله في بحوثه ، أصدق من قول الجاحظ في إبرهيم النظام وهو هذا : « وكان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه / وجوده قياسه على العارض والخطر السابق الذي لا يوثق بمثله ، فلو كان بدل تصحيحه القياس اتمس تصحيح الأصل الذي قاس عليه ، لكان أمره على الخلاص ، ولكنه يظن الظن ، ثم يقيس عليه ، وينسى أن بدء أمره كان ظناً » . (١)  
٣ - يورد الأستاذ على حديث أبي علي بن أبي حامد شبهة واحدة ، بعد أن يقرّ بإحكامه ، ويقول عنه ص : ٨٦ : « فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قِل غرابته

عما جرت عليه الأحكام فى شأن من يدعون النبوة .... إلخ » ، وقد أطال فى بيان وجه الغرابة بما لا فائدة بنقله هنا . والذى فى كلام أى على هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة ، وأشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام » ، وجلّى أنهم استتابوه من دعوى النبوة ، فرجع بذلك إلى الإسلام . أما الوثيقة فهى ببطلان علويته ، وبهذا نزول شبهة الأستاذ ، فإن من المألوف أن تكتب الوثائق فى إثبات الأنساب ونفيها .

٤ - عرض الأستاذ لرواية الهاشمى التى فيها : « كان أبو الطيب لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادّعى أنه علوى ، ثم ادّعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه فى الشام بالتوبة وأطلق » . وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلّى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى . / ومنها ومن الرواية التى قبلها ، نفهم أنه لما ٢٠٢/٢ أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين . وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض ، ولا داع لأن يرجح الأستاذ [ ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ] ، إقحام لفظ النبوة بين العلويتين فى حديث الهاشمى ، وليقول : « إن المراد بالنبوة فى حديث أى على بن أى حامد العلوية » ، فعلوية أى الطيب التى أراد أن يفسر بها النبوة الواردة فى الروايات على اختلاف مصادرهما ، لم تسلم له من الأصل ، وبقي المنتبى جعفياً ميمياً . وإذا كان لا بد من إيراد احتمال ، فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الرواية فى غنى عن هذا الفرض أيضاً ، وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه ، وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابة الوثيقة .

٥ - بقيت رواية الناشئ القائلة : « كنت بالكوفة سنة ٣٢٥ وأنا أملى شعري فى المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عنى ، وكان المنتبى إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمنتبى » . هذا الخبر هو مظنة أن يكون فيه بعض الحجة ، فلنفرضه صحيحاً ، ولننظر ماذا تحتته : إن فيه نصاً على أن أبا الطيب لم يلقب بعد بالمنتبى ولم يعرف فى الكوفة ، وإذا شئنا الدقة فى التعبير قلنا : إنه لم يبلغ أهل الكوفة أمر هذا

اللقب ، فيجوز أن يكون لقب به في الشام ، ويجوز ألا يكون . وليس في خبر الناشئ  
 شيء آخر غير هذا . وبيان ذلك أن أبا الطيب ادعى النبوة للأعراب ، ثم سجن ثم أطلق  
 / ٢٠٣/٢ وانتهى أمره ونسيه الناس ، ثم حصل في الكوفة سنة ٣٢٥ ، وحضر مجلس الناشئ فتي  
 في الثانية والعشرين ، ولما عاد إلى الشعر واتصل بالأمرء وبسيف الدولة وناول الناس  
 وناولوه ، وناول الشعراء وناولوه ، وتفاقم الشر بينه وبين الناس ، نيشوا تاريخه - وهو  
 هناك معروف - فأذاعوا منه هذه الزلة التي كانت في حديثه ، وتعلقوا بها ، وسار له في  
 الناس هذا اللقب : ( المتنبي ) .

\*\*\*

لهذه الأسباب - وهي للقارئ معروضة - لم أجد في كلام الأستاذ شاكر  
 « مقنعاً به من القوة ما يقف لهذه الروايات الصحيحة » . وأظن أنني أبنت له - كما أحب  
 هو - وجوه الضعف في قوله ، وسواء على وعلى الحق : أستبرأ الأستاذ من قوله أم لا .  
 ولابد أن يكون القارئ شعر بجرصى على وزن كلامى حرفاً حرفاً ، وأنى لم أسرف ولم أرسل  
 القول على عواهنه . وقد عجبت كل العجب من الأستاذ - وهو الناقد الأصولي الفنان -  
 حين لم يدر لم اختصرت حديث اللادق ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فإن الزيادات التي أهملتها  
 يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثمة حاجة لأدلّ القراء على سبب إهمالها ، لأن  
 تهافتها بين ، وكثير أن تُجرّد عليها حملة كالتى نزل بها الأستاذ الميدان ، فخصص لها  
 صفحتين من كتابه القيم . وهو يعلم - حفظه الله - أن من أدلة الوضع عند المحدثين  
 مخالفة الواقع ، والمعقول ، كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث . وأنا أستحيى من  
 شرح هذا في مجلة ( الرسالة ) ، على رغم أن الأستاذ لم يجد بأساً في أن يعرفنا أن الخبر  
 / ٢٠٤/٢ ما يحتمل الصدق والكذب ، وأن وأن .... إلخ إلخ ، مما يدرسه الطلاب المبتدئون . وأنا  
 قد عملت بما أعرف من أصول البحث والتحقيق من دون أن أؤمن على قرأى . أما أستاذنا  
 الفاضل فقد ملأ رده من مثل هذه الألفاظ : رواية ، دراية ، أصول نقد ... إلخ ، وكلامى  
 وكلامه أمام القارئ ، وله وحده أن يحكم أين الرواية والدراية والأصول حقيقة لا ادعاء ،  
 وما التهويل بمغني عن أحدنا فتيلاً .

كنت أتوقع أن يتحفظ الأستاذ بالبراهين التي سَوَّغت له رد الروايات فلم يفعل .  
أقول لم يفعل ، لأن أقواله : « رفضناه ورددناه وأسقطنا الثقة به والاعتماد عليه » ، « إن هذا الخجل الذي يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواة » ، « أخبار متداولة تهوّر كثير من الأدباء في التسليم بصحتها » ، « أما كلمة كافور فمفتعلة » « وأسخف من هذه الرواية رواية من يروى .... » = « إن أقواله هذه ، ولو أتبع كل كلمة منها بجميع مرادفاتها ومؤكداها اللفظية والمعنوية ، هي أليق بمظاهرة هتافية ينادى فيها بسقوط فلان وفلان ، منها يبحث علمي ، العمدة فيه الحجة والبرهان . وأى شيء في أن ينبز كاتب روايات التاريخ بالبطلان والكذب ، ثم لا يكون دليله عليها إلا أنها كذب وبطلان !!

هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ما ليس تحمل ، فأنا لم أدع للمعري تنزهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن « ورود خبر في كتب العلماء هو الدليل الذي لا دليل غيره » ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة ، بل هو مما ييسر للمحقق / وسائله . كما أنى لم أسلم بكل ٢٠٥/٢ الروايات ولم أعدها صحيحة ابتداءً ، فقد رددت منها ما وجدت فيه إلى الرد سبيلاً ، ونقدت حكماً أدرج في مصدر من أمهات المصادر وأجلها ، وهو خزانة الأدب ، حبن وجدت للنقد مجالاً ، ولكل من النقد والرد والتسليم مواطن . وكيف تريدني أن أقنع قرأى بأمر لم أقتنع به ، وإلى أشياء أخرى يتحقق من رجع إلى مقالى أنى لم أذهب إليها ؟  
ونحن لم نتهم الأستاذ بالعصبية للمتنبي ، ولكنه هو قدّم لنا في رده دليلاً على عصبية لرأيه ، وليس لنا في هذا الأمر يدان . ولما قلت عن كافور : « وكافور ليس من الذين يختلفون على شاعر ، ولا ممن يروج الاختلاق » ، خُيِّل للأستاذ أن ثمة نصراً مؤزراً فقال : « إن الأستاذ قد حكم على كافور حكماً لم يرد له ذكر في كتاب ، فهل يستطيع أن يؤيد هذا الحكم بالدليل التاريخي والبرهان العقلي : أن كافوراً لم يختلف على الناس ولا يروج الاختلاق ؟ لقد أتينا نحن ( بارك الله ) بالروايات ونقضناها بالدليل - ضعيفاً أو قوياً - أما أستاذنا فقد حكم على رجل بغير دليل ولا بينة من التاريخ أو غيره » اهـ .

وعلى رغم أن الدليل على المثبت لا على النافي - كما لا يخفى على الأستاذ الأصولي - وأن على من يدعى على كافور الاختلاق وترويجه أن يقيم البيئة ، على رغم هذا نخيل ٢٠٦/٢ الأستاذ على الذهبي الذي وصف دينه وتواضعه فقال : « وكان يداوم الجلوس غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس ، وكان يتعهد ويكرّم وجهه ساجداً ويقول : « اللهم لا تسلط على مخلوقاً » ، وكان يرسل كل ليلة عيدٍ وقرّ بغلٍ دراهم في صُررٍ بأسماء من أرسلت إليهم من العلماء والزهاد والفقراء .... » .

ونخيله أيضاً على الذهبي وغيره من المؤرخين الذين أجمعوا على وفور عقله وحسن تدبيره وصلاحه . ويرى الأستاذ معنا أن فقه هذه الروايات - وهو الخبر بالرواية والدراية - يجعل كافوراً بمنجاة من النزول إلى هذا الدرك ، وإن في أمور ملكه وبعد غوره ، ما يشغله على الاختلاق على شاعر تكفى إشارة منه لتذهب برأسه . إن ما يسبغه المؤرخون على كافور من الصفات ، يكفي لنقول ببعده عن جميع السفساف جملة واحدة . ففى التاريخ بينة وفيه دليل ، ولكن للعجلة في الحكم آفات .

هذا وفي نفسى مما أورده الأستاذ المحقق شيء ، فهل يسمح لى أن أطالبه بالدليل العلمى على قوله الجازم : « أعلم أن أكثر ما يروى في ترجمة هذا الرجل ( المتنبي ) وغيره من الرجال ، إنما كان من الأحاديث التى تتناقلها مجالس الأدباء ولا يراد بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، بل إن كثيراً مما يروى في تراجم رجالنا كان مما يراد به مضغ الكلام في مجالس الأمراء أو في سامر الأدباء ... إلخ » . وهل يفضل فيبين لنا البرهان القاطع في قوله جواباً على سؤالي : « إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل الرواة إلخ » ، فمن هم هؤلاء الرواة الذين لفقوا / الأباطيل ؟ إلى متى أعرفهم ، يسهل على من دون شك أن أسأل عن الأسباب الحادية لهم على التلفيق .

وأنا غير مطمئن إلى قول ابن جنى في سبب تلقيب أبى الطيب بالمتنبي ، فابن جنى مفرط في حبه لصاحبه والدفاع عنه ، وهو متهم فيه . فهل لأستاذنا أن يعزز قوله بروايات أخرى سبيلها على غير ابن جنى وعلى غير ما حوله ؟ فإن تعذر هذا ، فلا عليه أن



يؤيدها بأدلة لا اعتراض للفكر السليم عليها . ولا بأس أن نقول له ، وقد قرأنا ختام رده الذى أثنى فيه على نفسه وعلى كتابه بما هو له أهل : أنت كما أثبتت على نفسك ، ولكن إذا كان كتابك قد اتخذته - كما زعمت - بعض الكتاب « مصدراً استنبطوا به أصول النقد » ، فلسنا بالذين نسمى الطعن المجرد للروايات أصولاً فى النقد ، وما لهذا أيضاً علاقة بالبحث . وهلاً إذ ذكرت ذلك دللتنا على أسماء هؤلاء الكتاب والمجلات التى نشروا بها ، والمواطن التى قلدوك فيها ، لهنثك على شيوع مذهبك وكثرة المؤمنين به ؟ ولعلك فاعل عن قريب إن شاء الله .

أما أنا فما كنت أظن قط أن أسطراً تذكر عرضاً فى رد فكرة ، تثير مثل هذا الفاضل فيحمل منها هماً يجد وقَّره وعنته اثنين وأربعين يوماً ، ثم ينفثه فى رده الذى تكرم به على مثل هذا الشكل .

لقد وددت والله لو أن الأستاذ شاكرًا نقب عن الحجة وتحرى الحق لأعترف له به وأرجع إلى قوله . وصحف ( الرسالة ) أحوج إلى أن تملأ / بالحقائق والبرهان ، منها إلى ٢٠٨/٢ الدعوى والانتقاض . وأتمنى للأستاذ أن يهجر هذا الأسلوب فى الجدل ، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً ، كما لم يغن طنين الأستاذ صروف بالإشادة بمزايا الكتاب فى مقدمته . والمأمول من الله أن يأخذ بيد الأستاذ شاكر فيتم لنا كتابه الضخم عن المتنبي الذى قدَّر بأربعة مجلدات ، وأتمنى أن أراه قريباً ، وأن أرى فيه حقائق الرواية والدراية وأصول النقد ، لا ألفاظها فقط . وليس بهمهم بعد ذلك أن تكون هذه الأصول حديثة يخترعها الأستاذ ، أو قديمة على غرار ما تألف عقول هذا الناس ، إنما المهم أن تكون صحيحة سوية .

وسأكون سعيداً حقاً يوم ينقد الأستاذ الأخبار خيراً خيراً ، فيعارض بينها ويقابل ، ويمحصها تمحيصاً يرضيه هو ويستفيد منه القراء الذين لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيل من صاحبه ومراوغة فى الخط منه ، فإن هذا هو الأشكل بالأستاذ الكريم والأليق بفضله والأولى بسجاياه ، وله - فى الختام - شكرى وخالص تقديرى ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

## نبوة المتنبى أيضاً

محمود محمد شاكر

/ أخى سعيد الأفغانى

٢٠٩/٢

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فإنى أشكر لأخى حُسن ظَنُّه لى فى بعض كلامه ، ومسارعته فى الرد على كلمتى التى نشرتها الرسالة ( العدد ١٦٧ ) . هذا على أنه ليس يَحْمِلُ بالأستاذ أن يحْمِلَ نفسه تكاليف الرد على مثلى ، فإن الذى بيننا من التخالُفِ فى الطبيعة ، والتباين فى الجبلة ليقوم فى هذا الأمر مقام الرد . وأيضاً ، فليس مما يحسُنُ به أن ييسُطَ عذره للقراء عن تأخر الردِّ بحولته فى قرى ( البقاع ) ، وأن قراءته للذى أتيت به من الكلام كانت بعد عشرة أيام من صدوره . وليعلم الأستاذ الجليل أنى أحب أن يحملنى على طبيعتى ، وأن يتقبلنى على علتى ، وأن يعرفنى رجلاً شيمته العجزُ ودأبه التخلُّفُ ، فلا قِيلَ له بمثل قدرة الأستاذ وقوته على مدِّ الشوْط ، هذا على ما ركَّب فى أصل خلقتى من الحدة والثورة وضيق الصدر . وليس أدلّ على ما بيننا من تباين الجبلة - من الذى استيقنه الأستاذ وأثبتته فى من التخلُّفِ والعجز ، والذى رأيت فيه من القدرة والمسارة ، فهو لم يضيق ذرعاً بكل الذى كتبناه ، ولا تخلف فى ردِّ كلامنا وإسقاطه بالحجة والبيان والبرهان ، فى أوجز لفظ ، وأوزن فكر ، وأدق فهم ... ثم فى أقل وقت . وأنا - على / نقيضه ، فأنا كما وصفنى الأستاذ حين يقول : « أما أنا فما كنت أظنُّ !! أسطراً تذكر عرضاً فى ردِّ فكرة تثير ( مثل هذا ) الفاضل ، فيحملهماً يجد وقره وعنته اثنين وأربعين يوماً ، ثم ينفته فى ردّه الذى تكرم به على مثل هذا الشكل » . ولا أدرى لم

٢١٠/٢

لا يظنُّ الأستاذُ ذلك ؟ ألا فليعلم أخى سعيد أن اثنين وأربعين يوماً ليس كثيرٌ دَهْرٍ على عاجزٍ وَجِلٍ هَيَّابٍ متخلفٍ ، وأن كلمته الصغيرة - التى أثارتنى فحملت همًّا أجد وَقَرَهُ وَعَنَتَهُ اثنين وأربعين يوماً - كانت مما يقتضىنى عامين على الأقلِّ فى تقلبيها وفهمها ودراستها أوأصل ليلها بالنهار ، ثم فى الاستعداد للردِّ ، ثم فى جمع شتات الذهن ، ثم فى نفى الذهول عن العقل والفكر ، ثم فى كتابة ما يُسَوِّلُ لى قليلٌ علمى تحريره والنظر فى صدوره وأعقابه .

وبعدُ أيضاً ، فإن أخى سعيداً قد رمانى بقارصاتٍ ، وهو الذى يقول عن كلمتى فى الرسالة : « وصحف الرسالة أحوجُّ إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها إلى الدعوى والانتقاض ، وأتمنى للأستاذ أن يهجر هذا الأسلوب فى الجدل ، فما هو بمغنيه عن الحق شيئاً ، كما لم يغن ( طنين ) الأستاذ صروف بالإشادة بمزايا الكتاب فى مقدمته » اهـ .

ولست أدرى ! فلعلَّ صحف الرسالة قد غنيت بأساليب البيان العبقري ، والسخرية النابغة من مثل قوله عن كلمات فؤاد صروف ( طنين الأستاذ صروف ) ، فالطينين فى هذه العبارة كلمة بيانية مبتدعة ، فيها من الفنِّ والموسيقى ما يتضاءل معه إبداع جَلَّةِ الكُتَّاب والشعراء والموسيقيين . ومثل / الذى يقول : « وأنا أعوذُ بالله من ٢١١/٢ الغرور ، والذهاب بالنفس ، ومن الجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم ، والعصية للرأى والهوى ، فما يزال الناس - والله الحمد - يقيسون فضل المرء بخضوعه للحق ، وإتقانه لعمله ، لا بدعواه و ( تبجُّحه ) » ، إلى آخر هذا الكلام البليغ الذى لو أرادَه الجاحظ وجهده فيه واحتفل له ، لما تعلقَ بذيله ، ولا جرى فى غباره . وأنا أعوذُ بالأخ أن يعودَ إلى مثل هذا القول ، فإنى أكره أن أجزى أحاً لى بالذى أعلم أنَّه يؤذيه ويُرِمُّضُه ، فيذهله عن منازل الصَّير ، ويستفِرَّه عن مواطن الحلم .

وليسَ أحبَّ إلى نفسى من أن أهتدى إلى الحق على علم وبصيرة ، وأن أخضعَ له على الرضى والغضب ، وأن أعمل على إقراره ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً . فلا يتبعن - أخى الأستاذ سعيد - ظنه أنَّا من أهل الغرور ، والذهاب بالنفس ، والجهل بمقدارها ، والمكابرة

في العلم ، والجدال فيما لا جدوى منه ولا منفعة . وسأنتهى - إن شاء الله - مع الأخ إلى النهاية التى يرضاها غير باغ ولا ظالم . فأوّل ما أبدأ به بيان ما ورد فى كلمته ( الرسالة ١٧٠ ) ، من التهافت فى بعض القول ، ثم أعقب على ذلك بذكر نبوة أبى الطيب ، وتقرير القول فى نفيها على وجه يبلغ بنا رضاه ، ثم أجيبه عن كل ما سألني من شىء . فإن اعترض فى خلال ذلك ، نظرت فى الذى يأتى به ، فإن غلبنا على الحق ، أسلمنا وبذلنا له الطاعة ، وإن رضى ، قولنا فهو عند قاعدته التى ذكرها « ألا يحفل نقداً أو رداً إلا إذا كان حقاً ، وسيله أن يأخذ نفسه به ، ويشكر لصاحبه » .

٢١٢/٢ ١ - / قال الأستاذ سعيد حين ذكر خبر التنوخى ورأينا فى رده : « سأل التنوخى أبا الطيب عن معنى ( المتنبي ) فأجابه : « إن هذا شىء كان فى الحداثة » ، وظاهر أنه يعنى التلقيب لا التنبؤ ، فجوابه غير صريح ، وهو ، كما قال الراوى ، جواب مغالط » اهـ .

والأصل الذى اعتمد عليه الأستاذ فيما ينقل هو ( طبقات الأدباء ) لابن الأنبارى ، ونص الخبر ثم : « قال التنوخى ، قال لى أبى : فأما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبي ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أولاً ، فجوابني بجواب مغالط ، وقال : إن هذا شىء كان فى الحداثة ، فاستحييت أن أستقصى عليه وأمسكت » . وهذا نص قد اختصره ابن الأنبارى على عادته ، وجاء الأستاذ سعيد فأراد أن يبين وجه المغالطة فى الجواب ، فزعم أن أبا الطيب يعنى التلقيب لا التنبؤ فى جوابه . وكان أولى بالأستاذ قبل أن يؤول الكلام على هذا الوجه ، أن يتدبر القول وينظر فيه على الصورة التى يؤوله بها ، ثم يبين وجه المغالطة بياناً لا يُسقِطُه العقل .

يقول التنوخى : إنه سأل أبا الطيب عن معنى ( المتنبي ) ليسمع منه هل تنبأ أو لا - أى هل كان اللقب لحادث عن نبوة كانت منه أم هو نبؤ نبز به ولقب - فيجيبه أبو الطيب : « إن هذا التلقيب كان فى الحداثة » ، فأين المغالطة فى هذا الجواب ! وفى المسألة وجهان : إمّا أن يكون التنوخى قد سأل أبا الطيب مصرحاً بالذى أراده فقال

له : هل ادّعت فسُميت المنتبى ؟ فيقول أبو الطيب : « هذا شيء كان في الحادثة » ، فيكون المراد « النبوة » ولا شك ، / وإما أن يكون قد سأل عن علة تلقيبه بالمنتبى ، ٢١٣/٢ فيقول : « هذا شيء كان في الحادثة » ، فيكون جواب رجل لا يجب أن يمتد في الحديث فهو يقطعه على سائله ، فهو يقول له : إن هذا اللقب وسببه كانا في الحادثة ، ولست براضى عن سؤالك . فليس في هذا مغالطة . ثم إن امتناعه عن ذكر علة غير النبوة في سبب التسمية ، دليل على أن « النبوة » هى العلة في التلقيب ، لأن اللفظ صريح في الدلالة على المعنى . وليس يغفل أبو الطيب عن معنى هذا اللقب ، ولا يظن أن الناس غافلون عنه ، فيكون امتناعه عن ذكر العلة مما يوقعهم في حيرة من تأويل معناه .

ثم ما الذى يضرُّ أبا الطيب لو كان هذا التلقيب في الكبر ولم يكن في الحادثة ؟ فحرصه على تخصيص ما أراد من المعنى بالحادثة ، ينفى إرادة ( التلقيب ) ألبتة . وأولى حين يكون التخصيص بالحادثة أن يراد بذلك « النبوة » ، فإن قوة التدفع ، وسمو الطموح ، وإشراف النفس ، وتهاويل الأمل ، هى بالحادثة ألزم ، وهى التى تؤثر نيران الشباب فتدفعه إلى المغامرة والتهور والمخاطرة على غير هدى ولا بصيرة ، حتى يركب بها صاحبها الحدث العرُّ كلَّ مركب من الحماسة ، ويَرِد بها كل مورد من الغرور ، فلا يرعى عن أن يدعى ما لا مطمع له فيه ، ولو كان النبوة .

وقول التنوخى بعد جواب أبى الطيب : « فاستحييت أن أستقصى عليه فأمسكت » ، دليل على أن الرجل اكتفى بإشارة أبى الطيب إلى حادث « النبوة » ، وأمسك عن الذى كان يريدّه أولاً من التصريح في إثبات ما كان من أمره في ادعاء « النبوة » .

/ واختصار ابن الأنبارى خبر التنوخى ، هو الذى دفع الأستاذ إلى هذا التأويل . ٢١٤/٢ وأصل خبر التنوخى أنه قال : « حدثنى أبى قال : أما أنا فأتى سألته بالأهواز سنة أربع وخمسين وثلاثمئة - عند اجتيازه بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا - عن معنى « المنتبى » ، لأنى أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ، فأجابنى بجواب مغالط لى ، وهو أن

قال : هذا شئ كان فى الحادثة أوجبه الصورة ! فاستحييت أن أستقصى عليه وأمسكت . فالمغالطة فى قوله « أوجبه الصورة » ، والصورة ههنا الصفة ، على اصطلاح أهل الكلام ، وصفة الحادثة لا توجب ادعاء « النبوة » ، فهذا هو وجه المغالطة . فلما رأى التنوخى - وهو شاب لم يَعدُ السابعة والعشرين من عمره ، وأبو الطيب إذ ذاك شيخٌ قد نيف على الخمسين - ما أصاب هذا الشيخ من الحرج وضيق الصدر حتى لجأ إلى المغالطة فى التعليل ، وتسويغ فعلته على السفسطة ، آستحيا أن يستقصى على هذا الشيخ ، فأمسك عن الذى يؤله ويغيطه ، ويضع من كبريائه ، ويحط من شيخوخته ، ويلجئه إلى ركوب الإحالة فى المنطق ، والفساد فى التعليل .

٢ - ويقول الأستاذ سعيد : « يورد الأستاذ على حديث أبى على بن أبى حامد شبهة واحدة ، بعد أن يقرّ بإحكامه ، ويقول عنه فى ص : ٨٦ : « فهو حديث محكم لا يأتيه التوهين إلا من قِلْ غرابته عما جرت عليه الأحكام فى شأن من يدعون النبوة .... إلخ » . وقد أطال فى بيان وجه الغرابة بما لا فائدة بنقله هنا : ( سبحان الله يا سعيد !! ) ، والذى فى كلام أبى على / هو هذا : « فاستتابه وكتب عليه وثيقة ، وأشهد عليه فيها بطلان ما ادّعه ورجوعه إلى الإسلام » ، وجلّى أنهم استتابوه من دعوى النبوة فرجع بذلك إلى الإسلام ، أما الوثيقة فهى ببطلان علويته ، وبهذا تزول شبهة الأستاذ ( !! ) ، فإن من المألوف أن تكتب الوثائق فى إثبات الأنساب ونفها « اهـ .

\*\*\*

وعجب أمر الأستاذ سعيد فى حرصه على تأويل الكلام بما لا وجه له ولا أصل . وهو فى نقله هذا النص قد اعتمد على كتاب ابن الأنبارى ، وهو مؤلّع باختصار الأخبار ( واختزلها ) ، وهذا تمام خبر أبى على بن أبى حامد :

« أخبرنا التنوخى ، حدثنى أبى ، قال حدثنى أبو على بن أبى حامد ، قال : سمعت خلقاً يحلب يحكون -- وأبو الطيب بها إذ ذاك - أنه تنبأ ببادية السماوة ونواحيها ،

إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبَل الإخشيدية ، فقاتله وأنفره ، وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب . وحبسه في السجن حبساً طويلاً ، فاعتلّ وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه : ورجوعه إلى الإسلام ، وأن تائب منه ، ولا يعاود مثله ، وأطلقه .  
فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية في هذا الخبر ، ولا في غيره مما روى عن أبي عليّ بن أبي حامد هذا ، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه ، / وهو لم يذكرها فيه ولم تردّ عنه في ٢١٦/٢ خبر غيره ، ثم تعمّد إلى الكلام فتزوّل بعضه على النبوة وبعضه على العلوية ، فتجعل التوبة للأولى والوثيقة للآخرة ؟ ورحم الله أبا عثمان الجاحظ ، فلو أنه أدرك عصرنا هذا لقال في ذلك أمثل مما قال في إبراهيم النظام ، <sup>(١)</sup> فنص الخبر مبين عن أن أمير حمص كتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ( ١ ) بأن ما ادّعاه باطلٌ - وهو النبوة - ( ٢ ) وأنه رجع إلى الإسلام ( ٣ ) وأنه تائب منه ( ٤ ) وأنه لا يعاود مثله . فهذه أربعة في قرَن كانت في هذه الوثيقة ، فكيف تسوِّغ عريّة الكلام للأستاذ سعيد تأويله وبيانه ؟ فلو سلمنا للأستاذ سعيد بالذي ذهب إليه لكان سياق الكلام هكذا : « حتى سئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ادعائه العلوية ، وأنه رجع إلى الإسلام ، وأنه تائب ( منه ) ، وأنه لا يعاود مثله » ، فعلى أيّ الكلام عطفت جملة قوله « وأنه رجع إلى الإسلام » ، وإلى أيّ مذكور يرجع الضمير في قوله « وأنه تائب ( منه ) » ؟ وكيف تردّ أوائل هذا الكلام على أواخره ليستقيم على عريته ؟!

إن أخى الأستاذ سعيداً ليأخذ من الكلام ما يشاء ويدع ما يشاء ، وبذلك ( تزول شبهة الأستاذ ) ، أو كما قال .

٣ - ثم يقول : « عرض الأستاذ لرواية الهاشمي التي قال فيها : ( كان أبو الطيب لما خرج إلى كلب وأقام فيها ادعى أنّه علويّ ، ثم ادّعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علويّ ،

(١) وصفنا الأستاذ سعيد بمقالة أبي عثمان في إبراهيم النظام ، فراجعه ص : ٥٤٦ .

إلى أن أشهد عليه في الشأم بالتوبة وأطلق ) . وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى . / ومنها ومن الرواية التي قبلها نفهم ٢١٧/٢ أنه لما أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين ، وليس في الأمر مشكلة ولا تناقض .... » اهـ .

يقول الأستاذ سعيد إن هذا الخبر الذي رواه يعنى ( أنه ما تخلى عن دعوى العلوية ، وحين ترك ادعاء النبوة بقى على دعواه الأولى ) ، والخبر يقول إنه « ادعى العلوية ، ثم ادعى النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى » ، والعربية تقول إن هذا النص لا يمكن تأويله على الوجه الذي أراده الأستاذ ، فإن لها ألفاظاً ، وإن لألفاظها معانئ ، وإن لمعانيها حدوداً ، فأخراج المعنى عن حده إخراج للفظ عن معناه ، وإخراج اللفظ عن معناه إخراج له عن العربية . يقول الخبر : « ثم عاد يدعى أنه علوى » فيقول الأستاذ مؤولاً ، ومعنى ذلك « ثم بقى على دعوى العلوية » !! ثم يقول الأستاذ : « ومنها ومن الرواية التي قبلها نفهم ، ( أو لا نفهم ، فالأمر بعد هذا سواء ) ، أنه لما أطلق ترك الدعويين معاً ، فتاب من تنبئه ، وكتب وثيقة ببطلان انتسابه للعلويين » . ففى الخبر الذى قبل هذا أقحم الأستاذ العلوية ولا ذكر لها فيه ، وجعل الوثيقة المذكورة فيه يراد بها دعوى العلوية . وفى هذا الخبر الذى رواه ولا ذكُر للوثيقة فيه ، أقحم الوثيقة التي يراد بها الإشهاد عليه فيها ببطلان انتسابه للعلوية التي ادعاها ، وذكرها الخبر مرتين . فهذا أروغ ما وقع لى من القدرة على الجمع بين الروايات ( كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث ، وأنا أستحي / أن أشرح هذا في مجلة ( الرسالة ) ... مما يدرسه الطلاب المبتدئون ) . (١)

وهذا الخبر أيضاً اعتمد الأستاذ في نقله على ( اختزال ) أبى البركات ( ابن الأنبارى ) في طبقات الأدباء . وسياق الرواية هكذا : « وقد كان المتنبي لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ، ادعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه



علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعوين ، وحبس دهرًا طويلاً وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق . « وقد كان هذا النصُّ أمثل من ( مختزل ) ابن الأنباري للذي يعتمدُه الأستاذ من التأويل ، وهو أحفل له في استخراج مادة الجدل في التفسير والتوجيه . على أن هذا الخبر هو كما وصفناه في كتابنا هذا ص : ٢٠٧ ، « عجبٌ لا يُفَرِّغُ من العجب من اختصاره وتداخله » . فمن ذلك أنه صريحٌ بينٌ في الدلالة على أنه قد أُشْهِدَ على أي الطيب مرتين : ( الأولى ) إشهادٌ عليه بأنه قد كذب في ( الدعوين ) ، و ( الآخرة ) استتابةٌ وإشهادٌ عليه بالتوبة .

ففي المرة الأولى ذكر ابن أم شيان اهاشمي ( دعوين ) أُشْهِدَ أبو الطيب على نفسه بالكذب فيهما ، فإن أراد ( بالدعوين ) دعوى العلوية ودعوى النبوة جميعاً ، كان كلامُهُ كُلُّهُ خَلْطاً مُتَدَاخِلاً ، فإنه ليس يكفى فيمن ادعى النبوة أن يشهد على نفسه بالكذب ، بل لا بُدَّ معه من الاستتابة والرجوع إلى الإسلام والإقرار به ، فإن لم يُعْطَ ذلك قُتِلَ ، فإن كان فُعلَ معه ذلك / وتاب وأقر ، فما قوله بعد ذلك : « وحُبس دهرًا طويلاً ٢١٩/٢ ( سنتين ) وأشرف على القتل ، ( ثم ) استتيب ، وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ، ولم أعيدت استتابة ؟ أيكون هذا كله لغواً باطلاً من القول !!

فإن أراد ( بالدعوين ) ادعاء العلوية في المرة الأولى والمرة الآخرة ، فالأمر في ذلك على خلاف المعقول . أيقدم الوالى الإشهاد بالكذب في دعوى العلوية ، وهي لا تُخْرِجُ من الإسلام ، ولا يكفر بها مُدَّعِيها ، ولا يقتل من أجلها إن أصرَّ عليها = ويدعُ ادعاءه النبوة فلا يقتله أو يستتبه إلا بعد أن يجبسه دهرًا طويلاً حتى يشرف على القتل ، فيومئذ يستتبه ويُشْهِد عليه بالتوبة !!

ولفساد هذا الخبر وجوهٌ أخرى ، ولكنه على أي وجهيه أدركته ، لا يسوغ للأستاذ أن يقول فيه « وهذه الرواية تعنى أنه ما تخلّى عن دعوى العلوية ، وحين ترك النبوة بقى على ادعائه العلوية » ، إلا أن يلغى معانى الكلمات التى وردت فيه ، أو يحيلها عن وجهها ، فتكون « ثم » ، « وعاد » كلمات مغسولة من المعانى ، ثم يزيد على ذلك أن يزيد في الكلام

معاني ألفاظ لم تكن فيه كقوله : « وحين ترك النبوة بقي على ادعائه العلوية » . ولو أراد الأستاذ أن يتأول هذا الخبر على وجه مُقَارِبٍ ، لما خرج له إلا أن يقول فيه : « إن أبا الطيب تخلى عن دعوى العلوية ، وحين تركها بقي على ادعاء النبوة حتى استتيب فأطلق » ، وهذا محال .

٢٢.٢ وليلعلم الأستاذ أنى تركت له أبواباً من القول توطئى له أن ينفذ إلى / الاعتراض ، فليعترض قولى بما شاء ، ولكنى أسأله أن ينظر فى اعتراضه أولاً ، ثم فى الخبر بَعْدُ ، ثم فى كلامى آخر ، فلعله يجد فى ذلك ما يمنعه من الاعتراض ويقنعه بالصواب . وأسأله أيضاً أن يتحرى فى فهم الأخبار ما تقتضيه عريية الكلام حتى تستقيم له المعانى ، وتنتج به الآراء إلى الحق والهدى إن شاء الله .

## / نبوة المتنبى أيضاً

محمود محمد شاكر

/ اللهم إنا نعوذ بك من فتنة الرأى والهوى ، كما نعوذ بك من سوء الاقتداء ٢٢١/٢  
والتقليد .

٤ - يقول الأستاذ سعيد الأفغانى فى العدد ( ١٧٠ ) من ( الرسالة ) بعقب حديثه عن رأينا فى ردّ رواية اللاذقى - الذى كان قد آمن بنبوة المتنبى أبى الطيب ، وأسلم له ، وبايعة بيعة الإقرار بصدق نبوته ، وزاد أن أخذ البيعة لأهله كذلك : « وقد رددت أنا قسماً كبيراً من رواية اللاذقى هذا لشيء غير ما ذهب إليه الأستاذ الكريم ، وسأبينه قريباً » . وقد وفى الأستاذ بعِدته فأبان خير الإبانة عن ( الشيء ) الذى من أجله ( ردّ قسماً كبيراً ) من رواية ( اللاذقى هذا ) . وهذا بيانه بعد كلام كثير ، يقول : « وقد عجبْتُ كل العجب من الأستاذ - وهو الناقد الأصولى الفنّان ( أستغفر الله يا سعيد ) - حين لم يُلِدْ لم يختصر حديث اللاذقى ؟ إذ أن الأمر ظاهر ، فإن الزيادات التى أهملتها يرفضها العقل ويكذبها الواقع ، ولم تكن ثَمَّت حاجة لأدّل القراء على سبب إهمالها لأن تهافتها بين . وكثير أن تُجرّد عليها حملة كالتى نزل بها الأستاذ الميدان !! فخصّص لها صفحتين من كتابه القيم ، وهو يعلم حفظه الله أن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول ، كما هو مستوفى بكتب مصطلح الحديث » اهـ .

/ عونك اللهم ! فلست أدري من أين أبدأ فى بيان تهافت هذا القول وتناقضه ! ٢٢٢/٢

هذا رَجُلٌ سَمَّاهُ أَبُوهُ مُعَاذًا ، فكان عند الذين قرأوا حديثه « أبا عبد الله مُعَاذُ بنِ إِسْمَاعِيلَ اللَّاذِقِيَّ » ، وهو فى الرواة مجهول غير معروف بصدق ولا بكذب ، وقد جاءنا هذا الرَّجُلُ يَنْبُتْنَا عن أبى الطيب خبر قدومه اللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاثمئة ، فيأتى بحديث طويل ممتد .

- ١ - يذكر فيه حلية أبى الطيب وصفته وسمته وحسن أدبه .
- ٢ - ثم يذكر حديثاً جرى بينه وبين أبى الطيب ، فيقول له اللاذقى : « والله إنك لشابٌ خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير ! » ، فيكون جواب أبى الطيب : « ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبيُّ مرسل » .
- ٣ - ثم يذكر رسالة أبى الطيب إلى أمته الضالة المضلّة ! وغرض رسالته .
- ٤ - ثم ما سمع من قرآن أبى الطيب الذى وصفه بقوله : « فأتانى بكلام ما مرّ بمسمعى أحسن منه » .
- ٥ - ثم يذكر عدد آيات هذا القرآن .
- ٦ - ثم يخرج إلى ذكر معجزة هذا المنتبى فى حبس المدرار ( المطر ) ، لقطع أرزاق العصاة والفجّار .
- ٧ - ثم يقول إنه خرج مع غلام أبى الطيب ليرى المعجزة ، فلما / استيقنها واطمأن بها قلبه ، انفلت إلى أبى الطيب وهو يقول : « أبسط يدك ... أشهد أنك رسول الله » ، فبسط يده فبايعه بيعة الإقرار بنبوته .
- ٨ - ثم لم يَنْ هذا اللاذقى حتى أخذ يبعته لأهله .
- ٩ - ثم يقول بعد : « ثم ( صحَّ ) أن البيعة عمّت كل مدينة بالشام » ( يا سبحان الله ) .
- ١٠ - ثم يعقب على ذلك أن معجزة أبى الطيب كانت « بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب وهى ( صدحة المطر ) » .

- ١١ - ثم يزعمُ أبو عبد الله مُعَاذُ بن إسماعيل اللاذقى رضى الله عنه ! « أنه رأى أهل السُّكُون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون ذلك ولا يتعاضمونهُ ، حتى إن أحدهم لَيَصْدُحُ عن غنمه وإبله وعن القرية التى هو فيها ، فلا يصيبها شئ من المطر .
- ١٢ - ثم يقول إنه سأل أبا الطيب هل دخلت السُّكُون ؟ فيقول له : نعم ! أما سمعت قولى :

مِلْتُ القَطْرَ ، أَعْطَشْتُهَا رُبُوعاً      وإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا  
أُمْنِسَى السُّكُونَ وَحَضْرَمُوتَا      ووالدقى وَكِندَةَ وَالسَّيِّعَا

ثم يقول هذا اللاذقى بعقب ذلك : « فمن ثمَّ استفاد ( أبو الطيب ماجوزه على طعام أهل الشام » .

- ١٣ - / ثم يختم حديثه بما كان يمحرق به أبو الطيب على أهل البادية بإيهاهمهم ٢٢٤/٢  
أن الأرض تُطْوَى له ، وكيف كان ذلك .

- ١٤ - ثم يزعمُ أن أبا الطيب سئل فى تلك الأيام عن النبى ﷺ ، فقال :  
« أخبر بنبوئى حيث قال : « لا نبى بعدى » ، وأنا اسمى فى السماء ( لا ) » .

هذا مختصر حديث هذا اللاذقى ، وأنت إذا قرأته بتمامه رأيتهُ أحقق قول يعجزُ عن الإتيان بمثله أحققُ معنوه ، لما فيه من الاضطرابِ والسخف والتلفيق والكذب ، وقلةِ مبالاة هذا الرجل بنسبة الكفر إلى نفسه ، حين زعم أنه قال لأبى الطيب : « ابسط يدك ، أشهد أنك رسول الله » ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

...

فهذه أغراضُ فى كلام اللاذقى قد بينا لك عددها ( ١٤ ) ، تناول منها الأخ سعيد ثلاثة أغراض هى الثلاثة المتتابعة فى تعدادنا ، وقذف بالباقيات وردّها وأهلها ، لأنها مما ( يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع ) ، كما قال فى كلمته الأخيرة ، ومن قبل ما قال فى كلمته

التي نشرها في ( الرسالة العدد ١٦١ ) : « وسأعفى نفسى من أشياء كثيرة ، وردت في ( الصبح المنبى ) لا يقبلها عقل ولا تؤيدها قرائن » ، ويعنى هذه الرواية عن اللاذقي . وأنا أسأل الأستاذ سعيد أن ينصف نفسه وينصفنا ، وأن يعفينا من التأويل وطلب الحجة فيما لا تأتى منه الحجة إلا متكئاً على أبعد وجه وأضل سبيل .

فانظر ، أيها الأستاذ سعيد : إِمَّا جاءك رجلٌ بحديث قد استيقنت أن نصفه كذب قد مُزج بقول غير معقول ، أفأنت مصدِّقُه في سائر الحديث الذى جاءك به ؟ فإن قلت : لا أصدقه في سائر حديثه ، فقد بطل ما جاء به هذا / اللاذقي كله ، لأن أربعة ٢٢٥٢ أخماس من حديثه مما ( يرفضها العقل ويكذبها الواقع ) كما قلت أخيراً ، ومما لا يقبلها عقل ، ولا تؤيدها قرائن ، كما قلت أولاً .

وإن شئت أن تتطلب الجدل فقلت : أصدق بعضه ، وأكذب بعضه . فإنك غير قادر على أن تنشئ لهذا رأى حجة يلجأ إليها ، أو دِعاة يعتمد عليها ، فإن هذا اللاذقي رجلٌ مجهول في الرواية لا يُعلم حاله في صدق أو كذب ، ومن كان كذلك نُظر في قوله ، فإن كان الذى يأتى به من الرواية صدقاً ، كان ذلك مانعاً من اتهامه بالكذب إلا ببينة أخرى ، وإن كان كذباً لم تجد بُدّاً من وسمه بالكذب وإسقاط روايته كلها ، وجملة واحدة ، ويصبح ما أتى به كله كأن لم يُرو ولم يعرف ، فلا ينظرُ إليه في رواية أو تاريخ .

فإن قلت : أقبل المعقول وأردُّ غير المعقول . فلا بُدَّ من أن نقول لك إنك قد اعتمدت في بعض قولك على مذهب أهل الحديث في علم الرواية ، فقلت : « إن من أدلة الوضع عند المحدثين مخالفة الواقع والمعقول » ، ونعم ، فإن رواية ما يستحيل أن يقع ، وما لا يأتى على وجه يرتضيه العقل ، ساقط عند المحدثين ، وهم يتهمون صاحبه بالكذب والوضع فلا نقبل له رواية أبداً ، ولو كانت صادقة ، ولو كان في قول غيره من الصادقين ما يقع عليها حرفاً حرفاً ، وكلمة كلمة . فهذا مذهب القوم بتامه ، ومذهب عقلاء الناس في أمر دينهم ودنياهم .

وأعلم أيها الأستاذ سعيد أن القول يُردُّ ويُرفض ويُكذَّب صاحبه ، لأنه غير معقول ويستحيل وقوعه ، ولا يمكن في العقل أن يطرَد عكسُ هذه القضية . فليس يُقبل القول ويُرتضى ويُصدَّق صاحبه لأنه معقول وجائز وقوعه وحدوثه . ولست أشك في موافقتك لى على هذا ، إذن فليس من / الحكمة ولا من الصواب ولا من العدل ولا من ٢٢٦/٢ العلم أن تختصر حديث اللاذقي ، فتأخذ منه المعقول الجائز الحدوث ، وأنت تردّ سائر حديثه بل أكثره ، ثم تقول عنه في عدد الرسالة ( ١٦١ ) : « وقد حفظ لنا ( التاريخ ) مشهداً من مشاهد هذه الدعوة ( النبوة ) في اللاذقية » . فليس شيء من كلام الوضاعين والكذابين مما يصحّ أن يعتمد عليه في تاريخ أو غيره .

ثم لو نظر الأستاذ سعيد إلى هذا الحديث الذى عدّه ( مما حفظ التاريخ من مشاهد دعوة أئى الطيب إلى نبوته ) ، لوجد يقيناً أن هذا المختصر من حديث اللاذقي هو أيضاً ( مما يرفضه العقل ويكذبه الواقع ) و ( مما لا يقبله عقل ، ولا تؤيده قرائن ) ، فإن فيه من الوهن والضعف والتخالف والتناقض ما لو تدبّره الأستاذ - وهو يدرس شعر أئى الطيب ، ويصوّر منه نفسه وطبائعها وغرائزها - لعلم أنه موضوع متكلف ليس فيه من الصدق شيء . ولم أُرِدْكَ بسوءٍ ، أيها الأخ ، إذ قلت في كلمتى السابقة : إنك تأخذ من الكلام ما تشاء ، وتدع ما تشاء ، فتزول بذلك شبهاتك .

إن للرواية أصولاً لا يتأتى لأحد أن يخرج عنها إلا بحجة لا تسقط عند النقد والنفى ، ومن أصول الرواية ألا تُقبل رواية من كذب في أحاديث أو وضعها ، وإن كان سائر الذى يرويه مما تُعصّده فيه رواية غيره من الصادقين ، فكيف بمن يكون أمره في الحديث الواحد : أربعة أحماس كذب غير معقول ، والخمسُ الباقي تختلفُ عليه الآراء في وصفه بأنه صدق أو كذب ، أو معقول أو غير معقول ، أو تؤيده قرينة أو لا تؤيده قرينة ؟ ألا إن هذا أولى بالإسقاط والرفض والتبذ حيثما تُقف ، وكذلك هو حديث هذا اللاذقي المجهول .

٥ - / وقد أراد أستاذنا سعيد أن يوهم قارئ كلامه أننا اتخذنا رأينا - في نسبة أبي الطيب إلى الشجرة العلوية المباركة - ( برهاناً ) على رد رواية هذا اللاذقي المجهول لقولنا في ص : ٢٠٧ : « أما اللاذقي فمجهول ولا يتيسر لنا نقد سنده ، ولكن مما لا شك فيه أن اللاذقية التي نسب إليها ، كانت لوقت أبي الطيب موطناً لفئة من العلويين ، ومَحَطّاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في التاريخ العربي كلّهُ . فلذلك لم يتورّع عن بثّر بقية كلامنا ، فقد قلنا بعقب هذا وبغير فصل : « فلا بأس من أن تجعل هذا ذكراً مذكوراً وأنت تتبصّر في أصل الرواية على وهنها وتضاربها ، ونهائلك معانيها التي يفسد بعضها بعضاً كما ستري » . فلو كنا قد اتخذنا هذا ( برهاناً ) لقلنا مكان ( فلا بأس ) ( فلا بد ) ، ليستقيم المعنى الذي أراده لنا الأستاذ الجليل . ويخيل إلّى أن الأستاذ سعيداً سيحاول أن يقع في هذا الكلام بالتأويل . فأنّا أضرب له المثل على الفرق بين هذا وذاك ، ليدع هذا الذي يعتمد إليه من أفانين الكلام . فإنك لو أردت أن تعلم جاهلاً دين الإسلام بعد إيمانه بصدق القرآن ، وأنه وَحْيٌ من العزيز الحكيم ، ثم أخذت تفهمه أنّ الصلاة عمود الدين ، وأن الله أمر بها عباده ، والبرهان والدليل على ذلك قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة » ، فليست تقول له بِعَقِبِ ذلك : « ( فلا بأس ) من الصلاة » ، وإنما تقول : « فلا بد من الصلاة » .

ولو تدبر الأستاذ قليلاً ، كما سألناه في كلمتنا الأولى ( عدد الرسالة ١٦٧ ) ، لعلم أن الإشارة في هذا الموضع هي إلى الذي قلناه في كتابنا ص ١٥٠ - ١٥٦ ، / من أنه كان بينه وبين العلويين عداً وحفيظة ، <sup>(١)</sup> بلغ من أمرها أنهم أرصدوا لهُ قوماً من السودان عبيدهم في طريقه بكفر عاقب ليقتلوه - وذلك مُنْصَرَفُهُ من طبرية سنة ٣٣٦ - حتى إن

(١) قد صرفنا القول في كتابنا ونحن نذكر العلويين ، ونريد بذلك العلويين نسباً ، والعلويين مذهباً ( الشيعة ) ، إذ لم نجد ضرورة لتفريق بين هؤلاء وهؤلاء . وليس يخفى على القارئ موضع هذا وذاك .



أبا الطيب لم يحجم عن التعريض بهم ، وهو يمدح كبيراً من أولاد علي رضي الله عنه بالرملة ، وهو أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى فقال في مديحه :

أَتَانِي وَعَيْدُ ( الْأَدْعِيَاءِ ) وَأَنْتَهُم      أُعِدُّوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ  
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَحَذِرْتُهُمْ      فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ

وقال في مدح الأمير آبن طغج ، وقد صحبه أبو القاسم العلوى وأقام معه في الرملة يحضر مجالسه :

وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَثُرِيَّةً      بِهَا ( عَلَوِيٌّ ) جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ

فلهذا ولغيره من آثار العداوة والبغضاء بين أئى الطيب والعلويين ( مذهباً أو نسباً ) قلنا في ص : ١٥٠ : « إن عندنا في أقوال العلويين المعاصرين عن أئى الطيب سبباً للتوقف دون التسليم » .

هذا ، على أن عندنا من الأسباب ما يحملنا على رد رواية العلويين في أخبار أئى الطيب ، وقد ذكرنا بعضها متفرقاً في كتابنا ، وبعض آخر لم نذكره لضيق الوقت ، ورغبة في اختصار القول ، واعتماداً على فطنة القارئ ، / إذ كان في وضع كلامنا ما يُشِيرُ إلى ٢٢٩/٢ أطرافه .

\*\*\*

٦ - قلت في كلمتى التى نشرتها الرسالة ( العدد ١٦٧ ) إن الأخ سعيداً قد لا يجد دليلاً على صحة هذه الروايات التى رُوِيَتْ فى نبوة أئى الطيب ، فيما يزعم ، إلا أنه قد رواها فلان وفلان ، ورواها المعرى - وهو الحجة والثبت ، وقلنا : إن الحكم = بأن رواية المعرى - أو غيره من العلماء ، هذه الأخبار ، مما يصححها أو يرجح الصديق فيها = حكم خطأ لا يصح لأحد أن يتابع عليه ، ولم أقل ذلك إلا لقول الأستاذ فى عدد الرسالة ( ١٦١ ) : « وسأعتمد فى قص الحادث ( يعنى النبوة ) على أئى العلاء خاصة ، لفضله

وتحرّيه وقرب زمانه » ، وهذه الكلمة الأخيرة وحدها تدلّ على أن الأستاذ يُعدّ ما يرويه أبو العلاء عن أبى الطيب مما ترجح فيه كفة الصدق على كفة الكذب . ولكن الأستاذ لم يرض قولنا هذا ، فعاد يقول فى كلمته الأخيرة : « هذا وقد حمل الأستاذ أقوالى ما ليس تحمل : فأنا لم أدع للمعرى تنزهاً عن الخطأ ، ولم أقل بأن » ورود خبر فى كتب العلماء هو الدليل الذى لا دليل غيره ، وما جعلت قرب الزمن دليلاً على الصحة ، بل هو مما يسر للمحقق وسائله » اهـ . وأنا لا أحب أن أكثر القول على أستاذنا فى نقد كلامه هذا ، بل أقول : إن كان فى يدك دليل على صحة هذه الروايات والأخبار فأظهره ولا تكتمه ، فمن قبل ما قلنا لك فى مقالنا بعدد الرسالة ( ١٦٧ ) إن « الخبر لا يستحق صفة الصدق إلا بالدليل الذى يدل على صدقه ، فإذا لم تجد الدليل على صدقه ، ذهبت عنه صفة الصدق وبقي موقوفاً ، فإذا اعترضت الشبهات من قبل روايته أو درايته ، مالت به الشبهة إلى ترجيح الكذب فيه .... » . ولكن أستاذنا لم يُرد أن يقف عند هذا القول ، / وزعمه من ( التهويل ) ويقول : « وما التهويل بمُعني عن أحدنا فتياً » ، وزعم أنى « لم أجد بأساً فى أن أعرفه أن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب ، وأن وأن ... إلخ إلخ مما يدرسه الطلاب المبتدئون » . وظن أن فى هذا القول مذهباً له عن الإتيان بدليله على صدق الروايات التى يزعم أنها من التاريخ وأنها صحيحة . ويخرج من هذا ويدعه ليقول : « إننا نبزنا روايات التاريخ بالبطلان والكذب ، ثم لا يكون دليلنا عليها إلا أنها كذب وبطالان » . وليس الأستاذ ببالغ من كلامنا مبلغاً يسقطه أو يحزّ فيه ، إلا أن يثبت لنا أولاً صحة هذه الروايات ، ومن أين لأحد أن يسلم بصحتها ، ويقتنع بأنها خالية من الكذب والوضع وسوء القصد فى الإساءة والتشهير والتسميع بأبى الطيب ؟ فإذا فعل ذلك فقد بلغ أوّل الحق ، وكان له أن يجبهنا بما شاء من القول مصرحاً ومعرضاً . فالدليل الدليل أيها الأستاذ سعيد .

٧ - ومن أعجب أمر الأستاذ سعيد أنه ينشئ من الكلمة الواحدة تَرْدُ في الكلام جملة لها معنى يُوجَّهه هو كيف أراد على ما خَيَّلَتْ ، ويضعها حيث شاء من الحديث غير متعيب ولا متلفتٍ عن يمين وشمال ، ولو خرج بالكلام الذي أمامه من العربية ... كما مرَّ بك في كلمتنا السابقة . فمن ذلك أنه وقف عند قولنا في الكلمة الأولى ( الرسالة عدد ١٦٧ ) : « وتَرَكُ المعري الشك ( في تلك الأخبار ) أو تكذيبها ليس يقوم أيضاً دليلاً على صحتها ، وليس المعري بمنزَّه عن الخطأ والغفلة ، وهو من هو ، فذهاب وجه النقد عن المعري ليس يكون طعناً فيه ، ولا يوجب نسبة الكذب إليه ، ولا ينفي صفة الصدق عنه » . وليس يذهب عن أحد من القراء أننا أردنا بهذا الكلام أن ندفع ظنَّ / مَنْ يظن - أيَّ الناس كان - أن توفَّقنا دون التسلم بما رواه المعري في خبر نبوة أبي الطيب أو نقدنا له ، أو تكذيبنا أو إسقاطنا لما روى - يكون طعناً فيه ، أو يعدُّ مما يوجب نسبة الكذب إلى أبي العلاء . ولكن الأستاذ سعيداً ترك هذا ، وأراد أن يبالغ وينشئ حول كلامه ( خَطأً من النار ) ، فأخذ كلمتنا : « وليس المعري بمنزَّه عن الخطأ والغفلة » ، وردّها بقوله : « وأنا لم أدَّع للمعري تنزّهاً عن الخطأ » ، فكيف - أيها الأستاذ سعيد - تزعم أننا قلنا إنك ادعيت للمعري تنزّهاً عن الخطأ ، وكيف تخرج هذا الذي ذهبت إليه من كلامنا ؟

ليعلم الأستاذ أني لا أحفل بمثل هذا ، ولا أنظر إليه ، ولا أقف عنده ، ولكني أبينه له ولغيره ، ليعلم أن كل أحد يستطيع أن يقول ما يشاء ، فيما يشاء ، على أي وجه يشاء ... ولكن ذلك لا يجوز على أحد ، ولا يغفل عنه من قرأ الأول والآخر ، ونظَّر وفهم وجمَعَ وعَرَفَ معاني الكلام ، وكيف خرج ، وإلى أين ينتهي . وليعلم أيضاً أن كل أحد يستطيع أن يفهم من الكلام ما يشاء على غير قاعدة من منطق أو عريية ، ولكن فهمه لا يكون حجة يأتي بها الناس ويظهرُ بها عليهم ، ويحاول أن يسقط أقوالهم بها . لا بُدَّ للكلام من منطقٍ عقلي وفقهِ عريية حتى يُفهم ، وإلا أصبحت المعاني فَوْصَى لا ضابط لها ولا وكيل عليها ولا حفيظ .

وللقارىء أن ينظر إلى فَعَلَات الأخ سعيد هذه ، فقد قلنا فى كلمتنا الأولى  
 ٢٣٢/٢ ( الرسالة عدد ١٦٧ ) عند ردِّ اعتراضه : « إن هذا الخجل الذى يزعمونه / إنما هو من  
 أباطيل ( الرواية ) ، وقد أتى به القوم ليعضُّلوا قلوبهم فى خرافة النبوة .... إلخ » ، فجاء ينقل  
 هذا فى كلامه مرتين هكذا :

« إن هذا الخجل الذى يزعمونه إنما هو من أباطيل ( الرواة ) » ، فنحن نقول :  
 « الرواية » ، وهو يقول على لساننا « الرواة » ، وبين اللفظين فرق « كبير » فى عريتهما ،  
 وفى موقعهما من الكلام . ولو أردنا الذى أراده الأخ سعيد لكلامنا قلنا : « من أكاذيب  
 الرواة » . ولو رجع الأخ إلى كلامنا الذى أعقب هذه الكلمة ، لعلم لِمَ قلنا ( أباطيل  
 الرواية ) ، ولم نقل ( أكاذيب الرواة ) . هذا على أنى أقول أيضاً إن الذى زعموه من خجل  
 أبى الطيب حين كان يسأل عن أمر لقب « المتنبي » - هو من أكاذيب الرواة : فإذا أراد  
 الأستاذ أن يعرف من هم هؤلاء الرواة ، فليرجع إلى الكتاب الذى نقل عنه هذا الكلام ،  
 فينظر مَنْ هم ، ومع ذلك فليس تغنى معرفة الرواة شيئاً فى هذا الأمر . وتعبٌ أن أمضى  
 على هذا الوجه فى تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء الناس الذين نقل  
 كلامهم ، فعليه أن يريحنا قليلاً بتدبره فى كلام هؤلاء الناس ، والنظر فى معانى رواياتهم  
 بالذى توجبه العربية ، مع المقارنة بين هذه المعانى المختلفة المتباينة ، فعند ذلك يعرف  
 كيف كان التناقض فى الرواية ، وكيف هدمت الروايات بعضها بعضاً فى خبر نبوة أبى  
 الطيب .

...

وبعد ... فإن فى كلام الأستاذ من وجوه التهافت ما لا تطيعنى ( الرسالة ) على  
 ٢٣٣/٢ الإفاضة فيه ، ولا يواتينى الزمن على إزهاقه من أجله ، ولكنى أنصح / للأخ أن لا يلجأ إلى  
 ضروب القول التى يخرج بها الكلام عن حُدِّه إلى مجاهل من المغالطة والاعتراض ، وإرادة  
 الغلبة واتباع الظن ، وفتنة الرأى ، والإصرار على خطرات النفس . وليعلم الأستاذ أنى

لست ممن يغفل عن مواضع التحريف في القول ، أو الإحالة في الحجة ، أو الفساد في التأويل . فإن أراد أن يعود إلى الحديث والكتابة ، فليعد على مذهب مرضي متبع معروف غير منكر . فإن فعل ، فما أنا بالذي يسوءه أو يغضبه ، وما أريد من شيء إلا أن أهتدى إلى الحق على يدي مَنْ كان له فضل السبق ، وحسن الحديث ، وكال الغلبة بالحق .... هذا وقد أعفينا الأستاذ من كثير قول في الذي جاء في مقاله الأخير - لو أردنا أن نكيل له من جرأته بمثل كَيْلِهِ لفعَلنا فَأَشَوَّيْنَا .... ولكن :

عَبَأْتُ لَهُ جِلْمِي لِأَكْرِمَ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ ، وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

## حول « نبوة المتنبى أيضاً »

سعيد الأفغانى

٢٣٤/٢ / قرأت للأخ شاكر مقالیه الأخیرین المطولين جداً فی الرسالة ( ١٧١ ) ،  
 ( ١٧٢ ) ، فإذا ما أريد أن قوله قد قلته سابقاً فی الرسالة ( ١٧٠ ) ، فليرجع إليه فهو رد  
 على مقالیه هذين أيضاً .

لما عرف الأستاذ شاكر أنا « لا نخفل رداً ولا نقداً إلا إذا كان حقاً ، وسيلنا  
 حيثذ أن نأخذ به أنفسنا ونشكر لصاحبه » ، عاذ بذلك ، فراغ رَوْعَةً عدل فيها بالكلام  
 عن وجهه الذى يجب أن يكون فيه ، فلم تظفر اعتراضاتنا - لسوء حظها - منه بجواب .  
 وقد كنا طلبنا إليه التعرض لهذه الأخبار التى رماها جملة بالكذب ، فبين وجوه بطلانها ،  
 والسبب الحادى لرواتها على وضعها ، ببيان يزيل اللبس ويرضى الأمانة والعقل ، فأبى  
 وطفق يتعلق بتوافه الأمور . فهذا كلام شغل أربعة أعمدة من ( الرسالة ) فى تزييف رواية  
 اللادقى ، وقد عرف القراء قيمتها عندنا ، وذاك كلام يعرض لبسطى عذرى فى التأخر  
 بالرد ، وذلك كلام آخر طويل يدور حول ياء سقطت من كلام له نقلناه ..... إلخ .

٢٣٥/٢ / استوفى الأخ ستة عشر عموداً رَوَى عنا فهين حججه المزعومة ونافع بيانه ،  
 وأطلق قلمه فسطر من القول النبيل ما نمر به مرَّ الكرام . ولما أشرف على الختام قال :  
 « وتعبتُ أن أمضى على هذا الوجه فى تعريف الأستاذ سعيد بوجوه بطلان كلام هؤلاء  
 الناس الذين نقل كلامهم » . وقد علم أصلحه الله وعلم القراء أن البحث والحوار كله

يدور حول هذا فقط ، ففيم الهرب منه والاشتغال بغيره ؟ ولست أنا الذى أدعى بطلان الروايات فأحتاج لمعرفة وجوه البطلان ، وإنما نفع ذلك وغناؤه - إن تم - عائدان عليه وحده ، فهو الذى ألف واستهدف ، وهو الذى ادعى وأعوزه البرهان .

وقد كنت ظننت أنى مع أستاذ يعيننى فى إزالة ما حول هذا البحث من شئيه بالعلم الواسع والحجة البالغة ولطف التأتى وحسن القصد ، فإذا بى أمام امرئ يريد بها جدلاً ومراءً ، أو استطالة قولٍ وحب غلبة ، مع معرفته من نفسه الحدة وضيق الصدر . فما أنا - وقد عرض الأستاذ لنا أدبه عرضاً صحيحاً - بالذى يجاريه فى أسلوبه . وكل ما تفضل به من غمز آحتل من مكانه محل الحجة ، لا يحدونى على مقابلاته أو مشاكسته ، ولا على الخروج على قاعدتى التى أطعمته فورطته ، وكانت خليقة منه بغير ما فعل .

ليت الأستاذ شاكراً كان تريت فلم يحرص على صدور رده عقب كلمتى بلا تأخر ، ولم يخرج عما أخبرنا من طبعه فى الإبطاء والتخلف ، فإن الناس / لا يقدرُونَ ٢٣٦.٢ الكلام بسرعة صدوره ، وإنما يقدرونه بما يحمل من الحق والصواب .

ليته تريت وتدبر وأنعم فى كلامه وكلام غيره ، إذن لما أعجله حب الرد للرد ، فجعله ينقض فكرة هى له على أنها لغيره ، ويستنجد لدفعها بالعربية والمنطق والأصول ، وبيان ذلك باختصار أنه :

كان أشكل عليه فى كلام أبى على بن أبى حامد أمر الوثيقة التى كتبها على المنتبى بعد أن استتابوه من دعوى النبوة ، فذهبنا نحن إلى أنها فى إبطال علويته لا تنبئه ، وأمرُ علويته ورد فى روايات ثانية ، فكان من الأستاذ أن أورد رواية أبى على ثم علق على كلامنا فيها بقوله : ( الرسالة ص : ١٦٦٥ ) .

« فأنت ترى أن لا ذكر للعلوية فى هذا الخبر ولا فى غيره مما روى عن على بن أبى حامد هذا ، فكيف يتأتى لك أن تقحم العلوية فيه ، وهو لم يذكرها فيه ، ولم ترد عنه فى خبر

غيره ، ثم تعتمد إلى الكلام فتؤول بعضه على النبوة وبعضه على العلوية فتجعل التوبة للأولى والثيقة للآخرة ؟ » .

والذى قلناه نحن هو هذا ( الرسالة ١٧٠ ) : « وليس فى الأمر مشكلة ولا تناقض ولا داع لأن يرجح الأستاذ ( ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ) من كتابه إقحام لفظ النبوة بين العلويتين فى حديث الهاشمى ، وليقول : ( إن المراد بالنبوة ( تأمل ) فى حديث أنى على بن أنى حامد : العلوية ) ، فمن المقحم ومن المؤول أيها الباحث / المحقق الذى لا ينسى اليوم ما قاله أمس ؟! ثم قلنا : « فعلوية أنى الطيب التى أراد أن يفسر بها النبوة الواردة فى الروايات على اختلاف مصادرها لم تسلم له من الأصل ، وبقي المنتبى جعفياً يميناً . وإذا كان لابد ( تدبر ) من إيراد احتمال ، فالأولى أن تجعل العلوية الثانية من زيادات النساخ وإقحامهم . على أن الروايات فى غنى عن هذا الفرض أيضاً ( تأمل وتدبر ) وليس فيها داع إلى شك أو تأويل . فمن الغريب جداً أن ينكر أبو الطيب دعوى النبوة من ساعة القبض عليه ، وأن يظل على العلوية طول أيام سجنه حتى كتابه الوثيقة » .

فنظرية الإقحام أنت قلت بها أيها الأستاذ الجليل لا نحن ، وكلمتنا بدئت بقولنا : ( إذا كان لابد من احتمال ) ، أما كلمتك فبدئت : ( إن المراد بالنبوة فى حديث أنى على .... العلوية ) ( ص : ٢٠٨ ) من كتابك القيم ، <sup>(١)</sup> وأياً كان صاحب اكتشاف الإقحام ومؤول النبوة بالعلوية ، فهو ونظريته خليقان بما تفضل به الأستاذ من استنكار واستبشاع .

لقد رمانى الأستاذ بدائه : عدم التدبر والتحريف ، وأراد أن يتناول فكرة لى كيفما اتفق له لينقدها ، فوقعت يده على فكرته هو منقولة فى كلامى ! وقاتل الله العجلة ،

(١) نصر كلامى فى هذه الصفحة مختلف جداً ، لأنى قلت : « وترى أن نصر أنى على بن أنى حامد يرجح دعوى العلوية لا دعوى النبوة » ، والكلام قبله من أول ص ٢٠٨ ، يوضح مقصدى كل التوضيح ، لأن استنباط مدعى النبوة ، لا تحتاج إلى وثيقة تكتب ، لأن الذى يكتب فى وثيقة هو فى الأمر يُخشَى فيه معاودة الدعوى ، كالعلوية مثلاً .



فقد يماً ذكرُوا أن تاجراً أضمر أخذ عدل من أعدال شريكه ، فوضع رداءه عليه ليعرفه في الظلمة ، ثم ذهب وجاء رفيقه ليصلح أعداله ، فوجد رداء رفيقه على عدله ، وظن أنه نسيه ، فرفعه ووضعه على عدل شريكه . ولما كان الليل أتى الشريك بحمّال واطأه ، ففتحت الحانوت / واحتمل العدل الذى عليه الرداء وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يترواحان ٢٣٨/٢ على حمّله حتى أتى منزله ورمى نفسه تعباً ، فلما أصبح افتقده فإذا هو بعض أعداله !! فعلى القارئ المتبع أن يرجع حيثما وجد نقلاً لكلامى إلى الأصل المنقول عنه ، فلست أفرغ دائماً لبيان ما حرّف ، ولا أحتمل إلا تبعه ما قلته بحروفه ، غير مروّي بكلام من غيرى . ومن أوّل كلامى بجُمّل من عنده ثم شرع فى ردّها ، فإنما ردّه على تأويله فحسب .

كان رغب إلينا الأخ شاكر ألا تتبع ظننا فى أنه من أهل الغرور والذهاب بالنفس والجهل بمقدارها ، والمكابرة فى العلم والجدال فيما لا جدوى منه ولا منفعة . وقبل كلمته هذه كان ادعى لنفسه تدبراً وإمعاناً وأصولاً ودراية ، ثم فى الأخير جُلماً عند المقاتل البادية ، حين لمزنا بالحاجة إلى هذه الصفات ، وكلام كلينا معروض لمن أراد تثبتاً ، وسبحان الذى قال : « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » .

فهل أجد حرجاً فى أن أقول ثانية : « صحف الرسالة أحوج إلى أن تملأ بالحقائق والبرهان منها إلى الدعوى والانتقاص » .

وإن القراء « لا يخفى عليهم وجه الحق فى كلام اثنين ، ولا يصرفهم عنه نيل من صاحبه ومراوغة فى الخط منه » ، وحرام أن أقتل الوقت فى تتبع المزالق التى زلّ فيها صاحبنا فى مقالیه هذين ، فما هى بنافعتنا فيما ظهر ، / لتباين أسلوبينا فى البحث و ( اختلاف ٢٣٩/٢ فى الجبلّة ) ، على ما قال الأخ شاكر .

وما أنا بعائد إليه ، لأن الحقيقة لم تفد شيئاً بخوض هذا البحث معه ، ولن أجارى

أخى فى طريقه التى سلكها فما هى لى بطريق ، ولا أُرَبَّ لى بتعسف المتاهات . ولولا أن  
 يظن العجول من القراء أن نظرية الإقحام وتأويل النبوة بالعلوية التى رمانى بها الأستاذ على  
 عجلة وخطأ ، هى نظيرتى وفكرتى ، لما خططت حرفاً من كلمتى هذه .  
 وبعد ، فليس عندى لأخى الأستاذ على أقواله فى غير السلام .

\*\*\*

كلمة الرافي



## المقتطف والمتنبي

/ المقتطف شيخ مجلاتنا ، كلَّهن أولاده وأحفاده ، وهو كالجدِّ الأكبر : زَمَنُ ٢٤٣/٢  
يجتمع ، وتاريخ يتراكم ، وانفراد لا يُلْحَق ، وعلم يزيد على العلم ، بأنه في الذات التي تفرض  
إجلالها فرضاً ، وتجب لها الحرمة وجوباً ، ويتضاعف منها الاستحقاق ، فيضاعف لها  
الحق .

وهل الجدُّ إلا أبوة فيها أبوة أخرى ؟ وهل هو إلا عَرَشٌ حَيٌّ درجاته الجليل تحت  
الجيل ؟ وهل هو إلا امتدادٌ مسافاتهِ العصر فوق العصر ؟

والمقتطف يكبر ولا يهرم ، ويتقدم في الزمن تقدم المخترعات ماضية بالنواميس إلى  
النواميس ، مقيدةً بالمبدأ إلى الغاية ، وهو كالعقل المنفرد بعبقريته ، واجبه الأول أن يكون  
دائماً الأول . فقد أنشئ هذا المقتطف وما في المجلات العربية ما يغني عنه ، ثم طَوَّى في  
الدهر سبعة وثمانين مجلداً أقامها سبعة وثمانين دليلاً على أن ليس ما يغني عنه . ثم أسفَّت  
الدنيا حوله بأخلاقها وطباعها ، وتحولت مجلات كثيرة إلى مثل الراقصات والمغنيات  
والممثلات ، وبقي هو على الوفاء لمبدئه العلمي والسموِّ فيه والسموِّ به ، كأنما أُخِذَ عليه  
في العلم والأدب ميثاق كميثاق النبيين في الدين والفضيلة ، فبين يديه الواجب  
لا الغرض ، وهمه الإبداع بقوى العقل لا الاحتيال بها ، وهُدْيُهُ الحقيقة الثابتة في الدنيا  
لا الأحلام المتقلبة بهذه الدنيا ، وطريقه في كل ذلك طريق الفيلسوف ، / من هدوء نفسه ٢٤٤/٢  
لا من أحوال الدهر ، فهو ماض على اليقين ، نافذٌ إلى الثقة ، متنقل في منزلة منزلة من  
يقينه إلى ثقته ، ومن ثقته إلى يقينه .

وقد بدأ المقتطف مجنده الثامن والثمانين بعدد ضخيم أفردده للمتنبى ، ولئن كانت الأندية والمجلات قد احتفلت بهذا الشاعر العظيم ، فما أحسب إلا أن روح الشاعر العظيم قد احتفلت بهذا العدد من المقتطف .

ولست أغلو إذا قلت : إن هذه الروح المتكبرية قد أظهرت كبرياءها مرة أخرى ، فاعتزلت المشهورين من الكتاب والأدباء ، ولزمت صديقنا المتواضع الأستاذ محمود محمد شاكر مدة كتابته هذا البحث النفيس الذى أخرجه المقتطف فى زهاء ستين ومئة صفحة ، تدلُّه فى تفكيره ، وتوحى إليه فى استنباطه ، وتنبهه فى شعوره ، وتُبصِّره أشياء كانت خافيةً وكان الصدق فيها ، ليردَّ بها على أشياء كانت معروفةً وكان فيها الكذب . ثم تعينه بكل ذلك على أن يكتب الحياة التى جاءت من تلك النفس ذاتها ، لا الأشياء التى جاءت من نفوس أعدائها وحسادها .

ولقد كان أوّل ما خطّر لى بعد أن مضيت فى قراءة هذا العدد = أن المؤلف جاء بما يصحُّ القول فيه : إنه كتب تاريخ المتنبى ولم ينقله . ثم لم أكد أمعن فى القراءة ، حتى تُخيلَ إليّ أنه قد وضع لشعر المتنبى ، بعد تفسير الشراح المتقدمين والمتأخرين ، تفسيراً جديداً عن المتنبى نفسه . وما الكلمة الجديدة فى تاريخ هذا الشاعر الغامض ، إلا الكلمة التى نشرها المقتطف اليوم .

/ إن هذا المتنبى لا يَفْرُغ ولا ينتهى ، فإن الإعجاب بشعره لا ينتهى ولا يَفْرُغ . وقد كان نفساً عظيمة خلقها الله كما أراد ، وخلق لها مادتها العظيمة على غير ما أرادت ، فكأنما جعلها بذلك زمناً يمتدُّ فى الزمن . وكان الرجل مطوياً على سِرِّ القى الغموض فيه من أوّل تاريخه ، وهو سِرُّ نفسه ، وسِرُّ شعره ، وسِرُّ قوته . وبهذا السِرِّ كان المتنبى كالمملك المغصوب ، الذى يرى التاج والسيف ينتظران رأسه جميعاً ، فهو يتقى السيف بالحدّز والتلفيف والغموض ، ويطلب التاج بالكتمان والحيلة والأمل .

ومن هذا السِرِّ بدأ كاتب المقتطف ، فجاء بحثه يتحدّر فى نَسَقٍ عجيب ،

متسلسلاً بالتاريخ كأنه ولادة ونمو وشباب ، وعرض بين ذلك شعر أئى الطيب عرضاً حتى حُيِّلَ إلى أن هذا الشعر قد قيل مرة أخرى من فم شاعره على حوادث نفسه وأحوالها . وبذلك انكشف السر الذى كان مادة التحويل فى ذلك الشعر الفخم ، إذ كانت فى واعية الرجل دولة أضخم دولة عجز عن خلقها وإيجادها ، فخلقها شعراً أضخم شعر ، وجاءت مبالغاته كأنها أكاذيب آماله البعيدة ، متحققة فى صورة من صور الإمكان اللغوى .

ومن أعجب ما كشفه من أسرار المتنبى : سرُّ حُبِّه ، فقال إنه كان يحب حوْلة أخت سيف الدولة ، وكتب فى ذلك خمس عشرة صفحة كبيرة ، وكأنها لم ترضه ، فقال إنه كان يؤمل أن يكتب هذا الفصل فى خمسين وجهاً من المقتطف . وهذا الباب من غرائب هذا البحث ، فليس أحد فى الدنيا المكتوبة ( أى التاريخ ) يعلم هذا السرَّ أو يظنُّه . والأدلة التى جاء بها المؤلف تقف / الباحث المدقق بين الإثبات والنفى . ومتى ٢٤٦/٢ لم يستطع المرء نفيّاً ولا إثباتاً فى خبرٍ جديد يكشفه الباحث ، ولم يهتد إليه غيره ، فهذا حَسْبُكَ إعجاباً يذكر ، وهذا حَسْبُه فوزاً يُعدُّ .

ولعمرى لو كنت أنا فى مكان المتنبى من سيف الدولة ، لقلت إن المؤلف قد صدّق .... فهناك موضع لابد أن يُبحث فى القلبِ الشاعرِ الذى وضعت فيه الدنيا حكمتها ، وطوت فيه القوة سرّها ، وبثَّ فيها الجمال وحيه = وأصغر هذه الثلاث ، أكبر من الملوك والممالك ، ولكن الحبيبة أكبر منها كلّها ...

مصطفى صادق الرافعى





## أربع تراجم للمتنبى

- ١ - ترجمة على بن عيسى الرّبعيّ ( ٣٢٨ - ٤٢٠ هـ )
- ٢ - من كتاب « بغية الطلب » لابن العديم ( ٥٥٨ - ٦٦٠ هـ )
- ٣ - « تاريخ دمشق » لابن عساكر ( ٤٩٩ - ٥٧١ هـ )
- ٤ - « المُقَفَّى » للمقرئيّ ( ٧٧٦ - ٨٤٥ هـ )



١ - ترجمة المتبّي للربعي



## ترجمة المتنبي للرِّبِّعِيّ

« ترجمة الرِّبِّعِيّ لأبي الطيب » ، هي أقدم ترجمة له وقعت في أيدينا ، وهي أهمُّهنَّ جميعاً ، لأن الرِّبِّعِيّ كان آخر من لقي أبا الطيب بشيراز ، في شعبان سنة ٣٥٤ قبل مقتله في رمضان سنة ٣٥٤ ، وعنها نقل ابن العديم وابن عساكر والمقريزي ، مع التصرف في النقل . وقد وقفت عليها في آخر شرح الواحدي لديوان أبي الطيب ، نقلها كاتبها بخطه ، وألحقها بآخر الشرح . وهذه النسخة مخطوطة نفيسة محفوظة بمكتبة فيض الله بالآستانة تحت رقم : ١٦٤٩ ، وقد ذكرت خبرها في مقدمة هذه الطبعة من كتابي « المتنبي » .

...

## ترجمة الرِّبِّعِيّ

هو أبو الحسن ، علي بن عيسى بن الفرّج بن صالح الرِّبِّعِيّ الزُّهَيْرِيُّ ، (١) النحويّ ، ولد ببغداد سنة ٣٢٨ هـ ، فأخذ النحو والأدب عن أبي سعيد السِّيرَافِيّ ، [ الحسن بن عبد الله بن المرزبان / ٢٨٨ - ٣٦٨ هـ ] ، ثم هاجر إلى شيراز ، لما نزلها أبو علي الفارسي ، [ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الفارسي / ... - ٣٧٧ هـ ] ، ولازمه عشرين سنة يأخذ عنه النحو ، ولقي أبا علي الفارسيّ أيضاً حين عاد الفارسي إلى بغداد واستوطنها في سنة ٣٧٥ ، [ تاريخ بغداد ٧ : ٢٧٥ ] ، إلى أن مات أبو

(١) انظر التعقيب في آخر الترجمة ، وقوله « الرِّبِّعِيّ الزُّهَيْرِيُّ » هو علي عادة القدماء في النسبة إلى القبيلة ،

ثم إلى البطن من القبيلة .

على الفارسي . وقد رجع الربيعي من شيراز إلى بغداد ، فأقام بها إلى أن مات في ليلة السبت لعشر بقين من المحرم سنة ٤٢٠ هـ ، وعمره يومئذ اثنتان وتسعون سنة ، ودفن بمقبرة باب الدير في بغداد ، ولم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس ، [ المنتظم لابن الجوزي ٨ : ٤٦ / البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٧ ] .

وقد حدثنا الربيعي نفسه أنه سمع من أبي الطيب شعره ببغداد وشيراز ، في الخبرين ، رقم : ١٤ ، ورقم : ١٧ ، وأنه سمع من المتنبي بعض شعره أكثر من عشرين مرة ، في الخبر رقم : ١٦ ، وأنه رأى مع المتنبي ديوانه بخط أبي الجوع الوراق المصري ، على ورق منصوري ، وكتبه هو عن هذا المخطوط من إملاء المتنبي حرفاً حرفاً ، ونقل عنه بغير الإملاء .

\*\*\*

### تعقيب

• « الرَّبِيعِيّ » ، قال ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » ، [ ٣ : ٣٣٦ ، طبعة إحسان عباس ] :

« الرَّبِيعِيّ ، بفتح الراء ، والباء الموحدة ، بعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى ربيعة » ، ولا أعلم أهو ربيعة بن نزار ، أم غيره .

• « الرُّهَيْرِيّ » ، وزاد ياقوت في نسبه فقال « الربيعي الزهيري » ، في « معجم الأدباء » [ ٥ : ٢٨٣ ، طبعة جب ] ، وكتبها السيوطي في « بغية الوعاة » ، [ ٢ : ١٨١ ، طبعة أبي الفضل إبراهيم ] : « الرُّهَيْرِيّ » ، <sup>(١)</sup> وكتبها في « الفلاكة والمفلوكون »

(١) « الرُّهَيْرِيّ » ، نسبة إلى بني « رُهْرَة بن كلاب بن مرة » فقط ، وهم من قریش ، ومحال أن يكون الربيعي

[ ص : ١١٣ ، مطبعة الشعب سنة ١٣٣٢ هـ ] : « الزيدى » ، <sup>(١)</sup> وكلتا النسبتين تصحيف ، والصواب ما عند ياقوت ، فيما أرجح ، وذلك لأنى رأيتُ القفطى فى كتابه « إنباه الرواة » [ ١ : ٣٧٤ ] فى ترجمة أنى على الفارسى قال : « وذكر الرِّبَعِيّ فى صدر شرحه « الإيضاح » نسب أنى على فقال : أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الفارسى ، وأمه من ربيعة الفرس ، سدوسية ، من سدوس ( بن ) شيبان .

و « ربيعة الفرس » هو « ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » .

فولد « ربيعة بن نزار » : « أسد بن ربيعة » و « ضبيعة بن ربيعة » .

وولد « أسد بن ربيعة » : « جديلة ، وعنزة ، وعميرة » .

وولد « جديلة بن أسد بن ربيعة » : « دُعْمَى » ، وفيه البيت والعدد ، و « جُدَى » دخل بنوه فى بنى شيبان ، و « جُدَّان » دخل بنوه فى بنى زُهَيْر بن جُشم ، من بنى النمر بن قاسط [ جمهرة ابن حزم : ٢٩٥ ] .

و « سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة » ، ينتهى نسبهم إلى « دُعْمَى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » [ ابن حزم : ٣٠٧ - ٣١١ ] .

ثم « النمر بن قاسط بن أفصى بن دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » [ ابن حزم : ٣٠٠ ] ، الذين دخل « جُدَّان بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار » فى « بنى زُهَيْر بن جُشم » ، هم من بنى « النمر بن قاسط » ، فيكون « الزُهَيْرِيّ » فى نسبة « الرِّبَعِيّ » إليهم ، ويكون قول ياقوت فى نسب « على بن عيسى » : « الرِّبَعِيّ الزُهَيْرِيّ » ، دلالة على أنّه من « بنى جُدَّان بن جديلة بن أسد بن ربيعة » ، وأن بنى « جُدَّان بن

(١) « الزيدى » ، نسبة إلى المذهب الريدى الشيعى ، والرعى ليس من الشيعة فى شيء ، وكتاب « الفلاكة » بشرة سيئة كثيرة التصحيف والتحريف لا يعتد بها .

جديلة « دخل نسبهم في نسب أبناء أخيه « دُعْمَى بن جديلة » ، الذي ينتهي إليه نسب أم أبي علي الفارسي ، التي هي من بني « سُدُوس بن شيبان بن ذهل » ، الذين ينتهي نسبهم إلى « دُعْمَى بن جديلة بن أسد بن ربيعة » .

فكان هذه العلاقة بين « علي بن عيسى الرّبيّ » ، وأبي علي الفارسي هي التي دعت أن يذكر لنا « أم أبي علي الفارسي » ، وأنها من « ربيعة الفرس ، سُدُوسية من بني سُدُوس بن شيبان » ، وهي أيضاً التي دعت إلى أن يفارق وطنه بغداد إلى شيراز ليقم بها مع أبي علي الفارسي عشرين سنة .

هذا اجتهاد مني في نسبة « الرّبيّ » التي توقّف في أمرها ابن خلكان ، فلعلّي أصبّت الصواب ، فإن أكن أصبت فبحمد الله وتوفيقه ، وإن أكن أخطأت فأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .



( ١ )

## ترجمة المتنبي للرعي

من مخطوطة « شرح ديوان المتنبي للواحدى »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال على بن عيسى النحوى رحمة الله عليه .

١ - قال لى أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن : <sup>(١)</sup> « كان يُثقل على أن أذعى المتنبي دهرًا ، إلى أن أنست به ، <sup>(٢)</sup> وقبح الله أهل الكوفة ، يُضيقون فى الأسماء على أنفسهم ، فلا يُفرق بين بعضهم وبعض إلا باللقاب . <sup>(٣)</sup> »

« وقال لى : مولدى الكوفة ، ورَضَعَتِ بِلَبَّانِ علوية من بنات عُبَيْدِ اللَّهِ بن يَحْيَى . <sup>(٤)</sup> »

(١) هذا نصٌ عظيم الخطر ، لأنه من كلام المتنبي نفسه ، وهو نص قاطع فى الصلة الحميمة بين أبى الطيب والعلويين ، كما ذهب إليه فى أمر نسبه ، وفى أمر ما زعموه من نبوته . والعجب لابن العديم وابن عساكر ، كيف لم يذكرَا الخبر بصفه عن المتنبي ، أو الأصح ، كيف لم يذكره ياقوت الحموى الذى رأى ديوان المتنبي بخط أبى الحسن على بن عيسى الرعي ، ونقل عنه أنه أرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله ، دون أن ينسب ذلك إلى المتنبي نفسه ( ترجمة ابن العديم رقم : ٨ ) .

(٢) فى المخطوطة : « أنسب به » ، وهو تصحيف ، صوابه ما أثبت ، وفى ترجمة ابن العديم : « ثم أُلْفَتْه » .

(٣) ما سلف رواه ابن العديم فى ترجمته رقم : ٨ .

(٤) خبر رضاع المتنبي ، رواه ابن العديم فى ترجمته فى آخر رقم : ٨ ، واقتصر على قوله : « آل عبيد الله » ، وقد بين المتنبي نفسه أنهم « آل عبيد الله بن يحيى » ، وأنا أخشى أن يكون قوله « يحيى » تصحيفاً . والناسخ كثيرٌ ما يصحفون ، فيكتبون « يحيى » مكان « على » . فإذا صحَّ هذا ، فهم « آل عبيد الله بن على » ، الذين منهم « المشطَب » : « محمد بن عبيد الله بن على بن عبيد الله بن على بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب » ، الذى مدحه المتنبي ، وذكرت أمره فيما سلف : ١٥١ ، تعليق : ٣ وما بعد ذلك ، وقد رجحت أن المتنبي أخوه من الرضاع . انظر ص : ١٥٣ ، تعليق : ١ .

« ونشأت بالبادية ، وكنت أحب البطالة والجولان وصُحبة ذوى الغارات والحروب والتيه عن الدنيات من الأخلاق ، وقلت الشعر صبيّاً . » (١)

٢ - وزعم ابن عمّ له في الكوفة : أنّه أحمد بن الحسين بن الحسن بن مرة بن عبد الجبار ، من جُفَيّ . وقال : « لا أعرف باقى نسبنا ، هو مُنْقَطَع » . (٢)

٣ - وقال : أبو أحمد عبد العزيز بن الفضل ، أخبرني الشيخ أبو الحسين على ابن أحمد بن أبي سَعْدَةَ بمدينة السلام قال : لمّا دخل المتنبي مدينة السلام خارجاً إلى فارس ، أراد أن يَضْمَنَ الطريق من مدينة السلام إلى باب واسط من معز الدولة ، وكان الواسطة الشريف أبو عبد الله بن الدّاعي ، وكنت أنا كاتبه ورسول المتنبي إليه في هذه الوساطة ، فلم يُجِبْهُ إلى ذلك ، وذكر : إنّ هذا الرجل شاعرٌ ، إن طالبتّه بما يُلزّمه من مالى هجاني . (٣)

(١) هذا الجزء من الخبر ، يتضمنه خبر ابن العديم رقم : ٨ .

(٢) هذا خبر ظاهر الخطر ، لأنه يدلنا لأوّل مرّة ، على أن أبا الطيب ، كان له « ابن عمّ » ، عرفه الرعي في الكوفة ، ومعنى الخبر شبيه بخبر رواه الرعي أيضاً ، وذكر فيه أنّ لأبي الطيب أخاً مكفوفاً كان يسأل الناس بحجر بغداد ، وسأله أيضاً عن نسه ، [ ابن العديم رقم : ٨ ] .

(٣) هذا الخبر رقم : ٣ ، من أهم الأخبار ، لأن له علاقة وثيقة بحال المتنبي مع العويين ، ولذلك أعلق عليه بعض التطويل :

● « معز الدولة » البويهى ، أحد ملوك الديلم . وعم عصد الدولة الذى مدحه المتنبي في آخر عمره ، كان صاحب العراق . وكان عبوى الهوى ، وغالى في ذلك ، حتى إذا كانت سنة ٣٥٢ ، قبل وفاته بأربع سنوات ، وجاء عاشر المحرم ، فأمر تغليق أسواق بغداد ، وأن يلبس النساء المسوخ من الشعر ، وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن ، يُلْظَمْنَ وجوههن ، يُتَحَنّ على الحسين بن على بن أبى طالب ( ابن الأثير ٨ : ١٩٧ / البداية والنهاية ١١ : ٢٤٣ ) .

● « أبو عبد الله بن الداعي » ، هو العبوى الزيدى : « محمد بن الحسن ( وهو الداعي الصغير ) بن القاسم بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني » ، بن القاسم بن الحسن بن زيد بن عمى بن أبى طالب ( جهمرة ابن حزم : ٤٠ ) ، كان معز الدولة يعظمه تعظيماً شديداً ، وأجره على أن يتولّى نقابة الطالبين سنة ٣٤٩ ، وغاب =

قال أبو الحسين : فدخل إلى المتنبي ، وأنا أسكن « دَرَبَ الزَّعْفَرَانِي » ، وكنت رَمِداً قَلِقاً من الوجع ، فأنشدني :

أَيَا أُنْسِ الْقُلُوبِ ، وَقَدْ تَعَالَتْ      أَمَانِيهَا ، وَضَوْءَ النَّاطِرِينَ  
لَيْنَ جَرَحَتْ شَكَاكَ كُلَّ قَلْبٍ      بِأَنْفَذَ فِي الْفُؤَادِ مِنَ الرُّدْنِيِّ

- معز الدولة في سَفَرِهِ إلى نصيبين ، واستخلف ابنه عز الدولة بختيار ببغداد ، فخطب في حضرته بشيء عن العلوية فلم يرض ذلك ، وامتنع ، وخرج مغضباً ، ودثر أمره وخرج محتفياً ، ومعه ولده الأكبر ، وخلف أولاده وعياله ونعمته وكل ما تحويه داره ببغداد ، ولم يستصحب غير جُبة صوف بيضاء وسيفاً ومصحفاً ، وسار إلى بلاد الديلم ، وليس الصوف وأظهر النسك والعادة ، وحارب بعد ذلك وشمكير فهزمه ، وعزم على المسير إلى طبرستان ، وكتب إلى العراق كتاباً يدعوهم إلى الجهاد ( ابن الأثير حوادث سنة ٣٥٣ ، وسنة ٣٥٥ / تكملة تاريخ الطبري للهمداني : ١٨٩ ، وتجارب الأمم لمسكويه ٢ : ٢٠٧ ) .

● « درب الزعفراني » ، قال ياقوت : « هو بكرخ ببغداد ، كان يسكنه التجار وأرباب الأموال ، وربما يسكنه بعض الفقهاء » ، وهو منسوب إلى « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني » ، كان ثقة من أجل العلماء ، وروى عنه البخاري في صحيحه ، وهو الذي قرأ على الشافعي كتبه القديمة ، وكان يومئذ شاباً ، وتوفي سنة ٢٦٠ ، وقد وصف الخطيب البغدادي هذا الدرب في ترجمة الزعفراني ( ٧ : ٤٠٧ ) فقال : « درب الزعفراني المسلول فيه من باب التعبير إلى الكرخ ، إليه يسب » ، وأكثر المحدثين ببغداد مسوبون إلى هذا الدرب .

هذا ، وقد ذكر الخطيب البغدادي في تاريخه ( ٧ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ) ترجمة : « أبي محمد الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد ، كان تاجراً ممولاً وإليه ينسب « خان ابن حامد » الذي بدرب الزعفراني ببغداد » ، قال الخطيب البغدادي :

« حدثني الصوري قال : ذكر لي الحسن بن حامد أن المتنبي لما قديم ببغداد نزل عليه ، وكان القيم بأموره ، وأن المتنبي قال له : لو كنت مادحاً تاجراً لمدحتك » .

قال البغدادي : « مات بمصر في يوم الأحد ، مستهل شوال سنة سبع وأربعمئة » ، ولكن العجب لابن الجوزي في المنتظم ، فإنه نقل ما قاله عنه الخطيب البغدادي ، ولكنه وضعه في وفيات سنة ٣٨٥ ( المنتظم ٧ : ١٨١ ) .

فهذا خبر دخول أبي الطيب ببغداد ونزوله في دار الحسن بن حامد بدرب الزعفراني ، وسيأتي في رقم ١٣ أن المتنبي في دخلته الثانية إلى بغداد نزل في دار أبي الحسن العروضي ، في « رَاضِي حُمَيْد » . فهذا موضع تحقيق لدخلته الأولى ودخلته الثانية ، متى كانت الأولى ومتى كانت الثانية .

وَأَوْهَنَ مَا وَهَنْتَ لَهُ الْمَعَالِي ، وَأَقْدَى مَا بَعَيْنِكَ كُلُّ عَيْنٍ  
لَحَظْتُكَ فِي الثَّوَابِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُطِيفَ بِهِ كِتَابُ الْكَاتِبِينَ  
إِسَاءَاتُ الزَّمَانِ أَجَلٌ نَعْمَى إِذَا سَلِمَتْ حَيَاةُ أَبِي الْحُسَيْنِ  
فَكُمْ مِنْ مِحْنَةٍ طَرَقَتْ فَكَانَتْ لِمُحْتَقِبِ الذُّنُوبِ قَضَاءُ دَيْنٍ

وما نعلم أنه قال ببعْدَازٍ شعراً غير هذا . (١)

٤ - ومما ذُكِرَ أَنَّ المتنبي رحمه الله قاله وهو بواسط في خروجه إلى فارس ، ولم يقع في النسخ ، ولم يروه الناس ، وذكرَ رَاوِيَتُهُ المعروف بأبي الحسين محمد بن محمد بن سلمان الكوفي ، ويُعرف أيضاً بأبي السَّودَانِي ، (٢) بيان هذه القصيدة ودفعها إليه أبو جعفر محمد بن الحسين بن حمزة العلوي ، وذكر أنه وجدها في بعض نُسخ شعره ، وذكر أبو الحسن أنها منحولة (٣) : -

أَفِيقَا ، حُمَارُ الْهَمِّ نَعَّصِنِي الْحَمْرَا وَسُكْرِي مِنَ الْأَيَّامِ جَنَّبَنِي السُّكْرَا  
تَسْرُ خَلِيلِي الْمُدَامَةُ ، وَالَّذِي بِقَلْبِي يَأْبَى أَنْ أُسْرَكَمَا سُرَا  
لَيْسْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَحْسَنَ مَلَبَسٍ ، فَعَرَّفَنِي ثَابِيَا وَفَرَّقَنِي ظُفْرَا (٤)

(١) هذا الخبر ، والشعر الذي فيه ، انفردت به ترجمة الربيعي هذه ، ولم يذكره الراجكوتي في « زيادات ديوان شعر المتنبي » .

(٢) هذا خبر طريف آخر فيه ذكر راوية للمتنبي . أما « السَّودَانِي » فهكذا ضبط في المخطوطة ، ولا أعرف هذا الضبط . والنسب البني تشبهه هي « السَّودَانِي » بالضم وبالذال المهملة ، و « السَّودَانِي » بالضم وبالذال المعجمة ، و « السَّورَانِي » بالضم وراء وباء ، و « السَّورَانِي » ، بضم وراء ونون .

(٣) القصيدة الآتية ، ذكرها البديعي في « الصبح المنبي » : ١٠٤ - ١٠٧ ( طبعة دار المعارف ) ، والراجكوتي في « زيادات ديوان شعر المتنبي » عن البديعي ، وعن نسخ مخطوطة لديوان المتنبي ، وانظر تعليقاته على الأبيات .

(٤) في الصبح ، وفي الراجكوتي « أحسن ملبس » ، وهي أجود مما في المخطوطة . وفي الصبح المنبي : « فَعَرَّفَنِي ... ومَرْقَنِي » ، وفي الراجكوتي : « فَعَرَّفَنِي .... ومَرْقَنِي » ، والذي هنا أجود . يقال : « عَرَقَ الْعَظْمُ وَتَعَرَّقَ » أخذ اللحم عنه بأسانه نهشاً . و « قَرَى الْحَدَّ يَقْرِيه قَرِيّاً » ، شَقَّه وَمَرْقَهُ بِظْفَرٍ أَوْ عَدِيدَةٍ .

وَفِي كُلِّ لَحْظٍ لِي وَمَسْمَعُ نَعْمَةٍ ،  
 سَدَكْتُ بِصَرْفِ الدَّهْرِ طِفْلاً وَبَافِعاً ،  
 أُرِيدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا يُرِيدُهُ  
 وَأَسْأَلُهَا مَا أَسْتَحِقُّ قَضَاءَهُ ،  
 وَلِي كَبَدٌ مِنْ رَأْيِ هِمَّتِهَا التَّوَى ،  
 تَرْوُقُ بَنَى الدُّنْيَا عَجَائِبُهَا ، وَلِي  
 أَنْحُو هِمَمِ رَحَالَةٍ لَا تَزَالُ لِي  
 وَمَنْ كَانَ عَزَمِي بَيْنَ جَنَبَيْهِ حَتَّى ،  
 صَحَبْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ مُعْتَبِطاً بِهِمْ ،  
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ لِلْحُرِّ مَالِكاً  
 وَمِصْرَ لَعَمْرِي أَهْلُ كُلِّ عَجَبَةٍ  
 يُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْعَجَائِبُ أَوَّلاً  
 فَيَا عَجَبَ الدُّنْيَا ، وَبَا عِبْرَةَ الْوَرَى ،  
 لُؤْيِيَّةٌ لَمْ تَذَرِ أَنْ بُنِيَهَا —

تُلاَحِظُنِي شَزْراً ، وَتُسْمَعُنِي هُمْجاً (١)  
 فَأَنْتَيْتُهُ حَزْماً وَلَمْ يُفَنِّنِي صَبْراً (٢)  
 سِوَايَ ، وَلَا يَجْرِي بِخَاطِرِهِ فِكْراً  
 وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَطْبِي حَاجَةً قَسْراً (٣)  
 فَتَرَكْنِي مِنْ عَزَمِهَا الْمَرْكَبَ الْوَعْراً (٤)  
 فَوَادَّ بِيضَ الْهِنْدِ لَا يَبْضُهَا يُعْزَى  
 نَوَى تَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ أَوْ أَقْطَعُ الْعُمَرَ  
 وَصَيَّرَ طُولَ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهِ شَيْراً  
 وَفَارَقْتُهُمْ مَلَانَ مِنْ حَنْقِ صَدْرَا  
 أَيْتُ إِبَاءَ الْحُرِّ مُسْتَرْفِداً حُرّاً (٥)  
 وَلَا مِثْلَ ذَا الْمَخْصِي أُعْجُوبَةٌ تُكْرَا  
 كَمَا يَبْتَذِرُ فِي الْعَدِّ بِالْإِصْبَعِ الصُّغْرَى  
 وَبَا أَيُّهَا الْمَخْصِي مَنْ أَمَكَ الْبَطْلُ (٦)  
 لُؤْيِي دُونَ اللَّهِ يُعْبَدُ فِي مِصْرَا (٧)

(١) في المخطوطة: «ومسمع نعمة»، وهو تصحيف صوابه في الصبح، والزيادات، وفي سائر البيت بعد ذلك خلاف.

(٢) في الصبح، والزيادات: «فأنتيته عزماً»، وهي جيدة. و«سبكك بالشئ»، لزمه ولصق به.

(٣) في الصبح، والزيادات، خلاف في رواية العجز: «وما أنا ممن رام حاجته بَسْراً»، والراجحون «قَسْراً». و«اطبى الحاجة»، دَعَاها وطلبها.

(٤) في الصبح: «ولي همّة»، كأنها سبق قلم.

(٥) في الصبح والزيادات: «مستزقاً»، وهذه أجود.

(٦) في الصبح والزيادات: «فيا هرم الدنيا».

(٧) في الزيادات: «لوييية... اللويي»، وهما أجود مما في المخطوطة، فإن «لويية»، هي التي بين الإسكندرية وبرقة، وكافور ليس منها بلا ريب، بل هو من «النوبة»، جنوب من مصر، من السودان.

وَيَسْتَعْدِمُ الْبَيْضَ الْكَوَاعِبَ كَالْدُمَى  
 قَضَاءً مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ أَرَادَهُ ،  
 وَلِلَّهِ آيَاتٌ وَلَيْسَتْ كَهَذِهِ ،  
 لَعَمْرُكَ مَا دَهَّرَ بِهِ أَنتَ طَيِّبٌ ،  
 وَأَكْفَرُ يَا كَافُورُ حِينَ تُلَوِّحُ لِي ،  
 عَثَرْتُ بِسَيْرِي نَحْوَ مِصْرَ فَلَا لَعَاءً  
 وَفَارَقْتُ خَيْرَ الْخَلْقِ قَاصِدَ شَرِّهِمْ ،  
 فَعَاقَبَنِي الْمَحْصِيُّ بِالْعَدْرِ جَازِيًا ،  
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا فَائِلَ الرَّأْيِ لَمْ أَعْنِ  
 وَقَدَّرَنِي الْخِنْزِيرُ أَلَى هَجْوَتِهِ  
 جَسَرْتُ عَلَى يَدَاءِ مِصْرَ فَفَقْتُهَا  
 سَأَجْلِبُهَا شُعْتَ النَّوَاصِي مُشِيحَةً  
 وَأُطْلِعُ بَيْضًا كَالشُّمُوسِ مُطْلَةً ،  
 فَإِنْ بَلَغْتَ نَفْسِي الْمُنَى فَبِعَزَمِهَا

وَرُومَ الْعِبْدَى وَالْعَطَارِفَةَ الْغُرَا<sup>(١)</sup>  
 أَلَا رُبَّمَا كَانَتْ إِرَادَتُهُ شَرًّا  
 أَظُنُّكَ يَا كَافُورُ آيَتُهُ الْكُبْرَى  
 أَيَحْسِبُنِي ذَا الدَّهْرِ أَحْسِبُهُ دَهْرًا  
 فَفَارَقْتُ مُذْ فَارَقْتُكَ الشَّرْكَ وَالْكَفْرًا  
 بِهِ ، وَلَعَاءً بِالسَّيْرِ عَنْهَا وَلَا عَثْرًا<sup>(٢)</sup>  
 وَأَكْرَمَهُمْ طَرًّا لِأَنْذَلِيهِمْ طَرًّا  
 لِأَنَّ رَحِيلِي كَانَ عَنْ حَلَبٍ غَدْرًا  
 بِحَزْمٍ وَلَا أَسْتَصْحَبْتُ فِي وَجْهَتِي حَجْرًا<sup>(٣)</sup>  
 وَلَوْ عَلِمُوا قَدْ كَانَ يُهْجَى بِمَا يُطْرَأُ<sup>(٤)</sup>  
 وَلَمْ يَفْتِ الْيَدَاءُ إِلَّا مَنْ اسْتَجْرَا<sup>(٥)</sup>  
 تَحُولُ غَدَاةِ النَّقْعِ عَنْ لَوْنِهَا غُبْرًا<sup>(٦)</sup>  
 إِذَا طَلَعَتْ بَيْضًا وَإِنْ غَرَبَتْ حُمْرًا  
 وَإِلَّا فَقَدْ أَبْلَغْتُ فِي حِرْصِهَا الْعُدْرَا

(١) « الْعِبْدَى » ، من الجموع الكثيرة للفظ « العبد » .

(٢) في الصبح والزيادات : « فلا لعاء بها » ، وهو خطأ .

(٣) « الْحَجْر » ، العقل وحسن الرأي .

(٤) في الصبح : « وقد أرى الخنزير » .

(٥) في الصبح والزيادات : « على دهياء ... ولم يفت الدهياء » ، ولا شك أن صوابها « دهناء مصر ...

والدهناء » ، و « الدهناء » الفلاة ، وبه سميت « دهاء بنى تميم » .

(٦) البيت في الصبح :

سَأَجْلِبُهَا أَشْبَاهَ مَا حَمَلَتْهُ مِنْ  
 أَسْنَتِهَا جُرْدًا مُقْسَطِلَةً غُبْرًا

٥ - ووُجِدَ في بعض النُسخ أنه كَتَبَ من رَامَهُرْمَزَ إلى كاتب كانت له عليه مِنَّةٌ ، هذه الأبيات ، - الشَّيرازيُّ : هذا الرجل هو أبو الفضل عبد الرحمن بن الحسين الغنْدجاني ، وكان عامل رَامَهُرْمَزَ من قَبْلِ مُعِزِّ الدولة ، وكان خَدَمَ أبا الطيب وقتَ آجتيازِهِ بِرَامَهُرْمَزَ خارجاً إلى آبن العميد ، وادَّعى أنه كتب إليه هذه القطعة = وحدَّثني جماعة أَنَّ هذه الأبيات هو قالها عن المتنبي إلى نفسه ونَحَلها إِيَّاه :

لَيْنَ حُمٍّ بَعْدَ الْقُرْبِ نَأَى وَلَمْ أَخْزِ      مِنْ الْوَصْلِ مَا يَشْفِي الْفُؤَادَ مِنَ الْوَجْدِ  
وَلَمْ تَكُنْ تَحِلْ عَيْنَايَ مِنْكَ بِنَظَرَةٍ      يَعُودُ بِهَا نَحْسُ الْفِرَاقِ إِلَى السَّعْدِ  
فَلْيَ لِحَظَاتٍ فِي الْفُؤَادِ بِمُقَلَّةٍ      مِنَ الذِّكْرِ تُدْنِيكُمْ كَأَنَّكُمْ عِنْدِي  
إِذَا هَاجَ مَا فِي الْقَلْبِ لِلْقَلْبِ وَحْشَةً      فَرَعْتُ إِلَى أُنْسِ التَّذَكُّرِ مِنْ بَعْدِ (١)

٦ - وقيل : إنه لما رأى « فاتكاً » من بعيدٍ وعَدِمَ أنه يريد قتاله قال :

أَفْرِغِ الدَّرْعَ يَاسِرَاجُ عَلَيَّ      وَأَنْظِرِ الْيَوْمَ مَا تَرَى مِنْ قِتَالِ  
فَلَيْنَ رُحْتُ فِي الْمَكْرِ صَرِيحاً      فَأَنْعَ لِلْعَالَمِينَ كُلِّ الرَّجَالِ (٢)

\*\*\*

ذِكْرُ مَقْتَلِ أُمِّي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

٧ - قال أبو أحمد رحمه الله : (٣) وجدتُ في آخر نسخة محمد بن هاشم الخالدي التي بخطه لشعر المتنبي رحمه الله . (٤)

« كُنَّا كَتَبْنَا كِتَاباً إِلَى أُمِّي نَصَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الْجُبَلِيُّ نَسْأَلُهُ شَرْحَ ذَلِكَ =

(١) هذا خبرٌ لم أره في شيء من الكتب . هكذا ضبطت في المخطوطة ، والأحود : « مِنْ نُعْدِ » .

(٢) في ديوان المتنبي (عزام) ص : ٥٨٨ ، هذا الشعر ، وأن المتنبي كان معه عبدٌ يقال له « سراج » ، فقال

له : يا سراج ، أخرج إليَّ الدرع . فبسها وتبياً للقتال ، ثم قال ...

(٣) « أبو أحمد » هو « عبد العزيز بن الفضل » ، الذي مضى في إسناده الخبر : ٣ .

(٤) هو نسخةٌ أيضاً منقولاً من خط الخالدي ، في ترجمة المتنبي لاس العديم رقم : ٨١ .

وهذا الرجل من وجوه التَّناء بهذه الناحية ، <sup>(١)</sup> وله أدبٌ وحُرمةٌ = فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه :

« وأما ما سألتما عنه من خبر مقتل أبي الطيب رحمه الله ، فأنا أنسقه لكما وأشرحه شرحاً بيّناً . أعلمنا أن مسيره كان من واسطٍ في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، قُتِلَ بَيْزَع ، <sup>(٢)</sup> ضَيْعَةُ تَقْرُبُ من دير العاقول ، في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . والذي تولّى قتله وقتل ابنه وغلّامه رجلٌ من بنى أسد يقال له « فاتك بن أبي الجهل بن فراس بن بداد » . وكان من قوله لما قتله وهو مُنْعَفِرٌ : « قُبْحاً لهذه اللحية يا سَبَّاب ! » ، وذلك أن فاتكاً هذا قرابةً لوالدة « ضبّة بن يزيد العيني » الذي هجاه المتنبي بقوله : <sup>(٣)</sup>

(١) « التَّناء » ، جمع « تانٍ » ، وهم المقيمون بالبلدة في أرض العجم ، وأصلهم منها .  
(٢) في المخطوطة « بنيزع » ، بالنون ، وهو كذلك في ديوان المتنبي (عزام) هامش ص : ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، غير أن ياقوتاً الحموي اقتصر على ذكرها في حرف الباء ، نقلاً من خط أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي صاحب هذا الخير .  
(٣) هكنا هنا وفي خبر ابن العديم وغيرهما ، والذي في آين الأثير ٨ : ٢٣٣ (سنة ٣٦٤) ، و ٨ : ٢٥٧ (سنة ٣٦٩) : « ضبة بن محمد الأسدي » . قال في الموضع الأول :  
« ..... وذلك أن يختار كتب إلى ضبة بن محمد الأسدي ، وهو من أهل عين التمر ، وهو الذي هجاه المتنبي ، فأمره بالإغارة على أطراف بغداد وقطع الميرة عنهم ، وكتب بمثل ذلك إلى بنى شيان .... » .  
وقال في الموضع الثاني ، (سنة ٣٦٩) :

« وفيها أرسل عضد الدولة سريّة إلى عين التمر ، وبها ضبة بن محمد الأسدي ، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق ، فلم يشعر إلا والعساكر معه ، فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً ، وأخذ ماله وأهله ، ومُلِكَتْ عين التمر ، وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين رضي الله عنه ، فعوقب بهذا » .

وهما خبران مهمّان في شأن مقتل المتنبي وتفسيره . ثم انظر « ديوان المتنبي » (طبعة عزام) ص : ٥٨٧ ، وفيها سماه أيضاً « ضبة بن محمد العيني » ، فهذا موضع للبحث والتحقيق . هذا وقد جاء في ديوان المتنبي (عزام) ، هامش ص : ٥٨٨ ، عن علي بن حمزة البصري أن المتنبي كتب هذه القصيدة في « ضبة » بواسط ، يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .



## مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً وَأُمُّهُ الطُّرْبُوبَةُ

ويقال إن « فاتكا » خال « ضبّة » ، وأن الحميّة داخلته لما سمع ذكراً بالقبيح في الشعر ، وما للمتنبي شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً ، فكان على سخافته وركاكته سبب قتله وقتل ابنه وذهاب ماله .

• وأما شرح الخبر ، فإن « فاتكا » كان صديقاً لى ، وكان كما سُمى فاتكاً لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال ، فلما سمع الشعر الذى هُجى به « ضبّة » أحفظه ذلك واشتد عليه ، ورَجَعَ على « ضبّة » باللوم ، وقال له : قد كان يجب أن لا تجعل لشاعرٍ عليك سبيلاً ! وأضمر غير ما أظهر ، واتصل به خبر انصراف المتنبي من بلد فارس إلى العراق ، وأن اجتيازه بجبل ودير العاقول ، فلم يكن ينزل عن فرسه وجماعة من بنى عمّه ، رأيهم فى المتنبي مثل رأيه ، فى طلبه واستعلام خبره من كل صادرٍ وواردٍ ، وكان « فاتك » يتحرى خوفاً أن يفوته . وكان كثيراً ما يجيئنى وينزل عندى ، فقلت له يوماً وقد جاءنى وهو يسأل قوماً مُجتازين عنه : قد أكرت المسألة عن هذا الرجل ، فأى شيء عزمك أن تفعله متى لقيته ؟ قال : ما عزمى إلا للجميل ، وأن أعدّه على ما أفحش فيه من الهجاء . فقلت له : هذا الأليق بأخلاقك والأشبه بأفعالك . فتضاحك ثم قال : والله يا أبا نصر ، لئن أكتحلت عينى به أو جمعتنى وإياه بقعةً لأسفكن دمه ولأمحقن حياته ، إلا أن يُحال بينى وبينه . فقلت له : كُف ، عافاك الله ، عن هذا القول ، وأرجع إلى الله ، وأزل هذا الرأى من قلبك ، فإن الرجل شهير الاسم بعيد الصوت ، وقثلك إياه فى شعرٍ قاله لا يحسن ، وقد هجت الشعراء الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام ، فما علمنا أن شاعراً قُتل بهجاء [ وقد قال الشاعر ] :

هَجَوْتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إِنِّي مَدَحْتُهُ وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تُهْجِي وَتُمْدَحُ

« ولم يبلغ جرّمه ما يوجب قتله ! فقال : يفعل الله ما يشاء ! وانصرف ، فلم يمض لهذا القول إلا ثلاثة [ أيام حتى وافى ] المتنبي ومعه بغالٌ موقرةٌ كلّ شيء من الذهب

والفضة والثياب والطيب والجوهر والآلة ، لأنه إذا [ كان مسافراً لم يُخْلَفْ ] في منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يساوي درهماً واحداً فما فوقه ، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره ، [ لأنه كان قد انتخبها ] وأحكمها قراءةً وتصحيحاً . قال : فتلقَّيْتُهُ وأَنْزَلْتُهُ دارى وساءلْتُهُ عن أخباره ؟ وعَمَّنْ لَقِىَ ؟ وكيف وجد مَنْ قَصَدَهُ ؟ [ فعَرَفْنِى ] من ذلك ما سُرِّرت به ، وأقبل يصف لى آبن العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمه ، وسماحة المَلِكِ أبى شجاع فَنَاحَسِرُوْ ، ورغبتُهُ فى الأدب وميلُهُ إلى أهله . فلما أَمْسِينَا قلت له : على أى شىء أنت مُجْمِع ؟ قال : على أن أَتَّخِذَ الليلَ جملاً ، فإن السيرَ يَخْفُ فيه على . قلت : هذا هو الصواب = رَجَاءُ أَنْ يُخَفِّيهُ اللَّيْلُ ، ولا يَصْبَحُ إِلَّا وقد قطع بلدًا بعيداً = وَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ معكَ من رَجَالَةٍ هذه المدينة الذى يَخْبُرُونَ الطريقَ ويعرفونَ المواضعَ المَخُوفَةَ فيه ، جَمَاعَةٌ يَمْشُونَ بين يديكَ إلى بَغْدَاد . فقطَّبَ وقال : ولم قَلْتُ هذا القول ؟ قلت : تستأنس بهم . قال : أَمَّا والجُرَّازُ فى عنقى فما بى حاجة إلى مُؤَنَسٍ غيره . قلت : الأمر كما تقول ، والرأى فيما أشرتُ به عليك . فقال : تلويحك هذا يُنْبِئُ عن تعريض ، وتعريضك يُخْبِرُ عن تصريح ، فعَرَفْنِى الأمرَ وَبَيَّنْ لى الخَطْبُ . قلت : إن هذا الجاهل « فاتكأ الأسدى » كان عندى منذ ثلاثة أيام ، وهو مُحَفَظٌّ عليك لأنك هجوت ابن أختِهِ ، وقد تكَلَّمْ بأشياء توجب الاحتراسَ والتيقُّظَ ، ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بنى عَمِّهِ قَوْلُهُمْ مِثْلُ قَوْلِهِ = قال : وغلامه كان عاقلاً لبيباً فارساً يسمع كلامنا = فقال : الصوابُ ما رآه أبو نصر ، تُخَذُ معكَ عشرين راجلاً يسيرون بين يديكَ إلى بغداد . فاغتَناظَ غيظاً شديداً وشمَّ الغلامَ شتماً قبيحاً ، وقال : والله لا تُحَدِّثْ عَنى أبى سِرْتُ فى خُفَّارَةِ غيرِ سِفْنى . فقلت له : يا هذا ، فأنا أَوْجَّهُ قوماً من قِبَلِى فى حاجة يسيرون بمسيرك ويكونون فى خُفَّارَتِكَ . قال : والله لا فعلتُ شيئاً من هذا . وقال لى : يا أبا نصر ، أَبْخُرُوءِ الطيرَ تُحَشِّسْنِى ، ومن عبيد العصا تخاف على ! والله لو أن مِحْصَرَتى ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أَسَدٍ مُعْطِشُونَ لَحَمْسٍ ، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ، ما جَسَرَ لهم خُفٌّ ولا ظِلْفٌ أَنْ يَرِدَهُ ! حاشَ لله من فكر أَشْغَلَهُ بِهِمْ لحظةَ الْعَيْنِ . فقلت له : قل إن شاء الله . فقال : كلمة مَقُولَةٌ لا تُدْفَعُ مقضياً ولا تستجلب آتياً ! ثم ركب فكان آخر العهد به .

« قال : ولما صَحَّ عندى خبر قتله ، وَجَّهْتُ مَنْ دَفَنه وآبَنه وَغلامه ، وَذَهَبْتُ دماؤهم هَدْرًا » .

\*\*\*

« أَمَّا قَوْلُهُ : « أَبْخُرُوءِ الطَّيْرِ تُخَشِّنُنِي ، وَمَنْ عَبِيدَ الْعَصَا تَخَافُ عَلَيَّ » ، فَإِنَّ بَنِي أَسَدٍ يُلَقَّبُونَ « خُرُوءَ الطَّيْرِ » ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ : (١)  
فَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ خُرُوءُ الطَّيْرِ عَنْ أَرْيَابِهَا  
وَيُلَقَّبُونَ أَيْضًا « عَبِيدَ الْعَصَا » ، قَالَ الشَّاعِرُ ، وَنَظَّمَهُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ أَيْضًا :  
\* قَوْلًا لِلدُّودَانَ عَبِيدَ الْعَصَا \* (٢)

\*\*\*

٨ - قَالَ أَبُو أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ : (٣) حَدَّثَنِي الشَّرِيفُ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ أَنَّ الْمُتَنَبِّيَّ كَانَ لَهُ أَبٌ سَقَاءٌ بِالْكُوفَةِ يَعْرِفُ بَعِيدَانَ السَّقَاءِ ، (٤) وَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ بَائِنَ عَبْدَانَ

(١) هَذَا لَيْسَ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ ، بَلْ لِدَخْتُوسَ بِنْتِ لَقِيطَ بْنِ زُرَّارَةَ ، تَرَفَّى أَبَاهَا ، وَقُتِلَ يَوْمَ شَيْعٍ جَبَلَةَ . وَخَبِرَ ذَلِكَ فِي الْأَغَانِي ( ١١ : ١٣١ - ١٦٣ ، الدَّارِ ) ، وَهَذَا الْبَيْتُ فِي الْأَغَانِي ( ١١ : ١٤٦ ) فِي أَرْعَةِ أَيْبَاتٍ ، وَهُوَ فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ بَيْتًا فِي « بَلَاغَاتِ النِّسَاءِ » لِطَيْفُورٍ ص : ١٨٥ ، وَأَوَّلُ الْأَبْيَاتِ عِدَائِي الْفَرَجَ فِي الْأَغَانِي :

بَكَرَ النَّعْيُ بِخَيْرٍ خَنْدِفَ ، كَهْلِهَا وَشَبَابِهَا

وَهُوَ مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ : « مُتَعَاعِلُنْ مُتَعَاعِلُنْ » ، ابْنُ الْعَدِيمِ رَقَمَ : ٨١ ، فِي آخِرِهَا .

(٢) هَذَا لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَتِمَامُهُ :

\* مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ \*

(٣) هُوَ الَّذِي يَرَوِي عَنْهُ الرَّبِيعِيُّ ، كَمَا سَلَفَ رَقَمَ : ٣ ، وَرَقَمَ : ٧ .

(٤) هَكَذَا هِيَ هَا « عَبْدَانَ » نَالِبَاءُ الْمُوَحَّدَةِ ، وَنَظَرَ مَا كَتَبْتُهُ آنَفًا ص : ١٣٧ تَعْلِيْقُ : ١ .

السقاء ، وأنه خرج من الكوفة سنة عشرين وثلاثمئة ، ثم دخل بغداد ، ورحل إلى فارس سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، ثم إنه أراد الرجوع فقتل في الطريق .

\*\*\*

٩ - ومما قاله في صباه وشده عنه بعضه ، قوله : (١)

سَيْفُ الصُّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلِّدِهِ	يَفْرِي طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ
مَا اهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عُضْوٍ لِيَبْتَرُهُ	إِلَّا اتَّقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَحْلِيدِهِ
ذَمُّ الزَّمَانِ إِلَيْهِ مِنْ أَحْيَيْهِ	مَا ذَمَّ مِنْ بَدْرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ
شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَأَقْتَهُ عَلَى فَرْسٍ	تَرَدَّدَ الثُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ
إِنْ يَقْبُحَ الْحُسْنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ	فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ
قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طِبُّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا	لَا يَصْدُرُ الْحُرُّ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مَذْعُوفَتِي	لَمْ يُولَدِ الْجُودُ إِلَّا مِنْذُ مَوْلِدِهِ
نَفْسٌ تُصَغَّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرِ	لَهَا نُهَى كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرَدِهِ

\*\*\*

١٠ - وقال أيضا في صباه يهجو الذهبي : (٢)

لَمَّا اتَّسَبَتْ فَكُنْتُ أَبْنَاءَ لِعَيْرِ أَبِي	ثُمَّ اخْتَبِرْتُ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبِ
سُمِّيَتْ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً	مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتُ وَبِكَ بِهِ	يَأْيُهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقْبِ

\*\*\*

(١) انظر هذه الأبيات في ديوان المتنبي ( طبعة عزام ) ص : ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

(٢) انظر هذه الأبيات في ديوان المتنبي ( طبعة عزام ) ص : ٥٣٤ .

١١ - ووجدت هذين البيتين في نسخة منسوبة إلى أبي الطيب : (١)

أَتَانِي عَنْكَ قَوْلٌ فَازْدَهَانِي      وَمِثْلُكَ يُتَقَى أَبَدًا وَيُرْجَى  
وَلَوْلَا ظَنَّةٌ لَحِقَتْ فُؤَادِي      وَجَدْتُ إِلَيْكَ طُرُقًا مِنْكَ نَهَجًا

...

١٢ - ووجدت في نسخة من شعره ، قال علي بن مُرٍّ : رأيتُ أبا الطيب ينشد بعض أهل سوقِ البزِّ فكتبت إليه : (٢)

يَا حَاضِرًا عِنْدِي إِذَا لَمْ يَحْضُرْ      عَيْنُ الضَّمِيرِ يَرَاكَ أَحْسَنَ مُنْظَرٍ  
أَكْثَرَتْ مِنْ تَثْرِ اللّٰلَى آنِفًا      فَتَرَكْتَ سَوْقَ الْبَزِّ سَوْقَ الْجَوْهَرِ  
إِنِّي لَأَسْمَعُ مِنْ قَرِيضِكَ مُعْجَزًا      نَحْتُ الصُّخُورِ لَهُ وَغَرْفُ الْأُبْحُرِ  
عَجَبًا لَأَذَانٍ لَيْسَنَ حُلِيَّهُ      فَصَعَيْنَ لِلطَّائِي أَوْ لِلْبُحْتَرِ  
فلم يجبني ، فكتبتُ إليه :

يَا وَاحِدَ الْإِنشَاءِ وَالْإِنشَادِ      وَمَهْذَبِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ  
لَكَ سَيْفٌ شِعْرٍ لَا يُبَارَى ، وَاسْمُهُ      فَارِي الدُّرُوعِ وَآكِلُ الْأَغْمَادِ  
وَصَلَتْ هَدِيَّتُنَا فَمَا كَافَأَتُنَا      أَيَّا يَسُدُّ عَلَيْكَ بَابَ سَدَادِ  
لَا تُفْسِدِ الْأَدَبَ الْمُشَهَّى بِالْجَفَا ،      يَا ذَا الْبَرَاةِ ، أَيُّمَا إِفْسَادِ  
لَوْ كُنْتُ بَحْرًا لَمْ يُشَبَّ بِمُلُوحَةٍ ،      أَوْ كُنْتُ بَدْرًا لَمْ يُشَنَّ بِسَوَادِ

...

١٣ - ووجدت في نسخة أخرى من شعره ، حدث أبو جعفر محمد بن

(١) ليسا في زيادات شعر المتنبي للراجكوتي .

(٢) لم ألق على هذا الخبر والشعر الذي فيه في شيء من الكتب .

الحسن ، قال : حضرت مجلس المتنبي في دَخَلته الثانية إلى بغداد ، في دار أبي الحسن العروضي في رَبع حُمَيْد ، وعنده جماعة من الأدباء ، ودخل عليه هرون بن المُنْجَم فطاولَهُ الحديث ، وكان ينشده مما قاله في وصف الحروب والخيل ، فقال له هرون : أقول ما قال الشاعر :

أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ سَيْفٍ وَرُمْحٍ ، طَوِيلُ الْعُمَرِ بَيْنَهُمَا قَصِيرُ

فَأُعْجِبَ الْخَلْقُ بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَأُطْرَقَ الْمَتَنِيُّ سَاعَةً فَأَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ :

فَإِنْ أَغْمَدْتُ ذَا وَكَسَرْتُ هَذَا فَإِنَّ كَثِيرًا مَّا أَبْقَى يَسِيرُ

فَأُعْجِبَ مِنْ حُضْرِ بَخَاطِرِهِ وَسُرْعَةِ اقْتِضَائِهِ هَذَا الْبَيْتَ وَإِجَازَتِهِ مَا تَقَدَّمَ . (١)

\*\*\*

١٤ - ووجدت في ديوان بخط علي بن عيسى النحوي ، في أوّل ديوانه :

وكان رجلٌ من أهل مصر يعرف بأبي عبد الله الحَرْشِيِّ ، ادَّعَى إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وكان ورأفًا لَقِيَ أبا الطَّيِّبَ بِمِصْرَ ، فكتب على ديوانه « السُّلَمَى » ، فقال لي أبو الطَّيِّبَ بفارس لما رأى هذا النسب : أما رَضِيََ هذا الرجل أن عمل لنفسه نَسَبًا حَتَّى نَسْبُنِي إِلَى مَنْ لَسْتُ مِنْهُ ! (٢)

١٥ - قال : ورأيت مرةً يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَسِبَ ، قال : لأنني كنت أطرًا على قوم بعد قوم من البادية ، فلا أختار أن يعرف أحدٌ نَسْبِي ، لئلا أكون ممن يُعَادِيهِ . ورأيت مرة أخرى يتشكك ويقول : أكثر الناس لا يعرف جميع آبائهم ، وأكثر العرب = زَعَمَ = على

(١) لم أقف على هذا الخبر في شيء من الكتب .

(٢) هذا الخبر رواه ابن العديم رقم : ١٠ مختصرًا ، وفيه فائدة ليست هنا ، وهي قول الرعي : « رأيتُ عنده ( أي عند المتنبي ) جزءًا من شعره بخط أبي أي الجوع المصري ، وعليه بخط آخر : المتنبي السُّلَمَى البغدادي » .

ذلك ، إنما يكون في الحَيِّ واحد يَنْسُبُهُمْ . وقال لى مرة أخرى : الإنسان بأفعاله لا يَنْسَبُهُ ، وقد يوجد في كل الناس الفاضل والناقص ، وأَيْشٍ ينفع النسب ؟ (١)  
 ١٦ - قال : (٢) وكان على ظهر كتابه خارجاً من الديوان بخطّ آبن أوى الجُوع الأبيات ، وهى (٣) :

\* لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرَذُ الْمُسْتَعِيرُ \* (٤)

ووجدتُ أيضاً خارجاً من ديوانه : « وقال فى صباه يهجو الذهبى : » لَمَّا نُسِبَتْ » ، الأبيات . (٥)

هذا ما كان خارجاً من ديوانه ، وقرئ عليه وسمعه أكثر من عشرين مرة . (٦)  
 ١٧ - ثم وجدتُ ببغداد شيئاً منسوباً إليه لم أسمع منه ولا أرويه ، لأنه قال لى بعد السماع الكثير : لا تَرَوْ عَنى إلا ما صحَّ من الديوان مِمَّا كُتِبَ لى أو رأيته منى ، (٧) وكان معه ببغداد جزآن فى أربع وَرَقٍ مَنْصُورِيٍّ بخطّ آبن أوى الجُوع ، وصار معه إلى فارس الأول منهما وضاع الآخر ، وقد كنت كتبتُه من هذا الجزء فى دار المتنبي حرفاً حرفاً من إملائه عَنى من هذا الجزء ، ومن نقلى أنا بغير الإملاء . وكان يُقْرَأُ عليه هذا الديوان فأسمعه بقراءة الناس ببغداد وشيراز ، وكنت إذ ذاك لا أرى القراءة عليه بنفسى ، لأنه ربّما كان

(١) هذه أخبار عن المتنبي مهمة جداً فى شأن كتابه نفسه ، وكيف كان المتنبي يتكلم فى شأن اسب ، ودلالة ذلك .

(٢) « قال » هو الرعى نفسه الذى يقول . وقوله : « على ظهر كتابه » ، هكذا هو . ولعله « على ظهر كتابه » ، بالهاء المضافة .

(٣) « اس أوى الجوع » ، سيأتى تمام اسمه ونسبه فى ترجمة ابن العديم رقم : ٦ . والمقريرى رقم : ٢٣ .

(٤) هو فى شعره فى شرح الواحدى وغيره ، وتماه :

أَسِيرَ الْمَنَايَا صَرِيحَ الْعَطَبِ \*

(٥) هى السالفة فى رقم : ١٠ .

(٦) قائل هذا هو الرعى .

(٧) فى المخطوطة : « مما كتب له » ، ولعل صواب ما بعده « أو رويته عنى » .

أخذ مني ما يتعلق بنحو أرويه له عن أبي علي الفارسي رحمة الله عليه ، فكنت أكره مع ذلك القراءة عليه . (١)

١٨ - وسألني بعض أصدقائي أن أقرأ له عليه الفارسيات ليحملها إلى خراسان ، (٢) فَقَرَأْتُهُنَّ تَكْرِمَةً لِمَنْ قِيلَتْ فِيهِمَا حَسْبُ . وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا يَصْنُقُ [ في رواية ] هذا الديوان مَنْ اتَّصَلَتْ مَخَالِطُهُ وَمَجَالِسُهُ بِهِ .... كَصِدْقٍ فِيهِ . (٣)

١٩ - ثم إنه = يعنى المتنبي = سار عن حضرة الأمير عضد الدولة ، ومعه خيل مختارة ومطايا منتخبة ، موقرة بالعبيد وال سلاح والعين والورق ، وفاخر الكُسى ، وطرائف التحف ، وغرائب الألفاف ، يُغذُّ السير بنفسه وعبيده لا غير ، وأعين أعدائه ترمقه ، وأخباره إلى كل بلد يحلُّه تسبقه ، حتى إذا كان حيال « الصافية » من الجانب الغربي من سواد بغداد ، أسفل منها بنحو عشرة فراسخ ، عرض له فالك بن أبي الجهل الأسدي في عدة من أصحابه ذوى عُدَّةٍ وَتَجْدَةٍ فاغتاله هناك ، فقتله وابنه مُحَسَّدًا وغلماً له يقال له « مُفْلِحٌ » وأخذ جميع ما كان معه مما ذكرناه ، بعد أن أبلى فيهم ، وذلك في يوم الاثنين لست ليالٍ بقين من شهر رمضان . (٤)

...

(١) هذا خبر مهم جداً ، في قراءة المتنبي شعره ببغداد شيراز .

(٢) قوله « الفارسيات » يعنى ما قاله المتنبي في آبن العميد وعضد الدولة .

(٣) هذا الخبر رقم : ١٨ ، رواه ابن العديم في ترجمته رقم : ١١ مع اختلاف في اللفظ واضح . ومكان

النقط بياض في المخطوطة قدر كلمتين محوَتين .

(٤) الخبر رقم : ١٩ ، لم أجده هذا اللفظ . وانظر ديوان المتنبي (عزام) ص : ٥٨٧ ، وفيه ذكر غلامه



٢ - ترجمة المتبّي لابن العديم



## ( ٢ )

/ ترجمة المتنبي من « بغية الطلب »

٢٤٩ ٢

لابن العديم

\*\*\*

١ - / أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، أبو الطيب الجعفي ٢٦  
الكوفي الشاعر المعروف بالمتنبي .

٢ - وقيل : هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، وكان والده الحسين  
يعرف بـعبدان السقاء .

٣ - وكان أبو الطيب شاعراً مشهوراً مذكوراً محظوظاً من الملوك والكبراء الذين  
عاصروهم ، والجيد من شعره لا يُجَارَى فيه ولا يُلْحَق ، والردىء منه في نهاية الرداءة  
والسقوط ، وكان يتعظم في نفسه ويترفع ، وقيل : إنه ادّعى « النبوة » في حادثته فلقلب  
المتنبي لذلك ، وكان عارفاً باللغة قيماً بها .

٤ - قدم الشام في صباه وجال في أقطارها ، وصعد بعد ذلك إلى الديار  
المصرية ، وكان بها في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة .<sup>(١)</sup> ثم قدم حلب وافداً على الأمير  
سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان مادحاً له ،<sup>(٢)</sup> فأكرمه ونفق عليه ،  
وصار خصيصاً به ، ملازماً له حَضَراً وسَفَراً ، / إلى أن خرج من حلب غضباناً بسبب ٢٥٠ ٢

(١) دخوله مصر وكونه بها في سنة ٣٣٥ هـ ، خبر حديد لم أجد من ذكره ، انظر الآتي رقم : ٦٦ :

وترجمة المقرئ رقم : ١٧ وهو يوجب إعادة النظر في ترتيب رحلة المتنبي مدحاً له ، إلى أن نفى سيف الدولة سنة

٣٣٧ هـ ، وقرأ تنمة الخير وقوله : « الدفعة الثانية » .

(٢) في الأصل : « ومادحاً له » ، كأنه أراد أن يكتب « ومدحه » .

كلام وقع بينه وبين أئى عبد الله بن خالويه فى مجلس سيف الدولة ، فضر به أبى خالويه بمفتاح . وكان دخوله إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، وخروجه منها إلى مصر الدفعة الثانية فى سنة ست وأربعين وثلاثمئة ، <sup>(١)</sup> وكان نزوله بحلب فى محلتنا المعروفة بأدرنى كسرى [ هكذا فى الأصل ] . قال لى والدى : وكانت داره داراً هى الآن خانكاه سعد الدين كمشتكين ملاصقة لدارى .

٥ - وكان ابن خالويه مُؤدَّب وَلَدَى الأمير سيف الدولة : أئى المكارم ، وأئى المعالى . فظفرت بجزء بخط ابن خالويه ذكر فيه ما يحفظه الأميران المذكوران ، فذكر أنواعاً من الفقه والأدب وأشعار العرب ، وقال فى جملةها : « ويحفظان من شعر الشاعر المعروف بالمتنبى كذا وكذا قصيدة » ، وعينها ، ولم يذكر أنهما يحفظان لغيره من العصرين شيئاً . وهذا يدل على عظم قدره وجلالة أمره فى ذلك الزمان .

٦ - رَوَى عن أئى الطيب : القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملى ، وأبو الفتح عثمان بن جنى النحوى ، وأبو محمد الحسن بن على بن الصقر الكاتب ، وأبو الحسن على بن أيوب بن الحسين بن الساريان الكاتب ، <sup>(٢)</sup> والأستاذ أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه ، وأبو عبد الله / بن باكويه الشيرازى ، <sup>(٣)</sup> وأبو الحسن على بن عيسى الربعى ، وأبو القاسم بن حسن الحمصى ، وعبد الصمد بن زهير بن

(١) انظر ص : ٥٨٣ ، والتعليق السالف رقم : ١ .

(٢) « الساريان » يقال لمن يحفظ الجمال فى مرعاها . قال الخطيب فى تاريخه ( ١١ : ٣٥١ ) « على بن أيوب ابن الحسين بن أيوب بن أستاذ ، أبو الحسن ، القمى الكاتب المعروف بابن الساريان سكن بغداد .... وذكر لنا أنه سمع من المتنبي ديوان شعره ، سوى القصائد الشيرازيات . فقرأت عليه جميع الديوان ، وكان رافضياً ، وكان يذكر أن مولده شيراز فى سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، ومات ببغداد فى سنة ثلاثين وأربعمئة . عجيبة !! إذا كان ما قاله هذا الرافضى صحيحاً ، فمتى سمع من المتنبي ديوانه ، وهو قتل سنة ٣٥٤ ؟

(٣) ترجمته فى الأنساب للسمعانى ٢ : ٥٥ ، والإكمال لابن ماكولا ١ : ١٦٦ ، والمشتبه للذهبي ٤٤ ، وتبصير المتنبي لابن حجر : ٥٧ ، وتاج العروس ( باك ) ، ولباب الأنساب للسيوطى ١ : ٩١ ، وهو فى أكثرها : « أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن باكويه » ، وانفراد ابن حجر فى لسان الميزان ( ٥ : ٢٣٠ ) فقال : « محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن باكويه » ، توفى بعد عشرين وأربعمئة .

هارون بن أبي جَرادة ، ومحمد بن عبد الله بن سَعْدِ النَحْوِيّ الحليّان ، وعبد الله بن عبيد الله الصُّفْرِيّ الشاعر الحليّ ، وعبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الجُوع الورّاق المِصْرِيّ ، <sup>(١)</sup> وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن المَعْرِيّ ، وأبو بكر الطائِيّ ، وأبو القاسم النَّيْلَبَخْتِيّ ، وأبو محمد الحسن بن عمر بن إبراهيم ، وأبو العباس ابن الحَوْت ، <sup>(٢)</sup> وجماعة سواهم . [ انظر ترجمة المقرئى رقم : ٣٢ ] .

٧ أنبأنا تاج الأُمْناء أحمد بن محمد بن الحسن ، قال ، أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن عمّي قال ، قال لنا هبةُ الله بن عبد الله بن أحمد الواسطيّ ، قال لنا أبو بكر الخطيبُ : « عِيدَان » بكسر العين ، والياء المعجمة باثنتين من تحتها ، هو والدُ أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبيّ ، كان يُعْرَفُ بعيدان السَّقَاء .

\*\*\*

٨ - أخبرني صديقنا أبو الدّرّ ياقوت بن عبد الله الروميّ ، مولى الحَمَوِيّ أخبرني / البغداديّ قال : رأيت / ديوان أبي الطيب المتنبيّ بخط أبي الحسن علي بن عيسى <sup>٢٧</sup> الرُّبَيْعِيّ ، قال في أوّله : « الذى أعرفه من نسب أبي الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن مُرّة بن عبد الجبار الجُعْفِيّ ، وكان يكتم نسبه ، وسألته عن سبب طيّهِ ذلك فقال : إني أنزل دائماً بعشائر وقبائل من العرب ، ولا أحبُّ أن يعرفوني ، خِيفَةَ أن يكون لهم في قومي تَرَةً . وهذا الذى صحّ عندي من نسبه . قال : واجتزت أنا وأبو الحسن محمد بن عبيد الله السَّلَامِيّ الشاعر على الجسر ببغداد ، وعليه من جملة السُّؤال رجل مكفوفٌ . فقال لي السَّلَامِيّ : هذا المكفوف أخو المتنبيّ ، <sup>(٣)</sup> فدنوت منه فسألته عن ذلك فصدّقه ،

(١) انظر ترجمة الربيعي رقم : ١٦ ، ١٧ ، وفيه صفة الديوان وصفة ورقه .

(٢) هكذا ضبط في الأصل .

(٣) هذه أيضاً فائدة لم نجهدها من قبل عبد أحد . هكذا قلت في الطبعة السالفة ، ثم وجدت في تكملة تاريخ الطبرى للهمداني ( ١ : ١٩٥ ) خبراً يذكره عن أبي الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوى ، وذكر المتنبي فقال في آخر الخبر : « وكان أخوه ضريراً يتصدّق ببغداد ، وادّعى أنّه حُسَيْنِيّ ، ثم ادّعى بكلب أنه نبيّ ، فأشرف على القتل فاستتابوه » . [ انظر ما سيأتى ص ٦١١ ، تعقيب : ٣ ] ، ثم انظر شبهها هذا الخبر ، عن آبن عمّ للمتنبيّ في شأن نسبه ، في ترجمة الربيعي رقم : ٢ .

وانتسب هذا النسب وقال : « من ها هنا أنقطع نسبنا » . وكان مولده بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمئة ، وأرضعته امرأة علوية من آل عبيد الله . <sup>(١)</sup> [ الربعي رقم : ١ ، ٢ / وابن عساكر رقم : ٣ / المقرئ رقم : ٥ ] .

٩ - « قال الربعي : وقال لي المتنبي : « كنت أحب البطالة وصُحبة البادية ، وكان يذم أهل الكوفة ، لأنهم يضيِّقون على أنفسهم في كل شيء ، حتى في الأسماء فيتداعون بالألقاب » <sup>(٢)</sup> ولما لُقبْتُ ثقل ذلك عليَّ زماناً ، ثم ألفتُهُ » . <sup>(٣)</sup>

١٠ - « وقال الربعي : رأيت عنده بشيراز جزءاً من شعره بخط ابن أبي الجُوع الوراق المصري ، <sup>(٤)</sup> وعليه بخط آخر : « المتنبي السلمي البغدادي » فقال : ما كفاه أن عزاني إلى غير بلدي ، حتى نسبني إلى غير أبي ! <sup>(٥)</sup>

١١ - « قال : وما أظن أن أحداً صدق في رواية هذا الديوان صدق ؛ فإنني كُنْتُ أكاثره ونحن / بشيراز ، وربما أخذ عني من كلام أبي على النحوي ، وسمعت شعره

(١) هذا خبر الربعي صاحب المتنبي ، الذي جاء فأيد قول في « علوية » أبي الطيب ، وكنت استرحرت هذا القول استخراجاً من دراسة ديوانه ، بلا دليل قاطع في الرواية إلا ما رواه الغدادي في الخزائنة عن الأصفهاني ( انظر ما سلف : ١٦٧ ) من أن المتنبي ، « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الكوفة » . فالمتنبي إلا يكن علويًا كل العلوي ، فإنه أخوهم من الرضاع . و « آل عبيد الله » هم بنو : « عبيد الله بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومهم العلوي الذي مدحه المتنبي صغيراً ، وهو الأشتر ، أو المشطب » أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن الحسين ..... ، انظر ما سلف ص : ١٥١ تعليق : ١٥٣/٣ ، تعليق : ١٦٤/١ ، تعليق : ١٦٧/١ ، تعليق : ١٦٨/١ ، هذا ، وانظر اخبر مختصراً في ترجمة المقرئ الآتية رقم : ٢ . وانظر أصله في ترجمة الربعي رقم : ١ .

(٢) ما بين الخطين ( — ) من كلام الربعي معترضاً في كلام أبي الطيب .

(٣) وهذا أيضاً خبر جديد مهم جداً ، في سبب تلقيبه « المتنبي » ، وهو في ترجمة الربعي رقم : ١ . وكل أخبار الربعي مهمة .

(٤) انظر ما سلف . رقم : ٦ ، ص : ٥٨٥ .

(٥) ترجمة الربعي رقم : ١٤ . ثم رقم : ١٧ فيه ذكر ديوان المتنبي بخط ابن أبي الجُوع .

يُقْرَأُ عليه دَفْعَاتٍ ، ولم أقرأ عليه إلا العضديات والعميديات ، فإن قرأتها تكربة لمن قيلت فيه ، ونقلتها بخطي من مُدْرَج بخطه كان معه . (١) هذا آخر كلام الرَّبْعِيِّ » .

\*\*\*

١٢ - أخبرنا أبو اليُمْنِ زيد بن الحسن بن زَيْد الكندي ، فيما أذن لنا فيه ، قال ، أخبرنا أبو منصور بن زُرَيْق قال : قال لنا أبو بكر الخطيب : (٢) / أحمد بن الحسين بن عبد الصَّمَد أبو الطيب الجُعْفِي - المعروف بالمتنبي ، بلغني أنه ولد بالكوفة في سنة ثلاث وثلاثمئة ، ونشأ بالشام ، وأكثر المُقَام بالبادية ، وطلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس ، وتعاطى قول الشعر من حديثه ، حتى بلغ فيه الغاية التي فاق [ بها ] أهل عصره ، وعلا شعراء وقته . واتصل بالأمر إلى الحسن بن حَمْدَانَ المعروف بسيف الدولة ، وانقطع إليه وأكثر القول في مديحه . ثم مضى إلى مصر فمدح بها كافور الخادم ، وأقام هناك مدة ، ثم خرج من مصر وورد العراق ، ودخل بغداد وجالس بها أهل الأدب ، وقرئ عليه ديوانه .

١٣ - فحدثني أحمد بن أبي جعفر القَطِيعِي ، عن أبي أحمد عُبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفَرَضِي قال : لما ورد المتنبي بغداد سكن في رِبَض حُمَيْد ، فمضيت إلى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئاً من شعره ، فلم أصادفه ، فجلست أنتظره ، وأبطأ عليّ ، فانصرف من غير أن ألقاه ، ولم أعد إليه / بعد ذلك . وقد كان القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي يسمع منه ديوانه ورواه عنه .

١٤ قال الخطيب : أخبرنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخِي ، عن أبيه قال ، حدثني أبو الحسن محمد بن يحيى العلويّ الزيدي قال : (٣) كان المتنبي وهو صبيّ ينزل

(١) انظر ترجمة الرعي رقم : ١٨ .

(٢) هذه الأخبار من رقم : ١٢ إلى آخر رقم : ١٧ . في كتاب تاريخ بغداد ، ٤ : ١٠٢ - ١٠٤ ،

ثم انظر تمامها هنا من رقم : ٢٣ .

(٣) خبر أبي الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلوي . مذكور أيضاً في تكملة تاريخ الطبري للهمداني الجزء الأول : ١٤٩ [ بيروت ١٩٦١ ] ، وفيه بعد قوله : « فحاناً بعد سنين بدويّاً فحاً » ما يلي نصه : « وكان لا يعترف بسبسه ، ويقول : متى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين قبيلة . وكان أخوه =

في جوارى بالكوفة ، وكان يُعرَف أبوه بـعِيدَان السَّقَاء ، يستقى لنا ولأهل المحلة ، ونشأ هو محباً للعلم والأدب ، فطلبه ، وصحب الأعراب في البادية ، فجاءنا بعد سنين بدويًا قُحًا ، وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرني / ورَّاق كان يجلس إليه يوماً قال لي : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عِيدَان قَطُّ ! فقلت له : كيف ؟ فقال : كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي ، سمَّاه الوراق ، وأنسيه أبو الحسن ، يكون نحو ثلاثين ورقة ليبعه ، قال : فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له الرجل : يا هذا أريد بيعه ، وقد قطعنتي عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر .<sup>(١)</sup> قال : فقال له ابن عِيدَان : فإن كنت قد حفظته في هذه المدة فما لي عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه على إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كُفِّه وقام ، فعَلِقَ به صاحبه وطالبه بالثمن ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ، قد وهبته لي ! قال : فمنعناه منه وقلنا له : أنت شَرَطْتَ على نفسك هذا للغلام ! فتركه عليه .<sup>(٢)</sup>

١٥ - وقال أبو الحسن : كان عِيدَان والد المتنبي يذكر أنه من جُفَعِي ، وكانت جَدَّة المتنبي هَمْدَانِيَّةً صحيحة النَّسَبِ لا أشك فيها ، وكان جارتنا ، وكانت من صلحاء الكوفيات . [ المقريزي رقم : ٤ ] .

١٦ - قال التنوخي ، قال أبي : فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين إلى الأهواز منصرفاً من فارس ، فذاكرته بأبي الحسن ، فقال : تَرِنِي وصديقي وجاري بالكوفة ! وأطراه ووصفه . وسألت المتنبي عن نسبه ، فما اعترف لي به ، وقال : أنا رجل أُحْبِطُ

= ضريباً يتصدق ببغداد ، وادَّعى أنه حُسي ، ثم ادعى بكذب أنه نبي ، فأشرف على القتل . ثم استتابوه » ،  
ومس أول قوله : « كان أخوه ضريباً يتصدق » إلى آخر الكلام ، ليس من كلام أبي الحسن الزيدى العلوى بلا شك ، وهو ريادة من أخبار أخرى زادها الهمداني . وانظر ما سلف : ٦٠٩ ، تعليق : ٣ .

(١) في التاريخ : « فإن كنت تريد حفظه من هذه المدة [ فعيد ! فقال : إن كنت حفظته ] فمالي عليك » .

(٢) انظر ترجمة مقرريرى الآتية رقم ٣٠ .



القبائل وأطوى البوادي وَحْدَى ، ومتى انتسبت / لم آمن أن يأخذنى بعض العرب ٢٥٦٢  
بطائلة بينها وبين القبيلة التى أنتسب إليها ، وما دُمْتُ غير منتسبٍ إلى أحد ، فأنا  
أُسَلِّم على جميعهم ويخافون لسانى . (١)

١٧ - قال : واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضى أبى الحسن  
ابن أمّ شيبان الهاشمى الكوفى ، وجرى ذكر المتنبي فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة  
شيخاً يسمى « عِيدَان » يَسْقَى على بعير له ، وكان « جُعْفِيّاً » صحيح النسب . (٢)  
قال : وقد كان المتنبي لما خرج إلى كَلْب وأقام فيهم ، ادعى أنه عَلَوِيّ حَسَنِيّ ، (٣) ثم  
ادّعى بعد ذلك الثُّبَوَةَ ، ثم عاد يدّعى أنه علوى ، إلى أن أُشْهِد عليه بالشام بالكذب  
فى الدعوين ، وحُبِس دهرًا طويلاً وأشرف على القتل ، ثم اسْتَتِيبَ ، وأُشْهِد عليه بالتوبة  
وأُطْلِق . (٤)

...

١٨ - قرأت بخط عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى الجوع  
الورّاق المصرى : سألت أبا الطيّب المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن / عن مولده ٢٩  
ومنشئه ، فقال : ولدت بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمئة فى كِنْدَةَ ، ونشأت بها ، ودخلتُ  
مدينة السلام ، ودرتُ الشام كله سَهْلَه وَجَبَلَه .

...

(١) الخبران : ١٥ ، ١٦ سياطين فى ترجمة المقرئى رقم : ٤ .

(٢) إلى هنا من الخبر فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ٥ .

(٣) انظر رقم : ١٤ ، والتعليق عليه ، وفيه عن أبى الحسن محمد بن يحيى الزيدى ، أنه ادعى أنه  
« حُسَيْنِيّ » ، وهذا هو الصواب المحض .

(٤) سيأتى هذا الجزء من الخبر مختصراً فى ترجمة المقرئى برقم : ٨ .

١٩ - أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادي في كتابه قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن علي بن علي بن نصر بن سعيد البصري قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل قال ، أخبرنا علي بن أيوب بن الحسين بن الساريان قال : <sup>(١)</sup> ولد أبو الطيب أحمد / بن الحسين بن الحسن المتنبّي بالكوفة في محلة كندة ، سنة ثلاث وثلاثمئة ، وقال الشعر وهو صبي في المكتب .

٢٠ - وقرأت في بعض النسخ من شعره أن مولده قيل على التقريب لا على التحقيق . <sup>(٢)</sup>

٢١ - وقرأت في تاريخ أبي عبد الله محمد بن علي العظيّم الحلبّي ، <sup>(٣)</sup> وأخبرنا به المؤيد بن محمد الطوسي إجازةً عنه : قيل إنه ولد - يعني المتنبّي - سنة إحدى وثلاثمئة ، والأول أصح والله أعلم .

٢٢ - أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الحموي ، قال : ذكر أبو الرّيحان محمد بن أحمد البيروني ، ونقلته من خطه : أن المتنبّي لما ذكر في القصيدة التي أولها : « كُفِّي أَرَأَيْي وَيْلِكَ لَوْمَكَ أَلَمًا »

.... النور الذي تظاهر لاهوتيّه في ممدوحه ، وقال :

« أَنَا مُبْصِرٌ وَأُظَنُّ أَنِّي حَالِمٌ »

ودار على الألسن ، قالوا : قد تجلّى لأبي الطيب ربّه ! وبهذا وقع في السجن = و« الوثاق » الذي ذكره في شعره :

(١) انظر ما سلف رقم : ٦ ، ص : ٥٨٤ .

(٢) الذي يقول : « قرأت » هو ابن العديم نفسه .

(٣) في المخطوطة « العظيّم » ، غير منقوطة الطاء ، وهو « محمد بن علي بن محمد بن أحمد ، أبو عبد الله التوحّي الحنبّي ، المعروف بالعظيّم » ، وانظر ترجمته في الأعلام للزركلي ، والتعليق عليه ، وذكره ابن العديم في « تاريخ القدماء ، لأبي العلاء » ص ٥١٢٠ وحدث عنه .

« أَيَا حَدَّدَ اللَّهُ وَرَدَّ الْخُلُودِ »

/ ولم يذكر سبب لقبه - على صدقه ، وإنما وَجَّهَ له وَجْهًا ما ، كما حكى عنه ٢٥٨/٢  
أبو الفتح عثمان بن جنى أن سببه هو قوله :  
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَذَارِكُهَا اللَّهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثُمُودٍ

وإنما هو أن الخيوط في رأسه كانت تُديره وترعجه ، فتحين غيبة سيف الدولة  
في بعض غزواته ، وقصد أعراب الشام ، واستغوى مقدار ألف رجل منهم ، واتصل  
خبيره بسيف الدولة ، ففكر راجعاً وعاجله ، فتفرق عنه أصحابه ، وجيء به أسيراً ،  
فقال له : أنت النبي ؟ قال : بل أنا المتنبي ، حتى تطعموني وتسقوني ، فإذا فعلتم  
ذلك فأنا أحمد بن الحسين ! فأعجب بثبات جأشه وجرأته في جوابه ، وحقق دمه ،  
وألقاه في السجن بمصر ، إلى أن قرّر عنده فضله ، فأطلقه واستخصّه . ولما أكثروا  
ذكره بالمتنبي تلقب به كيلاً يصير ذمّاً إذا احتشم أُخْفِيَ عنه ، وشتماً لا يُشَافَهُ به ،  
واستمر الأمر على ما تولى التلقب به . (١)

• قلت (٢) : قول أبي الريحان إنه تحين غيبة سيف الدولة في بعض غزواته ،  
إلى آخر ما ذكره ، ليس بصحيح ، فإن أهل الشام وغيرهم من الرواة لم ينقلوا أن  
المتنبي ظهر منه شيء من ذلك في أيام سيف الدولة ومملكته بحلب والشام ، ولا أنه  
حبسه منذ اتصل به ، وإنما كان ذلك في أيام لؤلؤ الإخشيدى أمير حمص . ٢٥٩ ٢

٢٣ - / (٣) أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن البغدادي كتاباً قال ، أخبرنا  
أبو منصور بن زريق قال ، أخبرنا أبو بكر الخطيب قال ، وأخبرنا علي بن المحسن

تابع خبر  
خطيب البغدادي

(١) في الأصل « التلقب به .

(٢) القائل هو ابن العديم ، في نقد هذا الخبر الغريب !!

(٣) هذه الأخبار من رقم : ٢٣ إلى آخر رقم : ٢٦ ، من تمام أخبار الخطيب في تاريخ بغداد ، والتي

ذكرها من رقم : ١٢ إلى رقم : ١٧ .

٣٠. التنوخي قال ، حدثنا أبي / قال ، حدثني أبو علي بن أبي حامد قال : سمعت خلقاً بحلب يحكون ، وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك ، أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية ، فقاتله وأسره وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه في السجن دهرًا طويلاً ، فاعتلّ وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائب منه ، ولا يعاود مثله ، وأطلقه .

قال : وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة ، نسخت منها سورة ضاعت وبقي أولها في حفطى وهو : « والنجم السيار ، والفلك النّوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، أمض على سنّيك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع بك زيع من ألحد في دينه ، وضلّ عن سبيله » . قال : وهى طويلة لم يبق في حفطى منها غير هذا . (١)

قال : وكان المتنبي إذا شوّغب في مجلس سيف الدولة ، ونحن إذ ذاك بحلب يُذكر له هذا القرآن وأمثاله مما كان يحكى عنه ، فينكره ويجمّده .

٢٦٠/٢ / قال : وقال له ابن خالويه النحوى يوماً في مجلس سيف الدولة : لولا أن الآخَر جاهلٌ ، لما رضى أن يدعى بالمتنبي ، لأن « متنبي » معناه كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال له : أنا لست أرضى أن أدعى بهذا ، وإنما يدعونى به من يريد الغصّ منى ، ولست أقدر على الامتناع . (٢)

٢٤ - قال الخطيب ، قال لنا التنوخي ، قال لى أبى : فأما أنا فإني سألته بالأهواز في سنة أربع وخمسين وثلاثمئة عند اجتيازه بها إلى فارس ، وفي حديث طويل جرى

(١) هذا من الخبر ذكره المقرئ في ترجمته الآتية برقم : ١٠ ، مختصراً .

(٢) هذا الجزء من الخبر ، في ترجمة المقرئ الآتية برقم : ١١ .

بيننا عن معنى « الْمُتَنَبِّى » ، لأننى أردت أن أسمع منه هل تنبى أم لا ؟ فأجابنى بجواب مُعَالِطٍ لى ، وهو أن قال : هذا شيء كان فى الحداثة أوجبه الصورة : فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أُسْتَقْصِبَ عَلَيْهِ ، وَأُسَكِّتُ . (١)

٢٥ - وقال لى أبو على بن أبى حامد ، قال لى أبى ونحن بحلب ، وقد سمع قوماً يحكون عن أبى الطيب المتنبي هذه السورة التى قدّمنا ذكرها : لولا جَهْلُهُ ، أين قوله : « امْضِ عَلَى سَنِّكَ » إلى آخر الكلام من قول الله تعالى : ( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) ، [ سورة الحجر : ٩٣ ، ٩٤ ] إلى آخر القصة ، وهل تتقارب الفصاحةُ فيهما أو يشبهه الكلامان . (٢)

\*\*\*

٢٦ - قرأت فى نسخة وقعت إلى من شعر أبى الطيب المتنبي ذكر فيها عند

قوله :

٢٦١/٢	خَفِئْتُ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي	/ أبا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ ، إِنِّي
	نُحَاطِرٌ فِيهِ بِالْمُهْجِ الْجِسَامِ	ذَكَرْتَ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَأَنَا
	وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْجَمَامِ	أُمْتَلِي تَأْخُذُ التَّكْبَاتُ مِنْهُ
	لَحَضَبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي	وَلَوْ بَرَزَ الزَّيْمَانُ إِلَيَّ شَخْصًا
	وَلَا سَارَتْ وَفِي يَدِهَا زِمَامِي	وَمَا بَلَغَتْ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي ،
٣١	فَوَيْلٌ لِلتَّيْقُظِ وَالْمَنَامِ	/ إِذَا أَمْتَلَأَتْ عَيُونُ الْحَيْلِ مَنَى ،

وقال ، قال أبو عبد الله مُعَاذُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ اللَّادِقِيُّ : قَدِمَ الْمُتَنَبِّى اللَّادِقِيَّةَ فِي سَنَةِ

(١) سياتى هذا الخبر فى ترجمة المقرئ فى الآتية فى رقم : ٨ بغير هذه الألفاظ والتعليق عليه هناك ، ثم انظر

تكلمة تاريخ الطبرى للهمدانى ، الأول : ١٤٩ [ بيروت : ١٩٦١ ] .

(٢) هذا الخبر فى ترجمة المقرئ فى الآتية برقم : ١٢ .

نَيْفٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثَةَ ، وَهُوَ كَمَا عَدَّرَ ، <sup>(١)</sup> وَلَهُ وَفْرَةٌ إِلَى شَحْمَتِي أُذُنِهِ ، وَضَوَى إِلَى فَأَكْرَمْتُهُ وَعَظَّمْتُهُ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَحُسْنِ سَمْتِهِ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ الْأَنْسُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَخَلَوْتُ مَعَهُ فِي الْمَنْزِلِ اغْتِنَامًا لِمُشَاهَدَتِهِ وَاقْتِبَاسًا مِنْ أَدَبِهِ ، وَأَعْجَبْنِي مَا رَأَيْتُ ، قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّكَ لَشَابَبٌ خَطِيرٌ ، تَصْلُحُ لِمُنَادِمَةِ مُلِكٍ كَبِيرٍ . فَقَالَ لِي : وَيْحَكَ ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ؟ أَنَا نَبِيُّ مُرْسَلٍ ! فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَهْزِلُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ أَنِّي لَمْ أَحْصِلْ عَلَيْهِ كَلِمَةً هَزَلٍ مِنْذُ عَرَفْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَقُولُ ؟ فَقَالَ : أَنَا نَبِيُّ مُرْسَلٍ . قُلْتُ لَهُ : مُرْسَلٌ إِلَى مَنْ ؟ قَالَ : إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الضَّالَّةِ الْمُضَلَّةِ . قُلْتُ : تَفْعَلُ مَاذَا ؟ / قَالَ : أَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئْتُ جَوْرًا . قُلْتُ : بِمَاذَا ؟ قَالَ : بِإِذْرَارِ الْأَرْزَاقِ وَالثَّوَابِ الْعَجَلِ وَالْآجِلِ لِمَنْ أَطَاعَ وَأَتَى ، وَضَرْبِ الْأَعْنَاقِ وَقَطْعِ الْأَرْزَاقِ لِمَنْ عَصَى وَأَتَى . فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ أَخَافُ مِنْهُ عَلَيْكَ أَنْ يَظْهَرَ ! وَعَدَلْتُهُ عَلَى قَوْلِهِ ذَلِكَ ، قَالَ يَدِيهَا :

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُعَاذُ ، إِنِّي خَفِيْتُ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي

الْأَيَّاتِ ، فَقُلْتُ لَهُ <sup>(٢)</sup> : قَدْ ذَكَرْتُ أَنَّكَ نَبِيُّ مُرْسَلٌ إِلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ أَفِيُوحَى إِلَيْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : فَأَتَلُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ إِلَيْكَ ! فَأَتَانِي بِكَلَامٍ مَا مَرَّ بِسَمْعِي أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : وَكَمْ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مِثَّةٌ عِبرَةٍ وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ عِبرَةً . قُلْتُ : وَكَمْ الْعِبرَةُ ؟ فَأَتَى بِمِقْدَارِ أَكْبَرِ الْآيِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ . قُلْتُ : فَأَسْمَعُ فِي هَذِهِ الْعِبرِ أَنَّ لَكَ طَاعَةً فِي السَّمَاءِ ، فَمَا هِيَ ؟ قَالَ : أَحْبِسُ الْمَذَرَّارَ ، لِقَطْعِ أَرْزَاقِ الْعُصَاةِ وَالْفُجَّارِ . قُلْتُ : أَتَحْبِسُ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرَهَا ؟ قَالَ : إِي ، وَالَّذِي فَطَرَهَا ، أَفَمَا هِيَ مُعْجَزَةٌ ؟ قُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ . قَالَ : فَإِنْ حَبَسْتُ عَنْ مَكَانٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَا تَشْكُ فِيهِ ، هَلْ تُؤْمِنُ بِي وَتُصَدِّقُنِي عَلَى مَا أَتَيْتُ بِهِ مِنْ رُبِّي ؟ قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ . قَالَ : سَأَفْعَلُ ،

(١) هكذا وردت هنا ، وفي المقرئ رقم ١٣٠ ، ولعل صوابها : « ولما يعذر » . أي لم يبت شعر عذاره ، وهو شعر خده ولحيته . وانظر الخبر فيما سلف ص : ٢٠٠ ، وفيه ، « وهو لا عذار له » .

(٢) في الأصل : « لم ذكرت » . وعلى « م » علامة ( ص ) ليدل على الخطأ .

ولا تسألنى عن شيء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تُظهِر شيئاً من هذا الأمر حتى يَظْهَرَ ، وانتظر ما وَعَدْتُهُ من غير أن تسأله . فقال لى بَعْدَ أَيَّامٍ : أَتَحِبُّ أن تنظرَ إلى المعجزة التى جرى ذكرها ؟ قلت : / بلى والله . فقال لى : إذا أرسلتُ إليك أحدَ العبيد فاركبَ معه ولا تَأَخَّرْ ، ولا يَخْرُجْ معك أحدٌ . قلت : نعم . فلما كان بعد أيامٍ تَغَيَّمَتِ السماءُ فى يومٍ من أَيَّامِ الشتاءِ ، وإذا عَبْدُهُ قد أَقبلَ فقال : يقول لك مولائى ، أَرَكَبُ للوعِدِ . فبادرتُ بالركوبِ معه ، وقلت : أين رَكِبَ مولاك ؟ فقال : إلى الصحراءِ ، ولم يَخْرُجْ معه أَحَدٌ غَيْرى = واشتدَّ وَقَعَ المَطَرُ ، فقال : بادِرْ بنا حتى نَسْتَكِنَ معه من هذا المَطَرِ ، فَإِنَّهُ ينتظرنا بأعلى تَلٍّ لا يُصِيبُهُ فيه المَطَرُ . قلت : وكيف عَمِلَ ؟ قال : أَقْبَلَ ينظرُ إلى السماءِ / أولَ ما بَدَأَ السحابُ الأسودُ وهو يتكلم بما لا أَفْهَمُ ، ثم أَخَذَ السَّوْطَ ٣٢ فأدار به فى موضعٍ سَتَنظُرُ إليه من التَّلِّ وَهُوَ يُهَمُّهُمْ ، والمطر ممَّا يليه ، ولا قطرةٌ منه عليه ! فبادرت معه حتى نظرتُ إليه ، وإذا هو على تَلٍّ على نصف فرسخٍ من البلدِ ، فَأَتَيْتُهُ وإذا هو عليه قائمٌ ، ما عليه من ذلك المطر قطرةً واحدةً ، وقد خُضَّتْ فى الماءِ إلى رُكْبَتَيْ الفرسِ ، والمطر فى أَشدِّ ما يكونُ . ونظرتُ إلى نحو مئتى ذراعٍ فى مثلها من ذلك التَّلِّ يابسٌ ما فيه ندَى ولا قطرةٌ مطر . فسَلَّمْتُ عليه ، فردَّ عَلَيَّ وقال لى : ما ترى ؟ فقلت : آبَسْتُ يدك ، فإني أَشْهَدُ أنك رسولُ الله ! فبسط يده فبايعته بِيَعَةِ الإقرار بنبوِّته ، ثم قال لى : ما قال هذا الخبيثُ لما دَعَا بِكَ ؟ - يعنى عبده - فشرحت له ما قال لى فى الطريق لما استخبرته ، فقتل العبدَ ، وقال :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقَى ، أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقَى  
وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ  
مُحْتَقَرٌّ فى هِمَّتِي ، كَشَعْرَةٍ فى مَفْرِقِ

/ وأخذتُ بِيَعَتِهِ لأهلى ، ثم صَحَّ بعد ذلك أن البيعة عَمَّتْ كُلَّ مَدِينَةٍ بالشامِ ، ٢٦٤/٢ وذلك بأصغر حيلة تَعَلَّمَهَا من بعض العرب ، وهى « صَدْحَةُ المطر » يَصْرِفُهَا بها عن أى مكان أحبَّ بعد أن يَحْوِى عليه بعضاً ، وينفُثُ بالصدحة التى لهم ، وقد رأيتُ كثيراً

منهم بالسُّكُون ، وَحَضْرَمُوت ، والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاضمونهُ ، حتى إن أَحَدَهُمْ يَصْدَحُ عَنْ غَنَمِهِ وإبله وَيَقْرَهُ ، وعن الْقَرْيَةِ من الْقَرْى فلا يصيبها من المطر قطرة ، ويكون المطر مما يلي ( الصَّدْحَةُ ) = وَهُوَ ضَرْبٌ من السَّحَرِ ، ورأيت لهم من السَّحَرِ ما هو أعظم من هذا . وسألتُ المتنبى بعد ذلك : هل دخلتَ السُّكُونُ ؟ قال : نعم ، ووالدى منها ، أما سمعت قولى :

أُمْنِسِي السُّكُونَ وَحَضْرَمُوتاً وَوَالِدَتِي وَكِندَةَ وَالسَّيِّعَا

فقلت : مِنْ ثَمَّ استفاد ما جَوَّزَهُ على طَعَامِ أَهْلِ الشَّامِ ! <sup>(١)</sup> وَجَرَتْ لَهُ أَشْيَاءُ بعد ذلك من الحروب والحبس ، والانتقال من موضع إلى موضع ، حتى حصل عند سيف الدولة وَعَلَا شَأْنُهُ .

• قلت : و « الصَّدْحَةُ » التى أشار إلى أنها تمنع المطر معروفةً إلى زماننا هذا . وأخبرنى غير واحد ممن أثق به من أهل اليمن أنهم يصرفون المطر عن الإبل والغنم ، وعن زَرْعِ عُدُوِّهِ ، وإن رِعاءَ الإبل والغنم ببلادهم يستعملون ذلك ، وهو نوع من السحر .

\*\*\*

٢٧ - وذكر أبو الحسن على بن محمد بن على بن فُورَجَةَ فى كتاب / « التجنّى على ابنِ جِنّى » قال : أخبرنى أبو العلاءِ أحمدُ بنُ سليمانَ المعرى ، عَمَّنْ أخبره من الكتابِ قال : كنتُ بالديوانِ فى بعضِ بلادِ الشَّامِ ، فأسرعتِ المُدَيَّةُ فى إصبعِ بعضِ الكتابِ وهو يَبْرِى قَلَمُهُ ، وأبو الطَّيِّبِ حاضِرٌ ، فقام إليه وَثَقَلَ عليه وأمسكها ساعةً بيده ، ثم أرسلها وقد أَنْدَمَلَتْ بدمها ، فجعل يُعَجِّبُ من ذلك ، وَيُرَى مَنْ حَضَرَ أَنَّ ذلك من مُعْجَزَاتِهِ . <sup>(٢)</sup>

٢٦٥/٢

(١) هذا الخبر رقم : ٢٦ ، إلى هنا فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ١٣ .

(٢) هذا الخبر فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ١٤ ، وقد رواه المعرى فى رسالة الغفران : ٣٥٥ ، بغير هذا



قال : وما كان يُمَحْرِقُ به على أبياتِ البادية ، أنه كان مَشَاءً قَوِيًّا على السير سَيْرًا لا غَايَةَ بَعْدَهُ ، وكان عارفاً / بِالْفَلَوَاتِ ومواقع المياه ومحالِّ العَرَبِ بها ، فكان يسيِّرُ من حِلَّةٍ ٣٣ إلى حِلَّةٍ بالبادية في ليلةٍ ، وبينهما مسيرةُ ثَلاثٍ ، فيأتى ماءً ويغسلُ يديه ووجهه ورجله ، ثم يأتى أهل تلك الحِلَّةِ فيخبرها عن الحِلَّةِ التى فارقتها ، ويُرِيهم أن الأرضَ طُوِيَتْ له . فلَمَّا عَلَتْ سِنُّهُ رَغَبَ عن ذلك وَرَهَدَ فيه ، وأَقْبَلَ على الشَّعر وقد وُسِمَ بتلك السِّمَّةِ .

\*\*\*

٢٨ - أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن على بن على بن نصر بن سعيد قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى قال ، أخبرنا على بن أيوب بن الحُسَيْن قال : أنشدنا أبو الطيب المتنبي لنفسه ، وكان قوم في صباه وَشَوْا به إلى السلطان / وَتَكَذَّبُوا عليه ، وقالوا له : قد آنقَدَ له خَلْقٌ من ٢٦٦/٢ العَرَبِ ، وقد عزم على أخذ بَلَدِكَ ! حتى أَوْحَشُوهُ منه ، فاعتقله وضيقَ عليه ، فكتب إليه يمدُّهُ :

أَيَا حَدَّدَ اللَّهُ وَرَدَ الْخُدُودِ      وَقَدْ قُدُودَ الْجِسَانِ الْقُدُودِ  
فَهْنٌ أَسْلَنَ دَمًا مُقْلَتِي ،      وَعَذَبَنَ قَلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ

قال فيها في ذكر الممدوح :

رَمَى حَلْبًا بَنَوَاصِي الْخُيُولِ      وَسُمِرَ يُرْقَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ  
وَبِيضٍ مُسَافِرَةٍ مَا يُقْمَنَ ،      لَا فِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْعُمُودِ  
يَقْدُنَ الْفَتَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ      إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرِ الْعِدِيدِ  
فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخَرَشْنِيَّ ،      كَشَاءٍ أَحْسَنَ بِزَارِ الْأَسُودِ  
يُرُونُ مِنَ الذُّعْرِ صَوْتَ الرِّيَّاحِ      صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفَقَ الْبُنُودِ  
فَمَنْ كَالْأَمِيرِ آيَنَ بِنْتِ الْأَمِيرِ ،      أَمْ مَنْ كَابَائِهِ وَالْجُدُودِ  
سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ ،      وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهُودِ

أَمَّا لِكَ رِقَى ، وَمَنْ شَأْنُهُ      هَبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعَتَقُ الْعَبِيدِ  
دَعْوَتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ ،      وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ  
دَعْوَتُكَ لَمَّا بَرَأْنِي الْبَلَى ،      وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْحَدِيدِ  
وَقَدْ كَانَ مَشِيئُهُمَا فِي النَّعَالِ ،      فَقَدْ صَارَ مَشِيئُهُمَا فِي الْقُيُودِ  
/ وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفِلٍ ،      فَهَذَا أَنَا فِي مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ  
تُعْجَلُ فِيَّ وَجُوبُ الْحُدُودِ ،      وَحَدَى قَبْلَ وَجُوبِ السُّجُودِ  
وَقِيلَ عَدَوْتُ عَلَى الْعَالَمِينَ ،      بَيْنَ وَلَاذِي وَبَيْنَ الْقُعُودِ !  
فَمَا لَكَ تَقَبُّلُ زُورِ الْكَلَامِ ؟      وَقَدَّرَ الشَّهَادَةَ قَدَّرَ الشُّهُودِ  
فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ ،      وَلَا تَتَّبِعَنَّ بِمَحِلِّ الْيَهُودِ  
وَكُنْ فَارَقًا بَيْنَ دَعْوَى « أَرَدْتُ »      وَدَعْوَى « فَعَلْتُ » بِشَاوٍ بَعِيدِ  
وَفِي جُودٍ كَفَلَكَ مَا جُدْتُ لِي      بِنَفْسِي ، وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثُمُودِ

٢٦٧ ٢

\*\*\*

٢٩ - وذكر أبو منصور الثعالبي في اليتيمة عن ابن جني أنه قال : سمعت أبا الطيب يقول : إِنَّمَا لُقِّبْتُ بِالْمُتَنَبِّى لِقَوْلِي :

٣٤ / أَنَا فِي أُمَةٍ ، تَدَارَكُهَا اللَّهُ ،      غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثُمُودِ  
مَا مُقَامِي بِدَارِ نَحْلَةٍ إِلَّا      كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

٣٠ - أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال ، أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السَّمْعَانِي قال ، أنشدنا عمر بن محمد السَّرْحَسِيُّ قال ، أنشدنا الحسن بن علي الحافظ قال ، أنشدنا الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكويه قال ، أنشدنا المتنبي :

/ وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى      عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

٢٦٨/٢

٣١ - قال ، قيل للمتنبي : على مَنْ تُنَبَّأت ؟ قال : على الشعراء . فقيل : لكل نبي معجزة ، فما معجزتك ؟ قال : هذا البيت . [ المقرئى رقم : ١٥ ] .

\*\*\*

٣٢ - وقرأت فى رسالة على بن منصور الحلبي المعروف بِدَوْنَحْلَة ، <sup>(١)</sup> وهى التى كتبها إلى أئى العلاء بن سُلَيْمان ، وأجابه عنها برسالة الغفران ، وذَمَّ فيها أبا الطيب المتنبي ، وقال : وذكر ابن أبى الأزهر والقُطْرُبَلِّى فى التاريخ الذى اجتماعا على تصنيفه : أن الوزير على بن عيسى أحضره إلى مجلسه فقال له : أنت أحمد المتنبي ؟ فقال : أنا أحمد التَّيى ، ولى علامة فى بطنى ، خاتم النبوة . وأراهم شبيهاً بالسَّلعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فَصُفِعَ وقِيدَ ، وأمر بحبسه فى المطبق . <sup>(٢)</sup>

• ثم طالعت التاريخ المشار إليه فقرأت فيه فى حوادث سنة اثنتين وثلاثمئة قال : وفيها جلس الوزير على بن عيسى للنظر فى المظالم ، وأحضر مجلسه المتنبي ، وكان محبوساً ليخلى سبيله ، فناظره بحضرة القضاة والفقهاء فقال : أنا أحمد النبى ، ولى علامة فى بطنى خاتم النبوة ، وكشف عن بطنه وأراهم شبيهاً بالسَّلعة على بطنه ، فأمر الوزير بصفعه فصفع مئة صفعة ، وضربه وقيده وأمر بحبسه فى المطبق .

• فبان لى أن أبا الحسن على بن منصور الحلبي ، رأى / فى تاريخ ابن أبى الأزهر والقُطْرُبَلِّى ذِكْرَ أحمد المتنبي فظنَّه أبا الطيب أحمد بن الحسين ، فوقع فى الغلط الفاحش لجهله بالتاريخ ، فإن هذه الواقعة مذكورة فى هذا التاريخ فى سنة اثنتين وثلاثمئة ، ولم يكن المتنبي وُلِدَ بَعْدَ ، فإن مولده على الصحيح فى سنة ثلاثٍ وثلاثمئة ، وقيل إن مولده

(١) نشرت هذه الرسالة الدكتوراة بنت الشاطىء فى أول الطبعة الثانية من رسالة الغفران ، وهذا الجزء الآتى هو فى ص : ٢٥ ، ٢٦ ، ولكن بغير هذا اللفظ الذى ها .

(٢) سيأتى هذا الخبر فى ترجمة المقرئى رقم : ٩ .

سنة إحدى وثلاثمئة ، فيكون له من العمر سنة واحدة = وأبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطرلي ، ومحمد بن أبي الأزهر ماتا جميعاً قبل أن يترعرع المتنبي ويعرف .

[ المقريزي رقم : ٩ ] .

وهذا المتنبي الذي أحضره علي بن عيسى هو رجل من أهل أصبهان تنبأ في أيام المقتدر يقال له : أحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني ، ووجدت ذكره هكذا منسوباً في كتاب عبيد الله بن أحمد بن طاهر الذي ذيل به كتاب أبيه في تاريخ بغداد .

\*\*\*

٣٣ - أخبرني ياقوت بن عبد الله الحموي قال : وقع لي كتاب مصنف في أخبار أبي الطيب صغير الحجم تصنيف الأستاذ / أبي القاسم عبيد الله بن عبد الرحيم الأصبهاني ، <sup>(١)</sup> وذكر فيه ادعائه النبوة وقال فيه : وقد هجاه الشعراء بذلك ، فقال الضبُّ الضربُ الشامي فيه :

أَطَلْتُ ، يَا أَيُّهَا الشَّقِيُّ ، دَمَكَ      لَا رَجَمَ اللَّهُ رُوحَ مَنْ رَجَمَكَ  
أَقْسَمْتُ لَوْ أَقْسَمَ الْأَمِيرُ عَلَيَّ      قَتَلْتُكَ قَتْلَ الْعِشَارِ مَا ظَلَمَكَ

٢٧٠/٢

وَيُرْوَى « قَبْلَ الْعِشَاءِ » ، فَأَجَابَهُ الْمَتَنَّبِيُّ فَقَالَ :

إِيهًا أَتَاكَ الْحِمَامُ فَأَخْتَرَمَكَ      غَيْرُ سَفِيهِ عَلَيْكَ مَنْ شَتَمَكَ  
هَمُّكَ فِي أَمْرٍ ثَقُلْتُ فِي      عَيْنِ دَوَاةٍ مِنْ صُلْبِهِ قَلَمَكَ  
وَهَمَّتِي فِي آتِنِضَاءِ ذِي شُطَبٍ      أَقْدُ يَوْمًا بِحَدِّهِ أَدَمَكَ  
فَأَخْسَأُ كُلِّيًّا وَأَقْعُدُ عَلَى ذَنْبٍ ،      وَأَطْلُ بِمَا بَيْنَ أَلْيَتَيْكَ فَمَكَ

(١) هكذا جاء اسمه ها وفي ترجمته عند ابن عساكر الآتية برقم : ٣ ، أما في خزائن الأدب فقال : « أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » ، وكذلك أيضاً في كتابه الذي نشر في تونس سنة ١٩٥٥ باسم « الواضح في مشكلات شعر المتنبي » . ورواية ابن العديم من كتاب الأصفهاني أتم وأوضح من الموجود في كتابه المطبوع باسم « الواضح .... » في هذا الخبر ، والذي بعده . وهذا دان على أن المطبوع مختصر احتصاراً مخلاً في بعض الأحيان ، وهو في المطبوع ص : ٧ ، مع اختلاف .

قال : وهجاه شاعر آخر فقال ، وقيل هو الضُّبُّ أيضاً :

قد صَحَّ شِعْرُكَ وَالتُّبُوَّةُ لَمْ تَصِحَّ      وَالْقَوْلُ بِالصَّدْقِ الْمُبِينِ يَتَضَحُّ  
الزَّمْ مَقَالَ الشَّعْرِ تَحْظُ بِرُبُّيَّةٍ      وَعَنِ التَّنْبِيِّ لَا أَبَالِكَ فَانْتَرِحُ  
تُرْبِحُ دَمًا قَدْ كُنْتَ تُوجِبُ سَفْكَهُ ،      إِنْ الْمَمْتَعُ بِالْحَيَاةِ لَمْ يَرْبِحْ

فأجابه بأبيات وهي :

نَارُ الدَّرَايَةِ مِنْ لِسَانِي تُقْتَدَحُ      يَغْدُو عَلَيَّ مِنَ التُّهَى مَا لَمْ تُرِخْ  
بَحْرٌ لَوْ اغْتَرِفَتْ لُطَامَةٌ مَوْجِهِ      بِالْأَرْضِ وَالسَّبْعِ الطُّبَاقِ لَمَا نُزِحْ  
أَمْرِي إِلَيَّ ، فَإِنْ سَمَحْتُ بِمَهْجَةٍ      كَرُمْتُ عَلَيَّ ، فَإِنْ مِثْلِي مِنْ سَمَحْ

...

٣٤ - / أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رَوَاحَةَ ٢٧١/٢

الحموي ، وأبو يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بن محمود السَّوَايَ الصُّوفِي ، قالا ، أخبرنا أبو طاهر أحمد  
ابن محمد بن أحمد السُّلَمِيَّ إِجَازَةً ، إِنْ لَمْ يَكُنْ سَمَاعًا ، قَالَ ، سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ  
ابن علي بن همام الحُسَيْنِي الطَّالِقَانِي بِبَغْدَادٍ يَقُولُ : هَجَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بن الْحَجَّاجِ أَبَا  
الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ لَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ بِمَقْطَعَاتٍ ، مِنْهَا :

يَا دِيمَةَ الصَّفْعِ هُبِّي ،      عَلَى قَفَا الْمُتَنَبِّيِّ  
وَيَا قَفَاهُ تَقَدَّمْ ،      تَعَالَى وَاجْلِسْ بِجَنِّيِّ  
وَيَا يَدِي فَاصْفَعِيهِ      بِالنَّعْلِ حَتَّى تَدْبِي  
إِنْ كَانَ هَذَا نَبِيٌّ ،      فَالْقَرْدُ لَا شَكَّ رَبِّي (١)

فلما بلغ أبا الطيب قال :

عَارَضَنِي كَلْبُ بَنِي دَارِمٍ ، فَصُنْتُ مِنْهُ الْوَجْهَ وَالْعُرْضَا  
وَلَمْ أَكَلِّمَهُ احْتِقَارًا بِهِ ، مَنْ ذَا يَعَضُّ الْكَلْبَ إِنْ عَضًّا  
كَذَا رَوَاهُ السَّلَفِيُّ « هُبِّي » ، وَالْحَفُوظُ « صَبِي » .

...

٣٥ - وقال لي ياقوت الحموي : وذكر الأستاذ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الرحيم الأصبهاني في أخبار أبي الطيب ، <sup>(١)</sup> قال : وقد تعلق قوم / ممن يتعصب على المتنبي ، فانترع من شعره أبياتاً زعم أنها تدل على فساد اعتقاد ، وقد جعل لها من يتعصب له وجهاً ، منها :

هَوْنٌ عَلَى بَصْرِ مَا شَقَّ مَنْظَرُهُ ، فَإِنَّمَا يَقْطَاطُ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ

٣٦ / قالوا : هذا البيت من اعتقاد السوفسطائية ، وقوله في أخرى :

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ  
فَإِنَّ لِّثَالِثِ الْحَالِينَ مَعْنَى سَوَى مَعْنَى آتْبَاهِكَ وَالْمَنَامِ

قالوا : فهذا ينبيء عن اعتقاد الحشيشية ، وقوله في أخرى :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ  
فَقِيلَ : تَسَلَّمَ نَفْسُ الْمَرءِ بَاقِيَةً ، وَقِيلَ : تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرءِ فِي الْعَطَبِ

قالوا : فهذا مذهب من يقول بالنفس الناطقة ، وقوله في عَضُدُ الدَّوْلَةِ :

نَحْنُ بَنُو الدُّنْيَا ، فَمَا بَالُنَا نَعَاؤُ مَا لَا بَدَّ مِنْ شُرْبِهِ  
تَبَحَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كَسْبِهِ  
فَهَذِهِ الْأَرْوَاحُ مِنْ جَوْهٍ ، وَهَذِهِ الْأَجْسَادُ مِنْ تُرْبِهِ

(١) انظر التعليق السلف ص : ٦٠٠ : تعليق : ١ وهو في المطبوع ص : ٧ ، ٨ مع اختلاف ، والاختصار

فهذا مذهب الهوائية وأصحاب الفضاء ، وقوله في ابن العميد :

يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَحْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النَّقْدِ  
فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدِيُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فَهَذَا ، وَإِلَّا فَالْهُدَى ذَا فَمَا الْمَهْدِيُّ !

/ قالوا فهذا مذهب أهل النجوم .

٢٧٣/٢

\*\*\*

٣٦ - وقال لي ياقوت الحموي : نقلت من خط أبي الرِّيحان محمد بن أحمد البيروني في رسالة له سماها « التعلُّل بإجابة الوهم ، في معاني نظوم أولى الفضل » ، قال في أثناء كلام ذكره : ثم إن لي من أخلاقهم - يعني الشعراء - أسوة حسنة ومسلاة أكيدة ، بإمام الشعراء الذي طرَّق لهم ولمن بعده إلى طريقته المخترعة في الشعر ، وخلفهم من معاني كلامه في بروق تخطف أبصارهم وبصائرهم « كُلُّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا » ، أرى الطيب المتنبي ، حتى إن أفاضل أهل زماننا كأحمد بن فارس يحسده على ما آتاه الله من فضله ويقول : إنه مبخوث ، وإلا ( قال لي ياقوت : كذا رأيته مبيضاً بخطه ) ويقول : سألت أبا الفضل بن العميد عن معنى قوله :

وَقَاوُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ

فأجابني بأن المتنبي خرج من الدنيا بعد ستين سنة عاشها ، ولم يكن وقف على معناه !

وكان أبو الطيب ، على ضيق عَطَنِهِ ، رفيعَ الهمة في صناعته ، فاقتصر لها في رحلته بمدح عَضُدِ الدولة ووزيره آبن العميد ، وراوده الصاحبُ إسماعيلُ بن عَبَّاد على التَّزَاوُرِ رغبةً في مديحه ، فأبى الانحطاط إلى الكَتَبَةِ ، وهذا ما حمله على الخوض في مساوي شعره ، وليس يترفع عن حلِّه ونثره في أثناء / كتابته ، ومشاركة الخاتمي في إدامة حَلِّ نظمته في ٢٧٤/٢ رسائله ، بعد مقالاته التي عملها فيه محرّضاً عليه ومُتَنَادِراً به كنوادر الخنثين = كما حمل

مثله أبا محمد المهلبى مُسْتَوَزَّرَ بختيار بن معز الدولة على إغراء سفهاء بغداد عليه ،  
 ٣٧ ومعاملته بالسخف الذى أعرض بوجهه عنه وعنهم ، ولم يزد / فى الجواب على الحسأ ،  
 ترفعاً وتنزهاً واكتفاءً من مهاجاتهم ، على ما فى خلال شعره من مثله قوله :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَحُلُّوْ مِنْ هَمِّ أَخْلَافِهِمْ مِنَ الْفِطَنِ

وذكر أبياتاً مثله ، وقال : ثم ما يُدْرِينِي هل كان فى سبب الفتك به من الأعرابي  
 نُبِّدَ من ذلك الإغراء ، (١) فالقائل بالشر غير مبالٍ أيضاً بفعله ، وخاصةً عند استماع  
 ما كان حَظِيَّ به لدى المقصودين من القبول والإقبال ، حتى إنه قال عند دخوله إلى  
 شيراز : أنا لا أنشد مائلاً ! فأمر عضد الدولة بكرسى له ، فلما دَخَلَ ورآه ، أنشده  
 قائماً ، فأمره بالجلوس فأبى وقال : هَيْبَتُكَ تمنع عن ذلك ! فوقع قوله وفعله منه أحسن  
 المواقع . (٢) وكان المهلبى مع بختياره ينكر أن عَضُدَ الدَّولة فعل ذلك ، (٣) حَقَقاً  
 وجهلاً بالقدر .

قال : وما يغىظنى حقاً ، قوم مُتَسِمُّونَ بالفضل يكابرون عقولهم فى أمره ،  
 ٢٧٥/٢ / ويرتكبون فى إطفاء نوره ، (٤) كشمس المعالى قابوس ، فقد كان يقول : ليس للمتنبى  
 فى ديوانه ما يسوى استماعاً إلا أربعة أبيات ، ثم لم يكن يبتدىء من ذات نفسه بالإشارة  
 إليها ، وكان سوء خلقه يمنعنى من سؤاله عنها = وكأبى الفتح البُستى فى قوله :

سُئِلْتُ عَنِ الْمُتَنَبِّى فَقُلْتُ مَقَالَ أَمْرِئٍ [ مُنْصِيفٍ ] لَيْسَ يَغْلُو (٥)  
 لَهُ فِي مَوَاضِعَ فَصْلُ الْخِطَابِ ، وَسَائِرُ مَا قَالَهُ فَهُوَ فَسْلٌ

(١) هذا هو نفس ما ذهبت إليه فى مقتل أبى الطيب استظهاراً من الشعر والأخبار ، لا من نص منقول .

انظر ما سلف ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) سيأتى خبر عضد الدولة ، عند المقرئى فى ترجمته برقم : ١٩ .

(٣) فى الأصل : « يناكر أن عضد الدولة .... » .

(٤) كذا فى الأصل ، ولعله « ويرتكبون الإثم فى إطفاء نوره » ، كما يدل عليه آخر الخبر .

(٥) ما بين القوسين : زيادة منى ، ليقوم وزن البيت ، والشعر ليس فى ديوان البستى المطبوع قديماً ، ولا فى

طبعة د . محمد مرسى الخولى .



قال : ولو كان قلبه فقال : إن مواضع منه فسئل ، وسائر ما قاله فصل خطاب ،  
لكان أبعد عن الإثم ، وأقرب إلى الصدق والصواب .

\*\*\*

٣٧ - وذكر ابن الصائى فى كتاب الوزراء : أن ابن العميد كان يجلس المتنبي  
فى دسسته ، ويقعد بين يديه فيقرأ عليه الجمهرة لابن دريد ، لأن المتنبي كان يحفظها عن  
ظهر قلب .

٣٨ - وقرأت فى بعض مطالعاتى أن المتنبي لما اجتاز بالرملة ومدح طاهر بن  
الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي ، أجلسه طاهر فى الدست ، وجلس بين يديه حتى  
فرغ من مدحته .

٣٩ - / وقرأت فى كتاب « نزهة عيون المشتاقين » لأبى الغنائم الرندي ، قال : ٢٧٦/٢  
حدثنى جماعة أن المتنبي لما مدح طاهر بن الحسن بن طاهر أجازة ألف دينار .

• قلت : والقصيدة التى مدحه بها هى القصيدة البائية التى أولها :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ ، وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لَحْظُ الْحَبَائِبِ

\*\*\*

٤٠ - وقال ابن فورجة فى كتاب « التجنى على ابن جنى » : حدثنى الشيخ  
أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه بأصبهان ، وكان تربية ابن العميد ونديمه ،  
قال : حضرت مجلس ابن العميد بأرجان وقد دخل عليه أبو الطيب ، وكان يستعرض  
سيوفاً ، فلما بصُر بأبى الطيب نهض من مجلسه وأجلسه فى دسسته ، ثم قال لأبى الطيب :  
اختر سيفاً من هذه السيوف . فاختار منها واحداً ثقیلاً الحلي ، واختار ابن العميد آخر  
غيره ، فقال كل منهما : سفى الذى اخترته أجود ! ثم اصطلحا على أن يجرباهما ، فقال  
ابن العميد : فهاذا / نجربهما ؟ فقال أبو الطيب : فى الدنانير ، فيؤتى بها فينضد بعضها ٣٨

على بعض ، ثم تُضْرَبُ به ، فإن قَدَّها فهو قاطع . فاستدعى ابن العميد بعشرين ديناراً ،  
فَنُضِدت ، ثم ضربها أبو الطيب فَقَدَّها وتفرقت في المجلس ، فقام من مجلسه المفحَّم  
يلتقط الدنانير المتبددة في كُمِّه ، فقال ابن / العميد : ليلزم الشيخ مجلسه ، فإنَّ أحدَ  
الخدَّام يلتقطها ويأتيه بها . فقال : بل صاحبُ الحاجة أولى بها !

قال ابن فُورَجَة : وكان رجلاً ذا هيئة ، مُرَّ النفس ، شجاعاً ، حَفَظَ لآداب ،  
عفيفاً ، وكان يشين ذلك كُلِّه بِيُخْلِه .

٤١ - قرأت على ظهر نسخة قديمة من شعر المتنبي ما صورته : وحكى أبو  
بكر الخوارزمي أن المتنبي كان قاعداً تحت قول الشاعر :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللُّومِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى الْبُخْلِ الرَّجَالَ وَيَبْخُلُ

وإنما أعرب عن طريقته وعادته بقوله :

وُقُوفٌ شَحِيحٌ ضَاعَ فِي الثُّرْبِ خَائِمُهُ

قال : فحضرت عنده يوماً وقد أُحْضِرَ مَالٌ ، فَصُبَّ بين يديه من صلات سيف  
الدولة على حصيرٍ قد افترشه ، فَوَزِنَ وأعيد في الكيس ، وتخلَّلت قطعة كأصغر ما تكون  
خلال الحصير ، فأكَبَّ عليه بمجامعه يعالج لاستنقاذها منه ، ويشغل عن جلسائه ،  
حتى توصَّلَ إلى إظهار بعضهما ، وأنشد قول قيس بن الخطيم :

تَبَدَّثْنَا كَالشَّمْسِ بَيْنَ عِمَامَةٍ ، بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنَّتْ بِحَاجِبٍ (١)

/ ثم استخرجها وأمر بإعادتها إلى مكانها ، وقال : إنها تُخَضَّرُ المائدة . (٢)

٢٧٨/٢

\*\*\*

(١) في هامش الأصل : « المعروف : تحت غمامة » .

(٢) انظر هذا الخبر في ترجمة ابن عساكر الآتية رقم : ٢٤ .

٤٢ - أنبأنا أحمد بن زاهر بن عبد الوهَّاب البغدادي في كتابه ، عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال ، أخبرنا أبو غالب بن بشران إجازةً قال ، أخبرنا محمد بن نصر الكاتب = قلت : ونقلته من خطه ببغداد - قال ، حدثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر البيَّغاء ، قال : كان أبو الطيب المتنبى يَأْتُسُ بى ويشكو عندى سيف الدولة ، ويأْمُنُنِي على غيبته له ، وكانت الحال بينى وبينه صافيةً عامرةً دون باقى الشعراء ، وكان سيف الدولة يَغتَاطُ من عظمته وتعاطيه ، <sup>(١)</sup> ويجفو عليه إذا كلمه ، والمتنبى يحبه فى أكثر الأوقات ويتغاضى فى بعضها .

قال : وأذكر ليلةً ، وقد استُدْعَى سيف الدولة بِدُرَّة فَشَقَّهَا بِسكين الدواة ، فمدَّ أبو عبد الله بن خَالَوَيْهِ النَّحْوِيَّ جانب طَيْلَسَانِه ، وكان صُوفاً أزرق ، فحشا فيه سيف الدولة صالحاً ، ومددت ذيلَ دُرَاعَتِي ، وكانت دِيْبِاجاً ، فحشى لى فيها ، <sup>(٢)</sup> وأبو الطيب حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا أو يطلب شيئاً منها ، فما فعل ، فغاضه ذلك ، فنثرها كلها ، فلما رأى أنها قد فائتته ، زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيف الدولة ، فداسوه وركبوه ، وصارت عمامته وطُرْطُورُه فى حلقة ، واستحى ، ومضت به ليلةً عظيمة ، / وانصرف ، فخاطب أبو عبد الله بن خَالَوَيْهِ <sup>٢٧٩/٢</sup> / سيف الدولة فى ذلك ، فقال : من يتعاضم تلك العظمة ، يَتَضِعُ إلى مثل هذ المنزلة ، ٣٩ لولا حماقته !

\*\*\*

٤٣ - وما يحكى من بخله وشُحِّه ما قرأته فى تاريخ أى غالب همام بن الفضل ابن المهذَّب المعرِّى - سيَّره إلى بعض الشُّرَاف بحلب - قال : وكان سيف الدولة قد أقطعه - يعنى المتنبى - ضبيعةً تعرف بِبَصَف ، من ضياع معرة النعمان القبلية ، فكان

(١) هكذا فى الأصل ، ولعلها « تعالىه » أو « تعاضمه » .

(٢) هكذا هما ، ولعله « فحشا لى » كالأولى .

يترددُ إليها ، وكان يوصف بالبخل ، فَمِمَّا ذَكَرَ عنه ما حدّثه جماعةٌ من أهل بَصَف أن كلباً من كلاب الضيعة المعروفة بِصَهْيَان ، كان يطرقُ تَيْنَ بَصَف ، فذكر ذلك لأبي الطيب المتنبي ، فقال للناطور : إذا جاء الكلب فعرفني به . فلما جاء عَرَفه ، فقال : شُدُّوا على الحصان . وخرج إليه فطرده أميالاً ، ثم عاد لا يَعْقُلُ من التعب ، وقد عَرِقَ فرسه ، فقال له أهل بَصَف : يا أستاذ ، كيف جرى أمرُ الكلب ؟ فقال : كأنه كان فارساً مرةً ! إن جثته بالطعنة عن اليمين عاد إلى الشمال ، وإن جثته من الشمال عاد إلى اليمين .

٤٤ - قال أبو [ غالب ] همام المعريّ : وحدّثوا عنه أن أبا البهاء بن عديّ ، شيخ رَفِيَّةً ، كان صديقاً له ، فنزل عنده بِبَصَف ، فسمعه وهو يقول له : يا أبا البهاء ، أوجز في أكلك ، فإن الشمعة تَتَوَى . (١)  
وسمعه يحاسب وكيلاً له وهو يقول : والحبّتان ما فعلتا ؟ - يعني فِضَّةً .

\*\*\*

٤٥ - / أخبرني ياقوت بن عبد الله مولى الحمويّ قال : قرأت في أخبار المتنبي تصنيف أبي القاسم عبيد الله بن عبد الرحيم الأصبهانيّ قال ، وأخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد أنه قال : (٢) رأيت المتنبي وقد مدح رجلاً بقوله :

انصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطَا تَرَكْتُ بِهَا      فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا  
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحِلٌ      وَذَا الْوَدَاعُ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا بَشَيْتَا  
فَأَعْطَى دُونَ الْخَمْسَةِ دَرَاهِمَ وَقَبِلَهَا . (٣)

(١) توى ( من باب سمع ) يتوى : أى هلك وذهب ضياعاً ، والزيادة بين القوسين استظهار من الخبر السالف .

(٢) انظر هذا الخبر وما بعده في كتاب « الواضح .... » للأصفهاني ، ص : ٩ ، ١٠ .

(٣) هذا الخبر سيأتى متوراً في ترجمة المقرئى برقم : ١٩ .

٤٦ - قال : وأخبرني الطرائفي ، قال ، حدثني المتنبي قال : أول يوم وصلت بالشُّعر إلى ما أُرَدته ، أني كنت بدمشق ، فمدحت أحد بني طُغْج بقصيدتي التي أولها :  
 أيا لَأَيْمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللُّوْائِمِ عَلمَتْ بما بي يَن تِلْكَ المَعَالِمِ  
 فأثابني الممدوح بمئة دينار ، ثم آيضت أيامي بعدها .

٤٧ - قال أبو القاسم بن عبد الرَّحِيم<sup>(١)</sup> : واتصل بعد هذا بأبي العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حَمْدَان ، وَتَفَقَّ عليه نفاقاً تاماً ، فأجرى ذكره / عند ٢٨١/٢ سيف الدولة أبي الحسن علي بن حَمْدَان ، فأمر بإحضاره عنده ، فاشتطَّ المتنبي عليه ، واشترط أن ينشده جالساً ، وأن لا يُكَلِّف تقبيل الأرض بين يديه ، فأجابه إلى ذلك ، وأنشده ، فصادف من سيف الدولة رجلاً قد غُذِيَ بالعلم وحُشِيَ بالفهم ، فأعجبه شعره ، واستخلصه لنفسه ، وأجزل عطاءه ، وأكرم مثواه ، ووصله بصلات كثيرة ، وسلمه إلى الرُّوَّاض فعلموه الفروسية ، وصحب سيف الدولة في عدة غزوات إلى بلد الروم ، منها « غزوة الفناء » / التي لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وأخذت عليه الروم ٤٠ الطرق ، فجردَّ السيف وحمل على العسكر وخرق الصفوف ونجا بنفسه .

...

٤٨ - قرأت بخط محمد بن علي بن نصر الكاتب من كتابه الموسوم بالمفاوضة ، وأخبرنا به أبو حفص عُمر بن محمد بن معمر بن طرزد وغيره ، لإجازة عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، قال ، أنبأنا أبو غالب بن بشران قال ، أخبرنا ابن نصر قال ، حدثني أبو القاسم الرُّقِّي المتَّجِّم عن سيف الدولة : أنه انهزم في بعض السنين ، وقد حُلِّلَت الصناديق عن بغاله في بعض دروب الروم ، وأنها ملأت الدروب ، وكان على فرس له يعرف بالثُرَيَّا ، وأنه حرَّك عليها نحو الفرسخ حتى نزل ، ولم يعثر ولم

(١) هذا الخبر غير موجود في كتاب « الواضح » للأصفهاني ، فالمطبوع مختصر .

يتلعم ، وأخبرني أنه بقى في هذه السفرة في تسعة أنفس أحدهم المتنبي ، وأنه كان يحدث أبا عبد الله بن خَالَوَيْهِ النحويّ حديث الهزيمة ، وأن المتنبيّ كان يجري بفرسه ، فَأَعْتَلَقَتْ بعمامته طاقةً من الشجر المعروف بأُمّ غِيلَان ، فكلما جرى الفرس انتشرت / العمامة ، ٢٨٢/٢ وتخيّل المتنبي أنه قد ظُفِرَ به ، فكان يصيح : الأمان يا عِلْج ! قال : فهتفتُ به وقلت : أيّما عِلْج ؟! هذه شجرة قد عَلَقَتْ بعمامتك ! فودّ أن الأرض ساخت به وما سمعته يقول ذلك . فقال ابن خَالَوَيْهِ : أيها الأمير ، أفليس قام معك حتى بقى في تسعة أنفس ! تكفيه هذه الفضيلة !

٤٩ - وقرأت في مجموع بخطّ بعض الفضلاء : أنه لما فعل ذلك ، لحقه سيفُ الدولة وضحك منه وقال له : يا أبا الطيب ، أين قولك :

الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالطُّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرَاطُ وَالْقَلَمُ

ولم يزل يضحك منه بقية يومه في مُنْهَزِمِهِ .

\*\*\*

٥٠ - أنبأنا أبو الحسن علي بن أبي عبد الله بن المقبّر ، عن أبي علي الحسن بن جعفر بن المتوكلّ البغداديّ ، ونقلته من خطه ، قال ، حدثني الشيخ الإمام الفصيحُ وقت قراءتي عليه ديوان أبي الطيّب أحمد بن الحسين المتنبي ، وهو ابن عِيدَان السَّقاء ، قال : قدم بعض الأشراف من الكوفة فدخل إلى مجلسي فيه المتنبي ، فنهض الناس كلهم له سوى المتنبي ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال بالكوفة وما تجدد هناك ، فقال له المتنبي : يا شريف ، كيف حَلَلَّتْ الأسعار بالكوفة ؟ فقال : كل رَاوِيَةٍ برطلين خبز . (١) / فأخجله . وقصد الشريف أن يعرض بأن أباه كان سَقَاءً . (٢) ٢٨٣/٢

\*\*\*

(١) « الراوية » : قرينة السقاء .

(٢) الخبر في ترجمة المقرئ برقم : ٢٤ ، ثم انظر ما سيأتي رقم : ٦٨ ، ٨١ .

٥١ - ذكر ابن فورجة في «التجني على ابن جني» وقال : وأما محله - يعني المتنبي - في العلم فقال الحسن بن علي بن الحلاب : سمعته يقول : من أراد أن يُعرب علي بيتاً لا أعرفه فليفعل . قال : وهذه دعوى عظيمة ، ولا ريب أنه صادق فيها .

٥١ م - وأخبرت عن أبي العلاء بن سليمان المعري أنه كان يسمي المتنبي : «الشاعر» ، ويسمى غيره من الشعراء باسمه ، / وكان يقول : ليس في شعره لفظة يمكن أن يقوم عنها ما هو في معناها . (١)

٥٢ - وقرأت في بعض كلام أبي العلاء : قد علم أن أحمد بن الحسين كان شديد التفقد لما ينطق به من الكلام ، يغير الكلمة بعد أن تروى عنه ، ويفر من الضرورة وإن جلب إليها الوزن .

٥٣ - سمعت شيخنا ضياء الدين الحسن بن عمرو الموصلي المعروف بآبن دهن الحاص ، يقول : كان أبو العلاء المعري يعظم المتنبي ويقول : إياي عنى بقوله :  
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

٥٤ - أنبأنا أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السبائك قال ، أخبرنا / أبو بكر ٢٨٤/٢ محمد بن عبد الباقي الأنصاري إجازة ، عن أبي علي التنوخي قال ، حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الصقر الكاتب = رجل من أهل مغلانيا ، (٢) وممن نشأ بالموصل ، وكان أبوه عاملاً لسيف الدولة على أنطاكية ، وهو من أهل الأدب = قال : جرى ذكر أبي الطيب المتنبي بين يدي أبي العباس التامى المصيصي ، فقال لي التامى : كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي ! قال ، وقال لي في هذا المجلس : كنت أشتي أن أكون قد

(١) في الأصل : « أن يفرم عنها » .

(٢) هكذا ضبطت في أصل اس العديم ، وضبطها ياقوت بفتح الميم وسكون العين وفتح اللام .

سبقته إلى معنيين قائلهما ، ما سبق إليهما ، ولا أعلم أن أحداً ( اخترعهما ) قبله . (١)  
فقلت : ما هما ؟ قال : أما أحدهما فقلوه :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ  
والآخر قوله :

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غُبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْصِرُنَّ بِالْآذَانِ (٢)

٥٥ - أخبرني ياقوت بن عبد الله الحموي قال ، (٣) حكى لي بعض الفضلاء  
في المذاكرة ، قال : لما ورد المتنبي إلى شيراز مادحاً لعُضُد الدَّوْلَةِ ، كان يجتاز على مجلس  
أبي علي ، وقد اجتمع إليه أعيان أهل العلم ، وكان زِيَّ المتنبي زياً عجبياً ، يلبس طُرُوراً  
طويلاً وقباً ، ويعمل له عَدَبَةٌ طويلة تشبهاً بالأعراب ، فكان أبو علي يستقله ويكره زِيَّه ،  
ويجد في نفسه نفوراً منه ، وكان إذا / اجتاز عليهم يقول أبو علي لتلاميذه : إذا سلم  
عليكم فأوجزوا في الردِّ ، لئلاً يستأنس فيجلس إلينا . وكان أبو الفتح عثمان بن جني  
يُعْجَب بشعره ويحب سماعه ، ولا يقدِّر على مراجعة شيخه فيه ، فقال أبو علي يوماً : هاتوا  
بيتاً تعربونه . فابتدر أبو الفتح فأنشد للمتنبي :

حُلَّتْ دُونَ الْمَزَارِ ، فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْتُ لَحَالِ التُّحُولِ دُونَ الْعِنَاقِ

فقال أبو علي : أعِدْ أعِدْ ! فأعاده ، فقال : ويحك ، لمن هذا الشعر ، فإنه غريب  
المعنى ؟ قال : هو للذي يقول :

أَمْضَى إِرَادَتَهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌّ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَنَمَّ لَهُ هُنَا

(١) في الأصل : « أخبر عنهما قبله » .

(٢) الخبر مختصراً في ترجمة المقرئ برقم : ٢٥ .

(٣) انظر ترجمة ابن عساكر التالية رقم : ٢٦ .



قال : فازداد أبو عليّ عجباً وقال : ما أعجب هذه المعاني وأغربها ! مَنْ / قائلها ؟ ٤٢  
قال : الذي يقول :

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى مُضِرٌّ ، كَوَضَعَ السَّيْفُ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

قال : فاستخفّ أبا عليّ الطرب ، وقال : ويحك ! من قائل هذا ؟ قال : الذي يقول . قال : = ونسى البيت الذي أنشده = قال : فقال أبو علي : أحسن والله ، وأطلت أنت ، من يكون هذا ؟ قال : هو صاحب الطرطور الذي يمرُّ بك فتستقله ولا تحبُّ محاضرتي . قال : ويحك ! أهاذك يقول هذا ؟! فقال : نعم . قال أبو علي : والله ما ظننت أن ذلك يأتي بخير أبداً ، إذا كان / في الغد ومرّ بنا فاسأله أن يجلس إلينا لنسمع منه ، ٢٨٦/٢ فلما كان في الغد ومرّ بهم ، كلموه وسأله النزول عندهم ، ففعل ، واستنشدته أبو علي ، فملاً صدره وأحبه ، وعجب منه ومن فصاحته وسعة علمه ، فكلمهم عَضُدُ الدَّوْلَةِ فيه حتى أحسن إليه وضاعف جائزته .

• قلت : وهذه الحكاية لا يقبلها القلب ولا تكاد تثبت ، فإن أبا علي الفارسيّ كان يعرف المتنبي قبل أن يصيرَ بشيراز حين كانا بحلب ، وقد حكى أبو الفتح عثمان بن جنيّ ، عن أبي علي الفارسيّ في كتاب « الْفَسْرِ » ، ما يشهد بخلاف ما تضمنته الحكاية = قال أبو علي : خرجت بحلب أريد دار سيف الدولة ، فلما برزتُ من السُّور إذا أنا بفارس مثلثٌ قد أهوى نحوي بريح طويل ، فكدتُ أطرحُ نفسي من الدابة فرقاً ، فلماً قُرب مني نثني السنانَ وحسّر لثامه ، فإذا المتنبي ، وأنشدني :

نَثَرْتُ رُووساً بِالْأَحْيَدِ مِنْهُمْ كَمَا تُثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت : ويحك قتلتنى يا رجل ! قال ابن جنيّ : فحكيت هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا عليّ بالثناء والتقريض بما يقال في مثله .

٥٦ - وجرى للمتنبي مع ابن خالوته مثل هذه الواقعة التي حكاها أبو علي ،

٢٨٧/٢ فإنني نقلت من خط أبي الحسن علي بن مُرشد بن علي بن مقلد بن / نصر بن منقذ الكنانى المالكي ، من كتابه الموسوم « بالبداية والنهاية » في التاريخ قال فيه : حدثني أبي قال ، حدثني = ويَضُ ، ولم يذكر من حَدَّث أباه = قال ، حدثني ابن خالويه ، وكان نديماً ومجالساً لسيف الدولة ، قال : خرجت في بعض الأيام إلى ظاهر حلب ، فقعدت أطلع في كتاب وأنظر إلى قُوَيْقِي ، فما رفعت رأسي إلا مِنْ وَقَع فرس ، فنظرت فإذا بفارس مسدّد نحوى رحمه ، فقلت : والله ما أعرف بيني وبين أحد من الناس ما يوجب هذا ! ورأيت الفارس مثلاًماً ، فلما دنا حطَّ لِثَامُهُ ، فإذا بأحمد بن الحسين المتنبي ، فسلم عليّ ، فرددت السلام وجاريتَه الحديث ، فقال : كيف رأيت قصيدتي التي أنشدتها أول أمسِ الأمير سيف الدولة ؟ فقلت : والله إنها لمليحةٌ ، وإنَّ أولها لا يحتاج إلى تمام في قولك :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ

وفيهما كذا وكذا . فقال : ما رأيت إلا مليحاً ؟ والذي فيه ما سبقني إليه مَنْ

٤٣ أحسنَ فيه من ذكر « الدراهم » ، فإنها / لا تأتي في شعرٍ إلا بَرَدَتْه وضعفته ، إلا ما جاءني :

نَثَرْتُهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَثْرَةَ      كَمَا تُنْثَرُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ

\*\*\*

٥٧ - أخبرني أبو محمد عبد الطيف بن يوسف بن عليّ إذناً ، عن أبي الفتح

محمد بن عبد الباقي البطّي ، عن أبي نصر الحُمَيْدِي قال ، أخبرنا عَرَسُ النُّعْمَةِ محمد بن

٢٨٨/٢ هلال بن المُحَسِّن بن أبي إسحق الصَّائِي قال ، وحدثني ، / رضى الله عنه = يعنى أباه

هلال بن المحسن = قال ، حدثني أبو إسحق جدّي ، تجاوز الله عنه ، قال : لما ورد أبو

الطيب أحمد بن الحسين المتنبي إلى بغداد متوجّهاً إلى حضرة الملك عَضُد الدَّوْلَة بفارس ، أعدّه له أبو محمد عشرة آلاف درهم وثياباً كثيرة ، مقطوعة وصحاحاً ، وفرساً بمَرْكَبٍ ، ليعطيه ذلك عند مَدِيحِهِ له ، فَأُخِّرَ المتنبي من ذاك ما كان متوقعاً منه ، وحضر مجلس أُنِيَ محمد للسلام عليه الذي لم يخلط به غيره ، فغاض أباً محمد فِعْلُهُ ، وخاطبُتُ المتنبي على استعماله ما استعمل ، وتأخيره من خدمة الوزير ما أُخِّرَ ، فقال : لم تَجْرِ عادتي بمدح مَنْ لم يتقدّم له إلّا جميلٌ . فقلت : إن الوزير شديد الشَّعْفِ بموردك ، معتقداً فيك الزيادة بك على أَمَلِك ، والامتناع من خدمته إلا بعد الاستسلاف لصلته غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ منك ، بل مستقبّحٌ لك ! فقال : ليس إلى مخالفة عادتي سبيل ! واتّصل ذلك بأبي محمد من غير جهتي ، فأكد غيظَهُ وأظهر الإفلالَ به والاطرّاحَ له ، وفرّق ما كان أعدّه على الشعراء ، وزادهم مُدَّةً مُقام أُنِيَ الطيب من الإحسان والعطاء . وتوجّه أبو الطيب إلى شيراز ، ثم عاد منها ، فكانت وفاته في الطريق بين دير العاقول ومدينة السلام ، على ما شُرح في أخباره . وقد كان أبو محمّد يعتقد أن يَقْطَعَهُ بالفعّال الجميل والجَبّاء الجزيل عن قصد شيراز ، فلما جرى أمره على ما جرى تغيّرت نِيَّتُهُ ، واستحالت تلك العزيمة منه .

• قلت : وهذا الوزير أبو محمد ، هو المُهَلَّبِيّ .

٥٨ - قال ، وحدثني قال ، حدثني أبو عليّ والِدِي قال ، حدثني / أبو ٢٨٩/٢

إسحاق جَدِّي قال : راسلت أبا الطيب المتنبي في أن يمدحني بقصيدتين ، وأعطيته خمسة آلاف درهم ، ووسّطت بيني وبينه صديقاً له ولى ، فأعاد الجواب بأنني ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا من أوجب عليّ حقاً سواك ، وإن أنا مدحتك تنكّر لك الوزير أبو محمّد المهلبِيّ ، لأنني لم أمدحه ، وجرى بيننا في ذلك

ما قد عرفته ، فإن كنت لا تُراعى هذه الحال ولا تبالِها فعلتُ ، ولم أُرِدْ منك عِوَضاً من مالٍ . قال : فنبهني والله إلى ما كان ذهب عني ، وعلمت أنه نصحتني ، فلم أعاوده . (١)

\*\*\*

.....  
 .....  
 .....  
 .....

(١) في هامش المخطوطة عند آخر هذا الخبر ما نصه : « بلغ ، بدر الدين عبد الواحد » ، أي بلغت من مراجعة النسخة عند هذا الموضع . وفي المخطوطة بعد هذا خرم مقداره ورقة واحدة ، هي الورقة : ٤٤ ، أشرنا إليه بهذه النقطة .

## بسم الله الرحمن الرحيم

### وبه توفيقى

٥٩ / - وذكر على بن عيسى الرِّبْعِيُّ في كتاب « التنبيه » الذى رَدَّ فيه على ابن ٢٩٠/٢  
جنى في كتاب « الفَسر » ، قال : كنت يوماً عند المتنبى بشيراز ، ف قيل له : أبو على  
الفرسىّ بالبَاب ، وكانت بينهما مودة ، فقال : بادروا إليه فأنزلوه ! فدخل عليه أبو على وأنا  
جالس عنده فقال : يا أبا الحسن ، خذ هذا الجزء = وأعطاني جزءاً من كتاب  
« التذكرة » ، وقال : اكتب عن الشيخ البيتين اللذين ذاكرتُك بهما ، وهما :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخِ      كَأَنَّهُمْ مِنْ طَوْلِ مَا التَّثْمُوا مُرْدُ  
ثِقَالُ إِذَا لَاقُوا ، خِفَافٌ إِذَا دُعُوا ،      كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا ، قَلِيلٌ إِذَا عُذُّوا

فهما مثبتان في التذكرة بخطي . قال : وهذا من فعل الشيخ أبى على الفارسيّ  
عظيم . (١)

قال الرِّبْعِيُّ : وكان قصْدُ أبى على الفارسيّ نَفْعُهُ ، لا التَّأْدُّبَ والتَّكثُّرَ ، وأباً قصد  
فهو كثير .

٦٠ - قرأت بخط يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الحَصَكَمِيّ في تعليق

/ له : حكى أن السَّريَّ الرَّفَاءَ حين قصد سيف الدولة بن حمدان ، رحمه الله ، أنشده ٢٩١/٢  
بديهاً بيتين ، هما :

إِنِّي رَأَيْتُكَ جَالِسًا فِي مَجْلِسِ قَعْدِ الْمُلُوكِ بِهِ لَدَيْكَ وَقَامُوا  
فَكَأَنَّكَ الدَّهْرُ الْمُحِيطُ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ

ثم أنشده بعد ذلك ما كان قال فيه من الشعر ، وبعد يومين أو ثلاثة أنشده أبو الطيب المتنبي :

أَيَذْرَى الدَّمْعُ أَيَّ دِمِّ أَرَاقًا

إلى أن انتهى إلى قوله :

وَحَصْرٌ تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقًا

قال : فقال السري : هذا والله معني ما قدر عليه المتقدمون ! ثم إنه حم في الحال وتحامل إلى منزله ، فمات بعد ثلاثة أيام .

● قلت : هكذا وجدته بخط الحَصَكْفِي ، والمتنبي فارق سيف الدولة في سنة ست وأربعين وثلاثمئة ، والسري توفي بعد سنة ستين وثلاثمئة ببغداد - على ما نقله الخطيب في تاريخه - وقيل سنة اثنتين وستين وثلاثمئة ، فعلى هذا لا يكون لهذه الحكاية صحة . وقد نقل أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب السقطي في تاريخه المسمى « بلوائع الأمور » : أن السري توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمئة ، فعلى هذا تكون هذه الحكاية محتملة الصحة ، بشرط / أن يكون موت السري بالشام ، ولم ينقل ذلك ، كيف ؟ وهو أن هذه القصيدة من أول شعر أبي الطيب المتنبي في سيف الدولة ، والله أعلم . ٢٩٢/٢

٦١ - أخبرنا ياقوت بن عبد الله الحموي قال : وحَدَّثَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضَّبِّيُّ أَنَّ الصَّاحِبَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادٍ قَالَ بِأَصْبَهَانَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ عَلَى الْإِنْشَاءِ : بَلَّغْنِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ ، يَعْنِي الْمُنْتَبِيَّ ، قَدْ نَزَلَ بِأَرْجَانَ مَتَوَجِّهًا إِلَى آبِنِ الْعَمِيدِ ، وَلَكِنْ إِنْ جَاءَنِي خَرَجْتَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعٍ / مَا أَمْلِكُهُ ! وَكَانَ جَمِيعٌ مَا يَمْلِكُهُ لَا يَبْلُغُ ثَلَاثَمِئَةَ دِينَارٍ ، فَكُنَّا نَعْجِبُ مِنْ بُعْدِ هِمَّتِهِ وَشَوْءِ نَفْسِهِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُنْتَبِيَّ ، فَلَمْ يَعْرِجْ عَلَيْهِ وَلَا التَفَتْ إِلَيْهِ ، فَحَقَّقَهَا الصَّاحِبُ حَتَّى حَمَلَهُ عَلَى إِظْهَارِ عِيُوبِهِ فِي كِتَابِ أَلْفِهِ لَمْ يَصْنَعْ فِيهِ شَيْئًا ، لِأَنَّهُ أَخَذَ عَلَيْهِ مَوَاضِعَ تَحْمَلُ فِيهَا عَلَيْهِ . ٤٦

٦٢ أخبرني بعض أهل الأدب قال : وجدت في كتاب بعض الفضلاء ،  
عن أبي القاسم عبد الصمد بن بابك قال ، قال أبو الفتح بن جني : كنت أقرأ ديوان  
أبي الطيب عليه ، فقرأت قوله في كافور :

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ ، وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ  
حتى بلغتُ إلى قوله :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً وَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَنْعَتُبُ  
/ وَيَبِي مَا يَذُودُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا آبَتَةَ الْقَوْمِ قُلْبُ ٢٩٣/٢

فقلت له : يعزُّ عليّ ، كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ؟  
فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع ، ألسْتُ القائل فيه :

أَخَا الْجُودِ ، أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ، وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

فهو الذي أعطاني لكافور ، بسوء تدييره وقلة تمييزه . (١)

٦٣ - وأحضر إليّ عمادُ الدين أبو القاسم علي بن القاسم بن علي بن الحسن  
الدَّمشقي ، وقد قدم علينا حَلَبَ في رحلته إلى خراسانَ ، جزءاً فيه أخبارُ سيف الدولة بن  
حمدان ، تأليف أبي الحسن علي بن الحسين الدَّيْلَميِّ الرَّزَّاد فنقلت منه : « وكان لسيف  
الدولة مجلس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته ، وكان يحضره أبو إبراهيم ، وابن  
ماثل القاضي ، وأبو طالب البغدادي وغيرهم ، فوقع بين المتنبي وبين أبي عبد الله الحسين  
ابن خالوته كلامٌ ، فوثب ابن خالويه على المتنبي فضرب وجهه بمفتاح كان معه ففتحه ،  
وخرج دمه يسيل على ثيابه ، وغضب فمضى إلى مصر ، فامتدح كافوراً الإخشيدى » .

٦٤ أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي ، عن أبي الحسن علي

٢٩٤/٢ ابن أحمد بن منصور الغسّاني ، وأبى الحسن على بن المسلم السلمي قالا ، / أخبرنا أبو نصر بن طلاب قال ، أملى علينا أبو عبد الله المحسن بن علي بن كوجك ، وأخبرنا أن أباه حدثه قال : كنت بحضرة سيف الدولة ، وأبو الطيب اللغوي ، والمتنبي ، وأبو عبد الله بن خالويه ، وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابن خالويه مع أبى الطيب اللغوي ، والمتنبي ساكت ، فقال له الأمير سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب ! فتكلم فيها بما قوى حجة أبى الطيب اللغوي ، وأضعف قول أبى خالويه ، فحرد منه ، وأخرج من كُمه مفتاح حديد لبيته ، ليلكم به المتنبي ، فقال له المتنبي : اسكت ويحك ! فإنك عجمي ، وأصلك خوزي ، وصنعتك الحياكة ، فما لك وللعربية !

٦٥ - ودفع إلي بعض الشراف من أهل حلب كتاباً فيه تاريخ جمعه أبو غالب همّام بن الفضل بن جعفر بن علي بن المذهب المعري ، قال في حوادث سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة : وفيها وصل أبو الطيب المتنبي الشاعر إلى سيف الدولة ، ومدحه بالقصيدة الميمية :

وَقَاوُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمَةٌ

بعد انصرافه من حصن برزويه . وقال في حوادث سنة ست وأربعين وثلاثمئة : فيها سار المتنبي من الشام إلى مصر .

٦٦ - ووقع إلي أجزاء من تاريخ مختار الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد المُسَبِّحِي ، فقرأت فيه قصيدة لأبى الطيب يرثي بها أبا بكر آبن طُغْج / الإخشيد ، ٢٩٥/٢ ويعزى ابنه أونوجور بمصر ، في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة . (١) والقصيدة ليست في ٤٧ / ديوان شعره ، فقد كان أبو الطيب صعد إلى مصر مرة أخرى قبل هذه المرة التي ذكرناها ، (٢) وأول القصيدة :

(١) هذا خبر مهم لما فيه من تحديد التاريخ . وانظر ما سلف رقم : ٤ ، والمقرى رقم : ١٧ .

(٢) انظر ما سلف رقم : ٤ ، ص : ٥٨٣ .



هُوَ الزَّمَانُ مُشِيتٌ بِالَّذِي جَمَعَا      فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى مِنْ صَرْفِهِ بِدَعَا  
 إِنْ شِئْتُ مِتْ أَسْفَاً، أَوْ فَاتِقٌ مُصْطَبِرًا،      قَدْ حَلَّ مَا كُنْتُ تُحْشَاهُ وَقَدْ وَقَعَا  
 لَوْ كَانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مَنَعْتُهُ      لَمْ يَصْنَعْ الدَّهْرُ بِالْإِحْشِيدِ مَا صَنَعَا  
 وهي طويلة .

...

٦٧ - وقرأت في كتاب أبي القاسم يحيى بن علي الحضرمي الذي ذيل به تاريخ أبي سعيد بن يونس،<sup>(١)</sup> وذكر فيه من دخل مصر من الغرباء فقال: أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الشاعر، أبو الطيب، يعرف بالمتنبي، رحل من مصر سرًا من السلطان ليلة النحر سنة خمسين وثلاثمئة، ووجه الأستاذ كافور خلفه راحل إلى جهات شتى فلم يلحق .

٦٨ - أنشدنا علي بن أحمد الماذرائي قال: كتب إلي أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في حاجة كانت له إليّ بالرملة :

٢٩٦/٢

/ إِنِّي سَأَلْتُكَ بِالَّذِي      زَانَ الْإِمَامَةَ بِالْوَصِي  
 وَأَبَانَ فِي يَوْمِ الْعَدِي      سِرَّ لِكُلِّ جَبَّارٍ غَوِي  
 فَضَّلَ الْإِمَامَ عَلَيْهِمُو      بَوْلَايَةَ الرَّبِّ الْعَلِي  
 إِلَّا قَصَدْتَ لِحَاجَتِي      وَأَعْنَتْ عَبْدَكَ يَا عَلِي

قال : وكان يتشيع ، وقيل : كان ملحداً ، والله أعلم .<sup>(٢)</sup>

• قلت : وسنذكر في ترجمة طاهر بن الحسن بن طاهر حكاية عن الخالدين ، تدل على أن المتنبي كان مخالفاً للشيعة .<sup>(٣)</sup>

...

(١) هو المؤرخ الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري ، صاحب تاريخ مصر ، وتوفي سنة ٣٤٧ هـ .

(٢) هذه حكاية غريبة ، وشعرها أغرب منها !!

(٣) وانظر ما سيأتي رقم : ٨١ ، وما سلف رقم : ٥٠ .

٦٩ - أنبأنا أبو اليُمن الكندي ، عن الشيخ أبي منصور مَوْهُوب بن أحمد بن الجواليقي قال ، قال عليُّ بنُ حمزة البصريُّ صاحبُ أبي الطيب المتنبي ، أو غيره ممن صحب المتنبي - شك فيه أبو منصور - قال : بلوت من أبي الطيب ثلاثَ خلالٍ محمودَة ، وتلك أنَّه ما كذب ولا زَنَى ولا لَاطَ ، وبلوْتُ منه ثلاثَ خلالٍ ذميمةٌ كُلُّ الذَّم ، وتلك أنَّه ما صام ولا صَلَّى ولا قرأ القرآن ، عفا الله عنا وعنه آمين .

٧٠ - وذكر ابنُ فورجةٍ في كتاب « التَّجَنِّي على ابن جني » ، عن أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سُلَيْمان المعري ، عن رجل من أهل الشام كان / يتوكل لأبي الطيب ٢٩٧/٢ في داره ، يعرف بأبي سعد = قال : وبقي إلى عهدنا = قال : دعاني أبو الطيب يوماً ونحن بحلب ، أظنَّه قال : ولم أكن عرفت منه الميلَ إلى اللُّهو مع النساء ولا الغلمان ، فقال لي : أرايت الغلام ذا الأصداع الجالسَ إلى حانوت كذا من السُّوق ؟ = وكان غلاماً وسيماً فَحَاشاً فيما هو بسبيله = فقلت : نعم ، وأعرفه . فقال : آمض فأتني به ، واتخذ دعوة وأنفق وأكثُر . فقلت : ولم قدر ما أنفق ؟ فلم يزدني على قوله : « أنفق وأكثر » ، وكنت أستطلع رأيه في جميع ما أنفق ، فمضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الأطعمة ، وصحفاتٍ من الحلوى ، واستدعيت الغلام فأجاب ، وأنا متعجب من جميع ما أسمع منه ، إذ لم تُعَجِّر له عادة بمثله ، فعاد من / دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام ، ٤٨ وفُرِغ من اتخاذ الطعام ، فقال : قدَّم ما يؤكل ، ووَاكِلَ ضَيْفَكَ ! فقَدَّمْتُ الطعام فأكلنا وأنا ثالثهما ، ثم أجنَّ الليل ، فقَدَّمْتُ شمعة ومِرْفَع دفاتره ، وكانت تلك عادته كل ليلة ، فقال : أحضِرْ لضيفك شراباً واقعد إلى جانبه فنادمه . ففعلت ما أمرني به ، كُلُّ ذلك وعينه إلى الدفتر يدرُس ولا يلتفت إلينا إلا في الحين بعد الحين ، فما شربنا إلا قليلاً حتى قال : افرش لضيفك وافرش لنفسك وبِتْ ثالثنا . ولم أكن قبل ذلك أبايته في بيته ، ففعلت ، وهو يدرس حتى مضى من الليل أكثره ، ثم أوى إلى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : ما يصنع الضيف ؟ فقال : آحِبُّهُ وَأَصْرِفُهُ . فقلت له : ولم أعطيه ؟ فأطرق ساعة ثم قال : أنيطه ثلاثمئة درهم . فتعجبت من ذلك ، ثم جَسَّرت نفسي فدنوت إليه وقلت :

إنه / ممن يُجيب بالشئ اليسير ! وأنت ، فلم تُل منه حظاً ! فقطّب ثم قال : أتظنني من ٢٩٨/٢ هؤلاء الفسقة ؟ أنطه ثلاثمئة درهم ولينصرف راشداً . قال : فعلت ما أمرني به وصرفته . قال : وهذا من بديع أخباره ، ولولا قوة إسناده لما صدقت به .

٧١ - أنبأنا أبو الحسن بن المقيّر ، عن أبي الفتح بن البطي ، عن أبي نصر الحميدى قال ، أخبرني غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن أبي إسحاق الصّائى قال ، وحدثني رضى الله عنه = يعنى والده هلال بن المحسن = قال ، حدّث الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوى قال ، حدثني أبو القاسم عبد العزيز ابن يوسف حكار قال : لما وصل أبو الطيب المتنبي إلى حضرة عضد الدولة في أول مجلس شاهده فيه ، قال لى عضد الدولة : أخرج واستوقفه واسأله : كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم في نفسه منّا ؟ قال : فأتمثلت ما أمرني به ، ولحقته وجلست معه وحادثته وطاولته ، وأطلت معه فى المعنى الذى ذكرته ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه منى أن قال : ما خدّمت عيناى قلبى كالיום ! فجاء بالجواب موزوناً ، واستوفى القول فى اختصار من اللفظ . (١)

٧٢ - قرأت فى مجموع صالح بن إبراهيم بن رشدين بخطه : قال لى أبو نصر ابن غياث النصرانى الكاتب : اعتلّ أبو الطيب المتنبي بمصر العلة التى وصّف الحمى فى أبياته من القصيدة الميمية ، فكنت أواصل عيادته / وقضاء حقه فيها ، فلما توجه إلى الصلاح وأبلّ ، أغبيت زيارته ثقة بصلاحه ، ولشغل قطعنى عنه ، فكتب إلى : « وصلّتنى ، وصلك الله ، مُعتلاً ، وقطعتنى مُبلاً ، فإن رأيت أن لا تحبب العلة إلى ، ولا تكدر الصحة على ، فعلت إن شاء الله » . (٢)

(١) الخبر فى ترجمة ابن عساكر الآتية برقم : ٢٠ ، وفى ترجمة المقرئ الآتية برقم : ١٨ .

(٢) هذا الخبر فى ترجمة المقرئ الآتية برقم : ٢٧ .

٧٣ - ونقلت من هذا المجموع بخطّه : ذكر لي أبو العباس بن الحوت الورّاق - رحمه الله (١) : أن أبا الطيب المتنبي أنشده لنفسه هذين البيتين :

تَصَاحَكَ مِنَّا دَهْرُنَا لِعَبَا بِنَا وَعَلَّمَنَا التَّمْوِيهَ لَوْ نَتَّعَلَّمُ  
شَرِيفٌ زُغَاوِيٌّ ، وَزَانٍ مُدَكَّرٌ ، وَأَعْمَشُ كَحَالٍ ، وَأَعْمَى مُنَجَّمٌ (٢)

٧٤ - أنشدنا أبو حفص عمر بن علي بن قشّام الحلبي قراءة عليه بها ، قال ، أنشدنا الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجبائي الحافظ قال ، أنشدني أبو القاسم زاهر بن طاهر قال ، أخبرنا أبو الحسين البحيري ، قال أنشدنا محمد بن الحسين بن موسى السلمي قال ، أنشدني محمد بن الحسين البغدادي قال ، أنشدني المتنبي :

هَنِيئًا لَكَ الْعَيْدُ الَّذِي أَنْتَ عَيْدُهُ وَعَيْدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَّى وَعَيْدًا  
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا

٧٥ - / أخبرني الشيخ الصالح أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان ٣٠٠/٢ الأسدئ قال ، أخبرنا محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن الخطيب قال ، أخبرنا أبو بكر محمد بن منصور بن محمد السَّمْعَانِي قال ، سمعتُ الشيخ أبا الحسن علي ابن أحمد المديني قال ، سمعتُ أبا عبد الرحمن السُّلَمِي قال ، سمعتُ السيد أبا الحسين محمد بن أبي / إسماعيل العلوي يقول : دخل المتنبي على الأستاذ الرئيس أبي الفضل محمد ابن الحسين وبين يديه مَجَامِرُ من آسٍ وثرَجِس ، قد أخفى فيها مواضع النار ، لا تُرى النار وتُشَمُّ رائحة النَّدِّ ، فقال : يا أبا الطيب ، قل فيه شيئاً ! فأنشأ يقول :

(١) انظر ما سلف رقم : ٦ ، ص : ٥٨٥ ، تعليق : ١ .

(٢) هذا الخبر في ترجمة المقرئ الآتية برقم : ٢٩ . « زغواي ( بفتح الزاي وضمها ) منسوب إلى « زغواة » ، وهي قبيلة من السودان ، ولذلك تعجب المتنبي . وانظر ما سيأتي في المقرئ : ٢٩ .

أَحَبُّ الذِي حَبَّتِ الْأَنْفُسُ      وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ الْمَعْطَسُ  
وَنَشَرُّ مِنَ النَّدِّ ، لَكِنَّهُ      مَجَامِرُهُ الْآسُ وَالنَّرَجَسُ  
وَلَسْتُ أَرَى وَهَجاً هَاجَهُ ،      فَهَلْ هَاجَهُ عِزُّكَ الْأَقْعَسُ  
وَإِنَّ الْفِئَامَ الَّتِي حَوْلَهُ      لَتَحْسُدُ أَقْدَامَهَا الْأَرْؤُسُ (١)

٧٦ - أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادي في كتابه قال ، أخبرنا الرئيس أبو الحسن علي بن علي بن نصر بن سعيد البصري قال ، أخبرنا أبو البركات محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل قال ، أخبرنا علي بن أيوب بن الحسين بن السَّاربان قال : وخرج ، يعني المتنبي ، من شيراز / لثمان خلون من شعبان قاصداً إلى ٣٠١/٢ بغداد ثم الكوفة ، حتى إذا بلغ ذَيْرَ العاقول وخرج منه قَدَرٌ ميلين ، خرج عليه فرسانٌ ورجالة من بني أسد وشيبان ، فقاتلهم مع غلامين من غلمانهِ ساعةً وقتلوه ، وقُتِلَ معه أحد الغلامين وهرب الآخر ، وأخذوا جميع ما كان معه ، وتبعهم ابنه المحسَّد طلباً لَكُتْبِ أبيه ، فقتلوه أيضاً . وذلك كله يوم الاثنين لثمانٍ بقين من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

٧٧ - أنبأنا زيد بن الحسن الكندي قال ، أخبرنا أبو منصور بن زُرَيْق قال ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : خرج المتنبي إلى فارس من بغداد فمدح عَصْدُ الدَوْلَةِ ، وأقام عنده مدةً مديدة ، ثم رجع يريد بغداد ، فقتل في الطريق بالقرب من النعمانية ، في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة . (٢)

٧٨ - وقرأت في تاريخ أبي محمد عبد الله بن أحمد الفَرَّغَانِيّ : لما هرب المتنبي

(١) في الأصل : « الذي حوله » ، والفئام : الجماعات .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ١٠٥ .

الشاعر من مصرَ وصارَ إلى الكوفة فأقام بها ، وصار إلى ابن العميد فمدحه ، فقبل إنه صار إليه منه ثلاثون ألف دينار ، وقال له : تمضى إلى عضد الدولة ! فمضى من عنده إليه فمدحه ووصله بثلاثين ألف دينار ، وفارقه على أن يمضى إلى الكوفة ، يحملُ عياله ويحيى معهم إليه ، وسار حتى وصل إلى النعمانية ، بإزاء قرية تقرب منها يقول لها « بُنُورَى » ، <sup>(١)</sup> فوجد أثر خيل هناك ، فَتَنَسَّم خبرها ، فإذا خيل قد كمنت له فصادفته لأنه قصدُها ، فَطُعِنَ طَعْنَةً نُكِّسَ عن / فرسه ، فلما سقط إلى الأرض نزلوا فاحتزُّوا رأسه ذبحاً ، وأخذوا ما كان معه من المال وغيره ، وكان مذهبه أن يحمل ماله معه أين توجَّه ، وقُتِلَ أبْنه معه ، وغلَّامٌ من جملة خمسة غِلْمَةٍ كانوا معه ، وأن الغلام المقتول قاتل حتى قتل ، وكان قَتْلُ المتنبي يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة .

● قال الفرغاني : وحُدِّثت أنه لما نزل المنزل الذى رحل منه فقتل ، جاءه قوم ٥٠ خفراء فطلبوا منه / درهماً ليسيروا معه ، فمنعه الشُّعَّ والكِبَر ، فأنذروا به ، فكان من أمره ما كان .

وقيل بأنهم لما طلبوا منه الخِفَارَةَ اعتذر في ذلك ، إذ قال لهم : لا أكُذِّب نفسي في قولى :

يُذِمُّ لِمُهَجَّتِي سَيْفِي وَرُمَحِي

ففارقوه على سخطٍ وأنذروا به ، وكان من أمره ما كان .

٧٩ - وقرأت في جُذَاذَةِ طِرْسٍ مطروح في النسخة التى وقعت إلَيَّ سماعَ جَدِّ

(١) انظر ما سيأتى في المقرئى رقم : ٢١ ، والتعليق عليه ، وما سيأتى هنا رقم : ٨١ .

جَدُّ أُنَى ، القاضي أُنَى الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن أُنَى جَرَادَةَ من شعر المتنبي ، (١)  
 على محمد بن عبد الله بن سَعْد النحوى الحلبي ، وفيها مكتوب بغير خطّ النسخة :  
 « المتنبي أبو الطيّب ، أحمد بن الحسين ، عاد من / شيراز من عند فَنَاحُسرو وابن ٣٣/٢  
 العميد وزيره بأموال جزيلة ، فلما صار بالصفّافية من أرض واسط ، وقع به جماعة من  
 بنى أسد وغيرهم ، فقتلوه وخمس غلمان ( كذا ) كانوا معه وولده ، وسلبوا المال ،  
 وذلك في شوال من سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، وكان المتولّى لقتله رجل منهم يقال له  
 فاتكُ بن أُنَى جهل ، وهو أبْن خالَةِ ضَبَّة الذى هجاء المتنبي . وكان على شاطئ  
 دجلة . (٢)

٨٠ - وسمعت والدى رحمه الله يقول لى : بلغنى أن المتنبي لما خرج عليه قُطَاع  
 الطريق ومع آبنه وغلماناه ، أراد أن ينهزم ، فقال له ابنه : يا أبة : وأين قولك ؟ :

الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالطَّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرَاطُ وَالْقَلَمُ

فقال له : قتلتنى يا آبن اللّخّاء ، ثم ثبت وقاتل حتى قُتِل .

٨١ سَيَّرَ إِلَى الشَّرِيفِ الْأَجَلِّ الْعَالَمِ تَاجُ الشَّرَفِ ، شَرَفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ  
 محمد بن عبد الرحمن بن على الحُسَيْنِي ، جزءًا بخطه فى مقتل أُنَى الطيب كتب فيه  
 ما نقلته ، وصورته : « نقلت من خط أُنَى بَكْرٍ محمد بن هاشم الخالدي أحد الخالدين  
 فى آخر النسخة التى بخطه من شعر أُنَى الطيب المتنبي ما هذه صورته :

(١) اس العديم . كاتب هذه الترجمة هو : « عمر بن أُنَى الحسن أحمد بن أُنَى غانم هبة الله بن محمد بن هبة الله  
 ابن القاضي أُنَى الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن أُنَى جرادة » .

(٢) هذا الخبر مذكورٌ فى ترجمة المقرئى الآتية برقم : ٢٠ .

## « ذكر مقتله »

٣٠٤/٢ / « كنا كتبنا إلى أبي نصر محمد بن المبارك الجبلي نسأله شرح ذلك ، وهذا الرجل من وجوه الثناء بهذه الناحية ، <sup>(١)</sup> وله أدب وحرمة ، فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً يقول فيه : <sup>(٢)</sup> »

« وأما ما سألتما عنه من خير مقتل أبي الطيب المتنبي رحمه الله ، فأنا أنسقه لكما وأشرحه شرحاً بيناً :

أعلما أنّ مسيره كان من واسط في يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وقُتل ببِيزَع ، <sup>(٣)</sup> ضيعة بقرب من دير العاقول ، في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . والذي تولى قتله وقتل ابنه وغلامه رجل من بني أسد يقال له : « فاتك بن أبي الجهل بن فراس بن بداد » ، وكان من قوله لما قتله وهو مُنْعَفِر : قبحاً لهذا اللحية يا سبّاب ! وذلك أن فاتكاً هذا قرابة لوالدة ضبة بن يزيد العيني الذي هجاه المتنبي بقوله :

ما أنصف القوم ضبّة وأمّه الطرطُبة

٣٠٥/٢ ويقال : إن فاتكاً خال ضبّة ، وأن الحميّة داخلته لما سمع ذكرها بالقيح / في الشعر ، وما للمتنبي شعر أسخف من هذا الشعر ولا أوهى كلاماً ، فكان على سخافته ٥١ وركاكته / سبب قتله وقتل ابنه ، وذهاب ماله .

(١) « الثناء » جمع « تانيء » وهم المقيمون بالبلدة في أرض العجم ، وأصلهم منها .

(٢) سيأتي خبر مقتل المتنبي عن الخالدين مختصراً في ترجمة المقرئ برقم : ٢١ .

(٣) انظر « بنوري » و « بنوري » فيما سلف رقم : ٧٨ ، وما سيأتي في المقرئ برقم : ٢١ ، وقد نقل هذا



• وأما شرح الخبر ، فإن فاتكاً كان صديقاً لى ، وكان كما سُمِّيَ « فاتكاً » ، لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال ، فلما سمع الشعر الذى هُجِيَ به ضَبَّةً أَحفظه ذلك واشتد عليه ، ورجع على ضَبَّةٍ باللوم وقال له : قد كان يجب أن لا تجعل لشاعرٍ عليك سبيلاً ! وأضمرَ غير ما أظهر ، واتَّصل به انصرافُ المتنبي من بلاد فارس إلى العراق ، وأنَّ اجتيازه بِجَبَلٍ ودير العاقول . فلم يكن ينزل عن فرسه ، وجماعة معه من بنى عمه رأيهم فى المتنبي مثل رأيهِ ، فى طلبه واستعلام خبره من كل صادر ووارد . وكان فاتك يتحرَّق خوفاً أن يفوته ، وكان كثيراً ما يجيئنى وينزل عندى ، فقلت له يوماً وقد جاءنى ، وهو يسأل قوماً مجتازين عنه : قد أكثرت المسألة عن هذا الرجل ، فأئى شئ عَزَمْتُك أن تفعله به متى لقيته ؟ قال : ما عزمى إلا الجميل ، وأن أعذله على ما أفحش فيه من الهجاء . فقلت : هذا الأليق بأخلاقك والأشبه بأفعالك . فتضاحك ثم قال : يا أبا نصر ، والله لئن اکتحلّت عيني به ، أو جمعتنى وإيَّاه بقعة ، لأسفكن دمه ، ولأُمَحِّقَنَّ حياته ، إلا أن يُحال بينى وبينه . فقلت له : كُفْ ، عافاك الله ، عن هذا القول ، وارجع إلى الله ، وأزِلْ هذا الرأى عن قلبك ، فإن الرجل شهير الاسم بعيد الصوت ، وقتلك إيَّاه فى شعر قاله لا يَحْسُن ، وقد هَجَّت الشعراء الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام ، فما علمنا أن شاعراً قُتِلَ بهجاء ، وقد قال الشاعر :

/ هَجَوْتُ زُهَيْراً ثُمَّ إِنِّ مَدَحْتُهُ      وما زالت الأشرافُ تُهَجِّى وتُمدِّحُ

٣٠٦/٢

ولم يبلغ جرُّهُ ما يوجب قتله ! فقال : يفعل الله ما يشاء ! وانصرف ، فلم يمض لهذا القول إلا ثلاثة أيام حتى وافى المتنبي ومعه بغال مُوقرةٌ بكلِّ شئ من الذهب والفضة والثياب والطيب والجوهر والآلة ، لأنه كان إذا سافر لم يخلف فى منزله درهماً ولا ديناراً ولا ثوباً ولا شيئاً يساوى درهماً واحداً فما فوقه ، وكان أكثر إشفاقه على دفاتره ، لأنه كان قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً . قال : فتلقَّيته وأنزلته دارى وساءلته عن أخباره ؟ وعمن لقى ؟ وكيف وَجَدَ من قَصَدَهُ ؟ فعَرَّفَنِى من ذاك ما سُرَّرت به ، وأقبل يصف لى ابنَ العميد وفضله وأدبه وعلمه وكرمه ، وسماحة الملك فَنَّاخُسرو ورغبته فى الأدب وميله

إلى أهله . فلما أمسينا قلت له : على أي شيء أنت مُجمِع ؟ قال : على أن أَتَّخِذَ الليلَ جَمَلاً ، فإن السير فيه يَخْفُفُ عَلَيَّ . قلت : هذا هو الصواب ! = رَجَاءُ أَنْ يُخَفِّيه الليل ، ولا يصبح إلَّا وقد قطع بلداً بعيداً = وَالرَّجَاءُ أَنْ يَكُونَ معك من رَجَالَةِ هذه المدينة الذين يَخْبُرُونَ الطريق ويعرفون المواضع المخوفة فيه ، جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد . فقطَّب وقال : ولم قلت هذا القول ؟ قلت : تستأنس بهم ! قال : أَمَّا وَالْجُرَّازُ فِي عُنُقِي ، فما بي حاجة إلى مُؤَنَسٍ غيره . قلت : الأمر كما تقول ، والرأي في الذي أشرتُ به عليك . فقال : تلويحك هذا يُنْبِئُ عن تعريضٍ ، وتعريضُك يخبر عن تصريح ، فعرَفَنِي الأمرَ وَبَيَّن لي الخَطْبُ . قلت : إِنَّ هذا الجاهلَ فاتَكَ الأُسْدَى ، كان عندي منذ ثلاثة أيام ، وهو مُحَفَّظٌ عليك لِأَنَّكَ هَجَوْتَ آبِنَ أخته ، وقد تكلَّم بأشياء / توجب الاحتراس والتيقُّظ ، ٣٠٧/٢ ومعه أيضاً نحو العشرين فارساً من بني عمِّه ، قولهم مثلُ قوله . قال غلامه ، وكان عاقلاً ٥٢ لِيَبَّى فارساً يسمع كلامنا = فقال : الصواب ما رآه أبو نصر ، تُحَذُّ معك / عشرين رجلاً يسرون بين يديك إلى بغداد . فاغتاظ غيظاً شديداً وَشَتَمَ الغلامَ شتماً قبيحاً ، وقال : والله لا تُحَدِّثَ عَنِّي أَنِّي سرت في تخفارة أحد غير سيفي . قلت : يا هذا ، فأنا أوجَّه قوماً من قِبَلِي في حاجة يسرون بمسيرك ويكونون في خفارتك . قال : والله لا فعلت شيئاً من هذا . ثم قال لي : يا أبا نصر ، أَبْخُرُّو الطيرَ تُحَشِّينِي ، وَمِنْ عبيد العصا تخاف عليَّ ، ووالله لو أَنَّ مُحْصَرَّتِي هذه ملقاة على شاطئ الفرات وبنو أسد مُعْطِشُونَ لخمسي ، وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات ، ما جَسَرَ لهم خَفٌّ ولا ظِلْفٌ أَنْ يَرِدَهُ ! حاش لله من فكر أشغله بهم لحظة العين ! فقلت له : قل إن شاء الله . فقال : كلمة مُقُولَةٌ لا تدفع مَقْضِيًّا ، ولا تستجلب أَيْتِيًّا ! ثم ركب فكان آخر العهد به .

قال : ولما صح عندي خبر قتله ، وجَّهت مَنْ دَفَنه وابنه وغلامه ، وذهبت دماؤهم

هدراً . (١)

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً .

وكتب محمد بن هاشم الخالدي بالموصل في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة ، وهو يستغفر الله ويستقيله من كل ذنب وخطيئة عن عمد أو خطأ .

\*\*\*

/ أما قوله : « أَبْخُرُّو الطَّيْرَ تَخْشِينِي ، وَمَنْ عَبِيدَ الْعَصَا تَخَافُ عَلَى » ، فَإِنَّ بَنِي ٣٠٨/٢  
أسد يلقبون « خُرُوءَ الطَّيْرِ » ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

\* فَرَّتْ بَنُو أَسَدٍ خُرُوءُ الطَّيْرِ عَنْ أَرْبَابِهَا \* (١)

ويلقبون أيضاً « عبيد العصا » ، قال الشاعر - ونظنُّهُ امراً القيس أيضاً - :

\* قُولَا لِذُودَانَ عَبِيدَ الْعَصَا \* (٢)

آخر ما كان بخط أبي بكر الخالدي .

\* مَا عَرَّكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ \*

\*\*\*

كذا في الأصل قد أتم هذا البيت ، وأظنُّ أنه بخط أخيه أبي عثمان ، ولا أحققه .

٨٢ - أخبرنا تاج الأمان أحمد بن محمد بن الحسن كتابته قال ، أخبرنا عمي أبو القاسم ، عن أبي غالب شجاع بن فارس بن الحسين الدهلي قال ، أنشدني الحكيم أبو علي الحسين بن عبد الرحمن الثقفي النيسابوري ، لأبي القاسم المظفر الرُّوزَنْي الكاتب ، (٣) يرثي المتنبي :

(١) الشعر لدحتوس بنت لقيط بن زُرارة ، وقد مضى التعليق عليه في ترجمة الربيعي ، في آخر الخبر رقم :

(٢) مضى في آخر الخبر رقم : ٧ في ترجمة الربيعي .

(٣) في الهامش : ( قُت : هو المظفر س علي ) .

لا رعى الله سرب هذا الزمان      إذ دهانا في مثل ذاك اللسان  
 ما رأى الناس ثاني المتنبي      أي ثان يرى ليكر الزمان  
 / كان من نفسه الكبيرة في      جيش ، وفي كبرياء ذى سلطان  
 ٣٠٩/٢      كان في لفظه نبيا ، ولكن      ظهرت معجزاته في المعاني (١)

٨٣ - أنشدني نجيب الدين داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود الطيبي  
 التاجر ، إملاءً من لفظه بحلب قال ، أنشدني شمس الدين بن الوالى بالموصل ، لأخت  
 المتنبي ترى أخاها المتنبي لما قُتل : (٢)

يا حازم الرأي إلا في تهجيه      على المكاره غاب البدر في الطفيل  
 لنعم ما عاملتك المرفقات به      ونعم ما كنت توليها من العمل  
 الأرض أم أصبناها بواحدنا      فاسترجعته وردته إلى الحبل

\*\*\*

(١) هو في ترجمة المقرئ الآتية برقم : ٣٣ .

(٢) نحر أخته هذا ، لم أجده إلا هنا ، وسيأتى في ترجمة المقرئ أيضاً رقم : ٣٤ .

٢ - ترجمة المتبى لابن عساكر



( ٣ )

ترجمة المتنبي لابن عساكر  
عن مخطوطة لكتاب « الإبانة » للعميدى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ « هذه نبذة من أخبار أبى الطيب المتنبي رحمه الله تعالى مما أورده ابن عساكر فى ٣١٣/٢ ترجمته » .

\*\*\*

قال الشيخ الإمام الحافظ الثقة [ ثِقَّةُ ] الدين أبو القاسم على بن الحسن بن الحسين الدمشقى ، ابن عساكر ، فى حرف الألف .

١ - أحمد : هو ابن الحسين بن الحسن بن عبد الصّمد ، أبو الطّيب الجّعفىّ الشاعر المشهور بالمتنبي ، قدم دمشق ومدح بها . روى عنه القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم الحاملىّ الفقيه .

٢ - وقال أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد [ ١٠٢ : ٤ ] : أحمد بن الحسين بن عبد الصّمد الشاعر المعروف بالمتنبي .

٣ - وقال الحسن المتطبّب : وظفرت بمختار صغير فى أخبار المتنبي قد اختاره ياقوت بن عبد الله العرى ، من مختار ألفه [ ياقوتُ ] بن عبد الله الرومىّ الأصل ، البغدادىّ المنشأ ، الحموىّ المولّد ، رحمه الله تعالى ، فنقلت منه ما يأتى ذكره : وهو أنه ذكر فى نسب المتنبي فقال : « وقال قوم : هو أحمد بن الحسين بن عبد الصّمد الجّعفىّ . وقال أبو الحسن على بن عيسى الرّبّعىّ النحوى : الذى أعرفه من نسب أبى الطيب أنه أحمد بن الحسين بن مُرّة بن عبد الجبار الجّعفىّ ، / وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث ٣١٤٢ وثلاثمئة ، وأرضعته امرأة علوية من آل عُبيد [ الله ] . (١) »

٤ - وكان محفوظاً في حال حياته ، مازال معظماً عند الملوك ، وفي حال وفاته .  
قد انتدب العلماء لديوانه وشرحوه شروحا كثيرة ، وهما [ كذا ] ضربان ، منهم من تكلم  
على ديوانه أجمع ، ومنهم من تكلم على بعضه .

٥ - فمن تكلم على شعره أجمع ، فهو أول من شرحه : « ابن جنى » ، له  
كتاب في شرح ديوانه وقد سماه « الفَسر » = وكتاب « اللامع العزيزى » و « معجز  
أحمد » أيضاً ، لأبى العلاء المعرى = وكتاب لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى =  
وكتاب « الموضح » لأبى زكريا يحيى بن على التَّبريزى = وكتاب عبد القاهر الجرجانى =  
وكتاب أبى منصور محمد بن عبد الجبار السَّمْعانى = وكتاب أبى القاسم إبراهيم بن محمد  
الإفليلى = وكتاب أبى الحجاج يوسف بن سليمان الأعمش = وكتاب الكمال عبد الرحمن  
ابن محمد الأتبارى = وكتاب فى سرقات المتنبي للحسن بن محمد بن وكيع وسماه  
« المنصف » = وكتاب لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرى = وكتاب لأبى اليُمن  
زيد بن الحسن الكِنْدى = وكتاب لعبد الواحد بن محمد بن على بن زكريا = وكتاب محمد  
ابن على بن إبراهيم الهراسى الكافى = وكتاب أبى الحسن محمد بن عبد الله الدُّلقى ، عشر  
مجلدات = وكتاب كمال الدين القاسم بن القاسم الواسطى = فهذه سبعة عشر شرحاً  
مستوفاة لسائر ديوان المتنبي .

• وأما من تكلم عن أبيات منه مشكلة ، أو صنَّف فيه مأخذاً ، فمنه :  
٣١٥/٢ / كتاب « الوساطة » للقاضى [ على ] بن عبد العزيز الجرجانى = وكتاب أبى بكر محمد  
ابن العباس الحُوَارِزْمى = وكتاب عبد الرحمن بن دُوسْت التَّيسَابورى = وكتاب أبى  
الفضل أحمد بن محمد العروضى = وكتاب « التجنى » ، على ابن جنى « لابن فُورَجَة =  
وكتاب « الفتح على أبى الفتح » لابن فُورَجَة أيضاً = وكتاب معانى أبياته لابن جنى =  
وكتاب « التنبيه » لأبى الحسن على بن عيسى الرِّبْعى ، وقد ردَّ فيه على ابن جنى = وكتاب  
سعد بن محمد الوحيد ، وقد ردَّ فيه على ابن جنى أيضاً = وكتاب لأبى القاسم عُبيد الله  
ابن عبد الرحيم الأصفهانى = وكتاب الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر = وكتاب لأبى



عبد الله محمد بن جعفر القَزَّاز القَيْرَوانِيّ = وكتاب أبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع = وكتاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد = وكتاب لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الصُّقْلِيّ = وكتاب « قصائد المتنبي » للأعلم الشنتمري = وكتاب « نزهة الأديب » ، في سرقات المتنبي من حبيب » ، لِحَسَنُونَ المصري = وكتاب « الانتصار المُنْبِي » ، عن شعر المتنبي » ، لأبي الحسن بن محمد المغربي = وكتاب « التنبيه المنبي عن رذائل المتنبي » ، لأحمد المغربي أيضاً = كتاب « بقية الانتصار ، المكثّر من الاختصار » ، للمغربي أيضاً = وكتاب « الرسالة الخاتمية » ، لأبي الحسن محمد بن المظفر الخاتمي = وكتاب « جبهة الأدب » للخاتمي أيضاً = وكتاب « المآخذ الكِنْدِيّة » ، من المعاني الطائِيّة = وكتاب « الاستدراك على ابن الدهان » ، للوزير ضياء الدين بن الأثير الجزري = وكتاب « الإبانة » للصاحب العَمِيدِيّ ، [ الموجودة فيه هذه النسخة ] .

٦ - / قال أبو عبد الله الله ياقوت الرُّومِي الحمويّ : ولم نسمع بديوان شعر في ٣١٦/٢ الجاهلية ولا في الإسلام شرح هكذا بهذه الشروح الكثيرة سوى هذا الديوان ، ولا بتداول شعرٍ في أمثال أو طُرف أو غرائب على ألسنة الأدباء في نظم أو نثرٍ أكثر من شعرِ المتنبي .

٧ - قال : وكان أبو العلاء المعري إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس كذا ، قال البحتري كذا ، قال أبو تمام كذا . فإذا ذكر المتنبي قال : قال الشاعر كذا . فقيل له يوماً : لقد أسرفت في وصفك المتنبي ، أليس هو القائل :

بَلَيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا      وَقُوفَ شَحِيحِ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَائِمُهُ

كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يوماً . فقيل له : ومن أين علمت ذلك ؟ فقال : سليمان بن داود عليه السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يوماً . فقيل له : ومن أين تعلم أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى : ( هَبْ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ) ، وما عليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه ؟

٨ - قال أبو عبد الله ياقوت الرومي : قيل : كان المتنبي يوماً جالساً بواسطة وعنده ابنه المحسّد قائماً ، وجماعة يقرؤون عليه ، فدخل عليه بعض الناس فقال : أريد أن تُجيز لنا هذا البيت ، وهو :

/ زَارَنَا فِي الظَّلَامِ يَطْلُبُ سِتْرًا      فافتضحنا بنوره في الظَّلَامِ ٣١٧/٢

فرفع رأسه وقال : يا محسّد ، قد جاءك بالشّمال فأتته باليمين . فقال محسّد ارتجالاً ، وهو :

فالتجأنا إلى حنادس شعري      سترتنا عن أعين اللّوام

معنى قول المتنبي لولده : « جاءك بالشّمال فأتته باليمين » ، أى إن اليسرى لا يتم بها عمل ، وباليمين تتم الأعمال ، ومُراده أن المعنى يحتمل الزيادة فأوردّها ، وقد ألطف المتنبي في الإشارة ، وأحسن ولّده في الأخذ . قال وأنشده المتنبي مما ليس في ديوانه قوله :

وحبيب أخفوه مني نهاراً      فتحفني وزارني في اكتّام  
زارني في الظلام يطلب سترًا      فافتضحنا بنوره في الظلام

٩ - قال ياقوت الرومي : قرأت في رسالة أبي الحسين علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح ، ويعرف بدوّخلة ، قال : كان أبو محمد بن وكيع التّيسّي سمساراً في بلده ، وكان متادباً ظريفاً ويقول الشعر ، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي وحاف عليه كثيراً ، وسألني يوماً أن أخرج معه إلى ثوّنة لشرب ، (١) فخرجت معه ، واستصحب مغنياً يعرف بابن ديار ، فلما غنى طرب ، فأمره ألا يغنيه إلا بشعره ، فغنى :

لو كان كلّ عليل      يزداؤ مثلك حسنا  
/ لكان كلّ صحيح      يودّ لو كان مضني  
يا أكمل الناس حسناً      صل أكمل الناس حزناً  
غنيت عني ، ومالي      وجه به عنك أغني

٣١٨/٢

فقلت له : هل تنقل عليك المؤاخذة ؟ قال : [ لا ] . قلت : أحياتك مسروقة ،  
الأول من قوله :

فلو كَانَ الْمَرِيضُ يَزِيدُ حُسْنًا      كَمَا تَزْدَادُ أَنْتَ عَلَى السَّقَامِ  
لَمَا عِيدَ الْمَرِيضُ إِذْنٌ وَعُدَّتْ      شِكَايَتُهُ مِنَ النَّعْمِ الْجِسَامِ  
والثاني من قول رؤية :

مَسْلَمَ مَا أَسْأَلُ مَا حَيِّتُ      لَوْ أَشْرَبُ السُّلْوَانَ مَا سَلِيْتُ  
مَا بِي غِنَى عَنْكَ ، وَإِنْ غَنِيْتُ

فقال : والله ما سمعت بهذا ! فقلت : إذا كان الأمر على هذا ، فاعذر المتنبي على  
مثله ، ولا تبادر إلى الخط عليه ولا المؤاخذة له .

١٠ قال المصنف : وقرأت في بعض الكتب أنه لما خرج المتنبي بأرض  
سَلَمِيَّةَ من عمل حِمص في بنى عدى الكلبيين ، قبض عليه ابن على الهاشمي في ضيعة له  
يقال لها « كَوْتُكَيْنَ » ، وأمر النجار فجعل في رجله قُرْمَةً وفي عنقه ، من خشب  
الصفصاف ، فقال المتنبي :

زعم المُقِيمُ بِكُوتَيْنِ بَأَنَّهُ      مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِنِ عَبْدِ مَنَافٍ  
فَأَجَبْتُهُ : مُذْ صِرْتُ مِنْ أُنْبَائِهِمْ      صَارَتْ قِيُودُهُمْ مِنَ الصَّفَصَافِ

/ ولما أن صار معتقلاً في الحبس ، كتب إلى والي رحمه الله تعالى :

يَسِدِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ      لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنْتَى غَرِيبُ  
أَوْ لِأَمٍّ لَهَا إِذَا ذَكَرْتَنِي      دَمٌ قَبِ بدمع عَيْنِ سَكُوبُ  
إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتُكَ أَخْطَا      تُ ، فَإِنِّي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ  
عَائِبٌ عَائِبِي لَدَيْكَ ، وَمِنْهُ      خُلِقْتُ فِي ذَوَى الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ

وقد تقدّم شعره الذي قاله في السجن للضبّ الضرير ( ؟؟ )

١١ - قال أبو عبد الله ياقوت الرومي : ولم يزل المتنبي بعد أن خرج من الاعتقال في خمول بالشام وضعيف حال ، يمدح الناس بعشرة دراهم فما دونها . واتفق أنه اتصل بأبي العشائر ، فأكرمه وعرف منزلته ، وكان أبو العشائر يومئذ وإلى أنطاكية من جهة سيف الدولة بن حمدان . ولما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية قدّم المتنبي إليه وأثنى عليه عنده ، وعرفه منزلته من الشعر والأدب . وكان سيف الدولة كثير الميل إلى الشعراء والشعر ، فاشتراط عليه المتنبي - وذلك في أوّل اتصال له به - أنه إذا أنشدته مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد ، وأنه لا يُكلّف تقبيل الأرض بين يديه ، فنسبوه إلى الجنون ، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط وتطلّع إلى ما يريّ منه ، فلما أنشدته حسن موقعه عنده وقرّبه وأجازة الجوائز السنيّة ، وأقرّه على هذه الشروط مُدّة بقاءه عنده ، ومالت نفسه إليه وأحبّه ، فسلمه إلى الرّواض فعلموه شيئاً من الفروسية والطّراد والمثاقفة . وحضر مع سيف الدولة غزواته إلى بلاد الروم ، / فكان مما شهدته « غزوة الفناء » ، و « غزوة المصيبة » . أما « غزوة المصيبة » ، فدخل سيف الدولة بلاد الروم في أربعين ألفاً فلم ينبجّ معه إلا نفر يسير = وأما « غزوة الفناء » ، فهلك كل من معه ، وأخذت الروم عليه الطريق في الجبل ، وكان سيف الدولة مقداماً مجرّباً ، فجردّ السيف وحمل على العسكر ، فخرق الصفوف ونجا بنفسه في ستة أنفار ، المتنبي أحدهم ، فكانت منزلة المتنبي عند سيف الدولة مكيّنة ، بحيث أنه كان لا يصبر عنه سفيراً ولا حضراً .

١٢ - وحدث أبو الحسن علي بن الحسين الرّزّاد الدّيلمى في كتاب ألفه في أخبار سيف الدولة بن حمدان : إنّما كان سبب انصراف أبن الطّيب عن سيف الدولة إلى مصر ، أنه كان لسيف الدولة مجلس يحضره أهل العلم عامة كل ليلة ، فيتكلمون بحضرته ويبحثون ويتناظرون ، فتبارى في بعض الليالي المتنبي وأبن خالويه النحوى في شيء جرى بينهما بحضرة سيف الدولة ، فقام ابن خالويه وضرب وجه المتنبي بمفتاح كان في يده ، فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبي من ذلك ، إذ لم ينتصر له سيف الدولة قولاً ولا فعلاً ، فخرج من فوره إلى دمشق ، وقصد كافور بمصر .

١٣ - قال أبو منصور ، وحدثني جماعة من أهل الأدب : أن المتنبي عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره ، فقال : قد تجوّزت في قولي ، وأغفيتُ طبعي ، واغتممتُ الراحة منذ فارقت بني حمدان ، وفيهم من يقول :

وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا لَأَقْتَهُ مَنَّا      قَبَائِلُ يَعْزُبُ وَبَنَى نِزَارِ  
/ لَقَيْنَاهُمْ بِأَرْمَاجِ طَوَالِ      تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَارِ قِصَارِ

٣٢١/٢

يعنى أبا زهير بن مهلهل بن نصر بن حمدان ، وفيهم من يقول :

أَخَا الْفَوَارِسِ لَوْ رَأَيْتَ مَوَاقِفِي      وَالْخَيْلُ مِنْ تَحْتِ الْفَوَارِسِ تَنْحَطُ  
لَقَرَأْتَ مِنْهَا مَا تَخْطُ يَدُ الْوَعَى      وَالْبَيْضُ تَشْكُلُ وَالْأَسِنَّةُ تَنْقُطُ

يعنى أبا العشائر .

١٤ - وقال أبو الفتح بن جنى : كنت قرأت ديوان المتنبي عليه ، فلما وصلت إلى قوله :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ ، وَالشُّوقُ أَغْلِبُ      وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

فلما انتهيت إلى قوله منها :

لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاحاً لِرَاكِبٍ !      فَكُلْ بَعِيدَ الْهَمِّ فِيهَا مُعَذِّبُ  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً      فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعَبُ  
وَبِي مَا يَدُودُ الشَّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ      وَلَكِنْ قَلْبِي يَا آبَنَةَ الْقَوْمِ قُلْبُ  
وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ ، إِذَا شَمْتُ مَدَحَهُ      وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ، تُمْلَى عَلَيَّ وَأَكْتُبُ  
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ شَيْئاً وَرَاءَهُ      وَيَمَمُ كَافُوراً فَمَا يَتَغَرَّبُ

فقلت له : يعز عليّ كيف يكون هذا الشعر في مملوح غير سيف الدولة ! فقال :  
حذرناه وأنذرناه فما نفع فيه الحذر ، ألسنت فيه القائل :

/ أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ      وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

٣٢٢/٢

فهو الذى أعطانى لكافور بسوء تدييره وقلة تمييزه .

١٥ - قال أبو عبد الله الرومى : وقرأت فى كتاب « المفاوضة » : حدثنى الحلبى المؤدّب قال : كان سيف الدولة يميل إلى أئى العباس التّامى الشاعر المشهور ميلاً شديداً ، إلى أن جاءه المتنبي فمال عنه إليه ، فغاض ذلك أبا العباس ، فلما كان ذات يوم ، خلا به وعاتبه ، وقال : كم تُفَضِّل علىّ آبن عِيدان السَّقَاء !! فأمسك سيف الدولة ولم يجبه ، فَلَاحَ وَأَلَحَّ عليه وطالبه بالجواب ، فقال له : لأنك لا تحسن أن تقول :  
يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتَحٍ غَيْرَ مُفْتَحٍ      وَقَدْ أَغَدَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ  
قال : فهض من بين يديه مغضباً ، واعتقد أن لا يمدحه أبداً .

١٦ - قال : وذكر الشيخ ابن الدّهان سعيد بن المبارك فى كتابه الذى سماه « المآخذ الكندية ، فى المعانى الطائية » : أنه قال أبو فراس لسيف الدولة : إن هذا المتشدّد كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرّق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره !! فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه . وكان المتنبي غائباً ، وبلغته القصّة ، فدخل على سيف الدولة وأنشده :

٣٢٣/٢ / أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا      فَدَاهِ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته ، فخرج من عنده متغيّراً . وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالعوا فى الواقعة فى حق المتنبي ، وانقطع المتنبي يعمل فى القصيدة الميمية التى أوّلها :

وَاحَرَ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِيمٌ

فأنشدها ، وجعل يتظلم فيها من التقصير فى حقه ، فهمّ جماعة بقتله بحضرة سيف الدولة ، مما وجدوا من شدة إدلاله وإعراض سيف الدولة عنه ، فلما وصل فى إنشاده إلى قوله :

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي ، فَيْكَ الْخِصَامُ ، وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ  
أُعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمِنْ شَحْمَهُ وَرَمَ

علم أبو فراس أنه يعنيه ، فقال : ومن أنت يا دَعِيَّ كندة ، حتى تأخذ أعراض  
أهل الأمير في مجلسه !! فاستمرَّ المتنبي في إنشاده ولم يردَّ عليه ، إلى أن قال :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبَى وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ  
فَرَادَ ذَلِكَ غِيظًا فِي أَيْ فِرَاس ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ :

الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبِيدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالطَّعْنُ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

/ قال أبو فراس : وما أبقيت للأمير ، إذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة ٣٢٤٢  
والرياسة والسماحة ؟ أتمدح نفسك وتأخذ جوائز الأمير ؟ فقال المتنبي :

وَمَا انْتِفَاعُ أُخَى الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ ، إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ

فغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة ، وكثرة دعاويه فيها ،  
وضربه بالدواة التي بين يديه ، فقال المتنبي في الحال :

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ، فَمَا لِيُجْرَحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ

فأعجب سيف الدولة هذا البيت ، ورضى عنه في الحال ، وأدناه إليه ، وقيل  
رأسه ، وأجازه بألف دينار ، ثم أردفه بألف دينار أخرى ، فقال المتنبي :

جَاءَتْ دَنَانِيرُكَ مَخْتَوِمَةً عَاجِلَةً أَلْفًا عَلَى أَلْفٍ  
أَشْبَهَهَا فِعْلُكَ فِي فَيْلَقِي قَلْبَتُهُ صَفًّا عَلَى صَفٍّ

١٦ وحَدَّثَ عبد الصمد بن بابك قال : حضر المتنبي مجلس أُمِّي أَحْمَدَ بْنَ  
نَصْرِ الْبَارِيَّارِ ، وَزَيْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهَنَّاكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالَوَيْهِ النُّحَوِيُّ ، فَتَمَارِيًا فِي  
أَشْجَعِ السُّلَمِيِّ وَأُمِّي نَوَاسِ الْبَصْرِيِّ ، فَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : أَشْجَعُ أَشْعَرُ إِذْ قَالَ فِي هَارُونَ  
الرَّشِيدِ :

وَعَلَىٰ عُلُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ      رَصْدَانِ ، ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ  
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْمَتُهُ ، وَإِذَا غَفَا      سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

/ فقال المتنبي : لأبى نواس ما هو أحسن من هذا في [ بنى ] بَرَمَك حيث يقول :

٣٢٥/٢

لَمْ يَظْلِمِ الدَّهْرُ إِذْ تَوَالَتْ      فِيهِمْ مُصِيبَاتُهُ دِرَاكَا  
كَانُوا يُجِيرُونَ مَنْ يُعَادِي      مِنْهُ ، فَعَادَاهُمْ لِدَاكَا

١٧ - قال أبو عبد الله : وقرأت في سيرة بعض أهل الأدب أن أبا الطيب سأل كافوراً أن يؤليه صيداء من بلاد الساحل ، أو غيرها من نواحي الصعيد ، فقال له كافور : أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم القوت والمعين ، سمّت نفسك إلى النبوة ، فضلاً عن الملك والإمارة ، فإن أصبت ولايةً وصار لك أتباع ، فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بين المتنبي وكافور ، حتى إن كافوراً وضع عليه العيون والأرصاد خوفاً منه ، وأحسّ المتنبي بالشر ، فكتم أموره عنه ، ولم يزل في تستر من أموره ، وطال تحفظه على كافور ، واشتغل عنه ، فهرب المتنبي من مصر ، ولما أحس كافور بهربه ، بذل في طلبه الأموال وسرّح الطيور والخيول فلم يظفر به . ولما خلص المتنبي إلى العراق هجاً كافوراً بقصائد كثيرة ، منها ما هو مثبت ( ؟؟ ) في ديوانه ، ومنها ما هو في الرواية التي هي مثبتة في ديوانه ( ؟؟ ) ، فمن ذلك قوله في قصيدة له :

أَبَا التَّنْثَنِ ، كَمْ قَبِدْتَنِي بِمَوَاعِدِ      مَخَافَةَ نَظْمٍ لِلْفَوَادِ مُرُوعِ  
وَقَدَّرْتَ مِنْ قَرَطِ الْجَهَالَةِ أَنَّنِي      أَقِيمُ عَلَى كِذْبِ رَصِيفِ مُصْنَعِ  
/ أَقِيمْ عَلَى عَبْدٍ خَصِيٍّ مُنَافِقِ      لَعِيمِ رَدِئِ الْفِعْلِ لِلْجُودِ مُدْعَى  
وَأَتْرَكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ الرُّضَى      كَرِيمِ الْحَيَا أَرْوَعاً وَابْنَ أَرْوَعِ  
فَنَنِي بِحَرْهُ عَذْبٍ ، وَمَقْصِدُهُ غِنَى ،      وَمَرْتَعٌ مَرَعَى جُودِهِ خَيْرَ مَرْتَعِ  
تَظَلُّ إِذَا مَا جِئْتَهُ الدَّهْرُ آمناً      بِخَيْرِ مَكَانٍ بَلْ بِأَشْرَفِ مَوْضِعِ

٣٢٦/٢

١٨ - قال أبو عبد الله : وتنازع نَدَمَاءُ أبى الفضل بن العميد في بيت المتنبي :



وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً ، الشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُحُورًا  
فقال أبو الفضل : أثبتوه حتى أتأمله ، فأثبت البيت ووضع بين يديه ، فأطرق  
ملئياً يفكر فيه ، ثم قال : هذا يعطلنا عن المهم ، وما كان الرجل يدرى ما يقول !  
قال أبو عبد الله : وكان ابن العميد كثير الانتقاد لشعر المتنبي ، لما أنشده  
القصيدة الأولى قال له : يا أبا الطيب أتقول :

بَادِ هَوَاكَ ، صَبَّرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا      وَبُكَاءُكَ ، إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أَوْ جَرَى  
ثم تقول بعده :

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبًا      لَمَّا رَأَاهُ ، وَفِي الْحَشَا مَا لَا يُرَى  
فسرعان ما نقضت ما ابتدأت به ! فقال : تلك حال وهذه حال ، وقد تختلف  
المقاصد .

/ وقال المتنبي من قصيدة مدح بها ابن العميد المذكور :

٣٢٧/٢

مَا كَفَّانِي تَقْصِيرُ مَا قَلْتُ فِيهِ      فِي غُلَاهُ حَتَّى ثَنَاهُ أَنْتَقَادُهُ

١٩ - وحدث محمد بن الحسن الخوارزمي قال : مررت بمحمد بن موسى  
الملقب بسبيويه الموسوس ، وهو على مسجد عُفَّان وهو يقول : مدح الناس المتنبي  
حيث قال :

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى      عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ  
ولو قال : « ما من مُدَارَاتِهِ بُدُّ » ، لكان أحسن وأجود .

قال : واجتاز المتنبي بمسجد ابن عمر ، وبسبيويه الموسوس ، فوقف عليه وقال :  
أيها الشيخ ، كنت أحبُّ أن أراك ! فقال له : رعاك الله وحيّاك . فقال له : بلغني أنك  
أنكرت عليّ قولي :

وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى      عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

فما كان الصواب عندك ، فقال له : إن الصداقة مشتقة من الصدق في المودة ، ولا يسمى الصديق صديقاً وهو كاذب في مودته ، فالصداقة إذن ضد العداوة ، ولا موقع لها في هذا الموضع ، ولو قلت : ( ما من مداراته بُدْ ) ، أو ( مداجاته ) أو ( مُحَاباته ) ، لأصبت ! وهذا رجل منّا ، وكنتى عن نفسه ، قد قال :

أَتَانِي فِي قَمِيصِ اللَّاذِ يَسْعَى      عَدُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ

/ فقال المتنبي : مع هذا غيره ؟ قال : نعم .

٣٢٨ ٢

فقلتُ له : متى استعملتَ هذا ؟      لقد أَقْبَلْتَ فِي زِيٍّ عَجِيبٍ !  
فقال : الشَّمْسُ أَهْدَتْ لِي قَمِيصاً      مَلِيحَ اللَّوْنِ مِنْ نَسِجِ الْمَغِيبِ  
فتبسم المتنبي وانصرف ، وسيبويه يصيح : أَتَبَكَّمُ الرَّجُلُ وَجَلَالِ اللَّهِ !!

٢٠ - وحدث أبو القاسم عبد العزيز المعروف بالحكار = وكان كاتب الإنشاء بحضرة عضد الدولة عظيم المنزلة منه ، ثم وَرَرَ لابنه صمصام الدولة = قال : لما دخل المتنبي مجلس عضد الدولة وانصرف عنه ، أتبعه بعض جلسائه وقال له : سَلِّهِ كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم في نفسه منا ؟ قال : فامتثلت أمره ، وجاريت المتنبي في هذا الميدان ، وأطلت معه عنان القول ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه مني أنه قال : « مَا خَدَمْتُ عَيْنَايَ قَلْبِي كَالْيَوْمِ » ، فجاء الجواب موزوناً ، وهو من مشطور السريع ، ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه . وكان ذلك من أكد الأسباب التي حَطَّيَ بها عنده ، [ ابن العديم رقم : ٧١ / المقرئى رقم : ١٨ ] .

٢١ - قال أبو عبد الله : وحُذِّثُتُ أَنَّ الْمَتَنَبِيَّ لَمَّا وَرَدَ عَلَى عِضْدِ الدَّوْلَةِ بِشِيرَازِ اتَّفَقَ أَنْ أَبَا عَلَى الْفَارَسِيِّ بِهَا ، وَكَانَ مُرُّ الْمَتَنَبِيِّ عَلَى دَارِ أُنَى عَلَى إِلَى دَارِ عِضْدِ الدَّوْلَةِ ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِ يَسْتَقْلِقُهُ أَبُو عَلَى وَيَذُمُّهُ عَلَى قَبْحِ زِيٍّ ، وَمَا يَأْخُذُ بِهِ نَفْسُهُ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ وَالْحَمَقِ . وَكَانَ لَابْنُ جَنَى هَوَى فِي أُنَى الطَّيِّبِ ، كَثِيرُ الْإِعْجَابِ بِشَعْرِهِ لَا يَبَالِي بِأَحَدٍ

يذمه أو يحط منه ، وكان يسوءه إطناب / أبي علي في ذمه ، فقال أبو علي يوماً : اذكروا بيتاً ٣٢٩،٢  
من الشعر نبحت فيه ، فبدأ ابن جني وأنشد للمتنبي :

حُلَّتْ دُونَ الْمَزَارِ ، فَالْيَوْمَ لَوْزُرُ      تَ لَحَالَ التُّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ

فاستحسنه أبو علي واستعاده ، وقال : لمن هذا البيت فإنه غريب المعنى ؟ فقال  
ابن جني : للذي يقول :

أَزُورُكُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي      وَأُنْثَى وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُعْرِى بِي

فقال : هذا والله حسن بديع جداً ، فلمن هما ؟ قال : للذي يقول :

أَمْضَى إِرَادَتُهُ ، فَسَوْفَ لَهُ قَدْ ،      وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى فَنَمَّ لَهُ هُنَا

فكثر إعجاب أبي علي واستغرب معناه وقال : لمن هذا ؟ فقال ابن جني : للذي  
يقول :

وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى      مُضَرٌّ ، كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

فقال : حسن والله ، وقد أطلت يا أبا الفتح ، فأخبرنا من القائل ؟ قال : هو  
الذي لا يزال الشيخ أيده الله يستقله ويستقبح زيه وفعله ، وما علينا من القشور إذا  
استقام اللب ؟ قال أبو علي : ومن تعنى ؟ المتنبي ؟ قلت : نعم . قال : والله لقد حببته  
إليّ وعرفتني قدره ! وقام ودخل على عضد الدولة فأطال في الثناء عليه ، ولما اجتاز به  
استنزلته واستنشدته وكتب عنه أبياتاً من شعره . (١)

٢١ - / وحكى الشيخ أبو الحسن علي بن عيسى الرُّبَعي في كتاب « التنبيه » ٣٣٠/٢

الذي ردّ فيه علي ابن جني في كتاب « الفسر » قال : كنت يوماً عند المتنبي بشيراز ،  
فقبل له : أبو علي الفارسيّ بالباب ، وكانت بينهما مودة ، فقال بادروا إليه فأنزلوه ، فدخل

إليه أبو على وأنا جالس عنده فقال : يا أبا الحسن خذ هذا الجزء = وأعطاني جزءاً من كتاب « التذكرة » وقال : اكتب عن الشيخ البيتين اللذين ذكركت بهما وهما :  
سَأُطْلَبُ حَقِّي بِالْقَنَّا وَمَشَايِخِ      كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا أَلْتَمُّوا مُرْدُ  
ثِقَالُ إِذَا لَاقَوْا ، خِفَافُ إِذَا دُعُوا ،      كَثِيرُ إِذَا شُدُّوا ، قَلِيلُ إِذَا عُذُّوا

فهما مثبتان في التذكرة بخطي ، وهذا من فعل الشيخ أبي عليٍّ عظيم . (١)

٢٢ - قال الرَّبْعِي : وَحَكِيَّ عَنْ بَعْضِ مَنْ كَانَ يَأْنَسُ إِلَيْهِ الصَّاحِبُ بْنُ الْعَمِيدِ (كذا) قال : دخلت يوماً إليه فوجدته واجماً ، وكانت قد ماتت أخته عن قريب ، فظننته حزيناً لأجلها ، فأخذت أعزّيه وأسلّيه ، فقال : ويحك ، ما وُجُومِي لأجل ما ظننت ! قلت : فلا يُحزِنُ اللهَ الوَزيْرَ ، فما الخبرُ ؟ قال : إنه ليغيظني أمرُ هذا المتنبي ، واجتهادى في أن أُحمِلَ ذكره ، وقد ورد على نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها كتاب إلا وقد صُدِّرَ بقول المتنبي :

طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ      فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ

/ حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا      شَرِقْتُ بِالْدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي ٣٣١/٢

فكيف السبيل إلى ما اعتمدنا عليه في إخماد ذكره ؟ فقلت : القدرُ لا يُغالبُ ، والرجل ذو حظٍّ من إشاعة الذكر وشياع الاسم ، فالأولى ألا يُشتغلَ بما هذا سبيله .

٢٣ - قال أبو عبد الله : وجدت ديوان أبي الطيب بخط أبي بكر محمد بن هاشم أحد الخالدين ، وقد كتبه بيده في سنة خمس وخمسين وثلاثمئة بالموصل ، قال فيه ، عند فراغه من مدائح سيف الدولة ، ما حكيته على وجهه حرفاً حرفاً :

« هذا آخر ما عمله المتنبي في مولانا الأمير أطلال الله تعالى بقاءه وكبت أعدائه ، وكنا شاهدناه في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمئة بمياً فارقين ، ومولانا أدام الله عزه ، فعمل عدة أشعار وهو مقيم بها ، أنشدنا منها :

\* إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ \*

ومنها :

\* أَيْقَدُحُ فِي الْحَيَمَةِ الْعُدْلُ \* (١)

وغير ذلك ، وأنشدنا أيضاً مما عمله في مولانا أيده الله تعالى في غير مَيَّافَرِقِينَ قصائد كثيرة في مجالس متفرقة ، وكل ذلك بحضرة مولانا أدام الله عزه . فمما أنشدنا قوله :

\* وَفَاؤُكُمْ كَمَا كَالَرَّيْحِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ \*

/ ومنه :

\* رُوَيْدُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ \*

ومنه :

.....

ومنه : مرثية في والدة مولانا أطال الله بقاءه ورضى عنها ونصّر وجهها ، التي أولها :

\* نَعْدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي \*

ومنه :

\* غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْحَدِعُ \*

ومنه :

\* عَوَازِلُ ذَاتِ الْحَالِ فِي حَوَاسِدُ \*

ومنه :

\* لِعَيْنَيْكَ مَا يَلْقَى الْفُؤَادُ وَمَا لَقِيَ \*

ومنه :

\* لَيَالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ \*

(١) في الأصل : « أَيْقَعُ » والصواب ما في الديوان .

ومنه :

\* ذُرُوعٌ لِمَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَائِلُ \*

ومنه :

\* تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ \*

/ ومنه :

٣٣٣/٢

\* طَوَالَ قِنَا تَطَاعِنُهَا قِصَارُ \*

« وغير ذلك مما كان ينشده سيّدنا أيّده الله ونحن حضور . وأما غير هذا من شعره ، فإنه أنشدناه في مواضع كنا نجتمع فيها للمذاكرة عندنا وعنده . وكان ، رضي الله عنه وقتل قاتله ، محباً لنا ، مائلاً إلينا ، يكثر وصفنا وتقريظنا في مجلس مولانا سيف الدولة ، أدام الله تعالى تأييده ، وفي غيره . ولما افترقنا كان يكاثرنا بأخباره وحاجاته من مصر والكوفة وبغداد . وكان رحمه الله تعالى مُفْتَنّاً في علم اللغة والمعرفة بالشعر ، وما يشكل من معانيه وَيَدِقُّ من معرفته ، كثير الرواية ، جيد النقد .

« ولقد حكى بعض من كان يحسده أنه كان يضع من الشعراء المحدثين ، وَيَغْضُئُ منهم . وربما قال : أنشدوني لأبي تمامكم شيئاً حتى أعرف منزلته في الشعر . فتذاكرنا ليلة في مجلس مولانا أدام الله عزه بميافارقين وهو معنا ، فأنشد أحدنا لمولانا أيّده الله شعراً له فيه ، قد أَلَمَ فيه بمعنى لأبي تمام ، فاستحسنه مولانا أدام الله تعالى تأييده ، واستجاده واستعادَه . فقال المتنبى ، وكان ذلك في أوّل ليلة التقينا به : نعم هذا يشبه قول أبي تمام ، وأبى بالبيت المأخوذ منه المعنى ، فقلنا : قد سُرّرنا يا أبا الطيب لأبي تمام إذ عرفت شعره ! فقال : يا إخواني ، أو يجوز للأديب أن لا يعرف أبا تمام ويروى شعره ، وهو أستاذ كُلِّ مَنْ قال الشعر بعده ؟! فقلنا : إن إنساناً ذَكَرَ أنك تقول كيت وكيت ، فأنكر ذلك وحَلَفَ مجتهداً أن هذا شيء ما نَظَقَ به قطُّ ، وما زال بعد ذلك / إذا التقينا ينشدنا بدائع أبي تمام ٣٣٤ ٢ ويتعجب منها ، وكان يروى شعره بأسره أو أكثره . »

• وهذا الخبر نقلته من خطّ الخالديّ حرفاً حرفاً؟ وهو ردُّ على أئى الحسن المغربي والحاتمى وغيرهما ، فإنهم ادّعوا أن المتنبي كان [ ينتقص أبا تمام ] ، ويرى نفسه فوقه بكثير .

٢٤ - قال أبو على محمد بن أحمد بن فُورَجَة : كان المتنبي رجلاً داهية ، مُرّ النَّفس شجاعاً عاليّ الهمة ، حُفْظَةً لِلآدَاب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه ويُسْقِطُه إلا بخله وشَرَّهه على المال ، فحدثني المؤيد أبو البركات بن أئى الفرج المعروف بابن زَيد التكريتى الشاعر قال :

بلغنى أنه قيل للمتنبى : قد شاع عنك من البخل ما قد صار سَمَراً لِلرُّفَاق ، وأنت تمدح فى شعرك الكرم وأهله ، وتذمُّ البخل وأهله ! ومعلوم أن البخل قبيحٌ ، ومنك أقبحٌ ، لأنك تتعاطى كِبَر النفس وعلوَّ الهمة وطلبَ الملك ، والبُخل ينافى سائر ذلك ! فقال : إنَّ لُبْحلى سبباً ، وذلك أننى أذكرُ وقد وردتُ فى صباى من الكوفة إلى بغداد ، فأخذت خمسة دراهم فى جانب منديلى ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دُكَّانٍ يبيع الفاكهة ، <sup>(١)</sup> فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة ، فاستحسنتها ونويتُ أن أشتريها بالخمسة دراهم التى معى ، فتقدَّمتُ إليه وقلت : بكم تبيع الخمسة بطاطيخ ؟ فقال بغير اكتراث : اذهب ، فليس هذا من أكلك ! فتماسكت معه وقلت : أيها الرجل : دع ما يغيظ واقصد الثمن ! فقال : ثمنها عشرة دراهم . فلشدة ما جَبَهْنى به ما استطعت أن / أخطبه فى المحاططة ، فوقفت حائراً ، وإذا بشيخ من التَّجَّار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثبُتُ إليه صاحب البطيخ من دُكَّانه ودعا له وقال له : يا مولائى ، هنا بطيخ باكُور ، بَدُسْتُوكَ أحمله إلى منزل مولانا ! فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال بخمسة دراهم . قال الشيخ التاجر : بدرهمين . فقال : بدرهمين . فباعه الخمسة بطاطيخ بدرهمين وحملها إلى داره ، ودعا له ، وعاد إلى دُكَّانه مسروراً بما فعل ،

فقلت له : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! آسَمْتِ عَلَى فِي هَذَا الْبَطِيخِ وَفَعَلْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَكُنْتَ قَدْ أُعْطِيتَكَ فِي ثَمَنِهِ خَمْسَةَ دِرَاهِمٍ ، فَبِعْتَهُ بِدَرَاهِمِينَ مَحْمُولاً ! فَقَالَ : أَسَكْتَ هَذَا يَمْلِكُ مِثْلَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ! فَقُلْتُ : وَإِذَا كَانَ مَعَهُ أَضْعَافُ ذَلِكَ ، هَلْ يَدْفَعُ لَكَ إِلَّا الدَّرَاهِمِينَ ؟ ! فَلَمْ يَزِدْنِي عَلَى أَنْ قَالَ : دَعْ ذَا عَنَّا ، فَإِنَّهُ يَمْلِكُ مِثْلَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ! فَعَلِمْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ النَّاسَ لَا يَكْرُمُونَ أَحَدًا إِكْرَامَهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُونَ أَنََّّهُ يَمْلِكُ مِثْلَهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَا فَلَا أَزَالُ عَلَى مَا تَرَاهُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ قَدْ مَلَكَ مِثْلَهُ أَلْفَ دِينَارٍ .

• وقد وقع في شعر المتنبى الوصية بالحزم في ضبط الأموال لا البخل بها . وذلك

في قوله في مدائح كافور ، وهو :

وَلَا يَنْحَلِّ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ      فَيَنْحَلَّ بِمَجْدٍ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ  
وَدَبْرُهُ تَذِيرٌ لِلَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ      إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ  
فَلَا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ،      وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

• / قال بعضهم : قد أمر المتنبى كافوراً بالبخل حيث حرمه ، وسلك في ذلك مسلك كثير ، فإن كثيراً يحكى عنه أنه دَخَلَ على هشام بن عبد الملك ، وكان هشام بخيلاً ، فمدحه ، فلم يُثَبِّهْ وَجْهَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، فَقَالَ يَخَاطِبُهُ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ تُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ      صَنِيعَةُ تَقْوَى ، أَوْ تَخْلِيلًا تُؤَامِقُهُ  
مَنْعَتْ ، وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ ،      وَلَمْ يَقْتُلْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ

فَقِيلَ لكَثِيرٍ : مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْبَخْلَ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ مَنَعْنِي مِنْ رِفْدِهِ ، وَآلَمَنِي بِرَدِّهِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُحِبَّ إِلَيْهِ الْمَالَ فَيَمْنَعُ غَيْرِي كَمَا مَنَعْنِي ، فَتَنَفَّقَ عَلَى ذِمَّتِهِ .

• وقال أبو عبد الله : لكنني وجدت القصيدة التي منها هذان البيتان في أبي بكر

ابن عبد العزيز بن مروان .

٢٤ - وقال أبو بكر الخوارزمي : كانت أدوات المتنبى كلها جيدة ، نظمه

ونثره ، وعربيته ولغته ، وكان شجاعاً حسنَ العقل حسنَ الإدارة للملوك ، عارفاً بطريق



انتزاع الأموال منهم ، ولم يكن فيه ما يُعاب به سوى بُخْلِهِ ، ولقد حضرتُ عنده يوماً بحلب ، وقد أُحضِرَ مالاً من صلاتِ سيف الدولة / بن حمدان ، فصُبَّ بين يديه ، ٣٣٧/٢ فوزَّنه وأعادَه إلى الأكياس ، وإذا بقطعة من تلك الدراهم قد تَحَلَّلَت تحلل الحَصِير وأنسابت فيه ، فأكبَّ المتنبي عليها بسائره ، وجعل يُنْقَب عنها بإصبعه ، ويعالج استنقاذَها من الحَصِير إلى أن ظهرت بعض الظهور ، فسَرَّ بذلك ، ورفع إلينا رأسه وهو يتمثل بيت ابن الخطيم :

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ      بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ

فلم يزل يبحث عنها حتى استخرجها من الحَصِير وأودعها الكيس ، فعذله بعض جلسائه على هذا الفعل فقال : أما كان يكفيك ما في هذه الأكياس ، حتى أَدُمَيْتَ إصبعك لأجل هذه القطعة ؟ فقال : مَهْ ، فإنها تخضّر المائدة . (١)

٢٥ - قال أبو عبد الله : وجدت أبا الفتح عثمان بن جنى قال ، حدثني المتنبي وقت القراءة عليه قال : قال أبو الفضل جعفر بن أبي الفضل بن جعفر بن حنْزَابة ، وكان وزير كافور : أَعْلِمْتُ أَنِّي أَحْضَرْتُ كَتَبِي كُلَّهَا ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَدْبَاءِ يَطْلُبُونَ لِي مِنْ أَيْنَ أَخَذْتَ مَعْنَى قَوْلِكَ :

أُزَوِّرُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي      وَأَنْشِي وَيَاضُ الصُّبْحُ يُغْرِى بِي

فلم يظفروا به ؟ وكان ابنُ حنْزَابة أكثرَ من رأيْتُ كِتَابَهُ . قال ابن جنى ثم إنى عثرت بالموضع الذى أخذ منه معنى بيته ، أخذه من قول ابن المعتز :

فَالصُّبْحُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ

● / قال أبو عبد الله : وكان آبنُ حنْزَابَة هذا وابنُ العميد وأبو محمد المهلبى ،  
ثلاثَتُهُمْ ، يحطُّون على المتنبي ويتقصون منه ، وينقدون عليه معانى شعره ويؤاخذونه بها ،  
وثلاثَتُهُمْ كانوا وزراءً فضلاء .

\*\*\*

والحمد لله وحده ، والصلاة على أكمل خلقه محمدٍ وعِترته الطاهرين وصحبه  
أجمعين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين .

\*\*\*

٣ - ترجمة المتبى للمقرىزى



( ٤ )

ترجمة المتنبي للمقريزي  
من كتابه « المقفى »

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ / - أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الكوفى ، ٣٤١/٢ ، الشاعر المعروف بالمتنبي . وقيل : بل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار . وكان أبوه الحسين يعرف بعيدان السقاء ، و « عيدان » بكسر العين المهملة ، وسكون الياء آخر الحروف ، قاله الخطيب البغدادي .

٢ - وقال ياقوت الحموى : رأيت ديوان أئى الطيب المتنبي بخط أئى الحسن على بن عيسى الرئعى ، قال فى أوله : الذى أعرفه من نسب أئى الطيب أنه : أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفى ، وكان يكتم نسبه ، وقد سأله عن سبب طيه ذلك ، فقال : إئى أنزل دائماً بعشائر وبقبائل [ من ] العرب ، ولا أحب أن يعرفونى ، خيفة أن يكون لهم فى قومي ترة . وهذا الذى صحح لى من نسبه . (١)

٣ - وقال القاضى أبو على المحسن بن على التتوخى ، حدثنى أبو الحسين [ أبو الحسن ] محمد بن يحيى الزيدى العلوى ، قال : كان المتنبي وهو صبي ينزل فى جوارى بالكوفة ، وكان أبوه يعرف بعيدان السقاء ، يستقى لنا ولأهل المحلة ، ونشأ وهو محب للعلم والأدب وطلبه ، وصحب الأعراب فى البادية ، فجاءنا بعد سنين بدويًا . وقد كان تعلم الكتابة والقراءة ، فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين ، فكان علمه من دفاترهم . فأخبرنى وراق كان / يجلس إليه يوماً قال لى : ما رأيت أحفظ من ٣٤٢/٢ هذا الفتى ابن عيدان قط ! فقلت له : كيف ؟ فقال : كان عندى اليوم وقد أحضر رجلاً كتاباً من كتب الأصمعى يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له

الرجل : يا هذا أريد بيّعه ، وقد قطعتنى عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه ، فهذا إن شاء الله يكون بعد شهر ! فقال له ابن عِيدَان : فإن كنتُ قد حفظته في هذه المدة ، فما لى عليك ؟ قال : أَهْبُ لك هذا الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، وقلت : هيّا ! فأقبل يتلوه علىّ إلى آخره ، ثم استلبه فجعله فى كفه ، فعَلِقَ به صاحبه يطالبه بالثمن ، فقال : ما إلى ذلك من سبيل ، وقد وهبته لى ! قال : فمنعناه منه وقلنا له : أليس شرطت على نفسك هذا للغلام ؟ فتركه . (١)

٤ - وقال لى أبو الحسين [ أبو الحسن ] : كان عِيدَان والد المتنبي يذكر أنه من جُعْفَى ، وكانت جدة المتنبي هَمْدَانِيَّة صحيحة النسب لا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، [ وكانت ] من صلحاء النساء الكُوفِيَّات .

● قال التنوخى : فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين إلى الأهواز مُنصرفاً من فارس ، فذاكرته بأبى الحسين [ بأبى الحسن ] فقال : تَرِنى وصديقى وجارى بالكوفة . وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف به ، وقال : أنا رجل أُخِيط القبائل ، وأطأ البلاد والبوادرى ، وخفت أننى متى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطلبة = [ بطائلة ] = بينها وبين القبيلة التى أنتسب إليها ، وما دمت غير منتسب إلى أحد ، فأنا أسلم من جميعهم ، ويخافون لسانى . فذكرت له / ما أخبرنى به أبو الحسين من انتسابه إلى جُعْفَى ، وأن جدته هَمْدَانِيَّة ، فما أنكر ذلك ولا اعترف به . (٢)

وقال : ومحل أبى الحسين [ أبى الحسن ] فوق أن يحكى إلا صدقاً . (٣)

(١) انظر ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ١٤ .

(٢) هذا الخبر مضى فى ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ١٥ ، ١٦ .

(٣) هذه الجملة التى انفرد بها هذا الخبر هـا ، والتى أراد بها التنوخى تصحيح خبره عن أبى الحسن محمد بن يحيى العلوى ، تزيدنى شكاً فى رواية التنوخى وفى صدقه ، راجع ما سلف ص : ١٤٣ - ١٥٣ .

٥ - قال : واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسين [ أبي الحسن ] [ ابن أم ] شيبان الهاشمي الكوفي ، وجرى ذكر المتنبي فقال : أعرف أباه بالكوفة شيخاً ينضح على بعير له ، يُسمَّى عِيدَان ، وكان جُعْفِيًّا صحيح النسب . (١)  
• ثم رأيت رجلاً كوفيًّا ضريراً ببغداد ، ويذكر أنه أخو المتنبي من أبيه وأمه ، وسألته عن نسبه ، فقال : كان أبونا يقول إنه من جُعْفِيٍّ . (٢) انتهى .

٦ - وكان مولد أبي الطيب في كِنْدَةَ من الكوفة سنة ثلاث ، وقيل إحدى وثلاثمائة ، والأول أصح .

٧ - وقد اختلف في تسميته بالمتنبي ، فقيل إنه ادَّعى النبوة في حديثه ، وقيل غير ذلك .

٨ - قال القاضي التنوخي : وقد كان المتنبي لما خرج إلى كلب وأقام فيها ، / ادَّعى أنه علويٌّ حَسَنِيٌّ ، ثم ادَّعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعي أنه علويٌّ ، إلى أن أشهد عليه بالشام والكوفة [ أنه نبي !! ] ، (٣) وأشرف على القتل ، ثم استُتيب . (٤)  
• وقال (٥) : وكان يتردد في نفسه أن أسأل أبا الطيب المتنبي عن تنبيهه والسبب فيه ، وهل ذلك اسم وقع عليه على سبيل اللقب ، أو أنه كما كان يبلغنا ؟ فكنت أستحي منه لكثرة من يحضر مجلسه ببغداد ، وأكره أن أفصح عليه باباً يكره مثله . فلما جاء إلى الأهواز ، ماضياً إلى فارس ، خلوتُ به ، وطاولته الأحاديث وجررتها إلى أن قلت له : أريد أن أسألك عن شيء في نفسي منذ سنين ، وكنت أستحي خطابك فيه من كثرة من كان

(١) هذا الخبر مضى في ترجمة ابن العديم برقم : ١٧ .

(٢) هذا الجزء من الخبر غريب جداً في نسبته إلى التنوخي ، فإنه لم يذكر في مكان آخر منسوباً إليه ، انظر ابن العديم رقم : ٨ ، والتعليق عليه .

(٣) هكذا في الأصل ، وانظر ما سلف ص : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وانظر ص : ٥٨٥ ، تعليق : ٢ ، وأنه « حَسَنِيٌّ » ، لا « حَسَنِيٌّ » .

(٤) ابن العديم رقم : ١٧ .

(٥) القائل هو التنوخي .

يحضرك ببغداد ، وقد خلونا الآن ، ولا بد أن أسألك عنه . وكان بين يديّ جزء من شعره عليه مكتوب « شعر أبي الطيب المتنبي » ، فقال : تريد تسألني عن سبب هذا ؟ وجعل يده فوق الكتابة التي هي « المتنبي » ، فقلت : نعم . فقال : هذا شيء كان في الحداثة أو جبهته صورة . <sup>(١)</sup> فما رأيت رهسةً ألطف منها ، <sup>(٢)</sup> لأنه يحتمل المعنيين في أنه كان تنبأً واعتمد الكذب ، أو أن عنده أنه كان صادقاً ، إلا أنه اعترف بالمتنبي على كل حال .

● / قال : ورأيت ذلك قد صُعب عليه ، فاستقبح أن أستقصي وألزمه الإفصاح بالقصة ، فأمسكت عنه . ٣٤٥/٢

٩ - وحكى القطريلي وابن أبي الأزر ، في تاريخ اجتماعا على تصنيفه ، أن المتنبي أخرج ببغداد من الحبس إلى مجلس الوزير أبي الحسن على بن عيسى فقال له : أنت أحمد المتنبي ؟ فقال أنا أحمد النبي ، وكشف عن بطنه فأراه سلعةً فيه ، وقال : هذا طابع نبوتى وعلامة رسالتى ! فأمر بقلع شمشوكه وصفعه به خمسين ، وأعادته إلى محبسه . ذكر ذلك على بن منصور القارح في رسالته إلى أبي العلاء المعرى . <sup>(٣)</sup>

١٠ - وقال أبو علي بن أبي حامد : سمعت بحلب يحكون ، وأبو الطيب المتنبي بها إذ ذاك ، أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها ، إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل

(١) هذا الخبر إلى هنا ، مذكور في ترجمة ابن العديم برقم : ٢٤ ، مع اختلاف كبير في اللفظ ، ثم انظر ما سلف من الكلام في هذا الخبر ص : ٥٥٢ - ٥٥٤ وما بعدها .

(٢) في الأصل « دهشة » وكذلك في تكملة تاريخ الطبرى للهمداني الجزء الأول : ١٩٥ [ بيروت ١٩٦١ ] ، على تحريف فيه وتصحيف . ولا معنى لدهشة ، و « رهسم » في كلامه أو في الخبر رهسة » ، إذا أتى منه بطرف ولم يفصح بجميعة . وهذا الخبر هنا أتم مما رواه الخطيب في تاريخ بغداد ، في ترجمة أبي الطيب .

(٣) مضى هذا الخبر في ترجمة ابن العديم برقم : ٣٢ ، وقد ردّ الخبر وأظهر ما فيه من الخطأ الفاحش ، ثم انظر رسالة ابن القارح ( الطبعة الثانية من رسالة الغفران ، للدكتورة بنت الشاطئ ) ص : ٢٥ ، ٢٦ . و « الجمشك » : ضرب من العال ، يقال بالحيم والشين .



الإخشيدية ، وقاتله وأسره وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرهما ، وحبسه في السجن دهرًا طويلاً ، ثم استتابه مما نقل عنه وأخرجه .

• قال : ومن قرّأه قوله من سورة : « والنَّجْمِ السَّيَّارِ ، وَالْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، إِنْ الْكَافِرِ لِفِيْ أَخْطَارِ ، آمُضِ عَلَى سَنِّكَ ، وَأَقْفِ أَثْرَ مَنْ / كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَامِعٌ بِكَ زَيْغَ مَنْ أَلْحَدَ فِي دِينِهِ وَضَلَّ سَبِيلَهُ » ، وهى طويلة . (١)

١١ - وقال له آبن خالويه النحوى ، فى مجلس سيف الدولة : لولا أنك جاهل لما رضيت أن تُدعى بالمتنبى ، لأن « متنبى » معناه كاذب ، ومن رضى أن يدعى بالكذب فهو جاهل . فقال له : أنا لست أَرْضَى أن أُدعى بهذا ، وإنما يدعونى به من يريد الغصّ منى ، ولست أقدر على الامتناع . (٢)

١٢ - وقال أبو على بن أبى حامد : قال لى أبى ، وقد سمع قومًا يحكون عن أبى الطيب المتنبى هذه السورة التى قدمنا ذكرها : لولا جهله ، أين قوله : « آمض على سَنِّكَ » .... إلى آخر الكلام ، من قول الله تعالى : ( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ) .... إلى آخر القصة ، فهل تتقارب الفصاحة فيهما ؟ أو يشبهه الكلامان ؟ (٣)

١٣ - وقال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى : قدم المتنبى اللاذقية فى سنة نيف وعشرين وثلاثمئة ، وهو كما عذر ، (٤) وله وَفْرَةٌ إلى شَحْمَتِي أَذْنِيهِ ، وَضَوَى إِلَى فَأَكْرَمَتِهِ لما رأيت من فصاحته وحسن سَمْتِهِ ، وقلت له يوماً : والله إنك لشاب خطير ،

(١) هذا الخبر ، ذكره ابن العديم فى ترجمته برقم : ٢٣ مطولاً .

(٢) هذا الخبر أيضاً جزء من الخبر رقم : ٢٣ ، فى ترجمة ابن العديم السالفة .

(٣) هذا الخبر فى ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٢٥ .

(٤) هكذا هنا وفى ابن العديم رقم : ٢٦ .

تصلح لمنادمة ملك كبير ! فقال لى : ويحك ! أتدرى ما تقول ؟! أنا نبي مرسل . قلت له : مرسل إلى من ؟ قال : إلى هذه الأمة الضالة المضلة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : ٣٤٧/٢ أملؤها عدلاً كما ملئت جوراً . قلت : / بماذا ؟ قال : بإدراك الأرزاق ، والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الأعناق وقطع الأرزاق لمن عصى وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم ، أخاف منه عليك أن يظهر ! وعدلته على قوله ذلك ، فقال بديها :

أبا عَبْد الإله مُعَاذُ إِيَّاسِي      خَفِيَّ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي  
ذَكَرْتَ جَسِيمَ مَا طَلَبِي ، وَأَنَا      نُحَاطِرُ فِيهِ بِالْمُهْجِ الْجِسَامِ  
أَمْثَلِي تَأْخُذُ التَّكْبَاتُ مِنْهُ      فَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْجِمَامِ  
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَيَّ شَخْصاً      لَخَضَبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي  
وَمَا بَلَغْتُ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي      وَلَا سَارَتْ فِي يَدِهَا زِمَامِي  
إِذَا آمَتَلَتْ عُيُونُ الْخَيْلِ مَنِي ،      فَوَيْلٌ لِلتَّيْقُظِ وَالْمَنَامِ

فقلت له : ألم تكن ذكرت أنك نبي مرسل إلى هذه الأمة ؟ أفيوحي إليك ؟ قال : نعم . قلت : فأنت على شيئاً من الوحي إليك . فأتاني بكلام ما مرّ على سمعي أحسن منه . فقلت : ولم أوحى إليك من هذا ؟ فقال : مئة وأربع عشرة عبيرة . قلت : ولم العبيرة ؟ فأني بمقدار أكبر من الآي من كتاب الله . قلت : ففى كم مُدَّة أوحى إليك ؟ قال : جملة واحدة . قلت : فأسمع في هذه العبيرة أن لك طاعة في السماء ، فما هي ؟ قال : أحبس المذرّار ، لقطع أرزاق العصاة والفجار . قلت : أتحبس من السماء قطرها ؟ قال : إى ، والذي فطرها ، أفما هي معجزة ؟ قلت : بلى . قال : فإن حبسته عن مكانٍ تنظر إليه ولا تشك فيه ، هل تؤمن بى وتصدقنى على ما أُتيت به من ربى ؟ / قلت : إى والله . ٢٤٨/٢ قال : سأفعل ، ولا تسألنى عن شيء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تظهر شيئاً من هذا الأمر حتى يظهر ، وانتظر ما وعدته من غير أن تسأله . فقال لى بعد أيام : أتحب أن تنظر إلى المعجزة التى جرى ذكرها ؟ قلت : بلى والله . قال لى : إذا أرسلت إليك أحد العبيد فأركب معه ولا يخرج معك أحد . قلت : نعم . فلما كان بعد أيام تغيمت السماء

في يوم من أيام الشتاء ، وإذا عَبْدُهُ قد أقبل فقال : يقول لك مولاي ، أركب للوعد . فبادرت بالركوب معه ، وقلت : أين ركب مولاك ؟ فقال : إلى الصحراء ، ولم يخرج معه أحدٌ غيري . واشتدَّ وَقْعُ المطر ، فقال : بادِرْ بنا حتى نستكنَّ معه من هذا المطر ، فإنه ينتظرنا بأعلى تلٍّ لا يصيبه فيه المطر . قلت : وكيف عمل ؟ قال : أقبل ينظر إلى السماء أوَّلَ ما بدا السحاب الأسود ، وهو يتكلَّم بما لا أفهم ، ثم أخذ السَّوط فأدار به في موضع ستنظر إليه من التلِّ ، وهو يُهمِّهم والمطر مما يليه ، ولا قطرة منه عليه . فبادرت معه حتى نظرتُ إليه ، وإذا هو على تلٍّ على نصف فرسخ من البلد ، فأتيته ، وإذا هو عليه قائم ما عليه من ذلك المطر قطرة واحدة ، وقد خُضَّتْ في الماء إلى رُكْبَتَي الفرس ، والمطر في أشدِّ ما يكون ! فنظرت إلى نحو مئتي ذراعٍ في مثلها في ذلك التلِّ يابسٌ ما فيه ندَى ولا قطرة مطر ، فسَلَّمْتُ عليه ، فردَّ عليَّ وقال لي : ما ترى ؟ فقلت : أبسط يدك ، فإني أشهد أنك رسول الله ! فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ، ثم قال لي : ما قال لك هذا الخبيث لما دعاك ؟ - يعني عبده ، فشرحت له ما قال لي في الطريق لما استخبرته ، فقتل العبد وقال :

٣٤٩/٢

/ أَيْ مَحَلَّ ارْتَقَى      أَيْ عَظِيمَ اتَّقَى  
وَكُلُّ مَا خَلَقَ اللّٰهُ      هُوَ وَمَا لَمْ يَخْلُقْ  
مُخْتَفَرٌ فِي هِمَّتِي      كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِ

وأخذت بيعته لأهلي ، ثم صحَّ بعد ذلك أن البيعة عُمَّتْ كل مدينة بالشام ، وذلك بأصغر حيلة تعلَّمها من بعض العرب ، وهي « صَدْحَةُ المطر » يَصْرِفُهَا بها عن أي مكان أحبَّ بعد أن يَحْوِيَّ عليه بعضاً وينفث بالصَّدْحَةِ التي لهم . وقد رأيت كثيراً منهم بالسُّكُون وحضرموت والسَّكَّاسك من اليمن ، يفعلون هذا ولا يتعاضمون ، حتى إن أحدهم يصدق عن غنمه وإبله وبقرة ، وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ، ويكون المطر مما يلي « الصَّدْحَةِ » ، وهو ضرب من السحر . ورأيت لهم من السحر ما هو أعظم من هذا ، وسألت المتنبي بعد ذلك : هل دخلت السُّكُون ؟ قال نعم ، ووالدي منها ، أما سمعت قولي :

أُمْنَسِي السُّكُونَ وَحَضْرَمُونًا وَوَالِدَتِي وَكِنْدَةَ وَالسَّيِّعَا

فقلت : من ثَمَّ استفاد ما جَوَّزه على طعام أهل الشام . (١)

١٤ - وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعريّ : أخبرني بعض الكتاب ، قال : كنت بالديوان في بعض بلاد الشام ، فأسرعت المُدَيَّة في إصبع بعض الكتاب وهو يَبْرِي قلمه ، وأبو الطيب حاضرٌ ، فقام إليه وتَقَلَّ عليه ، وأمسكها ساعة بيده ثم أرسلها وقد اندملت بدمها ، فجعل يُعَجِّبُ من ذلك ، ويُري / من حضر أن ذلك من معجزاته . (٢)

١٥ - وقال أبو الفتح عثمان بن جنيّ النحويّ : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لُقِّبَ بالمتنبي لقولي :

أَنَا فِي أُمَّةٍ ، تَذَارَكُهَا اللَّهُ ، غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثُمُودٍ  
مَا مُقَامِي بِدَارٍ نَحْلَةً إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

١٦ - وقيل له : على من تنبأت ؟ قال : على الشعراء . ف قيل : لكل نبي معجزة ، فما معجزتك ؟ قال قولي :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدٌّ

١٧ - ودخل أبو الطيب في صباه إلى الشام وجال في أقطارها ، وصعد بعد ذلك إلى مصر ، وكان بها في سنة خمس وثلاثين وثلاثمئة ، (٣) وقدم وافداً على سيف الدولة ابن حمدان بحلب في سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، فأكرمه ونفق عليه ، إلى أن خرج من حلب غضبان بسبب كلام وقع بينه وبين أبي عبد الله ابن خالويه في مجلس سيف الدولة ،

(١) هذا الخبر كله في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٢٦ .

(٢) الخبر ذكره ابن العديم في ترجمته السالفة رقم : ٢٧ ، انظر رسالة الغفران ص : ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٣) هذا تاريخ جديد مهم في ترتيب رحلة المتنبي يحتاج إلى تفصيل ، وانظر ابن العديم رقم : ٦٦ .

فضربه ابن خالويه بمفتاح في سنة ست وأربعين وثلاثمئة ، وصار إلى مصر مرة ثانية ، ومدح بها الأستاذ أبا المسك كافور الإخشيدي ، ولم يمدح بمصر غيره سوى فاتك الإخشيدي المعروف بالجنون ، عندما بعث إليه من الفيوم = وكان مقيماً بها / لأن له مالا بها كثيراً = ٣٥١/٢ كسوةً وجمالاً ، <sup>(١)</sup> جاء مبلغ ذلك ستمئة دينار ، وذلك أنه بلغه تقصير كافور به ، فمدحه بقصيدة أولها .... <sup>(٢)</sup> وكان المتنبي يقف بين يدَي كافور وهو متكئ على سيفه في عشية كل عيد ، والشعراء تنشد مدائحها في كافور . فكلما فرغ شاعرٌ من إنشاده رفع كافور رأسه إلى المتنبي وقال : إيش تقول يا أبا الطيب في هذا الشاعر ؟ فيقول له ما يمكنه . وما زال مع كافور كذلك إلى أن هرب ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمئة . وسبب هربه تقصير كافور في حقه ، فإنه طلب منه أن يوليّه عملاً من أعمال مصر ، فلم يجبه إلى ذلك فسخط . وعندما عزم على الهرب من مصر أرسل إلى أبي بكر الفرغاني ، أحد جلساء كافور ، يقول له : إني أجْدُ وَجَعاً ، وللأستاذ عندى رُقعة فيها مُهِمٌ ، فتدفعها إليه عشية العيد عند العتمة إذا خلا ، فقد هنيئته بالعيد ، وذكرت عُذرى في التأخر . فأخذ الفرغاني الرقعة ، وهرب المتنبي من ساعته ، وأصبح الناس بشغل العيد ، وجلس كافور عشية العيد للشعراء ، فسأل عن المتنبي وقال : سلوا عنه ! فتوائى مَنْ قِيلَ له ، وتوائى الفرغاني أيضاً تلك الليلة في إيصال الرُقعة إلى كافور ، فلم يُوصِّلها إليه إلا من الغد ، فجاء بها كافوراً مع العتمة ، وقال له ، والشمع بين يديه : دَفَعْ لى عبدك أبو الطيب المتنبي رُقعةً وهو ضعيفٌ من شىء يَجِدُهُ ، وعَرَفْنى أنَّ فيها مُهِمًّا ! فأفهمه كافور أنه قد هجاه في الرقعة ، <sup>(٣)</sup> فأخذها بيده وقال : أرسلوا إلى أبي الطيب سلُّوا عنه . فمضى

(١) كان في المخطوطة : « لأن له بها مالا كثيراً وكسوةً وجمالاً » ، والكلام غير مستقيم ، ولا يستقيم إلا بحذف الواو ، وسيافه : « عندما بعث إليه من الفيوم : .... كسوةً وجمالاً .... » .

(٢) الكلام في المخطوطة متصل ، وهو سهو . والقصيدة التي يعنها هي قوله :

« لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالَ »

(٣) في المخطوطة : « فأنهم كافور » ، والصواب ما أثبت .

٣٥٢/٢ عدة من / الرسل في طلبه ، فانكشف الأمر أنه هرب . فوضع كافور الرُّقعة في الشمعة وأحرقها بيده وعُلم أنه هجاء ، وأخذ يَسُبُّ من حَسَنَ له التقصير في أمره ، وتأسَّف عليه ، وقَلِقَ بذهابه .

١٨ - وقَدِمَ المتنبي على عَضُد الدولة بشيراز ، فلما وصل إلى حضرته في أوَّل مجلس شاهده فيه ، قال لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف : أخرج ، واستوقفه واسأله كيف شاهد مجلسنا ؟ وأين الأمراء الذين لقيهم في نفسه منا ؟ قال : فامتثلتُ ما أُمِرْتُ به ولحقته ، وجلست معه وحادثته وطاولته ، وأطلت معه في المعنى الذى ذكرته ، فكان جوابه عن جميع ما سمعه منى أن قال : « ما خَدَمْتُ عَيْنَايَ قَلْبِي كَالْيَوْم » ، فجاء الجواب موزوناً ، واستوفى القول في اختصار من اللفظ . (١)

١٩ - ويقال إنه لما دخل على عضد الدولة بشيراز قال : أنا لا أنشد ماثلاً . فأمر له عضد الدولة بكرسى ، فلما دخل وراه ، أنشده قائماً ، فأمره بالجلوس فأبى ، وقال : هيبئك تمنع من ذلك ! فوقع قوله وفعله منه أحسن موقع . (٢)

\*\*\*

• ومن شعره :

أَنْصُرُ بِجُودِكَ أَلْفَاظاً تَرَكْتُهَا      فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا  
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحُلٌ      وَذَا الْوَدَاعُ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا

/ فأعطاه دون الخمسة دراهم وقبلها . (٣) ٣٥٣/٢

(١) في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٧١ ، تم ترجمة ابن عساكر برقم : ٢٠ .

(٢) مضى هذا الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة ، في خلال الخبر رقم : ٣٦ .

(٣) هذا موضع سقط لا شك فيه ، فلذلك فصلته ولم أجعل له رقماً ، وألحقته بالخبر رقم : ١٩ ، وانظر

الخبر تاماً في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٤٥ .

٢٠ - وخرج من شيراز لثمان خلون من شعبان قاصداً بغداد ، ثم سار منها إلى الكوفة ، حتى إذا بلغ دير العاقول وخرج منه قدر ميلين ، خرج عليه فرسانٌ ورَجَّالة من بنى أسيد وشيَّبان ، فقاتلهم مع غُلامين من غلمانِه ساعة ، وقتلوه وقتلوا معه أحد الغلامين وهرب الآخر ، وأخذوا جميع ما كان معه ، وقتلوا ابنه المحسَّد ، وذلك يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة بالقرب من النُّعمانية = وقيل : لخمسي بقين من رمضان المذكور = وقيل : في شَوَّال بالصَّافية من أرض واسط ، والذي قتلُه فاتكُ بن أُمى جهل ، ابن خالة « ضُبَّة » الذي هجاه المتنبي ، وكان على شاطئ دجلة . (١)

٢١ - وذكر الخالديان ، عن أُمى نصر محمد بن المبارك الجُبلي قال : خرج المتنبي من واسط يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمئة ، وقُتِل بِبُنُوْرَى = بفتح أوْلِه ، وضمَّ ثانيه ، وبعده زائٍ معجمة ، مقصورٌ على وزن « فَعُوْلَى » (٢) - بشطّ الفرات ، ضيعةٌ بقرب دير العاقول ، في يوم الأربعاء ليلتين بقيتا من رمضان ، وكان معه يوم قُتِل سبعون ألف دينار . وأُخْرِجَ من الماء مقتولاً ، ودفن بالصائفة ، / والذي قتله فاتكُ بن أُمى جهل بن فراس بن بداد ، وهو قرابةٌ لوالدة ضُبَّة بن ٣٥٤/٢ يزيد العيني الذي هجاه المتنبي بقوله :

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمَ ضُبَّةً وَأُمَّهُ الطَّرْطَبَةَ

ويقال : إِنَّ فَاتَكَا خَالَ ضُبَّة . (٣)

\*\*\*

(١) هذا الخبر مذكور في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٧٩ .

(٢) أما ياقوت فذكرها « بالراء » ولم يقل « راء مهملة » ، فأحشى أن يكون تصحيفاً في معجم البلدان . وفي معجم ياقوت فوائد ، فراجعها هناك . وانظر ما سلف في ابن العديم رقم : ٧٨ ، ثم رقم : ٨١ « بيزع » .

(٣) انظر رواية الخالديين لمقتل المتنبي مطبولة في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٨١ .

٢٢ - وديوان شعر المتنبي مشهورٌ ، والجيد من شعره لا يجارى فيه ولا يلحق ،  
والردى منه فى غاية الرداءة والسقوط ، هذا هو الإنصاف فى حقه . والناس فيه مذهبان ،  
وقد تعصبت له وعليه طوائف ما بين غالٍ ومقصّر .

٢٣ - وقد روى عنه القاضى أبو الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملى ،  
وأبو الفتح عثمان بن جنى ، وأبو محمد الحسن بن على بن الصّقر الكاتب ، وأبو الحسن على  
ابن أيوب بن الحسين بن السّاريان الكاتب ، والأستاذ أبو على أحمد بن مسكويه ، وأبو  
عبد الله بن باكوّيه الشيرازى ، وأبو الحسن على بن عيسى الربعى ، وأبو القاسم بن حسن  
الحمصى ، وعبد الصّمد بن زهير بن هرون بن أبى جرادة ، ومحمد بن عبد الله بن سعد  
النحوى الحلبيّان ، وعبد الله بن عبيد الله الصّقرى الشاعر الحلبيّ ، وعبيد الله بن محمد بن  
أحمد بن محمد بن أبى الجوع الورّاق المصرى ، وأبو إسحق إبراهيم بن عبد الله المغربى ، وأبو  
بكر الطائى ، وأبو القاسم النبلختى ، وأبو محمد الحسين بن عمر / بن إبراهيم ، وأبو  
العباس بن الحوت ، وجماعة سواهم . (١)

٢٤ - ويقال إنّ بعض الأشراف قدم من الكوفة فدخل إلى مجلس فيه المتنبي ،  
فنهض الناس كلهم له سوى المتنبي ، فجعل كل واحد من الحاضرين يسأله عن الأحوال  
فى الكوفة وما تجدد هناك ، فقال المتنبي : يا شريف ، كيف خلّفت الأسعار بالكوفة ؟  
فقال له : رابطة برطلين خبز ! فأحجله . وذلك أنه قصد أن أباه عيّدان كان سقّاء . (٢)

٢٥ - وقال أبو العباس النامى المصيصى : كان قد بقى من الشعر زاوية  
دخلها المتنبي ، وله معنيان ما سبق إليهما ، قوله :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى      فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِيَالٍ

(١) انظر ترجمة ابن العديم فيما سلف رقم : ٦ .

(٢) هذا الخبر فى ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٥٠ .



والآخر :

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعَيُونَ غِبَاهُهُ فَكَاثِمًا يُبْصِرُنَ بِالْآذَانِ (١)

٢٦ - وقال أبو الفتح بن جني : كنت أقرأ ديوان أبي الطيب عليه ، فقرأت قوله في كافور :

أَغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ ، وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ ، وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ / حتى بلغت إلى قوله :

٣٥٦/٢

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَعْتَبُ  
وَلِي مَا يَذُودُ الشَّعَرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي ، يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ ، قُلُوبُ

فقلت : يعزُّ عليّ ، كيف يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ؟ فقال :  
حدّرنه ، وأنذرناه ما نفع ، ألسْتُ القائل :

أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

فهو الذي أعطاني لكافور بسوء تدييره وقلة تمييزه . (٢)

٢٧ - وذكر صالح بن إبراهيم بن رشد بن قال ، قال لي أبو نصر بن غياث  
النصراني الكاتب : اعتلّ أبو الطيب بمصر العلة التي وصف الحمى في أبياته من  
القصيد الميمية ، فكنت أواصل عيادته وقضاء حقوقها ، فلما توجه إلى الصلاح وأبّل ،  
أغيبْتُ زيارته ، ثقةً بصلاحه ، ولشغل قطعني عنه ، فكتب إليّ :

« وَصَلْتَنِي ، وَصَلَّكَ اللَّهُ ، مُعْتَلًّا ، وَقَطَعْتَنِي مُبْلًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا تَحِبَّ الْعِلَّةُ  
إِلَيَّ ، وَلَا تَكْدِرَ الصَّحَّةَ عَلَيَّ ، فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . (٣)

(١) هذا الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٥٤ .

(٢) الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٦٢ .

(٣) هذا الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٧٢ .

٢٨ - / وقال علي بن حمزة البصري : بلوث من المتنبي ثلاث خصال ذميمة ٣٥٧/٢  
كُلِّ الذَّم ، وهى أنه ما صَامَ ولا صَلَّى ولا قرأ القرآن = وبلوث منه ثلاث خصال محمودة :  
ما كَذَبَ ولا زَنَى ولا لَاط .

٢٩ - وقال أبو العباس بن الحَوْتِ الورَّاق : أنشدني أبو الطَّيِّبِ المتنبي  
لنفسه :

تَضَاحَكَ مِنَّا دَهْرُنَا لِعِبَاءٍ بَنَّا وَعَلَّمْنَا التَّمْوِيَةَ لَوْ نَتَعَلَّمُ  
شَرِيفُ زُغَاوِيٍّ ، وزَانٍ مَذْكُورٌ ، وَأَعْمَشُ كَحَالٍ ، وَأَعْمَى مِنْجَمٌ (١)

٣٠ - وما أحسن قوله :

هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ ، وَعِيدٌ لِمَنْ سَمَى وَضَحَّى وَعِيدًا  
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى كَمَا أَنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدٌ كَانَ أَوْحَدًا (٢)

٣١ - وقال ، وقد نُعِيَ في مجلس سيف الدولة ، وهو يومئذٍ عند كافور بمصر :

يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بَمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ  
/ كَمْ قَدْ قُتِلْتُ ، وَكَمْ قَدْ دِمْتُ عِنْدَكُمْ ، ثُمَّ أَنْتَفَضْتُ فَرَالَ الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ  
قَدْ كَانَ شَاهِدَ دَفْنِي ، قَبْلَ قَوْلِهِمْ ، جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ مَاثُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا  
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

٣٢ - وقال ، وقد مرضَ بمصر ، وهى أحسن ما وُضِفَتْ به الحُمَى :

وَلَمَّا صَارَ وَدَّ النَّاسُ خَبًّا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ  
وَصِرْتُ أَشْتُكَ فِيمَنْ أَصْطَفَاهُ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ  
وَلَمْ أَرْ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

(١) الخبر في ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ٧٣ ، وشرح المعنى هناك .

(٢) انظر ترجمة ابن العديم السالفة رقم : ٧٤ .

أَقِمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ ، فَلَا وَرَأَى  
وَمَلَّنِي الْفِرَاشُ ، وَكَانَ جَنْبِي  
قَلِيلَ عَائِدِي ، سَقِمَ قُودِي ،  
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُتَتَبِعُ الْقِيَامِ ،  
وَرَأَيْتَنِي كَأَنَّهَا حَيَاءٌ  
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا ،  
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعنها ،  
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي ،  
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا ، فَتَجْرِي  
/ أَرَأَيْتَ وَقْتُهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ  
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا ، وَالصَّدْقُ شَرٌّ  
أَبْنَتَ الدَّهْرِ ، عِنْدَ كُلِّ بِنْتٍ ،  
جَرَحَتْ مُجَرَّحاً لَمْ يَبْقَ فِيهِ  
يَقُولُ لِي الطَّيِّبُ : أَكَلْتَ شَيْئاً !  
وَمَا فِي طَبِّهِ أَتَى جَوَادٌ  
فَإِنْ أَمْرُضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي ،  
وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى ، وَلَكِنْ

تَحُبُّ بِي الرِّكَابُ وَلَا أُمَامِي  
يَمْلُ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ  
كَثِيرٌ حَاسِدِي ، صَعْبٌ مَرَامِي  
شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ  
فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ  
فَعَاقَتْهَا وَبِائَتْ فِي عِظَامِي  
فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ  
كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ  
مَدَامُعَهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامٍ  
مُرَاقِبَةُ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ  
إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ  
فَكَيْفَ خَلَصْتَ أَنْتِ مِنَ الرَّحَامِ ؟  
مَكَانٌ لِلسَّيُوفِ وَلِلسَّهَامِ  
وَدَاوُكٌ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ  
أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طَوْلُ الْجِمَامِ  
وَإِنْ أَحْمَمَ فَمَا حُمَّ اعْتِزَامِي  
سَلِمْتُ مِنَ الْجِمَامِ إِلَى الْجِمَامِ

٣٥٩ ٢

...

٣٣ - وَرثَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُظَفَّرُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّوَزْنِيُّ الْكَاتِبُ بِقَوْلِهِ :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ  
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْدٍ  
كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا ، وَلَكِنْ  
إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ  
شَرٌّ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانٍ  
ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

٣٤ - وقالت أختُ المتنبي لما قُتِلَ : (١)

يا حازمَ الرّأى إلّا في تَهَجُّمِهِ      على المكارِهِ ، غابَ البَدْرُ في الطَّفَلِ  
لِنِعَمَ ما عامَلتكَ المُرَهَفَاتُ بِهِ !      ونِعَمَ ما كُنْتَ تُؤْلِيها من العَمَلِ !  
/ الأرضُ أمَّ أَصْبَنّاها بواحِدِها      فاسترجَعْتُهُ ، وردَّتهُ إلى الحَبَلِ

٣٦٠/٢

...

٣٥ - ومن عجيب نقد الشعر : أن المتنبي لما أنشد سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي أولها :

\* على قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العِزَّائِمُ \*

[ فلما بلغ المتنبي إلى قوله :

وقَفْتُ ، وما في المَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ ] ، (٢)  
كَأَنَّكَ في جَفَنِ الرَّدَى ، وهو نائِمٌ  
تَمُرُّ بِكَ الأبطالُ كَلَمَى هَرِيمَةٍ ،      ووجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ باسِمٌ

[ قال سيف الدولة : قد انتقدتهما عليك ] ، (٣) كما انتقد على امرئ القيس قوله :

كَأَنِّي لم أَرْكَبْ جَوادًا لِلذِّةِ      ولم أَتَبَطَّنْ كاعبًا ذاتَ حَلْخَالِ  
ولم أَسْبِ الرِّقَّ الرُّويَّ ولم أَقُلْ      لَخيلِي : كُرِّي كَرَّةً ، بعد إجْفالِ

فكما كان ينبغي لامرئ القيس أن يركب القسم الأخير من بيته الأول ، على القسم الأول من بيته الثاني ، فيقول :

(١) شعرها في ترجمة ابن العديم السالفة برقم : ٨٣ .

(٢) الكلام متصل في المخطوطة ، وما بين القوسين هو حق الكلام .

(٣) الكلام متصل فيها ، وحق الكلام ما أثبت .

٣٦١/٢

/ كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا ، وَلَمْ أَقْلَ      لَخَيْلِي كُرَى كَرَّةً ، بَعْدَ إِجْفَالِ  
وَلَمْ أُسَبِّأْ الرُّقَّ الرَّوِيَّ لِلذِّةِ      وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خُلْخَالِ

فيقرن لذة الشرب بلذة النكاح ، وركوبه الجواد بأمره خيله بالكر = فكذلك كان  
ينبغي أن تركب هذين البيتين فتقول :

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ      وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَتَعْرُكٌ بِاسِمِ  
تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلَّمَى هَزِيمَةً      كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

حتى يأتلف المدح بتيقن الموت ، مع توضُّع الوجه وتبسُّم الثَّغْرِ ، ويأتلف .... (١)

~ ~ ~

(١) الكلام غير تام في المخطوطة . والقصة معروفة . انظر نسخة ديوان المتنبي ص : ٢٧٧ طبعة الدكتور  
عبد الوهاب عزام . الصبح المنبي ( دار المعارف ) ص : ٨٤ ، ٨٥ .



# الفهارس

هذا الكتاب أربعة أقسام :

الأول : « قصة هذا الكتاب ، وفساد حياتنا الأدبية » . ورمزت لهذا القسم في

الفهارس بالعدد المغربي ( 1 )

الثاني : « كتاب المتنبي » ، ورمزت لهذا القسم في الفهارس بالعدد المغربي ( 2 )

الثالث : « قضية المتنبي » ، ورمزت لهذا القسم في الفهارس بالعدد المغربي ( 3 )

الرابع : « أربع تراجم للمتنبي ، لم تُنشر » ، ورمزت لهذا القسم في الفهارس

بالعدد المغربي ( 4 )

فوضعت هذا الرمز قبل أرقام الصفحات التي تليه ، تيسيراً  
وتوضيحاً لما تطلبه في الفهارس ، في أي الأقسام الأربعة يقع ما تطلبه .





## فهرس شعر أبي الطيب

- ١ (مقارب) ولكنه ضحك كالبكاء ١. ٦٤، ٧٠، ٧٣، ٢. ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٢،  
٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣. ٤٤٤، ٤٢٢
- \*\*\*
- ٢ (وافر) جعلت فداءه وهم فداي ٢. ٣٣٨  
٣ (وافر) فطنت وكنت أغبي الأغبياء ٣. ٤٤٤  
٤ (خفيف) أسد القلب آدمي الرواء ٢. ١٧٧، ٣٥٧، ٣٦٤
- \*\*\*
- ٥ (مقارب) أسير المنايا صريع القطب ٢. ١٩٥، ٣. ٤٩١، ٤. ٦٠٣  
٦ (مقارب) فسمعا لأمر أمير العرب ٢. ٣٣٠، ٣٧٧
- ٧ (طويل) فكل بعيد لهم فيها معدب ٢. ٣٥٤، ٣٦٤، ٤. ٦٤٣، ٦٦٥، ٦٩٣  
٨ (طويل) فباعدنا عنه ونحن الأقارب ٢. ١٤٩، ٢٢٨  
٩ (طويل) سكون بيان عندها وخطاب ٢. ٣٦٣  
١٠ (خفيف) لا لشيء إلا لأني غريب ٢. ١٦٣، ٢٢٥، ٢٣٠، ٤. ٦٦٣
- ١١ (طويل) فداءه الورى أمضى السيوف مضارباً ٤. ٦٦٦  
١٢ (بسيط) لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحماً ٢. ١٨١، ٢٥٥  
١٣ (وافر) فهل من زورة تشفى القلوبا ٢. ٢٨٧  
١٤ (رجز) فرأى أخطأ الصوابا ٢. ٢١٩
- ١٥ (طويل) وردوا رقادى فهو لحظ الحبايب ١. ٥٢، ٢. ١٥٤، ١٥٦، ١٦٩، ٢٩٣، ٣.  
٦٢٩، ٤. ٥٦٥  
١٦ (طويل) مُنعنا به من جيئة وذهوب ٢. ٣٩٢  
١٧ (بسيط) كناية هما عن أشرف النسب ٢. ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٤. ٦٢٦،  
٦٧٢  
١٨ (بسيط) ثم اختيرت فلم ترجع إلى أدب ٤. ٦٠٠، ٦٠٣  
١٩ (بسيط) متى بجلى الذى أعطت وتجرى ١. ١٠٧، ٢. ٣٤٩، ٣. ٥٣٠، ٤. ٦٧١، ٦٧٧
- \*\*\*

٢٠ ( بسيط ) في الشرق والغرب من عاداك مكنونا ٦٩٠ ، ٦٣٢ . ٤

\*\*\*

٢١ ( وافر ) ومثلك يتقى أبداً ويرجى ٦٠١ . ٤

\*\*\*

٢٢ ( كامل ) يغدو على من الهوى ما لم ترخ ٦٢٥ . ٤

٢٣ ( وافر ) وفارس كل سلهبه سوج ٥١٤ . ٣

\*\*\*

٢٤ ( طويل ) عوادل ذات الخال في حواسد ٦٧٣ . ٤

٢٥ ( طويل ) كأنهم من طول ما التثموا مرد ٦٣ . ١ ، ١٧٦ . ٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٤٦١ . ٣

٦٨٨ ، ٦٧٢ ، ٦٤١ ، ٦٢٢ . ٤

٢٦ ( بسيط ) عما مصى أم لأمر فيك تجديد ٣٧٠ . ٢

٢٧ ( طويل ) فانت الذي صيرتهم لي حسدا ٣٥٨ . ٢ ، ٣٦٢ ، ٦٣٧ . ٤ ، ٦٤٨ ، ٦٧١ ،

٦٩٤

٢٨ ( بسيط ) لا تحسدن على أن ينأى الأسد ١٧٦ . ٢

٢٩ ( متقارب ) أم الخلق في شخصي حي أعيدا ٢٥٩ . ٢

٣٠ ( طويل ) قربت به عند الوداع من العبد ٦٢٧ . ٤ ، ٣٨٠ . ٢

٣١ ( طويل ) من الوصل ما يشفى الفؤاد من الوجع ٥٩٥ . ٤

٣٢ ( وافر ) وقود الخيل مشرفة الهوادي ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦ . ٢

٣٣ ( حفيف ) وبنفسى فخرت لا مجدوى ٢٣٣ . ١ ، ١٨٩ ، ١٦٧ ، ١٦٠ . ٢ ، ٧١ ، ٦٦ . ١

٦٨٨ ، ٦٢٢ ، ٦١٥ . ٤ ، ٤٥١ ، ٤٣٢ . ٣

٣٤ ( متقارب ) وأوهن رجلى ثقل الحديد ٨٨ . ١ ، ٢١٥ . ٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ،

٢٣١ ، ٣٨٩ ، ٦١٥ . ٤ ، ٦٢١ ، ٦٢٢

\*\*\*

٣٥ ( طويل ) وحيداً، وما قولى كذا ومعنى الصبر ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣١٥ ، ٤٤٣ . ٣

٣٦ ( وافر ) طوال فنا تطاعها قصار ٦٧٤ . ٤

٣٧ ( وافر ) طويل العمر بينهما قصير ٦٠٢ . ٤

٣٨ ( كامل ) إلا السعاية يسهم مغفور ١٤٩ . ٢

- ٣٩ ( كامل ) دون اللقاء ولا يشطُّ مزارُ ٣٢١ . 2
- ٤٠ ( طویل ) وسُكْرِى مِنَ الْأَيَّامِ جَنَّبَنِ السُّكْرِى ٥٩٢ . 4 ٥٩٤
- ٤١ ( كامل ) وبكائك إن لم يجر دمعك أو حرى ٣٧٩ . 2 ٦٦٩ . 4
- ٤٢ ( متقارب ) ... لَا يَحْتَصِصَنَّ مِنَ الْأَرْضِ دَارًا ٣٠١ . 2
- ٤٣ ( متقارب ) وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ . 2
- ٤٤ ( بسيط ) فَإِنِّى لِرَحِيلَى عَيْرٌ مُخْتَارُ ٢٧٥ . 2
- ٤٥ ( وافر ) وَكُلُّ عُدَايَرٍ قَبِيحُ الضُّفُورِ ٢٧٦ . 2
- \*\*\*
- ٤٦ ( متقارب ) وَأَطِيبُ مَا شَمَّهُ الْمَعْطِشُ ٦٤٩ . 4
- ٤٧ ( كامل ) هانت على صفات حاليوسا ١٨٩ . 2
- \*\*\*
- ٤٨ ( وافر ) ولم تقبل على كلام واش ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥ ، ٣٢٦ . 2
- \*\*\*
- ٤٩ ( سريع ) فَصَنَّتْ عَنْهُ الْوَجْهَ وَالْعَرْضَا ٦٢٦ . 4
- \*\*\*
- ٥٠ ( طویل ) أَقْلُ جُزْءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ ١٨٩ . 2
- ٥١ ( بسيط ) عيرى بأكثر هذا الناس ينحدُّ ٦٧٣ . 4
- ٥٢ ( بسيط ) فى كل يوم ترى من صرَّفه يدعا ٦٤٥ . 4
- ٥٣ ( وافر ) ووالدنى وكندة والسبيعا ١٤١ ، ٢٠٤ ، ٥٦١ . 3 ٦٢٠ ، ٦٢٠ ، ٦٨٨ . 4
- ٥٤ ( حفيف ) وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْمَاعًا ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ . 3
- ٥٥ ( طویل ) مخافة تُظهِمُ لِلْفُؤَادِ مُرُوجُ ٦٦٨ . 4
- \*\*\*
- ٥٦ ( طویل ) ولنبشَّ حَوْلَ من يديه حفيفُ ٣٠٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٠ ، ٤٨١ . 2
- ٥٧ ( كامل ) من آء هاشم بن عبد مناف ١٥٧ ، ٢٠٤ ، ٦٦٣ . 4
- ٥٨ ( سريع ) عَاجِلَةٌ أَلْفًا عَلَى أَلْفِ ٦٦٧ . 4
- ٥٩ ( منسرح ) والسحن والقيد يا أبا دُلف ٢٢٥ . 2
- \*\*\*

- ٦٠ ( طويل ) وغيرى بغير اللاذقية لاحقاً ٢٣٩ . ٢
- ٦١ ( كامل ) أبداً غرابُ البين فيها ينعق ٢٣٧ . ٢
- ٦٢ ( وافر ) أُنْذِرِي الدَّمْعُ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا ٦٤٢ . ٤
- ٦٣ ( طويل ) وللحبِّ ما لم يبق مَنى وما بقى ٦٧٣ . ٤ ، ٣٤٦ ، ٣٣٣ . ٢
- ٦٤ ( طويل ) تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ ٦٧٤ . ٤
- ٦٥ ( رجز ) أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي ٦٨٧ ، ٦١٩ . ٤ ، ٢١١ ، ٢٠٣ . ٢
- ٦٦ ( خفيف ) زُرْتُ لَحَالَ التُّحُولِ دُونَ الْعِنَاقِ ٦٣٦ . ٤
- \*\*\*
- ٦٧ ( وافر ) أَدَاةٌ أَوْ نَجَاةٌ أَوْ هَلَاكَا ٣٩٠ ، ٣٨٢ . ٢
- \*\*\*
- ٦٨ ( سريع ) منشورة الضُّفْرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ ٤٩٩ ، ٤٨٧ . ٣ ، ١٨٣ . ٢
- ٦٩ ( طويل ) ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي ، قَصِيرٌ يُطَاوِلُ ٦٩٣ ، ٦٧٤ ، ٦٦٥ ، ٦٤٣ . ٤ ، ٣٥٩ . ٢
- ٧٠ ( طويل ) وَآخِرُ قُطُنٍ مِنْ يَدِيهِ الْجِنَادِلُ ٢٤٨ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ . ٢
- ٧١ ( طويل ) فَكُمُ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يُؤُولُ ٦٧٣ . ٤ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٢٦٧ . ٢
- ٧٢ ( بسيط ) فَلْيَسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يَسْعِدِ الْحَالُ ٣٦٧ ، ٣٦٦ . ٢
- ٧٣ ( وافر ) تَأَنَّ وَعَدَّهُ مِمَّا تُثْبِلُ ٦٧٣ . ٤ ، ٣١٩ . ٢
- ٧٤ ( كامل ) أَبَدَاً إِذَا كَانَتْ لَهْنٌ أَوَائِلُ ٢٨٢ ، ٢٨١ . ٢
- ٧٥ ( منسرح ) تَعَجَّرَ عَنْهُ الْعِرَاسُ الدُّلُّ ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٠ ، ٢٥٩ . ٢
- ٧٦ ( خفيف ) فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقَفُولُ ٣٢٩ - ٣٢٧ . ٢
- ٧٧ ( متقارب ) أُيْقِدُحُ فِي الْخَيْمَةِ الْعُدْلُ ٦٧٣ . ٤
- ٧٨ ( بسيط ) إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا ١٨٩ . ٢
- ٧٩ ( وافر ) فَسَاعَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوَصَالَا ٢٦٩ . ٢ ، ٩٤ . ١
- ٨٠ ( كامل ) فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَهُ رَسُولًا ٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٣٤ . ٢
- ٨١ ( خفيف ) يَنْفَارِسُنْ جَهْرَةً وَاعْتِيَالًا ٣٩٩ . ٣
- ٨٢ ( خفيف ) تَكُنِ الْأَفْضَلُ الْأَعَزُّ الْأَجَلًا ٣٤٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦ . ٢
- ٨٣ ( طويل ) بَرِيحًا مِنَ الْجَرَحَى سَلِيمًا مِنَ الْقَتْلِ ٤٩٧ . ٣ ، ١٩٨ . ٢
- ٨٤ ( طويل ) تَفَوْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهَبٌ جَزُلُ ٣٢٢ . ٢

- ٨٥ ( بسىط ) دىعا فلبأه قلى الرىك والابلى ٣٤٥ . 2
- ٨٦ ( بسىط ) وقدا أىغذاً إالىه عىبر مُحْتَفِل ٦٦٦ . 4
- ٨٧ ( وافر ) نصىبىك فى مَنابىلك مى خىال ٦٩٢ ، ٦٧٣ ، ٦٣٦ . 4 ، ٣٦١ ، ٣٢٠ . 2
- ٨٨ ( خفىف ) وانظُر الیومَ ما تَرى مى قَتالى ٥٩٥ . 4
- ٨٩ ( متقارب ) وتغفر للمذنب اللى اهل ٣٥٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ . 2
- \*\*\*
- ٩٠ ( طویل ) فتسكن نفسى أمْ مْهانَ فَمُسَلَم ٢٥٧ ، ٢٥٦ . 2
- ٩١ ( طویل ) إذا كانَ مَذْحُ فالنسیبُ المَقْدَم ٦٧٣ . 4
- ٩٢ ( طویل ) وعَلَمنا التوىة لو نَتَعَلَم ٦٩٤ ، ٦٤٨ . 4
- ٩٣ ( طویل ) على قَدَرِ أهلى العَزَمِ تَأْنى العَزائم ٦٩٧ ، ٦٩٦ . 4
- ٩٤ ( طویل ) كما تُثِرْتُ فوقَ العروسِ الدِراهم ٦٣٨ ، ٦٣٧ . 4
- ٩٥ ( سىط ) بأئنى خىبر مى تُسعى به قَدَم ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٤٤ ، ٣٩٢ ، ٤٤٣ . 3 ، ٤٤٤ . 4
- ٩٦ ( بسىط ) كىما تزولُ شىكوكُ الناسِ والتهم ٦٦٧ ، ٦٦٦ ، ٦٥١ ، ٦٣٥ ، ٦٣٤
- ٩٧ ( وافر ) وعمرٌ مِثْلُ ما تَهَبُ اللّامُ ٣٨٩ . 2
- ٩٨ ( كامل ) عرضاً نظرتُ وخَلْتُ أُنّى أُسَلَم ٢٦١ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٠ . 2
- ٩٩ ( منسرح ) تفلحُ عُرْبٌ ملوكُها عَجَم ٢٩٤ . 2
- ١٠٠ ( خفىف ) ... غِذاءٌ تَضَوى به الأحسامُ ٢٦٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ . 2
- ١٠١ ( خفىف ) ... لَهُ فِىكَ وخائنه قُربكُ الأيامُ ٢٧٤ ، ٢٥٢ ، ٢٤٥ . 2
- ١٠٢ ( طویل ) بها أُنْفُ أَنْ تسكن اللحم والعظمًا ٣١٩ . 2
- ١٠٣ ( كامل ) هم أقامَ على فؤادٍ أنجمًا ١٦٠ . 2 ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٣ - ١٧٦ ، ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٨١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٤٣٤ . 3 ، ٤٣٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
- ١٠٤ ( طویل ) وحى مى فى شقوةٍ وإلى كم ٦١٤ . 4 ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠١ . 3 ، ١٨٧ . 2
- ١٠٥ ( طویل ) وأمّ ومن يَمِت خىر مِىم ٥٠٣ ، ٥٠٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ . 3 ، ١٨٥ . 2
- ١٠٦ ( طویل ) كأنهم ما حَفَّ من زادٍ قادم ٣٥١ . 2 ، ٤٥ ، ٤٤ . 1
- ١٠٧ ( بسىط ) فإِنما يَقْطَطُ العين كالْحُلُم ٣٠٢ . 1 ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ . 3
- ١٠٨ ( بسىط ) ولا القناعَةُ والإقلالُ من شىمى ٦٣٣ . 4 ، ٥٦٥
- ١٠٧ ( بسىط ) فإِنما يَقْطَطُ العين كالْحُلُم ٢٣٧ . 2
- ١٠٨ ( بسىط ) ولا القناعَةُ والإقلالُ من شىمى ٢٤٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ . 2

- ١٠٩ ( بسيط ) ويبجى خبرى عن صيمة الصميم ٢٤٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٠ ، ١٩٩ . ٢ ، ٧٢ . ١
- ١١٠ ( بسيط ) فيما النفوس تراه غاية الألم ٦٥٠ ، ٦٢٦ . ٤ ، ٢٦١ ، ٢٣٤ ، ١٨٤ . ٢
- ٦٩٥ ، ٦٩٤
- ١١١ ( وافر ) خفي عنك في الهيجا مقامى ٦٨٦ ، ٦١٨ ، ٦١٧ . ٤ ، ٢١٠ ، ٢٠١ . ٢
- ١١٢ ( وافر ) بسير أو قناة أو حسام ٦٩٤ ، ٦٢٦ . ٤ ، ٤٣٢ . ٣ ، ٣٦٩ ، ٣٦٨ . ٢ ، ٤٧ . ١
- ١١٣ ( كامل ) جدت جمامى قبل يوم جمامى ٣٩١ ، ٢١٨ - ٢١٦ . ٢ ، ٦٦ ، ٣٨ . ١
- ١١٤ ( خفيف ) فافتضحنا بنوره في الظلام ٦٦٢ . ٤
- \*\*\*
- ١١٥ ( بسيط ) ولا نديم ولا كأس ولا سكر ٦٩٤ . ٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ . ٢ ، ٧٢ . ١
- ١١٦ ( بسيط ) فلا أعاتبه صفحا وإهوانا ٣٨٣ ، ١٨٦ . ٢
- ١١٧ ( كامل ) ثم اعترفت لها فصارث ديدنا ٦٧١ ، ٦٣٦ . ٤ ، ٢٧١ . ٢
- ١١٨ ( بسيط ) ولا أمرٌ يخلق غير مضطغن ٦٢٨ . ٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٠ - ٢٧٨ ، ٢٧٣ . ٢
- ١١٩ ( بسيط ) وقرق الهجر بين الجفن والوسن ٤٨٤ ، ٤٨٣ . ٣
- ١٢٠ ( بسيط ) ثم استوى فيه إسرارى وإعلانى ١٨٩ . ٢
- ١٢١ ( وافر ) بضوئهما ولا يتحاسدان ١٤٣ . ٢
- ١٢٢ ( وافر ) بمنزله الربيع من الزمان ٣٨٣ ، ٣٨١ . ٢
- ١٢٣ ( وافر ) أمانيها ، وضوء الناظرين ٥٩٢ ، ٥٩١ . ٤
- ١٢٤ ( كامل ) فكأنما يُبصر بالآذان ٦٩٣ ، ٦٣٦ . ٤
- \*\*\*
- ١٢٥ ( كامل ) ران الإمامة بالوصى ٦٤٥ . ٤
- ١٢٦ ( طويل ) لفارقت شينى موجه القب باكيا ٣ ، ٣٦٢ ، ٣٤٩ ، ٣٤٨ ، ٣٠٩ . ٢ ، ٧١ . ١
- ٤٨١ ، ٤٨٠
- \*\*\*
- ١٢٧ ( كامل ) وأرى بطرف لا يرى بسوائه ٤٨١ . ٣
- ١٢٨ ( مجتث ) ما أنصف القوم ضبة ٦٩١ ، ٦٥٢ . ٤ ، ٣٩١ . ٢
- ١٢٩ ( سريع ) نعا ف ما لأبد من شربه ٦٢٦ . ٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٥٥ . ٢
- \*\*\*
- ١٣٠ ( كامل ) ... فى كل مليحة ضراتها ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٤٠ ، ١٦٥ . ٢

- ١٣١ ( حفيف ) فِي عَلَاهُ حَتَّى ثَنَاهُ اعْتِقَادُهُ ٦٦٩ . 4
- ١٣٢ ( طويل ) وَأَشْكُو إِلَيْهَا يَمِينًا وَهِيَ جَنْدُهُ ٦٧٥ . 4 ، ٣٥٨ ، ٣٥٠ . 2
- ١٣٣ ( منسرح ) أَبْعُدْ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا ٥١٢ ، ٥١١ . 3 ، ١٥٢ . 2 ، ٥٨ ، ٥٧ . 1 ، ٥٢٠ ، ٥١٩ ، ٥١٦ ، ٥١٥
- ١٣٤ ( بسيط ) يَغْرَى طَلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ ٦٠٠ . 4
- \*\*\*
- ١٣٥ ( منسرح ) .... وَالنَجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَّهَهُ ٤٠٤ . 3 ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٣٣ ، ١٣٧ . 2 ، ٤٦ . 1 ، ٤٤٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٠ ، ٤١٤ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨
- \*\*\*
- ١٣٦ ( منسرح ) غَيْرَ سَفِيهِ عَلَيْكَ مَنْ شَتَمَكَ ٦٢٤ . 4
- ١٣٧ ( طويل ) وَفَاؤُكَ كَالرَّعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ ٣١٧ ، ٣١٦ ، ٣١٣ ، ٣١١ ، ٣٠٦ . 2 ، ٦٧٣ ، ٦٦١ ، ٦٤٤ ، ٦٣٠ ، ٦٢٧ . 4 ، ٣١٩
- \*\*\*
- ١٣٨ ( مديد ) يَا لَفَحْطَانِي وَيَعْرِيبَةَ ٦٥ . 1
- \*\*\*

## أبيات لغير المتنبي

- ١ ( طويل ) وَلَمْ يَأْتْ مَا يَأْتِي مِنَ الْأَمْرِ هَائِبًا سَعْدُ بْنُ نَاشِبِ الْمَازِنِي ٤٦ . 1
- ٢ ( طويل ) بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنَّتْ حَاجِبِ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ ٦٧٧ ، ٦٣٠ . 4
- ٣ ( وافر ) عَلُوٌّ لِي يُلَقَّبُ بِالْحَبِيبِ سَيَبُويهِ الْمَوْسُوسُ ٦٧٠ . 4
- ٤ ( مجتث ) عَلَى قَفَا الْمُتَنَبِّئِ ابْنُ الْحَاجَّاجِ الشَّاعِرِ ٦٢٥ . 4
- \*\*\*
- ٥ ( كامل ) وَالْقَوْلُ بِالصَّدِّقِ الْمُبِينِ يَنْتَضِعُ الضَّبُّ الضَّرِيرُ ٦٢٥ . 4
- ٦ ( طويل ) وَمَا زَالَتْ الْأَشْرَافُ تُهْجَى وَتُمْدَحُ ٦٥٣ ، ٥٩٧ . 4
- \*\*\*
- ٧ ( بسيط ) فَالْصُّحُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ ابْنُ الْمُعْتَزِ ٦٧٧ . 4
- ٨ ( طويل ) وَجُرْدَتْ تَجْرِيدُ الْيَمَانِي مِنَ الْعَمْدِ ذُو الرِّمَةِ ٤٠١ . 3
- ٩ ( كامل ) وَمُتَهَدَّبُ الْأَنْبَاءِ وَالْأَجْدَادِ عَلَى بَنِ مَرٍّ ٦٠١ . 4
- \*\*\*
- ١٠ ( طويل ) أُخْرِرُ حَبْلًا لَيْسَ فِيهِ بَعِيرُ الْأَحْمِرُ السَّعْدِيُّ اللَّصُّ ٤٦٤ . 3

- ١١ ( وافر ) فَلَا رَجَعْتُ وَلَا رَحَعَ الْجَمَارُ ٤٤٦ . ٣
- ١٢ ( وافر ) قِبَائِلُ يَغْرُبُ وَبَنَى نَزَارِ أُو زهير الحمدانى ٦٦٥ . ٤
- ١٣ ( كامل ) مُتَطَلِّبٌ فِى الْمَاءِ جُنْدُوهُ تَارِ ١١٦ . ١
- ١٤ ( كامل ) عَيْنُ الضَّمِيرِ يَرَاكَ أَحْسَنَ مِظْرٍ عَلَى بِن مَرَّ ٦٠١ . ٤
- \*\*\*
- ١٥ ( كامل ) وَالْخَيْلُ مِنْ تَحْتِ الْفَوَارِسِ تَنْحَطُّ أَبُو العشائر الحمدانى ٦٦٥ . ٤
- \*\*\*
- ١٦ ( بسيط ) فَأُصْبِحَا فِى فُؤَادِى ثَانَتَيْنِ مَعَا المجنون ٤٨١ . ٣
- ١٧ ( وافر ) لَهُ دَاعٍ يَقْصِرُ عَنْ ذِرَاعِ ( المحسن التتوخى ) ٣٧١ . ٢
- \*\*\*
- ١٨ ( بسيط ) وَبِهِمْ مُصِيبَاتُهُ دِرَاكَا أَبُو نواس ٦٦٨ . ٤
- \*\*\*
- ١٩ ( طويل ) يُؤُومُ عَلَى الْخُلِّ الرَّحَالِ وَيَخْلُ الشاعِر ٦٣٠ . ٤
- ٢٠ ( متقارب ) مَقَالَ أَمْرِئٍ مَنَصِيفٍ لَيْسَ يُغْلُو أَبُو الفتح البُستى ٦٢٨ . ٤
- ٢١ ( متقارب ) وَأَرْعَدُ يَمِينًا وَأُزِقُّ شِمَالًا ١٤٧ . ٢
- ٢٢ ( طويل ) وَلَمْ أَتَطْنُ كَاعِبًا ذَاتَ خُلْخَالِ أَمْرُو القيس ٦٩٧ ، ٦٩٦ . ٤
- ٢٣ ( بسيط ) عَلَى الْمَكَارِهِ عَابَ الْبُذْرِ فِى الطَّلِيلِ أَخْتُ المثنى ٦٩٦ . ٦٥٦ . ٤
- ٢٤ ( سريع ) مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ النَّاسِلِ أَمْرُو القيس ٦٥٥ . ٥٩٩ . ٤
- \*\*\*
- ٢٥ ( بسيط ) ضَلُّوا عَنِ الرَّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بِهِ وَعَمُوا اس لِكَلْ ١٥٨ . ٢
- ٢٦ ( كامل ) رَصَدَايَ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ أَشْجَعُ السُّلْمَى ٦٦٨ . ٤
- ٢٧ ( كامل ) قَعَدَ الْمَلُوكُ بِهِ لَدَيْكَ وَقَامُوا السرى الرفاء ٦٤٢ . ٤
- ٢٨ ( طويل ) وَبَيْنَ تَمِيمٍ عَيْرٍ حَزَّ الْغَلَاصِمِ الشَّمْرُذَل ٤٠٠ . ٣
- ٢٩ ( وافر ) كَمَا تَزْدَادُ أَنْتَ عَلَى السَّقَامِ ٦٦٣ . ٤
- \*\*\*
- ٣٠ ( طويل ) عَلَيَّهَا مَنَظِّبَاتُ الْخَصَرِ مِى الْمُلْسِنَا أَبُو نواس ٥١٥ . ٣
- ٣١ ( محتث ) يَزْدَادُ مِثْلُكَ حُسْنًا أَبُو محمد س وكيع ٦٦٢ . ٤
- ٣٢ ( خفيف ) إِذْ دَهَانَا فِى مِثْلِ ذَاكَ اللَّسَابِ مصفر س على الرورى ( أبو القاسم ) ٦٩٥ . ٦٥٦ . ٤



٣٣ ( خفيف ) متنيكم ابن سقاء كوفان .. ابن لنكك ١٥٩ . 2

\*\*\*

٣٤ ( خفيف ) ... من الناس بكرة وعشياً ١٥٨ . 2

٣٥ ( كامل ) .. الطير عن أرنابها دحتوس بت لقيط بن زرارة ٦٥٥ . ٥٩٩ : 4

٣٦ ( طويل ) لستره فيما أئى أنت سائرته مذول العدى ٤٦٩ . 3

٣٧ ( متقارب ) حديث العذارى بأسرارها ٥١٧ . 3

٣٨ ( طويل ) صنيعة تقوى ، أو خليلاً نوايقه كثير ٦٧٦ . 4

٣٩ ( طويل ) وأعرضت عنه وهو ياد مقابلة ٥٦٩ . 3

٤٠ ( طويل ) وذو باطل إن شئت أرضاك باطله العخير السلوى ١١٥ . 1

\*\*\*

٤١ ( طويل ) لا رجم الله روح من رجمك الضب الصرير الشامى ٦٢٤ . 4

\*\*\*

٤٢ ( رجز ) مسلم ما أنساك ما حيث رؤية ٦٦٣ . 4

٤٣ ( رجز ) إئى وكل شاعر من البشر ٤٠٨ . 3

٤٤ ( رجز ) نفس عصام سودت عصاماً ٤٤٢ . 3

٤٥ ( رجز ) يا حبذا مقاماً بالكوفة ١٤٠ . 2

\*\*\*

٤٦ ( طويل ) تبحن بزوراء المدينة ناقتى الفرردق ٤٠٠ . 3

وتمامه :

حبين عحول تبغى البو رائيم

\*\*\*

## فهرس الحديث والأمثال

- « الحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبِدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ » ٤٥١ . 3  
 « الْمَتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسَ ثَوْبَيْ زُورٍ » ٧٤ . 1  
 « يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلِيفٍ عُذْلُوهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَاتِّحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْهَاطِلِينَ » ٤٥٠ . 3

\*\*\*

## أمثال

- « أَنْتِ كَابِتَةُ الْخَيْلِ ، مَهْمَا يُقْلَ ثَقُلَ » ٤١٧ . 3  
 « أَتَقِي الصَّبِيَّانَ لَا تُصِيبَكَ بِأَعْقَانِهَا » ٤٤٩ . 3  
 « حَاءَ بَقَرَتِي جَمَارٌ » ٤١٩ . 3  
 « جَاوَزَ الْجَزَامَ الطُّبَّيْنِ » ٤٢٠ . 1  
 « اخْتَلَطَ الْمَرْعَى بِالْهَمَلِ » ٤٨٣ . 3  
 « حَلَالُكَ الْخَوَّ قَبِيضِي وَأَصْفَرِي » ٢٩٠ . 1  
 « حَمْرُ أَبِي الرَّوْفَاءِ لَيْسَتْ تُسَكَّرُ » ١٠٤ . 1  
 « حَيْرُ السَّرْفَةِ مَا لَا يَجِبُ فِيهِ الْقَطْعُ » ٤٠٠ . 3  
 « سَقَطَ الْعَشَاءُ نَهْ عَلَى سِرِّ حَانٍ » ٤٢٢ . 3  
 « شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطُّوْقِ » ١١٤ . 1  
 « شَرُّ مِنَ الْمَوْتِ ، مَا يَتَمَنَّيْ مَعَهُ الْمَوْتُ » ٤٧٥ . 3  
 « الْعُرَى الْفَادِحُ ، خَيْرٌ مِنَ الرَّيِّ الْفَاضِحِ » ٤٣٣ . 3  
 « عَيْيُ الصَّمِيَّتِ ، خَيْرٌ مِنْ عَيْيِ النَّطْقِ » ٤٤٧ . 3 ، ٤٥٣  
 « الْعَمَرَاتُ تُمَّ يَنْجَلِينَ » ٧٥٠ . 1  
 « لَا مَجُوسِيًّا عَرَفْتُ ، وَلَا يَهُودِيًّا وَصَفْتُ » ٤٠٠ . 1  
 « مَا كُلُّ بَيْضَاءٍ شَحْمَةٌ ، وَلَا كُلُّ سَوْدَاءٍ ثَمَرَةٌ » ١٠٦ . 1  
 « الْمَحْبِيَّةُ تَقْتُلُ نَفْسَ الْخَائِلِ » ٤٢٤ . 3  
 « مَنْ يَمْدَحُ الْعُرُوسَ إِلَّا أَهْلُهَا » ٤٠٢ . 3

\*\*\*

## أمثال عامية

- « جَلَمُ الْقَطِطِ كُنْهَ فَرَانِ » ١١٦ . 1  
 « رَجَعَتْ رَيْمَةٌ ، لِعَادَتِهَا الْقَدِيمَةِ » ١٠١ . 1  
 « مِنْ دَقَّتْهُ وَأَقْبَلَ لَهُ » ٩٨ . 1

## سيرة أبي الطيب المتنبي (أفردتها بالذِّكر ، ولم أدخل بعضها في فهارس الأعلام)

- أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعْفَى ، (ابن عِيْدَانَ السَّقاء)
- أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعْفَى
- أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعْفَى
- نسبه : ١. ٥٦ ، 2. ١٣٧ ، 4. ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩
- والد المتنبي (عِيْدَانَ السَّقاء ، الحسين) : 1. ٥٣ ، 2. ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٢ - ١٦٨ ، ١٧٢ ، 3. ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٩ ، ٤٦٩ ، 4. ٥٩٩ (عدنان بالباء الموحدة) ، ٦١١ ، ٦١٣ ، ٦٢٤ ، ٦٦٦ ، ٦٨١ ، ٦٨٣
- أمُّ المتنبي (همدانية) : 2. ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، 3. ٤٠٣ ، ٤١٣ ، ٤١٦
- مرضعة المتنبي ، من آل عبيد الله بن يحيى (على) العنوية : 1. ٥٥١ - ٥٧ ، 2. ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، 4.
- 609 ، 610 ، 589
- جدُّ المتنبي : 3. ٤١٨ ، ٤١٩
- حَلَّةُ المتنبي : 2. ١٣٩ ، ١٦٣ - ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ - ١٨٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٧٧ - ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ - 3. ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ - ٤٥٧ ، ٤٦٢ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، 4. ٦١٢
- رُوُجُ المتنبي وعياله : 1. ٥١ ، ٧٠ ، 2. ٢٣٩ ، ٣١٨ - ٣٢٢
- أخوه المكفوف لأبيه وأمه ، بغداد : 1. ٥٦ ، 4. ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦٨٣
- أخت المتنبي (تريثه) : 4. ٦٥٦ ، ٦٩٦
- ابن عمِّ للمتنبي بالكوفة : 4. ٥٩٠
- المحسَّد ، ابن المتنبي : 1. ٧٠ ، 2. ٢٤٠ ، ٣١٨ ، 4. ٦٠٤ ، ٦٤٩ ، ٦٦١ ، ٦٩١
- سِرَاح ، غُلام المتنبي : 4. ٥٩٥
- مُفْلِح ، غلام المتنبي : 4. ٦٠٤
- راوية شعر المتنبي (أبو الحسين محمد بن محمد بن سلمان) : 4. ٥٩٢
- وكيل المتنبي لمحَب (أبو سعد) : 4. ٦٤٦
- صاحبُ المتنبي (على بن حمزة البصري) : 4. ٥٩٦
- صاحب المتنبي (أبو الحسب العروصي) : 4. ٥٩١

- صاحب المتنبي (الحسن بن حامد التاجر) : 4 . ٥٩١
- صاحب المتنبي (الحسن بن علي بن الحلاب) : 4 . ٦٣٥
- دار المتنبي بحلب : 4 . ٦٠٨ ، وانظر أيضاً « زبدة الحلب » لابن العديم ٣ : ١٧
- ضيعة المتنبي بمجرة النعمان (بصّف) : 4 . ٦٣١

\*\*\*

- عمود صورة المتنبي ، كما رأيته : ٤٩١ - ٧٥ ، ٧٧ ، ثم الكتاب كله .

\*\*\*

- هذا موحز سيرة المتنبي . ثم إذا ما تصفّحت « فهرس الأعلام » ، وجدت كثيراً مما يمكن أن يُضَمَّ إليه ، من ذكر من روى عن المتنبي ، أو من رآه أو سمعه أو صحبه ، أو كتب شعره أو ديوانه ، أو طارحه الحديث . وبعض ذلك مُبيّن أمام بعض الأعلام المذكورة في الفهرس الذي يلي هذا .

\*\*\*

## فهرس الأعلام

- إبراهيم النظام المعتزلى : ٤٠٠ . 3 ، ٥٤٤ ، ٥٥٥  
 أبو إبراهيم ( حليس سيف الدولة ) : ٦٤٣ . 4  
 إبراهيم بن حبيب السقطى ( أبو إسحق ) : ٦٤٢ . 4  
 إبراهيم بن عبد الله بن ( المغرى ) ( أبو إسحق ) : 4  
 ٦٩٢ ، ٦٠٩  
 إبراهيم عبد القادر المازنى : ١٠٦ . 1  
 إبراهيم بن محمد ( الإفلىلى ) : ٦٦٠ . 4  
 ابن الأثير ( ضياء الدين ) ( صاحب التاريخ ) : 4  
 ٦٦١ ، ٥٩٦ ، ٥٩١  
 إحسان عباس : ٥٨٦ . 4  
 أبو أحمد ( عبد العزيز بن الفضل ) : ٥٩٠ . 4 ،  
 ٥٩٩ ، ٥٩٥  
 أحمد بن إبراهيم الضبى ( أبو العباس ) : ٦٤٢ . 4  
 أحمد بن بويه الديلمى ( معز الدولة ) : ١٥٩ . 2  
 أحمد تيمور باشا : ١٢ ، ١١ . 1  
 أحمد بن أبى جعفر القطيعى : ٦١١ . 4  
 أحمد حس الزيات ( صاحب الرسالة ) : ٨١ . 1  
 أحمد بن الحسين المالكى ( أبو الفرج ) ( مدحه  
 المتننى ) : ٢٥٦ . 2  
 أحمد راتب النّاقح : ٦٠٣ ، ٥٤ . 1  
 أحمد بن زاهر ( أزهر ) بن عبد الوهاب البغدادى :  
 ٦٣٥ ، ٦٣١ . 4  
 أحمد بن سليمان ( أبو العلاء المعرى )  
 أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى ( أبو الفرج )  
 ( مدحه المتننى ) : ٢٨١ . 2  
 أحمد بن عبد الرحيم الأصفهاني لمتنبى : ٦٢٤ . 4  
 أحمد بن على بن ثابت ( الخطيب البغدادى )  
 أحمد بن عمران ( أبو أيوب ) ( مدحه المتننى ) : 2 .
- ٢٨٣ ، ٢٤٠  
 أحمد بن فارس : ٦٢٧ . 4  
 أحمد لطفى السيد : ١٥٠ . 1  
 أحمد محرم ( الشاعر ) : ٧٩ . 1  
 أحمد بن محمد ، أبو الحسن ( المغرى )  
 أحمد بن محمد ( أبو الفضل العروضى ) : ٦٦٠ . 4  
 أحمد بن محمد بن أحمد ، أبو طاهر ( السلفى )  
 أحمد بن محمد بن الحسن ( تاج الأماء ) : ٦٠٩ . 4 ،  
 ٦٥٥  
 أحمد بن محمد ، مسكويه ( الأستاذ أبو على ) : 4 .  
 ٦٢٢  
 أبو أحمد بن نصر ( البازيار )  
 أحمد بن يحيى بن زهير بن أبى جرادة ( القاصى أبو  
 الحسن ) ( جد جد والد ابن العديم ) : ٦٥١ . 4  
 الأحمير السعدى الشاعر اللص : ٤٦٤ . 3  
 الإحشيد ( محمد بن طمع ) ( أبو بكر ) : ٢٢٣ . 2 ،  
 ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٣٠٣ ، ٣٣٦ ، ٤٤٤ . 4  
 الإخشيدية : ٢٠٠ . 2 ، ٢٢٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،  
 ٣٠٣ ، ٣٢٨ ، ٦١٦ . 4 ، ٦٨٥  
 الأخطل : ٤٠١ . 3  
 الأدياء ( من العلويين ) : ١٥٤ - ١٥٦ ،  
 ١٦٩ ، ٢٥٣ ، ٢٩٣  
 ابن أبى الأزر ( المؤرج ) : ٦٢٣ ، ٦٢٤  
 أبو إسحق الصائى : ٦٣٨ ، ٦٣٩  
 إسحق بن كيقلف ( ابن كيقلف )  
 نو أسد ( عمرو بن حاس ) : ٩٢ ، ٩٣ ،  
 ٢١٥ . 2 ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ . 4  
 ٥٩٦ ، ٥٩٩ ، ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٩١

- أسد بن ربيعة بن نزار : 4 . ٥٨٧
- إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على (الخدوي) : 1 . ٢٠
- الأشتر (المشطب) : 2 . ١٥١ ، 4 . ٦١٠
- أشجع السلمي : 4 . ٦٦٧
- الأشراف ( العويون ) : 2 . ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ٥٤٤ . 4
- الأصفهاني ( أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن ) : 1 . ٥٣ ، ٥٤ ، 2 . ١٤٢ - ١٤٤ ، ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٤٧٣ . 3
- الأصمعي : ٦٨١
- الأعاجم ( العجم ) : 2 . ١٩٧
- الأعلم الشنتمري ( يوسف بن سليمان ، أبو الحجاج ) : 4 . ٦٦٠ ، ٦٦١
- الأعشى : 1 . ٣٩ ، 3 . ٤٠٥
- أبو الأغر بن سعيد بن حمدان : 2 . ٢١٥ ، ٢١٦
- الإفليل ( إبراهيم بن محمد ، أبو القاسم ) : 4 . ٦٦٠
- أمين المعلوف ( معجم الحيوان ) : 1 . ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥
- ابن الأنباري ( عبد الرحمن بن محمد ، أبو البركات الكمال ) : 4 . ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٦٦٠
- أستاس الكرملي القس : 4 . ٤٣
- الأنطاكي ( أحمد بن عبد الله بن الحسين )
- ( الحسن بن عبد الله بن الحسن )
- ( علي بن أحمد الأنطاكي )
- الأوراحي ( هرون بن عبد العزيز ) : 2 . ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٣٦١
- أونو حور ( بن الإخشيد ) : 4 . ٦٤٤
- أبو أيوب ( أحمد بن عمران ) ( مدحه المتنبى ) : 2 . ٢٤٠
- أبو أيوب ( المورياني ) : 2 . ١٧٨ ، ١٧٩
- \*\*\*
- ابن بادث ( عبد الصمد بن بادث ، أبو القاسم ) : 4 . ٦٤٣
- الباربار ( أبو أحمد بن نصر ) ( ورير سيف الدولة ) : 4 . ٦٦٧
- اس ياكويه الشيرازي ( أبو عبد الله محمد بن عبد الله ) ( روى عن المتنبى ) : 4 . ٦٠٨ ، ٦٩٢
- البيعاء ( أبو الفرج ) ( عبد الواحد بن نصر ) : 2 . ٦٣١ . 4 ، ١٥٨
- بجكم التركي : 1 . ٧٢
- البحتري : 4 . ٦٦١
- بختيار ( عز الدولة ) بن معر الدولة : 4 . ٦٢٨
- بدر الخرشني : 1 . ٨٨
- بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي ( أبو الحسين ) ( مدحه المتنبى ) : 1 . ٦٧ ، ٧١ ، ٨٤ - ٨٧ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، 2 . ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦
- البديعي ( صاحب الصبح المتنبى ) : 1 . ٧٤ ، 3 . ٥٩٤ - ٥٩٢ ، ٥٦٢ ، ٥١٣
- أبو البركات ( محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل )
- أبو البركات بن أبي الفرج ( ابن زيد التكريتي ) : 4 . ٦٧٥
- بنو برمك : 4 . ٦٦٨
- اس برهان ( أبو القاسم بن برهان ) ( عبد الواحد بن علي ) : 2 . ١٣٧
- بشار بن برد : 3 . ٤٢٨
- بشر بن عبد الوهاب القرشي : 2 . ١٤١
- ابن بشران ( أبو غالب ) : 4 . ٦٣١
- البغدادى ( صاحب الخزانة ) : 1 . ٥٣ ، 3 . ٤٧١

التوخيون : ١٨٧. ١ ، ٨٩ ، ١٢٠ ، ١٤٩. ٢ ،

١٥٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠. ٣

توفيق الحكيم : ١١٨. ١

\*\*\*

الْقُرَيَّا ( فرس لسيف الدولة ) : ٦٣٣. ٤

الضعالبي ( أبو منصور ) ( يتيمة الدهر ) : ٤١٨. ٣ ،

٦٢٢. ٤

بنو ثعلبة : ٢١٥. ٢

ثمود : ٢٣٣. ٢ ، ٦٨٨. ٤

\*\*\*

الجاحظ : ٥٤٤. ٣ ، ٥٥١ ، ٥٥٥

جالينوس : ١٨٩. ٢ ، ١٩٠

جُدَّان بن جديلة بن أسد : ٥٨٧. ٤

جُدَيَّ بن جديلة بن أسد : ٥٨٧. ٤

جديلة بن أسد بن ربيعة : ٥٨٧. ٤

ابن أبي جردة ( عبد الصمد بن رهبر بن هرون )

( روى عن المتنبى ) : ٦٠٨. ٤

اس أبي جَرَادَة ( أحمد بن يحيى بن زهير )

الخرجاني ( علي بن عبد العزيز ، القاضي ) : ٦٦٠. ٤

جرجي زيدان : ٢٤١ ، ٢٥٠

جرير : ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨

أبو جعفر المصور : ١٧٧. ٢ - ١٧٩

أبو جعفر ( محمد بن الحسن ) : ٦٠١. ٤

أبو جعفر ( محمد بن الحسين بن حمزة )

أبو جعفر الشَّقَّ ( الشريف العباسي ) : ٤٤٥. ٣ ،

٤٤٦

جعفر بن أبي الفضل بن جعفر ( ابن خنزاية )

جعفي ( بن سعد العشير ) : ١٤٨. ٢ ، ٢١٢. ٣ ،

٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٠ - ٤٢٧ ، ٤٦٩ ، ٥٤٥ ،

٥٧٢ ، ٥٩٠ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦٨٢ ،

٦٨٣

٤٧٧ ، ٦١٠. ٤

ابن بقلبة : ١٤٠. ٢

أبو بكر ( بدر بن عمار )

( محمد بن رائق )

أبو بكر الخوارزمي : ٦٣٠. ٤

أبو بكر الطائ ( روى عن المتنبى ) : ٦٠٩. ٤ ،

٦٩٢

أبو بكر الفَرغاني ( صاحب المتنبى ) : ٦٨٩. ٤

أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان : ٦٧٦. ٤

بلاشير ( المستشرق ) : ٨٢. ١ ، ٩١ ، ١٠٨ ،

١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ٤٩٣. ٣ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،

٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ،

٥١٣ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨

أبو البهاء بن عدى ( شيخ رَفِيَّة ) : ٦٣٢. ٤

بهاء الدولة بن عضد الدولة : ١٤٣. ٢ ، ١٤٤ ،

بنو بويه : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٩ ، ٢٢٤ ،

٣٠٢ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ،

البيروني ( أبو الرِّيحان ) ( محمد بن أحمد ) : ٦١٤. ٤ ،

٦٢٦

ابن البيطار ( العشاب ) : ١١٣. ١

\*\*\*

تاج الأمناء ( أحمد بن محمد بن الحسن )

التبريزي ( يحيى بن علي ، أبو ركريا ) : ٦٦٠. ٤

الترك : ١٩٧. ٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤٩ ، ٢٩٦ ،

٣٠٣

بنو تغلب : ٢١٥. ٢ ، ٢٢٣

تغلب بن داود بن حمدان ( أبو وائل )

أبو تمام : ٦٧٤ ، ٦٧٥

تميم ( بنو ضبة ) و ( بنو رياح ) : ٦٦. ١

تنوخ ( ملوك تنوخ ) : ١٥٠. ٢ ، ٢٢٨ ،

التنوخى ( المحسن بن علي )

- ابن حنى (أبو الفتح) : ١٨٥، ١٤٤. 2، ٧٣. 1،  
٥٤٨. 3، ٦٢٢، ٦٢٠. ٤، ٦٠٨، ٦١٥، ٦٢٠. ٤، ٦٢٢،  
٦٢٩، ٦٣٥ - ٦٣٧، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٦٠،  
٦٦٥، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٧، ٦٨٨، ٦٩٢،  
٦٩٣  
الجهشبارى (صاحب الوزراء والكتاب) : 2 .  
١٧٧  
الجواليقى (أبو منصور، موهوب بن أحمد) : 4 .  
٦٤٦  
ابن أبى الجوع الوراق المصرى (عبيد الله بن محمد  
ابن أحمد) : ٥٨٦. 4، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٩،  
٦١٠، ٦٩٢  
جويدى الكبير (المستشرق) : ١٨. 1  
جويدى الصغير (المستشرق) : ١٧. 1 - ١٩  
\*\*\*  
الحاتمى (محمد بن المطمّر، أبو الحسن) : ١٤٥. 2،  
٣٧٦، ٦٦١. 4، ٦٧٥  
ابن أبى حامد (أبو على بن أبى حامد)  
ابن الحجاج الشاعر (أبو عبد الله) : 4. ٦٢٥  
الحجاج بن يوسف الثقفى : 3. ٤٧١  
ابن حجر العسقلانى : 4. ٦٠٨  
ابن حزم (جمهرة النسب) : 4. ٥٨٧  
ابن حسام زاده (عبد الرحمن)  
أبو الحسن العلوى (محمد بن يحيى العلوى الزيدى) :  
١٥١ - ١٤٧، ١٣٩، ١٣٨. 2، ٥٦. 1،  
١٦٤، ١٧٠، ١٨٢، ٢٠٦، ٢١٢، ٣٧٦،  
٤٢١. 3، ٦٠٩. 4 - ٦١٣، ٦٨١، ٦٨٢،  
أبو الحسن الطرائقى (رأى التنبى) : ٦٣٢، ٦٣٣  
أبو الحسن العروضى (صاحب التنبى) : 4. ٥٩١  
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (أبو على الفارسى)  
الحسن بن جعفر بن المتوكل البغدادى (أبو على) :
٦٣٤. 4  
الحسن بن حامد التاجر (صاحب التنبى) : 4 .  
٥٩١  
أبو الحسن بن أم شيان القاضى (على بن محمد بن صالح)  
(محمد بن صالح بن على)  
١٣٨. 2  
الحسن بن عبد الله بن حمدان (ناصر الدولة) : 2 .  
٢١٥، ٢١٦، ٣٢١  
الحسن بن عبد الله بن المرزبان (أبو سعيد السيرافى)  
الحسن بن عبيد الله بن ططعج (ابن طعج) (أبو محمد) :  
4. ٥١٤، ٦٣٣  
الحسن بن على الحافظ : 4. ٦٢٢  
الحسن بن على بن الحلاب (سمع التنبى) : 4. ٦٣٥  
الحسن بن على بن الصقر الكاتب (أبو محمد) (روى  
عن التنبى) : 4. ٦٠٨، ٦٩٢  
الحسن بن على بن أبى طالب : 4. ٦٠٢  
الحسن بن عمر بن إبراهيم (أبو محمد) (روى عن  
التنبى) : 4. ٦٠٩  
الحسن بن عمرو الموصلى (ابن دهن الحضا) : 4 .  
٦٣٥  
الحسن بن ليلى (ابن ليلى) : 2. ١٥٨، ١٥٩  
الحسن بن محمد بن وكيع (ابن وكيع) (أبو محمد)  
حسّون المصرى : 4. ٦٦١  
أبو الحسين (محمد بن محمد بن سلمان) (رواية  
التنبى)  
أبو الحسين (كاتب أبى جعفر الشق) : 4. ٤٤٥،  
٤٤٦  
أبو الحسين (الباشىء) (الشاعر)  
أبو الحسين (بدر بن عمار)  
(على بن إبراهيم التنوخى)  
(على بن أحمد المرى)



الخالديان (أبو عثمان سعيد بن هاشم، وأخوه محمد) :

٥٨٠. 1، ١٥٨. 2، ٣٦٢، ٤٠٤، ٦٤٥، ٦٥١،

٦٥٢، ٦٧٢، ٦٩١

ابن خالويه: ٣٥٧. 2، ٣٥٨. 4، ٦٠٨. 4، ٦١٦،

٦٣١، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٦٤،

٦٦٧، ٦٨٥، ٦٨٨، ٦٨٩

الخرشني (ملك الروم): ٨٨. 1، ٨٩. 2، ٢٢٦،

٢٢٧

خروء الطير (بنو أسد): ٥٩٨. 4، ٥٩٩، ٦٥٤،

٦٥٥

الخصبي (محمد بن عبد الله بن محمد)

الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت، أبو

بكر): ١٣٧. 2، ١٣٨. 4، ٥٩١. 4، ٦٠٩،

٦١١، ٦١٥، ٦١٦، ٦٤٢، ٦٤٩، ٦٥٦،

٦٨١

ابن خلكان (وفيات الأعيان): ٥٨٦. 4، ٥٨٨،

خليل مطران: ١١٨. 1

الخوارزمي (محمد بن العباس)

الخوارزمي (أبو بكر): ٦٧٦. 4

خولة (أخت سيف الدولة الكيري): ٤٤. 1،

٤٥، ٤٩، ٥١، ٦٨. ٧٠، ٣٣٦. 2، ٣٥٥،

٣٥٧ - ٣٦٠، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٥

الدارقطني الحافظ المحدث: ٣٦٦. 2

داود بن أحمد بن سعيد بن خلف بن داود الطيبي

التاجر: ٦٥٦. 4

الدائي (محمد بن عبد الله، أبو الحسن): ٦٦٠. 4

دحتوس بنت ثقيط بن زُرارة: ٥٩٩. 4، ٦٥٥،

أبو الدر (ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي)

الدرور: ٢٢٨. 2

ابن دريد (محمد بن الحسن بن دريد، أبو بكر):

٦٥. 1، ٥٢٢. 3، ٦٢٩. 4

أبو الحسين (علي بن أحمد بن أبي سَعْدَة)

أبو الحسين النجيري: ٦٤٨. 4

الحسين بن إسحق التنوخي: ٢٣٨. 2

الحسين بن عبد الرحمن الثقفي (أبو علي الحكيم): 4.

٦٥٥

الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان

العدوي (أبو العشائر)

الحسين بن علي بن أبي طاب: ٥٩٠. 4، ٥٩٦،

الحسين بن علي بن همام الحسيني للطالقاني (أبو

عبد الله): ٦٢٥. 4

الحسين بن محمد بن الصقر الكاتب (أبو عبد الله):

٦٣٥. 4

الحسين بن محمد بن طاهر الشاعر: ٦٦٠. 4

الحصكفي (يحيى بن سلامة)

الحكّار (عبد العزيز، أبو القاسم): ٦٧٠. 4

الحكيم النيسابوري (أبو علي، الحسين بن

عبد الرحمن)

بنو حمدان (الحمدانيون): ١٥٩. 2، ٢١٥ -

٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٩٥ - ٢٩٨،

٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٨٨، ٣٨٩،

٣٥٥. 4، ٥١٤. 3

ابن حنّانة (جعفر بن أبي الفضل): ٣٦٦. 2، 4.

٦٧٧، ٦٧٨

ابن الحوت (أبو العباس بن الحوت): ٦٠٩. 4،

٦٤٨، ٦٩٢، ٦٩٤

٥٥٥

الخارجي: ٣٢٠. 2

خالد بن صفوان الخطيب (أبو صفوان): 3.

٤٦٥، ٤٦٦

الخالدي (محمد بن هاشم الخالدي، أبو عثمان): 4.

٥٩٥، ٥٩٦، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٧٢ - ٦٧٥



- الفرج ( : ٦٧٥ . ٤ )  
الزيدية : ١٤١ . ٢  
٥٥٥
- ابن أنى الساج ( يوسف ) : ٥١٤ . ٣  
السايمان ( على بن أيوب )  
السبيع ( قبيلة ) : ٢٠٤ ، ١٤٢ ، ١٤١ . ٢  
سدوس بن شيان بن دهل : ٥٨٨ ، ٥٨٧ . ٤  
السري الرفاء : ٦٤٢ ، ٦٤١ . ٤ ، ١٥٨ . ٢  
أبو سعد ( وكيل المتنبى ) : ٦٤٦ . ٤  
سعد بن محمد ( الوحيد )  
سعد بن ناشب المازني : ٤٦ . ١  
سعد بن أنى وقاص : ١٤٠ . ٢  
سعيد الأفغانى : ٥٧٤ ، ٥٣٣ ، ٣٩٥ . ٣  
أبو سعيد الجيمرى : ٢١٩ . ٢  
أبو سعيد السيرافى ( أبو سعيد ) الحسن بن عبد الله بن  
المرزبان  
سعيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى ( أبو سهل )  
مدحه المتنبى : ١٨٢ . ٢  
أبو سعيد بن يونس ( ابن يونس ) ( عبد الرحمن بن  
أحمد بن يونس ) ، المؤرخ المصرى : ٦٤٥ . ٤  
السكاسك : ٢٠٣ . ٢  
السكون ( قبيلة ) : ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٣ ، ١٤١ . ٢  
ابن سلام ( صاحب الطبقات ) : ٨٣ . ١  
السلامى الشاعر ( محمد بن عبيد الله ، أبو الحسن ) :  
٦٠٩ . ٤ ، ٥٦ . ١  
السلفى ( أبو طاهر ، أحمد بن محمد بن أحمد ) : ٤ . ٢  
٦٢٥
- سليمان ( عليه السلام ) : ٦٦١ . ٤ ، ٣٨٣ . ٢  
سليمان بن أنى سليمان ( أبو أيوب المورى ) : ٢ . ٢  
١٧٩ ، ١٧٨
- السّمعانى ( أبو سعد ، عبد الكريم بن محمد بن  
منصور ) : ٦٢٢ ، ٦٠٨ . ٤  
السمعانى ( محمد بن منصور بن محمد )  
السمعانى ( محمد بن عبد الجبار ، أبو منصور ) : ٤ . ٢  
٦٦٠  
أبو سهل ( سعيد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى )  
أبو السّودانى ( أبو الحسين محمد بن محمد بن سلمان )  
السيرافى ( أبو سعيد الحسن بن عبد الله ) : ٥٨٥ . ٤  
سيبويه ( الإمام ) : ٦٠ . ١  
سيبويه الموسوس ( محمد بن موسى ) : ٦٦٩ . ٤ ،  
٦٧٠  
سيد بن على المرصفى : ٩ ، ٨ . ١  
سيف الدولة ( أبو الحسن ، على بن أنى الهيجاء  
عبد الله بن حمدان العدوى التغلبى ) : ٣٨ . ١  
٤٤ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٨٧ ، ٩٠ ،  
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٤٤ . ٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ،  
١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٩٥ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ،  
٢٢٢ - ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ،  
٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٣١ ،  
٣٣٣ - ٣٥٥ ، ٣٦٤ ، ٣٧٦ ،  
٣٧٧ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤٤٣ . ٣ ،  
٥١٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ،  
٦١١ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٢٠ ، ٦٣٠ - ٦٣٨ ،  
٦٤١ ، ٦٤٦ ، ٦٦٤ - ٦٦٧ ، ٦٧٢  
٦٧٧ ، ٦٨٥ ، ٦٨٨ ، ٦٩٣ ، ٦٩٧  
أم سيف الدولة : ٣٢٠ . ٢  
أخت سيف الدولة ( الصغرى ) : ٣٣٨ ، ٣٣١ . ٢  
الكبرى ( حولة ) : ٣٣٧ . ٢ ،  
٣٤٥  
السيوطى ( بغية الوعاة ) : ٦٠٨ ، ٥٨٦ . ٤  
\* \* \*
- الشافعى : ٥٩١ . ٤

- ٦٧٠  
 الصُّورَى : ٥٩١ . ٤  
 الصولى ( كتاب الأوراق ) : ٧٢ . ١  
 ٥٥٥  
 الضبّ الضرير الشامى الشاعر : ٦٢٤ . ٤ ، ٦٢٥ ،  
 ٦٦٣  
 بنو ضبة ( من تميم ) : ٦٦ . ١ ، ٢١٦ . ٢ - ٢١٨ ،  
 ٣٩١ ، ٣٩٠  
 ضبة بن محمد الأسدى ( ضبة بن يزيد ) : ٥٩٦ . ٤  
 صبة بن يزيد العيني ( ضبة بن محمد ) : ٥٩٦ . ٤ ،  
 ٥٩٧ ، ٦٥١ - ٦٥٥ ، ٦٩١  
 ضُبَيْعَةُ بن ربيعة بن نزار : ٥٨٧ . ٤  
 الضحاك القُفَيْمَى : ٤٠٠ . ٣  
 ٥٥٥  
 أبو طالب البغدادى ( حليس سيف الدولة ) : ٤ .  
 ٦٤٣  
 الطائيون : ٥٩٠ . ٤  
 أبو طاهر السلفى ( أحمد بن محمد بن أحمد )  
 أبو طاهر القرمطى ( صاحب الأحساء ) : ٥١٤ . ٣  
 طاهر بن الحسن بن طاهر العلوى ( أبو القاسم )  
 ( مدحه المتنسى ) : ٥٢ . ١ ، ٥٨ ، ١٥٣ . ٢ ،  
 ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣ .  
 ٦٤٥ ، ٦٢٩ . ٤ ، ٥٦٥  
 الطباخ « صاحب تاريخ حنب » : ٨٩ . ١  
 الطرائفى ( أبو الحسن )  
 ابن طعج ( محمد بن طعج الإخشيد أبو بكر ) :  
 ( مدحه المتنسى ) : ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٦٤٤ . ٤  
 ابن طعج ( الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن  
 طعج ) ( مدحه المتنسى ) : ٥٢ . ١ ، ٥٨ ، ٦٣ ،  
 ١٥٣ . ٢ ، ١٦٩ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ، ٢٥٤ .  
 ٣٦٦ . ٢ : أبو شجاع فاتك ( المجنون )  
 شجاع بن فارس بن الحسين للذهلى ( أبو غالب ) :  
 ٦٥٥ . ٤  
 شفيق جبرى ( كتاب المتنسى ) : ٤١٣ . ٣  
 الشمرّذل ( الشاعر ) : ٤٠٠ . ٣ ، ٤٠١ ،  
 شمس الدين الوالى بالموصل : ٦٥٦ . ٤  
 شمس المعالى قابوس : ٦٢٨ . ٤  
 شوسر ( الشاعر الإنجليزى ) : ١٢ . ١  
 بنو شيان بن ذهل : ٥٨٧ . ٤ ، ٥٨٨ ، ٥٩٦ .  
 ٦٩١ ، ٦٤٩  
 أس أم شيان ( أبو الحسن )  
 ( محمد بن صالح بن على ) : ١٣٨ . ٢ ،  
 ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،  
 ٢١٢ ، ٣٧٦٢١٣ ، ٤٢٠ . ٣ ، ٤٢١ ، ٥٤٥ ،  
 ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٧٢ ، ٦١٣ . ٤ ، ٦٨٣  
 شيرريل بن عضد الدولة : ١٤٣ . ٢  
 الشيعية ( العلويون ) : ٥٨ . ١ ، ٦٣ ، ١١٩ . ٢ ،  
 ١٤١ ، ٤٧١ . ٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٥٠١ ،  
 ٥٠٢ ، ٦٤٥ . ٤  
 ٥٥٥  
 ابن الصائى ( كتاب الوزراء ) : ٦٢٩ . ٤  
 الصاحب إسماعيل بن عبّاد : ٦٢٧ . ٤ ، ٦٢٨ ،  
 ٦٤٢ ، ٦٦١ ، ٦٧٢  
 الصاغانى : ١٣٧ . ٢  
 صالح عليه السلام : ٢٣٣ . ٢ ، ٦٢٢ . ٤ ، ٦٨٨  
 صالح بن إبراهيم بن رشدين : ٦٤٧ . ٤ ، ٦٤٨ ،  
 ٦٩٣  
 أبو صفوان ( خالد بن صفوان )  
 الصُقَلى ( على بن عبد الرحمن ، أبو الحسن ) : ٤ .  
 ٦٦١  
 صمصام الدولة بن عضد الدولة : ١٤٣ . ٢ ، ٤ .

- عبد الله بن سيف الدولة ( أبو الهيجاء )  
 عبد الله بن عبد الرحمن ( الأصفهاني ) ( وانظر :  
 عبيد الله بن عبد الرحيم ) : ١٤٢ . ٢  
 عبد الله بن عبيد الله الصُّفَرِيُّ الشاعر الحلبي ( روى  
 عن المتنبي ) : ٦٩٢ ، ٦٠٩ . ٤  
 عبد الحميد العبادي : ١٠٠ . ١  
 أبو عبد الرحمن السُّلَمي : ٦٤٨ . ٤  
 عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدقي  
 المصري ، الحافظ ( ابن يونس ) : ٦٤٥ . ٤  
 عبد الرحمن بن حسام زاده الرومي التركي ( صاحب  
 رسالة في قلب كافوريات المتنبي ) : ٧٣ . ١ ،  
 ٧٤  
 عبد الرحمن بن الحسين العُنْدُجَانِي ( أبو الفضل ) :  
 ٥٩٥ . ٤  
 عبد الرحمن بن دوست النيسابوري : ٦٦٠ . ٤  
 عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي ( أبو  
 محمد ) : ٦٤٨ . ٤  
 عبد الرحمن بن أبي ليلى ( القاضي ) : ٤٥٥ . ٣  
 عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي ( مدحه المتنبي ) :  
 ٢٥٧ . ٢  
 عبد الرحمن بن محمد الأنباري ( الكمال ) ( ابن  
 الأنباري )  
 عبد الرزاق ( رئيس مطبعة المقتطف ) : ٤٧ . ١  
 عبد الصمد بن بابل ( ابن بابل ) : ٦٦٧ . ٤  
 عبد الصمد بن زهير بن هرون بن أبي جردة : ٤ .  
 ٦٩٢  
 عبد الصمد بن محمد القاضي ( أبو القاسم ) : ٤ .  
 ٦٤٣  
 عبد العزيز الميمني ( الراحكوتي )  
 عبد العزيز بن الفصل ( أبو أحمد )  
 عبد العزيز بن محمود بن الأخضر البغدادي ( أبو  
 ٢٩٠ - ٢٩٤ ، ٣٦١ ، ٥١٤ . ٣ ، ٥٦٥  
 بنو طغج الإخشيديون : ٦٦٣ . ٤ ، ٥١٤ . ٣ ، ٢٩٦ . ٢  
 طه حسين : ١ . ٨ - ١٩ ، ٢٩ - ٣٥ ، ٥٤ ،  
 ٨٣ ، ٩٩ - ١٢٣ ، ٣٩٥ . ٣ ، ٥٣٠  
 أبو الطيب اللغوي : ٦٤٤ . ٤ ، ٣٥٧ . ٢  
 أبو الطيب ( محمد بن حمزة بن عبيد الله العلوي  
 العباسي ) ( هجاء المتنبي ) : ٢٢٤ ، ١٥٥ . ٢  
 طيفور ( بلاغات النساء ) : ٥٩٩ . ٤  
 ٥٥٥  
 عاد : ١٣ . ١  
 عازر : ٢٣٤ . ٢  
 أبو العباس النامي المصيصي ( النامي )  
 أبو العباس بن الخوت ( ابن الخوت )  
 عباس محمود العقاد ( العقاد ) : ١ . ٧٧ ، ٧٨ ، ٣ .  
 ٤٨٠ - ٤٨٤  
 العباسيون : ٢ . ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ،  
 ٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٢٨ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ،  
 ٣٩١  
 أبو عبد الله ( محمد بن عبد الله بن محمد الخصيب )  
 ( معاذ بن إسماعيل اللاذقي )  
 أبو عبد الله الخُرَشِيُّ الوراق ( لقي المتنبي ) : ٤ .  
 ٦٠٢  
 عبد الله بن أحمد ( الفرغاني ، أبو محمد )  
 عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي : ٨٣ . ١  
 أبو عبد الله بن ياكويه ( ابن ياكويه )  
 عبد الله بن الحسين ( العكبري ، أبو البقاء )  
 عبد الله بن الحسين ، أبو محمد الكاتب ( القطريلي )  
 عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة الحموي  
 ( أبو القاسم ) : ٦٢٥ . ٤  
 أبو عبد الله بن الداعي العلوي الزيدى ( محمد بن  
 الحسن الداعي الصغير ) : ٤ . ٥٩٠ ، ٥٩١

- محمد ( : ٦٤٩ ، ٦٢١ ، ٦١٤ . 4 :  
عبد العزيز بن يوسف بن الحَكَّار ( أبو القاسم ) : 4 .  
٦٩٠ ، ٦٤٧  
عبد القادر حمزة ( صاحب البلاغ ) : ١٠٦ . 1 ،  
١٠٧  
عبد القاهر الجرجاني : 4 . ٦٦٠  
عبد الكريم بن محمد بن منصور ( السمعاني ، أبو  
سعد ) : 4 . ٦٢٢  
عبد اللطيف بن يوسف بن علي ( أبو محمد ) : 4 .  
٦٣٨  
عبد المطلب بن الفضل بن المطلب الهاشمي ( أبو  
هاشم ) : 4 . ٦٢٢  
عبد الملك بن مروان : 2 . ١٤١ ، 3 . ٤٧١  
عبد الواحد بن علي ( أبو القاسم بن يرهان النحوي ) :  
2 . ١٣٧  
عبد الواحد بن محمد بن علي بن زكريا : 4 . ٦٦٠  
عبد الواحد بن نصر الكاتب ، أبو الفرج ( البغاء )  
عبد الوهاب عزّام : 1 . ٥٧ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ٩٨ ،  
١٠٨ ، ١١٤ ، 3 . ٤١٣ - ٤٢٤ ، ٤٤٢ ،  
٤٥٦ ، ٤٦٥ ، ٤٩٩ ، 4 . ٥٩٦  
عبيد الله بن أحمد بن طاهر ( صاحب ذيل تاريخ  
بغداد ) : 4 . ٦٢٤  
عبيد الله بن عبد الرحيم الأصفهاني ( أبو القاسم )  
( انظر عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني )  
( صاحب الواضع في مشكلات شعر المتنبي ) :  
2 . ١٤٢ ، 4 . ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ،  
٦٦٠  
آل عبيد الله بن يحيى ( ... بن علي ) ( رضاع المتنبي ) :  
1 . ٥٥ ، ٥٧ ، 2 . ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ،  
١٨٢ ، 4 . ٥٨٩ ، ٦١٠ ، ٦٥٩  
عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد ( ابن أبي الجوع )
- عبيد الله بن محمد بن أبي مسلم الفرضي : 4 . ٦١١  
عُبَيْد ( رواية الفرزدق ) : 3 . ٤٠١  
عُبَيْد العصا ( بنو أسد ) : 4 . ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٥٤ ،  
٦٥٥  
عثمان بن جنى النحوي ( أبو الفتح ) ( ابن جنى )  
عجل اليهود : 2 . ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩  
العجم ( الأعاجم ) ( الموالي ) : 2 . ١٩٧ ، ٢٢١ -  
٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ،  
٣٠١ - ٣٠٤ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،  
٣٣٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٩١ ، 4 . ٥٩٦  
العُجَيْر السلولي ( الشاعر ) : 1 . ١١٥  
عدنان : 3 . ٤٥٢  
ابن العديم ( عمر بن أحمد بن هبة الله ) : 1 . ٥ ،  
٤٤ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٨٩ ، 2 . ١٣٧ ،  
١٣٨ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٨٢ ، 4 . ٥٨٥ ،  
٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢ - ٦٠٤ ،  
٦٠٧ ، ٦٥٦ ( ترجمته للمتنبي )  
ابن العديم ( حَدُّ جَدِّ أَيْبِهِ ) : 4 . ٦٥٠ ، ٦٥١  
سوعدي ( عدى بن أسامة بن مالك بن تغلب ) : 2 .  
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩  
عر الدولة مختيار بن معز الدولة : 4 . ٥٩١ ، ٥٩٦  
ابن عساكر ( علي بن الحسن بن الحسين الدمشقي ،  
أبو القاسم ) : 1 . ٥٠ ، ٥٥ ، 4 . ٥٨٥ ، ٥٨٩ ،  
٦٢٤ ، ٦٥٩ ، ٦٧٨ ( ترجمته للمتنبي )  
أبو العشائر ( الحسين بن علي بن الحسن بن همدان )  
( مدحه المتنبي ) : 1 . ٤٩ ، ٨٧ ، 2 . ١٥٤ ،  
٢٣٥ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ - ٣٠٠ ،  
٣٠٤ - ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٤٤ -  
٣٤٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، 3 . ٤٠٤ ، ٤٢٩ ،  
٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٥٧ ، 4 . ٦٦٣ - ٦٦٥  
عزض الدولة البويهي الديلمي : 1 . ٥٠ ، ٧٢ ، 2 .

- ١٤٣ ، ٣٥٥ ( عمته ) ٣٨١ - ٣٩١ ، ٤ .  
 ٥٩٠ ، ٥٩٦ ، ٦٠٤ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٣٦ ،  
 ٦٣٩ ، ٦٤٧ ، ٦٥١ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٩٠  
 العَظِيمِي ( محمد بن علي الحلبي ) : ٦١٤ . ٤  
 العقاد ( عباس محمود العقاد )  
 العكبري ( شرح ديوان المتنبي ) : ١٥١ . ٢ ، ٣ .  
 ٥١٢ ، ٤ ، ٦٦٠  
 أبو العلاء المعري ( أحمد بن سليمان ) : ٢٠٥ . ٢ ،  
 ٢١٢ ، ٣ ، ٤١٨ ، ٤٢٨ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦ ،  
 ٥٤٧ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٦٢٠ . ٤ ، ٦٢٣ ،  
 ٦٣٥ ، ٦٤٦ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٨٤ ، ٦٨٨  
 أبو علي التنوخي ( الحسن بن علي )  
 أبو علي ( هرون بن عبد العزيز الأوراجي )  
 أبو علي الفارسي ( الحسن بن أحمد ) : ٥٨٥ . ٤ ،  
 ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٦٠٤ ، ٦١٠ ، ٦٣٦ -  
 ٦٣٨ ، ٦٤١ ، ٦٧٠ - ٦٧٢  
 ابن علي الهاشمي : ١٥٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٤ ، ٢٢٤ ،  
 ٦٦٣ . ٤  
 علي بن إبراهيم التنوخي ( أبو الحسين ) مدحه  
 المتنبي ( : ٢١١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،  
 ٢٥٢ ، ٢٥٤  
 علي بن أحمد الأنطاكي ( مدحه المتنبي ) : ٢٨٤ . ٢  
 علي بن أحمد الماذرائي : ٦٤٥ . ٤  
 علي بن أحمد المديني ( أبو الحسن ) : ٦٤٨ . ٤  
 علي بن أحمد المري ( أبو الحسين ) ( مدحه المتنبي ) :  
 ٢٧١ - ٢٧٤ . ٢  
 علي بن أحمد بن أبي سعدة ( أبو الحسين ) : ٥٩٠ . ٤  
 علي بن أحمد بن منصور الغساني ( أبو الحسن ) : ٤ .  
 ٦٤٣ ، ٦٤٤  
 علي بن أيوب بن الحسين بن الساربان الكاتب  
 ( روى عن المتنبي ) : ٦٠٨ ، ٦٢١ ، ٦٤٩ ،  
 ٦٩٢  
 علي بن جعفر ، أبو القاسم ( القطاع )  
 أبو علي بن أبي حامد : ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ،  
 ٢١٢ ، ٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ،  
 ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٦١٦ . ٤ ، ٦١٧ ، ٦٨٤ ،  
 ٦٨٥  
 علي بن الحسن ( أبو القاسم ) ( عم ابن العديم ) : ٤ .  
 ٦٠٩  
 علي بن الحسن بن الحسين الدمشقي ( ابن عساكر )  
 علي بن الحسين الدَّيْلَمِي الزَّوَاد ( أبو الحسن ) : ٤ .  
 ٦٤٣  
 علي بن حمزة البصري ( راوية المتنبي ) : ١٦٤ . ٢ ،  
 ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٤ ، ٥٩٦ ، ٦٤٦ ، ٦٩٣  
 علي بن سيار بن مكرم ( علي بن محمد بن سيار )  
 علي بن أبي طالب ( الوصي ) : ١٤٠ . ٢ ، ١٥٥ ،  
 ١٦٠ ، ٢٥٣ ، ٣ ، ٤١٦ ، ٤٢٣ ، ٤٥٢ ،  
 ٤٦١ ، ٤٧٢ ، ٥٦٥ ، ٦٤٥ . ٤ ( الوصي )  
 علي بن أبي عبد الله بن المقيّر : ٦٣٤ . ٤  
 علي عبد الرازق : ١ . ٧٩  
 علي بن عبد الرحمن ، أبو الحسن ( الصقلي )  
 علي بن عبد العزيز ( الجرجاني ) : ٤ . ٦٦٠  
 علي بن علي بن نصر بن سعيد ( أبو الحسن الرئيس ) :  
 ٦١٤ . ٤ ، ٦٢١ ، ٦٤٩  
 علي بن عيسى ، أبو الحسن ( الوزير ) : ٦٢٣ . ٤ ،  
 ٦٢٤ ، ٦٨٤  
 علي بن عيسى الربيعي الرُّهَيْمِي ( الربيعي )  
 علي بن عُمر ( الشريف ) : ٤ . ٥٩٩  
 علي بن القاسم الكاتب : ٢ . ١٥٤  
 علي بن القاسم بن علي بن الحسن الدمشقي ( عماد  
 الدين ، أبو القاسم ) : ٤ . ٦٤٣  
 علي بن كوجك ( جليس سيف الدولة ) : ٤ . ٦٤٤

أبو عمر الصباغ : 2 . ٣٨٢  
عمر بن أحمد بن هبة الله ... (سبه) (ابن العديم) :

٦٥١ . 4

عمر بن الخطاب : 2 . ١٤٠

عمر بن أبي ربيعة : 1 . ٣٩

عمر بن سليمان الشراي (مدحه المتنبي) : 2 . ٢٥٦

عمر بن علي بن قشام الحلبي : 4 . ٦٤٨

عمر بن محمد السرخسي : 4 . ٦٢٢

عمر بن محمد بن معمر بن طرزد (أبو حفص) : 4 .

٦٣٣

عمرو بن حاس (من بني أسد) : 1 . ٦٦ ، 2 .

٣٩١ ، ٢١٦

ابن العميد (أبو الفضل) (محمد بن الحسين)

(مدحه) : 1 . ٥٠ ، 2 . ٣٧٨ - ٣٨٠ ، 4 .

٥٩٥ ، ٦٠٤ ، ٦٢٧ - ٦٣٠ ، ٦٤٢ ، ٦٤٨ ،

٦٥٠ - ٦٥٣ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٢ ، ٦٧٨ ،

العميد (الصاحب ، أبو سعد محمد بن أحمد)

(صاحب الإبانة) : 1 . ٥٥ ، 4 . ٦٥٩ ، ٦٦١

عميرة بن أسد بن ربيعة : 4 . ٥٨٧

عرة بن أسد بن ربيعة : 4 . ٥٨٧

عيسى بن مريم (المسيح عليه السلام) : 2 . ٢٣٤ ،

٦٨٨ ، ٦٢٢ . 4

\*\*\*

غالب بن همام بن الفضل المعري : 4 . ٦٤٤

أبو غالب (شجاع بن فارس بن الحسين الذهلي)

غالب بن صعصعة (أبو الفرزدق) : 3 . ٤٠٧

أبو غالب بن بشران : 4 . ٦٣١ ، ٦٣٣

غرس النعمة (محمد بن هلال بن الحسين بن أبي

إسحق الصائلي)

أنو الغمام الردي (صاحب نزهة عيون المشتاقين) :

٦٢٩ . 4

\*\*\*

علي بن الحسن بن علي التنوخي : 2 . ١٣٧ - ١٤٠ ،

١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٦١١ ، 4 ،

٦١٦ ، ٦١٥

علي بن محمد (أبو الحسن الفصيح) : 1 . ٥٨

علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي (مدحه

المتنبي) : 1 . ٦٣ ، 2 . ٢٨٦

علي بن محمد بن صالح ، أبو الحسن (ابن أم شيان) :

2 . ١٣٨

علي بن محمد بن علي بن فورجة (ابن فورجة)

علي بن ممر (مدح المتنبي) : 4 . ٦٠١

علي بن مرشد بن علي بن مقلد الكتاني المالكي

(كتاب البداية والنهاية) : 4 . ٦٣٨

علي بن المسلم السلمي (أبو الحسن) : 4 . ٦٤٤

علي بن منصور الحاجب (مدحه المتنبي) : 2 . ٢٥٦

علي بن منصور الحلبي (أبو الحسين) (دوخله)

(ابن القارح)

العلويون (العوية) (الأشراف) (الشيعة) : 1 .

٤٩ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ١١٩ ، 2 . ١٤١ ،

١٤٦ ، ١٥٠ - ١٥٧ ، ١٦٧ - ١٧٥ ،

١٨٢ - ١٨٦ ، ١٩٧ - ٢٠٠ ، ٢٠٦ ،

٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ،

٢٣٥ - ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ،

٢٨١ ، ٢٨٧ - ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ،

٣٠٢ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٧٢ - ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،

٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤١٦ . 3 ، ٤٢٣ ،

٤٢٧ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ،

٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ ، ٥٠٤ ، ٥٢٨ ،

٥٣٩ - ٥٤٥ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨ ، ٥٦٤ ،

٥٦٥ ، ٥٧١ - ٥٧٤ ، ٥٨٩ . 4 - ٥٩١ ،

٦١٠ ، ٦٥٩ ، ٦٨٣



- فاتك الإخشيدى (الجنون) (أبو شجاع) : 2 .  
 ٣٦٦ ، 4 . ٦٨٩
- فاتك بن ألى الجهل الأسدى : 4 . ٥٩٥ ، ٥٩٦ ،  
 ٥٩٨ ، ٦٠٤ ، ٦٢٨ ، ٦٥١ - ٦٥٥ ، ٦٩١
- فاطمة بنت رسول الله ﷺ (الفاطميون) : 2 .  
 ١٦٠ ، 3 . ٤٥٢
- الفاطميون : 2 . ٢١٩ ، ٢٢٢ - ٢٢٩ ، ٢٣٨ ،  
 ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ،  
 ٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١
- ٥٠٧ . 3
- أبو الفتح البستي : 4 . ٦٢٨
- أبو الفتح (ابن جنى)  
 أبو فراس (الفرزدق)  
 أبو فراس الحمدانى : 2 . ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٣١٧ ،  
 ٣١٨ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،  
 ٣٦٦ ، 4 . ٤٠٧ ، 3 . ٦٦٦ ، ٦٦٧
- أبو الفرج (أحمد بن الحسين المالكي)  
 أبو الفرج الأصفهاني (الأغانى) : 4 . ٥٩٩  
 أبو الفرج السامري (كاتب سيف الدولة) : 3 .  
 ٤٤٣ ، ٤٤٤
- الفرزدق (أبو فراس) : 3 . ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ،  
 الفرغاني (عبد الله بن أحمد ، أبو محمد) : 4 . ٦٤٩ ،  
 ٦٥٠
- الفرغاني (أبو بكر) : 4 . ٦٨٩
- الفصيحى (على بن محمد ، أبو الحسن) : 4 . ٦٢٤  
 أبو الفضل (مدحه المتنبى) : 1 . ٦٤ ، ٦٥ ، 2 .  
 ١٨٧ ، ١٨٨ ، 3 . ٥٠١ ، ٥١٠
- أبو الفضل (أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكي)  
 أبو الفضل (عبد الرحمن بن الحسين الغندجاني)  
 أبو الفضل (ابن العميد)  
 أبو الفضل إبراهيم : 4 . ٥٨٦
- أبو الفضل العروضى (أحمد بن محمد)  
 فتاخسرو (عضد الدولة) : 4 . ٦٥١ ، ٦٥٣  
 أبو الفوارس (دلير بن لشكروز)  
 ابن فورجة (على بن محمد بن على ، أبو الحسن) :  
 2 . ١٦٥ ، 4 . ٦٢٠ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣٥ ،  
 ٦٤٦ ، ٦٦٠
- ابن فورجة (محمد بن أحمد بن فورجة ، أبو على) : 4 .  
 ٦٧٥
- فؤاد صروف (المقتطف) : 1 . ٧ ، ٣٥ ، ٤١  
 ٤٧ ، ٧٩ ، 3 . ٥٤٩ ، ٥٥١
- الفيزوبادى (صاحب القاموس) : 2 . ١٣٧  
 ٥٥٥
- قابوس (شمس المعالى)  
 ابن القارح (دوخلة) (على بن منصور) : 4 .  
 ٦٦١ ، ٦٨٤
- أبو القاسم (طاهر بن الحسن بن طاهر)  
 أبو القاسم (عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني)  
 (صاحب إيضاح المشكل)  
 أبو القاسم الرقى النجم : 4 . ٦٣٣  
 قاسم الرجب (الكتبى) : 1 . ٧٩ ، ٩٨  
 أبو القاسم التليجى (روى عن المتنبى) : 4 .  
 ٦٠٩ ، ٦٩٢
- أبو القاسم بن برهان النحوى (عبد الواحد بن على)  
 (ابن برهان)  
 أبو القاسم بن حسن الحمصى (روى عن المتنبى) : 4 .  
 ٦٠٨ ، ٦٩٢
- القاسم بن القاسم الواسطى ، أبو الحسن : 4 . ٦٦٠  
 القاهرة (الخليفة) : 1 . ٩١  
 قحطان : 3 . ٤٥١ ، ٤٥٢  
 القرامطة (القرمطية) : 1 . ٨٢ ، ١٠٩ ، ١١٩ ،  
 2 . ١٥٥ ، ١٩١ ، ٢٢٤ ، ٣٨٨ ، 3 . ٤٧٨

٢٩٤. 2

\*\*\*

اللاذق ( معاذ بن إسماعيل اللاذق )

لقيط بن زُرارة : 4 . ٥٩٩

لؤلؤ (أمير حمص) : 2 . ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٣٠٥٥ . 3

٥٥٦ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦٨٤

ابن لنكك ( الحسن ... )

ابن ألى لىلى ( عبد الرحمن ) : 3 . ٤٥٥

\*\*\*

ابن مائل القاضي ( جليس سيف الدولة ) : 4 . ٦٤٣

المازنى : ( إبراهيم عبد القادر ) : 3 . ٤٢٨

ابن ماکولا ( صاحب الإكمال ) : 2 . ١٣٧ ، ١٥١ ،

٦٠٨ . 4

مالك بن دينار : 2 . ١٤٠

مَبْنُول العذرى الشاعر : 3 . ٤٦٩

المتقى ( الخليفة ) : 1 . ٩٢ ، ٩٤

المنجون ( فاتك الإخشيدى ) : 4 . ٦٨٩

مجنون لىلى : 3 . ٤٨١

المجوس : 3 . ٤٠٠

محب الدين الخطيب : 1 . ١٢

محسن الأمين الحسينى العاملى : 2 . ١٤١

الحسن بن على التنوخى ( أبو على ) ( التنوخى ) :

١٣٧ - ١٣٩ ، ١٤٥ - ١٥٠ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ،

٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٧٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٦ ، 3 .

٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ ، ٥٥٤ . 4

٦١١ ، ٦١٦ ، ٦٣٥ ، ٦٨١ - ٦٨٤

الحسن بن على بن كوجك ( أبو عبد الله ) : 4 . ٦٤٤

محمد ﷺ : 1 . ١٢ ، ٣٤ - ٣٦ ، ٦٧ ، ١٧٦ . 2

٢٠٤ ، ٢٠٩

أبو محمد ( الحسن بن عبيد الله بن طفج )

٤٧٩ ، ٤٨٩ - ٥٣٠

قرقاش ( الدمستق )

قريش : 3 . ٤٥٢

القرزاز القيروانى ( محمد بن جعفر ، أبو عبد الله ) :

٦٦٠ . 4 ، ٦٦١

القطاع ( على بن جعفر ) : 4 . ٦٦١

القطربلى ( عبد الله بن الحسين الكاتب ، أبو محمد )

( المؤرخ ) : 4 . ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٨٤

القفتى ( إنباه الرواة ) : 4 . ٥٨٧

قيس بن الخطيم : 4 . ٦٣٠

قيصر الروم : 1 . ٤٥٠

\*\*\*

كافور ( الإخشيدى ) ( الأستاذ ) ( أبو المسك ) :

٤٤٠ . 1 ، ٥٠ ، ٧١ - ٧٣ ، ١٥٨ ، ١٧٧ ،

١٩٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٦١ - ٣٦٨ ،

٣٧٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٩ ، ٥٣٤ ، ٥٣٩ ،

٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٦٤٥ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ،

٦٦٨ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ،

٦٩٤

ابن كثير ( البداية والنهاية ) : 4 . ٥٩٠

كُثَيْر : 4 . ٦٧٦

ابن كرويس الأعور ( هجاء ) : 2 . ٢٦٨ ، ٢٧٠ ،

٢٧٣ ، ٢٧٥ - ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،

بنو كلاب : 2 . ٢٠٠ ، ٣٧٥ ، ٥٥٥ . 3 ، 4 .

٦١٦ ، ٦٨٥

بنو كلب ( الكلبيين ) : 2 . ٢٠٠ ، ٢٢٣ ، ٤٩٨ . 3 ،

٥٤٥ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، 4 . ٦٠٩ ، ٦١٣ ،

٦١٦ ، ٦٦٣ ، ٦٨٣ ، ٦٨٥

ابن كنداج ( أبو دلف )

كندة ( قبيلة ) : 2 . ١٤١ ، ١٥٩

ابن كيغلف الأعور ( إسحق بن كيغلف ) ( هجاء ) :

- أبو محمد ( المهلبى ) الوزير  
 محمد بن أحمد البيرونى ( أبو الريحان ) : ٤ . ٦١٤ ،  
 ٦١٥  
 محمد بن أحمد ، أبو سعد ( العميدى )  
 محمد بن أحمد بن فورجة ، أبو علي ( ابن فورجة )  
 محمد بن أحمد بن القاسم المخاملى ( أبو الحسين )  
 ( روى عن المتنبى ) : ٤ . ٦٠٨ ، ٦١١ ،  
 ٦٥٩ ، ٦٩٢  
 محمد بن إسحق التنوخى : ٢ . ١٤٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨  
 محمد بن إسماعيل العلوى ( أبو الحسين ) : ٤ . ٦٤٨  
 محمد بن جعفر بن محمد بن هرون بن فروة ( ابن  
 النجار المؤرخ )  
 محمد بن الحسن ( الداعى الصغير ) بن القاسم بن علي  
 ( أبو عبد الله بن الداعى )  
 محمد بن الحسن الخوارزمى : ٤ . ٦٦٩  
 محمد بن الحسن ( أبو جعفر )  
 محمد بن الحسن بن دريد ( ابن دريد )  
 محمد بن الحسين ( أبو الفضل ، الأستاذ الرئيس )  
 ( ابن العميد )  
 محمد بن الحسين البغدادى ( صاحب المتنبى ) : ٤ .  
 ٦٤٨  
 محمد بن الحسين المومسوى ( الشريف الرضى ) : ٤ .  
 ٦٤٧  
 محمد بن الحسين بن موسى السلمى : ٤ . ٦٤٨  
 محمد بن الحسين بن حمزة العلوى ( أبو جعفر ) : ٤ .  
 ٥٩٢  
 محمد بن حمزة بن عبيد الله بن العباس العلوى العباسى  
 ( أبو الطيب )  
 محمد بن رائق ( أبو بكر ) ( ابن رائق )  
 محمد سامى الدهان : ١ . ٦٩  
 محمد بن طغج ( الإخشيد ) ( ابن طغج ) : ١ . ٨٨ ،  
 ٩٢ ، ١٥٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣١ ، ٢٣٧  
 محمد بن العباس ( الخوارزمى ) : ٤ . ٦٦٠  
 محمد بن عبد الله ، أبو الحسن ( الدانى )  
 محمد بن عبد الله بن سعد الحلبى النحوى ( روى  
 عن المتنبى ) : ٤ . ٦٠٩ ، ٦٥١ ، ٦٩٢  
 محمد بن عبد الله بن محمد الخصيبى ( أبو عبد الله )  
 ( مدحه المتنبى ) : ٢ . ٢٧٧ ، ٢٧٨  
 محمد بن عبد الله بن يحيى الوكيل ( أبو البركات ) :  
 ٤ . ٦١٤ ، ٦٢١ ، ٦٤٩  
 محمد بن عبد الباقي الأنصارى ( أبو بكر ) : ٤ .  
 ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٥  
 محمد بن عبد الباقي البطحى ( أبو الفتح ) : ٤ . ٦٣٨  
 محمد بن عبد الجبار ، أبو منصور ( السمعاني ) :  
 ٤ . ٦٦٠  
 محمد بن عبد الرحمن بن علي الحسينى ( تاج  
 الشرف ) : ٤ . ٦٥١  
 محمد بن عبد الملك الفرضى ( الهمدانى ) ، ( صاحب  
 تكملة تاريخ الطبرى )  
 محمد بن عبيد الله السلامى الشاعر ( السلامى )  
 ( أبو الحسن )  
 محمد بن عبيد الله بن أحمد ( المسبحى )  
 محمد بن عبيد الله العلوى النقيب ( الأشر )  
 ( المشطب ) ( المصهرج ) ( مدحه المتنبى ) :  
 ١ . ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦٨ ،  
 ١٩٧ ، ٥١١ ، ٥٢٢ ، ٥٨٩ ، ٦١٠  
 محمد علي ( الخديو ) : ١ . ٢٠  
 محمد بن علي بن إبراهيم ( الهراس الكافى ) : ٤ . ٦٦٠  
 محمد بن علي بن أحمد العظمى التنوخى الحلبى ( أبو  
 عبد الله ) : ٤ . ٦١٤  
 محمد بن علي بن نصر الكاتب ( ابن نصر ) ( كتاب

مرجليوث (المستشرق) : ١٢.١ - ١٩، ١٠٧،

١١٨

مساور بن محمد الرومي (مدحه المتنبى) : ٨٤.١،

٩٤، ٨٩، ٨٧، ٨٦، ٨٥

المُسَبَّحِي (مختار الملك، محمد بن عبيد الله بن أحمد) :

٦٤٤.٤

المستشرقون الأعاجم : ١٢.١ - ٢٥، ٨٢، ٩١ -

١١٨، ١٠٧، ٩٣

مسكويه (أحمد بن محمد بن مسكويه) (روى عن

المتنبى) : ٦٠٨.٤، ٦٢٢، ٦٢٩، ٦٩٢

مسنون (المستشرق) : ٥٠٢، ٤٩٩.٣

المسيح عليه السلام (عيسى بن مريم)

المشطب (المصهرج) (الأشتر) (محمد بن عبيد الله

العلوى) (مدحه المتنبى)

المصهرج (المشطب)

مصطفى صادق الرافعي : ١.١، ٥٤، ٦٨، ٧٦ -

٥٧٩ - ٥٧٥، ٣٩٥.٣، ١٠٧، ١٠٤، ٧٨

مصطفى عبد الرازق : ١.١، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤،

١١٨

المطلبى : ١٥٤.٢

المظفر الزوزني (أبو القاسم) الشاعر : ٦٥٥.٤،

٦٩٥

معاذ بن إسماعيل اللاذقي (أبو عبد الله) (صاحب

المتنبى) : ١٩٦.٢، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٧ -

٢١٢، ٣.٤٨٨، ٥٣٨، ٥٤٤، ٥٤٦،

٥٥٩، ٥٦٤، ٥٧٠، ٦١٧.٤، ٦٢٠،

٦٨٥ - ٦٨٨

أبو المعالي بن سيف الدولة : ٦٠٨.٤

معاوية رضى الله عنه : ١٤١.٢

ابن المعتز : ٦٧٧.٤

معد بن عدنان : ٩٣.١

المفاوضة) : ٦٣٣.٤

محمد بن علي بن ياسر الجياني (أبو بكر، الحافظ) :

٦٤٨.٤

محمد بن عمير العطاردي : ١٤١.٢

محمد بن القاسم الصوفي : ١٥٤.٢

محمد كمال حلمي بك (كتاب المتنبى) : ٤١٣.٣

محمد بن المبارك الجبلي (أبو نصر) : ٥٩٥.٤،

٦٥٢، ٦٩١

محمد بن محمد بن سلمان الكوفي (أبو الحسين)

(أبو السؤداني) (راوية المتنبى) : ٥٩٢.٤

محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب (أبو

عبد الرحمن) : ٦٤٨.٤

محمد محي الدين عبد الحميد : ٣٦.١

محمد مرسى الخولي : ٦٢٨.٤

محمد بن المظفر، أبو الحسن (الحاتمي)

محمد بن منصور بن محمد السمعاني (أبو بكر) :

٦٤٨.٤

محمد بن موسى (سيبويه الموسوس)

محمد بن نصر الكاتب : ٦٣١.٤

محمد هاشم عطية : ٧٩.١

محمد بن هاشم (الحالدي) (أحد الخالديين)

محمد بن هلال بن الحسن بن أفي إسحق الصائبي

(غرس النعمة) : ٦٣٨.٤، ٦٣٩، ٦٤٧

أبو محمد بن وكيع السمسار التميمي (ابن وكيع)

محمد بن يحيى العلوى (أبو الحسن العلوى)

محمد يوسف نجم : ٧٤.١

محمود محمد الخضيرى : ١٦، ١٤.١

مُحَيُّ المؤودات (غالب بن صعصعة) : ٤٠٧.٣

مختار الملك (المسبحي)

امرؤ القيس : ٩.١، ٣٩، ٤٥، ٥٩٩.٤، ٦٥٥،

٦٩٦

ناصر الدولة (الحسن بن عبد الله بن حمدان)  
 ناصيف اليازجي (شارح ديوان المتنبي): ٣٧. 1،  
 ٨٧، ٤٤

الثَّامِي (أبو العباس المصيصي الشاعر): ١٥٨. 2،  
 ٦٩٢، ٦٦٦، ٦٣٥. 4

نايف بن عبد العزيز آل سعود (الأمير): ٦. 1،  
 ابن النجار (المؤرخ) (محمد بن جعفر بن محمد بن  
 هرون): ١٤٣، ١٤٢. 2،  
 النصاري: ٤٠٠. 3

النصرانية: ٦٧. 1  
 أبو نصر (محمد بن المبارك الجُبَلِي)  
 أبو نصر الحميدى: ٦٣٨. 4  
 أبو نصر بن طَلَّاب: ٦٤٤. 4  
 أبو نصر بن غياث النصراني الكاتب: ٦٤٧. 4،  
 ٦٩٣

نَلِينُو (المستشرق): ١٧. 1 - ١٩  
 النُّور بن قاسط بن أَفْصَى بن دُعَيْي: ٥٨٧. 4  
 أبو نواس: ٥١٦، ٥١٥. 3، ٦٦١. 4، ٦٦٧،  
 ٦٦٨

النواصب: ١٥٦. 2  
 ٥٥٥

هرون الرشيد: ٦٦٧. 4  
 هرون بن عبد العزيز (الأوراجي) (أبو علي)  
 (مدحه المتنبي): ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٦١. 2  
 هرون بن المنجم: ٦٠٢. 4  
 هاشم بن عبد مناف (هاشمي) (الهاشميون): 2.  
 ١٥٧، ١٦٩، ٢٠٤. 4، ٦٦٣

الهاشمي (ابن أم شيبان)  
 الهاشميون: ٥٣. 1  
 هبة الله بن عبد الله بن أحمد الوسطي: ٦٠٩. 4  
 الحراس الكافي (محمد بن علي بن إبراهيم)

معز الدولة (أحمد بن بويه الديلمي): ١٥٩. 2،  
 ٣٧٦، ٣٧٧، ٥٩٠. 4، ٥٩١، ٥٩٥.

المعز لدين الله الفاطمي: ٣٦٦. 2  
 المغربي (إبراهيم بن عبد الله المغربي أبو إسحق):  
 ٦٩٢. 4

المغربي (أحمد بن محمد، أبو الحسن): ٦٦١. 4،  
 ٦٧٥

المغيث بن علي بن بشر العجلي (مدحه المتنبي):  
 ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٠. 2

المقتدر (الخليفة): ٦٢٤. 4  
 المقرئ: ٦٠٣، ٥٨٥. 4، ٤٩، ٥. 1، ٦٨١،  
 ٦٩٧ (ترجمته للمتنبي)

ابن المقبر (أبو الحسن ...): ٦٤٧. 4  
 أبو المكارم بن سيف الدولة: ٦٠٨. 4  
 ابن مكرم (علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي)  
 ابن ملك اليهودي: ٣٦١. 2

أبو منصور (الجواليقي)  
 أبو منصور بن زُرَيْق: ٦١١. 4، ٦١٥، ٦٤٩،  
 ٦٦٥

منصور فهمي: ١٠٠. 1  
 المهلبلي (أبو محمد الوزير): ١٤٥، ١٥٨،  
 ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٢٩، ١٦١، ٣٦٢، ٣٧٨، ٥٤٢. 3  
 ٦٣٩، ٦٢٦. 4

المورياني (أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان)  
 موهوب بن أحمد (الجواليقي) (أبو منصور)  
 مؤنس: ٢١٦. 2

المؤيد بن محمد الطوسي: ٦١٤. 4  
 ٥٥٥

الناطقة الذبياني: ٣٩. 1  
 الناشء (أبو الحسين): ٢٣٢. 2، ٢٣٥، ٢٤١،  
 ٥٤٦، ٥٤٥. 3

- هشام بن عبد الملك ٦٧٦ . 4  
 هلال بن الحسن بن أبي إسحق الصائى : 4 . ٦٣٨ ،  
 ٦٣٩ ، ٦٤٧  
 همام بن الفضل بن المذهب المعري ( أبو غالب )  
 ( صاحب التاريخ ) : 4 . ٦٣١ ، ٦٣٢  
 همدان ( همدانية ) : 3 . ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٣ ،  
 ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٦١٢ . 4  
 الحمداني ( محمد بن عبد الملك ) ( صاحب تكملة  
 تاريخ الطبري ) : 1 . ٥٦ ، ٩٣  
 أبو الهيجاء ( ابن حمدان ، عم سيف الدولة ) : 2 .  
 ٣٢٢ ، ٥١٤ . 3  
 . . . . .  
 أبو وائل ( تغلب بن داود بن حمدان ) : 2 . ٣٢٠  
 الواحدى ( شارح ديوان المتنبي ) : 1 . ٣٧ ، ٨٧ ،  
 ١٠٩ ، ١٤٢ . 2 ، ٥٨٥ . 4 ، ٥٨٩  
 الوحيد ( سعد بن محمد ) : 4 . ٦٦٠  
 الوصى ( علي بن أبي طالب ) : 4 . ٦٤٥  
 ابن وكيع ( الحسن بن محمد بن وكيع ، أبو محمد  
 التميمي ) : 4 . ٦٦٠ ، ٦٦٢  
 . . . . .  
 يانس ( غلام مؤنس ) : 2 . ٢١٦  
 اليازجي ( ناصيف اليازجي )  
 ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ( أبو اللؤلؤ ) :  
 1 . ٥٦ ، ١٥٣ . 2 ، ٥٨٧ . 4 ، ٥٩١ ، ٥٩٦ ،  
 ٦٢٤ ، ٦٢٦ ، ٦٣٢ ، ٦٣٦ ، ٦٤٢ ، ٦٥٩ ،  
 ٦٦١ - ٦٧٢ ، ٦٧٦ ، ٦٧٨ ، ٦٨١  
 يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الحصكفي : 4 .  
 ٦٤١ ، ٦٤٢  
 يحيى بن علي أبو زكريا ( التبريزي ) : 4 . ٦٦٠  
 يحيى بن علي الحضرمي ( أبو القاسم ) : 4 . ٦٤٥  
 أبو اليمن ( زيد بن الحسن بن زيد الكندي )  
 اليهود ( عجل اليهود ) : 2 . ٢١٥ ، ٢٢٧ - ٢٢٩ ،  
 ٢٣٣ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ . 3 ، ٦٢٢ . 4 ، ٦٨٨  
 يوسف بن أبي الساج : 3 . ٥١٤  
 يوسف بن سليمان ( الأعلم ) ( أبو الحجاج ) : 4 .  
 ٦٦٠  
 يوسف بن محمود السأوي الصوفي ( أبو يعقوب ) :  
 4 . ٦٢٤  
 ابن يونس ( عبد الرحمن بن أحمد بن يونس ، أبو  
 سعيد ) : 4 . ٦٤٥

## فهرس المواضع

- آدرى كسرى (مجلد): ٦٠٨. 4  
الآستانة: ٥٨٥. 4  
الأردن: ١٥٥. 2، ٩١. 1  
أرجان: ٦٤٢، ٦٢٩. 4، ٣٧٩، ٣٧٨. 2  
أصبهان: ٦٤٢، ٦٢٩، ٦٢٤. 4  
الألب (جيل فى أوربة): ١٠٩. 1  
أنطاكية: ٢٢٢، ١٥٠ - ١٤٧. 2، ٩١. 1  
٢٩٤، ٢٨٦، ٢٨١، ٢٧٧، ٢٥٦، ٢٥٥  
٢٩٥ - ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٠  
٣١٤ - ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٦. 3، ٥٢٦. 4، ٦٣٥  
٦٦٤  
الأهواز: ١٣٩، ١٤٦، ١٧٧، ١٧٨. 3  
٥٥٣، ٥٥٣. 4، ٦١٦، ٦٨٢، ٦٨٣  
أوربة: ٢١. 1  
٥٥٥  
باب الشعير (بغداد): ٥٩١. 4  
بحيرة طبرية (طبرية)  
البحرين: ٥٠٢، ٤٩٤. 3  
البصرة: ١٧٨، ١٥٩، ١٥٨، ١٤١. 2  
نصف (قرية للمتنبى بمجرة النعمان): ٦٣١. 4  
٦٣٢  
بطن هنريط (هنريط)  
بعلبك: ٥٢٦. 3، ٢٩٤، ٢٢٢، ١٩٨. 2  
بغداد (مدينة السلام): ٧٢، ٦٦، ٦٥، ٥٦. 1  
٨٧، ١٧٣، ١٧٢، ١٦٤، ١٤٥، ١٤١. 2  
١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٨١، ٣٠٣، ٣٧٣  
٣٧٥ - ٣٧٨، ٤١٦. 3، ٤٥٧، ٤٥٩  
٥١٠، ٥١٨، ٥٢١، ٥٢٦، ٥٨٥. 4 -
- ٥٩٢، ٥٩٦ - ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٣  
٦٢٥، ٦٢٨، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٩  
٦٤٩، ٦٥٤، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٨٣  
٦٨٤، ٦٩١  
البقاع (الشام): ٥٤١، ٥٥٠  
بنورى: (بنورى): ٦٥٢، ٦٥٠. 4  
بنورى (بالزاي) (بنورى): ٦٩١. 4  
بين النهرين: ٥٢٦. 3  
بزرغ (نيزغ): ٦٥٢، ٥٩٦. 4  
تربان: ٣٧٢. 2  
التيه (تیه بنى إسرائيل): ٣٧٢، ٣٦٧. 2  
جبل: ٥٩٧. 3، ٦٥٣  
جرش (جصى ...): ٢٧٥، ٢٧١. 2  
الجزيرة (الشام): ٣٣٩. 2 - ٣٤١، ٥١٠. 3  
٥٢٥  
الحدالى: ٣٦٤. 2  
الحديثة: ٢١٦. 2  
حران: ٥٢٦. 3، ٢٢٢، ١٩٨. 2  
حصن برزويه: ٦٤٤. 4، ٣١٠. 2  
حضر موت (محلة بالكوفة): ١٤٢، ١٤١. 2  
٢١٠، ٢١١. 3، ٥٦١. 4، ٦٢٠  
حلب: ١٩٨، ١٤٧. 2، ٩٠، ٨٧، ٨٤. 1  
٣٢٠، ٣١٨، ٣٠٨، ٢٥٥، ٢٢٦، ٢٠٠  
٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٦١، ٣٦٢. 3  
٥٢٦، ٥٥٤، ٦٠٧. 4، ٦٠٨، ٦١٥  
٦١٦، ٦٣١، ٦٣٧، ٦٤٣، ٦٥٦، ٦٧٧  
٦٨٤، ٦٨٨  
حماة: ٢٢٢. 2

- حمص: ١٩٨. ٢، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٤٢، ٢٢٥،  
٢٥٦، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٥٥، ٦١٥. ٤،  
٦٦٣، ٦٨٤
- \*\*\*
- خان ابن حامد (بغداد): ٥٩١. ٤  
خانكاه سعد الدين كُمشْتَكِين (بجلب): ٦٠٨. ٤  
خراسان: ٦٤٣. ٤، ٣٠٢. ٢  
خرشنة (جبل ملوك الروم): ٨٨. ١ - ٩٢. ٢،  
٢٢٧
- \*\*\*
- (دار العم) للشريف الرضى: ١٦٧. ٢  
درب الزعفراني ببغداد: ٥٩١. ٤  
دمشق: ٥٤، ٥٥، ٧٠، ٩١، ٩٣، ٢،  
١٤٧، ١٩٨، ٢٢٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٤،  
٣٦١، ٥٢٦. ٣، ٦٥٩، ٦٦٤،  
ديار ربيعة: ٥٢٦. ٣  
دير العاقول: ٥٩٦. ٤، ٥٩٧، ٦٣٩، ٦٤٩،  
٦٥٢، ٦٥٣، ٦٩١
- \*\*\*
- رأس عين: ١٩٨. ٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٢. ٣،  
٥٢٦  
رامْهَرْمَز: ٥٩٥. ٤  
رَبَضُ حَمِيد (ببغداد): ٥٩١. ٤، ٦٠٢، ٦١١،  
رَفْنِيَّة: ٦٣٢. ٤  
الرملة: ٥٢. ١، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٩، ١٧٢،  
٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٢٨،  
٣٦١، ٣٦٢. ٤، ٦٢٩، ٦٤٥
- رومية: ٤٩٩. ٣  
الرّى: ٣٧٨. ٢
- \*\*\*
- السبيع (محلة بالكوفة): ١٤١. ٢، ٢٠٤، ٦٢٠. ٤
- السكاسك: ٥٦١. ٣، ٦٢٠. ٤  
السكون (محلة بالكوفة): ١٤١. ٢، ٢٠٤،  
٢١٠، ٢١١، ٥٦٠. ٣، ٦٢٠. ٤، ٦٨٧،  
٦٨٨
- سَلَمِيَّة: ٢٠٤. ٢، ٦٦٣. ٤  
سُمَيْسَاط: ٢٢٧. ٢  
السماوة (بادية السماوة): ٤٩٢. ٣، ٤٩٤،  
٥٥٤، ٦٨٤. ٤  
سواد العراق: ١٤٠. ٢  
سورستان: ١٤٠. ٢  
سوق حَكَمَة: ١٤٠. ٢  
سورية: ٥٢٥. ٣  
سوق البز (ببغداد): ٦٠١. ٤
- \*\*\*
- الشام: ٢٤. ١، ٤٩، ٥٠، ٦٢، ٦٧، ٨٢،  
٨٧، ٨٩، ٩٤، ١٤١. ٢، ١٥٨، ١٦٠،  
١٦٥، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٨،  
٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٢،  
٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٦١،  
٢٨١، ٣٠٠ - ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٨ - ٣٣٠،  
٤١٨. ٣، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٩٢ -  
٤٩٤، ٥١٠، ٥٢١ - ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٣٩،  
٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٦، ٦٥٧، ٥٦٠، ٥٦١،  
٦٠٧. ٤، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢٠،  
٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٦، ٦٦٤، ٦٨٣، ٦٨٧،  
٦٨٨
- الشَّعْب (بفارس): ٣٨١. ٢، ٣٨٣  
يوم شعب جبلة: ٥٩٩. ٤  
شحرار: ٥. ١، ٢، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٠. ٤،  
٥٨٥ - ٥٨٨، ٦٠٣، ٦٠٨، ٦١٠، ٦٢٨،  
٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٩، ٦٥١،  
٦٨٨
- سَلَمِيَّة: ٢٠٤. ٢، ٦٦٣. ٤  
سُمَيْسَاط: ٢٢٧. ٢  
السماوة (بادية السماوة): ٤٩٢. ٣، ٤٩٤،  
٥٥٤، ٦٨٤. ٤  
سواد العراق: ١٤٠. ٢  
سورستان: ١٤٠. ٢  
سوق حَكَمَة: ١٤٠. ٢  
سورية: ٥٢٥. ٣  
سوق البز (ببغداد): ٦٠١. ٤
- \*\*\*
- الشام: ٢٤. ١، ٤٩، ٥٠، ٦٢، ٦٧، ٨٢،  
٨٧، ٨٩، ٩٤، ١٤١. ٢، ١٥٨، ١٦٠،  
١٦٥، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٨٦، ١٩٨،  
٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٢،  
٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٦١،  
٢٨١، ٣٠٠ - ٣٠٧، ٣١١، ٣٢٨ - ٣٣٠،  
٤١٨. ٣، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٩٢ -  
٤٩٤، ٥١٠، ٥٢١ - ٥٢٧، ٥٣٨، ٥٣٩،  
٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٦، ٦٥٧، ٥٦٠، ٥٦١،  
٦٠٧. ٤، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٩، ٦٢٠،  
٦٤٢، ٦٤٤، ٦٤٦، ٦٦٤، ٦٨٣، ٦٨٧،  
٦٨٨
- الشَّعْب (بفارس): ٣٨١. ٢، ٣٨٣  
يوم شعب جبلة: ٥٩٩. ٤  
شحرار: ٥. ١، ٢، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٠. ٤،  
٥٨٥ - ٥٨٨، ٦٠٣، ٦٠٨، ٦١٠، ٦٢٨،  
٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٩، ٦٤١، ٦٤٩، ٦٥١،  
٦٨٨
- سَلَمِيَّة: ٢٠٤. ٢، ٦٦٣. ٤  
سُمَيْسَاط: ٢٢٧. ٢  
السماوة (بادية السماوة): ٤٩٢. ٣، ٤٩٤،  
٥٥٤، ٦٨٤. ٤  
سواد العراق: ١٤٠. ٢  
سورستان: ١٤٠. ٢  
سوق حَكَمَة: ١٤٠. ٢  
سورية: ٥٢٥. ٣  
سوق البز (ببغداد): ٦٠١. ٤
- \*\*\*
- السبيع (محلة بالكوفة): ١٤١. ٢، ٢٠٤، ٦٢٠. ٤



- الفرايس: ٢٥٦. 2  
القرات: 1. 92، 2. 222، 3. 224، 4. 518.  
٦٩١  
فرنسا: 1. 109  
القساط (مصر): 1. 92، 2. 147، 3. 347  
الفيوم: 4. 689  
\*\*\*  
القاهرة: 1. 77  
القسطنطينية: 1. 55  
قنسرين: 2. 206  
قويق: 4. 338  
\*\*\*  
كاظمة (تُغف كاطمة): 3. 400، 4. 401  
كراجي (بالهند): 1. 80  
كرخ بغداد: 4. 591  
كفر عاقب: 1. 52، 58، 63، 2. 150،  
3. 293، 4. 373، 5. 290  
3. 564، 6. 560  
كدنة (محلة بالكوفة): 1. 53، 2. 137، 3. 141،  
4. 142، 5. 145، 6. 144، 7. 144، 8. 144  
كوتكين: 2. 157، 3. 224، 4. 263  
الكوفة: 1. 49، 2. 53، 3. 56، 4. 59، 5. 62، 6. 65،  
7. 82، 8. 137، 9. 153، 10. 156، 11. 173،  
12. 187، 13. 191، 14. 192، 15. 196، 16. 198، 17. 211،  
18. 215، 19. 229، 20. 256، 21. 277، 22. 284،  
23. 306، 24. 327، 25. 337، 26. 372، 27. 382، 28. 3،  
29. 404، 30. 421، 31. 429، 32. 431، 33. 436، 34. 438،  
35. 446، 36. 457، 37. 463، 38. 471، 39. 479،  
40. 485، 41. 488، 42. 503، 43. 507، 44. 510،  
45. 528، 46. 545، 47. 546، 48. 589، 49. 600، 50. 610،  
51. 614، 52. 634، 53. 649، 54. 650، 55. 659، 56. 674،  
57. 679، 58. 671، 59. 690، 60. 691
- \*\*\*  
الصفافية (غربي بغداد): 4. 604، 5. 601، 6. 691  
الصعيد (مصر): 2. 363، 3. 468  
صهبان (قرية بالشام): 4. 632  
صيداء: 2. 363، 3. 468  
\*\*\*  
ضُمير (جبل): 2. 344  
\*\*\*  
طَبْرِيَّة (بحيرة طبرية): 1. 67، 2. 91-97، 3. 2،  
4. 153، 5. 156، 6. 169، 7. 253-259،  
8. 260، 9. 268، 10. 273، 11. 287، 12. 292، 13. 525  
4. 564  
طبرستان: 4. 591  
طرابلس (الشام): 2. 198، 3. 525  
طور سيناء: 2. 372  
\*\*\*  
العراق: 1. 64، 2. 79، 3. 90، 4. 92، 5. 140،  
6. 158-170، 7. 176، 8. 222، 9. 224، 10. 271،  
11. 301-303، 12. 328، 13. 330، 14. 339،  
15. 341، 16. 362، 17. 372، 18. 374، 19. 376، 20. 377، 21. 3،  
22. 429، 23. 457، 24. 459، 25. 466، 26. 490،  
27. 611، 28. 639، 29. 653، 30. 668  
العواصم: 2. 374  
عين النمر: 4. 596  
\*\*\*  
عُرب: 2. 364  
\*\*\*  
فارس: 2. 139، 3. 302، 4. 378، 5. 384، 6. 385،  
7. 503، 8. 504، 9. 592، 10. 616، 11. 600،  
12. 689، 13. 692، 14. 683

- مقبرة باب الدير ببغداد: ٥٨٦. 4  
مَلْطِيَّة: ٢٢٦. 2  
مَنِيح: ٥٢٦. 3، ٢٢٢، ١٩٨. 2  
الموصل: ٣٢١، ٣٠٤، ٢١٦، ٢١٥. 2، ٩٢. 1  
٦٧٢، ٦٥٦، ٦٥٥، ٦٣٥. 4  
مَيَّافارقين: ٦٧٣، ٦٧٢. 4  
\*\*\*  
عجد: ١٩٧. 2  
نحلة: ٦٢٢. 4  
نَصِيْبين: ٥٩١. 4، ٥٢٦. 3، ٢١٥، ١٩٨. 2  
النعمانية: ٦٩١، ٦٥٠، ٦٤٩. 4  
النوبة: ٥٩٣. 4  
نيزغ (بيزع): ٥٩٦. 4  
النيل: ٤٤٦. 3  
\*\*\*  
الهند (كراجي): ٨٠. 1  
هَنْرِيْط (بطن هنريط): ١٤٨. 2  
\*\*\*  
واسط: ٥٩٦، ٥٩٢، ٥٩٠. 4، ٢٤٠. 2  
٦٩١، ٦٦١، ٦٥٢، ٦٥١  
\*\*\*  
اليمس: ٢١١، ٢١٠، ٢٠٣، ١٤٢-١٤٠. 2  
٦٢٠. 4، ٥٦١. 3  
\*\*\*  
الأزهر: ٢٤. 1  
دار العلوم: ٢٤. 1  
دار الكتب المصرية: ٥٥. 1  
الجمعية الجغرافية: ١١١، ١٠٦، ١٠٣، ٩٩. 1  
٥٢٣، ٤٢٧. 3  
لجنة التأليف والترجمة والنشر: ١٠١. 1  
مجمع اللغة العربية بدمشق: ٥٤. 1  
مصر الجديدة: ٧٧، ٤٤. 1  
المطبخ (سجن): ٦٢٣. 4  
مَعْلَنًا: ٦٣٥. 4  
معة النعمان: ٦٣١. 4  
المغرب: ٣٦٦، ٣٠٢، ٢٢٢، ١٦٤. 2

## أماكن أخرى

- المدرسة الخديوية الثانوية: ٨. 1  
\*\*\*  
أسوع المتنبي: ١٠٣، ٩٩. 1  
\*\*\*  
« غزوة المصيبة » (سيف الدولة): ٦٦٤. 4  
« غزوة الفناء » (سيف الدولة): ٦٦٤. 4  
\*\*\*  
الأزهر: ٢٤. 1  
دار العلوم: ٢٤. 1  
دار الكتب المصرية: ٥٥. 1  
الجمعية الجغرافية: ١١١، ١٠٦، ١٠٣، ٩٩. 1  
٥٢٣، ٤٢٧. 3  
لجنة التأليف والترجمة والنشر: ١٠١. 1  
مجمع اللغة العربية بدمشق: ٥٤. 1

## فهرس الكتب

## كتب عن المتنبي

« زيادات شعر المتنبي » ، للراجكوتى : ١ . ٣٨ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٤ . ٩٢ - ٥٩٤

« ديوان المتنبي » رواية ابن جنى ( عزام ) : ٤ . ٩٦ ، ٦٠٠

« شرح ديوان المتنبي » ، للواحدى : ١ . ٣٧ ، ٨٧ ، ١٠٩ ، ٤ . ٨٥ ، ٥٨٩ ، ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » ( للمكبرى ) : ٣ . ١٢٠

« شرح ديوان المتنبي » لناصرى البازجى : ١ . ٣٧ ، ٤٤ ، ٨٧

« الفسر » لابن جنى : ٤ . ٦٣٧ ، ٦٤١ ، ٦٦٠

« اللامع العزى » للمعرى : ٤ . ٦٦٠

« معجز أحمد » : ٤ . ٦٦٠

« الموضح » ، للتبريزى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لعبد القاهر الجرحانى : ٤ . ٦٦٠

« شرح السمعانى لديوان أبى الطيب » : ٤ . ٦٦٠

« شرح الإفليل لديوان أبى الطيب » : ٤ . ٦٦٠

« شرح الأعلم لديوان المتنبي » : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لابن الأنبارى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » ، لأبى اليمى الكندى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لعبد الواحد بن محمد بن على بن ركرى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان المتنبي » لهراس الكافى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان أبى الطيب » للقاسم بن القاسم الواسطى : ٤ . ٦٦٠

« شرح ديوان أبى الطيب » للدانى : ٤ . ٦٦٠

\*\*\*

« التنبيه » لعلى بن عيسى الربعى : ٤ . ٦٤١ ، ٦٦٠ ، ٦٧١

« الواضح فى مشكلات شعر المتنبي » عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، وهو أيضاً .

« إيضاح المشكل فى شعر المتنبي » عبيد الله بن عبد الرحيم الأصفهاني : ٢ . ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٤ . ٦٢٤ ، ٦٦٠

« الرسالة الحاتمية » للحاتمى : ٢ . ١٤٥ ، ٤ . ٦٦١

« جبهة الأدب » أو « الرسالة الموضحة » للحاتمى : ٢ . ١٤٥ ، ٣ . ٣٧٦ ، ٤ . ٦٦١

« كتاب المفاوضة » لمحمد بن على بن نصر الكاتب : ٤ . ٦٣٣

- « كتاب الصاحب بن عباد » : ٦٦١ . ٤
- « نزهة الأديب ، في سرقات المتنبي من حبيب » لحسنون المصرى : ٦٦١ . ٤
- « بقية الانتصار ، المكثّر من الاختصار » للمغرى : ٦٦١ . ٤
- « التنبيه المُنبئ ، عن رذائل المتنبي » للمغرى : ٦٦١ . ٤
- « الانتصار المُنبئ ، عن شعر المتنبي » للمغرى : ٦٦١ . ٤
- « قصائد المتنبي » للأعلم الشنتمرى : ٦٦١ . ٤
- « كتاب أنى الحسن الصقلى » : ٦٦١ . ٤
- « كتاب القطّاع » : ٦٦١ . ٤
- « كتاب القزاز القيروانى » : ٦٦١ . ٤
- « كتاب للحسين بن محمد بن طاهر » : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب أنى الفضل العروضى » : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب الخوارزمى » ( محمد بن العباس ) : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب عبد الرحمن بن دوست النيسابورى » : ٦٦٠ . ٤
- « المنصف » أو « سرقات المتنبي » لابن وكيع : ٦٦٠ . ٤ ، ٦٦٢
- « التّجنى على ابن جنى » لابن فورجة : ٦٦٠ . ٤ ، ٦٢٩ ، ٦٣٥ ، ٦٤٦ ، ٦٦٠
- « الفتح ، على أنى الفتح » لابن فورجة : ٦٦٠ . ٤
- « كتاب الوحيد فى الرد على ابن جنى » للوحيد : ٦٦٠ . ٤
- « المآخذ الكندية ، من المعاني الطائفة » ، لابن الدّهان : ٦٦١ . ٤ ، ٦٦٦
- « الاستدراك على ابن الدهان » لابن الأثير : ٦٦١
- « الإبانة عن سرقات المتنبي » ، للعميدى : ٦٦١ ، ٦٥٩ . ٤ ، ٥٥ . ١
- « الصُّبح المُنبئ » للبديعى : ٦٦١ . ٤ ، ٥٦٢ ، ٥١٣ . ٣ ، ٧٤ . ١ ، ٥٩٤ - ٥٩٢
- « الوساطة » للقاضى الجرجانى : ٦٦٠ . ٤
- « مختدر فى أخبار المتنبي » لياقوت بن عبد الله العربى : ٦٥٩ . ٤
- « مختار من أشعار المتنبي » لياقوت الرومى : ٦٥٩ . ٤
- « رسالة فى قلب كافوريات المتنبي » ( لابن حسام زاده ) : ٧٤ ، ٧٣ . ١

\*\*\*

- « أبو الطيب المتنبي » لمحمد كمال حلمى بك : ٤١٣ . ٣
- « المتنبي » لشفيق جبرى : ٤١٣ . ٣
- « ذكرى أنى الطيب » لعبد الوهاب عزام : ٥٧ . ١ ، ٦٠ ، ٧٩ - ٩٨ ، ١٠٨ ، ٤١٣ . ٣ ، ٤١٦ - ٤١٩ ،

٤٢٣ ٤٢٥

- « مع المتنبي » لطله حسين : ١٠١ . ١ - ١٢٢ ، ٣٩٩ . ٣ - ٥٣٠

\*\*\*

## سائر الكتب

- « مجموع في علم البلاغة » ، لابن جنى : ٦٥ . ١  
 « بلاغات النساء » لطيفور : ٥٩٩ . ٤  
 « التعلل بإجابة الوهم ، في معاني منظوم أولى الفضل » ، للبيروني : ٦٢٧ . ٤  
 « الجمهرة » لابن دريد : ٦٢٩ . ٤  
 « تاج العروس » ، للزبيدي : ١٣٧ . ٢ ، ٦٠٨ . ٤  
 « الإيضاح » ، لأبي على الفارسي : ٥٨٧ . ٤  
 « التذكرة » لأبي على الفارسي : ٦٤١ . ٤  
 « شرح الأشموني على ألفية ابن مالك » : ٣٦ . ١  
 « الأوراق » للصولي : ٧٢ . ١  
 « كتاب الوزراء » لابن الصافي : ٦٢٩ . ٤  
 « الوزراء والكتاب » للجهشياري : ١٧٧ . ٢  
 « أخبار سيف الدولة » للزّراد : ٦٦٤ . ٤  
 « تكملة تاريخ الطبري » للهمداني : ٥٦ . ١ ، ٩٣ ، ٥٩١ . ٤ ، ٦١١ ، ٦٨٤  
 « تاريخ ابن يونس » ، لأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي : ٦٤٥ . ٤  
 « ذيل تاريخ ابن يونس » ، يحيى بن علي الحضرمي : ٦٤٥ . ٤  
 « تاريخ المسيحي » للمسيحي : ٦٤٤ . ٤  
 « تاريخ همام بن الفضل المعري » : ٦٤٤ . ٤  
 « تاريخ القطراني وابن أبي الأزهر » : ٦٢٣ . ٤ ، ٦٨٤  
 « تاريخ الفرغاني » للفرغاني : ٦٤٩ . ٤  
 « تاريخ ابن الأثير » : ١٤٤ . ٢ ، ٥٩١ . ٤  
 « المقفّي » للمقريزي : ٦٨١ . ٤  
 « مجموع لصالح بن إبراهيم بن رشدين » : ٦٤٧ . ٤ ، ٦٤٨  
 « تاريخ حلب » للطباخ : ٨٩ . ١  
 « تاريخ أبي غالب همام بن الفضل المعري » : ٦٣١ . ٤ ، ٦٣٢  
 « البداية والنهاية » لعلي بن مرشد بن مقلّد بن نصر الكاساني المالكي : ٦٣٨ . ٤  
 « البداية والنهاية » لابن كثير : ٥٩٠ . ٤  
 « نزهة عيون المشتاقين » لأبي الغنائم الرّندي : ٦٢٩ . ٤  
 « تاريخ ابن أبي الأزهر » ، والقطراني : ٦٢٣ . ٤ ، ٦٨٤  
 « تاريخ بغداد » للخطيب : ٥٩١ . ٤ ، ٦٠٨ ، ٦١١ ، ٦٤٢ ، ٦٥٩ ، ٦٨٤

- « ذيل تاريخ بغداد » لعبيد الله بن أحمد بن طاهر : ٦٢٤ . 4  
 « تاريخ العظمى » : ٦١٤ . 4  
 « تاريخ دمشق » ، لابن عساكر : ٥٥ . 1  
 « زبدة الحلب » ، من تاريخ حلب « لابن العديم : ٤٤ . 1 ، ٨٩  
 « لواعع الأمور » لابراهيم بن حبيب السقطى : ٦٤٢ . 4  
 « تاريخ القدماء لأئى العلاء » : ٦١٤ . 4  
 « رسالة الغفران » لأئى العلاء : ٦٢٠ . 4 ، ٦٨٤  
 « رسالة ابن القارح » : ٦٨٤ . 4  
 « المعلقات العشر الجاهلية » : ٩ . 1 ، ١٠  
 « الأغاني » لأئى الفرج الأصفهاني : ٥٩٩ . 4  
 « الحيوان » للجاحظ : ٥٤٤ . 3  
 « العملة » لابن رشيقي : ٥١٥ . 3  
 « الحماسة » لأئى تمام الطائى : ٩ . 1  
 « الكامل » للمبرد : ٩ . 1  
 « رغبة الآمل » لسيد بن على المرصفى : ٩ . 1  
 « خزانة الأدب » للبغدادى : ٥٣ . 1 ، ٤٧١ . 3 ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥٤٧ ، ٦١٠ . 4 ، ٦٢٤  
 « يتيمة الذهر ( للثعالبي ) : ٤١٨ . 3 ، ٦٢٢ . 4  
 « الأنساب » للسمعاني : ٦٠٨ . 4  
 « جمهرة النسب » لابن حزم : ٥٨٧ . 4 ، ٥٩٠  
 « الإكمال » لابن مأكولا : ٦٠٨ . 4  
 « المشتبه » للذهبي : ٦٠٨ . 4  
 « تبصير المنتبه » ، لابن حجر : ٦٠٨ . 4  
 « لسان الميزان » لابن حجر : ٦٠٨ . 4  
 « طبقات الأدباء » لابن الأنبارى : ٥٥٢ . 3 ، ٥٥٤ ، ٥٥٦  
 « إنباه الرواة » للقفطى : ٥٨٧ . 4  
 « الفلاكة والمفلوكون » : ٥٨٦ . 4  
 « وفيات الأعيان » لابن خلكان : ٥٨٦ . 4  
 « لباب الأنساب » للسيوطى : ٦٠٨ . 4  
 « بغية الوعاة » للسيوطى : ٥٨٦ . 4  
 « ذكرى حبيب » للبديعى : ٧٤ . 1



## مكاتب

- « مكتبة فيض الله بالآستانة » : ٥٨٥ . 4
- « لجنة التأليف والترجمة والنشر » : ٣٩٩ . 3
- « المكتبة السلفية » : ٣٨ ، ١٤ ، ١٢ . 1
- « المطبعة المصرية » : ٣٦ . 1
- « مكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية » : ٥٥ . 1

\*\*\*

## الفرق وأشباهها

- الزنادقة ( الزندقة ) : ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٤٩٨ . 3
- الهوائية ، أصحاب الفضاء ( فرقة ) : ٦٢٧ . 4
- مذهب النفس الناطقة ( فرقة ) : ٦٢٦ . 4
- السفسطائية ( فرقة ) : ٦٢٦ . 4
- الحشيشية ( فرقة ) : ٦٢٦ . 4
- الحلول : ٥١٤ ، ٥٠١ . 3
- الإلحاد : ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠١ . 3
- الفرعونية : ٢١ . 1
- الفبيقية : ٢١ . 1
- الحروب الصليبية : ٦٧ . 1

\*\*\*



## فهرس

### رسالة في الطريق إلى ثقافتنا

٥ - فاتحة الرسالة / ٦ - مدخل الرسالة ، وبدء الرحلة / ٧ - الرحلة إلى المنهج / ٨ - الانتهاء إلى المنهج ، وعبد القاهر الجرجاني وسيبويه / ١٠ - تفسير جديد لأرمنة الفعل عند سيبويه / ١٤ - سبب تأليف سيبويه كتابه / ١٥ - منهجى فى تذوق الكلام / ١٦ - منهجى فى التذوق ، وكتابتى « المتنبى » كيف استقبال / ١٧ - كتابى « المتنبى » كيف استقبال / ١٨ - لم أفرق منهجى قط فى مقالاتى وكتبى / ١٩ - لم أفرق منهجى فى « القوس العذراء » ( وهى شعر ) / ٢٠ - تذوق شعر السماخ / ٢١ - كلام فى « المنهج » و « ما قبل المنهج » ، ما هو ؟ / ٢٢ - « ما قبل المنهج » ، المادة ، والتطبيق / ٢٣ - كيف نشأ الخلاف بينى وبين المناهج الأدبية السائدة / ٢٤ - أصول « المنهج » من عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم / ٢٥ - أصول « ما قبل المنهج » ، وبيان ذلك / ٢٧ - أصول « ما قبل المنهج » ، اللغة وأسرارها / ٢٨ - أصول « ما قبل المنهج » ، الثقافة وأسرارها ، « البراءة » من « الأهواء » / ٢٩ - العواصم التى تحمى « ما قبل المنهج » / ٣٠ - العواصم التى تأتى من قبل « الثقافة » / ٣١ - رأس كل ثقافة هو « الدين » ، الأصل الأخلاقى / ٣٢ - « الأصل الأخلاق » الفريد بالكمال فى ثقافتنا / ٣٤ - تاريخ نشأة الخلاف بينى وبين المناهج / ٣٥ - التفسير الصحيح لقضية « الحروب الصليبية » / ٣٦ - إخفاق « الحروب الصليبية » ، ثم فتح القسطنطينية / ٣٧ - تأريخ « المسيحية الشمالية » فى المأزق ( أوربة ) وتفسيره / ٣٨ - إخفاق « الحروب الصليبية » وعودتها إلى ديارها ( أوربة ) / ٣٩ - بحث « المسيحية الشمالية » عن مخرج ، ظهور « بيكن » وطبقته / ٤٠ - ظهور « توما الإكوينى » وطبقته ، واستمدادهم من المسلمين / ٤١ - فاجعة فتح القسطنطينية وأثرها فى أوربة / ٤٢ - فتح القسطنطينية لم يكن شرّاً على أوربة / ٤٣ - الإصلاح الدينى فى أوربة ، « لوتر » و « كلفن » ، واستمدادهم من المسلمين / ٤٤ - مراحل الصراع بين المسيحية الشمالية ودار الإسلام / ٤٥ - المرحلة الرابعة هى التى أدت إلى « عصر النهضة » / ٤٦ - إعادة أوربة نفسها لحرب صليبية رابعة / ٤٧ - مدد « عصر النهضة » كله مأخوذ من دار الإسلام / ٤٨ - بدء ظهور طبقة « المستشرقين » وأهدافهم ووسائلهم / ٤٩ - وصف حقيقة طبقة « المستشرقين » وعملهم للتبشير والاستعمار / ٥٠ - أهداف المسيحية الشمالية وحقيقتها / ٥١ - أهداف المسيحية الشمالية ووسائلها / ٥٢ - انفك حصار المسيحية الشمالية باكتشاف أمريكا ، وكيف كان ذلك / ٥٣ - إبادة الهنود الحمر هو خلق الحضارة الأوربية ، « الاستشراق » / ٥٤ - عمل « الاستشراق » و « المستشرقين » ونهْبُ ثرائنا / ٥٥ - حقيقة « الاستشراق » ، وظهور دهايقته الكبار / ٥٦ - « المستشرق » حامل هموم المسيحية الشمالية ومثّل أهدافها / ٥٧ - لأى هدف كتب « المستشرقون » ما كتبوا ؟ وصفة « المستشرق » / ٥٨ - ما كتبه « المستشرقون » موجه إلى المثقف الأوربى لا غير / ٥٩ - الصورة التى صوروا بها العالم الإسلامى للمثقف الأوربى / ٦٠ - عمل « الاستشراق » موجه للمثقف الأوربى لحمايته / ٦١ - « الاستشراق » يطلب إقناع المثقف الأوربى لحمايته / ٦٢ - كتب « المستشرقين » لا توصف بأنها علمية / ٦٣ - أسباب نفى صفة « العلمية » عن كُتب « المستشرقين » / ٦٥ - « المستشرق » عارى من شروط « المنهج » و « ما قبل المنهج » / ٦٦ - نشأة « المستشرق » تمنعه من الدخول تحت شروط « المنهج » الثلاثة / ٦٧ - شروط « المنهج » : « اللغة » و « الثقافة » و « البراءة من الأهواء » / ٧٠ - تنمة القول فى تحلو « المستشرق » من شروط

« المنهج » / ٧١ - سرُّ « الثقافة » المثلَّم ، ولم ؟ / ٧٢ - طُوران في الطريق إلى « الثقافة » : الدين واللغة / ٧٤ - « الدين واللغة » غير قابلين للفصل / ٧٥ « ثقافة عالمية » كلمة باطلة ، ولم ؟ / ٧٦ لغة « المستشرق » و « ثقافته » تخرجه من شروط « المنهج » / ٧٧ - دوافع « المستشرق » في الكتابة حقٌّ له / ٧٨ - ختام قضية « الاستشراق » / ٧٩ قصة ملؤها المضحكات والمبكيات / ٨٠ كيف كان الأمر في القرن الحادي عشر الهجري / ٨١ « النهضة » ورجالها في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين / ٨٣ - الجبرتي الكبير والإفرنج (المستشرقون) / ٨٤ - الفرق بيننا وبين أوربة في ذلك الوقت / ٨٥ - « الاستشراق » وتحوُّفه من نهضتنا يومئذٍ / ٨٦ « الاستشراق » ونذيرُهُ للمسيحية الشمالية / ٨٧ « الاستشراق » وعمله للاستعمار / ٨٨ - صراع بريطانيا وفرنسا في دار الإسلام في الهند / ٨٩ - وقَّع نذير « الاستشراق » في فرنسا ، نابليون / ٩٠ - « نابليون » السفاح مدمر القاهرة / ٩١ قصة مُقحَّمة / ٩٣ - حقيقة « الحملة الفرنسية » في مصر / ٩٥ « مينو » الخبيث ، وجلاء الفرنسيين عن مصر / ٩٦ - تدمير القاهرة على يد نابليون وحملته / ٩٧ - الحملة الفرنسية ومستشرقوها وسرقة نفائس الكتب / ٩٩ - سرقة الكتب لوأد اليقظة ، وسفح دماء رحالها / ١٠٠ - سفح الدماء لوأد اليقظة / ١٠١ - جهاز « الاستشراق » وعمله في دار الإسلام / ١٠٢ - « الاستشراق » وفكرة نابليون في حديعة « الديوان » / ١٠٤ - « الاستشراق » كامنٌ في أحشاء جزائر القاهرة نابليون / ١٠٥ - سياسة جزائر القاهرة في « إنشاء الديوان » / ١٠٦ - إخفاق نابليون ومستشرقوه في ترويض الجماهير المصرية / ١٠٧ خيبة أمل الحزائر في « تدجين » المشايخ / ١٠٨ - رسالة نابليون إلى حليفته كبير وخطرها / ١٠٩ - نص الرسالة وكيف عبث بها الرافعي ، فصيحة !! / ١١٢ - « المستشرقون » وأهدافهم ووسائلهم ، وزحفهم البطيء / ١١٣ « لينتزر » الفيلسوف الألماني يخرّض فرنسا على غزو مصر / ١١٤ تقارير الساسة الفرنسيين الداعية لغزو مصر / ١١٦ - تواريخ التقارير مطابقة لتاريخ « اليقظة » في مصر / ١١٩ - إرهاب نابليون ومقاصده في رسالته إلى « كبير » / ١٢٠ - مقاصد « نابليون » وإرهابه وجذور قضيتنا مع الغرب / ١٢١ - عمل « الاستشراق » ، والزحف الشامل على دار الإسلام / ١٢٢ - جاليات المسيحية الشمالية في قلب دار الإسلام / ١٢٣ تعبئة « الاستشراق » اليهود والأرمن والأروام والمالطيين / ١٢٤ - « المستشرقون » وإقامتهم الطويلة في دار الإسلام في كل زى / ١٢٥ - عمل « الاستشراق » في إقامته الطويلة بدار الإسلام في مصر / ١٢٦ - بدء سقوط هيئة المشايخ عند الماليك المصرية / ١٢٧ - الثورة على الماليك ، والمشايخ الذين كانوا على رأسها / ١٢٩ - ثورة المشايخ على الماليك جزءٌ من « اليقظة » / ١٣٠ - المشايخ الثوار ، كيف استجابوا لدعوة نابليون لإنشاء « الديوان » / ١٣١ ما كان « الاستشراق » يوحيه إلى المشايخ عند دُتُّوا الحملة الفرنسية / ١٣٢ ما كان « المستشرقون » يفعلونه مع الماليك ، ومع الكنيسة القبطية / ١٣٣ - حقد « الاستشراق » على الكنيسة القبطية لما لم تستجب لإغرائهم / ١٣٤ سر استجابة المشايخ لنابليون ودويانه / ١٣٥ إسناد المشايخ ولاية مصر لمحمد علي / ١٣٦ - صفة أخلاق محمد علي ، ومراقبة « الاستشراق » له / ١٣٧ - غدر محمد علي بالذي ولّاه مصر ، السيد عمر مكرم / ١٣٨ - إحاطة « القناصل » بمحمد علي ، وتخريضه على غزو جزيرة العرب / ١٣٩ - قصة فكرة البعثات إلى أوربة / ١٤٠ « جومار » وتطوُّره مشروع نابليون إلى بعثات طلبة / ١٤٢ - رفاعة الطهطاوى وحبره ، وما فعل به « المستشرقون » / ١٤٥ - حقيقة « مدرسة الألسن » التي أنشأها رفاعة الطهطاوى ، وخطرها / ١٤٦ خاتمة الرسالة ، وتمتة القول في حطر « مدرسة الألسن » / ١٤٧ - الاحتلال الإنجليزي لمصر ، وجعل التعليم كله في قبضة المباشر « دنلوب » / ١٤٨ - « تفرغ » طلبة المدارس من ماضيهم ، وبعث الانتاء إلى « الفرعونية » البائدة / ١٤٩ - ختام الرسالة ؛ والحمد لله وحده .

مقدمة هذه الطبعة

- ١٥١

وفيها ظهورُ نصٍّ ثالثٍ جيد ، هو من كلام المتنبي نفسه . ويثبتُ إثباتاً قاطعاً أنه أَرْضَعَتْ امرأةً علوية من بناتِ « آل عبيد الله بن يحيى ( أو : ابن علي ) » . وهو الفيصلُ في شأنِ علوية المتنبي ، يؤيد ما افترضته استنباطاً عن طريق منهجي في « التذوق » ، أنَّ المتنبي علويُّ النسب . وأخبارُ أخرى بعضها يتعلقُ بقضية كتابي هذا

١٥٣

الكلمة التي أُلْقِيَتْ بعد تسلمِ جائزة الملك فيصل العالمية

- ١٨٧

صورة البراءة التي حاز بها هذا الكتابُ جائزة الملك فيصل العالمية

\*\*\*

رسالةُ الكتاب ( ١ )

خطبة كتاب المتنبي

- ٥

قصةُ هذا الكتاب ، ولَمَحَةٌ من فساد حياتنا الأدبية

- ٧

( ٨ ) بدءُ قصتي مع الشعر الجاهلي ، وكيف انتهت بي إلى اتخاذِ منهجي في « التذوق » ، تذوقِ الكلام عامةً ، والشعر خاصة ( ١٢ ) قضية الشعر الجاهلي في الجامعة ، ومعارضتي لمنهج الدكتور طه حسين بمنهجي في « التذوق » ( ١٨ ) خداع المستشرقين : ثلثينو وجویدی في مسألة « السطو » على آراء الآخرين ( ١٩ ) تنبُّهُ يومئذ ( سنة ١٩٢٦ ) إلى أسباب « فساد حياتنا الأدبية » وكيف تمَّ إفسادها عن طريق العمل السياسي للاستعمار . « التفرغ الثقافي » . كيف تمَّ تفرغنا من ثقافتنا ، لإحلال ثقافة أخرى في نفوس المتعلمين . وكيف تمَّ بعد ذلك اعتيادُ حياتنا الأدبية على « السطو » وعلى « الثرثرة » وهما أبشعُ داءٍ أفسد حياتنا الأدبية ولم يزلَا مستمرَّين إلى يومنا هذا ( ٢٢ ) من « التفرغ الثقافي » ، نشأت قضية فاسدة ، هي قضية « القديم » و « الجديد » و « التجديد » و « ثقافة العصر » وما شاكل هذه الألفاظ الفارغة . شرح هذه القضية ، وذكر صفة العاملين على إحداثها في حياتنا الأدبية . ( ٢٥ ) المعنى الصحيح لما يسمَّى « التجديد » ، وكيف كان ينبغي أن يكون . ( ٢٨ ) شهادتي على جيلي الذي أنا منه ( ٢٩ ) شهادة الدكتور طه على هذا الجيل نفسه في سنة ١٩٣٥ ، بعد عشر سنواتٍ فيها شهد عواقب ما أحدثته منهجه الانفعالي في تلامذته من الجامعيين وغيرهم .

( ٣٤ ) « المتنبي » ، كيف أُلِّفَ هذا الكتاب ؟ ( ٣٦ ) « التذوق » ، معناه عندی ، وقراءة

شعر المتنبي على وَفْق هذا المنهج المشعَّب ( ٣٧ ) ديوان المتنبي أَوَّل ديوان مرَّتب على تأريخ القصائد ، وإحساس العرب بالتاريخ . وقراءتي شعره مرَّتباً على التاريخ ، وقراءتي إِيَّاه « متذوقاً

( ٣٩ ) محاولتي قراءة شعر الجاهلية وما بعدها ، لكى أؤرخها « بالتذوق » ( ٤٠ ) قراءة شعره وأخباره ، « متذوقاً » ، وبغائده ذلك . ( ٤١ ) كيف تُم تأليف هذا الكتاب ( ٤٣ ) خبر أمين المعلوف واستدلاله على حُب المتنبي « خولة » أخت سيف الدولة ، وهو نفس ما انتهيتُ إليه في هذه القضية ( ٤٦ ) كيف بدأتُ كتابة « المتنبي » بعد طول ترددٍ وخوفٍ ، وقد استقرَّ مذهبى في « تذوق » الشعر والأخبار .

( ٤٩ ) « عمود صورة المتنبي » في كتابى هذا ، منذ مولده إلى يوم مقتله . ( ١ ) في الكوفة من سنة ٣٠٣ - ٣٢٠ غلامٌ علوى النسب ( ب ) خروجه بالشام لإعلان علويته ، وإبطال خبر ما زعموه من ادعاء « النبوة » من سنة ٣٢١ - ٣٢٣ ( ج ) من سنة ٣٢٣ - ٣٣٦ ، رحلته في الشام ، يتخللها دخوله الكوفة سنة ٣٢٥ ( د ) من سنة ٣٣٦ - ٣٤٦ ، لقاءه أبا العناتر ثم مصاحبة سيف الدولة ( هـ ) حبه « خولة » أخت سيف الدولة ، ثم مفارقة الشام إلى مصر من سنة ٣٤٦ وإقامته بها إلى سنة ٣٥٠ ( و ) ثم رحيله عنها إلى العراق ، ثم مقتله سنة ٣٥٤ ( ز ) شخصيته أبقى الطبيب العامة في الكتاب عن طريق « التذوق » ( ح ) حُب ألى الطبيب لجده وزوجه وعياله ، وحب « خولة » ، واستخرجت هذا كله عن طريق « تذوق الشعر والأخبار » = ثم شرح هذه الفقرات الثانية .

( ٥٤ ) ادعاء « علوية المتنبي » ، كان فرضاً محضاً سنة ١٩٣٦ ، ثم في سنة ١٩٥٨ وقفت على أول نصٍّ يؤيد ما ذهبت إليه ( ٥٥ ) في سنة ١٩٦٢ ظهر نصٌّ ثانٍ يؤيد ما ذهبت إليه في علوية المتنبي ، ويؤيد أيضاً ما استنبطته بالتذوق أنه كان لا يحب الشيعة ( ٦١ ) علوية ألى الطبيب ، ومسألة كتمان النسب ، وشرح هذه القضية ( ٦٥ ) دخوله على ابن دريد في نحو سنة ٣٢٠ ، خبر جديد أيضاً ( ٦٦ ) مع سيف الدولة في السياسة ( ٦٨ ) شرح عواطف ألى الطبيب ( ٧٠ ) شرح قضية ألى الطبيب في مصر عند كافور ، وأثر فراقه سيف الدولة في نفسه . ونظرة فيما يتضمنه شعره في مدح كافور من السخرية والازدراء .

( ٧٥ ) « الغمرات ثم يتجلين » ، بعد ظهور كتابى « المتنبي » ، ذكر خبر الرافعى ، وخبر

العقاد

( ٧٩ ) « كتابان في علم السطو » . و « السطو » هو السنة التى سنّها أدباؤنا الكبار في الحياة الأدبية . كتابان ألفا بعد ظهور كتابى ، وهما من الأدلة على فساد حياتنا الأدبية بسنة « السطو » الباقية إلى يومنا هذا ، بل لعلها اليوم أشد بشاعة . الكتاب الأول : « ذكرى ألى الطبيب بعد ألف عام » للدكتور عبد الوهاب عزام ، وبعض دلائل السطو والفساد = ( ٩٩ ) الكتاب الثانى : « مع المتنبي » للدكتور طه حسين ، وفي الكتاب ما فيه ! ( ١٢٢ ) خاتمة فساد حياتنا الأدبية بالسنن الفاسدة التى سنّها شيوخنا وأدباؤنا الكبار

## « المتنبي » ( ٢ )

١٢٧ - تقديم المقتطف لكتاى « المتنبي »

١٢٩ - مقدمة الأستاذ فؤاد صرّوف

\*\*\*

١٣٥ - خطبة الكتاب فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥

١٣٦ - نفثة قديمة ( شعر )

\*\*\*

١٣٧ - ( ١ ) المتنبي ونسبه ، ونشأته من سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣٢١

( ١٣٧ ) الاختلاف فى نسبه ( ١٣٨ ) أخبار نسبه ، وكتانه هو هذا النسب ( ١٤٠ ) مولده فى الكوفة دار العلويين ، ونقد بعض أخبار الكوفة ( ١٤٢ ) صاحب « إيضاح المشكل » ونقد خبره عن المتنبي ، ( ١٤٣ ) المتنبي وبنو بويه ( ١٤٥ ) أخبار القاضى التنوخى ، ونقد هذه الأخبار وتجريح روائها ، وعلاقة المتنبي بالتنوخيين ( ١٥١ ) : بيان عن شأن العلويين فى حياة المتنبي ( ١٥٣ ) الإشارة فى التعليق إلى الأخبار الجديدة عن نشأته ، وأنه أرضعته امرأة علوية ( ١٥٥ ) الإشارة فى التعليق إلى علوى عباسى يرجع أن له شأنًا فى الإرصاء لقتل المتنبي بكفر عاقب ، وهو جديد ( ١٥٨ ) نقد الأخبار عن والد المتنبي « عيدان السقاء » .

١٦٣ - ( ٢ ) الحديث عن جدّة المتنبي وأمه

١٦٧ - ( ٣ ) الأدلة الداعية إلى افتراض علوية المتنبي

( ١٦٧ ) كان أول أدلتى خير « اختلاف المتنبي إلى كُتّاب فيه أولاد أشرف الكوفة » ، وتعلم فيه دروس « العلوية » ، وحذق العربية فى هذا الكُتّاب ، وما جاء بعد ذلك بسنين مما يؤيد حُجّتى فى علويته . ( ١٦٨ ) فى التعليق ، إشارة إلى تدليس المستشرقين ( ١٦٩ ) الدلائل على علويته ، كما استنبطتها باتخاذ مذهبه فى « التلوق » ، ما جاء فى خبر نبوته أنه ادّعى أنه علوى ، إرصاء العلويين لقتله بكفر عاقب ، دلائل مُستخرجة من خير وفاة جدته ومن رثائه إيّاها ( ١٧٢ ) أثر العلوية فى حياته ، وفى مسألة كتمان نسبه ( ١٧٧ ) قصة أضفتها إلى الكتاب ، عن ولد لآنى جعفر المنصور ، تشبه ما افترضته فى قضية المتنبي وأصله العلوى .

١٨١ - ( ٤ ) أم المتنبي وجدّته ، وعلاقتهما بالعلويين

( ١٨١ ) دلالة أوائل شعره على ما في نفسه ، وعلاقة جدته بكتبان نسبه ( ١٨٣ ) ستة أصول نفسية ظهرت في شعر صباه (١) « الالتفات » ، وهو الخروج من معنى محدود إلى معنى مترامى الأطراف ( انظر ص : ٢٨٣ ) ( ب ) دلائل الرجولة والفتوة ويُعَدُّ الهمة التي استغرقت كل شعره ( ج ) الثورة الدائمة التي لم تُعْجَبْ ( د ) طالب ثأر من عدو لا يكاد يفصح عنه ( هـ ) الإشارة الخفية أبداً إلى صفة هذا العدو ( و ) هذه الثورة من أثر تربية جدته ، ودلائل كل ذلك من شعره في صباه ( ١٨٧ ) خبر أئى الفضل الذى يزعمون أنه أضله ، وتنفيد ذلك بنص المتنبي نفسه في تقديمه لشعره في أئى الفضل هذا ( ١٨٨ ) تأثر المتنبي بألفاظ الفلاسفة ، ودلالة ذلك ( ١٩١ ) في الكوفة من مولده سنة ٣٠٣ إلى سنة ٣١٧ ، وصفة حياته وحياته أهل الكوفة في هذه المدة ( ١٩٢ ) خروجه إلى بغداد سنة ٣١٩ ، وقصة له في بغداد رواها هو ، ويؤيدها الخبر الجديد الذى وقفت عليه من دخوله على إمام العربية آبن دريد ، كما سلف في ص : ٦٥ ( ١٩٤ ) « السخرية » طبيعة المتنبي في شعره ، وهى منفذ آلامه ( ١٩٦ ) تأمل المتنبي في حياة أمته ، وما كان يجده من ذلك ، حتى عَفَّ عن الطموح إلى توجيه شعره إلى مدح الأمراء والخلفاء ، ثم فراق الكوفة إلى بادية الشام سنة ٣٢٠ ، حتى نزل دمشق سنة ٣٢١ ، ثم تجوله بعد ذلك في بلاد الشام ، حتى كان ما كان من خبر اعتقاله وحبسه بمحصر .

\*\*\*

## ( ٥ ) نبوة المتنبي ، وبطلانها وتأريخ ذلك في سنة ٣٢١ ، ٣٢٢

- ١٩٩

( ١٩٩ ) سَرَدَ الروايات التى رُوِيَتْ عن « نبوة » المتنبي ( ٢٠٦ ) مقدمة لنقد هذه الروايات ( ٢٠٧ ) نقد خبر آبن أم شيان العلوى الهاشمي ، يقول فيه إنه « ادعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى أنه علوى » ( ٢٠٨ ) نقد خبر أئى على بن أئى حامد وقوله : إن لؤلؤاً أمير حمص « استتابه وكذب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعه ( أى النبوة ) ورجوعه إلى الإسلام » ( ٢٠٩ ) نقد قصة أئى عبد الله بن إسماعيل اللاذقي في شأن « نبوة » المتنبي ( ٢١٢ ) معجزات أئى الطيب التى ذكرها المعري في « رسالة الغفران » وتفسير ذلك ، و « قرآن » أئى الطيب ( ٢١٣ ) ختام رأينا في شأن نبوة المتنبي ومسألة حبسه

\*\*\*

## ( ٦ ) حبس المتنبي كان من أجل إظهاره نسبته « العلوية » لا غير

- ٢١٥

( ٢١٥ ) لقاء المتنبي سيف الدولة سنة ٣٢١ برأس العين ، ومدحُه بقصيدة لم يسمعها منه ، ودلالة هذه القصيدة ، إذ هى القصيدة الفريدة التى مدح بها أميراً من الأمراء بشعر صباه ( ٢١٨ )

حبسه لإظهار علويته ، لا لدعوى « النبوة » ، وعلاقة العلويين والفاطميين بهذا الحبس ، ودلائل ذلك من شعره ( ٢٢٤ ) بقاءه في السجن إلى سنة ٣٢٣ ، ودلالة شعره على استخفافه بالسجن ، وأنه لم يجس لأدعاء النبوة ، بل لإظهار نسبه العلوي ( ٢٢٦ ) تفسير القصيدة التي كانت سبباً في إطلاقه ، ومدحه ابن طغج ( ٢٣٢ ) سبب تلقيب أبي الطيب : « المتنبي » ( ٢٣٥ ) الدليل على أنه منذ خرج من السجن إلى سنة ٣٢٥ لم يكن معروفاً بهذا اللقب ( ٢٣٥ ) نبذة عن ظهور دليل جديد يؤيد ما ذهب إليه في سبب تلقيبه « المتنبي »

•••

### ( ٧ ) حياة المتنبي في الكوفة من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٢٦

- ٢٣٧

( ٢٣٧ ) خروجه من السجن بجمص ، وبقاؤه قليلاً عند التنوخين في اللاذقية ، ثم عودته إلى الكوفة عند جدته ( ٢٣٩ ) استنباط زواجه وهو بالكوفة ، ودليل ذلك من شعره ( ٢٤٠ ) مقارنة نهج شعره قبل سنة ٣٢٦ ، واختلافه عن شعره الذي قاله بعد ذلك ( ٢٤١ ) استنباط المعاني التي دعت إلى فراق الكوفة سنة ٣٢٦ ، من رثائه جدته بعد ذلك سنة ٣٣٥ ، وارتباط ذلك بنسبه العلوي . ثم خروجه إلى الشام مرة أخرى .

•••

### ( ٨ ) رحلته في الشام من سنة ٣٢٦ إلى سنة ٣٢٧

- ٢٤٥

( ٢٤٥ ) رحلته في الشام ، ومعاني شعره وخصائصها في هذه المدة ( ٢٤٦ ) ظهور مذهبه الجديد في الشعر في مدح علي بن إبراهيم التنوخي سنة ٣٢٦ ، ومقارنته بشعر صباه ( ٢٤٩ ) آراؤه السياسية ، وأنفته من حكم الموالى والدليم والعبيد والعجم ( ٢٥٠ ) خصائص شعره في هذه المدة ، وأن لها أصولاً تاريخية في حياته ، وعلاقة ذلك باضطهاد العلويين في الكوفة وفي الشام ( ٢٥٢ ) ما سميت « توقيع المتنبي » في شعره ( ٢٥٣ ) خروجه من اللاذقية إلى طبرية وما لقي من أذعياء العلويين ، وأثر هذه الرحلة في شعره ( ٢٥٥ ) تنمة القول في ذكر بعض من لقيهم أو مدحهم خلال هذه الرحلة ، ودلالات أخرى من شعره

•••

### ( ٩ ) المتنبي مع بدر بن عَمَّار الأسدي بطبرية ، وإقامته معه من سنة

- ٢٥٩

( ٢٥٩ ) تغيّر شعره ومعانيه بعد لقاء بدر بن عمار ، ودلالة هذا الشعر على اتجاهه السياسي والنفسى ( ٢٦٢ ) اتجاهه العربى وازدراؤه للأعاجم وسلطانهم ( ٢٦٤ ) حدة إحساسه بالجمال ، وصفة الأسد الذى قتله بدرٌ ، وهى إحدى القصيدتين اللتين تدلّان على تغيّر منهجه فى الشعر ( ٢٦٧ ) ظهور السخرية فى شعره ، وهى أصل من الأصول الستة المذكورة فى ص : ١٨٣ ( ٢٦٨ ) مكاييد الأعور ابن كروّس التى أدّت إلى مفارقتها بدر بن عمار وخروجه من طبرية ( ٢٧٠ ) إكثاره من المعارض والإنذار والوعيد فى شعره ، وعلاقته بتلقيبه « المتنبي »

\*\*\*

### ٢٧٣ - ( ١٠ ) رحلته فى الشام من سنة ٣٣٣ - ٣٣٦

( ٢٧٣ ) آبن كروّس من شيعة العلويين وأثر ذلك فى شعره ( ٢٧٤ ) خصائص شعره فى هذه المدة ، ورحلته فى الشام ( ٢٧٨ ) دلالة شعره فى مدح الخصيبى على منهجه وآماله فى المطالبة بحقه ، وهو علويته ( ٢٨٠ ) كتاب جدته إليه تدعوه إلى الكوفة ، فمنعه العلويون من دخولها ، فماتت جدته سنة ٣٣٥ ، فبقى قليلاً فى بغداد ، ثم عاد إلى رحلته فى الشام ( ٢٨١ ) دلالات شعره بعد عودته ، ومعنى « الالتفات » فى شعره ( انظر ص : ١٨٣ ) ( ٢٨٣ ) بعض خصائص شعره فى هذه المدة ، فى أنطاكية ، وهو مهم ( ٢٨٩ ) رجوعه إلى طبرية مراغماً للعلويين وصاحبهم ابن كروّس ( ٢٩٠ ) إرصاد العلويين له عبيدهم بكفر عاقب ليقتلوه ، وهو فى طريقه قاصداً أبا محمد بن طغج ( ٢٩١ ) أثر هذه المكيدة فى شعره حين مدح ابن طغج وصاحبه أبا طاهر العلوى ( ٢٩٣ ) ما فى مدحه أبا طاهر العلوى من لمز للعلويين ( ٢٩٤ ) هجاؤه ابن كيغلغ وهو فى طريقه إلى لقاء أبى العشائر الحمدانى

\*\*\*

### ٢٩٥ - ( ١١ ) المتنبي وأبو العشائر الحمدانى ، سنة ٣٣٦

( ٢٩٥ ) مع أبى العشائر فى أنطاكية ، واستيلاء سيف الدولة على الشام . صُحِبته للحمدانيين لمذهبه العربى لا للتكسب ( ٢٩٧ ) خصائص شعره فى هذه السنة ، وما يتعلق بعداوة العلويين والفاطميين ( ٢٩٨ ) مكايدهم يومئذ ، ودلالة قصيدة اللامية على كُُلِّ ذلك

\*\*\*

### ٣٠١ - ( ١٢ ) المتنبي وسيف الدولة ، من سنة ٣٣٧ إلى سنة ٣٤٦



( ٣٠١ ) المتنبي مع سيف الدولة وسياسته العربية ، وهو المذهب الذى حُبَّ إليه سيف الدولة ( ٣٠٣ ) أهداف سيف الدولة السياسية ( ٣٠٤ ) تفسير خصائص شعره فى صحبة سيف الدولة ومشابهتها لخصائصه فى صحبة بدر بن عمار ، واختلاف شعره هذا عن سائر شعره ( ٣٠٥ ) لقاء سيف الدولة يومئذ بأنطاكية ، ليس أول لقاء . تفنيد بعض الروايات عن هذا اللقاء ( ٣٠٨ ) السياق التاريخي لهذا اللقاء ( ٣١٠ ) تفسير أول قصيدة مدح بها سيف الدولة ، ودلالاتها الفنية والسياسية ( ٣١٢ ) تفسير ظاهرة « الانتقال » فى شعر أبى الطيب وخطرها ، وهو فصل مهم ( ٣١٥ ) عودة إلى تفسير القصيدة الأولى ( ٣١٧ ) تفسير شعر أبى الطيب فى أنطاكية ، ودلالته بمنهج « التذوق » على مرض زوجته ثم وفاتها ، وهو تطبيق مهم ( ٣٢٢ ) خصائص شعره عند سيف الدولة ، ودلالاتها على أن صلته بسيف الدولة للحب ولأهداف السياسة ، لا للتكسب والمال ، والأدلة على ذلك ( ٣٢٧ ) دلالة قصيدته التى قالها بعد فراق سيف الدولة سنة ٣٥٢ ( ٣٢٩ ) دلالة قصيدته التى قالها بعد فراقه سنة ٣٥٣

...

### ( ١٣ ) حبُّ المتنبي « خولة » أخت سيف الدولة

- ٣٣٣

( ٣٣٣ ) العواطف الكامنة فى نفس أبى الطيب ، مستنبطة بمنهجى ، فى « التذوق » من شعره ( ٣٣٦ ) الأدلة على حبه « خولة » ، مستنبطة بتطبيق منهج « التذوق » فى شعره . الدليل الأول فى رثائه أخت سيف الدولة الصغرى سنة ٣٤٤ ( ٣٣٧ ) الدليل الثانى فى رثاء أخته الكبرى خولة سنة ٣٥٢ ( ٣٤٠ ) « الانتقال » فى شعر أبى الطيب ، هو الذى يسر هذا الاستنباط ( وانظر ص : ٣١١ ، ٣١٢ ) وتطبيقه على هذا الرثاء ( ٣٤٣ ) دلائل أخرى من شعره عند سيف الدولة على هذا الحب على مذهبنا فى « التذوق » ( ٣٤٧ ) دلائل أخرى على هذا الحب فى مدة إقامته عند كافور ( ٣٤٨ ) البيت الذى عابوه فى أول قصيدة أنشدها كافوراً سنة ٣٤٦ ، دليل صحيح على ما كان فى نفس أبى الطيب من مفارقة ديار حبيبته « خولة » ( ٣٤٩ ) دليل آخر من قصيدته أيضاً فى سنة ٣٤٦ ( ٣٥٠ ) دليل آخر من قصيدته فى السنة نفسها ( ٣٥١ ) قصيدته فى سنة ٣٤٧ ، فاتحتها دليل آخر واضح الدلالة على حبِّ « خولة » ( ٣٥٢ ) دليل آخر من قصيدته سنة ٣٤٨ ( ٣٥٤ ) عودة إلى علاقة هذا بقصيدة فى رثائها سنة ٣٥٢ ، وفى رثاء عمه عند الدولة سنة ٣٥٤

...

### ( ١٤ ) فراق سيف الدولة ، وذهابه إلى كافور بالفسطاط ، من سنة

- ٣٥٧

٣٤٦ إلى سنة ٣٥٠

( ٣٥٧ ) أسباب فراقه سيف الدولة وتفنيده الروايات التي ذُكرت أسباباً لا يُعْتَدُّ بها ، لتناقضها وضعفها ( ٣٥٨ ) الوشائيات التي كان يُكاد بها عند سيف الدولة منذ سنة ٣٤٢ وما كان من عداوة أبي فراس وأبي العشائر له ، لحبه « خولة » ( ٣٦١ ) خروج أبي الطيب إلى كافور ، و « ابن مَلَك » اليهودي الذي أراد أن يُعَرِّى كافوراً بأبي الطيب ، ونزوله بالرملة حيث مدح ابن طنج وأبا طاهر العلوي ؛ وحرص كافور على أن يقصده أبو الطيب ( ٣٦٢ ) ودلالة أول قصيدة مدح بها كافوراً على ازدرائه له وسحريته به ، وعلى ما في قلبه من الشجن لفراق سيف الدولة وأخته « خولة » ( ٣٦٣ ) بطلان قصده كافوراً لطلب عطائه وماله . دلالة سائر قصائده في مدح كافور من هجاء خفي لكافور ( ٣٦٦ ) فهم كافور لتعريض أبي الطيب به وبسواده ، وتضييقه من أجل ذلك على المتنبي ، حتى فرَّ منه المتنبي وفارقه ، وعداوته لابن حنزاب ، وإعجاب المتنبي بأبي شجاع فاتك « المجنون » ( ٣٦٧ ) خروجه من الفسطاط خفيةً ، ونجاة من أسر كافور

\*\*\*

### ( ١٥ ) رحلة المتنبي إلى الكوفة وبغداد ، من سنة ٣٥١ إلى سنة ٣٥٤

٣٦٩

( ٣٦٩ ) دلالات قصيدة « الحسي » التي أصابته بالفسطاط سنة ٣٤٨ ( ٣٧٠ ) هجاؤه كافوراً ، وعذره في التعريض بأهل مصر ( ٣٧٢ ) رحلته في القلوات حتى دخل الكوفة ظافراً مراغماً للعلويين الذين منعه من دخولها في سنة ٣٣٥ ، ودلالة قصيدته التي ذكر فيها هذه الرحلة ، وربط ذلك برثاء جدته سنة ٣٣٥ ( ٣٧٥ ) ذكر الخارجي ( أو القرمطي ) الذي ثار بالكوفة سنة ٣٥١ ، ومدح دُرَيْب بن لَشْكِرَوَز ( ٣٧٥ ) إقامة قليلة بالكوفة ، ثم الرحلة إلى بغداد ، وما كان من أمر الوزير المهلب الذي أغرى به الشعراء ، وادعاهم أن أباه كان سقاً بالكوفة ( ٣٧٧ ) خروجه إلى بغداد سنة ٣٥٢ ، ثم عودته إلى الكوفة ، حيث بلغته وفاة « خولة » سنة ٣٥٢ ، ثم رسالة من سيف الدولة إليه في سنة ٣٥٣ ( انظر ص : ٣٣٠ ) ، ودلالة هذا الشعر ( ٣٧٨ ) دعوة ابن العميد أبا الطيب في سنة ٣٥٤ ، وإجابته هذه الدعوة ، ونزوله بأرجان في صفر ، وبعض دلالات شعره في آبن العميد

\*\*\*

### ( ١٦ ) المتنبي عند عَضُد الدولة الديلمي بشيراز سنة ٣٥٤

٣٨١ -

( ٣٨١ ) رأى المتنبي في ملوك زمانه ، وبلغه عضد الدولة ( ٣٨٢ ) استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ ، واستنشدته فأنشدته مقصورته التي ذكر فيها دخوله الكوفة مراغماً للعلويين ، فأدرك عضد الدولة أنه يتهدده ، وبنو بويه الديلم علويون فاطميون ( ٣٨٣ ) أول قصيدة مدح بها

عضد الدولة تتضمن تعريضاً بما في قلبه من بُغْض الأعاجم ( ٣٨٤ ) المتنبي وعضد الدولة الديلمي عدوان يتخادعان ( ٣٨٥ ) دلالة شعره في رثاء عمه عضد الدولة عن ضمير قلبه وقديم حُبِّه « حولة » ، وإشارة إلى شعوره بأنه مقتول لا محالة

\*\*\*

### ( ١٧ ) مقتل أوى الطيب في ٢٧ من شهر رمضان سنة ٣٥٤ - ٣٨٧

( ٣٨٧ ) قضية العداوة بين أوى الطيب وبنى بويه الديلميين العلويين ، وشأن سيف الدولة في ذلك ( ٣٨٩ ) علاقة العلويين والفاطميين بمقتله ( ٣٩٠ ) صلة مقتله يقوم من بنى أسد وبنى رياح الذين أوقع بهم سيف الدولة سنة ٣٢١ برأس العين ، حيث لقيه المتنبي قديماً ومدحه ( ٣٩٠ ) آخر قصيدة قالها المتنبي تدل على أنه كان يائساً متوقفاً للهلاك ، وقد كان ما توقع

\*\*\*

### قضية المتنبي ( ٣ )

تقديم هذه القضية - ٣٩٥

قضية المتنبي الأولى : « بينى وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت من ذى الحجة سنة ١٣٥٥/١٣ من فبراير سنة ١٩٣٧ ) - ٣٩٧

( ١ ) بينى وبين طه ، تفنيد كلام الدكتور طه ، في أن المتنبي كان لا يعرف أباه ( ٤٠٢ ) وصف الدكتور طه لما كتبه هو عن المتنبي ، وشكّه كما زعم في نسب المتنبي ، واعتماده في ذلك على معارضتي في شأن علوية المتنبي ( ٤٠٣ ) أسباب شكه التي رآها ، وبيان ضعفها وتماتها ، كقولهِ : « إن المتنبي لم يمدح أباه ، ولم يفخر به ، ولم يرثه » ( ٤٠٨ ) خطأ الدكتور طه في فهم شعر المتنبي

( ٢ ) « بينى وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ٩ من ذى الحجة - ٤١١

سنة ١٣٥٥/٢٠ من فبراير سنة ١٩٣٧ )

( ٤١٢ ) أغراض هذا النقد . ( ٤١٤ ) الشك في النسب لأبْدَله من علة صحيحة . وتممة القول في أسباب شكه كما ذكرها ( ٤١٥ ) حقيقة السبب الذى من أجله شك الدكتور في نسب المتنبي ، ومن أين أخذ بعض أسبابه ( ٤١٩ ) الاختلاف في سياق الأنساب ، لا يكون علة للشك في أنساب الناس ( ٤٢٠ ) بيان لما كان في كتابي هذا من الكلام في نسب المتنبي ، لم كان ؟ وكيف

كان ؟

٤٢٣ - ( ٣ ) « بينى وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ١٦ من ذى الحجة سنة

١٣٥٥/٢٧ من فبراير سنة ١٩٣٧ )

( ٤٢٣ ) إبطال الحجج التي أدت به إلى القول بأن المتنبي « لقيط » ، وأن كُـلَّ شك

أو ارتياب لا بد له من حُجَّة داعية من ديوان الرجل نفسه ( ٤٣١ ) ردّ ادعائه أن المتنبي كان يشعر  
بالضعة من أجل ذلك ، وهو قول بلا دليل

٤٣٤ - ( ٤ ) « بينى وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، الثلاثاء ٢٦ من ذى الحجة سنة

١٣٥٥/٩ من مارس سنة ١٩٣٧ )

( ٤٣٤ ) إبطال قول الدكتور طه بأن المتنبي كان « لا يعرف أمه » أيضاً ، وهو اتهام له

معنى لا يستحسن ذكره ، وما فيه من التناقض ( ٤٣٨ ) منهجٌ يؤدي إلى فساد الحياة الأدبية

( ٥ ) « بينى وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ٣٠ من ذى الحجة سنة

١٣٥٥/١٣ من مارس سنة ١٩٣٧ )

( ٤٤٥ ) تمتة القول في إبطال الحجج في أن المتنبي « لا يعرف أمه » ، وسائر حججه في

شلوذ حياة المتنبي ، بلا أساس مقبول ( ٤٥٠ ) طبيعة الخلاف بين منهجين في دراسة الأدب ،

وهو تمتة للقول في نسب المتنبي

٤٥٥ - ( ٦ ) « بينى وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ٧ من المحرم ١٣٥٦/٢٠

مارس سنة ١٩٣٧ )

( ٤٥٥ ) نقد ما وقف عنده الدكتور طه من شعر المتنبي ، وفيه الفرق بين منهجي في

« التلوق » ، ومنهجه « الانفعالي » العقيم ، وأيهما أصحُّ في استخلاص الحقائق من الشعر ؟

( ٧ ) « بينى وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، السبت ١٤ من المحرم سنة

١٣٥٦/٢٧ من مارس سنة ١٩٣٧ )

( ٤٦٧ ) نشأة المتنبي في الكوفة ، وتعرضه لصللة العلويين بحياة المتنبي ، وهو أيضاً دالٌّ على

الفرق بين المنهجين ، وإبطال ما تخلل ذلك من الآراء التي لا أصل لها ( ٤٧٣ ) تحريفه ألفاظ

الأخبار المروية ، وما يؤدي إليه هذا الفعل من الأخطاء ( ٤٧٣ ) طرف آخر من إرادته معارضة

بلا دليل صحيح

٤٧٦ - ( ٨ ) « بينى وبين طه » / ( نشرت في البلاغ ، السبت ٢١ من المحرم سنة ١٣٥٦/٣ من

إبريل سنة ١٩٣٧ )

( ٤٧٧ ) تنمة تفنيد ما قاله في نشأة المتنبي ، وادعاؤه « قرمطية » المتنبي ، بلا دليل صحيح ، وما في ذلك من التناقض . ( ٤٧٩ ) تفنيد ما قاله في شعر المتنبي في صباه ، وهو فصل دال على المنهج الانفعالي غير الناضج في فهم الشعر  
( ٩ ) « بيني وبين طه » / ( نشرت في البلاغ ، السبت ٢٨ من المحرم سنة ١٣٥٦ / ١٠ )  
من إبريل سنة ١٩٣٧ )

- ٤٨٧

( ٤٨٧ ) تفنيد حججه في أن المتنبي « قرمطي » ، وفساد منهجه المفضي إلى هذا الاستنتاج من شعره ، وفيه الفرق بين منهجي في « التذوق » ومنهجه العقيم ( ٤٩٥ ) أبيات أخرى ظنّها تدل على قرمطيته ، وأخطاؤه التي ارتكبها في سبيل هذا المنهج الانفعالي العقيم  
( ١٠ ) « بيني وبين طه » / ( نشرت في البلاغ ، السبت ٦ من صفر الخير سنة ١٣٥٦ / ١٧ ) من إبريل سنة ١٩٣٧ )

- ٤٩٨

( ٤٩٨ ) تمام القول في « قرمطية المتنبي » . أول من أحدث خرافة « قرمطية » المتنبي ، هو المستشرق الأعجمي بلاشير ، واحتجّها منه الدكتور طه على عادته ، وما في أقواله من الرّجم والغلو ( ٤٩٩ ) ترتيب حججه في ذلك ، ثم تفنيدها ( ٥٠١ ) مزاعمه في القصيدة التي تهكم بها المتنبي برجل يقال له أبو الفضل ( ٥٠٣ ) إغفاله مقدمات القصائد التي كتبها المتنبي نفسه ( ٥٠٤ ) تورّطه في استنباط معان لا قيمة لها من شعر أبي الطيب في صباه ، وفي الدلالة على فرق ما بين منهجي ومنهجه .

- ٥٠٩

( ١١ ) « بيني وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، الثلاثاء ٢٣ صفر الخير سنة ١٣٥٦ / ٤ ) من مايو سنة ١٣٥٦ )

( ٥٠٩ ) تنمة الكلام في فساد القول « بقرمطية » المتنبي ( ٥١١ ) مثلاً من أخطاء الدكتور باعتاده على تخطيط المستشرق بلاشير ( ٥١٣ ) فساد قوله في الاستدلال بشعر لأبي الطيب في مدح صاحبه العلوي في صباه ، وإقحامه ذلك في قضية « القرمطية » ( ٥١٥ ) منهجه الانفعالي العقيم حين طبّقه على قصيدة المتنبي ، أوقعته في أخطاء متتابعة ( ٥١٦ ) تطبيق منهجي في « التذوق » يصحح أخطاءه في هذا الشعر

- ٥١٢

( ١٢ ) « بيني وبين طه » / ( نشرت في صحيفة البلاغ ، الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٦ / ١١ ) من مايو سنة ١٩٣٧ )

( ٥٢١ ) تفنيد ما قاله في توقيت قصائد المتنبي بالشام ، ولم وقع في هذه الأخطاء ، والمقارنة بين ما قاله هو وما قلته أنا ، وفيه ختام هذه القضية « بيني وبين طه »

## نُبُوَةُ الْمُتَنَبِّئِ

- ٥٣٣ - « نبوة المتنبي » / « محمود محمد شاكر » / « الرسالة » (١٦٧) الاثنان ٢٨ من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥/١٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٦ )
- ٥٤١ - حول « نبوة المتنبي » / « سعيد الأفغانى » / « الرسالة » (١٧٠) الاثنان ١٩ من رجب سنة ١٣٥٥/٥ من أكتوبر سنة ١٩٣٦ )
- ٥٥٠ - « نبوة المتنبي » أيضاً / « محمود محمد شاكر » / « الرسالة » (١٧١) الاثنان ٢٦ من رجب سنة ١٣٥٥/١٢ من أكتوبر سنة ١٩٣٦ )
- ٥٥٩ - « نبوة المتنبي » أيضاً / « محمود محمد شاكر » / « الرسالة » (١٧٢) الاثنان ٣ من شعبان سنة ١٣٥٥/١٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٦ )
- ٥٧٠ - حول « نبوة المتنبي » أيضاً / « سعيد الأفغانى » / « الرسالة » (١٧٤) الاثنان ١٧ من شعبان سنة ١٣٥٥/٢ من نوفمبر سنة ١٩٣٦ )

\*\*\*

## كلمة الرافعى

- ٥٧٧ - « المقتطف والمتنبي » / « مصطفى صادق الرافعى » / « الرسالة » (١٣٢) الاثنان ١٨ من شوال سنة ١٣٥٤/١٣ من يناير سنة ١٩٣٦ )

\*\*\*

## أربع تراجم للمتنبي لم تُنشر ( 4 )

- ٥٨٥ - (١) « ترجمة المتنبي للرَّبَّيعى » (٣٢٨ - ٤٢٠ هـ) / ملحقه بآخر شرح الواحدى لديوان المتنبي (مخطوط)
- ٦٠٧ - (٢) « ترجمة المتنبي لابن العديم » (٥٥٨ - ٦٦٠ هـ) / من كتابه « بغية الطلب » (مخطوطة)
- ٦٥٩ - (٣) « ترجمة المتنبي لابن عساكر » (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) / في آخر نسخة من « الإبانة للميدى » (مخطوط)
- ٦٨١ - (٤) « ترجمة المتنبي للمقريزى » (٧٧٦ - ٨٤٥ هـ) / من كتابه « المُقَفَّى » (مخطوط)

\*\*\*

- ٧٠١ - فهرس شعر أنى الطيب
- ٧٠٧ - فهرس أبيات لغير المتنبي
- ٧١٠ - فهرس الحديث والأمثال
- ٧١١ - فهرس سيرة أنى الطيب
- ٧١٣ - فهرس الأعلام
- ٧٣١ - فهرس المواضع
- ٧٣٥ - فهرس كُتُب عن المتنبي
- ٧٣٧ - فهرس سائر الكتب
- ٧٣٩ - فهرس الصحف والمجلات
- ٧٤٠ - فهرس المكاتب / والفرق وأشباهاها
- ٧٤١ - فهرس رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا
- ٧٤٣ - فهرس كتاب المتنبي